

إميليا إدواردز

# رحلة الألف ميل

ترجمة: إبراهيم سلامة إبراهيم

مراجعة: د. محمود ماهر طه

توزيع: شفا عبور الأفريقية  
أكبر مكتبة رقمية



إهداء ٢٠٠٦  
 للهيئة المصرية العامة للكتاب  
 القاهرة

رحلة الألف ميل



# الألف كتاب الثاني

## ثلاثة حلقات الثقافة العالمية

إهداء العالم  
الدكتور/ هادي هادي  
مكتبة مطبوعات الزكاة

مكتبة التمدد  
أحمد صليحة

مكتبة التمدد  
مركز عبد الله

الإعلام العربي والثقافة  
مكتبة مطبوعات

تأليف ج. ر. م. مكتبة غوامر في بحر الكتب

# رَحْلَةُ الْأَلْفِ مِيلَ

تأليف  
إميليا إدواردز

ترجمة  
إبراهيم سلامة إبراهيم

مراجعة  
د. محمود ماهر طه



مركز مصر للدراسات والكتاب  
١٩٩٧

توزيع: مكتبة غوامر، في نهر الكتب

هذا هي الترجمة العربية الكاملة لكتاب :

*A THOUSAND MILES UP THE NIL*

*By : Amelia B. Edwards*

Pub : Oxford, Clarendon Press, London.

First ed : 1877. Second ed : 1888.

تقديم : هنا نشر الأثرية  
أكبر مكتبة رقمية

# الفهرس

الموضوع	الصفحة
تسليم	٧
مقدمة المطبعة الثانية	٩
مقدمة المطبعة الأولى	١٠
المقدمة	١٩
الفصل الأول	
القاهرة والهرم الأكبر	٢٢
الفصل الثاني	
القاهرة والحج إلى مكة	٤١
الفصل الثالث	
من القاهرة إلى البدرشين	٥٩
الفصل الرابع	
سفارة ومنف	٧١
الفصل الخامس	
من البدرشين إلى الدنيا	٩٤
الفصل السادس	
من الدنيا إلى أسبوط	١١٤
الفصل السابع	
من أسبوط إلى عنبرة	١٢٢
الفصل الثامن	
طيبة والكركنة	١٥٩
الفصل التاسع	
من طيبة إلى أسوان	١٨١

الموضوع	الصفحة
الفصل العاشر	
أصوات والغتتين	٢٠٠
الفصل الحادي عشر	
للشلال والصحرَاء	٢٢١
الفصل الثاني عشر	
فيله	٢٢٢
الفصل الثالث عشر	
من فيله الى كوروسكو	٢٥٩
الفصل الرابع عشر	
من كوروسكو الى أبي سنبل	٢٧٠
الفصل الخامس عشر	
ومسيس الاكبر	٢٨٨
الفصل السادس عشر	
أبو سنبل	٢١١
الفصل السابع عشر	
الشلال الثاني	٢٤٠
الفصل الثامن عشر	
الاكتشافات في ( أبو سنبل )	٢٥٤
الفصل التاسع عشر	
الحربة من خلال أراضي النوبة	٢٨٤
الفصل العشرون	
السلسلة وانفو	٤٢٢
الفصل الحادي والعشرون	
طبيعة	٤٤٢
الفصل الثاني والعشرون	
أبيدوس والقاهرة	٥٠٠
الملاحق	٥٢٨



## تكملة

كم ادهشني هذه السيفتة الانجليزية المتوسطة العمر اماليا ب • ادواردز ، تلك التي جاءت الى مصر بهدف السياحة ، ولكن ما شاهدته اغراها منذ البداية بتحويل الرحلة من مجرد السياحة العابرة الى الدراسة المختصة •

ان هذه السيفتة نموذج مضي عليه مائة وعشرون عاما ، ولكنها ترى فيه حداثة ماثلة تجعلنا نقفها للمرأة المصرية التي تعيش السنوات الأخيرة من القرن العشرين ونبحث لنفسها من دور أكبر تقوم به في خدمة بلدها مصر • لقد خاطرت هذه السيفتة بالقيام بالرحلة عبر النيل ذهابا وعودة في مركب • وعرضت نفسها للكثير من مخاطر الملاحة النهرية والتعامل مع المنيح من التسلل الانساني القريبة عنها أصلا وللة ، ولكنها في جميع الأحوال اجتازت الرحلة بسلام ، وقد حرصت على الاستفادة من كل لحظة زمن بتدوين كل صغيرة وكبيرة من النيل والأرض والاسكان المصري الذي عاش في أيام الخديو اسماعيل ذلك الحاكم المظروح الذي حاول أن يجعل مصر قطمة من أوروبا •

ان صورة مصر عند هذه السيفتة عينة عظيمة لدراسة عميقة لعمتها المؤلفة بالانجليزية للأوربيين وما نحن نلقها بالعربية لأصحاب البله من المصريين ولكل قارئ بالعربية ليتعرف أكثر الى تاريخ هذا الجزء من الوطن العربي الذي يقود الأمة العربية •

ان المضافة التي اكملها اجدادنا منذ خمسة آلاف عام تقريبا بتقنيهم المصنوع في علوم الطب والهندسة والعمارة وكيمياء الألوان ، ووسائل طبع الصخور وتقلها دون تولد وسائل النقل القادرة على تحمل ثقل عشرات الأطنان • ثم استعملهم هذه الصخور في اقامة المباني والصروح الضخمة دون خوف الروائع أو الأوتاش • ثم نقش عاثرهم بنقوش بارزة أو غائرة زاهية للألوان تعيش لامة حتى اليوم فوق الحوائط والمستوف

الصلبية التي قاومت عواذى الأيام ٠٠٠ ليست هذه هي بؤاكير التاريخ  
المصري وبداياته الزاهية التي تفلخر بها الآن وسنظل تفلخر بها على مدى  
الأيام ؟ إن التكنولوجيا الحديثة تكف عاجزة أمام التقدم العلمي المنحل  
الذي حققه أجدادنا العظام ، فلا هي بقادرة على مجاراته ، ولا تستطيع  
حتى فهم أسرارها ، رغم المحاولات المستمرة لاكتشاف النظريات الخفية  
أو الإمكانيات السرية التي حقق بها أجدادنا هذه المعجزات .

وليس هذا هو كل ما يتضمنه الكتاب لأنه يضم للقاري صورة  
صادقة وأمينة لمصر التي شاعلتها المؤلف على الطبيعة وعاشت أهلها  
وتعاملت معهم ببساطة وحس واعجاب ، متضمنة التفاصيل الدقيقة عن  
الحياة اليومية خاصة في قلب القاهرة القديمة ( الموسكى ) وما حوله من  
أحياء ٠٠٠ وبعثتنا نتذكر احتفالات منقر الممصل الى مكة ٠٠٠ وما كانت  
تجرى به الاحتفالات في الأعياد والمناسبات والأفراح .

وفي النهاية لا يسمننا الا احترام هذه السيدة النبيلة واعتناح جهودها  
المشكور . ولا يلوتنا أن ننوه هنا بالجهود الكبير الذي بذله الأستاذ الدكتور  
محمود ماهر في مراجعة هذه الترجمة وضبط عباراتها وإضافة العديد من  
الملاحظات التي جعلتها تظهر بهذه الصورة المشرقة .

**إبراهيم سلامة إبراهيم**

القاهرة في ١٥ يناير ١٩٩٦

## مقدمة الطبعة الانجليزية الثانية

طبع هذا الكتاب للمرة الأولى سنة ١٨٧٧ وسعت  
طبعته منذ سنوات عديدة . ولذلك راجعته وأضفت طبعة  
من جديد بمضمون أوسع . وأثناء مراجعته قسمت بتصحيح  
بعض التعليقات التاريخية في ضوء الاكتشافات الأخيرة .  
ولكنني تركت الأسلوب الروائي دون المساس به . ولم  
أدون أية ملحوظة عن التغييرات السياسية التي جرت  
على أرض مصر (٥) منذ كتابة هذا الكتاب . ونظرا لأنني  
لا أقدم نفسي كمرشحة للآخرين فأنني لا أورد شيئا عن  
الأحوال المتغيرة التي يخصص لها غالبية الرحالة الذين  
يقومون بهذه الرحلة الآن عبر نهر النيل . وستكون  
هذه الأتنيات أكثر امتثالا وأكثر عملية عند دراستها من  
خلال الصفحات التي دونها بيدنكر وموراي .

إسفيا ب . ادولف  
وستيرى - تون - تريم  
أكتوبر ١٨٨٨

---

(٥) لخدمة هؤلاء الاحتلال قسطنطين شمر - ( ترجم )

## مقدمة الطبعة الانجليزية الاولى

يتم جزء من الرحلة في مصر على ظهر حمار ، ثم يقوم المسافر بنزحة بحرية في مركب بين شرايف الافر .

( امير )

عندما اوجر امير الحديث في مصر في عبارة ساحرة « دكوب حمار  
ورحلة في غارب خلال الغرائب » ، فانه في الحقيقة قد اوجر في سفر  
واحد التجربة الكاملة للرحلة عبر نهر النيل - اما بخصوص هذه الانبياء  
الثلاثة - الحمار ، والقارب ، والغرائب - فيمكن القول بأن الحصول  
على سرج الانجليز جيد الصنع ، وباحرة نيلية مريحة ( ذهبية ) يضيفان  
الكثير الى بهجة الرحلة ، وانه كلما عرف المرء الكثير عن التاريخ الماضي  
لهذا البلد غاله يستمتع اكثر بهذه الغرائب .

ولا اعرض للحديث عن المميزات النسبية للمراكب الخشبية ،  
والمراكب الحديدية ، والسفن البخارية ، ولكننا على أية حال نشاهدنا  
ذهبية مصنوعة من الحديد راسية على ضفة رملية ، حيث علمنا فيما بعد  
انها بقيت هناك لمدة ثلاثة أسابيع . ورائنا أيضا حطام ثلاث سفن بخارية  
ما بين القاهرة والقنال الأول ، وهي المؤكدة انه بنا لنا ان الذهبية الخشبية  
حقيقة الطراز ، عريضة القاع ، تسحب القليل من الماء ، وهي خفيفة  
الوزن بحيث يسهل جذبها عند جنوحها ، وهي افضل ما صنع من المراكب  
للملاحة في النيل . وبالطبع لان هناك اعتبارات أخرى تدخل في هذه  
المسألة مثل الزمن والتكلفة . ويمتد الاحتيار بين الذهبية والسفينة  
البخارية ، شبيهة بالاختيار بين السفر على شيرل بيريد ، والسفر بالسكة  
الحديدية ، لان احدهما مرتفع التكلفة ، ويضئ على مهل ، ويثير الهمهمة ،  
بينما الآخر رخيص وسريع وغير مريب سبييا . ويعتد شك لان هؤلاء  
الذين يرفضون لقاء مطرة حافلة على النيل سيحضون السفينة البخارية .  
ويظهر بي ان امير ان التكلفة الكلية للرحلة من قيلة الى فندق كراكنت

بما فيها الطعام والجرة الترحيل والإيجار المركب متضمنة كل شيء - قيسا عند  
الخمور - تبلغ حوالي عشرة جنيهات استرلينية في اليوم .

لما بخصوص حرارة الجو فقد وجدناه بارداً وشديداً البرودة  
أحياناً - خلال شهري يناير وديسمبر ، وعندما في فبراير ، ودافعا جدا  
في شهري مارس وأبريل - لما مناخ التربة فهو ببساطة لا تشويه شاملة ،  
حيث لا تغطي السماء أبداً ، وعندما تمر سمود المدار ، لا يحمل الهواء  
قشعريرة الصياح أو للسماء . لا أنه حتى في بلاد التربة وخاصة  
طوال الأربعين ميلا التي تفصل ( أبو سمبل ) عن وادي حلفا ، فإن الجو  
يكون بارداً عندما تهب الريح من الشمال بغسلة (١) .

وإذا عدنا إلى عنوان هذا الكتاب فقد يتعرض البعض عليه لأن المسافة  
من ميناء الاسكندرية إلى القنال الثاني تقل قليلا من ألف ميل ، وهي  
تقدر في الحقيقة بحوالي ٩٦٤٥ ميل . ولكن المسافر عند صخرة ( أبو صير )  
التي تبعد من وادي حلفا بمسافة خمسة أميال ، يرى أن الأرض التي  
تتعد مسافات ومسافات تتجاوز الثلاثين أو الخمسة والثلاثين ميلا ضرورية  
لاستكمال رحلة الألف ميل . وقد رأينا من هذه النقطة بوضوح قسم  
الجبال التي تقع على بعد حوالي ١٤٥ ميلا جنوب وادي حلفا والتي تتعرف  
على القنال الثالث .

وربما يجب على أن نقول شيئا ودا على التساؤلات المتكررة من هؤلاء  
الذين انتظروا طبع هذا الكتاب منذ عام مضى . استطاع أن أجيب فقط  
بأن عملية الطبع قد استغرقت عامين وليس عاما واحداً ، فمن المستحيل  
أن تكتب عن مصر بسرعة ، فالموضوع يتسع مع الكتابة ، ومع المعرفة التي  
يحصل عليها المسافر خلال الطريق .

والأهم من ذلك هو أن الموضوع صلب بموافق لا بد وأن تتركل أسرع  
للأفلام ، ولن أدعي أن في حوزتي أسرع للأفلام . وعلاوة على ذلك فإن  
الكتاب الذي يطبع لأن يكون دقيقا عليه أن يجعل كثيرا للبحث عن  
الحقائق ، إذا لم يلعب أصلا إلى لصاحبه العملية ٣ التي قد تكون هي

---

(١) النقطة من يريده معلومات أكثر دقة ، تشير أن هناك قائمة بمقاييس درجات  
الحرارة مسجلة يوما بيوم ، وأسيروها بأسيرو ، وهي مجموعة في نهاية كتاب  
مستر هـ ويليام ستيوارت Mir H. Williams Stewart بعنوان للكتاب . شاركه من  
الذي Nile Gleanings .

النصوص ذاتها ) . وفي معظم الأحوال يلجأ الى الترجمات والتعليقات  
المخزونة في الصفحات التالية للنص ، الى التفرقة بين صفحات الدوريات  
الطبية ومجلات طبقات الجمعيات المتخصصة . وهنا سيكتشف أن كل  
تأليف أو اسم أو مرجع عابر . قد يحتاج الى سلع من البحث ، وأن  
مراجعة هذا للمد الضخم من الرسوم الخطية والتوضيحية التي يجب  
تقلها عن ملحوظات الصفحات التي تتناثر هنا وهناك في كراسات الرسم  
التي في حميم الجيب وهي الرغيف القائم للرسم ، تستغرق ذمنا ليس  
بقليل . وقد خطر في بالي أن أورد ذلك على صيبل الاعتذار .

ويسعدني أكثر أن أذكر حفة الصل دون اعتبار للوقت الذي  
القصي . ويحب أن أشكر الأصدقاء الذين لم يألوا جهدا في نقل الصور  
لأصدار هذا الكتاب . ونخص بالذكر المحترم سي . بيرش ( دكتور في  
القانون ) والذي ينفذ بحق . الأب في هذا القطر لموسسة كبيرة في فقه  
اللغة المصرية . والذي قام أيضا بترجمة النصوص الهيراطيقية  
والهيريغلينية المتضمنة في الفصل الثامن عشر . والذي اطلع بسطط غير  
محدود من ذلك الفصل يرمته في الطبعة ، وإلى المحترم ريجنالد ستوارت  
بول والبرونسير ر . أرين ومن . ب . وغيرهم . وإلى السير ج . و . كوكس .  
إلى هؤلاء جميعا أود أن أقدم امتناني القلبي مع الاقرار بالمضالم . ومن  
المؤكد أن يحسب من بين أجداد العلم أن هؤلاء الذين يعملونه ويسألون  
في ذلك بلجهاد ، هم أكثر الناس استعدادا للمشاركة في مخزون المعرفة  
التي لديهم .

وكم أشتاق كذلك للتصغير عن امتناني القلبي للمصتر ج . بيرسون  
الذي تم حفر كافة الرسوم تحت إشرافه ، فالتول بأن صبره ولطافة كانا  
غير محدودين . وأنه لم يبال بالوقت أو التكلفة في توضيب كليشيهات  
الطباعة . ليس الا مجرد ذكر للحقائق . ولا ينقل أية فكرة عن ماهية الصل  
التي تم اجتازها . وخاصة أن أعمال الطفر التي ظففت على التخصيب مباشرة  
تدعى الى حلق الترح ، كما ظففت أيضا عن الرسوم للرسم بالالوان  
لناحية التي كان مطويا ليس فقط تصغير حجمها بل أيضا تنفيذها كما  
هي بالأسود والأبيض مما زاد من صعوبة تنفيذ العمل . ولواجهة علم  
الصنوعات وتأكيدا للذمة فلان مستر بيرسون لم يطلب فقط مساواة  
الرسامين المخططين ولكنه علم في أحيان كثيرة بتصوير الفوتوسومات على  
التخصيب مباشرة . أما فيما يخص عمل الرنكوغراف الذي يتحدث عن  
نفسه . فسأقول فقط أنني لا أعرف طريقة أخرى للتفوق عليه . ويسعد

لي أن بعض هذه الكليشيهات نمتير نموذجاً لا وصل إليه في الفن على  
الخشب من حقة في التنقيذ .

أما الرسوم الرئيسية فقد رسمت جميعاً على الخشب بمعرفة مستر  
يوسيفال سكيلتون ولا يستطيع أحد سوى أنه يتمتع على طريقة هذه  
الرسوم لرقه قلمه الرصاص والأحاسيس الفنية التي نفذ بها الرسومات  
الأصلية .

لما عن سحر الرحلة المصرية ، وروعة النيل ، وجمال الصحراء غير  
المقروص والمعايق ، والمخاريط التي تعتبر من عجائب الدنيا ، فقد أوفيت  
ذلك حقه في مكان آخر . ولابد أن أضيف أنني حملت معي إلى وطني  
أحساساً بأن الأشياء والناس في مصر ، لم تتغير كثيراً عما تعودنا أن  
نلتزمه في وقتنا الحالي . واعتقد أن بنية وحيات الفلاح الحديث تتطابق  
كثيراً مع بنية وحيات ذلك العامل المصري القديم الذي نعرفه جيداً من  
حلال الرسوم الجدارية في القابر : أكتافه مربعة ، ولطرافه دقيقة ولكنها  
قوية ، وممتلئ بالصفين ، وبشرته بنية اللون ، وراحه مرتدياً نفس المئزر  
على الصدر ، ويحيط نفس الصادوف ، ويحيط بنفس المعرات ، ويعد  
نفس الطمأن بنفس الطريقة ، ويتناول طعامه بأصابعه من نفس السلطانية ،  
تماماً كما كان يفعل أجداده منذ ستة آلاف عام مضت .

أما الحياة العائلية والأساليب الاجتماعية حتى تلك الخاصة بالنبلاء  
في عواصم الأقاليم فلم تتغير كثيراً . ويصعب الله على بعض الأفراد من ابريق  
قبل تناول الطعام لم ينزل إلى حوض منبها نراه مرسوماً في مناسظر  
الاحتفالات في طيبة . وبالرغم من أن زهرة اللوتس قد احتلت إلا أن بالة  
الزهور ما زالت تقدم إلى كل ضيف عندما يأخذ مكانه على المائدة .  
وما زالت رأس الخروف للذبح تطلى للفقره كوليمة . أما هؤلاء الذين  
يدعون إلى تناول اللحم أو التشرّب فانهم يلمسون الرأس والصدر عرفاناً  
بالجحيل كما كان الأمر قديماً . وما زال اللوسيليون يجلسون عند الطرف  
المبطل من القاعة ، كما أن المطربين ما زالوا يصطفون بأيديهم تجليها  
مع أصواتهم . وما زالت الفتيات الرافعات لرقصن ، كما أن المهرج ما زال  
يقدم مزلياته الشاذة وهو يرتدى قبعة المرقعة الحواف لتسليّة الضيوف .  
ويتم احتفال الله في المائدة في حوارق من نفس الطراز الذي يصنع في  
الحديثة كما كان في أيام خوفو وخنجر . وكذلك فإن مرحلات القوارير تبد  
تماماً بأوراق النباتات الطازجة والأزهار بنفس الطريقة . وكانت الكوسة  
المشوية باللحم المقرّم هي الطبق المفضل في عصر التمام ، واستطبع أن

أشبهه بوجودها سنة ١٨٧٤ . وما زال الأولاد الصغار في النوبة يلبسون الطاقية المقلدة الجانب التي كانت تزين رأس رحسيس في شبابه . ويمكن مشاهدتهم القليلات الصغيرات في ثياب تضيئه ثلما الحرام التي كانت ترتديه الأميرات الصغيرات في عصر تجمس الأول . وما زال الفسح يمشي حاملا عكازا طويلا ، كما أن لثراة النوبة ما زالت تجدل خصلات شعرها في شكل جدائل تشبه كالدول الصغيرة . أما مركب الترفيه الخاصة بالحاكم حاليا ، أي المدير ، فما زالت مثل التهيبة التي يمسأجرها النساخ الأوربي ، تمثلان مما كلتاهما في جميع الملامح الضرورية صورة طبق للأصل من المركب ذات الحاديف والكلوة بالطلاء لرسويع في مقابر الملوك .

في هذه وهي مئات من المخططات الأخرى التي وقعت كلها تحت ملاحظاتي المستحصية ، واتخذت لها مكانا في الصفحات التالية ، هذا لي أن أي غرضي يتأرجح حول مشكلة الحياة والفكر في عصر القديمة يستد تقريرا من داخلنا . إن عادتنا في الحياة والفكر شديدة التعميد لدرجة الها تجعلنا نسا عن بساطة ذلك العالم القديم . وكان ذلك يرتبط بمشكلة الكتابة الهيروغليفية . كان واضحا أن أحدا لا يستطيع حلها ، وطالما أصر العالم على الاعتقاد بأن كل حرف هيروغليفي يمثل رمزا معينا ، وأن كل نقش يمثل لغزا فلسفيا صعبا المعنى ، فقد ظل صر الأدب المصري عريضا الحل . واتبرا جاء شامبلون الشهير إلى داسية هوضحا أن الملامح الهيروغليفية كانت تمثل حروفا أبجدية ومقاطع لفظية وأن اللغة التي استخدمت حروفا كانت هي القبطية فقط .

ولو لم يوجد الآلاف من الذين ما زالوا يظنون أن الشمس والقمر مخلوقان مصريان ليس لغرض آخر سوى تبدين ظلام كوننا الصغير ، ولولا أن أحد النبلاء المحترمين قد حب فيما مضى لكتابة مقالة جادة متكاملة نبين أن الأرض مسطحة ، لما صبق أحد أن هناك أساسا ما زالوا يشكون الآن في إمكانية قراءة وترجمة ما خطه قديم المصريين بنفس طلاقة اليونانية القديمة . لقد غابت في مصر رجلا اسطوريا أقام في القاهرة لفترة طويلة وكان على معرفة تامة بطلمه الدراسات المصرية القديمة الذين كانوا في خدمة الخديو . أكد لي عدم اعتقاده الراسخ فيما اكتشفه شامبلون ، وقال : « في رأي أنه لا أحد من هؤلاء السادة يستطيع أن يقرأ سبطا واحدا من الهيروغليفية » .

ولما كنت حينذاك لا أعرف شيئا عن اللغة المصرية ، فأنني لم أجادل في هذا الحديث . وعلى كل حال فأنني منذ ذلك الحين وأثناء كتابتي لهذا



الكتاب تقدمت خطوة خطوة في دراسة الكتابة الهيروغليفية وأنا الآن أعرف إمكانية قراءة اللغة المصرية بسبب بسيط هو أنني استطعت قراءة جملة بها • وقد لا تكون شهادتي ذات قيمة كبيرة ولكنني أعتقد بسبب القليل الذي تساويه •

إن دراسة الأدب المصري قد تقدمت بخطى سريعة خلال السنوات الأخيرة • وبالرغم من أن العثور على أوراق البردي أصبح الآن أكثر نادرة مما كان عليه عند ثلاثين أو أربعين عاما مضت إلا أن ترجمة الموجود منها في لفائف الأوربية تسمى الآن باجتهاد أكثر مما كان يحدث في الماضي • لقد جرى لقاء الأضواء على الكتب الدينية ، وأشكال الطقوس ، وتلواظ الأحلافية ، والأقوال للأتورة ، والرسائل الشخصية ، والتراتيم ، والحكم المصرية ، والمسموعات التاريخية ، والحكايات ، وصكوك البيع ، والبيوتات الطبية والمصرية والفلكية ، والمسجلات الجغرافية ، وأجساد الأسماء والمخبرات والروايات ، كما تم تصويرها ونسخها باستخدام قوالب الحفر الملونة ، وطبعها بحسب النمط الهيروغليفي وترجمتها بأصناف تناسب كلا من الفارس والكلاري المادى •

ولم يكن كل هذا الانفاج بالضرورة مدفوعا على البرديات • لأن القسم الأكبر منه كان محفوظا في الحجر • والبيض منه مرسوم على الخشب أو مكتوب على قماش الكتان أو الجلد أو المسامات الخرفية وغير ذلك من المواد • وبذلك نجد أن السر القديم الخامس بمصر وتعنى به الإنتاج المكتوب قد اكتشف • وأصبح مفتاح الهيروغليفية هو المفتاح الرئيسى الذى يفتح جميع الأبواب • ونرى الآن حلا لبعض المشاكل التى كنا بلدا فى كل عام يمر علينا • وكل يوم يلقى الضوء على بعض الحقائق التى طال زمن دلتها •

وعند حوالي ثلاثة عشر عاما (١) رسم الفنان الأمريكى مشهور صورة جبيلة أسماها دسر أبى الهوى • وأنا أترض أن سر أبى الهوى يبنى فى مفهومه الواسع كل مابنى مصر الذى كان يستصحب تأويله واستكشافه • أما فى مفهومه الضيق فانه كان يبنى منذ وقت قليل ، الحسى الخفى للأسف الذى يجعل رأس الإنسان والذى يمثل أحد الموضوعات النموذجية للفن المصرى • وعلمنا نرجع بالنظر إل فترة الثلاثة عشر عاما نجدها فترة

---

(١) يمكن تذكر هذه التاريخ بالعمدة إلى عام ١٨٧٧ عندما ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب •

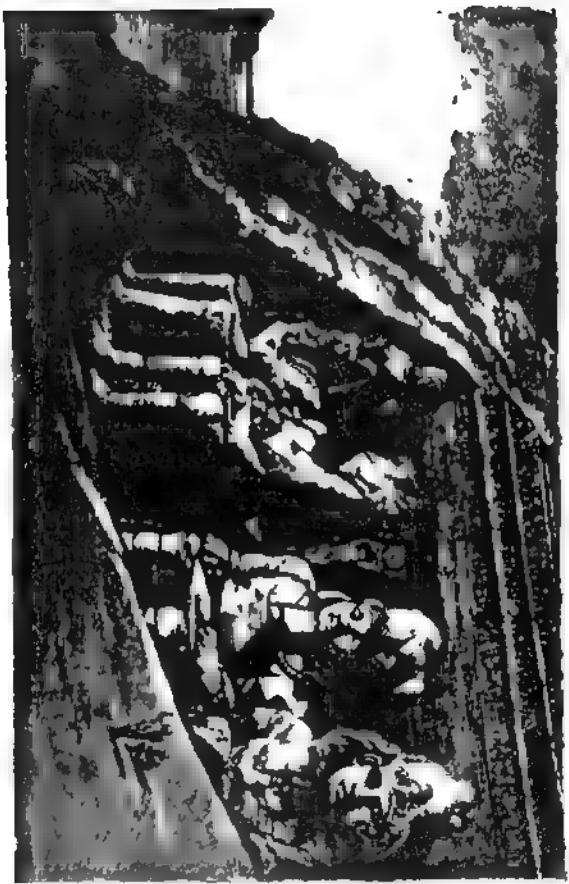
قصيرة ، ولكن اتجوت جلالتها أعمال عظيمة في مصر وهي علم المصريين •  
لقد انكشفت لدور بثروتها غير المادية من النقوش ، كما استجيت كافة  
محتويات متحف بولاق من بين غياص القيور • وتم كذلك كشفه مر أحي  
الهول • وحتى خلال الثمانية عشر شهرا الأخيرة أعلى مستر شاياس أله  
الكشف تاريخ مرم منكاهوع • وهكذا تم لأول مرة معرفة التسلسل الزمني  
لتاريخ مصر القديمة على أساس ثابت • وعلى ذلك فالمعمل مستمر :  
العلوميون في مكتباتهم ، والمقاليون بالبحار تحت مياه مصر ،  
يكسبون خلال مسالك مختلفة في اتجاه هدف واحد • وتسمى هذه الصورة  
الكثير اليوم بالنسبة لما كانت تعنيه منذ ثلاثة عشر عاما مضت • بل انها  
تعلي أكثر مما كان يقصد الفنان • ولا يوجد الآن غموض في أي الهول  
ألا تلباهل فقط •

وترى في الصورة فلاحا يسي اللون ، صفت عار ، يبدو عليه الإنهاك ،  
واقفا أدناه ملاصقة للشقاء البحرية لأي الهول الضخم ، والمدفون في  
الرمال حتى عنقه • وتقول له حرية النماء المصرية القديمة أن الإنسان  
يشبه الآله وهو متعب للأمرار الطويلة التي تكس في الماضي • وربما كانت  
لديه فكرة عامة غامضة تملأ أن الرأس الضخم للتمثال تعرفها كلها مهما  
كانت ملامحتها • أنه لم يصبح عن أفنية الصباح لدى منون ، ولكنه  
على أية حال يتخيل أن تلك الشقاء لليلة لابد أن تتكلم أنه سئلب •  
أن الفلاح وأبا الهول يقفان بفرحهما في الصحراء • الوقت ليسل ،  
والدجور تلتح • فهل أفعال النحلة للنسبة شيلا ؟ ما الذي يريد أن يعرفه ؟  
وما الذي يأمل أن يسمعه ؟

لقد سمح لي مستر فيدر بأن أرى هذا الكتاب بهذه الصورة  
الزكوجرافية من عنده • انها تحكي قصتها ، او انها تحكي الكثير من  
قصتها حسبما اختار الفنان •

كبرياء • دودول  
ومستري - لون - قويم  
جلو شستر شايير  
ديسمبر ١٨٧٧

منه في سجن القلعة بدمشق في السجن





على كل شخص أن يفسر لنفسه  
سر أبي الهول •

## المقدمة

هذه هي غرض هيرودوت بالإبحار جنوباً في النيل في لوانسط القرن الخامس قبل الميلاد ، التي هذا النهر ، الذي هو أكثر أنهار بلدنا جاذبية ، يسحره على الأديبين .

ولم يتم حل سر عبه حتى عاد ستانلي سنة ١٨٧٧ من رحلته جنوباً إلى لوانبا والكونغو . وفي القرن التاسع عشر تأثرت الحركة الرومانتيكية كثيراً بآثار مصر التي انصب اهتمامها على الموت . وقد عرف نابليون مصر بومضها حلقة اتصال حيوية للتجارة مع الشرق ، ولذلك قام بفزوها سنة ١٧٨٩ . لما لميليا بـ . إدوارد فانها بالرغم من أنها باتت من أشد الكتاب لوكيلاً بالنيل ، إلا أنها كانت قد جاءت إلى مصر ووصلت إلى القاهرة في نوفمبر سنة ١٨٧٣ بالصدفة فقد جعلت حرياً من المطر في أودية مع صدقة لها ، وبقيت بمصر لتصبح عالمة دافعة في علم المصريات .

وكانت لميليا واحدة من سيئات المصر الفيكتوري الجريئات والتي على الرغم من أن القاري قد يسمد بالثروة عنها إلا أنه لم يجد صعوبة في معرفتها مباشرة . ذلك على الأقل هو الانطباع الأول الذي يشلقه هذا الكتاب ، ولكنه حينما يقرأ لها وعيد القراءة ، تصبح في الوقت المناسب صديقاً حقيقياً بلا عيافة . أما لاهتمامها العظيم بالناس ، واهتمامها للثقافات القريبة ، وعدم تمييزها لبنى وطنها ، كل ذلك يجعلها بالتدريج أكثر وأكثر عاطفة .

وكان واضحاً منذ صغرها أن لديها موهبة نادرة . كان أبوها شاعراً بالبحر ، حارب مع ولنجتون في حرب شبه الجزيرة ، وكانت لها تنحدر من أسرة والبول . ويبدو أن هذا التزاوج أعطاهما شجاعة واستعداداً فطرياً للأدب الفني . وفي سن السابعة تعلمت لميليا قصيدة نغمرت في جريدة إسبوعية . وعلمها بالثبات من السادسة عشرة كان من السكن

اختيارها لتكون حنيفة لويرا أو فتاة أو كاتبة . وآخرها استقر اختيارها على الصحافة والكتابة .

وفيما بين عامي ١٨٥٥ و ١٨٨٠ كتبت ثمانى روايات ، وإن كانت لا تتميز بشئ جديد . وساهمت في مجموعة واسعة من الجرائد والمجلات . وألفت أيضا كتباً ذات شعبية في التاريخ والفن .

ولكنها حتى بلوغها سن الثانية والأربعين لم تكن قد قامت بعد بالمغامرة التي جعلت لها رسالة في الحياة وأعطتنا من الذكارة عزها لها في شكل رحلة الألف ميل في صعيد مصر . أما بالنسبة لنا فإن ما يقدمهنا هو قصة السيدتين على القيام سنة ١٨٧٣ بالرحلة عبر نهر النيل في مركب خشبية مريضة بالمخ . لقد مات الفنجستون في شهر مايو من ذلك العام . كما أن جوردون كان مقبلاً له ثلاثة أشهر لاستكمال رحلته الأولى إلى الخرطوم . أما فتاة السويس فكانت قد اقتضت منذ أزمة أعوام . وكذلك لم تكن مسألة كليوباترا قد أقيمت بعد بمعرفة البرطانيون .

ويصح القول بأن توماس كوك كان قد بدأ لغوه بتسيير رحلاته بالمركب البخارية عبر النيل ( ذكرت أميليا أن مركبهما قد انشورتا في بعض الضفاف الرملية ) وما زالت عليه الرحلة تعمل مفعمة كبرى . أما وصفه أميليا لاندروز لهذه الرحلة فهو رائع لأنها تعرضه في عبارات وخمسمة تسلو القاري بالبهمة وسمة الألفى التي تلبد الاعتناء ، وبالرفقة في الاستزادة من التفاصيل مما يجعلها وثيقة تاريخية لا تقهر بتمن .

ولا يستطيع سوى الكاتب القموس أن يصوغ عبارة مثل « الإفرق الذين يرتدون ثياباً بيضاء مشمسة كما لو كانوا ملاحى تسمى على الأرض » (٣) . ولا يستطيع أحد سوى أميليا أن يهتم أو يصرح إلى معرفة خاصية التبخ الرخيص الذي كان ملاحو مركبها يتقبلوه شاكرين عندما تقدم لهم بعضاً منه في شكل اكرامية : « هذا الخليط اللطيف الذي يباع الرطل منه في السوق بستة بنسخت . إن النبات الذي جيع منه قد استعيت من بلوة ذلك تربة أدنى . في تربة غير صالحة كيميائياً لأنها خالية تماماً من البروتاسيوم » . ولم يصفى كاتب آخر عن قبل له « لرجل وأختا حليقة

(٣) كانت المسألة ( الإسفكة ) في الملاحق تسلم من عهد اليونان أو الفراعنة . وعلى الأثر السهل منها تسمى نيس ، والكتابة هنا تعبه تشثيل للملاحين الإفرق الأولى يبيعها المشورة التسلمة بقله للملح - ( الترم ) .

الشمس ٥٥٠ ملون بخطوط ورواء ويضد في شكل متعرج ، ومرصن بأشرطة  
دات لون أصفر قاتح » .

ومن الطبيعي أن يخصص الجزء الأكبر من الكتاب للحديث عن حرائب  
وآثار مصر القديمة . ولقد قامت أميليا بفيلاسي ودمسي بوصف كل  
التفاصيل التي يمكن تصورها . أنها تدرج مرسومين شابين فيفيان شهر  
السبل ويزوران مما يحض للمشهد ، بينما تتركب أميليا حمارا لثلاث  
ساعات في درجة حرارة تتجاوز ١٠٠ فهرنهايت لكي تزود صيدا للبردة  
لثالفة .

وتتمتع أميليا بالمشاعر الانسانية بما يكفي للقلق خشية أن تكون  
الحياة قد تغيرت كثيرا مما يجعلها تتوكل أن تكون قد فاتها نفسها .  
والحق أنها خصصت صفحات من مذكراتها لشرح كيف أن مصر لم تتغير  
كثيرا منذ عصر الفرعنة . وكذلك فاتها مجتمعت في تدوين ملاحظات قليلة  
عن السائح الحديث الذي يركب مركب توماس كوك البخارية ، وهي تسمى  
للمراكب التي استولى عليها ككتشنر بعد ذلك بحوالي خمسة وعشرين عاما  
للإبحار إلى الخرطوم انتقاما لقتل غوردون . أما بالنسبة لنا اليوم فلا بد  
من وجود نفس هذا القلق . كيف يحسد الانسان أميليا لأنها تتجول حول  
خرائب الكرنك بنفسها بينما نفوس نحن بين السياح الذين يحكمسون  
في المركبات المزودة ؟

كم يكون فريبا وبدمها أن يكتشف أحد أفراد جماعة أميليا في  
أبي سبيل مقبرة غير معروفة ، ولقول بطريقة أخرى أنه كان غريبا أنها  
جسدت طاقم مركبها في أبي سمبل ينظفون أحد تماثيل رمسيس الثاني  
الضخمة . وكانت التماثيل قد تمسحت بسبب الجبس الذي ترك عليها  
عندما تزال مستقر على الطبقة الخارجية منذ أكثر من نصف قرن مضى .  
لقد أزالوا الجبس بفرح عظيم وصبغوا البقع الباهتة المتبقية بلون القهوة .

وخلاف ذلك كله رأينا كثيرا مما لم تره أميليا . مركب القمص  
الرائحة المفقودة من كتلة خشبية مجوفة فريبا من الهرم الأكبر - وتعتبر  
أجمل قارب في العالم . ولم يكن قد اكتشف بعد معبد كوم أمبو الذي  
أثار اهتمام أميليا حتى سنة ١٨٩٣ لتستقن آمالها إلى حد كبير . وكان سيد  
أصلا مكتشفا بالرغم من أنه لم يكن ذا ميزة كبيرة .

وما يريد الفرارية من حطاط ذوق أميليا التي كانت شديدة الاهتمام  
بالدراسة ، أننا تمتعنا بجملة الاكتشافات بينما تبدو الخرائب الواسعة

أكثر إثارة لدى غير المتخصصين (\*) - لما هي بهي أنا فانتى بينما اشعر بالامتياز بحر اميليا من أجل مضموماتها الاثرية الفريدة ، فأنى أكثر إعجابا بسبب تلك الوصفات التفصيلية للطبيعة الالاسيه التي تملأ صفحات كتابها بالحياة - لقد أحببت سفرتها من المدن ، وأعجب من التمثال المثير الذي يحته هي ورفيقتها ، مستحلتين القبعتين الخريبتين المصنوعتين من سعف النخيل ، والبرقع الخضرأوى والشمسيتين المصنوعتين من القماش الأبيض .

والذى أعجب لاهتمامها بسميعة بطارتها الصغرى الذين مررت أسماهم خلال أيام . والذي كفى استعجابهم شغلها الفاضل دائما . اننى أحب فيها للعادات المصرية ، وحكايتها التي دونتها من الولايم التي ملأت الأقراء ، والقداس القبطى الذى لاحظته بكافة تفاصيله . واستمتع كثيرا بحكايتها من المرة الأولى التى ركب فيها الجبل والتي لم يتوق عليها أحد آخر فى وصفها ، ورباطة جئشها عندما أطلق أحد مرافقيها الرصاص على طفل . . . وكذلك سطرأ حله الحكاية .

واستمرت اميليا فى العمل والتقليب بعد رحلتها حتى تشيخت بطم المصريين ، وأنشأت صندوق استكشاف مصر **Egypt Exploration Fund** ، وفامت بحملات للحفاظ على الآثار . وتوفيت سنة ١٨٩٢ ، وتركت مكتبتها لكلية الجامعة فى لندن ، مع مبلغ من المال لتأسيس كرسى لعلم المصريات فى اسطرا . وتركت لنا كتابا يعد من أعظم المؤلفات فى الدراسات القديمة الخاصة بنهر النيل .

**تويستين كروى**

١٩٨٢

---

(\*) اننى أعجب كذلك منه للفتة التى لشار الى كتبه بما لم تقاطعه احيانا من اكتشافات ، ونرى ان يغير الى الترتيبات التى لم تكن كتب مقصده هذه سنة ١٩٨٢ - ( لترجم ) .



## الفصل الأول

### القاهرة والهرم الأكبر

إن قدر السائح هو أن يتناول وجباته في أماكن كثيرة أثناء جولته بالمدينة ، ولكنه نادرا ما يشارك في تجميع جمعة الأفراد كمثل هذا الذي يصل لأمة الطعام الضخمة يفتلق شبرد في القاهرة خلال بداية ولبة انشغال الموسم السياحي المصري للستاد . فهذا يجتمع يوميا حولي مائتي أو ثلاثمائة شخص من كافة الجنسيات والجنسيات والمهن ، تصفهم من البريطانيي الذي ولدوا أو عاشوا في الهند وهم في طريق عودتهم لوطى أو قادمي منه ، والأوربيي للقيس أو الرأثريي الذين يخلصون أنفسهم بالقاهرة . أما النصف الآخر فقد يكون مدعوا للذهاب في رحلة عبر النيل . وبالرغم من أن حلة التجمع من المسافرين في النيل متنوع ومتنفر ، فهو يتضمن صفاء المس والكهول ، والدين يركلون الملايس الراقية وغير الراقية ، والمتعلمين وغير المتعلمين ، ذلك لأن الدافع الأول للقدام الجديد هو الاستفسار من السبب الذي يجعل أشخاصا هدييين ذوي أدواق وحبرات متباينة ، يتجهون للاسفل في رحلة استكشافية أقل ما يقال عنها أنها مثيرة للقلق وغالبية التكلفة وتولد انزعاجا حاردا للصادق .

وسرعان ما يتم اشباع فضوله . قبل مغنى يومين يعرف اسم كل شخص وعمله ، ويميز من أول نظرة ما بين السائح التاجي لثوباس كوك والسائح المستقل . ويكتشف أن تسمية أعشار هؤلاء الذين يتوجهون للنيل هم من البريطانيي أو الأمريكيي . أما الباقون فانهم في الغالب من الألمان مع قلة من البلجيكيي والفرنسيي . وبالرغم من وجودهم مجتمعين إلا أن التفصيل ما زالت غير متجانسة إلى حد بعيد . هنا مرضى يستقون عن الصحة ، وفنانون يبحثون عن موضوعات ، ورياضيون مشتاقون للآلة الصانعي ، وسياسيون يفتنون الاجازات ، ومراسلون صحفيون متابعون للفرقة ، وحلمو تحف يبحثون عن البرديات والنومياوات ، وعلبة لهم

أمدام عليه من وجهة نظرهم ، والفائض المتولد من الكسالى الذين يسافرون ليجرد حب السفر ، أو أومسك لحب الاستطلاع الذي يفتى بلا هدف .

والآن فانه في مكان مثل قاعة قنصل شبرد حيث يدال كل قادم جديد شرب المشروبات في التسوية العامة ولو لعدة دقائق ، قل الظهور الاول للكاتبه وصديقتها ، وهما متعبتان ويغطيها التراب ، وقد ظهرت عليهما آثار لفحة الشمس ، قد يثير بعض التعليقات داخل حلقات هذه المؤامه المزدهية . كل الناس يسألون بعضهم بعضا : من أين أنت هاتان السيدتان الانجليزيتان الجوالتان ، ولماذا لم ترتديا الملابس المناسبة لتناول القهوه ، وما الذي أتى بهما الى مصر . وهل ستبهران أيضا عبر النيل ؟ وهي أسئلة تسهل الاجابة عليها .

قد جئنا من الاسكندرية ، وكنا قد واجهنا رحلة صعبة من برلديري نيمتها ثمان واربعين ساعة في البحر الصحي . ولم ترتدي الملابس المناسبة للقدم لاننا وصلنا لغونا من اللحظة قبل وصول الشرجان والطقس ، واستطعنا ان لنحق بمقاعدنا للقدم مع غيرنا في الوقت المناسب . وبالطبع فاننا نرى الانهار عبر النيل . وعندما يجازف لك شخص بالاستفسار في كلست عديت عما جاء بنا الى مصر فالتا نجيب « سقوط الطقس » .

والحقيقة اننا قد جئنا الى هنا بالصفقة ، ليس بسبب الصحة او العمل أو أي شيء جاد . واتخذنا من مصر موطنا مثلما ينتجى الانسان جانيا في مصر يرنجيتون تركاد المستوف بالبواكي أو مصر ياساج ذي بانوراما ، للهروب من المطر .

ولسبب سفول ، ورحلتنا عن موطننا مبكرا في مستمر لقضاء اسابيع قليلة لممارسة الرسم الكروكي في وسط فرنسا حيث تبعا أكثر مواسم الشتاء اقزاجا بالمطر .

اما وقد اغتسلنا من آثار المطر في الريف الذي بالتلال ، فان الامر لم يكن أفضل حالا في السهول ، ففي نيمز ظلت الدنيا تعطر بلا توقف مدة شهر . وفي النهاية تالقنا افضلية حمل قسيميائنا المملة عالتين حالا الى إنجلترا ، أو لفضي قلما يحا عن سقوط الشمس . ودار الحديث عن الجزائر ومالطة والقاهرة فوقع الاختيار على القاهرة .

ولم يحدث أبدا أن جاءت حملة استكتيافية دون التفكير مليا قبل الاندفاع على السفر - ولم تكن مستقر على هذا الأمر حتى سارعا بالرحيل - وانتقلوا عبر نيس وجنوة ويولونيا وأنكونا فيما يشبه الحلم - وعندما استيقظ يدر الذين حصن عد بوابات دمشق لم يكن أكثر اتعاشا من كاتبة حلم الصفحات عندما وجدت نفسها على ظهر السفينة سيملا خارجة من ميناء برلينزي \*

وهنا وبغور تعطيط مسبق لو أية مبررة في زيارة الشرق ، وصلنا إلى القاهرة في التاسع والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٧٢ للبحث عن طقس أفضل هكذا حسب الأفكار المستحضمة وبغور ترويق \*

ولكن ماذا تستطيع الذاكرة أن تفعل حيال الأمطار على الأرض ، لو العواصف في البحر ، أو الساعات المتجمدة في الجبر الصحي ، أو أي شيء موثوق أو غير مقبول ، عندما يستيقظ الإنسان عند خروق الشمس يرى تلك النخلات ذات اللون الأخضر اللؤلؤي للرملي خارج النافذة وهي تحني هاماتها الكثيرة في رداة بطيها نحو البيض الأحمر ، في مواجهة البحر الملون بلون الورد ؟

كانت الليلة الماضية مظلمة ولم تكن لدى أية فكرة عن ليل حجري نطل على حديقة خضراء ، صيدة ومزلة ، يسكن تحتها عمالة ذور أهبة وجلال ، وقد هطت في تيجانهم الرودة بالشراب سباطات غنية بالبلع ذي اللونين القرمزي اللؤلؤي للسمرة والبنيري ، وكان صباها هادئا ودافئا ، وطارت الغربان ذلك اللون الرملي والأسمر من شجرة إلى أخرى بشدة ، أو جثمت في تأمل عبق ، فوق الأكرع العليا تنمق على مهل \*

وهناك بين المعالم التي تحيط بالأحسة ، ارتفعت مثذنة مسجدة سيد ، وحما حيث المحيط الحديثة بمحاط مرتفع ومنزل بلا نوافذ ، رأيت مدينة مصحبة تمتد على سطح القرعة وسط صحابة من المباني ولا يوجد شيء أبسط من هذا المنظر وملحقاته ، وفي نفس الوقت ، أكثر تمهيدا عن الروح الشرقية والبرابة والخيال \*

ولكن الإنسان وهو يتوق للاستمتاع بأول انطباع سامع لا يحى عن الحياة الشرقية الخلوية لابد له أن يبدأ بالقاهرة في يوم يزود فيه الأسواق المحلية ، ليس للشره أو الرسم الكروكي ، ولا للبحث عن

المعلومات ، ولكن فقط للاستمتاع بالمناظر واحدا بلو الآخر مع ما فيها من مجموعات متشعبة من تفاصيل الضوء والظل واللون والملابس والعمارة .  
 أو كل واحدة محل وكل زاوية شارع وكل فريق من الناس الذين يرتدون  
 العمامة ، يمثل صورة حية . إن المركب المحور الذي يقيم كشك العطائر  
 الخاص به في تحويف منحل معنوت ، والولد الذي يعود حماره ذا السرج  
 الوركنش في انتظار الزمان ، والشحاذ النائم على سلالم المسجد ، والمرء  
 الضحكة التي تملأ حرتها من السبيل العمومي - انهم يبدون جميعا كما  
 لو كانوا قد استعدوا لكي يقوم رسام يرسم صور لهم .

ولم تكن خلفه الصورة أقل روعة عن الأشخاص ، أما المنازل فابها  
 عالية وصعبة ، وتسرر الأدوار العليا الى الخارج ، كما تبرز منها مرة أخرى  
 الواجهات النائفة مع أشغال المشربيات الرقيقة المصنوعة من الخشب العتيق  
 السى اللون ، مثل أقفاص الطيور الضخمة . أما الشوارع فانه مسقوف  
 في أعلاه بموارص خشبية طويلة ، وقطع من الحصى ، يطل من بينها  
 شعاع الشمس متلكنها هما وهناك ، مع مساحات صغيرة من الضوء تسقط  
 على الجص السافر .



الحمار المستقيم في القاهرة

أما الشوارع العام غير المهده - وهو حارة ضيقة مليئة بالأحاديه ،  
والتي يرش يلقه السير مرتين أو ثلاث مرات يوميا - فإنه يشتمل  
صافوا من واجهات المصانع الخشبية المصنوعة التي تشبه الكباشي المفتوحة  
المردحة بالأرشف حيث يجلس التجار وأصناف سابقا على ساق بين بشانهم  
وهم يظفرون حارج للطلات نحو المارة ويحدثون في صمت وفي نفس الوقت  
على الرحام لا يتوقف عن حركة لك والجزر في شكل موج صاف ومتغير  
ويضطرب ومتعدد الألوان ، تصفقه من الأوربيين والنصف الآخر من  
الشرائبي حشاة على الأقدام أو مبتلين ظهور الخيل أو في الحبالير .  
ويجد هنا التراجمة السوريين في سرولهم الضفافة ، وصديرياهم  
المريية بالقصب ، والفلاحي المصري حفاة الأقدام مرتدين بجلايب رنة  
روفا وطواقى من القباد ، واليونانيي الذين يرتدون نقبا بيضاء حشودة  
كما لو كانوا صاحي تسقى على الأرض ، والارابيين في طواقهم المائية  
حثل ثاج الأسقف والمسوجة من التلشش الداكن ، والبندوى البشارة  
المسبوا في عباداتهم الضفافة وعمالهم ذات الشراط البيية اللون  
والشيلان التي من نفس القماش تلتف حول الجبهة مع شريط من وبر  
الجمل المجبول ، والانجليز في قبعات من الفوص ويظفرواهاهم القصبة  
التي تصل الى الركبتين ، وهم يملون سيقانهم الطويلة فوق البحر التي  
تكاد تختفي من الأظفار ، وساء وطيات من أفقر الطبقات يرتدين البراقع  
السوداء ، التي لا تظهر سوى المينين ، والبيات الطويلة ذات اللون  
الأزرق الداكن ، والتي تستغل أذيالها وتجرح خلفهم مع الشراط القطنية  
السوداء ، والندوايش في ملايسهم ذات الرشح ، وشموس الأشمت الذي  
يشتمل من تحت أغطية الرأس الخريبة الشكل ، والأحباش دوى اللون  
الأسود الداكن يسيقانهم الرقيقة للقبسة مثل التوايزين المصنوع من خشب  
الابنوس الرقيق ، والقصبوسة الأرضن الذين يشبهون الإطية في مباداتهم  
السوداء الطويلة وقبعاتهم المربعة المرتفعة ، والشخصيات المهمة للحرب  
الجزائريين وهم يرتدون ملايسهم البيضاء ، وعساكر الانكشارية الذين  
يركبون الخيول ، بسيفهم ذات الصليل ، وبغلاتهم الموكفة بالذهب ،  
والنحار ، والشحاذين ، والجنود ، والبحارة ، والممال الزراعيين ،  
والشغالين ، في جميع تمكيلات الأزياء . ومن كل الألوان من الفاتح الى  
الداكن ، ومن اللون الأصفر المائل للفسرة الى النحاسي ، ومن البرونزي  
المفلق الى الأسود الداكن .

ويسر الآن السقا ، متحنيا تحت حمل قر بته للصنوعة من جلد الماعز ،  
والتي ملاما مسندا ، وقد ويطن إقدامها ، لها الصنق قد ركت فيه حنفية

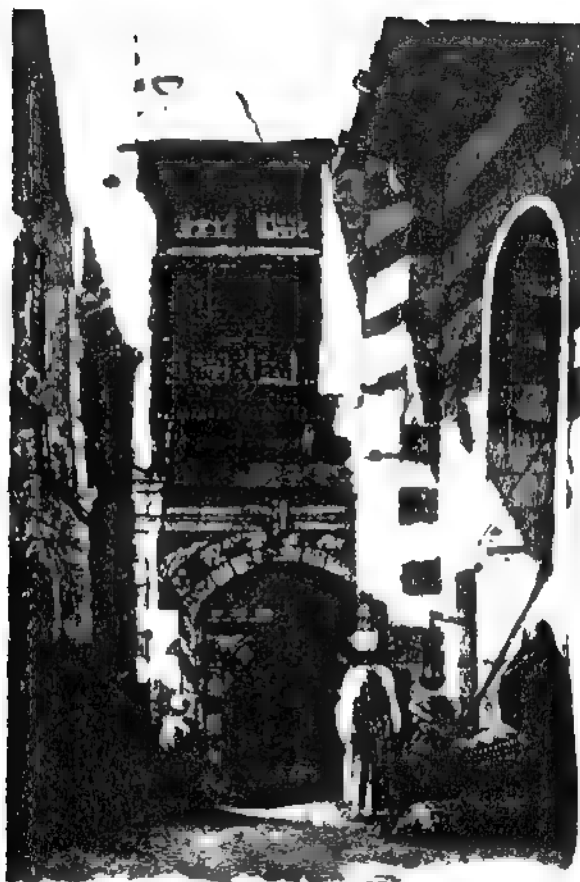
نحاسية ، وقد مرك شعير للملح دون لراته . مما جعل شكلها المربع مترحلا  
 فبعت كما لو كانت عنرا حية . والآن يأتي بائع الحلوى وهو يحمل صينية  
 من الخبيل اللرج الذى يعرفه الأطفال الانجليز باسم ( كيكبات الیهجه -  
 Lumps of delight ) . وترى الآن سيده مصرى تركب بفلا زعالى اللون  
 يقوده خادم يعمل على جانبه سيفقا مقومسا لامدا ، وترتدى السيدة ثوبا  
 حريريا بلون الورد ، ويرقما أبيض اللون ، بالإضافة الى عبائة خارجية  
 من الحرير الأسود ، بحيث تبدو العبائة والقلنسوة والبرقع جميعها شيئا  
 واحدا على شكل بالون قد امتلأ بالهواء بينما تركب هى البفل . انها  
 تجلس منفردة الساقين وترى قمريها المارضى اللعين يزيدهما شمسب  
 من القطيفة البفسجية اللون على الركب مربوط لى السرج . وترى من  
 على وضع ذراعها اليسى للفتلة والمسللة بالأساور الذهبية الكبيرة ظاهرة  
 للعرض ، وتنتظر الى الطريق من خلال عينين سوداوين صافيتين دون أن  
 تشعر بالأسف للكشف عن وجهها . ولم يكن البفل يقلل من سيدته زينة  
 لأن أرجله الحليقة الشعر والمتاخذه الملونة باللونين الأزرق والأبيض فى  
 خطوط متعرجة ، تميزها شرائط ذات لون أصفر فاتح . كما سرجه الذى  
 ترتفع حافته الأمامية فانه يزدان بالقطيفة والشفال الأبرية ، أما غطاء  
 رأسه فيصنوع من الللايات المعدنية والدرابوب والأحداپ المتداية .

ولا بد أن بفلا بهذا الشكل يساوى ما بين صتين الى مائة جنيه  
 استرليني . ويرى بعد ذلك حطور مرفوع الفطاء وقد امتلأ بتسياه  
 انجليزات ضاحكات . أو يمر شيخ رطى وقود فى ملابس سوداء راكبا  
 حصانا عربيا وسيدا . ويرى وجيه مصرى مقفولج يرتدى الملابس الأوربية  
 والطربوش التركى فى مركبة يجرها حصانان يقودها سائى انجليزى ،  
 ويجرى أمامه سائى مصرى جملدا حصا فى يده وحافى القدمين وعيناه  
 متلفلتان . مرتديا برتيلة يونانية وصديريا يديما مطورا بخيوط الذهب  
 ولصيصا أبيض يتطاير فى الهواء ، ولا يوجد شخص من ذوى المراكز يركب  
 مركبته فى القاهرة دون أن يسبقه واحد أو اثنان من هؤلاء القلم .  
 أما هذا السائى ( القوى ، والخفيف ، والوسيم ، مثل الزليق الذى يصنعه  
 جنون البولونى ) فيقال انه يموت مستقر السن ، لأن سرعة الحرى  
 تقتله .

ويرى بعد ذلك بائع اللبوناتة حاملا جرته المعدنية باطى يديه ،  
 ودورقه واكوابه النحاسية باليد الأخرى . ويرى بائع القمشبب المتحول  
 حاملا حرمة من النعال للثريية الحمراء والأصفراء وهى تتأرجح على طرف

هود طويل ، وتمر عرصة مصنوعة في لندن يجرها حصان تحمل سيدتين ترتديان يرقصين ركنين شفافين - ويسبق العربية فلوس غوي في ذي نصف عسكري - أو يسر طابور من الايل حشنة الطياع ، وشهدية الاستخفاف وهي تبه اعناقها الطويلة فوق الزحام ، بينما تعمل باللات الاقمشة التي تقسمت عليها العنولون باللغة العربية .

ويمثل التجار المصريون والمرب والأتراك - سواء اكانوا مختلطين في التيار العام ، ثم جالسين على منصات البيع - أهم أيرر الشخصيات روعة في هذا المنظر المزدحم . انهم يرتفون عمام ضخمة ، بيضاء في معظمها ، وقفاطين طويلة تصل الى القدمين ، مصنوعة من الحرير السوري المخطط ، وأردية خارجية من القماش اللين بالقصبة أو الكتشمير . والفتلان يحاط عند الوسط بوشاح ناعم ، ثما الرداء الخلعهم أو البجة لالوانه متدرجة بوجه عام ما بين لونه الفضة ، والريخون الأسود ، والفوخ ، والسلون الوردى ، والبسي ، وما شابه ذلك . وما يتناقض مع التناسب العام للأشياء أن هؤلاء الرجال ذوي الأبهة يعشرون ويبيعون بشكل مبتذل . بدلا من اضاءة كل حياتهم جالسين على أرائك لمبة حيث تنتظرهم النساء الجركسيات الجميلات . وهنا نشاهد لأول وهلة كذيرا كبيرا يرتدى قلطانا بدنيا من الساتان الأبيض والمنبري ، يتنازل لكي يشتري ويبيع بالجملة دوايات للفلان مختلطة الاحجام والاسعار مصنوعة من الصالحات الأحمر القاتم . وهو لا يبيع شيئا آخر ، وليسبت عنده فقط كومة من هذه الدوايات بل أيضا حل مسنوق في ظهر الدكان ، وهي مصنوعة في اسميوط ببحر المليا . ويسكن شراؤها من المحلات الجزائرية في لندن ، بسمر وغيص مماثل سحرها في القاهرة .



سوق تونس بالظاهرة



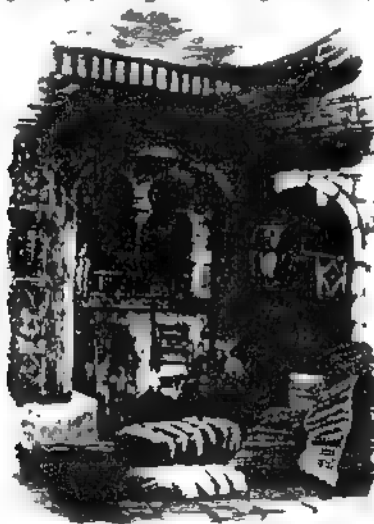
وهناك بلدنا مهيب آخر يشمل في الألوان النحاسية الصفراء  
والحمراء ، وأكواب الشرب ، والأحواض والأباريق والصواني والمباخر  
والمواقد ، وما شابه ذلك من الأشياء التي حفر على البعض منها أبحاث  
من نظم الفتحاء العرب فيه شكل وخارف من أوراق الشجر المتشابكة .  
وهناك ثالث يسع الأقدحة الحرفية المنسوجة بخيوط الذهب والفضة  
الواردة من دمشق . وآخرون يبيعون مرة أخرى الوعيات الفخفية من  
الأسلحة والخرف والتمثال الأبرية وسجاجيد الصلاة المستحقة والكراسي  
الغريبة التي بدون مسند للطهر ، والدواليب المصنوعة من خشب الألبوس  
والملطمة بعرق اللؤلؤ . وهذا أيضا يجلس يائع الفخار خلف كومة ضخمة  
من النحاس الوفود من اللادقية تماثل جسمه في الحجم . ويسعى تاجر  
الاسفنج غايونه الطويل في هريفي من الاسفنج .

ويظهر أكثر هؤلاء اهتماما في دكاكين الحاديات حيث يحتل كل صنفه  
من البضائع وركبه المنفصل ، وعمر بعد ذلك من خلال بوابة صغيرة قديمة ،  
أو تهيض خلال منطقت ضيق ، فتجد نفسك داخل مستعمرة من السروجية  
يعيطون ويعفون ويعلمون ويبرسون . وتسمع في حارة وتهبط في أخرى  
محتلًا بواجهات الدكاكين المملوكة حولها ( الطرابيعي ) والسروج معلقة  
الظهر من كافة الأنواع والألوان . هنا سروج سائبة ، وسروج عسكرية .  
وسروج للمعبر ، وسروج لكسار رجال الفولة ، وسروج مغطاة  
بالجلد الأحمر ، وبالفضة ذات الألوان القرمزية والبنفسجية ، ومن  
القباض المائل للفسرة ، والرمادي والأرجواني ، والسروج المطرزة بخيوط  
الذهب والفضة للرصة بالسامير ذات الرؤوس النحاسية أو المزدكسة  
بالفضة .

وبعد دورة أو اثنين تجد نفسك في سوق النحال تمر عبر حارات  
تتلاءم بالنحال لتربية الحمره والصفراء ، لولها مصنع مقلد ، وأحرها  
من تونس . هنا نحال ذات أطراف مديبة ، ولطراف مرتفعة إلى أعلى ،  
وأطراف مستديرة ومسطحة مثل حذوة الفرس ، ونحال للسير باطنها  
مخروط ، ونحال صافره ناعمة تستخدم مثل الجوارب الداخلية وليس لها  
باطن نهائيا . أما تلك المسدلات الصغيرة ذات اللون القرمزي والتي من  
أطرافها شرائب فهي للأولاد الصغار . أما الأحذية المخرمة ذات اللون  
البنفسجي فهي مخصصة لسائس الخيول . لها نحال القטיפه المنفوخة بخيوط  
الذهب والحرز وجبات اللؤلؤ فهي لأترياء الغريم . ويبيع الزوج الواحد  
عنها بأسعار تتراوح ما بين خمسة شلنات إلى خمسة جنيهات .

أما سوق السجاد فهي كثيرة المساحة وتتكون من شبكة من الحارات  
الفرعية تفتح على يمين شارع الموسكى الذى يماثل في القاهرة شارع  
ريجنت في لندن (١) .

وتجده المارل في معظم هذه الحارات غنية بالوافد القديمة ذات  
اسريمات والأبواب الإسلامية - هنا نجد ميدانا صغيرا محاطا بالسجاد  
الفارسي والسورى وحقائب السروج المشقية وسجاجيد الصلاة التركية ،  
ويجلس التجار في وسط بضائعهم وهم يدخنون ، بينما يقوم قهوجى عجوز  
في أحد الأركان بممارسة تجارتها المتواصلة حيث أقام موقده الصغير ،  
والرب اسلق بحجاب سدسل الحان المتداعى ، الذى تواحه حوائطه الواحا



سوق السجاد بالقاهرة

(١) ربما كان شارع ريجنت 'المقاطع مع شارع اكسفورد في قلب مدينة لندن  
يتشابه منذ ١٢٠ عاما مع شارع الموسكى في القاهرة حيثذاك من حيث الأهمية  
التجارية أما شارع ريجنت الآن فهو شارع قضم لا يقل عرشه عن \* مترا يلاشر به  
الاتجيز خيرهم من الأمم - ( المشرهم ) \*

حشبية من الأرابيكسك مشغولة في حجر قديم منحوت \* وهو منظر من  
اتخذ المناظر اجماعا في القاهرة \*

اما السجاطيد المصطبة الواردة عن قوس ذات اللون الرمادي  
الفاوق والأزرق الملتق \* أو الجزائرية حلت اللون الرمادي أو الأحمر \*  
والسجاطيد الكتيفة الورد الواردة من لادكيا ولزهر \* والسجاطيد الزرقاء  
والخضراء الفضة \* والحمراء الناعمة الواردة من تركيا \* والنوعيات  
الفاوسية المنسجمة - رغم اختلافها الجليل - فتمتاز بأنها تباع في دكاكين  
محلية داخل الحارات المجاورة \*

ولا يشرع الإنسان بالتمسك بآثاره في هذه الحارات مصف  
للخضرة \* والتي تتوحد كلها باللون الخلاب \* وتزدحم بالناس الساائرين  
في كلا الاتجاهين مثل المثلث في إحدى مسرحيات ميد الميلاد للجيد التي  
تمتاز بمظهر الأبهة والمظلة الشرقية \*

لما في حال الخليل وهو سوق تصنيع الذهب والفضة \* فانك على  
العكس \* مادرا ما تجد آلة بضائع مبروكة للبيع \* والحارات في هذا  
الحياط ضيقة جدا بحيث يلتقي الاثنان من الناس صموية في السير  
محتجاورين \* أما المصلات \* فهي ضيقة جدا لأنها مجرد لوائح لها واجهات  
لا يتجاوز عرض الواحدة منها ثلاثة أقدام \* وقد ثبت في ظهر كل نافذة  
منها درجة سلم من الحجر المصقول تسمى المصطبة تستخدم للجولس \*  
وتقوم مقام المنصة التي تستخدم للبيع \* حيث يجلس المشتري على طرف  
المصطبة \* بينما يجلس البائع الكرسيء متقاطع الساقين في الداخل \*  
ومن هنا لتوقع يستطيع سحب الأراج واحدا بعد الآخر دون الحاجة  
للوقوف \*

وعلى ذلك فإن الفراغ الموجود بين الأبنية يزدحم بأكوام الحلى  
الفضية والفضية \* وهي تختلف عند كل تاجر من حيث المنس والتمادج  
المختلفة \* وتباع بالوزن مع إضافة هامش مناسب للربح \* وأثناء التفتيش  
مع المربة الذين لا يعرفون نظم الموازين المصرية توزن المصوغات الفضية  
على العادة مقابل قطع الروبيات أو خمسة الفريكات \* أما المصوغات الذهبية  
فتوزن مقابل فريكات فابليون أو الجنيه الذهب الإنجليزي \* أما الحلى  
المصنوعة في القاهرة فانها تتكون أساسا من السلاسل والحقاق والخلاخل  
والأساور والحقود الملتق فيها قطع المصلات أو القلائد التي على شكل ناب  
الفلل \* وعلب الأحذية المزركشة بالتقريب أو المنحاس المنضوط \* والأساور  
البدانة التفتيد ولكنها من طرازات ثمينة وقديمة \* أما بخصوص التجارة  
فإن أدبيهم وسيرهم ليس لهم حدود \* فقد يذهب المشتري كل مخزولهم \*

ويجرب جميع أساورهم ، ويذهب مرة أخرى دون أن يشتري . ولكنه يلقى الترحيب دائما ويشجع بالابتسامات ولقد أمضت الكاتبة ورفيقته على ساعات تحدثان المريية في خان الخليلى دون أن تكون هناك أية درجة من الفاتحة المائلة للتجارب .

وهناك أسواق خاصة أخرى كثيرة في القاهرة مثل سوق الحلويات ، وسوق الأنوار المعدنية ، وسوق المشايخ ، وثلاثه السيوف ، وأسواق النحاس ، وسوق المصنوعات الأندلسية حيث تباع الطرابيش والبراس ومصنوعات البربر . وهناك بعض الأسواق المزدحمة لبيع الحاصلات الانجليزية والفرنسي والبضائع المصنوعة في القطر في هانسنستر ، ولكن هذه البضاعة الأخيرة ذات أهمية ثانوية في مظهرها . ورايتا بين المصنوعات الانجليزية التي صنعت بالثبات لسوق الفرعية نوعا من الوسطن الطريوح اللطيف الشكل يمثل حنيات صغيرة سوداء تتفانى فوق أرضية صفراء ، وعلمنا أنه يوجد القبالا لصنع ساعات الأطفال .

وبالرغم مما تشتهل الأسواق من مناظر جميلة الا انها ليست المعالم الوحيدة الجديرة بالملاحظة في القاهرة ، بل توجد المساجد الكثيرة والبوابات الشرقية القديمة اللطيفة ، والكنائس القبطية القديمة ، ومعبد الآثار المصرية ، وعلى مسيرة قليلة توجد مقابر الخلفاء ، وحلويبوليس ، والأهرام ، وأبر الجول . ويصعب على السياح الآن أن يجدوا الترتيب الذي يشاهدون به هذه الأماكن لأنهم كانوا يعيشون في حلم ، وكانوا في البداية يرتكبون كثيرا لدى محاولة ترتيب مشاهدتهم بشكل منظم فكانوا يضطرون الى أن يبروا على بعض الأماكن بنظرة خاطفة . بينما كان عليهم تأجيل زيارة أماكن أخرى حتى هودتهم للقاهرة .

وفي نفس الوقت كان شغلنا الأول هو النظر الى العائسات ( الذهبيات ) . وقد أجبرنا ذلك على تحريك خطواتنا وأفكارنا في اتجاه بولاق بصفة مستمرة . وهي موقع غير مأهول على شفة النيل لرمو له حوالى مائتي أو ثلاثمائة قارب تبلى مئدة للايجار . والأق فلعل غالية الناس تعرف شيئا عن مشقات تأجير منزل ، ولكن أصحاب التجارب فقط هم الذين يعرفون كم هي حادة مشقات تأجير ذهبية . انها أكثر ارباكا وأكثر اجهادا . كما انها محطوفة بمغايها الخاصة وغير المألوفة . أما الكوارب في المقام الأول فانها متشابهة البناء بخلاف المنازل . كما أن منها الأكبر أو الأصغر ، والأظف أو الأثقل ، ومع ذلك تتشابه مثل المحاربات التوام . ونفس الكلام يقال عن قباطتها مع نفس الاختلافات . لأن الشخص الذى وصل الى مصر منذ أيام قليلة لا يفرق بين رجل أسود أو نحاس اللون ، وبين رجل آخر أسود أو نحاس اللون . وعلى ذلك

فإن كل ريس أو كاتب يحمل الشهادات التي أعطيت له من السسياج السابق ، وعند الشهادات موضوعة ومتداولة بشكل طاهر بحيث تنتقل بطريقة مرية على سطح الراكب المختلفة وبين أيدي الأدياء المختلفين . والأكثر من ذلك فإن الذخبيات تغير مواقعها وهو أمر لا يحدث بالنسبة للبتارل . وعلى ذلك فإن المركب الذي كان راسيا بالأمس بجوار الضفة الشرقية قد يكون رأسا اليوم بجوار الضفة الغربية ، أو مختصا بين دمنة من الراكب الأخرى على بعد نصف ميل جنوب النهر . وكل ذلك يعود للوضوح بشدة ، ولكنه لا يساوي شيئا إذا قورن بحالة الاتيك التي يدخل فيها الأساق عنهما يحاول تقييم ميزاتي ومساوي الراكب ذاته القدرات الست بالنسبة للراكب ذات الشمس ، أو الراكب التي بها بوفيه والراكب التي لم ترود به ، أو الراكب التي تستطيع عبور الشلال والأخرى التي لا تستطيع ، أو الراكب التي تتضاهج أجزائها مرتين والراكب التي تمانى من هذا الميب خمسة أو ستة أضلاع . وأسماؤها هي : الزالة ، والثروة ، والتسطلط ، ودنقلة ، وهي أسماء تختلف عن أسماء قبائلها لأنهم جميعا يحملون أسماء محمد أو حسن . أما أجزؤها فليست كذلك لأنها تختلف من يوم لآخر حسب حالة السوق كما هو وأنجح من صوة المسافرين بالفنادق الرئيسية .

الحف إلى كل ذلك حقيقة أنك لا تجد قبطانا يتحدث أية لغة سوى العربية وإن أية كلمة للاستفسار أو التفاوض تتعرض للتعريف من معناها لأنها تصل في طريق الترجمان . وربما يستطيع هؤلاء الكلدان لم يجروا بعد هذه التشكيكة من مسرات المطردة ، أن يكونوا فكرة عامة عن العملية المرحلة والياكسة والمريكة التي تكثف استعجار ذهنية في القامرة .

وتصادف أنه خلال عشرة الأيام الأولى تقريبا كان لابد من تخصيص ثلاث أو أربع ساعات كل صباح لأمورية الراكب . وفي نهايتها لم تكن تصل إلى نتيجة تختلف عما يدانه . فله الراكب الصغيرة فكانت صغيرة بحيث لا توفر حمى الراحة أو السلامة خاصة خلال ما يطلق عليه . لسالفون في (البل اسم) الريح الكبيرة . أما الراكب المتوسطة الحجم ( التي ترسو تحت حجة استخفافها في الصيف لفرش «نقل البضائع» ) فإننا نشك في نفاذتها . أما الراكب الأكبر التي لا غبار عليها والتي كانت تنحس ما بين ثمانين إلى مئتين قمرات بالإضافة إلى صالونين ، فقد كانت كبيرة جدا بالنسبة للكافة ورفيقتها واحدة الخدمات . وكانت هذه

للراكب جميعها بالمحطة الأخيرة • لما وقد حوصرتنا بهذه المصاعب المتنوعة • مع الإصغاء حينا الى رأى هذا الشخص وحينا آخر الى رأى غيره - ومع اتزوي المسلوحة والحقارة والتراجع • كنا نتردد يوميا بين بولاق والقاهرة مما جعلنا نعيش في سعادة • وفي نفس الوقت تقابلنا مع بعض المعارف القدامى • كما تعرفنا بأصدقاء جدد • وعند علم الضور بالسحب الشديد أو الاحتياط • كنا نشاهد ما نستطيع مشاهدته من منظر القاهرة • وقد ساعد ذلك في التخفيف من معاناتنا كثيرا • وبالطبع كانت ضمن جولاتنا الأولى مشاهدة الأهرام التي تقع على مدى ساعة ونصف من باب الفندق باستخدام المنظور • وقد بدأناها مبكرين بعد تناول غداء مبكر • راستقرنا المسافة كلها في طريق ممتاز • وعدنا لتناول العشاء في وقته المناسب وهو الساعة السادسة والنصف • وليكن معلوما أننا لم نذهب لزيارة الأهرام ولكن لجرد النظر إليها فقط • وفيما بعد ( بعد أن قمنا برحلتنا عبر النيل وعدنا منها وبع قطعنا عدة شهور في التدريب ) عدنا مرة أخرى ومنها - ليس فقط - فراح كبير بل وأيضا بعض الفهم العملي لمسارحل المدينة التي مرت بها الفنون والعمارة المصرية منذ الأيام البعيدة التي يمثلها عصر حوفو وخنفر • وعلى ذلك يمكن القول بأننا رأينا الأهرام • وعندما وصلنا الى حلق المرحلة من رحلتنا للخدمة يصبح من الأفضل تأجيل كل شيء مثل تفاصيل قصة الأهرام أو البيئة المحيطة بها • لما من حلق الرحلة المختصرة فيكفي هذا التقرير الموجز •

يلقى معظم السياح أثناء قدومهم من الاسكندرية أول نظرة على الأهرام من شباك حربة قطار السكة الحديد • وهي نظرة ذات تأثير لأنها لا تذهب بالتفصيل للمشاهد • ولكنها لأول رحلة تشبه رؤية جبال الألب لأول مرة من المستوى المرتفع لخط نيوفشاتيل • أو المعالم الخارجية لقمة الأكوادوليس • هي اثنتا عندما يحرف إليها الشخص لأول مرة من ناحية البحر • أن الأشكال الثلاثة المعروفة جيدا • تبدو صغيرة وبغلة في الظلال • بينما من المعتاد رؤيتها وهي تلمح بصرف النظر من طريقة الرؤية • وإذن أن ذلك صحيح بصرف النظر عن المسافة • فهي بعيدة من أية جهة مما يصعب رميلة قياس حجمها بالنسبة لغيرها من الأشياء • ولا يستطيع الانسان أن يشد في الاحساس بفراحتها الا عندما يقترب منها ويلاحظ كيليية تزايد حجمها مع كل قدم يخطه من الطريق •

ولتبرنا عندما تصل الى حالة الصحراء وتصعد المنحدر الرمل وتقف حول الساحة الصخرية • ويرتفع الهرم الأكبر بكل ضلوعه وعظمته غير

التوقفة فوق رأس المشاهد ، يكون التأثير مفاجئا مثلما هو رائج . انه يحول دون رؤية الأتق ، كما يحول دون رؤية كافة الأهرام الأخرى - انه يحول دون كل شيء فيما عدا الاحساس بالروعة والغرابة .

والآن يكتشف الانسان أيضا أنه من خلال شكل الأهرام فقط يحرف لل كافة هذه الصناعات التي مضت . أما عن سطوعها ولونها وموقعها النسبي وعرضها ( ولا نتحدث عن حجمها ) فلا يستطيع الانسان أن يستمتع بأي نوع من الابتكار المصنعة . أما أكثر الملاحظات دقة للمستقط والمهايين ، وأكثر الصور وضوحا ، وأكثر الأوصاف إحصاءيا ، فإنها لم تلمح إلا القليل ، إن لم تكن تقدم شيئا بالمرءة ، فتعكس المرء من أن يعرف المكان مطلقا - إن هذه الهضبة من الرمال المتموجة ، والصخور التي تمتلئ بالقبور المفتوحة مثل القلوب ، وتربتها روائى البنايات الحجرية التي ليس لها شكل محدد ، لا تعبه الصغارى التي لشاهدنا في إحداها . إن حرمي حولي وحفر أكبر مما كنا نقول . أما حرم متكوار رح فهو أصغر حجما . وهذا أيضا توجد تسعة أهرام تدلنا من ثلاثة ، وجميعها موجهة على الخراطم ومذكورة في كتب الدليل السياحي ، ولكن الانسان غير مستعد لاكتشاف أنها ثلاثة ، ولا يستطيع أن يستبر في النظر إليها كأهرام جميلة . إن هذه الأهرام الستة الزائفة صغيرة ومتنامية ، والثقيلة إن أحدها صغير بما لا يتجاوز حجم درجة كبيرة من الحبيرة .

وحتى الهرم الأكبر فإنه يربكنا بما يضيفه من احساس غير متوقع بالتناقض . أننا جميعا نعرف وقد عرفنا هذه الصغر أنه قد لزمت منه طبقة الأحجار الخارجية منذ حوالى خمسةةة عام لبناء المساجد والقصور البرية (٢) ، ولكن على الرغم من ذلك فإن الجسم الصلب الذى يتميز بالمظهر الصخري لهذا الهرم العملاق يصيبنا بالدهشة . ولا يبدو عليه ما حدث من تخريب جزئى . أنه يبدو كما لو كان قد ترك دون استكمال ، وإن العمال سيعدون في صباح اليوم التالي .

ومرة أخرى نريد اللون محمضا . هناك القليل من الناس الذين يعرفون مسبقا اللون الأصفر المائل للبيضا الذى يتحول اليه الحجر الجبى المصرى بعد قرون من التضرر لأشعة مساء مصر المختفية . وإذا

---

(٢) لم يتعد هذا الافتراء طمعا والتفت لن سقوت للكسوة كان من عوامل الزمن دور التاريخ - ( المراجع ) .

منظرت إلى الأهرام في غضون أشعة معينة فانها ستبدو كمنروج نجمية  
ضخمة .

ولا لم تقضى سوى ساعة وإربعين دقيقة في هذه البقعة ، فقد رفضنا  
في هذه المرة الأولى بحزم أن نرى أو نسمع شيئاً أو نتقل إلى أي مكان -  
فيما عدا هذه دقائق قضيتها عند حافة التجويف الرملي الذي يرقه فيه  
أبو الهول جائئاً مرفوع الرأس - لقد وجدنا أن تكويس كل اندياننا وكل  
جولتنا القصير للهرم الأكبر فقط ، دون أن نحظى ببعض الانطلاعات عن  
جذور هذا البناء الضخم الخارجى وحجمه ، ودون أن نركز عقولنا في شيء  
مثل فهم عصره ، لأن ذلك كان كافياً وأكثر من كاف في مثل هذه الزيارة  
القصيرة .

وذلك أنه ليس من السهل أن تستوعب حتى ولو بشكل سطحي  
خبرة ستة أو سبعة آلاف عام ، فالهرم الأكبر الذي كان عمره أربعة آلاف  
ومائتي عام وبعض الأهرام عند ميلاد السيد المسيح (\*) ، وهو يعيش الآن  
الآلاف السابعة، ولذلك فإن الظروف هناك بجوار قاعدته وعلامتها وقياس  
أركانها بالنسبة لبطي أحجارها السفلية والتأمل في كافة أطوار القصور  
الضخم لهذا الحائط غير المستوى الذي يلود إلى أمل مثل دفاعة شاحقة  
تقبو كما لو كانت تلامس السماء ، يجعل الكتابة لتعريف فجأة أن هذه  
التواريخ البعيدة لم ترد على فكرها حتى هذه اللحظة إلا في شكل أرقام  
مجردة - الآن وكلمة الأولى ظهرت نفسها في شكل في مادي محسوس  
ومحدد ويطبق . أنها لم تعد مجرد أرقام ، بل سنوات بلصولها المتغيرة  
وفيهيئان فيلها المال أو المنتفضي ، وهوايد بلزها وحصادها .  
أما الإحساس بهذه اللحظة فلن يتمحل . أنها تقبو كما لو أن أحداً قد  
اختطف لحظة إلى ارتفاع كبير أشل منه على سهول الزمن ورأى القرون  
ترسم خريطها تحت أقدامه .

إن الإعجاب بضخامة الهرم الأكبر أقل صعوبة من إدراك عمره .  
ولا يستطيع أحد صار بطول أحد جوانب الهرم ، وتسلق قمته ، ودوس  
أقدامه على العالم موراى ، أن يخطئ في تكوين فكرة والضمة وسهولة عن  
ضخامته وحجمها - إن القاييس التي أعطانا لها خير جاردنر ويلكسون  
هي كما على : طول كل جانب ٧٥٦ قدما ، الارتفاع الراسي ٤٨٠ قدما

(\*) : ينى الهرم الأكبر في الفترة من ٢٥٢٨ - ٢٥١٦ قبل الميلاد - ( المراجع )



و ٩ بوصات . ومساحته ٥٢٨٤٢ قدم مربعاً (٦) . وعلى ذلك نقول ان الارتفاع يزيد ١١٥ قدماً و ٩ بوصات عن ارتفاع الصليب للوجود في قمة كنيسة القديس بطرس (في روما) وحوالي ٢٠ قدماً أقل من تل يوكس في موزاي - وإذا انتقلنا الى لندن لمانه سيكون أكبر قليلاً من أن يطغى المساحة الكلية لطول غنفق لسكولي - وهذه البيانات الحقيقية كافية وسهلة الفهم ولكنها مثل سائر الحسابات التي من هذا النوع تشير عن بيان حقيقة عظمة الهرم الأكبر .

أما ما يتجاوز تأثيره - وصف الأرقام ذات الأهمية أو للبيانات المصغرة ، فهو الظل الذي يلقيه الهرم الأكبر عند غروب الشمس ، حيث يمتد هذا الظل المسجيب والحاد والواضح ، عبر مضيق الصحراء الصحيرية ملطياً ثلاثة أرباع الميل من السهل الأخضر الذي تحته ، انه يقسم ضوء الشمس حيث يقع ، مثلما تقسم بقائمه الظليلة ضوء الشمس في الوجود

(٦) منذ نشر الطبيعة الأولى لهذا الكتاب فإن طبع العمل للحدود الذي قام به سيهر " م ' لننيز بترى - وطولاه اعلم ومطابق الجرد The Pyramids and Temples of Giza ، ويصمت لهذا الأولى - تحت تصرف الدرسين - وحسباً شديداً وبهايات وطولها الهرم الأكبر حيث حسب من التجارب المطورة في المنصر في الأركان الأربعة ومن المستوى الحقيقي للمساح للزخرف ، ما جعله يكشف أن مربع العلاقة الإسمية للبناء مفرراً بالبرصات يطغى هذه الأرقام

الارتفاع	للطول	الاختلاف من المتوسط	راوية قدمت	الاختلاف من المتوسط
شمال	٩٠٦٩	٠ +	- ٧٠ ثانية ٣ دقائق	+ ٢٢ ثانية
شرق	٩٠٦٧	- ٠	- ٥٧ ثانية ٣ دقائق	- ١٤ ثانية
جنوب	٩٠٦٩	+ ٠	- ٤٦ ثانية ٣ دقائق	+ ٢ ثانية
غرب	٩٠٦٨	- ٠	- ٥٤ ثانية ٣ دقائق	- ١١ ثانية
المتوسط	٩٠٦٨	- ٠	- ٤٧ ثانية ٣ دقائق	- ١١ ثانية

أما في الارتفاع فانه بعد دراسة كل البيانات مثل سمك الأحجار الثلاثة التي تمثل المثلث ، والمسك المفترض للأحجار التي واجهت من قبل الأنوار العليا من البناء . أعطى حسب ملاحظاته ، قراءة المتوسطة للهرم - كما أعطى الارتفاع من القمة التي القمة حيث يبلغ ٧ - أو + ٥٧٧٦ بوصة - لنظر كتف بترى الأكبر - الشمس لمساح - حرم ٩٢ - ٤٢ .

العلوى فتحلى القضا الذى تشغله بظلام يحميه سموف الشمس . وعمر  
أكثر الاشياء اقاربه للشياخ الرائعة ان يتذكر الانسان كيف يضجر  
نفس هذا الظل عند تسجيته ، ليس فقط ارتفاع أضخم ساعة شمسية  
أقامتها ايدي البشر . بل أيضا المسار البطيء يوما بعد يوم على مدى أكثر  
من مئتي قرنا من تاريخ الدنيا . وكان الظل ما يزال صمتا فوق المنظر  
الطبيعي كلما حيطنا المتحدر الرملي الطويل حتى وصولنا الى الحنطور .  
وقد أسرع حوالى ستة أو ثمانية أعراب في عباقتهم للمفرقة لكي يودعونا  
الوداع الأخير ، وكان دكوبنا من القاهرة - لكي نجلس في هدوء وننظر  
الى الهرم الأكبر - قد ملامح بالفضة الخالصة .

وبع مثل هذه الطاقة والابتهاج اللذين يستعملهما السائح الحديث  
لا بد أن تكون قد وصلنا الى القمة ، ورأينا عميد أبي الهول ، وشاهدنا  
في نفس الوقت مقبرتي أو ثلاثة من المقابر الرئيسية .

وقال لنا الأعراب : « عودوا مرة ثانية » . ان الأعراب الطبيعي  
سيصلونكم ثرون كل شيء . انكم لم تروا شيئا في هذه المرة . »

وبعض بنا الحنطور مع وعودنا بالعودة عما قريب وعلى الرغم من  
ذلك كنا نشعر بالرضا عن الطريقة التي قضينا بها الوقت .

ان بدو الهرم قد كانوا الكثير من الاممات من السياح وكتب الأدلة  
السياحية ، ولكننا لم نجد سبيبا يصعونا للشكوى منهم الآن أو فيما بعد -  
انهم لم يزعجوا حولنا أو يسبوا خلفنا ، ولم يلاحقونا بالطلب على أية  
حال . انهم يتدلقون حيوية وثرثارون بطيهم ، ولكن أصحنا الظرفاء  
كأنوا يصولون الى حالة الصمت مثل الصامتين بالغرس ، عندما يجدون  
فريد الصمت . وكانوا يوشون بالقبض على المتوسل عند الانصراف .

وتسلط النتيجة المتنامية لهذه الجولة القصيرة التي قضيناها في  
أفنا لكرنا في اليوم التالي أن نقابل مسجده السلطان حسن أحد معالم  
المسور الوسطى ، فقد قيل انه بنى بأحجار الطبقة الخارجية للهرم  
الأكبر (٢) .

---

(٢) كعبه كلاب طليا - ( المراجع ) .

## الفصل الثاني

### القاهرة والهج إلى مكة

القطيفة أن مسجد السلاطين حسن يعتبر أجمل مساجد القاهرة ، وربما أيضا أجمل مسجد في العالم الإسلامي ، لقد بني أثناء تلك الحقبة المسيحية التي بدأ فيها الفن الإسلامي في مصر يتوقف عن الانحدار أو التقليد ، ويستجيب لنفسه طارفا معماريا أصيلا من بين العناصر غير المتجانسة للصروح الرومانية والقطيفة المبكرة . لقد كانت مساجد القرون القليلة السابقة ( التي شهدت على مميل المثال جامع ابن طولون الذي يمثل أول انطلاق من السودج البيزنطي القديم ) ( ١ ) تكون مما يريد قليلا عن بناء به أبواب تعود لل قاعة تدعها غاية من الأهمية . وبعد الال من قرن كل الطراز الوطني قد غير بدايات ذلك الانقضاء الطويل عن استخدام الطرز البيزنطي إلى نهضة جديدة طوب هذا الطراز . مثلة في مسجد محمد علي ، ولكن مسجد السلاطين حسن الذي يسي قبل سقوط القسطنطينية يسمح وتسمح منه ، يعتبر مثالا لأهل نقطة ميل وصل إليها الفن المصري في مصر بعد استخفافه للمواد اليونانية والرومانية التي كانت في منص ، وقد تم تعديله قبل تحقيق أصالته الوليفة بأحجال ثالورات للذمة من وراء البسفور ، ولا يرجع سبب تقوله إلى ضخامة أبعاده ولا إلى ضخامة المواد المستخدمة في البناء . أنه لا يماثل المسجد الكبير في دمشق من حيث الضخامة ، ولا جامع آيا صوفيا في القسطنطينية من حيث غناء بالرخام الثمين ، ولكنه يتفوق في التصميم ، والتفاسيد ، وفي جاذبيته الشاعرة التي لا يمكن وصفها . أنه يتفوق على هذين المسجدين وعلى غيرهما من المساجد سواء منها الأصيلة أو المقلدة التي تعرفت عليها الكتابة . لأن البناء كله وطني خالص ، كل خط أو حنية منه ، وكل بوصة من

( ١ ) خطأ على ، والصواب أنه على طراز المساجد التي انشئت في عهد الممصر

باف الخليفة العباسي والذي انشئت في عهده مدينة سامراء - ( تراجع )

التفاصيل تمثل أفضل طراز لأفضل فترة في تاريخ المدرسة العربية . وهو قبل كل شيء ، خير معبر عن الغرض الذي صمم من أجله . وعلى العكس فإن المسجدين الشهيرين في دمشق وفي القسطنطينية كانا في الأصل كنيتين مسيحيين ، وهو ما تكشف عنه الأبراص المائلة على التمديد . ففي جامع أيا صوفيا يمكن تتبع الفراغ الذي كان يحتله من قبل تمثال القادي ، في أعمال الموراييك التي في محراب المسجد والتي غطيت بالفسال المصنفاة في تاريخ لاحق . وكذلك فإن البوابات العظيمة بالمسجد الكبير في دمشق قد رست ضمن زهور مسيحية أحمرى يرموز المشاء الرابى . أما مسجد السلطان حسن الذى بناه الباصر حسن في الأيام العظيمة المردهرة من حكم المماليك ، فلم تترك صفوه أية تفاصيل . لقد صمم ليكون مسجداً ، وظل هكذا مسجداً ، وسرعان ما تجسول إلى آخر جميل .

وقد هم عند من الفسارح الصيفية في هذا الحى مؤخرسرا بحيث أصبح طريق الوصول وأقما عبر فضاء واسع مهيور بعثرت في أرجائه بعض الانقاض ولكنه سيصبح ميداناً عاماً . ولتحقيق هذا الهدف المقبول نظريا شاعدا حوال ستة عمال يعملون متكاسلين في تحصيل عدد من الاليل بالانقاض . وهذه هي الطريقة العربية لنقل البنايات . وإذا استمر هؤلاء العمال في عملهم ، واستمر وزير الأشغال العامة في دفع لجورهم في مرصمتها المضبوطة ، فربما يتم اخلاء الأرض خلال فترة ثمانى أو عشر سببوات .

وعندما أوصلنا الحنطور مصحوبة إلى أسفل درجات المصم العظيمة والننى كانت مودعة بالتمورى الذين يصحنون ويتامون ، رأينا شفا طويلا طاهر الاتصاع يصل تقريبا من قبة إلى أسفل الحائط الرئيسى للبناء ، بجوار المندة . وبدا كما لو كان شفا ناتجا عن وقوع زلزال . ونظرا لأنه مغال جديدة في الفرق ، فقد تبينا لأن الحكومة لم تبدأ التصل في اصلاحه ، وكأنه قد كتب على القاهرة ألا يتم أبدا اصلاح شيء فيها 11 . أما نجد هنا كما في القسطنطينية مبانى جديدة ترتفع بسرعة ، ولكن المباني القديمة بصرف النظر عن مبنى جلالها ، قد جرى التفاضل عن تأكلها بوسة بعد بوسة حتى لا يتبقى منها سوى كومة من الانقاض .

ويعد صعود السلام ، ومن خلال هو شاعق الارتقاء ثم صعود بعض المرحلات الإضافية ، ثم المرورجس مر مظلم ، وصحلا إلى القاعة

الكبرى والتي كان علينا أن نخلع أحديتنا قبل دخولها ، وفردنا شياطينا  
 مختصصة لهذا الغرض ، وتمثل رؤية هذه القاعة لأول مرة قبة الاثارة .  
 انها لا تشبه شيئا سبق لنا رؤيته من قبل ، ويتساور جمالها مع  
 ساداتها ، تمثيل شكلا هندسيا ذا اربعة اضلاع ، يظله الرخام النقي ،  
 مفتوحا نحو السماء ومغطا بمواط من رفعة ، وفي كل جانب من جوانبه  
 حنية واسعة يحيط بها عقد مرتفع ، اما مساحة التشكيل الرباعي فهي  
 تزيد على مائة قدم مربع ، كما يزيد ارتفاع الحوائط عن مائة قدم أيضا .  
 وتشكل كل حنية قلعة لسيحة للراحة والصلاة ، وجنوب الحنيات مرفوعة  
 بالحصى ، ولكنها في طرقتها الترقى ارجح والمقوى بخلاف الأكراف  
 الثلاثة الأخرى ، اما العقد الضخم الذي يحيط بها فهو يحيط الجزء الأمامي  
 من حنية مسرح كبير ، وتبلغ المسافة بين ضلعيه ٦٩ قدما و ٥ بوصات  
 حسب ما ذكره فرجسون ، وإن كانت تبدو أكبر من ذلك كثيرا ، وهذه  
 القاعة الرئيسية التي ترتفع أرضيتها بمقدار درجة سلم واحدة عند نهايتها  
 العلوية يبلغ عرضها ٩٠ قدما ، وارتفاعها ٩٠ قدما ، والمنصة مغطاة  
 بسجاد الصلابة الصغيرة ، وهي تتميز بالحرف ومثير الحظي . وقد  
 لاحظنا أن هؤلاء الذين حضروا هنا قد جاؤا للصلاة فقط ، وبعد الانتهاء  
 من الصلاة اما أن يمشوا الى الخارج ، أو ينتحوا جانبا داخل إحدى  
 الحنيات للراحة ، وتوجد في الساحة لصلبة دائرة لها سقف تعلوه قبة  
 طبقوه مثل بقعة كبيرة من حيث الضخامة والقابلية للكسر ، ويتوسطها فيها  
 كل عابد عند دخوله المسجد ، وبعد الوضوء يترك شبقه على الحصى .  
 ويؤوس إلى مسجد المنصة بقدمية الماريجي .

وكانت هذه هي المرة الأولى التي نلاحظ فيها المسلمين أثناء الصلاة  
 وتأثيرا كثيرا لاستغراقهم العميق وغير المتكلف ، كان بعضهم ساجدا بحيث  
 تلمس بجهته الأرض ، والبعض الآخر راكعا ، والبعض الآخر منحنيا في  
 الوضع المحد للصلاة . وكانوا هم جميعهم شديدى الاستغراق حتى بدا أن  
 وجودنا الغريب قد شاعهم . ولم نكن نعرف حينذاك أن المسلم  
 الصالح يتصف بالتقوى خارج المسجد مثلما هو داخله ، أو أن ذلك هي  
 عادته من أداء الصلاة في أوقاتها المحددة يصرف النظر عن مكان أو كيفية  
 انشغاله . وسرعان ما تمودنا على هذه الخاصية الواضحة في الحياة  
 الإسلامية بحيث سارت أمامنا لا جدال فيه ، حتى أن راقب الجبل يتحتم  
 عليه أن ينزل عنه ويسجد واضعاً وجهته على الأرض بجانب الطريق .  
 كما أن التاجر ينشر مسجدة الصلاة الخاصة به على الأرض متجها بوجهه  
 نحو المشرق عند غروب الشمس خلف تلال الصحراء القريبة .

وبينما كنا مبعثين بارتفاع السقف وحاروف الذين المصنوعة من حاروف أوراق الفصحى ( أشغال الأرابيسك ) المتعددة ، جاء الحارس وبمه مفتاح كبير ودعانا لزيارة قبر مؤسس المسجد ، فتبعناه الى قاعة ضخمة تملؤها قبة مساحتها ١٠٠ قدم مربع ، أقيم في وسطها قبر مبسط يحيطه سور وله وضع في أسفله صندوق مربوط بالحديد . وعرفنا فيما بعد أن ذلك الوضع مضى عليه خمسمائة عام منذ وفاة ودفن السلطان حسن . وهذا الصندوق كانت به نسخة فاخرة من المصحف قيل أن السلطان حسن قد كتبها بخط يده ، ولكن الخديو الذي يجمع المخطوطات العربية المختارة والأثرية أرسل في اليوم السابق فقط أمرا برفعها .

ولم أر شيئا أشبه أو أقدم من تناسق إبعاد قاعة الصريح حلم ، التي غطيت حوائطها بالزخرفة البكرية ، المحفورة على الخشب مع ملء الفجوات بقطع الخزف وأشغال المسيفساء ذات اللون الفيروزي . أما الارتفاع فالفرش منه حمل عقود السقف . وتتحقق استدارة الأركان بواسطة عنائيد مجوفة من أشغال الأرابيسك الرائعة مثل الدلايات ، ولكن أشغال المسيفساء تسقط بسرعة ، ولذلك فإن معظم لوحاتها فارغة . وقد علقنا أشغال الخشب الجميلة على شكل شظايا مهلهلة ومحاولة بتدريج المبكوت مثل الرايات القديمة التي ترفرف أول لمسة من الفريشة .

ومع عودتنا من الصريح الى الفندق لاحظنا آثار الانهيار في كل مكان . ذلك أن الفلسفية التي كانت يوما ما مميزة من مجازات الزخرفة العربية ، توشك على الانهيار ، وقد تشقق الرخام الموجود في قاعدتها ربهت لوانه . أما بقايا المزخرفة بالبصير فقد تساقطت قشرتها في أجزاء متفرقة ، كما تساقطت طبقة الميناء ، وتمزقت زخرفتها الخشبية التي تشبه الأربطة في كل بوصة .

وبرى الآن طائرا صغيرا يلون بيني وذعبي يجثم في قبة على حافة الحوض . وبعد أن نثر الماء وشرب منه ورتب ريشه مثل العابد الصالح أنهى الوضوء . طار الى قبة القبة وغنى فرحاً ، بينما خيم الصمت على ما عبده . وقد شقت الشكل الهندسي ذا الأخلاق الأربعة مساحات كبيرة من الأنوار والظلال . وظهرت المساحة فوقنا مثل قطعة مربعة من الرقعة القديمة . بينما الباس هنا وهناك ما بين منى ، ومصل ، أو مستشرق في الهدوء . وقد تباثر عدد من لابسى الصائم في شكل يدب فوق أرض القاعات المكشوفة للقطاة بالحصير . وهناك جلس تمرزي متخاطم السابق يصبح صدى ، ويقرب منه استلقى صانع سلال مع

مسلسته صعب للجدولة للمتنسطة بطولها على وجهه، ويحاط به حرمة من السمار، وهذا وقد بالقرب منه اعصى وجهه كليه ، فكان السيد تاتما وكليه يحرمه . ولما كان ذلك كما سبق ان قلت هو اول مسجد تقوم بزيارته . فاسي أتذكر جيداً الحاجة التي احدثتها لدى رؤيتي ذلك التزي وهو يخطب ازواجه بينما يرقد البائسون حوله في الظل - ولم يعرف سينتدئ ان مسجد المسلمين مكان للراحة والحماية مثلما هو للصلاة ، أو ان العربي الذي لا مأوى له قد يجد المأوى هناك سواء في الليل أو أثناء النهار بنفس الحرية التي تبس بها الطيور لعشاتها في الفريز العلوي ، أو مثلما يشارك كلب الرجل الاعمي سيده النائم في الظل البارد .

وبعد عدة دقائق من الصعود بالمنطور من عند هذا المسجد الذي ينتمي لحكم المماليك ، نصل الى مسجد محمد علي الذي بناه على اوارسه خلفت مملكة قتل فيها آخر سسلالة هذا الجنس السلطاني منذ ٦٤ عاماً مضت (\*) وقد بني هذا المسجد داخل حرم القلعة على حافة بارزة من لال الحائط ، تطل على مدينة القاهرة . وهي من أكثر مناطق القاهرة روعة . وتظهر مآذنه الرقيقة وقبابه المتجمعة من كل جهة وحل منى عدة ليلال . وتظل ظاهرة للنظر مدة طويلة أثناء رحيله أو عودته للقاهرة أكثر من كافة المعالم الأخرى . وهو مبني عام فسيح ومبني ومزدهر ، ولا يحيط به شيء جبول فيما عدا الداء الرخامي العظيم والفلسية . أما داخل المسجد الذي بني بكامله من الرمر الفركي ، فقد كان مفروشا بالسجاد التركي الفخم ، وعلقت في سقفه ثريات مديدة مصنوعة من الزجاج البلوري المصقول .

وتظهر فضايلة المنظر من الهضبة الخارجية . وقد رأيتاه خلال يوم فيه بالضباب، ولذلك لم نستطع التعرف على عتقى الدلتا الذي كان من المفروض أن يظهر في اتجاه الشمال . ولكننا استطعنا ان نرى المنظر بنوبيا حتى حرم سفارة في سهولة ويسر . وظهرت احرام الحيزة على منصة المسكرة الصحراوية على بعد حوالي اثني عشر ميلا ، صغيرة وغير ذات تأثير ، كما تظهر دائماً على الجبد . ولكن الوادي الضخيم العظيم كان يميز بالقرى الطينية التي تظهر كالقبع وقد تقاطعت فيه القنوات ومصارف غاية التخييل . والد لزدان النهر العظيم بانسمة الكوارب الخيلية . أما مدينة القاهرة للمصحة فقد ارمات كلها بالاستنفاد المسطحة

(\*) متى عليها حينذاك صبة ومبنيون فلما بالامانة الى ان الطيمة الاولى لهذا الكتاب له متى عليها ١٢٠ عاماً - ( الترجوم ) .

للمسار ، والقباب الصغيرة والكلى . التي تنتشر مثل نموذج مسند التفاصيل في قصى المشاهد ، على الروايا الرائعة والتي سيطرت على كلب انتباهنا . وصمما فنظر اليها من هذا الارتفاع يسهل علينا تصديق أن القاهرة تضم قبر صيانة مسجد . وهي تقف على حافة التل على مثال مدينة روما الحديثة التي تتضمن ثلاثمائة وخمسا وستين كنيسة (٢) .

وعند نزولنا شامعدنا المكان الذي قتل فيه كبار الماليك وعلهم ٤٧٠ ميلوكا (١) . وقد حدثت هذه المذبحة في شهر مارس سنة ١٨١١ للميلاد . وراينا البراية المئوية التي أغلقت أمام الماليك لمح خروجهم ، ويقال ان حواشي المر الضيق التي ارتكبت فيه المذبحة تظهر فيه القوي التي أحدثها الرصاص ولكننا لم نبص عنها .

وقد ذكرت منذ قليل أني لم أذكر بالضبط التركيب الذي تمت به جولتنا في القاهرة لسبب أننا راينا بعض الأماكن قبل رحلتنا في النهر ، وبضها الآخر بعد عودتنا ، والبعض الآخر ( مثل متحف بولاق ) مررنا قبل وبعد الرحلة ، على قدر استطاعتنا . ولكنني على الأقل متأكدة أننا شامعدنا عرشا للفرعونيين وهم يصاصيون ، ورحيل قافلة الحج إلى مكة قبل بداية السفر .

ومن بين الأشياء التي يؤذيها الناس وهم يمشرون بالسعادة ، متابة حوكب القاملة ، فهي بالتأكيد تعتبر من أكثر المتاحات ارمقا ، لهم يمشرون مسافة طويلة لمشاهدتها ، كما ينتظرونها فترة طويلة مرعة ، لأنها تصل دائما متأخرة . ويوجد وصولها تنتهي بعد عدة دقائق . لد تبادلها الاطوار ميكرها وبهذا الخروج سريعا بعد الساعة السابعة والنصف . وعندما يوافقنا خارج باب النصر في الطريق إلى الصحراء في تمام الساعة الثامنة والربع . وهنا جلسنا حوالي ثلاث ساعات معرضين

(١) يوجد بالقاهرة الآن ثلث مسجود من المساجد الكبيرة والتي أرممت ، هذا بهلوكا التي أنشأها والصغيرة التي لا يكاد يتركها شارع واحد - ( لترجم ) .

(٢) قيل ان مملوكا واحدة فقط من الذين عذب وسماه أسير به الذين قتل بمصانع من لحة في الحلة ويصل سايلا في ليدلن لم عذب على المصراع - واستند موضوع فقره الشهيرة يرض على الزوار لحة سنوت ولكن لا توجد الآن لحة لحات في الحلة - وتعتبر القلعة هي الأكثر الوحيد في القاهرة الذين تمسرون في الإصلاحات الحلة -



لصحبه التزلج ولهيب الشمس دون أن يحصل شيئا سوى مراقبة الزحام والانتظار في صبر . وكان هناك كل نزلاء فندق شبرد وكل غريب في القاهرة ، وقد ركبا جميعا في سناطير رشقة مفتوحة يجرها رجلان بؤساء يسوقهم عرب حفاة الأقدام - وبالمناصبة فإن هؤلاء العرب يحملون سياطاً جيدة والمرجال يجرّون ببراعة ، وقد يملو غريسا ومزريا في البداية أن يركب حلف حوى لا يملك من الألبس الا خشنقة يلفها كساعة يضيء قلعة ، وقميص متواضع يصل بالكاد الى ركبتيه وهذا طويل الرقبة منبته اياه الطيبة ( قصد الساقين الماريتين ) .

لما هنا خارج الحواظ فقد أخذ الزحام يزداد في كل لحظة ، وطير المكان مثل معرس به أكشاك لسبع الأطعمة ، ومراجيح ، ورواة للقصص ، وحواة يداعبون الصبيان ، وبائعو الفطائر ، وبائعو الحلوى والمصريات ، والماء ، والنيونادة ، والكسرات المسكرة ، والبليج الطسارج والببيض المسلوقة ، والبرقال ، وشرائح البطيخ . وهناك النساء المعجبات يحملن أطفالا لولهم يروزي ، يقبهن تماثيل كيوبيد ، وهم متفرجون الميقات هل اكتافهن اليمنى . ومن بين العائرين مصريون ذوو بشرة سمراء ، وأحيانى بلون اللحم الأسود ، وهرب ، ونوبيون من كاتلة درجات اللوز من البنى الذهبى الى لون الشيكولاته ، وملاحون ، ودواويش ، وأولاد غلردون العبير ، ومتسولون ، وشحاذون بهم شتى أنواع الماعات التي يسكن ضموها ، والمجون وغادون وهم يحفرون أطسهم بين السناطير ذهابا وإيابا ، أو يفتشون جانبي طريق البوابة التي يملوها بروج عظيم في كلا الاتجاهين . وآخرون يمتطون قسمة كل حائط ، ويملاؤ الجبر بالضحكات . وتشكيلة من اللهجات المحلية ، مع تلك الطوار العربية التي لاتنفصل عن الجوع الشرقية . انه حشد غير مؤد ، ولكنه ليس له طعم ، ورصب الصلح ، وغير عدواني . ولكن نظرة واحدة اليه حتى تهرب كلمة التصورات السابقة عن تربت السلوك الترقى ، فالمعينة هي أن هذا الترمع ليس خاصية شرقية . انظر الى المسلم أثناء صلاته ، فستجده نموذجاً للتجرد الدينى ، ثم سلوه على شراء سجادة فستجده مثل الفاضل لا يمكن كشف أسراره . ولكن انظر اليه في ساعات الاسترخاء ، أو في مناسبة يوم عطلة فستجده مثل طفل كبير في مرحه وضحكة . وهو مثل الطفل أيضا يحب الضجيج والحركة لمجرد إثارة الضجيج والحركة ، وهو ينظر الى المراجيح والألعاب النارية بوصفها قمة السعادة الانسانية . والآن نجد أن المراجيح والألعاب النارية تمثل رسائل رزق عربية وتحل محل السبرك . وتضمنه رغبة الشخص العاى لمشاهدتها ، حيث لا يتنمى فيها تعلق في مناسبات الاحتفالات العامة ، ولكنه يلجأ اليها أيضا لأحيانه

أفلس الأعياد الدينية - وقد سمع فيما بعد أن صادفنا أعياداً إسلامية عديدة سواء في مصر أو سوريا فوجدنا المراجع تصل طوال النهار والألعاب المارة كل مساء . واليوم فإن المراجع لم تكن وحدها خارج باب النصر ، فقد كان فيها مراجع ووسية قصير أصواتا وهي منطقة في مركبات ملونة لركوب الأطفال ، ومراجع مربوطة بجبال يصل ارتفاع بعضها إلى مثل ارتفاع مشايخ همام (\*) ويركبها الرجال - أما عن نفسي فاعتني لا أعرف حظيراً أكثر إثارة من منظر الاستمتاع الهادي الذي يشعر به الرجل المصري المتوسط العمر ، المختفي ، والمهم ، وهو يجلس المرفصاء على كعبيه فوق المقعد الخشبي الصغير في واحدة من هذه المراجيح الهائلة ويسكن بالخيال الجانبية للمحافظة على حياته ، ويصل ارتفاعه إلى الهواء إلى ٤٠ قدماً في كل مرة .

وقبل منتصف النهار يقلول عندما تصل الحرارة ومطرور الشمس إلى درجة لا تحتمل ، تتوقف المراجيح عن الحركة ، وينطلق الرصاص في اتجاه البوابة ، وتعلن دقائق الطبول من بعيد عن اقتراب الوكب . في البداية وصلت سلسلة من الرجال تحمل الآلات الخشبية بالخيام ، ثم حواري حائتي حاج سافرين على الأقدام وهم يرتلون بعض الآيات القرآنية ، ثم فصل كتيبة من المشاة المصريين يقيس رجالها زياً عسكرياً مصنوعاً من النيل الأبيض الخشن مكوناً من معطف ، وسروال طفافس ، وطرلق فوق الحذاء ، مع أحزمة متقاطعة بها صناديق الخرطوش المصنوعة من الجلد الأسود السادة ، وعلى رأس كل منهم طربوش أحمر . ويتبع هؤلاء عدد آخر من الحجاج وراحم مجموعة من الفراءيش يحملون بيارق خضراء مطرزة عليها صارات عربية باللونين الأبيض والأصفر ، وتلك فرقة من الفرسان الوطنيين يرأسها لواء وأربعة ضباط برتبة البكباشي في حللهم الفضة المطرزة بالذهب ، تستلم فرقة للموسيقى العسكرية ، ثم فرقة أخرى ، تليها كتيبة أخرى من المشاة ، وعلى ذلك عدد آخر من الضباط في رتبة البكباشي تتبعهم كتيبة من الفرسان حامل الرماح يستطون جياداً رمادية ويحملون الرماح التي في قممها رايات صغيرة حمراء وخضراء . وبعد مرور هؤلاء حدثت وقفة طويلة . وبعد عدد من الوقفات والمقاطعات وصل جمع غير منتظم من الحجاج ، غالبيتهم من طبقة الفلاحين وهم يقدرون

---

(\*) الشخصية التي ارتداها حسون فراما أحدنا ماعلان وزير الملك فارسي احتشوروش (الخشستا) التي يسلط عليها مدينتي . ولكن السلب عليها سحر من سبيته هو بدل من مدينتي . ( الكتاب للفلس - سار استيفي - الاصطلاحات من ٥ - ٧ ) ( انظر ج )

الطبول الصغيرة ، ويقدر علمهم بحوالي ألفي . والآل يصل إلينا صوت  
المتشددين قبل وصولهم بوقت طويل حيث يرى الدراويش وهم جسيما  
محاكاة يلبسون الملابس القديمة ذات المظهر البالي ، وكانوا يديرون  
رؤوسهم من جانب إلى جانب ويصندون جليسة متواصلة وهم يسيحون  
تألقني « الله ! الله ! الله ! » ويصل عددهم إلى مائتي . ويهله بعضهم  
مشايخ الطرق التي يتبنونها وهم يرتدون عبايات زاهية الألوان مطرزة  
بخيوط الذهب ويركبون خيولا عربية . أما أكثر المناظر طرافة فهو منظر  
شيخ الحسيني يركب حصانه وعلى رأسه صمامة حمراء ، ويلبس عباية  
فردية اللون وهو من أحفاد النبي . أما أهم شخصيات الوكب فهو الشيخ  
البيكري الذي يقبضه عند المخرج رئيس أساقفة كانتيري (٣) ، وهو  
يرأس جميع الدراويش ، وقد وصل أشرا راكبا حصانا عربيا أبيض اللون  
تكسوه كمسة مشغولة بخيوط الذهب ، وكان رجلا ممتنا ذا طلمة ودية ،  
وقد ارتدى عباية بفسجية اللون ، وعصاة خشبة باللونين الأحمر  
والأخضر . وقد بيع هذا الشخص المكرم رئيس رابطة صناع الكسوة ،  
رجل رجل وسيم يجلس مستعرضا على جبل . وسدلت وقلة آمسرى في  
الوكب ، وقلة مشوقة ، ووصل جمع يتيم ، ثم ظهر شخص نصف عار  
متوكل الجسم ، وفخره في شكل حصان سوداء طويلة ، وله ذلي ثلاثية ،  
ولا يلبس شيئا سوى سروال أبيض قصير ، وفتيش أحمر ، راكبا على  
جمل نحيف يجري بسرعة جعلت جنبي الراكب السمين يترجرجان ،  
ورأسه يدور مع كل خطوة ، كما لو كان في حالة سكر . وقد مرت وعظمة  
من السرور بين الجماهير لدى رؤيتها لهذا الرجل المبروك المشهور باسم  
( شيخ الجمل ) صيود الجماهير ، وقد علمنا فيما بعد أن تلك كانت حجة  
الضمين ، وكان الخروشي أن يسرع ، محركا رأسه ولا يرتدى شيئا سوى  
هذا السروال الواسع طوال الطريق ذهابا إلى مكة وإيابا منها .

وبعد ذلك تحدثت قلة الاتارة ، حتى أن الفرقة التي استقبلت بها  
الجماهير شيخ الجمل لا تعتبر شيئا إلا قودنت بشيوتها عندما ظهر  
المحمل محبولا على جبل ضخم ، داخل من البوابة تسيقه مجموعة أخرى  
من الضباط الكرسان . وولفت النساء أطفالهن ، ورفع الرجال سلاطات  
المراحيب وخلفها الحناطير . وصاحوا ، ولوحوا بالمناديل والصائم . وكانوا  
حينما في حالة من السعادة يجوار بعضهم البعض . وفي نفس الوقت  
وجدنا أن الجمل الذي أحس برغبة مكاتته ، وعظمة الكسوة التي

(٣) كانتيري من مدن ليبيا التي يقصدها جميع المسيحيين لاجد هرج  
القديس توماس بيكيت بها - ( المرجع ) \*

يتحمل بها ، يتحطم بيطة وتتأقل وأغص شامخ في الهواء . وقد مر قريبا من  
روؤس خيولنا . ولم تكن قد شاهدنا مشهدا أجمل من مشهد المحمل ،  
وعر نزع من الصناديق المربعة بزسارف مطلية بالذهب . وفي أيام  
للماليك كان المحمل يمثل المنحة التي يركبها السلطان ويضيئ فارغا مثل  
السيارة الملكية التي تسيير في جنازة عامة (٦) .

وقبل لنسأله الآن يعمل بالكسوة الشريفة التي ترسل سنويا  
بمعرفة محتاج السجادة بالقاهرة إلى قبر الرسول . وكانت هذه هي خاتمة  
الموكب . وبعد مرور المحمل تفرك الزحام وانتهى كل شيء . وانطلقت  
كل الحناظر نحو البوابة لمواجهة الملك الكاسح من الجواهر المتدفقة ،  
نما ترسب عليه حدوت ربكة لا يمكن تبليها . وقد اضطرت بعض الحناظر  
في الرمال عنه منتصف الطريق . وكان من بينها المتطور الذي لعتله .  
ودخلت جميعها في مأزق لا فكاه منه في داخل الجبر الضيق بمسجل  
البوابة . وهنا سب السائقون بعضهم بعضا وفرغ صبر الجماهير ،  
وجرى بعض اللاوييين مسرعين .

وأثناء عودتنا قاهلنا كتيبتي أو ثلاثة ، وكان المعتود من المشاة  
والخيالة يمدون كاشخاص عاديي ومنسطحي إلى حد كبير . أما ركوبهم  
الخيال فكان أفضل من سيرهم على الأقدام ، وهذا هو المتوقع . أما الزى  
فهو موحد بالنسبة للفرسان والمقابلة النساء الخدمة ، ويشتمل الاختلاف  
الوحيد في أن الفرسان يرتدون أحذية سوداء قصيرة مخصصة للركوب ،  
وإن المشاة يرتدون فوق الحذاء طرزي من القيل الأبيض مثل أبناء قبيلة

(٦) ورد أن ملك مصر للسلطان الظاهر بهرس كان هو أول من أرسل المحمل مع  
فاطمة الحجاج إلى مكة في سنة ٦٧ أو ٦٨ هجرية ( ١٢٧٢ للميلاد ) ولكن كما قيل  
أن هذه المادة لها أصلها قديم يعود إلى عدة سنوات قبل جلوسه على العرش . عندما  
تمتيد شجرة نادر ملكة وهي جفيرة تركية جميلة كانت قد أصبحت للزوجة المفضلة  
للسلطان الصالح نجم الدين . وعند وفاة أبه ( الذي انتدب إليه الأسرة الأيوبية )  
تولت نفسها ملكة على مصر . هذه السيدة التي الحج في ( هرج ) في مشوق على  
مصيل على جبل ، وقال دومنها الطاهر لعدة سنوات ثلثة أرسل مع الفاطمة رمزا لسلطة  
القبيلة . ومثلها صارت عدة أمراء مصر المتتابعين أن يرسلوا مع فاطمة الحج في  
كل عام نوعا من الأورج ( الذي أصبح يسمى المسجل ) كرمز لولاء . انظر في ذلك  
كتاب أبراهام وإيم لين عن المصريين للمصنفين The Modern Egyptians, by E.  
W. Lane المنشور في لندن سنة ١٨٦٠ الفصل الرابع والمصريين .

( استألف من القديم )

هذا الكتاب مترجم إلى العربية منذ سنوات طويلة تحت عنوان « حداثات وتقاليد  
مصريين المحدثين » .

زواوة المغربية الذين كانوا يشكلون فرقة مهواة فرنسية . لقد وصل  
المصريون في الترقى الى مبنى رتب الضباط ، ولكن كبار الضباط وعيلة  
القيادة ( ويقتسم عدد كبير من رتب اليكباشي واللواء الذين يشكلون  
كتيبة عادية ) هم من الأوروبيين والأمريكيين .

وقد ظهر لي أثناء الموكب أن التسمية المحددة للصباح صغيرة  
إذا ما قورنت بالمستركي في المرس العسكري ، ولكن هذا المرس الذي  
يسمى : رحيل المرافلة - هو في الحقيقة الموكب الوحيد للكسوة  
الشريفة من القاهرة الى المسكر خارج الأسوار . وإن الكتائب العسكرية  
قد حضرت فقط كجزء من الموكب التاريخي . أما الرحيل الحقيقي فانه  
يتم بعد ذلك بيومين ، حينذاك ينقسم الصباح في أعداد كبيرة ، بينما  
تأخذ أعداد المستركين حتى تصل الى مجرد حامية صغيرة . وقد قيل  
أن عيشت الفتيون رحلوا لهذا هذا العام له بلغ سبعة آلاف من القاهرة  
والبحر للجائرة .

وقد جرى عرض الموكب في يوم الخميس الموافق الحادي والعشرين  
من شهر شوال الهجري الموافق الحادي عشر من ديسمبر ، وفي اليوم  
التالي أي الجمعة وهو يوم العطلة لدى المسلمين ذهبنا الى مقر الدراويش  
التي يقع خلف الأسوار في ركن عادي يقع ما بين خفة النهر والبحر .  
المسجد يسمى القبة .

وقد وصلنا بعد الساعة الثانية بقليل ، وتوجهنا الى ميدان كبير ،  
وعبرنا خلال فناء تطله جيرة ضخمة ، ودخلنا قاعة مطلية بالجير فولها  
قبة ، ولها أرضية مفروشة بالصبر النظيف . أما ترتيب المكان فانه  
يختلف عن كافة المساجد التي شغلناها حتى تلك الريبة ، فالمسجد  
إله لم يكن هناك شيء للترتيب ، فلا يوجد منبر ، ولا محراب ،  
ولا مصابيح ، ولا سجاجيد للصلاة ، ولا شيء سوى صف من الكراسي  
ذات القاع المسنوع من الخيزران مصفوفة في أحد الأطراف . وكان يجلس  
على بعضها عدد من رملانسة من ملاءة سيدد . وإذا بفريق من  
الدراويش يفروخ عدهم ما بين أديمين إلى حشيش يجلسون القرفصاء  
على شكل دائرة في الجانب لتقابل من الساعة وقد تكومت قضايلهم  
واعطية رؤوسهم ذات الشكل الهرمي غير المألوف في كومة قرية منهم .

وبعد أن جلسنا على الكراسي بين المتصالحين الآخرين انتظرنا  
ما سيحدث . وصارت تتدفق أعداد أخرى من الدراويش ومن المتصالحين

الانجليز من وقت لآخر . وكان الدراويش القاصون يخطون الخطبة رؤوسهم ويجلسون بين اليافئ ، يضحكون ويتحدثون مصا بمون حرج . أما المشاهدون الانجليز فقد جلسوا في صف واحد جنونين وغير مرتاحين وصامتين ، يتنهيون مصا اذا كان مطلقا منهم ان يسلكوا كما لو كانوا في كنيسة أم لا ، وقد احسوا بالخجل حتى الموت من انفسهم ، حيث أجبروا جميعا على حلق اذنيننا قبل الوصول . أما هؤلاء الذين نسوا ان يخطروا معهم شيئا فقد اضطروا الى ربط اذنيهم بالمناديل التي يحملونها في جيوبهم .

وبعد بضع وقت طويل أصبح عدد الدراويش حوالي السبعين ، كما أحس الجميع بالثعب لظول الانتظار ، ثم حضر ثمانية موسيقيين ، اثنان منهم يحملان طبليتين كبيرتين ، واثنان يحملان عودين ، وعازف كسبة ، وثلاث الرق ، ثم اثنان يحملان طبليتين صغيرتين . ثم وُزع الدراويش انفسهم وكان من بينهم من عز عود اشيب القصر ، وبعض الاولاد ، في شكل دائرة كبيرة وكثف كل منهم الى كثف جاره . واطلقت الفرقة للموسيقية أصوات بعض النغمات العربية غير المتوافقة . ثم دخل رجل وقود متوسط الصغر وتوسط الحلقة ، وادار رأسه مع كل تكرار ، واطلاق يردد اسم الله .

في البداية كان صوته رقيقا ، وبالتدريج أخذ الدراويش يرددون الكلمة : الله ! الله ! الله ! ، ثم أخذت رؤوسهم وأصواتهم ترتفع وتهبط على توافق تام . أما الآية فكانت تردد الصدى . وكان هناك أحساس بضعى قريب ورمي في هذا الاحتفال .

وسرعان ما أخذت الطبلتان الكبيرتان تدقان بصوت جهل ، كما تحولت بصوات الدراويش الى هدير ، وزادت انغمات الرؤوس ، وصار اسم الله يرن أسرع وأسرع وأشد حيا . أما القائد نفسه فقد بدأ في هوى يزيد من سرعة المشدين ، وأصبح واضحا ان الفنانين قد انغمسوا في شديده . وسرعان ما أخذت الحلقة كلها تتراجع الى الأمام والى الخلف في اندفاع رهيب . وتحولت الأصوات الى صرخات شديدة ، وأصبح صوت الطبلتان الكبيرتان فقط صا التين يرتفع صوتهما على الصوت الضعيف . وبين كل حين وآخر يقفز أحد الدراويش في عصبية لمسافة ثلاثة أو أربعة اقدام على رؤوس الآخرين . ولكنهم في الغالب يلقوا متشبثين بواقفهم في بقعة واحدة ، وهم يحنون رؤوسهم حتى تكاد تقترب من انفسهم ، ثم يطرحون انفسهم الى الخلف بمنف لدوجة أننا نحن الذين

نصف حلقهم ، كنا نرى وجوههم شبه مقلوبة - ومع هذه السرعة الرهيبة - لم يكن هناك وقت تستغرقه شهورهم في الارتجاع أو الهبوط فخللت مقلبة في وسط الهواء - واستمر الاحتياج وسدل السرعة في التزايد ، صرخ بعضهم ، وتأثر البعض الآخر ، ولم يستطع البعض الآخر أن يستند نفسه أكثر من ذلك ، فتمسك بهم المتخرجون حتى يظلوا في أماكنهم ، وكانوا جميعا قد أصبحوا حينذاك شبه مجاثين - وأخيرا أحسبنا بأن رؤوسنا تدور ، ونظرت أكثر من سبعة نحو الباب فتعوض الرغبة في الخروج - فقد كان المنظر مرعبا ، ولم يكن يحتاج إلا إلى الظلام وضوء الفسائل حتى يصبح مسرحية كاملة - ولما وصلت الفضة إلى ذروتها وجدنا أن المني يسايل للأمام والخلل فوق رؤوسنا ، نزع أحد اليانسن خارجا من الحلقة وسقط وهو يتلوى ويصرخ بالتقرب من الدمانا - وفي نفس اللحظة صلق القائد يديه فتهاوى القناتون متخفين وضع الجلوس لاحتين وملعوكي القوي - وانتهى فجأة أول ذكر كما يطفون عليه - ولم يستطع القليل منهم التوقف فورا - فاستمروا يتطوحون ويتحدنون مع بعضهم بصوت خفيض ، بينما توقف الرجل الذي اتبته الثوبه النضوية عن الصراخ ، وظل منددا بطوله في الخارج وهو متصلب ، ويبدو أنه دخل في حالة غيبوبة .

وفي نفس الوقت حدثت بين المباحدين مهمة تعبر عن الرضا - وقد اضل أن ذكرا آخر مصوف يبدأ حالا معنا بفراويز جند ، ولكن الأوربيين مالوا كهايتهم من المباحثة بينما بقي القليل منهم للمباحثة والصراخ في الغالب .

وعند خروجنا توقفنا عند المسكن الملقى على الأرض ، وسألنا عما إذا كان من الممكن عمل شيء له ، فقال أحد المواطنين المصريين الذي كان واقفا :  
« لقد عساه الرسول » .

وفي هذه اللحظة خرج القائد وركب بجانبه وليس رأسه وصدره من رقة وجنس يفيء في لآله ، ومن ثم تصطب جسم الرجل وصار أبيض اللون كالنيت - وانتظرنا حتى رأينا بعد دقائق قليلة يصارع ليمود في ساحة من المنجول وعهم الانتباه ، وحينئذ ساعدنا أسلناؤه على الوقوف والابتعاد خارجيا .

سرعته خروجنا كان الفناء مرعبا بالفراويز الجانسن في القل يشربون القهوة على ذلك من الخيزران - وقد خلقت الأوراق الخضراء فوقه

-الرؤوس ، وبينها لحظات عميقة من روعة السماء ومساحات لاسعة من ضوء الشمس ، تتصاقط على مجموعات من الأشخاص ذوي المظاهر المختلفة .  
في عبادات ملونة بلونين - إن هذا للنظر يشل موضوعها جاهزا للرسم  
يسر بجانبه الرسام وهو يتعهد ولكنه يمشي في ذاكرته إلى الأبد .

ومن تلك اللحظة وقد أصبحت على بعد دقائق قليلة من عصر القديمة  
عطينا إلى جامع عمرو ، وهو مجموعة من الخزائب عديمة الأهمية تقف  
وحيدة بين التلال الخارجية من أول عاصمة إسلامية لمصر - وهو مقام على  
مربع منعزل مساحته ٢٢٥ قدما مربعا ويحيطه رواق مفتوح مكون  
من صف واحد من الأعمدة في الناحية الغربية ( التي تشمل جاسب  
المدخل ) ، وأربعة أعمدة في الشمال وثلاثة أعمدة في الجنوب ، وستة أعمدة  
في الشرق التي فيه مكان الصلاة ، والمسجد يحضن ثلاثة محاريب  
مفصصة والمنبر . أما الأعمدة وعددها ٢٤٥ عمودا فقد انتزعت من المباني  
الرومانية والبيزنطية القديمة - وجعلها من نوعيات مختلفة من الرخام ،  
ولها تيجان متنوعة الأشكال ، وبعضها قصيرة جدا ، ولذلك وسميت على  
لواحد مرتفعة وغير متناسبة ، أما الارتفاع المطلوب فقد تم التوصل إليه  
بإضافة عمود ثان فوق قمة العمود الأول ، وقد رأينا عمودا نادرا من هذا  
النوع مصنوعا من الرخام الأسود والأبيض التدرج والذي يجهد مثيلا له في  
مبنى كنيسة القديس مرقس في البندقية ، وينظم أحد المحاريب  
بطن القطع الصغيرة من الخوازيك البيزنطية . ويبدو أن المبنى يكمله  
قد تم تجميعه بطريقة عشوائية ، كما يبدو أنه يدين بحالته المتدهورة  
الحالية إلى زلزال تنفيذ البناء وليس عصر الزمن . إن العديد من الأعمدة  
خاصة في الناحية الغربية متساقطة ومائلة . أما الفسيلة الكنائسية  
الاضلاع التي في الوسط فانها خربة ويدون متقف . وكذلك فإن للمذلة  
التي في الجنوب الغربي ثم تسلم من التخريب .

وبالرغم من افتقار جامع عمرو إلى وحدة التصميم وكثرة التفاصيل  
فإن أهميته تعود إلى أنه نقطة انطلاق في تاريخ العمارة الإسلامية . وقد  
بناه عمرو بن العاص الملقب العربي لمصر في الفلسفة الحادية والعشرين  
القرن ( ٦٤٢ لسيلا ) بعد عشر سنوات من وفاة الرسول ، وهو التزم  
عبادة إسلامية في مصر . ولهذا السبب سمينا بمسجده بصرى النظر  
عن الأسباب الأخرى - والكان مكتوف وموحش ، وكان الوجه للمعكس



من كل جوارب المربع شديد الكثافة حتى أننا تلمينا الصلابة عندما جددنا  
ثانية إلى الشوارع الضيقة بجوار النهر (٣) .

وهنا صادفنا موكب عرس مكونا من حشد من الرجال ، وعرقة  
موسيقية وثلاثة أو أربعة من الحناظر المؤجسة التي تنقل بالمسبحة  
المحجبات ، ولقد أمكن تمييز العروس من بينهم . أما العريس فكان يسير  
بين الرجال الذين كانوا يداعبونه وهو محتاط بالطبول الضخمة التي تنفق  
تلقاه ، بينما ترتفع جلجلة الدفوف ونقرات الطبول الصغيرة على أصوات  
الفيحك والصياح . وقد سمعنا جليلة مرتفعة تصدر عن آلة نطى  
أصواتا تشبه موسيقى القرب .

وكأن يد ظهر ذلك اليوم مشرقا ، واذا ذكر أننا أنينا مهتبا بركوب  
المتنوط في شارع شبرا حيث التقينا نظيرة على حقائق العصر الصيني  
للتخيير . ويستبر شوارع شبرا بمثابة شانزلييه القاهرة ، ويردم  
بالناس يوميا ما بين الساعة الرابعة إلى السادسة والنصف . وهنا تجد  
على جانب الشوارع سلاسل لتقديم المكروبات أقيمت بالتبادل مع الليلات  
الحديثة الأنيسة . ويركب الفلاحون ذوى الملابس المتواضعة حبرهم  
المهولة القوي جنبا إلى جنب الملحق الدبلوماسي الأنيق الذي يركب  
جوادا عربيا مطهما . بينما يركب السائقون الحناظر المؤجسة ، ويركب  
رجال المال اليهود عربات مشاة يجز كلا منها حسانان ، وتركب الحريم  
المحجبات عربات بريطانية الصنع يسير كلا منها حصان واحد ، ويركض  
اصحاب المحلات الإيطالية ملابس متبرجة خارجة من الألب . ويركب  
الفيحون المرفرون الحبر الضخمة التي لتنتشر بها القاهرة . ويسر الضباط  
مرتدين حائل الردنجات ذات الحدائل والمرأى المطرزة . وتسربينات  
الانجليزيات وحس يرتدين اللبيمات المالية والمطلونات الضيقة المخصصة  
لركوب الخيل ، ويجمعهن السائق الانجليزى الصغير ذو الهيئة الرزينة .  
ويسير الناس يسبق بعضهم الآخر أو يتبعه في تيار غير متجانس لا يهدأ  
ودائم التغيير ، ولا يمكن رؤية مثل له في أية عاصمة أخرى من مواسم  
المسالم . ويركب أبنة التخيير مركباتهم هنا يوميا . وهم دائما في  
مركبات منفصلة بسيفها أربعة من السائقين والأربعة من الحراس ، وهم  
من كالة الإحصاء والأمن ، ابتداء من ولي العهد وهو شاب شاحب اللون

---

(٣) اعتدت منذ الأثر منذ عدة سنوات بترجم هذا الأثر الذي بلغه في  
التيلا إلا أنه يمنع بقوا ترميزية لا تفر بالأم وقد أجد قسطها المبدان لملحة ووضعه  
وكم تزويد بالمتاح والأهمار - ( المتخرج )

يتمتع بظهور السادة يبلغ من العمر الرابعة أو الخامسة والمغربين ، حتى الطفل المتصنف الصغير الحجم الذي يبلغ حوالى السادسة من العمر . وقد ارتدى ملابس رجل صغير ، وهو يطل باستمرار من نافذة مركبته الى الشارع ويسمى، ساحة سولى المركبة بصوت مرتفع (١) .

ويصرف النظر عن هؤلاء المترددين على شوارع شبرا كثيرا ، فانه شوارع يصلح حقا لسير المركبات ، عرضي ، وعنيسي ، ويرتفع حوالى ستة أو ثمانية أقدام فوق السهل المزروع ، وعلى جانبي الشوارع زرعته للحجار السنط والتي تمتد لمسافة اربعة أميال خارج القاهرة اعتبارا من المحطة النهائية للسكك الحديدية حتى العصر الصيفي ، ويصل عرض طريق سير المركبات الى عرض الطريق الذى يعبر حديقة انها يندرج والذى يربط بين بايزووتر بهي كنسجوتون فى لندن ، ويجرى الطريق بالقرب من النيل حتى نهاية شبرا ، والكثير من اشجار الجير ضخمة الحجم ومستديرة الجذع ، تلتقى فروعهما فى أعلاها تقريبا ، ناسجة ظلا رقيقا وصامتا لناظرا خطرا رطبيا من المنظور الطويل .

ولم يبق فى حدائق الخديو فترة طويلة لأن الوقت كان قد بدأ يتسارع عندها وصلنا الى البوابات . ولكننا نوهنا بما يكفى لمعرفة انها كانت تلقى الرعاية المتكاملة بشكل مقبول ، وليس فوق العادة ، وقد أعدت بحيث تبدو منظر تصاميم الحضرة ، والمرات الطويلة ، وفراغات الأرض المزروعة بالمصنوعات والخزرفة بأحواض الأزهار على مثال حدائق سارتنيم ومؤسس فى بوثرين ناقلهم التبول (٢) . وتوجد هنا اشجار السنط في حبيس غير عادي ، وقد تناثرت على سطحها حزم متسقة من الازهار الصفراء ، وتوقرت اشجار البرتقال والليمون ، وأكوام من اشجار المواد الصمغية الخضراء ، وشجيرات الورز التي تحمل سباطات ثقيلة منحنية بالثمار الناضجة ، والايام المظلمة من اشجار الرمان واشجار اللؤلؤ المزهرة ، والحجار المسالفة التي تزود للريشة وأحواض ضخمة ، وضفاف وسمات وتكميات من الازهار لم لاحظ بيتها أية تفصيلات نادرة ، أما عن اشجار البونسية ( بات مكسيكي ) فهي تنمو فى مصر ويصل ارتفاعها الى عشرة قدم ، وشكل ازهارها تحمل فى حبسها ولونها إلى على

(١) والى العهد المنكر ، أصبح الآن الضيق يوافق ياشا . ( اشبهت هذه الحاشية فى الطبعة الثانية ) .  
- (٢) لظلم يقع فى شمال إيطاليا وقرب لانسبا كان محل نزاع بين الدولتين فى ذلك الوقت فنابغ الحبيب - ( لتتجه ) .

لا يستطيع أن يتخيله في إنجلترا ، وأينا أشجارا ضخمة سواء هي في القاهرة أو في الإسكندرية تبقو كما لو كانت تدعى تحت عباءة من المجوم القرمزية . وكان محيط بعضها لا يقل عن اثنين وعشرين بوصة عند القياس .

ويمثل أعظم مناظر القصر في النافورة الإيطالية الضخمة التي من طراد الروكوكو للمبارى للمحرف . وقد لمعنا من خلال الأشجار . وإدعنا أن البستاني الذي كان يصحبا كان يتخصصها عن لوب . ولم يفهم لماذا فضلبا أن نصرف وقتنا بهذه الشجيرات وأحوال الأهرار .

وعلمنا كنا نركب المنطور عاتدين في اتجاه القاهرة ومع كل منا باقة كبيرة من الورود ، وأينا الشمس وهي تغرب داخل حائل وردية باعثة والسحب الذهبية ، والليل يتدفق مثل فدير من البور البائل ، وأنطولا من القوارب الشراعية متجها إلى بولاق . تسوقه سبة من ربح الشمال ، وقد أصبحت هذه الأفرعة الانسيابية ذات أصيلة بالقة بالنسبة لنا حيث أثارنا مشاعرا بالفعل ، إذ أننى أحرب هذا الاكتشاف المظير حتى آخر لحظة - لأننا كنا سسدا في اليوم التالي رحلتنا التالية .

وهذا هو السبب في أنني استطعت في وسط وحام هذه المناظر الجديدة والمخلصة أن أتذكر تماما القوارب وكافة الأحداث المرتبطة بهذه الأيام الأجمري ، وقد كانا آخر يومين قضيهما بالقاهرة . وكان علينا أن نرحل صباح اليوم التالي وهو السبت الموافق ١٣ من ديسمبر على ظهر دهبية ترسو الآن عند البوابة الحديدية في بولاق . وسسنا هذه الحبسة ثلاثية الضربة التي كنا ننتظرها متفسمين بالكثير من الآمال والمخاوف ، والتي كنا نتطلع إليها من خلال العديد من المتاعب التمهيدية .

ولكن المتاعب انتهت الآن واستقرت كل الأمور ، بالرغم من أن ذلك لم يتم بالطريقة التي أردناها من البداية ، لأنه بدلا من قارب صغير استأجرنا واحدة من أكبر المراكب العاملة على صفحة النيل . وبدلا من اللهاب بمفردها قررنا أن نلقى في مركبتنا بثلاثة صانحين آخرين ، كان أحطهم قد تعرف بالكاتبة حديثا . والأحتران صديقتان لأول ، وكانوا حينما في طريقهم خارج أوروبا ولم يتوقروا أن يتسوا في القاهرة أسوبا آخر . ولم يعرف عنهم شيئا سوى أسمائهم .

وقى نفس الوقت كانت الكاتبة وصديقتها فرغيان في نابير اللحية  
بمجردهما . وكانتا على وشك الإبحار منذ عشرة أيام سابقة . ولم تصلنا  
الإبحار إل أبعد من الروضة ( وهي المحطة النهائية التي تصل إليها سكة  
حديد النيل ) وهناك تنتظرن وصول بقية الفريق - والآن فإن الروضة  
تقع جنوب القاهرة بمسافة ساعة مائة وثمانية عشر ميلا . وقد حسبنا هذه  
الحسبة لتقدير المسافة اللازمة لمساعدة أحرام سفارة ومحاير طرة ومقابر  
بنى حسن وكهف التمثال الصلاق . وذلك قبل وصول السباح المراهقين .

وقال العرجاني : « تعرفان أن ذلك يتوقف على الريح » . قال ذلك  
وهو يتشمس ابتسامة رزينة . لقد عرفنا أن الأمر يتوقف على الريح .  
ولكن ماذا بعد ذلك ؟ أنهم يتعرضون في مصر أن الريح تهب دائما من  
الشمال في هذا الوقت من السنة وبذلك يصبح إقامتنا عشرة أيام كاملة  
تتصرف فيها كما نشاء . وكان من الواضح أن الملاحظة خارجة عن  
الموضوع .

## الفصل الثالث

### من القاهرة إلى البوشين

بعدنا بالرحيل بأسرع ما يستطيع الجواحد الأشهب الهزيل أن  
عملانا - بعد زيارة سريعة قضا بها إلى بعض المحلات القريبة ، لشراء  
الأشياء التي تذكرنا بما هي آخر لحظة - وجمعنا ونحس مقلوع الأنفاس  
طريفا عذبة . وبعد أن أدبنا بعض نحيات الرخايع المتسجلة على سلاسل  
المنطق - ذلك أن كل لحظة لها قيمة في ذلك الصباح - كنا متأخرين حيث  
أبنا ننتظر حضور بعض الزوار وقت الظهيرة للنداء على ظهر للذهبية .

وكان يجب علينا الإسراع بالذهبية في الساعة الثانية بعد الظهر  
حتى يحقق لعلنا في الوصول إلى بولاك قبل فتح الكوبري الذي نسير  
خلاله إلى الضفة الغربية حيث ترسو ذهبيتنا لزيارة البوشين التي  
نقصمها ، وحتى لا نشعر بالغبية إذا وصلنا في تمام الوقت المحدد  
لفتح الكوبري ومشاهدة أول صار طوليل يمر خلاله .

وعلى كل حال فإنه عندما لاحظ أولئك الذين يراقبوننا علامات طلب  
للمساعدة إنني أطلقناهما ، أسرع البنا صندل رشيق أو غلوكة زاهية اللون  
كما يسمونها . كان مهيلا بالبطاطين والوسائد ، يقوده خمسة من العرب  
الباسمين راضين علما برحلتنا صغيرا لاهما . وكان الصندل يمشي طريقه  
بعض الصنادل المتراخية في مشغل الكوبري . وبعد عدة دقائق مسارات  
ذهبيتنا لأن هذا الصندل كان ملحقا بنا وهؤلاء الخمسة من محاربتنا .  
وفي بين الذهبيات الثلاث التي ترفض هناك في ظل أشجار النخيل ، كانت  
ذهبيتنا الغربية التي لا تنمي واسمها « بيلة Pila » هي الأكبر  
والأحسن استمالة .

وكانت ترسو خلف قبلة ذهبية أخرى تسمى بايسوتز وهي ذهبية  
صغيرة لطيفة لسيدتين انجليزيتين تصادف أن كانتا يجران معنا في  
الركب « سيملا » من برنديزي . وقد رأيناها مرات عديدة هنا جلينا

متبرها حينذاك بمثابة صديقتي قديمتي في أرض غريبة . وسأطلق عليهما اسم م ، ب . أما الذهبية الأخرى التي ترسو أمامنا على بعد عدة ياردات فهي تحبل العلم الفرنسي ومؤجرة لعدد من الوجهاء الفرنسيين . وكان من المقرر أن تبحر الذهبيات الثلاث اليوم . نحن الآن على سطح السفينة وقد سلمنا على القبطان وأفضلنا مثل النحل، فقد كانت الكيائن هي حاجة إلى الترتيب ، والأذهار في حاجة إلى التلميق . كما كانت هناك مئات الأشياء الصغيرة التي يجب النظر فيها قبل وصول الضيوف . ومن المضحك تصور مدى ما يمكن أن تفعله بعض الكتب والورد والبياض المختوح مع لوحة أو اثنين من اللوحات المرسومة باليد . وخلال دقائق قليلة زالت النظرة المكدودة للرحقة وبغت الذهبية فيلذ ذات الطلعة البهية داكنة مثل البيت . كما لو كانت مشغولة بسكاتها منذ شهر وذلك قبل الإعلان عن وصول أول القادمين .

أما عن الغداء فين فلاك أنه قد أجهز مقدما العملية فكلنا أدهش ضيوئهم حيث كل يتمثل في عرض مسابق الترتيب ، يتم الايجابه بالترنيمان والطباخ ، كان يقبه كثيرا غداء عيد الميلاد ( الكريسماس ) بأعط التكلفة أكثر منه وجبة متوسطة وسط الدوار . وجلسنا حوله بلا تردد لمدة ساعة وثلاثة أرباع الساعة عنفما صقلت أسباعنا طلفات نارية جهلتنا تجري على سطح الذهبية ، وأضاعت تحولنا شاملا لصالحنا . كانت الذهبية الفرنسية تملن عن إبطوعها وقد بسطت شرائعها الكبير وسرحت في شكل يحير عن الاكتصار .

وأحس أن نكون نحن ركاب الباجستونر قليلة . وقد كنا مجرود سيطات انجليزيات . قد عجزنا عن مواجهة الاحساس بالكليل من الجهد ضفنا وجدنا أن الذهبية الفرنسية قد رحلت في البداية ، ولكننا شعرا بالاذتيانح عندما عرفنا أن الفرنسيين كانوا في طريقهم إلى أسوان فقط . وهذه هي روح النيل . لن نكتب للذهبيات يحترقون سباح توماس كوفي هؤلاء الذين يقصون الشلال الثاني، بينما ينظرون بسخط عتيق نحو هؤلاء الذين لايتد طوحهم إلا إلى الشلال الأول فقط . أما السباح الذين استأجروا مركبهم لمدة شهر قاهم يتكاولون بأصنافهم أهل من هؤلاء الذين تصالوا على الرحلة فقط . أما نحن الذين تماثلنا على المضي إلى المسافة التبر لريدينا ولغة التي نرضيها ، فقد كنا في موضع الافتخار . ولذلك سأنسأ الفرنسيين . ونزلنا مرة أخرى إلى الصالون وتناولنا القهوة على أنغام الجوزيكي .

وكانت الساعة قد بلغت الثالثة تقريبا عندما ودعنا أصحابنا الذين أتوا من القاهرة ، ثم عادت السيدتان م ، ب وابن أختهما ، وكانوا ضمن الزائرين ، إلى مركبهما واستعد كل من البطانين للإبحار منه صغور الإشراف لأن السيدتين م ، ب قد اتفقتا معنا على الإبحار معا ، والرسو معا ، والبقاء معا على مدى الرحلة عبر النهر بقدر الاستطاعة ، ونسى الآن نغمس بالسباحة عندما نتذكر هذا الاتفاق الودي ، الذي تم تدفيله حرفيا حتى وصلنا إلى أبي سبيل ولم نخرج عليه مقلما يحدث دائما في مثل هذه الاتفاقات ، نرى أنه قد استمر معمولا به لفترة جيدة أسابيع شاقة ، ولساعة تتجاوز ثمانمائة ميل .

وأخيرا تم تعداد كل شيء ، وانزلت الخطة التي طلت لنظر السطح العلوي طوال النهار ، ووقف البطان على رأس الدوح ، كما وقف موجه الخلة أمام دفته ، وحمل الفريقان بنقلية المخطوطة ، ولوحا يتبدل لمعرفة ما إذا كانت المركب باستتور قد استعدت من عدمه - وجاء الرد بالإيجاب . فلهذا تم حل حبال المرساة ، كما دفع البهيرة المركب بعيدا عن الضفة . وأطلقت البنادق طلقاتها ، ست طلقات من قذيفة ، وستة أخرى من باستتور ثم طفيئا وقد امتلا شرابنا الضخم بالهواء .

ما اسمك المسافري في النيل الذين يدفعون رحلتهم مع التسييم العلوي به ظهر يوم وغدا ! وشئت المركب التسمية طريقها في سرعة وكثبات . وأخذت الصغور والمدايق التي حل جالسي النيل تنالاً ثم تتوارى خلفنا . كما أخذت لياب ومآذن القاهرة تتباعد بسرعة من الأنظار ، وأخذ قطع الكلفة وخواب الحصن التي يطل عليها من فوق الضفة الجبلية لتضمحل كلما أبعدنا ، بينما طلب الأهرام كلف حادة وظاهرة .

لما نحن قد جلسنا على السطح العلوي المؤكدة بالكراسي المريحة والمفاتيح والبطانين الأجنبية مثل مقصورة في الهواء الطلق ، وأخذنا نستمتع بالنظر الطبيعي ونسى في حالة الاسترخاء ، ومن هنا يدفع الزاوي متعبا والصفتان صلبتين ككتفين عن حالة جديدة الانحدار من القسي المنهار بجوار مجرى النهر . وظهر حزام طويل من أشجار التيفل ، وزراعات واسعة من القمح الحديث الإنبات ، ترتفع سيقانه من سطح الأرض بوعاء أو بوستين ، ومجموعات من البيوت المبنية بالطوب اللبن يفصل بينها أحيانا لبة صغيرة ظليلة بالجير أو مثانة عالية كتعب أحداها من الأخرى على جانبي النهر ، بينما تمتد الأفق من اليمن والشمال صانوف

طويلة من خلال الحجر الجيري التي يرقده بين طبقاتها ظلال دقيقة يمتدح  
فيها اللونان البنفسجي الشاحب والأزرق بشكل لا يمكن التمييز عنه .

وهكذا نضى الأسيال وقترن شيئا فشيئا من طرة . وهي قرية  
طينية كبيرة ذات شكل جديد ، كما أنها أول ما نراه على حدة البعد . إن  
بعض المنازل مبنية بالحجر ، والقليل منها له موائد رملية . ويبدو أن  
الكثير من هذه المنازل لم يتم بناؤه بعد . وهناك ضلع واسع من الحجر  
الأبيض يفصل القرية عن الجبال التي تزخر بالمعاجر حلقها . والجوانب  
التي تكشف من كافة الأطراف والشقوق . وهناك صخرة عظيمة يبدو أنها  
قد شقت طويلا لمساعدة تصل إلى نصف ميل . وعندما تصادق شقوقا  
جديدة يرى الحجر الجيري يبرز منها لامع البياض . وقد تكونت المنحدرات  
الطويلة من الانقاضي اسمع الصخور اللامعة مثل أكوام الثلج التي تلعب  
تحت أجنحة الشمس . ولكن السطح الخارجي للجبال يميل إلى اللون  
الأصفر المشرق بالسحرة مثل الأهرام . أما أكوام الكتل الحجرية المقطوعة  
التي ترفد مكسبة بطول الضفة والمجهزة للنقل فإنها تبدو كما لو كانت  
من الملح وليست من الحجر . وهنا يرسو أسطول كامل من قوارب نقل  
البضائع ، محملة أرباط تحميتها . ويرى سلسلة طويلة من العربات  
التي تجرها البغال وهي تقضي دعابا وإيابا بطول الطريق الممتد من جانب  
النهر إلى المعابر .

إن المادة المستعملة في بناء كلفة الموانئ الجديدة بالقاهرة زهر  
لصور الخدير ، والمباني الحكومية ، والفيلات الحديثة الجميلة ، والسور  
الجديدة اللامعة ، والسباح والأرضيات المبلطة للفسحة ، والمقاهي ، كلها  
تأتي من هذه الجبال . تماما كما حدث بالنسبة للأهرام منذ أكثر من  
سبعة آلاف عام مضت . وكان من الممكن أن تساعد مفاصل قرعونية  
ومفصلات منحوتة في إلقاء أجزاء المعابر ، إذا تولفنا هناك خلال هذه  
المرحلة المبكرة من الرحلة . ويتحدث شامليون عن خطط خارجيين عظيمين  
مرمومين بالحجر الأحمر على الصخرة الكبرى بين أحد المسئولين عن البناء  
أيام الفرانجة . وهي صخرة لم يكن قد بدأ تطعيمها بعد . وتصل إلى  
نهاية القرية حيث توجد كتلة عسكرية حديثة مبنية للمساحة وميناء  
يسمح معابر بالسبحار الجمير والعتق .

والآن ، ومع انقضاء فترة بيد الظهور يصل إلى غاية متسعة من أشجار  
المنخيل المغطاة على الضفة الغربية ولعل أن خلفها وادي منف وكالفة  
مجاشر ضيقة ، بالرفق من أنها لا تبدو ظاهرة للعين . ثم تقرب الشمس



حلب ثلال الصحراء التريية ، وتقف أشجار النخيل بلونيهما الأسمر والبيروني مقابل السماء الذهبية . أما الأحمر فتظهر رمادية على البعد خلفنا . والآن وقد حل النسق وظهرت النجوم ، فقد رسوما لقضاء الليل عند البعوضين وهي أقرب نقطة لزيارة سفارة . وتوجد هنا محطة للسكك الحديدية . وقرية كبيرة ، تقام هنا كلتاسيا حلب النهر بمسافة تقرب من صعب الميل . أما المسافة إلى القاهرة والتي تقاس بخمسة عشر ميلا على الأرض فمن المحتمل أن تصل إلى ثمانية عشر ميلا في الهر . وكان ذلك هو أول أيامنا على صفحة النيل . وربما وجب علينا قبل أن نضي من رحلتنا إلى أريد من ذلك أن نصف الفصحية خيلة ونتمرف على الرئيس حسن وطلقة .

إنها ذهبية تبدو للوحة الأولى مثل لفتى مدني أو خاص بجامعة أكسفورد أكثر منها شيئا بالركاب التي تعودنا عليها في إنجلترا . إنها مسجلة العمق عريضة القاع . وقد جهزت أما للأبحار بالشراع . أو بالتجديف . وبها صاريان . الأكبر منهما بالقرب من المقدمة ، والأصغر عند المؤخرة . أما القدرات فهي على السطح وتحتل القسم الخلفي من السفينة . ويشكل سطح القدرات السطح العلوي للسفينة أو المصورة التي في الهواء الطلق والتي إثريا إليها من قبل . ويصل إلى هذا السطح العلوي من السطح السفلي بواسطة سلم من درجتين ، وحده هي المبطلة المخصصة للمسافرين . أما السطح السفلي فهو المنطقة المخصصة لطاقم السفينة . وهي في الطبقة لا تشبه سفينة روح التي لتذكرها منذ الطفولة نظرا لوجود فارق ، هو أن الجره المأهول يقع كله في طرف السفينة وليس في وسطها ، وهو مرتفع ومرود أيضا بالثوالة ، بينما السطح الأمامي لا يتجاوز ارتفاعه ستة أقدام فوق سطح الماء . أما غرفة القيادة فتقع تحت السطح السفلي وبذلك يحدث التوازن في الطرف الآخر . وليست هناك ضرورة لتذكر مقارنات أخرى ، ولكني أقول أن اللهبية الكبيرة تذكرني بالصورة القديمة لسفينة القراصنة خاصة عندما يجلس الرجال إلى صناديقهم .

لما المظيح الذي هو مجرد سفينة فائه يلبه القرن الأثاني من حيث الشكل ويشتمل على فون يعمل بالثلم البياوي وصف من أوعية للطبخ ذات الانعطية ويضم بين الصاري الكبير ومقدمة السفينة مسيدا عن قمرات الركاب بقدر الاستطاعة . وفي هذا الموقع يحتوى الطباخ من الرياح الواوية داخل سفينته . أما في حالة الرياح العكسية فإن هناك مظلة تعجبه عنها . أما كيف يستمتع هؤلاء الرجال حتى في أحسن الظروف

المراية إن يقوموا الوجبات الفاصدة التي تتميز بحصرة الخليج الذي في قلب النيل . فإن هذا خير للعصف بما فيه الكفاية . ولكن ليف يحتفون نفس استخراج عند حبوب الواصف المادية أو الرملية عندما تكون كل سمه محملة بجات الرمل الدقيقة فهذه فعلا هي الحجرة . وتشابه جميع الدهنيات في حين يختلف ترتيب القدرات حسب حجم المركب . وعلى القاري ان يتذكر أنني وأنا أصف فيلة إنما أصف ذهبية من الحجم الكبير حيث يصل طولها من الكتفة الى المؤخرة الى حوالى مائة قدم ، كما يصل عرض سطحها العلوى في أقصى أجزائه الى حوالى العشرين قدما . أما قمرتنا التي نختص قليلا عن سطح الرجال ، فإنها نجعلنا نهبط ثلاث درجات الى باب السلول الذي كان يقطن دولابا حائجا على كل من جانبيه ، يستخدم أحد الدولابين كمخزن بينما يستخدم الآخر لسفط أدوات المائدة . ويقود هذا الباب الى سر تنفتح عليه أربع قمرات للنوم بمعدل اثنتي على كل جانب ، تبلى مسطرة كل من هذه القمرات ثمانية اقدام طولاً وأربعة اقدام عرضاً وتحوى كل سرير وكرسى وحوض ثابت للاغتسال ، ومراة معلقة على الحائط ، ورف ، وصنف من الخطاطيف . ويرجى تحت كل سرير درجان كيران لسفط الملابس . وعند نهاية هذا الممر يفتح باب آخر يقود الى قاعة الطعام التي تتكون من حجرة بهيجة واسعة يبلغ طولها حوالى ثلاثة وعشرين أو أربعة وعشرين قدما ، وتقع في أقصى جزء من جسم المركب . ويغسل اليها الضوء من أربع نوافذ في كل جانب وطاقة علوية . أما المواقف المنقطة بالألوان الغشبية والسقف فقد كانت جميعها مطلية باللون الأبيض المحاط باللون الذهبي . ووضعت بطول كل جانب منها أربعة منجدة مغطاة بقميص من الصوف المتجه على كل من الجانبين . أما الأرضية فتغطيها سجادة جميلة من بروكسل . أما مائدة الطعام فقد وضعت في وسط الغرفة . وكان هناك أيضا فراغ فسيح للبيانو وخزانة حسيديتان للكتب مع العديد من الكراسي . أما ستائر النوافذ والأبواب فقد كانت من نفس النسيج المنقطة به الأريكة . أما الألوان الغالبة فهي القرمزي والبرتقالي . هذا بالإضافة الى الثنن من المرايا داخل أطران مطلية بماء الذهب . وعلى المائدة زهرة تحمل الأزهار ( لأنه نادرا ما اتخذنا الأزهار من أي نوع حتى في النوبة حيث كانت الباقة اليومية تقدم اليها مع بعض أزهار القول الأخضر وحبوب الخروع ) وقد وضعت في أحد الأركان كبة كبيرة من الكتف والسنداق والصلى . وقد علقنا قبضات المجموعة كلها في الفراغات التي بين النوافذ فكان من السهل أن نتمرف الى الظاهر المنزل الذي تميزت به حجرة المقيمة .

وهناك باب وممر آخرى محتوجان من مؤخره الصالون يتودان الى ثلاث نبرات اصغافية للقوم هنما اثنان يسرى واحد في كل منهما والثالثة بها سريران . وهناك حمام ودرج صغير يقود الى السطح العلوى وصالون القدمرة التى هى مؤخرة السفينة . وهذه الأخيرة تشبه المؤخرة من حيث الشكل نصف العائري ، ويسهل اليها الضوء من ثنائى نوافذ وتكتنفها لاريكة . ويوجد تحت هذه الاريكة والأرائك الأخرى التى فى الصالون صف من الأندراج العميقة التى قسمت بالتساوى لوضع ملابسنا وببديها وكتيبا . ولا كان طول الذهبية يبلغ مائة قدم بالتصام فان الجرس المثلثون بالقمرات يصل طوله الى حوالى ستة وخمسين او سبعة وخمسين قدما ( أى أنه يبرء من النصف بحوالى ستة فو سبعة أقدام ) أما السطح السفلى فان طوله يصل الى الثلاثة والأربعين قدما المائقة . ولكن هذه الأبعاد تقريبية لأنها مقبولة من الذاكرة .

وكان المظلم يتكون من الرئيس او القبطان ومدير المذلة والاملى عشر ياحارا والترجمان ورئيس الطباخين ومساعده والذين من الجرسونات ، والولد الذى كان يطبخ طعام البطيرة . وكان الرئيس حسن قصير القامة وصدام النظرات ومتسلط الهيئة وهو من العرب الذى يعيشون فى القاهرة .

أما الترجمان الياس تلحمى فكان سوريا من بيروت . أما الجرسونلى عيلىل وحبيب ورئيس الطباخين ( كان عجوزا مجعدا نلوجه ويلبس وشاحا أزرق واسمه حسن يدوى ) فهم أيضا سوريون . أما موجه المذلة ومعه خمسة من البطارقة فقد كانوا من الأقصر ، قرية منهم ينتمون الى مكان قريب من قبة والآخر من قرية مواجهة لمدينة كوم امبو ، ويحارب من القاهرة . واثنان نوبيان من أسوان . وكانوا ذوى أجسام مختلفة الألوان . تتراوح ما بين البيرى والذى الأزرق ، الى لون يقرىب من الأسود ، ولا أجد لأولى وحلة ما أقوله عن كل منهم سوى أنه يحارب وليس صديقا وعصاة ، ولكن هؤلاء الرجال وهم يرتدون عبائهم الزرقاء المختوشة ، حلة الأقدام . وعبائهم المختوشة من قماش المرساتى الأبيض لم يكن منظرهم جذرا بالتصوير فقط . ولكنهم كانوا يرتدون للاباس التى يجب أن يرتدوها . وكانوا فى الغالب شبانا ذوى أشكال وصيفة ، أجسامهم تعينة . ولكنها

دوبه ، وأكلهم مريه مثل مايق قعداء المصري ، ولهم بعض السعدان  
 الرعيه والافندم الطويله لظلمه - وكانوا ذوي طباع ليده ، شيطانيه ،  
 وملاوكم حس ، ويشعرونك بأبهم أصقاء - لم يجذب احد منهم مجددا .  
 وكانوا يهذيرون بالنفقه مثل الاطفال - وقنوعهم مثل النسلك ، وكانوا  
 يعملون يفرح من شروق الشمس الى مغربها - انهم يجدون النحرية أحيانا  
 بحبل طوال النهار مثل حيول الجبر - وأحيانا أخرى يدعون المركب يمضا  
 طويته عدة ساعات - وهذا اصعب الاعمال ، ولكنهم في جميع الأحوال  
 يعملون أثناء العمل ، وهم دائما لا يتسلخ كلما تصدلت اليهم ، ويظهرون  
 بسطهم الأمل السعيد عندما يتألون سلفة من الفئان المصري الخشين ،  
 أو حرة من لواء القصب التي تباع بقروش قليلة على جانب النهر .  
 وسرعان ما عرفت أمسامهم جيما وهم صمد على ، وصلاحة ، وحنيقة ،  
 وروق على ، وحسن ، وموسى - وهكذا - لم ينزل أحد منا الى الشاطئ  
 دون أن يصحبه واحد أو اثنان منهم للحراسة وتلبية الطلبات ، وكانوا  
 مثل سائر القفره أيديهم ورجلهم زرقة بسبب كثرة الاستعمال ،  
 ويظهرون ألبنا في السطح العلوي لملاجئ - وسرعان ما نشأ أحساس  
 بالصفاة بيننا وبينهم .

والأجر المعتاد للبحار الذي يعمل في الليل هو جنيهاً شهرياً مع  
 بدل اضافي يبلغ ثلاثة جنيهات وسقة بسفات لغراء البقيق - والخبر  
 هو شذوذهم الرئيس ، وهم يصنعونه بأنفسهم في أماكن معينة بطول النهر  
 حيث توجد لهذا الغرض أفران عملة ضخمة - وهذه الخبر الذي يقطع  
 الى شرائح ويحطب في الشمس لونه مثل كعكة الرميجيل وصلابته  
 مثل صلابة السكوكيت - وهم يأكلونه منقوعاً في الماء الساخن مضافاً اليه  
 شوية اللبن الكثيفة - وفيما عدا المناصب الكبرى مثل عيد الميلاد  
 ( الكريسماس ) أو حيرة الرسول ، وهي لمناسبات التي يقدم لهم فيها  
 المسافرين لحم الخراف ، فانهم يتناولون هذه الخلطة المكونة من الخبر  
 واللبن ويشربون معها القليل من القهوة مرتين يومياً ويتناولون بين حين  
 وآخر سلفة من البلق - وهذه هي مكونات طعامهم طوال الرحلة - إن  
 موسم نصفي الليل هو فصل الصيد بالنسبة للبحارة الذين يعملون في  
 النيل حيث يبدأ المناخ الحار ويرحل السياح مع مصفون السمون المهاجر ،  
 حسنة جشتت هؤلاء البسطه في كافة الاجتماعات - بعضهم يبحث عن  
 روقه في القاهره كجمال ، والآخرون يرحلون الى موطئهم في مصر الوسطى  
 والعليا حيث يتم امتحانهم كجمال بحوالي أربعة بسفات يومياً - أو  
 يعملون في تشميل القنادوف لكري حتى يعود النيل فيفرق الأرض مرة  
 أخرى - لما تشميل الشادوف فهو عمل شاق وعلى المائل أن يستمر

فيه على معنى تسع ساعات كل ٢٤ ساعة ، ولكنه يفضله من الصل في مصابح السكر الحكومية حيث يصل متوسط الأجر الى ثلثي التسمية ولكن العامل يفضيه في شكل خبز متواضع يقدمونه له كصدقة دون مراعاة لصوت ضمائرهم ، لأنه طفيف الوزن وذي الصنم ، أما البحارة الذين يجنسون عملا في مراكب تقل اليضالع مئة الصيف لهم أوغرمم حظا .

وكان اللطبان وبطارة الذهبية جميعا مسلمين ، أما الطباخ ومساعدته فكانا مسيحيين من سوريا ، أما الترجمان والجرسونان فكانوا مسيحيين ناصيين للكنيسة اللاتينية السورية ، وكان هناك واحد فقط من هؤلاء المواطنين الخمسة عشر هو الذي يستطيع القراءة والكتابة وهو يحل اسمه الجندي كان يحمل مساعدا للبطان ، وقد تمرد أن يكتب أحيانا خطابات زملائه الآخرين فيمسك لصناعة من الورق يلقيها حول ايهام يده اليسرى ويشغبط حروفا عربية بدائية بقلم من البوص صنعه بنفسه ، وبالرغم من أن هذا الشخص المسمى الجندي هو أقل البحارة أهمية إلا أنه كان رجل الجاذبات ، فهو ممثل كوميدى جيد ، وله دعاية بإصلاح الأخذية وحلاقل من الدرجة الأولى ، وقد حلت أكثر من مرة عندما نرسمو بعيدا من أية قرية أمه كان يخلق رؤوس زملائه لتصنيع ناعمة مثل كرات البلياردو .

ويوجد بالطبع مسلمون طيبون ومسيحيون جيده ، مثلما يوجد مسيحيون طيبون ومسيحيون جيده في كل طبقة ، وكان لدينا كلا النوعين على ظهر المركب ، فقد كان بعض الرجال شديدي النفوى لا ينسون الليام بالوضوء ولده الصلوات عند الفروق والغروب ، أما الآخرون فلم يحلوا بالجار ذلك مطلقا ، وكان البعض منهم لا يلبسون الخمر أو يدوتوها طوال حياتهم وكانوا مستعدين لمواجهة كافة المضائق والحرس على عدم مخالفة شريعة ليبيهم ، وكان آخرون يستطيعون مذاق النبيذ الخفيف ، ويستمدون مرأيا كأس من الروم أو الويسكى ، ولكن من العدل أن صيف أننا لم نقدم لهم هذه الأشياء فيما عدا بعض المناسبات الخاصة مثل الكريسماس أو عندما كانوا يحوضون في النهر ، أو عندما يداهم التعب في خدمتنا ، ولا اعتقد أن رجلا واحدا ممن يصلون على المركب كان مستمعا لشرف مليم واحد من إيراده الضئيل على أي مشروب بخلاف القهوة ، أن القهوة والندخان هما في الحقيقة الخصة الوحيدة التي يتلذذ بها العلام المصري ، ولم يكن استقائنا البسطة هؤلاء أكثر امتناعا مما هم عليه حيثما توزع عليهم أرطالا قليلة من الفئان الحلي الرخيص ، هذا الخليط اللطيف الذي يباع الرطل منه في السوق بمئة فلسات ، إن الذبابت الذي جمع

منه قد استجبت من بدوة ذلك وتية لدمي ، في تربة غير صالحة كيميائيا لانها حالية تناما من البوتاسيوم .

وكذلك كان هذا النخل قد نما طيفا لأساليب زراعية غير سليمة . وبدلا من قطعه وهو أحضر ثم تجفيفه في الظل . تركت الأوراق لكي تنوى على الساق قبل جمعها . والنتيجة هي ظهور نوع من القش المتعفن بدون قوة أو نكهة ، ولا يفسحه سوى أكثر الطبقات ، بينما يتجنبه كل من يستطيع شراء النخل التركي أو السوري .

وكان يمارتسا يخلصون على شكل دائرة مرتين يوميا معه الماء والشماء ويختون في وفار شيشة من النوع المعروف باسم النرجيلة . وهذه النرجيلة ( التي كانت بمثابة مصنع ومكونة من ثمرة جوز الهند المجوفة وعودين من البوص ) كانت تعتبر ملكية عامة . وبعد أن يقوم القبطان بملئها تنور من يد الى يد ومن ثم الى ثم طوال فترة استهلاكها .

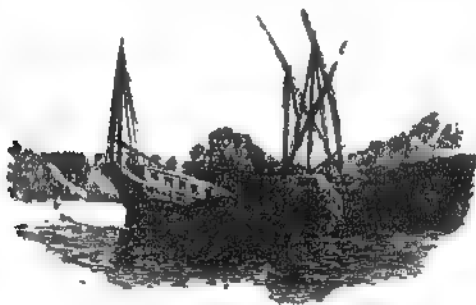
وكانوا في احيان اخرى يدخنون السجاير وبادرا ما نزلوا الى الشاطئ ، يدون جراب النخل ودختر صغير من ورق البفرة . حل تقصير أن هذا العربي البسيط يصنع السجاير ا ولا أظن أن ثي رجل فرنسي يستطيع أن يلف السجاجة بهارة أكثر أو يملأها بهذا الأسلوب الأنيق .

وتدعى حصة البحار الذي يعمل في الليل مع انتهاء الفصل . وبذلك فهو يعمل باللاحة لفترة تبلغ نصف السنة ، أما وظيفة القبطان فهي دائمة ، ولذلك فمن المتوقع أن يعيش في القاهرة ويحصل مسئولية المحمية خلال شهور الصيف عندما تكون راسية في بولاق . وكان للرئيس حسن زوجة ويبيت صغير مريح في أطراف مصر القديمة فكان ينظر اليه بوصفه شخصية موسرة بين رفاقه . كان يتقاضى أربعة جنيهات كل شهر طوال العام من صاحب قبلة وهو رجل عربي من أهل المنكبين طوله حوالي ستة أقدام وتسع بوصات ، له ابتسامة متعرجة ، وكان يتصرف تصرفات النبلاء ، بينما لم يملأه جلع فيلوك .

وفي هذه الليلة الأولى دعانا وجالنا الى حفلة موسيقية عندما كنا نجلس على الضفة بالقرب من اليمرشي ، ولما عرفنا أنه من المعتاد لاضمار الآلات الموسيقية ، سمحنا لهم بالانصراف لاضمار الطار والكديكة قبل بدء الحفلة . ولما كان الطار أو الرق قلنا جدا صمغنا من خشب الورد وعطما بريق الثؤلؤ . فأننى لا أظن أن هناك شيئا تم صنعه بطريقة أكثر

بربرية من الدريكة • مهدد العنبلة البدائية يبلغ طولها قسما ونصف القدم ، وهي تتخذ شكل القمع ، وقد صنعت من العصار المجفف في الشمس مثل القلة ، وغطيت فوهتها الواسعة بجلد الرق المقوى • وتوضع تحت الفراع اليسرى بينما يجرى النمر عليها بأصابع اليد اليسرى • ويبلغ وزنها حوالي أربعة أرطال • وكما مرغب في إضافة مرمار مزدوج أو كسجة تقوية عرف العرق ، ولكننا لم نجد بين رجالنا من يعزف على أى منهما • وعلى كل حال فإن الطار والدريكة قد أوفيا بالغرض تماما • وربما كانا أكثر ملاءمة لغنائهم الغريب دون الآلات الأخرى المتألفة البعثات •

وعندما بدأت الحفلة كما قد انتهينا لتونا من تناول الغداء • في ابدية حاص صبة طويلة نائحة ارتفعت وصطت ثم ارتفعت مرة أخرى ، واصبحت على النهاية • وكان ذلك هو صوت المنفى الرئيسى الذى ينفذ العرق متوافقا مع النغمة الافتتاحية • أما النغمة الثانية فكانت متناسمة مع المفتاح الثالث • وأخيرا توحده الجميع في صيغة طويلة حادة تشبه التثؤب أو الواح أو مريحا من الاثني • وتكررت هذه الصيغة مرتين كقسمة للعرض قادتهم بوصوح الى التحول الضرورى للحساس الموسيقى •



مراكب محلية الصنع

ثم انطلق المنفى الأول صاحب الصوت السيور ليقود التتابع الصوتى المرتفع الذى ابرلق بعده الى الصاء الحزين ، يسما تحول الآحروب الى كورس • وبعد خاتمة كل فقرة كانوا يتشابهون ويوحون مرة أخرى • وكما انطلق المنفى هم أحاسيسه ، توقف بين حين وآخر مرددا نفس

الدور الصوتي الذي لا يمكن وصفه والذي بدأ به القراء . وعلمنا كان  
يعمل ذلك ، كان الآخرون يمسكون أكتافهم بأعقاب محبوب بالاحترام .  
ويتسمون بكلمة الاستحسان قائلين « آه ! » وهي امتيحية للتعبير عن  
الاستحسان .

وانذكر أننا في هذه الليلة الأولى حسينا موسيقاهم لطيفة رغم أننا  
عند انتهائنا أحسستنا مثل كل المسافرين بأننا قد أحببناها . وقد  
شكرناهم على كل حال لمضوئهم إلى سطح السفينة واتاحة الفرصة لنا  
للاستماع إلى العرض الذي قدموه . أما من جهة جمال المنظر ليلا ،  
فلا شك في أنه لا يوجد منظر يستحق التصوير أفضل من منظر هذه العرقة  
من العرب المبحرين الذين يجلسون للترفيه على شكل دائرة ، واضمح  
بصباحا في وسطهم . بينما للفن يرتش صوته . والموسيقىون ينفرون  
بأصابعهم ، والباكون يصفقون من حين لآخر منتظرين دورهم للدخول مع  
الكورس . وفي نفس الوقت إضاءه للصباح وجوههم السمر ، وأسنانهم  
المتألقة . وكان الصاري الكبير يرتفع في الظلام كالبرج . ولمح ألوان من  
أسفل . وبرقت النجوم في أهل . لقد أحسستنا بالفصل أننا غرباء في أرض  
غريبة .



## الفصل الرابع

### سقارة ومنف

عند وصولنا إلى البدرشين، بعد حلول الظلام والرمو هناك قضينا  
ليلة ، استيقظنا صباح اليوم التالي مبكرين على صوت شجار وثرثرة  
تريية صادرة من حوالى حسين أو صديق رجلنا وولدا ، كانوا متجهين  
على الضفة المرسعة مع عشرين أو أربعين حملا في ثديية خضنة واشكال  
كثيرة . لقد رأيناهم ونياهم البالية تتطاير مع الريح بينما تتحرك  
أذرعهم وصيقاتهم البنية اللون في حركة هتاجة كما لو كانوا فضيلة من  
الحجير الثائرة وقد انطلقت من عقابها . وكان دبرهم يرتفع مع كل  
حركة بينما يترايد في كل لحظة عدد الرجال ، والأولاد ، والنحير حتى  
بدأ لنا أن بعض محطات الارسل الجديدة تبث الأولاد والحجير الذين برزوا  
سرة واحدة لمفتمتنا .

ثم ظهر ابن تلحمي الذي كان يعرف أن قوائنا المسلحة تحتاج لشااية  
حمير ، أرسل إلى القرية طالبا خمسة وعشرين حملا وفي لفته أن يختار  
المضاهي ويصرف الباقي من منطلق الحكمة وليس العمل ، فكانت النتيجة  
عاصفة . لقد خرج كل رجل وولد وحمار في البدرشين والقرية المجاورة  
إلى النهر وقد ضللتهم جملامة الأمر فاستعجبوا أن جماعة السياح الثابة  
لتوماس كوك قد وصلت . وعلى ذلك فانه عند الانتهاء من الاقطار كان  
لدينا حمير كافلة وعلى استعداد لنقل جميع الانبيطز الموجودين بالقاهرة .  
وسأناجمل الفروشاء التي تشبهت عنقها وركبت جميعتنا في النهاية أحسن  
شاة حبر ومهتت تاركة الزحام الخائق لكي يلفس على سهل .

والآن ، فإن طريقنا يقع على مسطح متررب عبر خط السكة الحديدية  
خلال القرية غير المنتظمة الشكل طويا . وخلال المزارع المشهورة المعروفة  
باسم نخيل منف . وكان هناك على اللحظة الصغيرة المظلية بالجبر الأبيض

حشد من الفلاحين المكفودين بسبب طول انتظارهم للقطار ، ومن الباعة الفوغاء المصادين الذين يبيعون الماء والخير ، وباعة المأكلة ، وتبدو البندوشى ودعامة مستكية في وسط أشجار النخيل المهيبة بالرغم من أنها مجرد مجموعة من الأكواح الخيشية الباهية ، وتنتشر على مسافات بين الأكواح أبراج المسام المربعة التي تحيط بقمتها طبقات من القصور ذات القوالب الواسعة وقد امتلئت إليها صفوف من المصانع أشجار الأثل غير المورقة مثل صواري الأعلام الممزقة ، بينما الحمام يصل ويخرج من القصور أو يخرج على الأصنام ويسوي ريقه يساقطه ، وعند مرورها كانت الكلاب تدفع نحوها وهي تنبح بجنون ، بينما يصير خلفها الأطفال الصغار ذوو الوجوه البنية الفوق وهم يصيحون « يفتيقي ا » ، وكانت الأوعية النحاسية والفلز (١) المصنوعة حديثا من المصانع الرمالى الناعم والمصقوفة في صفوف تنتظر أن يتم حرقها في القوس وقد وقف صانعيها ناظر اليهم يحسبون فيما لو كان لم يصادف أوريا حتى هذه اللحظة وكانت زوجته تمشكها بقلعها وتجبج حجابها على وجهها خوفا من العير الشريرة .

ويبدو أن تركنا القرية خلفنا جسنا خلال غابة بعد أخرى من أشجار النخيل ، والآن نحن نسبح محاذين لحدود مسيجة كبيرة من يركة هائلة مسجدة النهر ، أما ولد راينا لمحة حاملة من إهرام الجزيرة البعيدة بينما نحن نمر بين الروابي غير المنتظمة من الطين المتداعي الذي يحدد منطقة متف ، فقد وصلنا بعد كل ذلك إلى طريق مرتفع بنا يحرب من عشرين نفما فوق السهل ، يصير الماء في شكل جسر وينتشر مثل بعبرة واسعة ويصرف آخر موجة من الطين ذي اللون البني الخاق مقابل الصخور الصفراء التي تطفد طرف الصحراء ، وتلف مجموعة من الأهرام مرتفعة فوق الهضبة الجرداء ، وتظهر للمرة الأولى في شكل خط علوى متصل . أنها أهرام سفارة التي تقع أمامنا مباشرة . أما أهرام دحشور فهي إلى يسارنا وأهرام أبي صير إلى اليمين . أما أهرام الجيزة الضخمة فهي تظهر دائما على أقصى اليمين .

(١) الفلذ هي موزق للماء مصنوع من طين الليل المجفف في الشمس ، وهي تصنع من كافة الأحجار في مجموعة رائعة من الأشكال المختلفة وتراوح لمن الواحدة منها ما بين ربع باس إلى اثنين من البندوش .

وقد ينظر القاريه انه يسيرا يسيرى المنظر على الكتف من الرنايه فانه يوجد به القليل فقط من الجمال ، ولكن على العكس فهناك جمال من نوع رفيع الخفى والروعة - انه جمال فائق يظهر فى الألوان والنجى والوجدان ، وليست هناك أية رنايه صواه فى المنظر الطبيعى لو فى اشكال الأهرام . وتقترب الآن من أحد هذه الأهرام التى بنى على شكل مصاطب تقل مساحة كل مصطبة منها عن المصطبة التى تحتها بمعنى أن مساحة كل مصطبة تقل كلما اتجهنا نحو القمة (\*) وهناك هرم آخر عند مصحات دمشور يقع خارج الروايعا على شكل قبة نصف دائريه ونصف هرمية مثل سفح لصر العداله فى باريس . ولا يوجد هرمان متساويان فى الحجم ، أو مبياه على نفس الزاوية ، وكل مجموعة تختلف فى تصميمها الى حد ما .

وبعد مرة أخرى الى الألوان - لا يمكن منافسة هذه الألوان بأية مادة ملونة اخترعت حتى الآن - إن صبغور الصحراء القريه التى تشبه الذهب الضارب الى الحمرة ، والألوان الشاحبه للمتجترات الرملية ، والصفرة الدافئة للأهرام القريه التى تراها من هذا البعد تتخذ حيزه رقيه فى لون الورد مثل رعره للتشمس الحمراء ، أما البحر الصام الرقيق لونه الأهرام مقابل السماء ، مع الامتداد اللانهائى لهذه السماء فى نومه لؤئويه نحو الأفق ، وهى تتحبه بلونها الأزرق المتشعل نحو النور ، والظلال البراقه ذات اللونى الأزرق الشاحب والبنفسجى ، واللون الرملى الذى يسيل الى الخضرة ، تلك الظلال التى تستكين فى أحضان مجاويف الصخور ومنحنيات التلال الرملية . كل ذلك جميل بصورة لا يمكن وصفها . ولكن والىالها ! انه من المستحيل نقل صورة منها . كما أن السهل الذى يشبه البحيرة ، مع غابلات النخيل ، وحقول القمح ، لا يشكل خلفية عاديه . وكان ذلك هو المطلوب تماما للتخفيف من وحدة هذه المسافة المتوحشه .

والآن وسنرى تتبع الخط المتعرج للطريق ومع الاقتراب التدريجى تزداد الأهرام الجديدة ضخامة ، ويرداد سطوح الشمس ، ويزداد ارتفاع درجة الحرارة . ونلتقى طابور من الإبل والجاموس والخراف البنية اللون القريه الصف . مع النساء والرجال والأطفال من كافة الأعمار . كانت الجمال محملة بفروشات الأسرة مع المصعدات والقفاس الطيور الداجنة ، وتحمل بالاضافة الى ذلك سيدتين مع أطفالهما وكهلا عجوزا حدا . أما الرجال الأصغر سنا فهم يقودون الإبل للجهة ويسر الماقون خلفهم ، ويرتفع التراب خلفهم فى شكل سحابة ، ومن الواضح أن هذه

(\*) تشير الكاتبة هنا الى هرم زوسر المربع - ( للترجم )

حجرة عائلة ناجيها الثلاثة فن لم يكن الاريمة . ولا يستطيع المشاهد أن ياقوم- تأثره بهذه البساطة المائكية التي يمثلها المشهد ، وهكذا خرج ديرايم مع الأسراب والقطبان وجيـح أفراد عشيرته إلى أرض كتمان هذه كريمة آلاف عام مضت . وهناك واحد على الأقل من أفرام سقارة هتم الذي يعتبر القسم ينلى في العالم .

أيه مركب مؤثر ويستحق التصوير أكثر من مركبتنا نحن . وأكثر عندنا من قرأتنا للتحفة بما فيها الأولاد الذين يقودون الحمار ، والحيالون ومختلف المطفلي . وهذا العدد من الأشخاص يقترب من الثلاثين ويتجاوز العشرين وكانت هناك السيدتان م ، ب وابى أحتهما ، والكاتبه وصديقتها ، وخادمة صديقتها ، وتلميذ ، وهم جميعا يركبون الحمار ، ثم أصحاب الحمار يركبون أيضا جميعا أخرى ، بالإضافة إلى ولد يسوق كل حمار مع وجود ولد آخر احتياطي لكل ولد منهم . وبالرغم من أن طراوات ملاسنا كانت مناسبة إلا أنها لم تكن متناسقة مع المنظر المحيط بنا . ولا يستطيع الإنسان إلا أن يشعر بنفس شعور هؤلاء الصبياح للمتحفي بالملايس المتضاخنة والثرية الذين يهرون بنا في الطريق . وكنا نجسد تمثالا حريبا يهيمائنا الشبيبة المصنوعة من خوص النخيل ، وأحبيبتنا الضراء ، ومثلاتنا البيضاء .

وكان جورج هو يلا منازع أكثر الشخصيات المسلية والغريبة في مركبتنا . وجورج سألني أجليري من الرب الشمال أحضرته السيدتان م ، ب معهما من غايات لا تكثير - أولا لأنه رام ماهر وسيكون مفيدا للسيد ( الفريد ) في متابعة الطيور والتعاصيح . وثانيا عن اعتقاد راسخ في مهاراته الملمة . وكان جورج شخصاً يثير الضحك بلا إقطاع ، وواسع الحيلة بلا حدود ، يفوس في الحياة العرفية كما يفوس قرخ البيط في الماء . ويلتقط الغريبة كما لو كانت لفحة الأم - ويسلخ الطيور كما لو كان محتطاً مفديا . ويستطيع أيضا أن يغسل الملابس ويكويها عند اللزوم . أنه ياخضار سالكس وغلام ومديرة منزل وغسالة ، ومراكبي أسيل ، وحارس للحيرابات التي تصيها ، وخادم يؤدي جميع الأعمال المنزلية ، كل ذلك في آن واحد - وعلاوة على كل ذلك فإن لديه طلبة مثيرة للضحك لا نستطيع أية مقابلة أو تكلم أن تؤثر فيها ولو للحظة واحدة . ويستطيع أن يلاحظ هذه المقابلة المديرة بالاحتمام في بدلة السانس التي يرتديها ، والطرق ، والأزهار ، والقمليش الذي يلفه حول رقبته ، والقيمة الطويلة وكل ما يتعلق بها ، وساقيه الطويلتين اللذين تتلوجسان في حدود بوصة

واحدة من الأرض على كلا جانبي أصغر الحجر حيا • ويستطيع الانسان بالنظر الى غنقية السيد ذات الماسورتي التي يحملها تحت ذراعه • وحيطة وجه التي تدل على حموة الانحصاب • ان يقسم بأنه هو مصر كانا صديقين منذ القديم • وأنه نشأ بجانب الأهرام منذ طفولته •

وكانت المسيرة من مزارع التفتيل الى الصحراء طويلة ومكتسوفة ولكننا احيرا وصلنا الى نهايتها • وارتقيا ذلك المنحدر الرمل الأسمر وهو يقسمه ذلك الذي يقدرك من شارع البجيزة الى صخرة الهرم الأكبر • وترتفع حافة الهضبة هنا عن السهل بسنة في شكل صف طويل من الصخور الصودية المنخفضة التي تخترقها فوهات للقنابر المنحوتة في الصخر بينما يترق المنحدر الجبلي الذي تنسلقه خلال ثغرة في الصخرة مثلما تنهمر أكوام الثلج التي فوق جبال الألب خلال ثغرة جبيلة مارلة من المستويات الثلجية العلوية •

والآن وقد نزلنا من باب الفتحة في حجرة الصغيرة القصية الضظ فان أول شيء لاحظناه هو الخليط الغريب من الأطلال التي تحت أقدامنا • ان الرائر في البحيرة يدوس على الرمل والرطاط طط • اما هنا في سفارة فان الهضبة كلها مكشحة بقطع صغيرة من كسر الفخار • والحجر الجيري والرحام والمرمر • وعظايا الزجاج الأحمر والأزرق • والظام البيضاء • وسرق الكتان الأصفر ومكسبات غير منتظمة الشكل من مادة غريبة الشكل ذات لون بني شامق نظبه الاسلنج المطف • وسرعان ما يلتفت لحدنا رأس تمثال جنازري صغير يعقون ألف ذا لون أليل • وننحني جميعا في سرعة نبش الأرض بحثا عن الكنز مبدئين الوقت القليل لأنه رغم أن الرمل مليء بالانتاخي الا أن الأعراب قد غرلوه كثيرا وبمرعى شديد بحيث أصبح لا يحتوي على شيء يستحق البحث • وفي نفس الوقت يجد أحدا شالية من زجاج بالوان قوس قزح • وبعد آخر كسرة من زهرية مهلهلة • بينما يجد ثالث قطعة ممتعة مصنوعة من بعض أنواع المعائن الصفراء اللون • ثم اكتشفنا فجأة وفي حزة لن نساها الكتابة بأية حال أن هذه الظام المتناثرة هي عظام آدمية • وإن هذه العروق الكتانية هي أجزءه من أكفان وإن هذه المكسبات البنية الغريبة غير المنتظمة الشكل هي قطع صغيرة مما كان يوما ما لحما حيا • والآن عرفنا للمرة الأولى أن كل بوصة من هذه الأرض التي تقف عليها وفي كافة هذه الروابي والتجاويف والمداخل الرحلة هي قبور انصكت حرمها •

• هذه نهاية لا تستحق الثعب ، ولكننا سرعان ما تجلدها لدى  
ملاحظة مثل هذه المناظر وتعلما أن تنقب بين القايير للتربة دون الاحساس  
بتأنيب الضمير أكثر من احساس مصابة مدوية من حشركى سرقة الجثث •  
وعندما كنا نذكر هذه التجارب التي عرولنا بها فيما بعد ، كنا نقصر  
بالحقيقة وبغىء من النعم • وكما كانت القسوة شاملة والرغبة فى  
القتاس الرفات جامحة لدرجة أننا لا أشك فى أننا لن نتراجع عن عمل  
نفسى ما علمناه لو علمت نفس الظروف • ان غالبية المسافرين سيبدلون  
بنفس هذا الاعتراف لو طلبنا اليهم • انهم يمشرون بصفة فى النهاية ،  
ثم يستنكرون فى فرع الأسلوب الذى يجرى به المفار • فهو على الرغم  
من التصريح به الا انه أسلوب وحقى - ان الذوق الذى يرسب بالمجاريير  
والتمثيل الجنارية الصغرة • سرعان ما يتطور الى شره أساليب لغوى •  
وفى النهاية ينسون تأنيب الضمير السابق • ولا يتلون حقا الفصل من  
أن يكشفوا مقبرة ويصادروها لأنفسهم •

وعلى الرغم من أننى رأيت أولا لمحرمان الجزيرة • الا أن حجم مجوعة  
أحرام سفارة - خاصة الهرم الذى على المنصة - قد أصابنى بالهزيمة •  
الهم جميعا أصغر من هرمى خوفو وسفرع • ولا أشك فى أنهم سيبدلون  
ايضا بلا أهمية اذا ما قورنوا بهرمى خوفو وسفرع • ولكن بالنظر اليهم  
وحجم فان ضخامتهم كافية ليبيان مدى روعتهم • لما الهرم الذى على  
المنصة ( وهو أكبر أحرام سفارة وعلى حرم سفرع من حيث الضخامة ) فان  
موقفه فريد • وطرازه المميز نادر • وصره قديم جدا بحيث ينسى  
الانسان الأسئلة المتعلقة بالضخامة النسبية • واذا كان علماء الحضريات  
صادقون فى نسبة القتب الملكى المنون بالهروغليفية على الباب الداخلى  
لهذا الهرم الى وثيفيس (٢) الملك الرابع من الأسرة الأولى فانه بذلك يكون  
أقدم بناء فى العالم • فقد كان موجودا لمدة تتراوح ما بين خمسمائة الى  
مئبعمائة سنة عندما بدأ الملك خوفو فى بناء حرمة الأكبر بالجزيرة • وكان  
عمره يتجاوز الألفى عام عندما ولد ابراهيم • وعمره الآن حوالى ستة  
آلاف وثمانمائة عام حسب ما أورده مانيتون ومازويت • أو حوالى أربعة  
آلاف وثمانمائة عام طبقا للنسبة التى أجراها بوكسين • وبالطبع فلن خيال  
الانسان يتراجع عند حالة مثل هذه العظيمة الزمنية •

(٢) خلا والسمواب أن لكك زوسر ثانى ملوك الأسرة الثالثة من صاحب هذا  
الهرم - ( المراجع ) •

لقد انتزع باب هذا الهرم مع الأساليب التينة الأخرى بمعرفة  
 ليسبوس والآن هو متحف برلين . أما الغليل الذى يضر النقش ، وطبقا  
 لما أورده مانيتون وهو مؤرخ مصرى كتب باليونانية وعاش فى عصر  
 بطليموس فيلادلفوس . فهو أن الملك تيميس بنى لنفسه هرمًا فى مكان  
 يسمى كوجوم . وقد اكتشف ماورييت مؤخرًا لوسا يسطى مقبرة مقبرة  
 اسم كاكيم . ولم يكن الهرم لتتوج هو أكبر الأكار الموجودة على خضفه  
 الملصقة ، ولكنه الأكار الوحيد الذى وجد شروطه على مقوشا عليه .  
 ويبدو هذا الاستنتاج مقولا .

وعلمنا يظل بناء قائلا لخمسة أو ستة آلاف عام فى مناح يساعد  
 على نمو الطحالب الصخرية والنباتات الطفيلية وكافة الملحقات الطبيعية  
 الدالة على البعد الزمني والتي تعودا عليها فى أوروبا ولكنها غير موجودة ،  
 فليس المفروض أن يكون لخمسة مئات من السنين ، أكثر أو أقل ، تأثير على  
 مظهره الخارجى . ولكننى من وجهة نظرى الشخصية أرى أن هرم وليفيس  
 يبدو أقدم من أهرام الجيزة . وإذا أمكننا أن نتخيل ذلك فإنه بسيطينا  
 فى جميع الأحوال الاحساس بالانتماء للمسارى إلى حفة عمارة أكثر  
 بدائية . أن فكرة إقامة الهرم تتكون من مصطلب متدرجة الحجم على بطيها  
 أكثر هدائية بالنسبة للهرم الأملسى ذى الجوانب الأربعة . وقد جلبنا  
 إلى البناء الحجرى فى جانب واحد - لكن أنه الجانب المقابل لاتجاه الفرق -  
 كان مستكملا تماما بالنسبة للجوانب الثلاثة الأخرى .

ويصف ويلكسون داخل الهرم بأنه : قبة مبنية حملت هنا وهناك  
 على عوارض خشبية . - ويذكر أن غرفة الدفن قد تحطمت إبصارها  
 ببلطات من الخزف الأزرق (١) وكنا نصب أن الجحظ للداخل ولكن هذا لم  
 يعد ممكنا ، لأن الداخل قد صد بسبب انهيار حجرى حديث .

والآن ولعن تخيل على تمويش الوقت الذى ضاع فقد دكبنا حتى  
 المنزل الذى كان قد بنى سنة ١٨٥٠ م لأقامة ماورييت أثناء حفر  
 البراييوم - وهو عمل استغرق أكثر من أربع سنوات .

(١) تتلمذ بعض هذه الفالكتات إلى القسم المصرى من المتحف البريطانى . وهو  
 ليست ذات لون أزرق ولكنه الأخضر يحل للزينة . كما عن شكل غرفة الدفن فانظر كتاب  
 ماسبيير Archaeologie Egyptienne ص ٢٢٠ من ٢٢٦ . ( هذه التسمية متداولة  
 فى الصفحة الثانية ) .

• ومن أهميّة القول بأن السرايوم هو أشهر مبدع تجاري للمجول  
 للقبسة - وكانت هذه المجول ( التي قسمها المصريون يومها تبسنة  
 متنايما للاله اوريس ) سكن أثناء حياتها في معبد أبيس في منف  
 ( حيث رهيته ) • وبعد موتها يجري تعذيبها وتدفنها في سرايم جهرته  
 لها في الصحراء - وهي سنة ١٨٥٠ عندما كان ماريت مسافرا في مأهوية  
 تخص الحكومة الفرنسية ، اكتشف المبدع والسردب ، ويوجد ملتحاح هذا  
 الاكتشاف حسن رواجه إلى فقرة معينة لوردها استرايون في وصفه  
 معبد سرايس بأنه يقع في منطقة تتجرف فيها الرمال بواسطة الرياح  
 بحيث يتهدد كل من يدنو منها بالفوضى فيها • وييسا كانت الكباش على  
 كلا جانبي الطريق قد دفنت كليا أو جزئيا فلان رؤوس بعضها كانت بارزة  
 على السطح • ويقول ماريت : « لو لم يكتب استرايون هذه الفقرة »  
 لانه « كان من المحتمل أن يظل السرايوم ضالما تحت رمال مقابر سفارة »  
 وفي أحد أيام سنة ١٨٥٠ اتجهت نحو سفارة مدلوها بتأجيل دراساتي  
 في علم المصريات ، مشاهدت رأس كبش بارزة فوق السطح • ومن الواضح  
 أنها كانت تحتل مكانها الأصل • وقد وصفت بالقرب منها عائلة قرابين  
 حفر عليها نقش هيروغليفي من أبيس وأوزوريس • وحفظت تلكت هذه  
 الفقرة التي كتبها استرايون وعرفت أن الطريق الذي يقود إلى السرايوم  
 الذي فكرت فيه طويلا بلا طائل ، يقع تحت قبسي • وينون أن أقول كلمة  
 واحدة لأي شخص أضرت بضي الضال وبينانا في البحر • كانت البداية  
 صعبة ولكن سرعان ما يروى من بين الرجال تماثيل الأسود والطواويس  
 والتماثيل الأفريقية للجنس على جانبي الطريق ولوحات مبدع تختابو الفنية  
 بالفوضى (١) وهكذا جرى اكتشاف السرايوم •

أما الفزل - وهو مبنى بسيط من دور واحد على منصة حجرية -  
 فهو يشرف على منخفض رمل يحتفظ الآن بنفس المظهر الذي ظهر به عندما  
 تذكر ماريت لأول مرة الفقرة السعيدة التي لوردها استرايون ، وتبرز  
 رأس أو اثنتان للكبش فوق الرمال هنا وهناك بشكل مرعب ، محددة  
 مسبار الطريق العظيم • ويظهر كذلك النصف العلوي من تمثال رديء  
 التقيت لأول رائي على ظهر طاووس • أما الباقي فهو مغطى بكامة في  
 الرمل كما لو كان لم ينكشف من قبل • ويصعب على الإنسان الاعتقاد  
 بأن المكان كله قد كشف عنه نيايا بتكلفة ضخمة في الوقت والجهد •

(١) كلين بختانير الأول وتختانير الثاني آخر ملكين من الأصل للمصريين • انظر  
 حصرهما ما بين عامي ٢٧٨ - ٢٤٠ ق م ولابد انه كان هناك معبد بتام تختانير الأول  
 قبل بناء معبد السرايوم •



منه عشرين عاما مضت . لقد استغرق استكمال العمل كما ذكرت منه قليل أربع سنوات . ويبلغ طول هذا الطريق وحده ستمائة قدم ويتسع عرضه ليجيش من الكباش حيث وجدنا ولجدا وأربعين كبشا لم تنقل من مكانها الأصلي . وعندما اقتربت الحفائر من نهاية هذا الطريق انفتح لنا الجسر الذي يليها مع الهبوط التدريجي بين الحواظ الضخمة ، يقع تحت السطح بمسافة سبعين قدما . لقد كان العمل مستمرا والمنشآت تفوق الحصر . وكان من الضروري فحص الأرض بوصلة بوصلة ، ويقول مارييت انه « في أماكن معينة كان الرمل متبوجا وأتعبنا كلاله الذي يروح دائما إلى الخلف في محاولة لاستعادة مستوى ارتفاعه » (١) .

وعلى كل حال فانه يقدر ضخمة الجهد المبذول ، تكون شخصية الجراء الأول . وكان الجراء هو اكتشاف الطريق الرئيسي الذي ينتمي إلى منصة دائرية شاطفت بها تماثيل لصاعير الفلاسفة والعقراء الاغريق . واكتشفت أيضا في طريق نقي يتقاطع مع الأول بزاوية قائمة بقايا معبد السرايوم العظيم وللاثة صناد صغيرة وثلاث ميسوعات متبيرة لسراديبه دعى الجبل أبيس . وكانت هناك فتحة صر حاجط في غرفة في الجبل العظيم تقود إلى السرايوم . وقد شملت مناهات ضخمة في العقود والممرات في الصخر المصقل الذي يبيت عليه الممايد . وتبين هذه المجموعات الثلاث من الحفائر ثلاث حقب من التاريخ المصري . وتتكون السلسلة الأولى ، وهي الأكثر قديما ، من عقود يرجع تاريخها للفترة من الأسرة الثامنة عشرة إلى الأسرة الثانية والعشرين أي ابتداء من حوالي سنة ١٧٠٣ ق.م . إلى سنة ٩٨٠ ق.م . أما المجموعة الثانية فانها تنتسب إلى حكم تيمستق الأول ( الأسرة الثانية والعشرين أي سنة ٩٨٠ ق.م ) وحتى حكم طهرقا آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين وقد جرى التخطيط لها بأسلوب منهجي ، وهي تتكون من نفق واحد طويل يحده على كلا الجانبين صف من حجرات القنن - أما المجموعة الثالثة فانها تنتمي إلى العصر الإغريقي مبتدئة بحكم بسماتيك الأول ( الأسرة السادسة والعشرين ) أي سنة ٦٦٥ ق.م . وتنتهي مع لواتر عصر البطالة ، ومن بين هذه العصور الثلاثة بعد أن الأول من التي تختفي الرمال . أما الثانية لتعصر غير آمنة ، أما الثالثة فهي المتاحة للسياح .

(١) متابعة القصة الجيدة والتفينة للسرايوم والآثار التي اكتشفت هناك ، انظر كتاب ميرو آرثر دوتيه L'Égypte en petites Journées الذي قدسه الآن طيبة جديدة في الطبعة . ( ملحوظة مسجلة على القصة الثانية ) .

وبعد مسيرة مسافة قصيرة وإن كانت مفهكة ، ومع بعض الناحية أمام باب يشبه أبواب السجن يقع عند قاع المنحدر ، منح الجارم لنا بالمسول ، وهو كهل أعراي في يده صياح . ولم يكن المنتظر في الداخل جذبا . كان الضوء القادم من الخارج يسقط على درجة أو درجتين من درجات السلم الخشبي ، ويصنعا يقيم الظلام التام . ودخلنا فلفنا على العتبة مناح ثقيل حار . وقد سقط الباب بصليل مزعج تردت أصداؤه كما لو كنا في تجاويف الأرض المركبة . واطلق الأعراي يتحسنت مستعملا الحركات والإشارات . كان يقول اننا الآن في البهو العظيم الذي يمتد لسافة طويلة في هذا الاتجاه وفي الاتجاه الآخر . ولكننا لم نستطع ان نرى شيئا - لا السقف المقصب ، ولا المداخل على أي جانب ، ولا حتى الأرض التي تحت أقدامنا . كان الظلام شبيها بالظلام الذي يملأ الفراغ اللانهائي .

واضطربت لكل منا حسنة مستعملة وسار الأعراي في القسمة بسرعة صغيرة ، وبما لنا في كل خطوة أننا على شفا حاوية مسجلة . وبالتدريج تعودت هيوتنا على الظلمة فوجدنا أننا قد عبرنا البهو إلى الممر الأول الكبير . كان كل شيء غامضا ومغشا بالأسرار ومغطى بالظلال . ولاح أمامنا في الظلام منظور ضاكي . كانت الأنواء تتراقص وتتمايل مثل ومضات النجوم السيارة . وغرب الأعراي مصباحه من المداخل هنا وهناك وأرانا بعض التواهي القرين التي سجلت في سجلات الريارات للقسمة التي قام بها المصريون الأتقياء إلى القابر المقدسة . وقد وجد من هذه القراين عند لتبع السرايدب لأول مرة حسمالة قرص ، ولكن ماريتب أرسلها كلها تقريبا إلى متحف اللوفر .

وبعد خطوات قليلة وصلنا إلى القابر - وهي سلسلة من الحجرات المقبية الضخمة منحوتة على مساللات غير متساوية على كلا جانبي للممر الأوسط ، وتقوس تحت السطح لمسافة تقرب من ستة أو ثمانية أقدام . وقد أقيم في وسط كل حجرة ثابتون ضخمن من الجرافيت اللامع وهذا المسحب الأعراي للأمام مثل شبح أسود ، وكان يتوقف لحظة أمام كل فتحة عميقة ، ويسلط ضوء مصباحه على الثابوت ثم يسرع مرة أخرى تلوها أياها لكي تنبيه بغير استطاعتنا .

ومشينا خلفه ونحن نتقدم كل لحظة في عمق السفر الصلد ميمتدين عن الهواء الطلق وضوء الشمس . ولما ظننا أن الجو قد يكون باردا تحت الأرض فقد أحسنا كمية كبيرة من اللقائف المائتة ، ولكن على العكس

كانت الحرارة شديدة والجو حافيا . ولم تضع في الحسبان خلاف المكان ، وكذلك لم نتذكر ان المناخ الساذية والاتفاق ياردة لأنها طوله . لما هنا وعلى مدى عقود لا تحصى وربما آلاف السنين قبل ان يتساقط النيل مجراهم خلال صحور السلسلة . كانت شمس أفريقيا التي لا توفيقها المسحب ، تصب فيضها اليومي من الضوء والحرارة على الصحراء غير الرطبة . ولا بد ان جو المكان كان لا يحتمل . فقد كان مثل قرن ضخم يخترق الحرارة المتراكمة ببطء . خلال النورات المتكررة والكثيرة بحيث يظل الانسان ابن المعصور الميكرو لتاريخ المصري بالمقارنة اليها ، تنتمي الى الأمس فقط .

وعلى ذلك فاننا بعد ان اجترنا مسالة تقترب من مائتي ياردة وصلنا الى حجرة تحتوى على أول تابوت عليه نقوش لآل بقية التوابيت كانت سلسلة بدون نقوش . وهنا توقف الأعرابي حيث وجدنا ميرا فاستطعنا من خلاله بمساعدة بعض دوجات سلم خشبي أن نهبط الى البجرة . وسرنا حول التابوت واخلسنا النظر الى داخله بمساعدة سلم ومحصنا النقوش الهيروغليفية التي تغطيه وهي ضخمة كما تبدو من اعلى . ولا يستطيع الانسان تكوين فكرة عى مدى ضخامة هذه الكتل الصخرية الا من المستوى الذي اكتمت فوقه . وهذا التابوت الذي يعود تاريخه الى عصر الملك اماريس من الأسرة السادسة والعشرين ، كان طوله أربعة عشر قدما وارتفاعه أحد عشر قدما وهو مكون من كتلة واحدة من الجرايت الأسود دليق ومتقن الصنعة ، ويمكن أن يجلس بداخله أربعة افراد حول مائدة صغيرة لعب الورق فيلمبون عشرة كوتشنة وهم يرتاحون . ويتسهم الممر من هذه النقطة الى فرعين لمسافة مائتي ياردة أخرى متجهين نحو حجرات أكثر وتوابيت أكثر حتى يبلغ عددها أربعة وعشرين . منها ثلاثة فقط عليها نقوش . ولا يقل طول أى منها عن ثلاثة عشر الى أربعة عشر قدما ، وجميعها فارغة . وقد أضيفت الأنظمة الى الخلف قليلا وبعضها مكسور ولكن المفجرين لم ينجسوا الى اراجعتها تماما . وحسب ما أورده هاربيت لما ان المكان قد سلب بعمرة المسيحيين الأوائل الذين يبدو أنهم بسباب ما استطاعوا حمله من الذهب والمجوهرات التي وجدوها في طريقهم . قد دمروا عويمقارات المجول ودمروا المعبد العظيم وسووه بالأرض تقريرا . وعلى أية حال ، فاجم لمس الحظ قد نجحوا أو تركوا عدة عشرات من السبائك البرونزية الرائعة ربما لأنهم اعتبروها غير ذات قيمة وأقرضوا القران الخمسينات التي ذكرناها من قبل لأنها تسجل ليس فقط اسم ووظيفة الزائر ، بل أيضا مع بعض الاستنتاجات الاسم والسمة الدالين على الفرعون المخلص ، وهي بذلك تعطينا بيانات تاريخية لا تقدر بثمن .

وتعمل أكثر من أية وثيقة سبق اكتشافها على توضيح النقاط التي تثير الجدل في التسلسل الزمني للتاريخ المصري .

ومن أغرب الحقائق أن أحد التوابيت الحجرية يحمل علامة قمبيز حيث ورد على قمبيز أنه وقد طلب إلى كهنة منف أن يحضروا أمامه الإله أبيس ، استل حجروه في ثورة غضبه وسخرته وطس السجل في القبط . وحسب ما ذكره بلوتارخ فإنه ذبح السجل وألقى لحمه للمكلاّب . أما هيرودوت فقد ذكر أن « أبيس رقد في الجبل لبعض الوقت وقد لعل جسده » ولكنه في النهاية مات متأثرا بجرحه ، وقام الكهنة بدفنه سرا . ولكن حسب ما ورد على إحدى هذه الموائد التمنية فإن السجل الحريج لم يست حتى العام الرابع من حكم الملك دارا . وهكذا نجد أن هذا الكشف الحديث قد صحح وصور التقليد الموروث بطريقة صحيحة .

ونصل الآن إلى نقطة هذه القصة القديمة في شكل حكاية ذكرها مسيو أبوت الذي يحكي كيف أن مارييت وقد استدعى فجأة إلى باريس بعد عدة شهور من افتتاح السرابوم . وجد نفسه يقتلد وسائل نقل الآثار التي اكتشفها حديثا ، ولذلك دفن أربع عشرة حائلة في الصحراء انتظارا لودته . ومن ضمن هذه الحالات تابوت حجري احتوى على مومياء أحد عجول أبيس وقد نجا من اكتشاف المسيحيين الأوائل له . وانطبع أن هذه المومياء تطبق عليها الوصف السجل الذي طمسه قمبيز . ويعنى ذلك أن السجل قد عاش وعولج جرحه ، كما هو ظاهر على عظمة الفخذ التي تظهر عليها علامات الإصابة والالتئام وهي علامات لا يمكن تجاهلها .

والقصة لا تنتهي عند هذا الحد . فإن مارييت وقد رحل حاملا معه كل ما يمكن حمله من الكتوز ، جاء إلى منف شخص وصفه مسيو أبوت بأنه « شاب غريب ومجل » وهو أرشيفوق جاء إلى مصر للاستمتاع وتحت إغراء البقيشكي كشف له الأعراب سر الحالات المتخفية فاكشع الأرشفوق صحابي الحالات الأربع عشرة وحملها إلى الاسكندرية . ومن هناك نقلها بحرا إلى تريستا (١) .

---

{١} عرفت هذه المجموعة باسم « مجموعة ميرامار » وقد ضمنها البيرونيوس راينير في الكالوج الذي نشره ، وقد نقلت حاليّا إلى فيدا - (مجموعة مضافة على الطبعة الثانية) .

ويقول مستر أبيت الذي يذكر أنه قد عرف القصة من ملوينة مباشرة : « أما بخصوص المجرم فإنه قد انتهى بصورة مؤلمة في صف الكرة الأحمر بعد أن تنال من جميع الثروة نظير علم نشر اسمه » . ولكن ليس من الصعب التعرف على بطل هذه الحكاية العربية رغم هذا التفكير الواضح .

أما التابوت الذي وجد فيه العجل أبيس فقد بقي في قبر السرايوم ولكننا لم نره . ولما كنا قد تقدمنا ساليا إلى أكثر من مائتي ياردة ، وأصبحنا حتى ذلك الحين على وشك الاحتراق ، فلم نهتم بأن يجعل مائتي ياردة تحول بيضا وبين الخروج إلى ضوء النهار ، ولذلك عدنا من منتصف المسافة وقد أحرقنا أول وعاء من بودرة للأغسيوم التي توهجت بشدة لعدة ثوان فأضاعت الشرفة الضخمة وكافة قبايها المنخفضة ووجوه الأعراب المنهشة ، ثم خرجنا في اندفاع تاركين الظلام أشد كثافة مما كنا .

ومن هنا مضينا عبر فضاء دمل يهيم لي وضح الظهيرة القديس إلى مقبرة . هي « وهو كاهن من عامة الناس من الأسرة الغامضة كان معزوبا من مدينة تسمى فقرحتب وهي الابنة الكبرى لأحد الفراعة ، ولد يلي لنفسه طيرة عظيمة هنا في الصحراء » .

أما من وجهة هذه القبرة التي كانت في الأصل تقبى معبدا صغيرا ، فلم يتبق منها سوى عمودين كبيرين وبقي ذلك بناء مربع الشكل يحيط به سور يعلو سبعة . ويرى من أحد الأركان مسطحا يقود إلى حجرين ، كما تمرز في وسط القناء فوهة حفرة يبلغ عمقها حوالي خمسة وعشرين قدما ، بها تابوت محطم ظهر في ظلمة القبة السفلية . وكل شيء هنا مصنوع من الحجر الجيري - الحواط ، والأعمدة ، ووصف الأرضية ، وحتى الأطلال المتحجرة التي اعتلات بها الحفرة عندما انقلبت القبة السفلية إلى الأبد . أما عن خصائص هذا الحجر الجيري فتقتصر في قرب المكان الذي جلب منه ، علاوة على صفاته مثل الرخام ، وشدة بياض لونه لدرجة أنه على الرغم من نظافة حواط وأعمدة القبة بالنقوش التي تم تنقيتها بمهارة فائقة واحتمال بالغ ، فإن الضوء المنعكس عليها شديد التوهج مما صبغ علينا أنفسها بالاحتمال الذي تستطع . أما في الحجرة الكبرى السفلية الظلام والتي لم نستطع رؤية شيء فيها إلا على ضوء الشموع ، فقد وجدنا سلسلة من النقوش البارزة الكثيرة والمتقاربة والتي تحتاج رؤيتها الفصيلة إلى نصف يوم ، وهي مرتبة في خطوط أفقية متوازية

ويبلغ عبقها حوالي قسم ونصف النغم ، بحيث إن هذه المناظر غير المادية والمرنة رأسيا صعدا فوق صف ، تغطي كل بوصة في فراغ الحائط من الأرضية إلى السقف ، وبروزها مستقر السوق مما يجلسي لشك في أنه يتجاوز ربع البوصة في أي من المساحات المنقوشة . أما السطح القضي ببطء رقيقة من الاسمست فإنه يمتاز بخاصة اللبمان مثل العاج . ويبلغ متوسط ارتفاع الأشكال حوالي اثنتي عشرة بوصة وجميعها ملونة .

وهنا نجد قصة « تي » كما لو كانت مملوءة في كتاب مفتوح . كل حياته ومسراته ، وعمله ، وعلاقاته العائلية ، تظهر جسيما أمامنا ببساطة شديدة الجاذبية ، حتى إن الطفل يستطيع قراءة سجل الأحداث المصورة التي أضافت الحائط ، ويجد فيها قصة مثل أكثر علماء الآثار خبرة .

كان « تي » رجلا غنيا وكانت ثروته من اللوح الإقطاعي ، فقد كان يملك أسرابا وقطعا وأراضي كثيرة . وكان يحدث بأبواب كثيرة من الطيور والحوانات - أور ويط وسمام وكراكي وثيران وماجر وحبر وطباء وغزلان . وكان مقرما بصيد السمك وطيور الرينة ، واعتاد أن يمشي أحيانا في أثر التساميح وأفراس النهر التي كانت تصل في هذا الوقت إلى صنف . وكان زوجا رحيما وأبا حائيا ، وكان يحب أن يتفاهم مسراته مع أسرته . وغدا هنا جالسا في حقه مع زوجته وأطفاله ، بينما يقوم مفعون ورافسون محترفون بتقديم عرض أمامهم ، وفي ناحية أخرى يتزدهون ماء ويرالون ختم المردعة أثناء عملهم، ويلاحظون دخول القوارب التي تأتي بانتاج أراضي « تي » البعيدة . وفي موضع آخر ترمي الأوز أثناء سيقها إلى المنزل ، والأنصار وهي تعبر مخاضة ، والثيران وهي تحرث ، والزوارع يبلر البلور ، والحاصد وهو يميل بمتجله ، والثيران تدوس الحبوب بأقدامها ، ويخرن القمح في القنوة . ومن الواضح أنه لم يكن هناك تعار مستقلون في هذه الحقة المكرة من تاريخ البشرية . وكان لدى « تي » عمالة الذين يعملون في صيده ، كما أن كافة ضائكه وأمنته المنقولة صناعة منزلية . وهذا ترى الثعابين يصنعون أثنا جديدا للمنزل ، وصانعي المراكب متشغلين صنع قوارب جديدة ، والفخارين يصنعون في القوالب الصلصال الذي تصنع منه القدور . أما عمال المادن فأنهم يصهرون سباتك الذهب الأحمر . ومن الواضح أن « تي » يمشي مثل ملك داخل حدود طبيعته . وهو يتمتع بوضعه المميز المحترم في كافة هذه المناظر . وكان مرصعا في حجم يماثل لمائة أضعاف حجم خداه ليجلس أو يمشي عملاقا بين الأقزام ، أما زوجته ( ولا ننسى أنها كانت

ينتمى إلى الأسرة المالكة ( فقد رسمت بنفس حجه • لما الأطفال فكانوا في صف حجم والديهم • وما يشع الحجب أن الفن المصري لم يتجاوز هذه السداحة المبكرة • فالرجل العظيم يظل يرسم معجم الحجم حتى الأيام الأخيرة من حكم البطالة • بينما ظل الفلاح يرسم دائما في شكل القرم (١) •

المحوانات إن معظم الحركات الصعبة والانتقالية قد جرى التسميع عنها بإقناع يتم عن مهارة فائقة • فالحصار يرقس برجليه الخفيفتين وينهق • والتمساح يعلس في الماء • وترتفع البطة البرية ناشرة جناحيها • ذلك مع مراعاة أبعاد الحركة المايمة في كل لحظة صدق لا يستطيع أن يتغلبه أي رسام • أما الأشكال التي تخلو من الصراحة التقليدية التي اشتهرت بها الأعمال المصرية النالية • فقد رسمت بوضوح وبرور • ولكنها استكملت بشفة وبعمرة • أما الألوان فهي صافية وقد وضعت في شكل طبقات خفيفة متصلة بدون أية محاولة لتكتيها في درجات لونية أو ظلال تختفي جمالها اللطيف وتزيد من قيمتها •

وعد • في حقيقتها هي أفضل ما يسكن مشاهدته حيث تم كعت اللون نهائيا • ولسكن الألوان الخفيفة ماراث لا صفة في بعض أجزاء الصورة الكبيرة • لما في المر والفاء اللطيف تم التكتيها ههنا منذ عدة سنوات فط • وتجري المحافظة عليها بصورة يوما بعد يوم • لما هنا فائدا لا يجد أثرًا باقيا للألوان • وهذا هو تأثير الرمال • التي تذهب العامل الذي لا يقتصر عمله على الحراسة فقط بل أيضا إزالة الرمال • أن الرمال تخبي • وتحفظ عمل النحات ولكنها تسحو عمل الحصور • أما في الأماكن المحمية حيث تترام الرمال بلا فائدة مثل الأبهيار اللبني • فانها لا تلب فقط التفاصيل اللبسية السطحية • بل انها أيضا تترك الألوان السطحية مسبوحة ومعممة •

(٢) هناك دراسة أكثر شولا عن هذه النصوص الجنزية فعلى لوحة هجوة وهي تزد تسميرا لهذه اللقطة وتبينها من المشاهد الجنزية • أن المنظر الذي تشتملها بهه كما اقترعنا حدة كتابة هذا الكتاب • مجرد حكايات عن الحياة اليومية للموتى • ولكنها حللات في القصة المفصلة الفلسفة يخفنه وثلاثة الروحي بعد الموت • فبعد أن يمر وحسد الفصح يقصد به طسنة وتحصيل بقله إلى مفاتر جنزية • لما الثيران والمار والفرلان والار وخيرفة من المنزور التي فذلكسود بها اللصحية التي تضم كقرايين • لما الأواني واللائات وكلة البضائع المنزلية • فانها تعفن مع جلة الموتى في مقبرته • اما التي تظهر في كلة المنظر هي قرية ( لككا ) وليس الرجل ذاته ( ملحوظة متعلقة إلى الطسمة اللطيفة ) •

وكما ذكرت دائما خلال مسار الرحلة ، فإنه لا شيء يسو الأبالوان  
 طاعية مثل الرجال التي تعود الى فعل الرياح ، وتكون هذه المقبرة كما  
 رأينا من رواق وقفا وحجرتين وسرداب للقبور ، وتتضمن أيضا سرا سرا  
 من النوع المصروف باسم « السرداب » وتبدو هذه السرداب التي تسمى  
 بنفس اسمك الحوائط ، دون أن يكون لها ملطحل مختلفة عن مقابر  
 الامبراطورية القديمة ( أي عصر ملوك الأهرام ) وهي تحتوي على نماثيل  
 الراحلين من جميع الأحجام مصنوعة من الخشب والحجر الجيري  
 والنجراتيت ، وقد وجد هنا عثرون تماثلا للوجه « تي » حبيسة في سرداب  
 مقبرته ، وكلها معطلة فيما عدا تماثلا واحدا وهو تماثل مصنوع من الحجر  
 الجيري في وضع الوقوف وارتفاعه حوالي سبعة أقدام وهو موجود يستحق  
 بولاق (٣) .

ويمثل هذا التماثل شابا يرتدي ربا أبيه ، ومن الواضح أنه تماثل  
 شخصي لبيان تفاصيل الوجه ، فبعد أن الملامح عادية ، والتعبير طبيعي .  
 أما التماثل العام للرأس فهو يؤكد أن يكون أفريقيا أكثر منه مصريا . وتم  
 تلويح البشرة بلون أصفر خالق . ويقف التماثل في الموقف التقليدي  
 المعتاد فالساق اليسرى متقدمة وقبضة كل يد مقفلة والذراعان مستقيمتان  
 ومتصلتان بالجانبين . ويستطيع الإنسان أن يتعرف جيدا على « تي »  
 بعد رؤية النقوش المعجبية التي في مقبرته ، مما يجعل هذا التماثل الجميل  
 يثير الاهتمام كما لو كان يمثل صديقا مصرولا (٤) .

وما أجمل أن تعود الى سرور هاريت المجهور بعد الاحتشاق في  
 السرايوم وحجارة مقبرة « تي » ، لكي تتناول غصنها على أرضية المر  
 الطرية الباردة . وهو المر الذي يظهر في اتجاه الشمال في الصحراء ،  
 لقد تركت هنا بعض المناشد والدعوات الخشبية للاجفاد بالضيوف وإقامة  
 السباح ، وقد زودت بالماء العذب من طريق القفل التي جلبها الأغرابي  
 الكهل الذي يقوم بالحراسة . أما الأسواش والمرافق التي في الخلف  
 فإنها تماثل تماثلا للجراتيت المشهورة بالأحمر والأصود .  
 وهناك تماثلان للكبش من الطريق المشهور بزيان المر ، ويطلق على  
 وملاهما للذئبين حتى المتخصص في المفرة الرملية السطحية . وعلى مسافة

(٥) حلقها هي التماثل المسمى بميلان للتحرير - ( المرجع ) .

(١) ليست هذه التماثل جيرة تماثل شخصية ولكنها صمدت بحيث تكون مسكنا  
 للفرق « الكا » وهو المقربى أنه عندما يعود يستأج الى جسد وطعام ودراب راته  
 سبيله تدريجيا اذا لم يعود بهذه الضرورية . وكان هذا هو النظام الكلي للقبور بدان  
 الكرابين والاكات والمود الاخرى المعلقة في حلقه ضماء المصريين - ( ملاحظة  
 حذيفة الى التلمذة للثنية ) .





واس : آي .

بمدينة يظهر الصحراء صخرة قاحلة متعرجة ، مع خط من القمم الأرجوانية على مدى الأفق . وعلى اليمين ، تحت حافة بارزة من الهضبة الصخرية التي لا يتجاوز بعدها عن المنزل مائتي ياردة ، تفتح فوحة كهف أسود اللون تحوطه أشعة كثيفة ، ويقترب منه منحدر من الإطلال . وهذا هو المدخل الاضطرادي للقلب القديمة للبرابيوم والتي اكتشفت في واحدة منها للمياه التي وصفها مارييت كبقعة لؤلؤة أبيس ولكن العالم بروجيي يذكر أنها موعيا ، الأمير : « خع ام واس » حاكم منف والابن المفضل للملك رمسيس الأكبر .

وعنه المياه المهمة التي بدت كالسان وثور في آن واحد ، وجدت منطاة بالجواهر والسلاسل الذهبية والتماثيل الثمينة المطور عليها اسم « خع ام واس » وقد وضع على وجهها قناع ذهبي ، ويمكن مشاهدة جميع كنوز هذه للمياه في متحف اللوفر . ولو كانت للمياه نفس لورا فلايد وأن تكون المجوهرات التي تزينا ههدة من الأمير الذي كان يحكم منف في ذلك الوقت بوصفها قرايئ .

وعلى العكس فلو كانت المياه تنحى رجلا وتم دفنها في مثل هذا المكان ذي القدسية السجبية ، فس المحتمل أن يكون قد انتصب أحد الأقدية المصنة للإله . وهو سؤال غريب ظل بدون أجابة حتى اليوم . ولكن لا شك في إمكانية تسويته في لحظة بمعركة البروفيسور لوين (١) .

وما آثار السحب أكثر من اكتشاف أبيس أو المجوهرات كل هو المنظر الذي شاهده مارييت عند دخول هذه الحجرة الطويلة المخصصة للمياه .

(١) تم اكتشاف المقبرة الرسمية للفرعون « خع ام واس » في منف بصرفه لمسيرو خلال السنوات الثلاث أو الأربع الأخيرة . ( ملحوظة منسقة إلى القيمة الثانية ) .

(٢) هذا التاريخ حسب التقدير الحديث .

لقد تم القهر فوق المنحدر وارتلت الصخرة ثم دخل بغيره . وهناك وجد على طبقه الرمل الرقيقة التي غطت الأرضية آثار أقدام العمال الذين وضعوا - منذ ٣٧٠٠ سنة مضت (٤) - تلك المومياة التي ليس لها شكل ، في قبرها وأغلقوا الأبواب عليها إلى الأبد كما اعتقدوا حينذاك .

والآن والنصف الثاني من النهار مضى سريعا - أصبحت الحيرة وقيل لنا ان هذا هو وقت الرحيل . وكان علينا ان نشاهد موقع منب والتضال المنحدر المنطرح على الأرض . والطريق الطويل الذي يقع امامنا بكامل ملوله ، ولذلك عدنا راكبي الحيرة عبر الرمال الكثيرة . وبزنا من مملكة الاموات الى ارض الاحياء بعد القاء نظرة متلهعه طويلة وأخيرة على الهرم الذي في المنصة .

وهناك سحر عجيب يحيط بهذا الهرم بحيث ان الانسان لا يكل من النظر اليه وهو يردد بينه وبين نفسه أنه فعلا القم بناء علي وجهه المستكونة كلها .

اما الملك الذي اقامه فقد جاء الى العرش بعد موت الملك مينا مؤسس الملكية المصرية بحوالي ثمانين عاما حسب ما ذكره هاتيتون . ولم يترك لنا سوى حرمه ملكا ، كما أننا لا نعرف عنه سوى اسمه . وعلمه المرأة كلها تنتمي كما هي الى طفولة الجنس البشري . وعلى الانسان في تعامله مع التاريخ المصرية ان يفكر بهدوء في السحب التي تمتد بالقرون ، ولكن عادة العقل هي التي تقود الى الخطأ . لقد وجدت الكتابة أنه من المفيد ان نقارن بين الفترات الزمنية باستمرار ، وعلى سبيل المثال فان معرفة الزمن السحيق الذي انقضى على بناء هرم سقارة مستماعدنا على ان نذكر ذلك ابتداء من عصر بسانه على يد الملك وينيميس *Unesnebis* الى العصر الذي اقام فيه الملك حوفو الهرم الاكبر في الجيزة . ولا بد ان بينهما فترة زمنية تساوي تلك الفترة في تاريخ اجبترا التي تمتد من عصر الغزو الى عصر الملك جورج الثاني (١) ولكن خوفو نفسه المعروف لدى مؤرخي الاغريق باسم كيوبيس *Cheops* - ليس الا ظلا يعرف على هيئة التاريخ المصري .

---

(١) لم تكن عبارة ايبس كلمة في زمان تلك ونيفيس ولا حتى في عصر كايوشوس *Kaiushos* الذي جاء بعده ولكن من ملكت وعشرين عاما . ولكنهما ظهرت في فترة تالية ايام الامبراطورية المصرية . وقد قام كهنة منف بتفصيل حرمه اوبجلاوات الحبل للفس . وقد حدث ذلك بالطبع قبل حتر في حق الهرمانيب المعروفة للجل ايبس . ولا شك في ان هناك العديد من هذه الهرمانيب التي لم تكشف بعد . وكذلك لم يجد العلماء ايا من هذه الهرمانيب يعود الي ما قبل عصر الأسرة الثالثة حتى .

والآن مركنا الصحراء شغلنا وتفترب من التحيل الذي يقود الى صف ولا شك اننا كنا بالطبع نميل نحو هيروذوت - كان كل واحد منا يحضر نحو هيروذوت في رحلته عبر النيل ، كما كانت رؤوسنا تميل ، بالامعاد القديمة لهذه المدينة الشهيرة \* اما علم ان لذلك سببا قد حول مجرى النهر لكي ييسر منف في حفة البقعة باللات ، وان غالبية القراعة العظيمة قد زيدها بالمنايا والقصور والأبراج والتماثيل الثمينة \* لقد قرأنا عن صمد نتاج العظمى الذي رصده ومسيس الأكبر بتماثيله الشخصية \* وعن المكان المقدس الذي عاش فيه ابيس بهنو\* ، وهو يتشبه في بهو الأعمدة حيث كان كل عبود منها تماثلا ، وعن البحيرة الصناعية والطرق القديمة والمسلات وكافة عجائب هذه المدينة التي كانت حتى آخر أيامها من أكر المدن المصرية لزدحمها بالسكان .

ومع التفكير العارض في هذه الأشياء اتفقا على انه كان من الأفضل ان نترك منب لنعود اليها في نهاية الرحلة ، وحينذاك سنطرح ان نقدر المدينة حتى قدومها بعد ان نكون قد شاهدنا أولا تلك المدينة الأخرى التي على حافة الصحراء ، والتي دأب سكان منف على الهجرة اليها جيلا بعد جيل على مدى ستة آلاف عام تقريبا \* ونحن نعرف الآن كيف كان يعمل فقراء الناس ، وكيف كان الأطباء يسلون اظهم في تلك الأيام البعيدة ومعنى بهم وجهه الريف من أمثال \* في \* الذين يعيشون في منازل حفرية بمدينة منف وفيلات على ضفة النيل \* أما بخصوص السرايوم ، ما دنا منه وما جرى تخريبه ، فمن الإنسان لا يستطيع الا ان يفسى وتديه الطباع ضيق من عظيمة وقوة تلك الديانة التي تسخر لقصة أساطيرها الطولية مثل تلك الحقيقة وذلك الولا ، وتلك الإشغال العلية .

والآن ما نحن مود مرة أخرى لنصبح وسط غابات النخيل ، نشق طريقا وسط ظبي الروابي التي عبرناها في الصباح وسرعان ما اجتازت مقدمة الزركب الطريق المطروق عبر سهل مخطي بالحشائش الى اليمين ، وفي اللحظة التالية تجمصنا على شفا بركة طينية تقع في وسطها كتلة غير منتظمة الشكل من الحجر الجيري الممتن والمتآكل \* ويبدو أنها هي التثال المنبسط المشهور لرئيس الأكبر الذي يخص الأمة البريطانية ، ولكن الحكومة الانجليزية شديدة الاقتصاد بحيث لا تميل على تمزيكه (١) ولذلك فهو يرقد هنا حقلونا على وجهه ويترقه القيثبان مرة كل عام ، ولا يظهر فقط الا عندما تتسخر البركة للتخلفة عن القيثبان ، وتصبه

(١) هذا التثال، ملقأ الآن على قطعة من القريد - ( بطريقه حضانة الى القمامة الخاصة ) \*

كافة التجاويف الطينية • وهو أحد تماثيل كائنا بقمان على مدخل معبد  
بتاح العظيم ، وقد أحطرا هؤلاء الذين جاؤا الى التجويف وشاهدوه من  
أسفل أثناء فصل الجفاف بأنه نموذج تبيل ودائع لفترة من أفضل فترات  
المن المصري •

ولكن أين التمثال الآخر ؟ بل أين المعبد نفسه ؟ وأين البوابات  
والسلالات وطرق الكباش ؟ وما حصار - أين معبد ؟ إن الترجمان هو  
كتفيه ويشير الى الروابي الخاوية بين لمسجار التمثيل • أنها تبدو مثل  
أكوام ترابية صلبة ، وترتفع فوق سطح السهل من ثلاثين الى أربعين  
لحما • ولا يرتفع شيء عن مستواها اللهم الا بعض مجموعات التمثيل الناقص  
النمو المتناثرة هنا وهناك • ويبدو ان مادتها تتكون أساسا من الترميد  
المتناثر ، والخرف المكسور ، وشظايا من الحجر الجيري • ويمكن رؤية  
بعض آثار قليلة لقواعد من الترميد ، وكتلة أو اثنين من الحجر في أماكن  
منخفضة مقابل قاعدة رابية أو اثنين • ويحدث دون جدوى عن أية علامة تبيل  
جود حافظ لفصل أو مكان مبني عام ضخم •

هل هذا هو كل شيء ؟ لا • ليس تماما • هناك بعض الاكواخ الطينية  
بين الأشجار ، وبعد أمام كوخ منها عدا من الشظايا المنسوبة ، والكباش  
المهشمة ، والتماثيل التي بدون سيلان • والتماثيل الجالسة بدون  
رؤوس • وكلها مصنوعة من الجرانيت الأحمر والأسود والأحمر • وقد  
رُتبت على هيئة نصف دائرة غير منتظمة على الأرض المعشبة ، وتبدو  
كما لو كانت جالسة في اجتماع في بيت مهجور ، نصف رزينة ، ونصف  
مخيفة ، مع الماعز التي ترعى حولها ، وأطفال الأعراب الذين يختبئون  
حلقها •

ويؤكد تماثيل من الجرانيت الأحمر بالقرب من هذه البقعة في بركة  
أخرى - وليس هو النسخة الثانية من تماثيل رمسيس الذي رأيناه من  
قبل ، ولكنه تماثيل أصغر حجما ومنكفي على وجهه أيضا •

وهذا هو كل ما تبقى من معبد أقدم المينى ، عدد قليل من أكوام  
الصلابة الضخمة ، دسة من التماثيل المهشمة ، والاسم ا وينظر الانسان  
حول ، ويحاول بلا جدوى ان يعرف الامجاد الضائعة لهذا المكان • أين  
معبد التي جاء الملك مينى من تاتيس لكي يشيئها - معبد يوفيس ،  
وحول ، وحفر ، وكافة الملوك الأوائل الذين بنوا مقابرهم الهرمية  
الضخمة في الصحراء المملوءة ؟ أين معبد هيرودوت وأسترابون

وعبد اللطيف ؟ أين تلك الخرائب المروعة حتى في المصور الوسطى  
والتي تمتد على مساحة مقدورها « رحلة طولها نصف يوم في كل  
اتجاه » ؟

يصعب على الاسمى أن يتذكر أنه كانت هنا مدينة عظيمة ازدهرت  
في هذه البقعة ، أو أن يفهم كيف طمست معالمها تماما . ولكنها تقف  
هنا - حيث يردح الغضب الأسطر ، وتتم أشجار النخيل ، ويبنى  
الأعراب أكواصهم على حافة القمر - أن التمثال العظيم يحدد موقع المدخل  
الرئيسي إلى معبد يتاح . أنه يرقد حيث وقع ولم يسره أحد . وهذه  
الصفحة الهائلة للبركة التي بمحاذاة النهر ، والتي تنمو أشجار النخيل  
في أطرافها ، ترى وراءها قرية ميت رعيته ، وبلد وحشة من أهرام  
الجزيرة التي تحتل حوض بحيرة صناعية ضخمة حفرها الملك مينا . ومازال  
اسم ميت يرنى فيه لهجة الفلاح الذي يطلق على الروابي اسم «  
تل حلف (١)» مثلما أن سفارة تخلف اسم سوكر أحد الأسماء الخاصة بالاله  
أوزيريس .

ولست هناك عاصمة في العالم يعود تاريخها إلى هذه الفترة  
السحيقة . أو تحفظ بيكاتها في التاريخ مثل هذه المئة الأولى ، فقد  
أقيمت لبل عصرها هذا ستة آلاف عام . لقد شاعرت قيام وسقوط  
أحدى وثلاثي أسرة ، وعاشت عصور حكم الفرس والإغريق والرومان ،  
وكانت حتى بعد انحلالها هي المدينة الثابتة بعد الاسكندرية من حيث عدد  
السكان والامتداد . وظلت عمرة بالناس حتى الفتح العربي ، وحينذاك  
أصبحت هي المسجر الذي يبيت بأسوار القسطنطين ( مصر القديمة ) .  
ومع قيام المدينة الجديدة على الضفة الشرقية سارع أهالي ميت إلى إخلاء  
عاصمتهم القديمة وتركوها لتعصر نهبا للخراب والفساد .

ومازال يلقاها منها حقل واسع من الخرائب . ويكتب المؤرخ  
عبد اللطيف عند بداية القرن الثالث عشر فيتمثلت بحسب عن التماثيل  
السلافة والأسود والتراجم الضخمة والأصناف والتماثيل وروايت الصروح  
المكونة من ثلاثة أجنار غلط.والنقوش البارزة والصنائب الأخرى التي كانت

(١) كلمة تل للعربية تعني رابية وتخط للعديد من هذه الروابي الأسماء للقبعة

لنخس التي يودها حقاير مثل تل بسطة ( بويستس ) ، وكوم تيمو ( أسيوط ) قح .  
ولذلك أن كلمتي تل وكوم مترادفتان .

موجودة حينذاك في هذه المقصة، ولو كانت رحلات ماركو بولو قادتته الى  
 نهر السيل ، لكان قد وجد بعض الأماكن والمعابد التي سكنى مدينة صف  
 فائمة . أما ساندنيس Sandyn الذي ذهب في سنة ١٦١٠ للميلاد حتى  
 كفر الآيات جنوب القاهرة فيقول انه « لا يوجد على بعد ٢٠ ميلا جنوب  
 القاهرة سوى الخراب » وقد رالت نفس هذه الخراب بعد هذا التاريخ ،  
 ووجدت أشجار النخيل وهنا يسمح لها بالنمو ، واعتصمت القاهرة الحديثة  
 كل مادة البناء التي تخلصت عن المصور الوسطى .

ان صف مكان يستطك ان تقرأ عنه وتفكر فيه وتذكر . ولكنه  
 يشعرك بالإحباط عندما تراه . أما اذا افقده فانك تعتقد أول حلقة من  
 سلسلة التاريخ الأتري الذي يربط مصر القديمة بعالم اليوم . ان هذه  
 الرواى المقصة وبلك البحيرة التي يسكنها مالك الحزين ( طائر المسنون)  
 لابد من رؤيتها اذا كان لابد لها ان تخط موضعها في مسرحي المصور  
 المحفوظة في ذاكرة الانسان .

لقد كانت هذه الزيارة نتاج يوم عمل طويل ، ولكنها وصلت احيرا  
 الى نهايتها . وسبقنا جميعنا عاكفين بحر النهر . وكان منظر الغروب العظيم  
 يصبح أشجار النخيل وأبراج الحمام في البدرشين باللون القرمزي ، ويبدو  
 كل شيء الآن في حالة استرخاء . فهذه جاموسة تجتر طعامها متأنية بينما  
 ترفد في جانب بحور المر وتنتظر إليها دون أن تتحرك . أما الأطفال  
 والحمام فقد ذهبوا جميعا كنوم . أما القنور فقد جفت في الشمس بعد  
 ان استقرت وقتا طويلا . وقد برقع عمود رفيع من الخشب هنا وهناك  
 عبيثا من الأكواخ المتلاصقة . ولكن من التلدد أن ترى مخلوقا يتحرك .  
 وسرعان ما صادفنا امرأة حلاقة جميلة وطويلة تقف في ابهة بجانب  
 الطريق . وقد أراحت حجابها الى الخلف فأنسفل على قدميها في طيات  
 مستطيلة . وأجتمعت وامت بها وهي تهمس « يتشمش ١ » كانت  
 أصابها مقطرة بالمحوام وذراعها بالأساور الضخمة . وكانت تستجلى  
 فليس في ذلك عيب لأنه أصبح مألوفا ، ومجرد عادة متأصلة ، وكان  
 من الواضح أنها لم تتوقع أو تحتاج البشمش الذي تنارلت وطلبت .

وغربت الشمس بعد لحظات قليلة ، وتركنا القرية خلفنا ، وقطعنا  
 آخر نصف ميل من السهل - والآي ونحن نعاني من الجوع ونعطش ،  
 وانتراب يعطينا ، بالإضافة الى الاجهاد ، وقد تشبعنا بالمعلومات الحديثة ،  
 والانعمالات الحديثة ، والأفكار الجديدة ، فقد عدنا مرة أخرى ان المنزل  
 حيث نجد الراحة .



قرية ميت رهينة

## الفصل الخامس

### من البلطيق الى النيفا

من المعتاد في الرحلات عبر النيل أن يسرع السائح أثناء إبحاره جنوبا بقدر الامكان ، تاوكا الاطلال ليراهما في رحلة العودة مع القيار . ولكن هذه القاعدة مثلها مثل قواعد كثيرة غيرها لا يتم تطبيقها في جميع الاحوال . ان السائح الذى يبدأ رحلته في أواخر الموسم ليس لعمامة خييار آخر ، وعنده أن يسرع في الوصول الى نهاية رحلته اذا اراد العودة مع انخفاض النيل دون أن تنفر سفينته في هبة وعطية يصعب الخروج منها حتى يتولى الفيضان التالى تمويدها مرة ثانية . لما بالنسبة لهؤلاء الذين يريدون ليس فقط مشاهدة الآثار ، بل أيضا متابعة مسار التاريخ المصرى كما يكشف عنه الفى المصرى بصرف النظر عن سطحية هذه المتابعة ، فمن الضرورى أن يبدأوا رحلتهم في بداية الموسم حتى يتمكنهم مشاهدة العديد من الآثار أثناء الإبحار .

ونظرا لأن تاريخ مصر القديمة يسير عكس التيار فاننا نجد الأثر الأقدم زمنا تلح بين القاهرة واسيوط ، بينما تقع معابد الآلهة القديمة الأحدث زمنا في النوبة . ولذلك فإن هؤلاء السياح الذين يسرعون في الإبحار جنوبا مع الريح أو بدوتها ، بحيث يسبحون حينما ، ويتوقفون حينما ، وينضمون المركب بمصا طويلة تمس قاع انهر حينما ، عابرين هذا المكان ليلا ، وذلك المكان نهارا ، ولا يستريحون حتى يصلوا الى امه نقطة في رحلتهم ، انما يبدو من الاتجاه الخاطئ ، ويشاهدون جميع المناظر بترتيب مطلوب تماما - ولا شك في أن زيارة منف وسقارة ومقابر بنى مصر لابد أن تتم أثناء الإبحار جنوبا - وكذلك الكاب وتل المملو وأقدم أجزاء الكرنك والأقصر . وليس من الضرورى التوقف طويلا عند بعض هذه الأماكن ، فمن الممكن مشاهدتها أثناء الذهاب ثم دراستها سنايا أثناء العودة . ولكن لابد من مشاهدتها عند المرور بها ، بصرف النظر عما يكلفه



التأخير من تكلفة طليقة . مع ضرورة تجاهل أي نوع من المبالغة . لأنه بهذه الطريقة وحدها يمكن تتبع تقدم وتنحدر القلوب من عصر بناء الأهرام حتى عصر القياصرة ، أو فهم ترتيب علم المسيرة الضخمة والموقرة للأهرام التي توالى على مسرح التاريخ في الوقت المناسب وللأماكن المناسب .

أما عى رحلتنا ، كما سنرى سريعا ، فإنا قد استقطبنا لأن سعد هراء من البرنامج ، ولكن ذلك الجزء كان لحسن الحظ هو أهم الأجزاء . ولم نتوقف عن نهضة أنفسنا لأننا بمنطقنا التعرف على أهرام الجيزة وسفارة قول أن نشاهد مقابر الملوك في طيبة . واني أحس منهم إمكانية تقدير ميزة دراسة نفوس مقبرة ه تي . قبل أن نتأثر بالاتباع الذي يداخلنا لدى مشاهدة طراز معبدي دلالة واستنا الأقل روعة . لقد يدانا قراءة الكتاب الكثير بانتصار كما يجب أن تكون البداية دائما . ونعرفنا في صفحته الأولى إلى علم الرؤية الضرورية التي يفوتها قلقة الفصول التالية أكثر من نصف لميتها .

وقد صممت على التركيز على هذه النقطة لأن الأشياء تحتاج لدراسة معينة من الإصرار على غير الصادة . وأنا متأكدة من أنها ستواجه بالمبالغة . وعلى سبيل المثال فإنه لا يوجد ترجمان واحد مناهم لأهمية التدرج التاريخي في مثل هذا الموضوع خاصة في حالة الرحلات المؤجرة بعقد . فإن خوفو والرعاسة والبطانة هم شيء واحد بالنسبة له . أما عن الأثار فإنه يعتبرها كلها آثارا مصرية ، وكلا منها يمثل الآخر من حيث القراءة وصعوبة الإدراك . أنه لا يلهم تبعا للآثار يصر السباح علم لتسايفات البعيدة ، ويصرفون مثل هذا الكلد من المثال لمشاهدة الآثار ، ولكنه ينسبها إلى عادة حب الاستطلاع التي لا تؤدي إلى أية أضرار مادام يوفق أرباحه عن طريقها .

والحقيقة هي أن مجرد مشاهدة النيل تتطلب بعض القراءة والتنظيم إذا كان الغرض منها هو للتحفة . ولا يمكن أن تكون جيما متعلمين متعلمين ، ولكننا سنطيع على الأقل أن نبدل أقصى جهدها لفهم ما تراه ، ونفحص من لقطات ، وأن نضع الشيء الصحيح في مكانه الصحيح . لأن أرض مصر هي كما سبق أن قلت كتاب عظيم مفتوح وبما كان من الصعب قراءته تحت أية ظروف . ولكنه في جميع الأحوال شديد الصعوبة ، نلصق من الارتباك الناتج عن قراءته من المقلب إلى الكلام .

والآن ، فإن القطعة التالية في رحلتنا عبر النهر وهي نفسها الحافة  
التالية في سلسلة الأتار الأكثر قسما - هي غرة من حصى يتقاربها  
الشهيرة المحقورة في الصخر ، والتي تعود الى الأسرة الثانية عشرة .  
ومارالت قرية بني حسن تقع على بعد يريد من خمسة وأربعين ومائة ميل -  
وكان علما أن تنجها اليها مباشرة ، ولذلك قمنا بتقييم عملية رسو المراكب  
وما سنحتاجه من آميال قليلة للمودة اليها بالقواويب في هذا المساء ، ولكننا  
حرصا على لضماء يرم آخر في نفس المكان بالرغم من استمرار هبوب  
الرياح المواتية ، على عكس كافة التوقعات والسوابق - وهر القبطان رأسه  
بالموافقة ، بينما استنكر الترجسان ذلك ، ولكنه وافق على مضي . قال  
الأخير في صفة تشويها روح الاذعان الحزين التي تعود أن يدهيها دائما  
عندما لا يسمح له بالسير كما يريد : « منصرف قيمة الريح عندما نطفي  
وقتا طويلا على صلصة النيل » . لقد كان رجلا كسولا ، حسن الطباع ،  
تحدثت الإنجليزية جيدا ، كما كان سهل الانقياد ، ولكن روح الاذعان هذه  
أصبحت مزعجة في حينها .

وكان للسيدتي م . وب . نفس الطباع ، وعلى كل حال لمانا  
دخلنا يوحنا الثاني التي قضيناها في منف . وكان لابد لنا من العبور الى  
طرة . وشاهدنا المناجم الفسحة التي جاءت منها الأحجار التي أقيمت بها  
الطبة التي كست الأضرام ، وكافة أنواع الحجر الجيري الفاخر التي بنيت  
بها قصور ومساكن منف . ولكن هذه الناحية الجبلية بنت كما لو كانت  
في أوجها على الجانب المقابل من النهر . وقرنا أن نترك طرة حتى  
عودتنا ، ولذلك مضينا في طريقنا - وأخذ الفريد يصيد الحمام ، بينما  
كانت الكاتبة ترسم منطقة ميت رعيقة والتخيل وبحيرة مينا المقدسة .  
وأخذ الآخرون ينهضون الأرض بين الروابي بحثا عن الكنز ، فوجدوا  
شظايا عديدة من الزجاج والخمار - وجزءا من تمثال منحوت من البورزل  
للجمل أميس - وقضينا يوما هادئا سعيدا خاليا من الوقائع ، ولكنه جدير  
بأن نتذكره في سعادة .

واستمرت الرياح المواتية في الهبوب طوال تلك الليلة ، ولكنها  
انتهت مع شروق الشمس عندما كنا على وشك الاقتلاع . وقال الرئيس  
جسي : « النهر الآن يمتد أمامنا ناعا كالزجاج ، ولا نملك أن نضل له  
شيئا اللهم الا السحب » . لقد سمعنا عن كلمة السحب هذه كثيرا منذ  
ظهورنا الى مصر . ولكن دون أن تكون لدينا فكرة محددة عن علم  
المبيلة - ولما صعدنا على سطح المركب ، وقبل الافطار وجدنا تسعة من

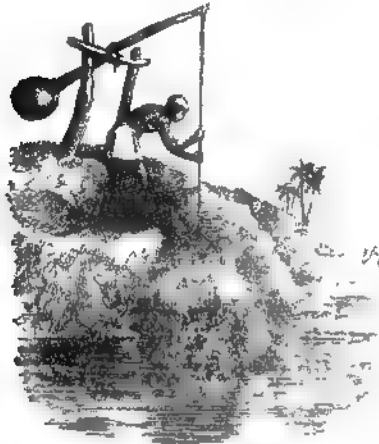
استدقنا المساكين عربوطي في حبل مثل خيول الجير ، وهم يجرون المركب  
 الفضة عند التيار ، وكذلك قام سبعة من بجارة الميديتي م ' وب' بجر  
 المركب الأخرى وهم يتبعونا على يده عند ياردات ' وتقابل الصلابل .  
 وتقاطعا ، ونطسا في الماء معا ، وسرعان ما قلب تلكان الذي رسوا فيه  
 الليلة الماضية . وانتصب حرم وبقيس على حافة الصحراء وسط اشوتة  
 الأصفر حبيبا كما لو كان يحمينا تحية الوداع . ولكن منظر صال السحب  
 تاجر مع جبال الصوره الهادي . وتودنا عليه متلبا يتمود للره على كل  
 شيء في حبه . ولكن هذه الهمة بلت لنا عملا في أعمال السخرة وأصابنا  
 حاضمتا الانجليزية بصدمة شديدة .

وهم استمرار السحب في هذا الصباح تجاوزنا لمرام دعشور .  
 وشاهدنا مرما متاعيا مشيدا من الفريد قاعا في وسطها مثل صخرة  
 سوداء تبرز بنفسها خلال منطقة النهر الجري وسط الصحراء . وكانت  
 أشجار الخيل تحدد خط الضفة وتدخل المنظر . ولكننا اقتبنا بعض  
 النظرات معا وحناظر باعيتي باعيتنا من ذلك الهرم الذي يتخذ شكل القبة ،  
 وكنا قد لاحظناه من سفوة بالأمس . وبالنظر اليه في ضوء الشمس  
 ظهر لنا أكبر حجما وأصعب يالسا وأكثر حبيبا يستقصر لمر الصالة القديم  
 الذي يقع في بقرس على هذا البعد المصحق .

وهم مرور فترة الصباح . جلسنا على سطح المركب نكتب الملاحظات ،  
 أو نقرا . ثم نشاهد مناظر الشاطئ التي يقع عليها ضوء الشمس وتر  
 في هذه بحيث تظل على مدى النظر فترة طويلة . وكانت تتتابع أمامنا  
 غابات الخيل والصفاف الرملية وزراعات القمح ذات الرؤوس للصبغة ،  
 والحقول التي تنمو بها بعض الأعشاب ذات الرؤوس التي تكملها أرحار  
 صحراء اللون . وهناك صبي يقف متناظرا بطول الضفة ساحبا جبلا .  
 وكلاما يحيى بيده ، لكنهما سرعان ما تجاوزنا ، واقتبنا بقارب محلي  
 يسبح مع التيار . وجاءت لقاة إلى حافة الماء بيدها جرة قاذوة ، وانظرت  
 حتى تلتصقا به مرور صال السحب . وكانت أبراج الحمام الخاصة  
 بأحد القرى الطينية تلوح وراء مجموعة من الأشجار الخضراء على مدى  
 ربع ميل نحو الشمال . وهنا شاهدنا رجلا وحيدا يني اللون يضع على  
 رأسه طاقية ويرتدي برادا قصيرا ويحوم بهتليل الضافول (١) ليتحصى

(١) قام فـ بـ ذلك يوسف الشافول وسطا قليلا لا يسمى إلا أن نكاه حرمينا  
 كذا هو هـ من الجانب الفيليكلي لحد أن الشافول تطبق لنظرية البرونز - فل  
 ثلاث التي اخترعها الانسان، بمساعدة تراكم لاجام حد أن الشافول يحدد استدلاله =

ثم يتصب ، ويحصى ثم يتصب مثل بدول الساعة . انها نفس الآلة  
 التي سمعناها مرارا وتكرارا مرسومة في مقابر طيبة . ومن الواضح  
 أن الرجل الذي يقوم بتشغيلها ينتمي الى قدماء المصريين ، بحيث يشعر  
 بالمرارة لأنه استطاع أن يهرب بعد تحصيله في شكل مومياء ودفنه منذ  
 أربعة أو خمسة آلاف سنة مضت .



الساقي

• الى درجة تقوى المستخدمة ان جسم الشادوف يتكون من عمود حثين طويل يرتكز على  
 دعامة ولد وضع العمود بزوية عمودية على النهر . أما طرفه الذي ناحية الأرض لمقد  
 وضعت عليه كتلة ضخمة من الصلصال . وقد علق جردل من جلد الماعز على الطرف الذي  
 يناحية النهر . هذا هو وصف الجهاز . أما الرجل الذي يقوم بالتشغيل فانه يقف على حافة  
 النهر وأمامه حفرة مملوءة بالماء للقادم من مجرى النيل . وعندما يقوم بتشغيل  
 الشادوف فانه يمسك بالحلل المعلق فيه الجردل الفارغ ثم يدفعه ويفغر الجردل في الماء  
 مستخدما كل قوة كتليه . أما الجهد الذي يبذله في الاعتدال مرة أخرى فانه يعطى  
 للنهر المسود بالماء دفعة الى أعلى ، بحيث أن كتلة الصلصال التي تصق التوازن بين  
 الثقلين تعمل على رفع البدل الى الصعود الذي تلزم فيه ماء الجردل . ينفذ عمل على  
 جانب واحد . أما ما فعله فيتلخص في انه رفع الماء من مستوى اقل من مستوى  
 سطح النهر . أما اذا كان مستوى سطح النهر منخفضا بمقدار اثني عشر أو أربعة عشر

ورويدا رويدا بدأ المسيم الباطل يهب فأطلق الرجال الحبل وقفزوا  
الى سطح المركب ، وارتفع الصاوي الكبير وتسطع التسيم وعدنا للإبحار  
مرة أخرى بنفس بهجة اليوم الذي بارحنا فيه القفطرة • وعند غروب  
الشمس شاهدنا شيئاً غريباً يشبه مسلة عملاقة تم نحت صفها ، وهي  
تقف على الضفة الغربية مقابل السماء ذات اللون البرتقالي النحبي •  
انه حرم ميدوم الذي يطلق عليه في الملة اسم الهرم الكذاب • انه يبدو  
قريباً تماماً من الضفة ، ولكن ذلك من تأثير الضوء الفديك والظل لانه  
في الحقيقة يقع الى الداخل بمسافة تمتد عن الهرم بأربعة أميال على  
الأقل • وفي هذا المساء وبعد أن وأصلنا للإبحار في النهر حتى الساعة  
التاسعة ، رسونا على بعد حوالي ميل من سي سويف • وأكفشنا بمجدما  
علمنا أنه لايد من لإرسال رجل الى المحافظ لطلب الحراس • ويقول  
نحسب ان شيئاً لا يحدث لأحد من بقى سويف ولكن المكان لا يتمتع بمسمة  
من الدرجة الأولى • وإذا كان لدينا الحراس فانا في جميع الأحوال  
نحسب المحافظ صبوراً عن سلامتنا وسلامة ممتلكاتنا • ولذلك أرسلنا في  
طلب الحراس • ومع رسونا على الضفة ظللنا طوال الليل نصدح شديداً  
مستوعماً خارج نوافذنا •

وفي نفس الوقت أحد اتجاه الريح في التحول الى الجنوب ، ولكننا  
في الصباح التالى صارت تهب في وجوهنا وعلى أية حال فقد ظل الرجال  
يسحبون السفينة نحو بنى سويف الى نقطة تصل فيها حدود الحدود الجاني  
الى حد النهر وينتهي الفراغ الذي يمثل مسار سحب السفينة • وهناك  
توالىنا لحظة بين أسطول من المراكب المحلية القنوة المتلاصقة تواقع النهر  
من السفينة • أما عدل بنى سويف فهو بديع ، ويمتلك القديرو هنا قبلا  
من الطراز الإيطالي بفضاء اللون تلعب في وسط حديقة كثيفة الأشجار •  
وتقع المدينة خلف مجرى النهر قليلاً • ويواجه النهر من السفينة عدد  
قليل من القنص ونوع من المتنوعات التي تقع على ضفة النهر ، ومسجد  
بديع الشكل مبني على طرف الضفة مقابل انحناءة النهر •

وتريد الآن أن نلوم مع هذا الركن لنصل الى موقع القبل للإبحار  
عند صوب الريح ، لما هي التيار هنا فإنه يجري بعمق وحشة ولكن الريح

---

فما لكه يحتاج الى صفوف ثمر يمثل بحيث يصل الى حوض جديد يتل الى الماء  
من الحوض الأول • ولما كان مستوى سطح النهر اقل من ذلك فإن الأمر يحتاج الى  
شبابوك ذلك لرفع الماء حتى لا الضفة بحيث يمكنه من السهل حتى للتحول التي تحتاج  
للزور - انظر كتاب  *Egypt of the Pharaohs and the Islamic*  
ص ٤٤٤ وما بعدها •

والله اعلم بما في حالة سكون . لقد انفض عدد من رجالنا حول الركن مثل انقطاع وهم يحملون الجبل معهم ، بينما عمل الآخرون على ابقاء النصبية بعيدا عن الضفة باستخدام زامات تركز على قاع النهر . ومع انقطاع الجبل وانكسار إحدى الرامات باضلنا لكي تتقدم عدة اقدام ، ولكنه تقدم صعب . وبعد أن استراح الرجال قليلا ، كروا المحاولة ولكنهم فشلوا مرة أخرى ، واستمرت الحركة . وسرعان ما ازدحم المتروء ووافذ المسجد تدريجيا بالمشاهدين . وتم احتجاز عدد من الكراسي لجلوس ثلاثة أو أربعة من الرجال اللطيفين الذين يرتدون الصيامات ، فجلسوا في ولار وهم يدخنون الرجيلة على الضفة ويستمتعون بالمشاهدة . وفي نفس الوقت ظل السفاحون في غم ورواح في منطقة النزول ، وهم يملأون القرب المصنوعة من جلد اللاعر . كما أتى البعض بالحليب والجبال لكي تفرط . بينما أنت الفتيات اللاتي يرتدين فساتين ورقاء داكنة وأحذية سوداء خشنة ويحملن جرارا ضخمة تبيل هل رؤوسهن . وبعد ملأها ووضعها مبتلة يشفي في خطوات هيبية كما لو كانت الحرار الثقيلة الكابل فوق رؤوسهن .

وهكذا انقضى اليوم في تكرار محاولات ازالة المركب ولكنها هلت فاشة . وانخرا استطاع بحارنا بصرار عبيد أن يفوزوا بنا حول الركن الصعب . وبعد ذلك بقليل تمثنا النصبية باجستونز . ورسيت كلتا النصبيتين على بعد حوالي ربع ميل أعلى المدينة . وتلت ذلك ليلة مليئة بالمغامرات . لقد نام حراسنا بحق مرة أخرى بينما كان لثرار بنى سويده مستيقظين نياما .

وقد حاول أحد الوجهاء الذي أثارته دوافع الرد الصديق القيسام بإعادة ليلة للنصبية باجستونز ، ولكنه هرب بالقفر من النصبية بعد أن تم اكتشافه وملاحقته وإطلاق النار تجاهه . وبعد ذلك مساءً حل دورنا عندما تصادف أن كانت الكاتبة مستيقظة فسمعت صوت رجل يسبح يهوى حول ليلة . وجاء التصرف السريع في شكل لشمال مور طاجي . وتحذير كل فرد بحركة فجائية . وسرعان ما أثارنا النصبية كلها ضجيجا بصم الأذان . وأصبحت المساهل فوق السطح ، واستطعت لصيلة البهولة ، وشحن نلحني بتفقيته . فأنللت اللص في الظلام هاربا كالسكة .

وبالطبع كان المراس نائمين خلال كل تلك الأحداث . يا لهم من إنده ! لقد دقمتا لكل منهم شمسنا في الليلة نظير الجراسسة ولكنهم لم يمشوا على .

وفي صباح اليوم التالي لودعنا شكوى صيد أهل المدينة فحضر ليريدنا شخصي شياصب اللون ، مرتديا رداء أسود طويلا ، وقميصا أبيض كبير الحجم - كان هو كبير الخراس - لقام بتدقيق الفلانيون مرات عديدة ، وشرب أكوابا عديدة من القهوة ، وأصغت الى كل ما قلناه ، وهو يبدو شديد التمثل - وأخيرا اقترح مضاعفة عدد الخراس .

وغامرت بالقول انه اذا كان اليوم طبيعتهم ، فان اربعمائة حارسا منهم لن يكونوا على مستوى المسؤولية ، وعند ذلك هب الرجل واقفا ونشد نفسه ، وليس لهيته ، وقال بصوت مسموح جهوري « اذا ناموا فلانهم سوف يملكون لهم القلعة » ويظهرين حتى الموت ! » .

ويبدو ان حقلنا السعيد قد عارفنا ، لان الريح المضادة استمرت على مدى ثلاثة ايام بلياليها ، وهي تهب بقوة حتى عجز الرجال عن السحب ضيفا . ومع وصولنا عند تلك الضفة الوحشة وجدا ان بداية رحلتنا صيد عشرة ايام قد طارت فائتها في الهواء ، واننا سر ياتص الطوف - ولكن اسعدنا اكتشاف ان الحرية الطويلة المجاورة والفضيئة الثلثي على جاني النهر كانت جميعها مرحمة بالكتيبان الرملية ولذلك كان الفري يخرج يوميا بصحبة المخلص جوزج وجمه بنبيلته التي لا تنطى . ويمودان بسيد وغير . وبينما نحن نفي في رحلتنا طويلة كنا نرسم القوارب والابل ، وساويم النساء الوطنيات في شراء الطود والاساور القطبية . وهذه الموقود ( يسمى الواحد منها بالحرية طوقا ) اسطوانية الشكل ولكنها لليلة الدور - وهي في مسك الاصبع المختصر وتنتهي بخطاف في احد طرفيها وحلقة مستديرة في الطرف الآخر . وقد تخلص البنات احجبتن جامبا ويظهرن المجد الذي يلسمه كبر ، من المساومة - ولكنهن في الغالب وجمه ان يلقي خطة وهي ينظرن البنا بيوتن السوداء في حقل ، كن يشحن بالخوف مثل قطيع من الغزال الملهولة ، لم يدهبن مع صرلات حادة نصف حاجكة ونصف خائفة .

وفي بنى سويص واجهنا اولي المواضع الرملية التي وصلت النهر قرب الظهيرة . وقد بلت في الأفق مثل سحابة خفيفة تدور حول نفسها بسرعة امام الريح . وعند وصولها مرقت النهر الى موجات غاضبة ولطخت المنظر الطبيعي . وفي البداية احتلت التلال الصلبة ، ثم اشجار النخيل التي حلق الحرية ، ثم القوارب المجاورة لنا ، ثم امتلا الجبل بالرمال . وظهر سطح السهل متحركا ، ونبوحت المصفقات بشقير الماء المتفرق ،

• وتسلل التراب الأسفل من خلال كل شئ وكل صدع في شكل مثلث من  
 الثلاثات الصغيرة ، وكان منظرها لا يمكن تصوره . وصراعنا ما اعتلا  
 العسر والعيسل والقم والأذنان بالتراب النقيق ، وتقهرنا للاحتنا في  
 الصالون . أما هنا فانه على الرغم من أن جميع الخوافد والأبواب كانت  
 قد انغلت قبل وصول العاصفة إلا أن الرمل شق طريقه كالسحاب ،  
 فغطى جميع الكتب والأوراق والسجاد • ثم عدلت العاصفة بمثل سرعة  
 صيربها • واصتغرق ذلك كله ساعة واحدة ثم تلاه تصفق المطر الغزير •  
 وبعد ذلك صلت السماء وكانت غيرة بعد الظهر صافية جدا • وبعد هذه  
 المرة لم تصادف امطارا في مصر مرة أخرى •

وفي صباح اليوم كان أول ظهور لنا في بنى سويف ، وهو اليوم  
 السابع بعد يارحنا القاهرة ، تحولت الرياح الى الشمال مرة أخرى ،  
 وللمرة الثانية أصبحنا في طريقها • وكانت رؤية الفراع الكبير وهو يرتفع  
 مرة ثانية فوق رؤوسنا وسامع صفير الماء تحت نواهد القمرة مبعث سرور  
 عظيم لنا • ولكننا كنا لم نزل على بعد تسعة أميال ومائة ميل من أروضة •  
 وكنا نعلم أنه لا شئ يستطيع أن ينقلنا الى هنا عند حلول اليوم الثالث  
 والشرين من الشهر سوى حيلة حظ غير عادية ، مع توفر الوقت اللازم  
 لمحاولة بنى حسن خلال الطريق • وفي نفس الوقت كنا متقدم بمعدل  
 معقول ، وفي المساء رسمونا على بعد حوالي ثلاثة أميال شمال مدينة ببا عند  
 هدوء الرياح • وفي اليوم التالي استنظنا بمحاولة التميم الحفيف الذي  
 تعبره مرة أخرى بعد الفجر أن نمضي مسافة معقولة بين الضلعتين المنبسطتين  
 واللتين تنشقن أطرافهما بالشجار النخيل المختنارة هنا وهناك • وترصمهما  
 القرى التي تجعل المنظر صامعا للتصوير • ولكن لا يوجد هنا الكثير  
 الذي يبعث الى مراد ، كما أسي لم أكن راغبة في التسلية • والأد لمي  
 ممر على جزيرة ذات ضفة رميلة منطاة بطيور بيضاء مثل الثلج سرعان  
 ما طارت في مضرب عند اقترابنا • وبعد ذلك ظهرت مدينة ببا قاسية على حافة  
 الضفة الشمالية الأصهار • وظهر الدير القبطي الغريب الشكل الذي  
 يتكون منقلبه كله من قباب طبقة صغيرة مثل عنقود من الفخار الأرضية •  
 ثم مررنا بصنع السكر المهجور بمواقفه المهشمة ومدججه السوداء الضخمة  
 التي تصلح لمدينة يرمنجهم أو شفيلد • ولمح الآن حظ السمكة الحديد ،  
 وبسنتح الى آخر صفاة لقطار يفاذر المسطة • وفي المساء رسمونا ونحن نرى  
 حداثى المصنع والقنوات المائية لمدينة مفاغة • وفي اليوم التالي وصلنا الى  
 قلوصلنا وهي آخر محطة قبل ألمانيا •



واتضح لنا الآن سرورنا المتخصص في فكرة الذهاب الى بنى حسن قبل وصول بقية الزائرين على المراكب الأخرى . وقد وصلنا الآن الى مساء يومنا التاسع . ومارلنا على بعد ثمانية وأربعين ميلا من الروضة . ولا بد وأن صوب رياح مضادة أخرى سيصلنا اثناء الطريق . لقد حسبنا جميع المخاطر ، ووثقنا في فن نفخ اجتماعنا حتى اليوم الرابع والعشرين من الشهر ، وأن تغير الموعد المتفق عليه للوصول الى المنيا ، وسيصبح لنا ذلك وقتا كافيا لسحب المركب عند الحاجة . وعلى ذلك تمت صياغة برقية باللغة العربية . وبدأ عطفنا السريع في المنو للوصول الى قلوبتنا قبل أن يفلق صكتب التلغراف إيوابه طوال الليل .

وعموما ، فإن التميم لم يحقق بل عاد في صباح اليوم التالي عند الفجر . وبعد عبور قلوبنا وصلنا الى جبر متيسل في الظهر حيث تشرلنا عنده برعاية شيخ مسلم ، له قدسية عربية يدعى الشيخ قطن المبروكة . والآن ، فإن الشيخ قطن وهو شاب في حوالى الثلاثين من العمر ، يجمع بالصحة ، ويبدو عليه أنه يتفلى جيدا ، يظهر لأول مرة وقد جيع ملابسه على رأسه في شكل علامة ضخمة وكان يسبح في الماء بحيث لم يظهر منه الا ذلنه . وقدم لنا لفسه على سطح السفينة ولقى ترحيبا حاسيا ، فاحتضنه الرئيس حسن وقبلة المرشد ، وحضر البحارة واحدا واحدا وهم يقدمون كميات من التبغ وبعض الفروش التي كان يطلبها كما يتقبل بابا الفاتيكان التبرعات الخاصة بالقدس بطرس .



للشيخ قطن المبروك

وكان الجميع يتقدمون اليه عطايهم وهو ييسم مثل عروس البحر  
 المستناسة . وبعد ذلك أخذ يلمس دفة المركب والحبال والطراف الموارس  
 الألفية التي تمت الشعاع . ويقول تلمس عى ذلك انه ، ساوكها ، وأجيرا  
 يبنى نوعا من الدعوات الوداعية ويستمر بالتناويد ، ثم يرتدى فى انهم  
 مرة أخرى ويسبح الى السفينة بالمستور ليؤدى نفس العرس على  
 سطحها .

وص تلك اللحظة تأكد لودمار رحلتنا . وأحد القبطان يتجول وقد  
 رسم ابتسامة على وجهه الصارم . وظهر البحارة سمياء كما لو كنا قد  
 أعطناهم جيبها ذهبيا . ذلك انه لا يمكن أن يحدث مكروه للنهبية التي  
 يباركها الشيخ قطى المبروك . وأصبحنا متأكدين الآن من أننا سنفابل  
 رياحا مواتية ، وإن سمر الشلال بدون حوادث وإن تعود فى صحة وسلامة .  
 كما بدأنا رحلتنا . وكيف سأل عما فعله الشيخ قطى المبروك حتى يحصل  
 بركته شديدة الممالية ؟ انه يحصل على كميات وافرة من المال . ولا يصوم  
 أكثر من سائر المسلمين ، وله زوجتان ، ولا يؤدي أى عمل . ويحسبه  
 صورة الرعاء الناعم ولكنه شيخ ثلثا . وعندما يموت ستحدث معجرات  
 عند قبره ، وسيخلقه ابنه الأكبر فى هذا العمل .

وقد بدأنا السعادة بالتحرف الى العديد من المشايخ (\*) على مدار  
 رحلتنا فى الشرق . ولكنى لا أعلم أنهم فعلوا شيئا يستحقون عليه  
 التكريم . لقد شاهدنا شيخا عجوزا وحييا اسمه الشيخ سليم كان يجلس  
 على كومة من التراب قرب فرشوط لا يرتدى ملابس ، ولا يستخدم ،  
 ولا يخلق ذلته . وقد مضى عليه نصف القرن الأخير دون أن يفعل شيئا  
 ولا حتى يرفع يده الى صه ليتناول الطعام . ولكن الشيخ قطى لم يصل معه  
 الى هذا الخلق من التقوى كما أنه كان لطيف العين .

وحتى ذلك الوقت كنا نتجه نحو سلسلة من الصخور الصخرة ،  
 كانت واضحة فى الأفق منذ فترة طويلة ، وهى التي تظهر على المخاريط  
 تحت اسم : جبل الطير . وكانت الصحراء العربية ( الشرقية ) تكثر  
 من الضفة الشرقية حتى فترة قصيرة مضت وهى الآن مضى فى اشراف  
 متموجة الى حافة الماء . وتظهر الصخور الصخرة بنشة هنا وهناك فوق  
 الرمال العالية التي تدنو كما لو كانت تغطي العديد من الحايك المجبولة .

---

(\*) الكلمة فى القلم تعبر الى الشيخ أو الولي - ( المارجم ) .

وسرعان ما انقضت الضفة الطويلة وحل محلها حاجر منخفض من الحجر الجيري في شكل صخرة سوداء لامعة خلف حط الماء . والآن وعلى المنحدر البعيد لملحمة حيث يمتد النهر وتظهر الصخور المرسخة من مسافة بعيدة ، بربر يقعه صغيره في دير السكرتة . ويظهر الدير في جسم على التل جاتما على حافة جرف مرتفع . وكنا قد سمعنا كثيرا عن المنظر الجميل الذي يظهر من الرقعة التي يسي عليها الدير وهو داخل صوم برنامج رحلتنا يومه أحد الأماكن المطلوب زيارتها أثناء الطريق . وكان لابد لنا الآن من زيارة ملهيا هما كلفنا الأمر . ولذلك كان لابد من تعامل هذا الموضوع مع الأسف .

والآن يرتفع الحاجر الصخري إلى أعلى . وبه العديد من المنابع هما وصاف في شكل ثقرات لامعة في الأحاق التي تدعو بيضاء كالثلج . ويظهر الدير أكثر وضوحا . وتصبح الصخور أكثر ارتفاعا . ونصل إلى انحناءات النهر ، حيث يمتد صف طويل من الصخور المسطحة القليلة مستعدة لمسافة طويلة .

انه يوم القديس والسياسي ، لأنه عندما كانت الطبيعة تقرب ، ظهر رأس بني اللون وهو يرتفع ويهبط في الماء على بعد حوالي مائة ياردة أمامنا . ثم اندلع شخص واحد . وصار النادى لثلاثة من صخرة شديدة الانحدار أسفل حواف الدير وغطسوا في النهر . وفارتفعت الأصوات الحادة التي ترم في شكل جولة سمعنا صوتها بالرغم من الرياح . وفي دقائق معدودة أحاط بالثغاب سرب من الرماح الذين يطلبون الطعام وهم يصيحون بكل قوتهم « أنا كريستيان يا حواجة ! أنا كريستيان يا حواجة ! » ( أنا مسيحي أيها الرحالة ) . ولما كان هؤلاء رماحنا من الأقطار فقط وليسوا مضايح من النسيبي فقد سادح البحارة وهم نصف غاضبين ونصف حادين في إيلامهم عنا بالحق الطويلة التي يفرزونها في الدهر لتثبيت السفينة . وسمع لواحد منهم فقط كاذب يرتفع وهو مغفوف في بطانية بأن يصعد إلى سطح الذهبية . كاد رجلا ملج الشكل يبلغ من العمر حوالي الأربعين عاما ، له عسلان مدينتان ورأس مستدير ، وصممه في ثوب حطب الزان النحاسي . ووجهه يمرر عن الجهل والشغل والانتباه الشديد بحيث يجعل قلب الإنسان يشعر بالآلم .

ادس نهذا وجل قمطي سليل الشجرة المصرية الحقيقية - انه واحد من هؤلاء الذين يدل أحفادهم عبادة الآلهة القديمة وجولوها إلى المسيحية تحت

حكم الامبراطور ثيودوسيوس منذ حوالي ألف وخمسمائة عام مضت ،  
والمرحوض أن يكون دعمهم موريا خالصا لم يختلط بأي دماء أخرى بخلاف  
المسلمين الذين اختلطت دماؤهم أكثر من غيرهم من المصريين . وعندما تذكرت  
هذه الأمور كان من المستحيل أن أنظر إليه دون أن أحس بالاعتناء المميز .  
قد يكون ذلك محض خيال . إلا أنني أرى فيه طورا مختلفا عن ذلك الذي  
ينتمي إليه العرب ، فهناك شيء بسيط يوقف المناظر المحسوسة في  
حقيقة نى .

وبينما كنا نتفكر في سببه العظيم ، كانت أساس القبطي المسيحي  
تصطك بشكل دهر الشفقة . ولذلك أصطناء شلنا أو اثنين لأجل خاطر  
كل ما يملئه في تاريخ العالم . وبعد أن أخذ القبطي مع زجاجة فارغة  
وعيناهما له ، أصبح مبتعدة في وضعا وهو يصبح مرات عديدة قائلا ،  
« كثر خيركم يا مبتات ! كثر خيركم كثير اء لى ( نكسر كثرين يا مبتات ،  
« نكسر كثرين كثر اء » .

والآن متى الذي يقباه المنقودية وتركناه خلفنا ، والصخرة هنا  
نتمنى لنفس اللون الأصفر المائل للسيرة مثل صخور طرة . ومن الواضح  
أن الطبقة الألفية التي تتكون منها قد رسبت بفعل الماء في الواضح أن  
الليل قد فاض هنا ووصل إلى مستوى شديد الارتفاع عند زمن بعيد ،  
لأن وجه الطبقة كلها محترم على شكل حلايا النحل ، وقد غمره الماء بالتتابع  
على مدى عدة أميال . وعندما رأيت كيفية تكوين هذه الصخور الفرية  
التي تتخذ شكل المنقود ومثابكة مثله ، ونسجني كنودج لزجة للمائي  
الاسلامية البارزة ، لم أتمكن نفسي عن التصجب حول ما إذا كان بعض  
العماريين العرب القدامى قد استعار يوما ما لحمة خفية من مثل هذه  
الصخور .

وبدا النهار يميل . بينما استمر سطح الصخور يصحبا طوال  
الطريق . والآن ونحي تقتحم بعض الوديان الصغيرة المستعرضة ، ونفتح  
إلى قبة التي تملأ فيها مجموعات من الأكواخ الصغيرة والبقع الخضراء  
من زراعات الترمس التي تعفس في النهر حينما ، ثم نترجع إلى الأرض  
تاركة فراغا يشمل حراما من التربة للرروعة وسافة تنج بانسجار الخيل .  
ويقترب غروب الشمس رويدا رويدا عندما يتحول كل ظل ساقط في  
حيات الصخور إلى اللون البنفسجي ، وتلمح صفحة الصخرة كالذهب  
المتوهج ، وتقف النخلات التي على الصلة الفرية بلونها البرونزي الفاتح  
ليرى مواجهة الألق بقرمزى . ثم تنحدر الشمس ، وسرعان ما يتحول

بالنطاق كله الى لون السكون الأخضر الرمادى ، بينما تخرج السماء لونها وحلها باللون الوردى فى شكل فجائى . وقد استغرق هذا التحول حوالى ثمانى دقائق ، واخذ قوس ضخم من الظل الأزرق الضامق يصل قطره الى قطر قوس قزح يرحب ببطء على الأفق الشرقى ، ويظل ظاهرا . بينما تعتمد مساحة الاحمرار الوردى ثلوايه له ، ولكنه يتباعد ويبقى قليلا فى السماء . وانحيا يضمحل الاحمرار الوردى وتصبح الزرقه شاملة ، وتبدأ النجوم فى الظهور ، ولا يتبقى الا وعيش عريض فى القرب محدد الاتجاه الذى غربت منه الشمس . وبعد ذلك يحول ربح السماء يحل ما بعد الوميض عندما تكتله السماء لمدة دقائق بضوء ناعم سحرى ، وهبط ظلام الفسق دائما على سطح الأرض . وعندما ينتهى ذلك يبدأ الليل ، ولكن مازال هناك شعاع طويل من النور يجرى فى مسار الشمس ويظل ظاهرا لمدة تتجاوز الساعتين بعد حلول الظلام .

كان هذا الذى شاهدناه فى هذا المساء ونس تقرب من الدنيا هو الغرب . وقد تصادف ان شاهدناه مع فارق طفيف فى نفس الانواع وكحت نفس الظروف لمدة شهور قادمة . انه شديد الجمال وشديد الهدوء ، ومضيق بالنور العجيب ، ومظم درجات اللون البنية ، ومصحوبا بظاهرة مبهمة مرعان ما ساتحدث عنها كثيرا . ولكنه يعتقد تنوع وبهاء سبائنا الفسالية ، ولا يحيل سوى جر مصر الجالب . هؤلاء الذين يبحرون جنوبا مع الليل يتوقون مثلما توقعت أنا ، رؤية مراكب التحول الى اللون القرمزى مع لون الذهب والذهب ، ولكنهم سيصابون بالاحباط كما حدث لي ، لأن مراكب التحول هذه لا يمكن تحقيها بدون اصناف السحاب والبخار وهي غير معروفة فى النوبة ، ونادرة السحوت فى مصر . ولكننا صادفنا حظا سعيدا مرة واحدة أثناءقامتنا الطويلة غير المتأدة على سطح النهر عندما عرنا ضيفا من هذا النوع . وكنا حينئذ قد قضينا حوالى ثلاثة شهور فى الصحبة .

وفى نفس الوقت لم نكل من رؤية هذه السموات التى لا تشوبها شائبة واكتشفنا فيها لينة بعد ليلة اميلا جديدة للجمال والراحة . اما عن هذا التغيير القريب للألوان من الجبال الى السماء فقد شاهدناه مرارا اثنا سفرنا خلال النامى فى الجزء الشرقى من حبال الالكب فى شمال شرق إيطاليا . ووجدناه يحدث دائما كما هو الآن فى لحظة أول اختفاء للشمس ، ولكن اذا عن هذا الظل الضخم الذى يصمد الى منتصف السماء ويأتى معه بالليل ؟ هل يمكن ان يكون هو ظل العالم الصاعد خلال

الأخرى بينما تنفرد الشمس في الإبداع الآخر ٢ وأترك هذه المسئلة للرحالة  
الأكثر حكمة لعلمهم يحفون لها حلا فليس بيتنا من لديه العلم الكافي حتى  
تتمتعت عنها .

وفي نفس هذا المساء وبمجرد ظهور الفسق رأينا مصجرة أخرى .  
انفرد الجديد في الليلة الأولى لرئسته الأول . دائرة كاملة . قائم اللون .  
وبواضح . ومحدد المحيط . ولكن ضوؤه عبارة عن خط رفيع لا يربط مسكه  
عن مسك الشعرة . ولا يمكن أن يكون هناك شيء الملح من هذه الحالة  
الدقيقة من القصة اللامعة . وكانت جميع تفاصيل الكرة تلعب بركة ونحن  
ظاهرة بوصفها داخل دائرة . وبنت مثل بركان ينوهته الواسعة على  
خريطة باورة . وعند حافة السطح حيث يتقابل النور والظل كلاهما .  
ظهرت للنسج المبردة وضعت عادة لشم جبلية في دائرة الضوء . وحفظت  
من حديها عند الفسق . وبعد ليثني أو ثلاثة عندما تحولت الحلقة الذهبية  
إلى حلال واسع . صار الحر غير لطيف . كما لو كان قد أطلق . ولم يمد من  
الممكن تمييزه حتى يستأنف النظرة الكبيرة .

أما الريح وقد سكنت كماداتها عند غروب الشمس . فقد بدأ البعارف  
الصلب بحساس واستخدموا المصنعي الطويلة التي تدفع في قاع النهر لنفخ  
الركب للأمام طوال الجرح المتبقى من الطريق حتى وصلنا المنيا في هذا  
المساء خوال الساعة الخامسة . وفي صباح اليوم التالي وجدنا أنفسنا وقد  
رسونا بالقرب من القصر المصيفي للتخيير . وكانت المسافة قريبة جدا حتى  
أن الإنسان كان يستطيع أن يلقى حصاة صميرة في الشبائيك ذات المشربية  
للفرقة الحرير . وقد جلس جلوس البوابة الضخم في الشمس خارج  
القصر . وهو يمس برجلة الصباح ويثرثر مع المارة . وقد امتدت حديقة  
خفية وبعث فيها بعض أشجار الجعير بين القصر والنهر . وقد درست  
على الضفة بالثرة أو انتشل مع زحام من القوارب المحلية . وهناك في  
الطرف البعيد من الحديقة ظهرت منارة ومجموعة من المنازل المظلمة بالجير  
كليل بين لنا الطريق الواجب الدوران خلاله في الذهاب إلى المدينة .

وتصادف أن كان اليوم هو يوم انقضاء السوق ولذلك شاهدنا المتبذ  
في أبهى صوره لها . فلم تكن هناك شيء يمكن أن تنفوق عليها في القدرة  
والكثافة والانتعاش . لقد كانت مثل حديقة سقطت بدون توقع في وسط  
سفل محروث . البتوالرع عواره عن حواف من الظلم والتراب . أما المنازل  
فهو سلسلة من السخون المبنية من الطين بدون بواقة وظهورها تتجه نحو

السلع العلم . أما البانوت الذي يتكون من حباتين أو ثلاثة أوسع قليلا من باقي الحواري ، فقد كان مسقوفا هنا وهناك بسحب السجيل المنصبي وقطع من الخصر المائل ، بينما انصرفت السوق في قطعة من الفضاء القرب خارج المدينة . وكان البانوت يتكون من دكاكين تشبه الفواشب يجلس فيها التجار القرمصة مثل تماثيل قديمة متفاعية في مقابر قديمة متفاعية . والرفوف رديئة الأثاث ، بها بضائع مانقسترة المتبادة ، والعمائم المجدبة ذات الألوان الصارخة ، والسروج الحمراء القديمة ، والبطاطين باهتة الألوان معلقة للبيع ، وهناك للمحلات اليومية الأنيقة حيث يمكن أن تشتري في آن واحد الأسماك والبرية والبنيد الطهيف ، ومتنجات جرو الأنثيل وقبرص ، والثنيذ الأبيض والجبني والمخللات والسردس وصلصة وروستو ، وورنيش الأحذية والسكوكيت واللحوم المحفوظة والخبز والسجائر والكبريت والسكر واللح و الألبان الكتنية وصولريخ الألماب والبناية والربات والأدوية المركبة .

أما المظم المحلي فتتصاعد منه الروائح الضخمة المنبثقة من الكباب وشريرة العسل ، وتتصفر مبيطة خشية أشد صوادا من كافة اللوحات المرسومة لأشخاص سود البشرة . وهناك الجواهر المتدفقة كالسيل ، والمتداخلة بينها لتنفق طريقها ، وما تفره من صخب . وأيضا الصبر والائل ، وصرخات في الطريق ، والثرثرة والتراب والذباب والبراغيث والكلاب ، كل ذلك جعلنا نتذكر أفقر أحياء القاهرة . وكانت أسوأ هذه المناظر تلك الموجودة في السوق حيث مئات من القرويين جالسين على الأرض خلف سلال الفاكهة والخضروات . وكان بعضهم يبيع البيض والزبد والقمصة ، بينما يبيع آخرون قصب السكر والصمغ والكرنب والثنيذ والصغير والجنس الخفيف والقول الممشوش واللذة والقمح واللذة الصبرا . بينما تنقل النساء ذهابا وإيابا وعن يحملن مبهولات من الدجاج الحي ، بينما تحمضج الكتاكيت ، والباعة يمتدحون سلمهم ، ولبشرون يسامعون بأصوات مرقة ، ويتطايروا التراب كالسحاب . وتحسب الشمس طوقا من الضوء والحارة ، حتى أنك لا تستطيع أن تسمع صوتك أثناء الكلام . وكان الزحام في مثل كثافة ذلك الزحام الذي كان يجري في ليلة عيد ميلاد السيد المسيح داخل حواري سوق لندبول في لندن .

وكانت الأشياء وحيدة جدا فإلاقة بيضة لساوي أربعة عشر بنسا بالعملة الإنجليزية . ويبيع الدجاج بعبير خمسة بنسات للندجاجة الواحدة . فها، سعر الصمام فيتراوح بين بنسي وبنسي ونصف . أما الإبرة الحية

المتنازة فتباع بالتين من الشلنات . أما الديك الرومي فهما كان مسخما  
ومعاززا فان ثمنه جنيهان وستة بدسكات وهو ما يعادل نصف ثمن الحمل  
في مصر الوسطى والمالبا . أما الخروف للبتاز فيقدر ثمنه بستة عشر  
شلنا أو جنيه واحد . لقد كانت السيدات م - و ب . اللتان ليس لديهما  
ترجمان مشغولتين جدا هما . حيث تقومان بتخزين المؤن الطازجة وهما  
تساوعلان باللفة المربية تحت حراسة اثنين من البعارة .

وقد وجدنا مجموعة متفصلة من شجيرات النوم من النوع الذي ينمو في  
أقصى الشمال وهي العينة الأولى التي نلقاها على نهر النيل . وجدناها  
تنمو في حديقة مجاورة لموضع هذه السوق . ولكننا رأيناها مصعوبة من  
خلال التراب الذي يغطي العنبي . لها شجرة نخيل النوم فهي نوع من  
الأشجار التي كان يجب أن يرمسها دي ووت فهي غريبة الشكل . ونحيلة .  
ولها سيمان متفصيلة تنتهي كل منها بتاج أشعث مكون من أوراق صلبة  
تفسيه الأصابع وهي تظلها عنقيد ثقيلة من الثمار اللامعة الكبيرة التي في  
حجم حشوف القدس . ولأن أنها هي الشجرة الوحيدة في العالم التي  
يلقي الإنسان قلب ثمرتها بعيدا ويأكل الفلاف اللقري علما بأن القلب  
في مثل صلابه الرعام يمس الفلاف ليقي الشكل ومداله مثل كعكة  
الزنجبيل غير الطازجة . ولابد لشجرة نخيل النوم أن تفسم آل شعبتي  
لأن الانقسام هو قانون بقائها . ولكنني لم أستطع أن أكتشف ما اذا كان  
هناك حد ثابت لعدد السيقان التي تنفرع اليها . وفي نفس الوقت  
لا أذكر أني رأيت نخلة منها لها ثقل من رأسين أو أكثر من ستة  
رؤوس .

وعند عودتنا من خلال المدينة اعترضتنا عجز شطاط دابة يمشي  
واحدة مثل الحمار التي يمشي من قبرها وقد عرضت علينا أن نقرأ طالما  
ووضعت أمامها حرقه قذوة من مديبل . فليئة بالقرانق والحبياء وشطايا  
من الزجاج للكمور والعمار . وقد جلسنا القرفصاء مثل الضفدع تحت  
قائمة يمسمة من الجائط . وكان الجزء السفلي من وجهها مغطى بالحجاب.  
بينما كُتبت التواقيع الزجاجية الزرقاء والخضراء ذراعها الكتبتين . كما  
قطت أصابعها المخروتم الضخمة المشوكة . وألقت بهذه الكنوز في الهواء  
وهزتها وخلطتها ببضها البض . وصالتها بكل حلس الرجم بالنبيب .  
وذكرت لنا سلسلة من التنبؤات المبهمة مسبقا لحل هذه الظروف .

هناك شديق بعيد . وعنديك يفكر فيك . هناك رجل مسيد محطوف  
لك . وستأتيك نفود . كما أن هناك أخبارا سارة آتية في الطريق .



- وتتصلبك حجابات بها شيء يضيق ، ولكن مملتها يبحث فيك السرور .
- وفي حلال ثلاثي يوما سينافق بالصيغة اسمان محبوب لديك .
- الغ ٠٠ الغ ٠٠ الغ .

إنها نفس القصة القديسة المتبادلة ، ولكنها تتكرر هنا باللفظ العربية حتى بدون الاختلافات المتوقعة من ثم فلاحه عجوز ولدت وتضمت في مدينة بأحد أقاليم مصر الوسطى .

وربما كانت لمراسي السيون تخيم على هذا البحر ، من الريف ، أو أبدا انتشرت دون توقع وسقط جمهور صخم . وقد لاحظنا أن الناس هنا مردحون ، ولكنني بالتأكيد لم أشاهد الكثيرين من المور حبل الدين شاهدتهم هذا الصباح في المنيا ، ولابد أنه كان موجودا بالشوارع ومكان السوق عند يتراوح ما بين عشرة إلى اثني عشر ألف مواطن من جميع الأعمار ، ولست أبالغ عندما أقول أن واحدا من بين كل عشرين شخصا بما فيهم الأطفال من بين ثلاث أو أربع سنوات ، كان أمور .

وإذا علينا أن هؤلاء الناس ينتهون إلى نوعية من ذوى المظهر الحسن ، فإن هذا النفس يمثل اللبسة الأجرة في مظهر وجوههم التي تبس على الاستنزار ، والتي هي في الأصل متعبية ، وجاملة ، وعذائية ، ولم أرى في رؤية المزيد من هؤلاء السكان ذوى المظهر الخشن . فالرجال نصف حادكي ونصف سفهاء ، أما النساء فحريشات وهتوشتات ، أما الأطفال فانهم قلوبون وسفهاء ، ونافسو النور ، ومبتلعو السحور ، ولا يوجد شيء في الأقاليم المصرية يثير الألم مثل حالة الإصمالات التي يطلقها الأطفال الصغار حتى أن هؤلاء الذين ينتمون إلى الطبقة الأرقي ، يرتدي معظمهم ملابس رثة ، وتغطيتهم مشكوك فيها ، بينما تترسب على أجسام أطفال الفقراء الكدابة والالتهابات ، وتغطيها الطفيليات ، ومن الصعب أن تصديق للوصلة الأولى ، أن والذي هؤلاء الأطفال النساء قد تجاوزوا الحدود ليس من ناحية القسوة ، بل أيضا من ناحية الجهل النفسية والاستسلام للخرافات . ومازال الزمن الذي يحتاجه هؤلاء الناس حتى يتعلموا للبادئ الأساسية للحماية الصحية بعيد النال جدا . أن استحمام الأطفال الصغار يضر بصحتهم ولذلك فإن الأمهات يتركنهم ليعانوا من حالة الكدابة الذاتية وهي وحدها كفيلا باستجلاب المرضى ، أما طرد الذباب الذي يميل بميونهم فهو أمر شنيع . ومن هنا تأتي التهابات السيون وسائر الأمراض المختلفة من النسي . لقد رأيت أطفالا يرقون على أذرع أمهاتهم وقد التصقت بكل عين من عيونهم صفة أو ثمانية من حفرة الذباب .

وقد رأيت الأيدي الصغيرة الضعيفة وهي تنفض في مواجهة التآبيب  
إذا اقتربت من مركز الإزعاج . وقد رأيت لطفلا غم من الرأية أو الخامسة  
وقد انطسحت إحدى عيونهم أو كلتا العينين . وكانت لدى بعضهم كتلة لحية  
كثيرة يبرزت مكان إصبع الذي أصيب بالدمار . ومع إحد هذه الأمور  
خى لمسلمين فإن الإنسان يتعجب إذا علم أن ثلاثة من بين كل خمسة أطفال  
مولودين فى مصر يموتون . بالإضافة إل أن واحدا من بين كل عشرين  
فردا فى بعض المحافظات يصاب بالعمى كليا أو جزئيا . وكذلك فإن أربعين  
فى المائة من المواليد يمضون حتى يكبروا . وأن خمسة وتسعين فى ثلاثة  
منهم يتمتعون بعمى الإبصار . أما من جتى أنا فلم أستغرق أسابيع كثيرة  
على صفحة النيل قبل أن أبدا تلقائيا فى نهائى التجوهر فى مدن الأقاليم  
عندما يكون ذلك متاحا . وهكذا فقدت فرصة رؤية الكثير من حياة الضارع  
الذى يحياها الناس فى هذه المدن . ولكن مثل هذه السمات الخارجية  
كانت ذات قيمة حقيقية . وبدلك تبلورت عى رؤية مظاهر الفقر العميد  
والمرض والفاقة . وربما لم تكن حالة السكان فى القرية المصرية أسوأ  
من حياة أطفالهم فى القرية الأيرلندية . ولكن حالة الأطفال أكثر خطورة  
لدرجة أن الإنسان قد يرضخ فى الإبتعاد عنه آميال من الطريق حتى لا يشاهده  
عنايتهم مع عدم القدرة على تنظيف هذه المأبأة (١) .

وإذا لم تكن هناك حاذية فى التعرف إل أحوال السكان فى مدينة  
المديا وجوها . فإن مظهرهم الذى يشبه مظهر جيرانهم يريد كثيرا عما سمعناه  
علمهم فى كافة الوجوه . أما عى أماليب وعادات بنى سويش فقد كانت  
لنا بعض التجارب . وعرفنا أن الراى العام يتهم النيا والروضة ومظم  
المدن والقرى الواقعة شمال أسبوت بأنها تشابهه من حيث الميل الفطرى  
للسرقه . أما عن القرى التى تقع جنوب بنى حسن فإن بها لوكارا للصوم  
هذه هذه أميال . وبالرغم من تسويتها بالأرض منذ عدة صدوات كمقلب

(١) تذكر عيس هويتى الذى صمير كتابها فى هذا الموضوع حليد جدا . أن شاذية  
للحال الأوليم يوحنا فى حوالى من الثانية من العمر ( انظر كتابها المسمى : بين  
الإكرام Among the huts من ٦٩ ) . بينما يقول ستر أيرت على أنهن العديد  
من الفرس لمراسة الحقائق للطلبة جالسكن والمولود الريافة . أن هذه الفسة لقت ثلاثة  
أطفال من بين كل خمسة . - أن عوامن لأجل البطل ونسيان الفوائد الحسية وسوء  
التلذذ والتملح شبه التكلل للمنية الحلية جعلت الأمة تسق إلى هذه الحالة . أن  
كثفمن الذين يشبع على بكتكتهم ثلاثة أطفال من بين كل خمسة لا يستطيع أن يتنبا إلا  
بمحوك معجزة .

( انظر كتابه المسمى : الكلاج Le Folklac من ١٦٤ ) .

مسيكده ، لا انه قد أعيد بناؤها حاليا وعادت الى سورها الأولى كما كانت دائما . ولذلك فمن الضروري ليس فقط استئجار حراس لمراقبتها ليلا في كل هذا الجزء من الهر ، بل أيضا أثناء رسو النخبة مع الحجر الشديد من اقتراب اللصوص أثناء النهار . أما هي حصر العليا فالأمر يختلف ، حيث نجد المواطنين ذوي مظاهر حمسه ، وطوائع طبة ولطفا ، ورحماء .

وبالرغم من أنهم أدكيا ومهرة في أعمال صناعة وبيع التحف الحديثة إلا أنهم شرقاء في المعاملة .

وبمن هذا المساء ( كان عشيه عند ميلاد السيد المسيح ) وصحت الى النيا نقة أفراد محبوبتنا منكدة عن موعد وصولها لحسوالى ساعتين .



قارب للسوق البضائع في المنيا

## الفصل السادس

### من المنيا إلى أسبوط

اليوم هو عيد ميلاد السيد المسيح ، ومنعظر السيدتان م - و ب .  
لتناول الفداء . لقد اهلك الطيحاء في اعداد الطبق الرئيسي . وقام  
البشارة بدمج حروف احتفاء بالمناجاة . وببعض كان الضمير  
يخرجون الأمتة من الحقائق . لحدنا مستقر تدريجيا في أماكن الجاوس  
أما الضمير فهم أربعة أشخاص رسام . وروجان معيذان . وشابة  
عداء . وكان الرسام قد قام بالرحلة عبر النيل ثلاث مرات ، وهو ضعيف  
رعيها من العرة إلى الحاضرين . انه يعرف كل شيء عن الفصائل الرملية  
والرياح ولما كان ومن المراكب . وقد تعرف إلى معظم الحكام المحليين  
والقناصل على طول نهر النيل . وهو حبيب إلى موضوع ما يصلح  
وما لا يصلح طعام وشراب . لقد اجهلته القصة التي في مؤخرة السفينة  
ليستعملها كاستوديو ويضع فيها البرايز وقماش اللوحسنت وأوراق  
الرسم والخوفاط الحسية بما يكفي لانشاء مدرسة القلبية للفقير . انه  
في طريقه لرسم صورة ضحلة لأبي صبل . أما الزوجان السيدتان  
فلا داعي للقول بأنهما يقضيان رحلة شهر الفصل . والحقيقة هي أنه  
لم يضي شهر على زواجهما . أما الرئيس فهو الشخص الذي يتخيه  
العالم للقول بلقب العائل . انه حاصل على صفة دراسية ، وصحة  
مكتسبة ، ووقت فراغ . أما العروص فيستطلق عليها لقب السيدة الصغيرة  
تمهيدا للحديث . ان الناس الذين تصارعون في عظم هذه الرحلة  
المرحلة من الحياة الإنسانية يطلقون عليها اسم شهر الفصل . وليس من  
الانصاف في شيء أن نقول على اللذين يتوضان مثل هذه المرحلة انهم  
أنهما صغيران بما يكفي لأن يجعل الحروف عضوا .

وفي خمس الوقت يجب اخلاء سطح السفينة من الأثاث الجديد الذي  
وصل إلى ظهر المركب . وعلى اليوم في ارتساة انتراج الأمتة وترتيبها

ونقلها - أي مثل هذا الحرى من جانب إلى جانب أسفل المركب - ومثل هذا التفرع للصناديق وتركيب الرفوف الخشبية - ومثل هذا الحديث والضحك والطرق بالطرقة - لا يدأبه إلا الشاطئ الذى يحرى بالطابق السفلى -

وكذلك كان تلحى والبرصومات مشغولين بالطابق العلوى فى يومى السطح العلوى بسحب الخيل - وإحاطة المركب من جميع الجهات بصعوف من الخصاصيق المونة - ويصعب على الإنسان الاعتقاد بأن هذا هو يوم ميلاد السيد المسيح فإذا كانت النار فى الوطن (إنجلترا) تلمع فى كل حجرة - وحوش الكنيسة أبيض فلفل الخبز - والأجراس المسادة تدق باجتهاج عبر الهواء البارد - فإن الوضع هنا مختلف حيث أما فى وسط النهار والحرارة شديدة على سطح المركب يفون لليلة - وعندما رسونا مع غروب الشمس بالقرب من قرية على جانب النهر فى وسط زراعات الخيل أحسنا بالانتماش الذى ننج من هواء المساء الشديد البرودة -

وهناك طرفة حتى فى مثل هذا المكان العادى مثل تناول الغذاء على الليل فى الهواء الطلق - وأنت تصعب وتعود فى الفلوة كما لو كانت عركية - والمثلون الهولنديون الذين سيعفون عنك يستدعوك بالطاق الرصاصى بدلاً من دق الجرس - أما أصحاب النار الذين يحترمون مشاعر طليحيهم فانهم يتجاوزون مهم بإطلاق الطلقات النارية - لأن المناظر ستبدل حالا بدون اندوار نظرا لانقراض الساعة الكنيسة التى تضبط جالسهم - ومن المكن دائما أن يظل الطبيب والضيف جالسين بدون اصباح لمدة ساعة أو ساعتين - ولذلك أطلقت الطلقات المتعددة - وانتهاء الشغل - وجنسنا إلى إحدى الزلازم البدوية الجمجمة - ولم ينجح أى من فى تصديق أن ذلك اليوم كان عيد ميلاد السيد المسيح حقيقة - حتى ظهر فى المشهد طوق البوديج للصنوع من الفرقوق وهو يلعب فى أغر - شديدة -

ولا يمكن أن يكون هناك شيء أكثر رقة أو إشراقا من العرض الذى كان فى انتظارنا عندما نهضنا عن المائدة - لقد أحاطت بالقراب حمسود ومائة مصباح ملون - علفت ما بين طريقه وهوى الصاريين - وألقت ماسكاساتها للكسرة على النار المترق - وظهر السطح العلوى المزين بالرايات والمظلل بالمظلات مثل عريش من أشجار النخيل - وهزت الحو - والهلال فوقنا - وكانت خطوط الأشجار للجنة - والامتداد الأرضى داسل

النهر ، والمنظور الفاضل للنهر اللامع والصبغة على البعد ، وفي نفس الوقت كان هناك ضوء يلعب بين البحر والأرض في اتجاه القرية أو شريط قاتم اللون يهف بطول الضفة .

وفي نفس الوقت كان هناك صوت حفل صاحب إنشاء الليل لأن بطربا دعوا بحارة الباجمستون لتناول القهوة وتلحس التبغ ، وأقاموا حفلا كبيرا على السطح السفلي كانوا يدقون الطبول ويضنون ويرقصون ويرتفون ملايس أنيقة ويرتجلون مشهدا كوميديا جعل مشاهدتهم يرادون بصوت عجل ، وكان الرئيس حسن يقوم بالتشريف ، يسما جلس جورج وتلحس والسف منصلي على المنصة الثانية وهم يحتسون قهوتهم على مثالي أبناء الطبقة الراقية . وطربا اليهم وصلنا بأيدينا ، وانتهت حفلتنا الموسيقية بأصوات الآواز مثلما يجري في العروس الخاصة بأعياد ميلاد السيد المسيح .

وبالنسبة ، فإن الحفلات التي تقام في مصر على أنغام للموسيقى والرقص والألعاب النارية تسمى فانتازيا .

وأحيانا يوما بعد يوم سرع يقدر ما نستطيع ، أحيانا بالبحار ، وأحيانا بمسبح الضعيفة ، وأحيانا يدفعها بالبحر الطويلة التي تصل إلى قاع النهر . ولكن الأمور لا تبقى دائما كما يريدنا الإنسان ، فغالبا ما كانت الريح تتوقف عندما نكون في حاجة إلى حبوبها، وتريد شدتها عندما نريد أن نشاهد شيئا على الضفة ، وعلى ذلك قاننا بعد يوم كامل من المسحب وصلنا إلى بني حسن في اللحظة التي حيث فيها ريح طيبة وملاّت اشترعتنا لأول مرة منذ يومين . وهكذا اضطررنا للمضي في طريقنا مع الدفترات المشدقة التي اتبعتها بها نحو مداحل الممرات التي تخترق الضمور . وذلك بعد أن استسلمنا للنصائح التي أرسلنا عليها فيها بعد . وعند الروضة التي تقع على نفس الطريق ، توقفنا لمدة دقائق لآوسال الريد والسؤال عن الخطابات الواردة ، ولوجأنا لحبي الوحدة زيارة دير النخل حيث يمكن مشاهدة النقش الذهبي لتمثال الفسيفس على مركبة الحديد . ولكن يبدو أنه قد كتب علينا ألا نشاهد المناظر المؤجلة وهو الأمر الذي سرعان ما اكتشفناه فزاد من إحساننا بالمسيرة والنعم .

وفي نفس الوقت ظلت السهة صافية ، وساعتين النهار دجلة . والأسميات والدة . وقفنا أوقانا طويلة في الهواء الطلق . وعندما

نوقف الريح فاما سرى الى الارض وتقوم ينزعات طويقة على صفة البحر -  
 ثا انا، وحوذا على سطح النخبة عانا نرسم صورةا تحيطية ، ونكتب  
 البطايات - ونقرأ لتفيليون ويانس، وسير جاردنر وينكسون ، وسيل  
 يجه في حراسة الاسرات المصرية - وبسما كانت الصسافير النورية  
 وابو صادة تجثم على المظلات وتقف حول سطح السفينة ، كانت الديوك  
 والمندجيات تشفق ، والاور يرفوف ، والديوك الرومية تصيح في انعامها  
 القريبة ، اما الخروف الذي منفضي به والذي يحش وحيدا في الفلوكه ،  
 فقد كان يشعو في المؤخرة ، وفي بعض الأحيان كان قد ينسا حوالى  
 مائة دجاجة على سطح المركب ( ولى نتحدث عن الحمام والارانب ) مع  
 الاحتفاظ بفروسي او ثلاثة في الفلوكه - وكان هناك سور حول حوش  
 الطيور المداجة عند الطرف البعيد في مؤخرة السفينة ، وبذلك تكون هذه  
 المحلولات بعيدة عن غرفة الاستقبال - وعندما كنا نرسو في مكان مناسب،  
 كانت تطلق هذه الطيور عدة ساعات وتقف حول الضفاف وتنتع  
 بحرتها ، اما صديقتي ( ل ) والسيفت الصغرة فكانتا تطمان هذه الطيور  
 السبية بطرح صغيرة من الاططار كل صباح - وكان عامل اللغة الذي  
 اتخذ منها تسلية حقيقية لا يستطيع أن يتخيل لى سبب آخر يدعنا لى  
 طعام هذه الطيور فيما عدا اننا لسبها لى نذبها وتناولها على مائدة  
 الطعام .

ان هذه الحياة التي نعيشها على مثال حياة لوح في الفلك تنمر  
 بالها مسيفة وآمنة وهائلة - وحتى الأيام التي لانشاهد فيها سوى  
 القليل ولا نصل شيئا بالمره ، لم تكن أياما مقبضة - اما الوقائع المثابة  
 التي تحصل لنا اثاره الجديد فقد كانت دائمة المحوث - اما المصيات  
 لاخرى بأعلامها وسكانها فكانت مصدرا ثابتا للاهتمام - أما اللقاء في  
 اماكى الرسو خلال الليل فقد اتاح لنا تبادل الزيارات - وانهاء مرور  
 بعضنا على البعض الآخر خلال النهار ، كنا نخطى الاعلام ، ونطلق الرصاص  
 للتعبه ، ونراى آداب السلوك في السر بدقة - وكانت بطى بواخر  
 توماس كوك المسيحية تسرع بجاننا وهي مزودة بالسباح - او تسر  
 بحواربا إحدى منى السحب الحكومية وهي تبحر ثلاثة او اربعة صنادل  
 مجهزة بمحطة بالفلاحين نصف العراة ذوى السجلات البائسة - وقد جرى  
 تحميمهم لأعمال السخرة في انشاء خط حديد للسكة الحديد او سفر  
 قنكة - وقد يتصادف مروونا بأحدى النصبيات التي انخرزت في شفة  
 رملة - وأحيانا كان يحدث ذلك للمهيتتا نحن أيضا فكان الرمال  
 يهرعون الى عصبهم الطويلة او مقفرون في النهر وهم يتأوهون في ثبرات  
 منقبضة ، لى يدفوا للمركب متناكهم حتى تقوم مسرة أخرى

وكانت هناك طيور جديدة مرأها لأول مرة وكنا نبعث عنها دائما . وربما رأينا بجمه ثقيلة الرأس تحاول ماردة مقدارها الضخم على حافة مجرى النهر وتصيد السمك في أجل غناها . أو مشاهد أدوة بزيه وهي تدبر غير السماء في اتجاه ضرب الشمس ، أو سريا في التمسحور بنهم جيبها في صف واحد على حافة إحدى الصفور في شبه وقار الأسماك الجالسم على المنصة . وهناك أيضا طيور مالك الحزين التي تقف على ساق واحدة وتحلق في الشمس ، وطيور المهدم المختالة يتجهان وقوسها التي حيكته حولها الأساطير الخرافية . وكانت آكلات النحل الرزقاء والمخضراء تحوم فوق حلايا المسل الحام . كما كانت طيور الرلرلرلر التي تصيد الأسماك من المياه العذبة بألوانها السوداء والبيضاء مثل الغربان يجلس بلا خوف على الضفة ولا يحرك ساكنا بالرغم من مرور الخراجيح المربوطة بالصلع فوق رؤوسها . ويزود اللهبية على بعد أقدام قليلة من الضفة . أما الطيور التي تحفل بها حقول الأرو فقد كانت المئات منها . بالوانها البيضاء . ملأ الضفاف الرملية ثم ترتفع طائرة كالسحابة الضسخصة عند اقترابنا منها . أما الصفر القففس فكان يحوم فوق الرؤوس ويصيح نرس الصبيحة المحلوة ويلقى بنظرته الناقية وصرخه الحريئة التي أصمت إليها لقراءة هذا الكلام .

وتتبد هذه المناظر مع الجزء الأكبر من مجرى النيل . وكنا نرى نرس الأشياء مرات عديدة على معنى أميال عديدة . وكان مستوى الضفة يسبحر بشدة نحو النهر ، وشريط الأرض المروعة يتخذ لون عيذاب الدرة الخضراء أو الدرة الصفراء . وتتوالى القرى الطينية وبادعات الخيل ، ومصنع السكر المهجور يفتحته غير الرشيفة وموافه المهشمة . والساقية التي تنور بطيئة وهي تحصل هذه الجرار التي تنقل الماء ، والمساويف التي يرم على تشفيطه انسان في العبال الأقوياء ذوي اللون البني . وطيور الأبل المحملة بالأحمال ، والصحراء ، وكل التلال والسهول الرملية مع العبال التي تشكل الخلصية ، والسهل المنبسط المستطيل والشرائح التي تلمح ههنا .

وفي بعض الأحيان كنا مسير بجنداء تلال القراميد القديمة لمدينة غير مبرومة مع بعض أطلال مبان كانت عليها عقود ، وأضبا سواط ومداحس تعمل إلى حافة الماء . أو سحر يحوار سلاسل صخور عودية صلبة مثل تلك التي عند جبل أبو هابدة . وكانت طيور الماء تحفل تاركة مرأبها ، وسحلق في الحسات الخلفية للبقاير الهندية المحصورة في الصخر فوق المستوى الذي يصل إليه القضاان .





جبل أبو غلدة

ويتمتع جيب ( أبو فايدة ) هذا بسمعه سيئة فيما يتعلق بالرياح العنيفة خاصة عند بداية السلسلة وبهايتها حيث يحس اليل بعدة ويفتح الوادي على الهر يزوايا قائمة . ومن الماطر التي ستحق المشاهدة أن سطر الى الرئيس حس وبحر تقترب من إحدى هذه الرواد الرديئة وهي نقطة ينقسم عندها اثنان من الوديان بسبب امتداد رأس بحري من الأرض يحكم في الممر اللأني فيقسمه كما لو كان روجا من المدافع القديمة الرحيبة . ويتنقه مع صغبر الرياح الضاد من شمال الصحراء لشرقيه . والبار الذي يفيض هنا بصق وشدة يتبدل مع الريح ويرتفع في سكر أمواج عالية . مما حصل القطار يخلق حذاء ويعبر ليشتر الشراع ثم يعب يراقها صامتا . ويسعد الحارة برحرحه سراعا الرئيسي عند صدور الأمر . وقد تشبث بعضهم بالحبل الذي يربط الشراع فيما وقف المصير الآخر في نهاية العارضة الأفقية . أما المناقور فقد اندفعوا أمام الرياح وظهور المحذر العظيم أكثر ظلما واشد قربا . ثم حانت لحظة كتم الأنفاس عندما صدر أمر فحالي حاد من ارجل الصنبل الحجم الذي نمسك بالحبل الرئيسي . فصاح البحرة وامسكوا بالاطواق وأمالوا الشراع المرفرف وأداروا السفسة حول الركن بسلام .

إن الصخور هنا جيدة النوع ، وأكثر ارتعاعا ، وأقل اتساقا من تلك التي في جبل الطير ، وتتحدر أشكالا غريبة مثل أشكال الكناش وأقراص

الجبن والأبراج والاكتاف الباتنة من الحصون ، والقراس الشمع التي هي  
 حلايا النحل مع سلاسل طويلة من القيور المنحوتة في الصخر . والمناجم  
 اسي نعلوها الكهوف للمنحوتة بفعل التيارات المائية والتي يريش فيها بعض  
 النماذج الساكنة ، على عكس الصخور الموجودة في جبل الطير التي  
 تنفتحت الى سبيل قطع للنفال الارابيسك ، وتظهر هنا كما لو كانت قد  
 نقتعت كلها بكتابات سرية تعود الى عصور ما قبل التاريخ ، ومجلات عن  
 اجازات نهر النيل حفرها اله النيل العظيم بنفسه - منذ البصور  
 القديمة - ولكن اللغة التي كتبت بها لم يفهمها بها الناس .

لما عن القابر المنحوتة في الصخر عند جبل ( أبو فايدة ) فابها بعد  
 بالثلاث . وصفا على بعد اثني عشر ميلا تقع هذه السلسلة موارية للنهر .  
 ويبرد سطح الصخور طوال هذه المسافة مرصعا بالمناجل التي لا يمسى  
 بعضها صخر ويرج - وكل عشرين او ثلاثين منها متجمعة مع بعضها  
 البيض مثل بعض نوافذ السفى ، يبا يقع البيض الاحمر منفردا .  
 وبعضها منحوت بطريقة تجعل الاقتراب منها يصح من اعلى . والبيض  
 الاسر يضي قريبا من مستوى النهر . وبعض المناجل متقابلة مما يجعلها  
 تمثل احدي الماوضعتين الرئيسيتين لاحد الابواب أو الاطار المشيبي المحيط  
 بالباب أو النافذة . وبعضها يتخذ وضعها عرضيا يجعلها تظهر كما لو كانت  
 تتكون من سلسلة من الحجرات التي تطينها بعض النوافذ الصغيرة  
 المنحوتة في الصخر . ويسكن الانسان أن يصل اليها عن طريق سلم مكون  
 من الدرجات المنحوتة المتصلة في صد حافة الماء . والبيض الآخر منحوب  
 في اعلى مقدمة الصخرة امام مدخل كهف صغير على شكل راجبة بسيطة  
 ولكنها هوية . ومعمولة على اربعة اعمدة متصلة . ويبدو أن احدا من  
 الرحالة المحدثين لم يتم زيارة هذه القابر ، بينما الرحالة الذين يمتدحون  
 لمفوضة القديمة من امثال ويلكنسون وشامليون . الخ تجاهاوها الا من  
 بعض الاشارات القليلة . واعتقد انه فيما هذا الجبال التي تقع خلف  
 طيبة ، لا توجد أية بقعة في مصر تحتوي على مثل هذا الخلط من حائل  
 القابر . ويظهر العديد منها كما لو كان يمتد الى غصن الحديقة المبركة  
 والمثيرة التي تلتى اليها مقابر بنى حسن .

ولقد لاحظت على مسافة تقرب من منتصف الطريق أو اقل من ذلك  
 بطول السلسلة عمودين كبيرين عليهما قوش هيروغليفية ، يقفان على قمة  
 كتلة موزرة من صخره مستديرة ردا على ارتفاع يبادل حسمين ومائلة قلم  
 فوق مستوى سطح النهر . ويبدو أن هذين العمودين ليسا الا شاهدي  
 منابر ملكية تم نقشهما حلا الى جنب كما جرت العادة . ويتراوح ارتفاعهما

ما بين المني عشر إلى خمسة عشر قلعا ، ولكن بالنظر الى عدم وجود  
 تشييد قريبه يمكن مقارنتها بها ، فابني أحسن أجادهما الحقيقية يشكل  
 تقريبي - وهذا أخذت المركب تسرع بحيث أصبح من المستحيل عمل أية  
 رسوم تخطيطية أو تدوين أية ملحوظات عن النقوش الهيروغليفية وكما  
 قد تجاوزناها قبل أن أصبغ مقلاري ، ثم احتجنا تساما عندما ناديت  
 بقية المراقبين .

وعند عودنا بعد عدة شهور بحثت عليهما مرة أخرى بلود جدي  
 لأن شمس منتصف النهار الشديدة كانت تصب لهيبها على الصخور حتى  
 طمسيت تملأ كل شيء حتى التفاصيل الضحلة . وعندما كنت أبحث عن  
 الممودين بلا أمل ، ملت العوض عن ذلك برؤية نقوش يافرة ضخمة على  
 الوجه الشمالي من صخرة تقف طويلا عند ركن إحدى الجنبات التي  
 تقطع انتظام السلسلة هنا وهناك . وكان بروز هذه النقوش مستغما .  
 ولكن بالنظر الى الرأوية التي تستقبل بها الضو . كان الشكل الواحد  
 الذي لا يقل ارتفاعه عن ثمانية عشر أو عشرين قلعا واضحا ساما .  
 وسرعان ما وجهت انتباه السيدة ( ل ) الى الموضع ، ولكنها لم تميز الشكل  
 دون أن تستعين بالمطار فقط . بل انها اعتقدت مثل أنها تستطيع رؤية  
 آثار أخرى .

وحيث أن الممودين أو النقوش اليسار لم يلاحظها غيرنا من الرحالة  
 السابقين ، فابني أصعب لي معرفة الآخرين أن الصخرة المستديرة التي  
 شبه البرج والتي نقشت عليها النقوش ، تقع على مسافة تقرب من الميل  
 في الاتجاه الجنوبي من قبر الفتيخ وأحدى المنحلات - ( وهي قطعة رافعة  
 المظهر لا يمكن لأحد أن يتجاهل رؤيتها ) وهي تقع خلف بعض الخفافيش  
 قريبا من حافة الماء ، بينما توجه النقوش على مسافة قصيرة أسفل الدبر  
 انقبلي والجماعة - وقد أن سرتنا بمحاذاة طرف قاعدة جبل ( أبر فابنة )  
 يحاول أني عشر ميلا تقريبا شاهدا لروع امتداد لنظر الصخرة على هذا  
 الجانب من التلال الثاني حيث يتخط التل أصبحت ساحة في اتجاه الشرق  
 ومن ثم يفيض بين عدة أميال من الرقعة الزراعية - ومع الوصول الى هذه  
 المساحة الفجائية فإن الرياح التي كانت تضايقنا بطول شريط منخبط  
 ليلا بالنسبة لا تحتاج للركب . علم الرياح الآن نمطينا على كورة  
 السمينة وتسوقها نحو الشاطئ بقوة بحيث انحصر كل الجهد الذي بذله  
 عامل الدفة في توجيهه حقلعة فيلة نحو الضفة وتحاشي حوالى عشر  
 أو اثني عشرة مركبا صلحا كانت قد اندمجت قبلنا ، واندمجت الذمسة  
 باحسوتنر بعددنا صائفة . وسرعان ما رأينا ذهبية مصنوعة من الحديد

قادمة بقوة تحت الصخور وشرائعها منتشر مكامله . رأياها وهي تصارع  
فى الركن النطر ثم تنحرف مقبعتها فى الضفة مثل سفينة الملك أجيب  
على جيبيل للفنانيس .

ولما وجدنا ابينا مسجوعا حيا طوال فترة بعد الظهر . بدالنا  
ريارات المراساة مع جواما الذين صادفهم سوء الحظ ، وقد نصت آذانا  
من ارمال الساقية . وفشلنا فى سماعنا للقيام بالتزج على الضفة . ومع  
استمرار غصيب الطابعة أحتت الريح معوى . بينما تساقطت أمواج النيل  
فى الاندفاع . ولتشتت الرمال كالسحاب ، وأظلم وجه السماء كبا لو كنا  
داخلين فى غمام ليل . وفى نفس الوقت أحتت المراكب واحدا بعد  
الأخر مرتقى يشبه على الضفة . وقبل هبوط الظلام وصل عبدنا الى  
اسطول مكون من حوالى عشرين سفينة سلية وأجنبية .

وفى اليوم التالى استدعى الأمر توجيه جهود جميع البحارة لسحب  
فيله وباجسبور عبر النهر بالجرل والهلل ، وهى وسيلة تستحق  
التبويه . لا لحدائنها أو براعتها ولكن لأن رحلتها قالوا انها غير قابلة  
للتفسيح ، وقالوا ان أيامهم لم يستغلوها ، وكذلك أجنادهم أيضا  
ولذلك أعبروها مستحيلة . وإذا كانت مستحيلة فلماذا يتعبون أنفسهم  
بمحاولة ثقيلها ؟

ولكنهم حاولوا تنفيذها ووجدوا فى ذلك ما أصابهم بالدهشة .

وبعد اقتراب ظهر ذلك اليوم الثانى وأثناء السير على ضفة النهر  
تراءنا لأول مرة بهذه الحشرة المشهورة ألا وهى حشرة الجبل المصرية .  
كانت بيضاء وأثمة من هذه النوعية - سوداء اللون ويبلغ طولها حوالى  
نصف البوصة . ويضرب ثوبها الى السواد واللحم مثل الجبل المصنوع  
من حجر الرصم الذى تصبغ منه المجوهرات الصناعية . وكانت هذه الحشرة  
مشتركة فى أعداد قروى سخم من الطين سرعان ما بدأت فى تحريكه فوق  
الطفاة يشقة شديدة . ووقفنا نلاحظها بضئ الوقت ، نصف مجسبين ،  
ونصف متلهقين . لقد كان حجم القرص الذى منمنته يبلغ أربعة أضعاف  
حجمها . كما ان تحريكه للصعود به مع هذا الميل الشديد الى نقطة أعلى من  
فىصل الصبب القدام . كان عملا يتطلب مجهود هزئ الجيسار وليس  
«جود هذه الحشرة الضئيلة - وقد أودت القيسام بدور الوثقى فأصله  
عينا الى أعلى الضفة . ولكن ذلك كان خلا فوق مستوى غسها .

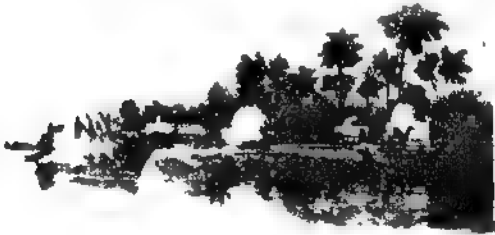
وسرى جميعا القصة القديمة التى تدور حول كيفية وضع هذه  
الحشرة للنسج على حافة النهر ونقله داخل كرة من الصلصال الرطب .

ثم دحرجه الكره الى مكاني آمن على حافة الصحراء . ثم دفنها في الرمل وعسلا يجمع أجرتها بيوت راضية لأنها ليست سلالته سلالته . ومن هنا جاءت شهرتها الأسطورية ، وكل الحرية التي ارتبطت بهذا المخلوق الضئيل وانتهت بأحاطة بقمسية خاصة تطورت الى عبادة فعلية . أما وقد وقعا هنا شهادت بحركات هذا المخلوق . وطاقته التي لا تكل ، وقوته المصلية غير العادية ، وعمله الذي يصل الى درجة تكريس الذات للموضوع الذي يبي يديه ، فأنا نستطيع أن نرى كيف أعطي هذا المخلوق درسا دقيقا يستحق تأمل التخصص في تعليم الأحيائيات المصرية القديمة . وكيف كان الجمع بين الحكمة والنسر سببا في اعتبارهم لهذا الجبل الأسود الصغير ليس فقط رمزا للقوة الخلاقة والحافظة بل ربما أيضا لمخلود الروح ، وذلك لأن هذا النوع من الحشرات قد تال تطهيرا لم يله غيره من الأنواع . لقد أصبح رمزا مبهما ، وصار كلمة معبرة عن الكينونة والتحول . لقد رسمت صور هذه الحشرة ملايين المرات ونقشت على أبواب المعابد مثبتة على أكتاف الآلهة . وحفرت على الجوهرة ، وضعت كعنت على الفخار ، ورسمت على النواويس وحواظ المعابد . وليس لها الأهمية صمى مخلوقهم ، ودلفت مع الأموات . وقد اعتاد كل رحالة على النيل أن يضطر منه حصة من حشرات الجبل الحجرية المسمومة حليفة أو غير حليفة . والمبغى لاهتم بامتلاكها ، ولكي لا أحمق بتملك نفسه من شرائها ، أما مجرد تقليد غيره . فو للتخلص من تأثير مشاكس لموح ، أو لاهدائها الى الأصدقاء في الوطن . ومع ذلك فاني أشك فيما إذا كان أحد هؤلاء الجبل تحسبا يؤم بالقوة الحرية التي تشبه الى تلك الجواهر الصغيرة أو بقدر التلقائية المصطنعة في مهارتها حتى يشاهد الجبل الحي تلك الهلاكه في عمله .

وفي النوبة حيث تتكون الرقعة الزراعية من مجرد شريط عرضه هذه الأقدام . فإن عمل الجبل حفيف نسبيا وتضاعف سلالته في حرية . إما في مصر فهناك سهل واسع يضطر لمبورده ثقلا بصله ، ولذلك فإن حصته نادرة بسبب الصعوبة التي يواجه بها حركة البقاء . ويبدو أن عدد حشرات الجبل في مصر يتضائل بقدر ملحوظ منذ أيام الفرعونية ولي يكون وقت انقراض حشرة الجبل الحقيقية بعيدا . حينذاك يجري البحث عن عينات منها على حدة لحساب من التلال الأول دوى جدوى . وحسب خبرتي أستطيع القول أنني رأيت عشرات من هذه الحشرة خلال الجزء من الرحلة الذي قضيته في النوبة . أما المفضل ما في تلك الأراضي هذه فهو المصادفة التي رأيت فيها جملا حقيقيا في مصر .

ويبقى النيل خلال أربع أو خمس أمهلات كبيرة أخرى بين جبل

( أبو ماسة ) وأسبوط ، هرورا بمعلوط وهى مدينة تقع على مسافة قليلة  
 حلب لصفة . وقد تحسبنا لكافة الاحتمالات - الريح المواتية التى كانت  
 تاتى وتدفع باستمرار ، الاسخنة المتخرج للنهر ، الهدوء القاتل الذى حدث  
 وصر على بعد ثمانية أميال فقط من أسبوط . وألوم الطويل التالى له الذى  
 قصيبه فى سحب المركب حتى حسينا أفسنا معظوظين لوصولنا مساء  
 يوم لثالث بعد العاصفة . أما تلك الأميال الثمانية الأخيرة فقد كانت  
 أحلى ما صادفناه فى طريقنا شمال طيبة ، بسبب جمالها الهادئ المتحرر .  
 والوادي هنا شديد الاتساع وخصيب ، وتظهر المدينة بمآذنها العديدة  
 لأول وهلة على حارب واحد ، ثم بعد امتدادها على الحارب الآخر حسب  
 انحناءات النهر . أما الجمال الوردية البعيدة فتبدو شفافه مثل الهواء  
 أو سطوع الشمس ، بينما تخرج الصعثن عن سلسلة لاهائية من  
 الموضوعات الصغيرة البهيجة التى يبدو كل منها وكأنه يسألنا أن نتوقف  
 لكى يرسمه أثمانه عورتا . هناك شادوف ومزرعة للنخيل ، وثلاث  
 حاموسات سوداء ذات شعر اشعث . وعند اكتاف النهر ترتفع اشجار  
 النعنع وهى تكاد سام وهى وافئة ويمط فى النوم تحت ظلها رجل وحمل .



المقابر التى على شفة النهر بالقرب من أسبوط

ونأتى بحلة ساقطة اقتتلها الفيضان الأخير ولكنها مارالت ملتصقة  
 بدعنه عن طريق حذرنا المتشعب وهامتها التى فى الماء . وامتنعت مجموعة  
 من فمور المشايخ بقبابها البيضاء المتألقة بخلفية من الأشجار الداكنة  
 النخصرة . وهناك أيضا ساقية قديمة بظل استعمالها ، ترقد على جانب

الصفحة مثل حذروف (\*) منهم ذى الرمية وجوه . وقد تكللت بخروج  
 يظلمه (\*\*) بويه متسلقة . وهناك القليل من الأتنياء التى صادفناها فى  
 الطريق ولكن ليس فيها جديد . وعلى كل حال فقد وجدنا الأتنياء القديمة  
 قد أصبحت صامدة جديدة . لما أربط مثل هذا الضوء الأتنيى والظل مع  
 مثل حلم الرقة اليراققة ، فكله جعلها تبدو مثل السراب الذى يظهر فى  
 الهواء أكثر منها قطعة من العالم الذى نعيش فيه .

وتبدو مثل السراب أيضا حلم المدينة الخرافية التى تدعى أسيوط  
 هى تظهر دائما كما لو كانت تحلق على نفس المسافة البعيدة التى لا يمكن  
 الوصول إليها . وبعد ساعات من سحب السفينة بالخيال لم تظهر المدينة  
 أقرب مما كانت من الليل .

والحقيقة أننا كنا لمينا ونحتل لفتح الأطراف الطويلة للنهر . مثل  
 أما قد تركناها خلفنا . ورغم أننا كنا سبق أن قلنا . كنا نتوقع تساقطه  
 أميال من العمل القامى حتى تصل الى أسيوط . إلا أننا أشك فى أنها  
 كانت تتجاوز ثلاثة أميال وهى مسافة قدرنا بعدها حسب طيران الطيور .  
 وفى نهاية فترة بعد الظهر دونا حول الركن الأخير . وكانت الشمس تنبج  
 نحو الغيب عندما وصلت المركب الى قرية الحراء . وهى مكان رسو السفن  
 عند أسيوط . أما أسيوط نفسها فبهاها المتخافة وماذا الرمية فابها  
 تقع فى السهل الى الورا . عند قاعدة جبل عظيم تتلطلل المقابر فى سطحه .

وكنا قد قررنا السماح لبحارنا بتجهيز جبر فى أسيوط وأسمنا  
 وأسوان خلال أربعة وعشرين ساعة . فما لبز أرمينا الذهبية حتى أسرع  
 الرئيس حسن وعامل المدة الى ركوب صغارى الفراء الملقى بينما الصبح  
 صعد على وهو من النشط . ولذاكى البحارة لاستنطار القرن . لأنه يوجد هنا  
 كما فى اسمنا وأسوان مخزن ضخمة للتخزين . ومخازن عامة لاستخدام  
 البحارة الماملين على النهر . وذلك لصين الفتيق وشيء بكياها كبيرة .  
 وتقطيعه الى شرائح وتجليفه فى الشمس . ثم حمله محصا لمدة شهر .  
 ولذلك نهر بعد اعتداده يحمل مثل البسكوييت الذى يستخدم على السفن  
 ويتنطق على البسكوييت من حيث أنه لا يظقت ولا يصيبه السفن . ولكنه  
 يظل جيدا وصحيا حتى آخر كسرة .

وأسيوط هى عاصمة مصر الوسطى . وبها لحدن القلجى الذى يمكن  
 أن تتوخر لى أية مدينة على النيل . ويشتهر قنارها الأحمر والأسود لى

(\*) الخنزيف : الصيرت لنا استدارت قولته - ( التبريم )

(\*\*) الخيف : ما لا ساق له من الكيات . كالقلاء والبطيخ . ويقلب الخلقه على

للحرق - ( التبريم )





كل أرجاء القطر المصري . لها رؤوس انفليون التي مصنع فيها ( الماروس )  
أبها من أفضل التنوعيات التي تصنع في الشرق ) والتي يتم تصديره  
إلى القاهرة بكميات كبيرة ، فانها تلحق طريقها ليس فقط إلى كافة مناطق  
البحر المتوسط ولكن إلى كل محل جزائري وإيطالي في لندن وباريس .  
ولا يستطيع أى عاشق للفنار الفلاحى أن يسيى الكشك المصري الذى  
أقيم بقاعه عرس السهراميك في المعرض الدولى سنة ١٨٧٦ . إن كل حدة  
ازهريات الحمراء الجذابة والقصور السوداء اللامعة . وكل حدة الفسجين  
الضخمة الرائحة ، وقطاعات الورق التي نقشه النسيج ، وهذه القوارير  
التي على شكل البرميل أو الطير ، جاءت جميعها من أسبوط . ويوجه  
بالمدينة هنا شارع يكمله لتحت الفسار . ولادوا ما تكتسب الذهبية  
سرعتها قبل أن يصعد أحد التجار إلى سطحها ويصف آنية سهلة الكسر  
بطول الطابق العلوى . وهناك تجار آخرون يعرضون بصاعتهم على  
الضفة . ولكن أفضل المسجات توجد في المتاجر . وحتى في القاهرة  
لا تستطيع أن تجد المنتج الأسبوطي الذي يبيع لك الإختيار من حبه الدوب  
والتكوين والتصميم مثل تلك التي يخرجها التجار ويلفونها في الورق  
الناعم عندما يظهر السيل الأوربي في السوق .

وهناك شوارع أخرى يجذب شارع الفسار بها شارع لأحدية  
الحرارة وآخر للمخامات المحلية والأجنبية ، ولحلات المعنادة لبيع السروج ،  
واكتساف الكتب ، والمسلات اليونانية لبيع كالة البضائع الموجودة  
على الأرض ابتداء من كوبسك الدرجة الثالثة حتى الكبريت المصنوع  
من الفحم . والمنازل مبنية من الطين المغطى بالجبس أو الطوب الأحمر  
كما هو الحال في ليبيا . أما الفسار فاعبها مترية وخفيفة ولبر  
مرصوفة ومرصحة كما هو الحال في ليبيا . كذلك فإن عيون الأطفال  
محاطة بالدياب ، ورؤوسهم مغطاة بالانهايات كما هو الحال في ليبيا .  
ويستعصار فإن ليبيا تفكر هنا ولكن على نطاق واسع مع الاختلاف في  
نوعية السكان الذين ليس بينهم لصوص أو علوانيون ، ولكنهم وفودون  
وطييون . وتجد بينهم المسؤولين الذين يتفوقون على نظرائهم من  
الأيرلنديين في حاسة الإلحاح . وهكذا تحول السراب الذي توقعناه إلى  
حقيقة . أما أسبوط التي تظهر على السطح مثل عاصمة مدينة الأحلام لقد  
أظهرت نفسها في شكل مدينة كبيرة متنوعة قبضة الشكل وعادية جدا من  
سكانها . وحتى المدن التي كانت تنمو وخفيفة من على البعد خضعتنا  
في معظمها فإذا هي عند النظر إليها من قريب ليست إلا بنايات من الأحجار  
الخضشة ذات الزخرفة المنقطة . وهناك طريق مرتفع مصحور بين صدين  
من شجار الحمير يحصل من الحرارة إلى السطح ، وطريق آخر يصل

من اسبوط الى الجبل الذي به المقابر . أما عن المدينة الفرعونية القديمة فلم يتبق منها أية آثار ، أما للمدينة الحديثة فقد أُنشئت على التلال التي استقر عليها الناس من قبل . لها مدينة للزيتي التي حُفرت في الصخر الصلب كما رآل معظمها موجودا لتخليده عظمه هنا للكان التي ولت مع القرى .

وفي اليوم الثاني ركبا الحبر الى حافة الصحراء ومضينا على اقتناصنا الى المقابر فاذا بالجبل الذي يبدو واقفا ويزي اللون مثل المملوك على التلجند ، يظهر الآن باحتنا وقاحلا وملوما باللون الأصفر المائل للسواد . وهو مكون من طبقات فوق بعضها من أحواض شديدة الضوح - وتقع في شكل برج مدرج طبقة فوق طبقة - أما المقابر فكانت مفتحة الأرباب بطول حافة الجرف . والنقطة شظية من الصخر فوجدتها حليقة وعسامية ومليئة بالقوقب الصغيرة مثل الأسد الأمريكي . وكانت الأحجار ممتدة على المنحدرات ومعها شظيات من الحواميات ، وقطع من الأكاف ومطام بقرية . وجسمها بيضاء وباهتة اللون يسلل الشمس .

وكانت أول مقبرة وصلنا إليها تسمى اسبطل عتتر (\*) . وهو من البطائر الضخمة ولكنه مشوه جدا . وهو يتكون من معشل كبير ومسر مسقوف ، وقاعة مسخمة على كل جانب من جانبيها غرفة وهيكل . أما سقف السر الذي تحول الى اللون الأسود بسبب الفئان ، مع التثوية الشديد ، فقد كان مرفوعا بأشكال مظنة باللون الأخضر القاتم ، والأبيض ، والأصفر الداكن ، على أرضية من أشغال الجص باللون الأخضر الضامق ، والحائط على يمين الداخل مغطى بنقش هيروغليفي طويل . أما في الهيكل فتوجد آثار باحتة لأشخاص جالسين من ذكور وإناث وفي أيديهم وحور اللوتس . وهناك تماثيل كبيرين لآلهتين من الحاربيين محفورين على الهامس فوق الصخرة المسطحة . أحدهما كامل الصنع ، أما الآخر فمن الصعب التعرف عليه . والتماثيل يقفان على جانبي البرابة الضخمة . وهناك ثقب دائري في الطرف الذي يصعد القبة التي كان الباب يدور فيها على محور يوما ما وحفرة عميقة امتلأت حاليًا بالمخلفات ، تمتد من وسط القاعة الى عقد مسطيل داخل في عمق قلب الجبل ، وهناك دمار شديد واقع على كلا الجانبين . أما النقوش المحلية فهي مهسرة ومطموعة . أما الأعمدة الضخمة التي حملت الصخرة المرسية يوما ما فقد اختلعت

(\*) محبة اسبطل عتتر ( مهندس ارتييدوس ) الذي اكتشفه في سنة ١٨٨٤م

( المرجع )

من مكانها • لما للعمل فيسلود ياكروم الاتسائي • وقد بقي من هذه  
الانتاخي ما يتكفي للمساهمة على فستامة المقبرة الآلية • وبقي النقش  
الهيردغليفي سليما لكي يحكي لنا عمر المقبرة وتاريخها •

وحدا النقش ( أدخل في دليل موراى حطا بوصفه غير مدون • ولكن  
شعره العالم يروجش الذي نشر مقتطفات منه تعود الى سنة ١٨٦٢ ) يبين  
أن حله المقبرة قد اقيمت من اجل من دعي باسم حييوكيا او حاجيتيا  
حاكم القليم ليكيوليس وهو كبير كهنة الاله انويس ( ابن آوى ) مبود  
مدينة أسيوط (١) • وهي مشهورة أيضا بين طلاب الدراسات المصرية  
بسبب حرات مدينة تنظم معلومات مهمة تختص بحساب الأيام التي  
تضاف الى التقويم المصرى (٢) • وقد لاحظنا ان كل العلامات التي على  
المارضة الرأسية للممثل تبعد مقبولة وقد مسحت بالجبس ثم جرى  
تلوينها • وقد سقط الحصى في معظم أجزائها بالرغم من أنه قد بقي منه  
ما يكفي لبيان طراز هذا العمل (٣) •

وقد زحطنا من حله المقبرة الى المقبرة التالية من طريق مس مطور  
في الجبل • ويرى في حفرة فسيحة ذات أربعة أضلاع أكثر كداعيا من  
الأولى • وقد حملت المقبرة على أعمدة مربعة مقامة في حسم الصخرة • ولكنها  
مثل الأعمدة البازلة في التكوينات الجيولوجية • أما الباقي وهو حفرتان  
نصف مملوءتين • وبابوس مكسور • وبعض الرموز الهيردغليفيه المرسومة  
على حائط الجبس فهي جميعها باقية •

وكانت أسيوط أن أرى المقصورة التي لك منها أبيع تلميذ شامبليون  
الألمى والمتمسك رموز الاسم القديم لمدينة أسيوط • ولكن نظرا لأنه  
لم يجدد الحروف التي استطاع الفك عن طريقه • أصبح من اللازم التحول  
الى الجبل لمدة أسبوع دون أن تتمكن من العثور عليه •

(١) ان النقوش الحفوية في حفرة داجيتا قد فسدت مؤخرا كما نسخ نحن آخر طويل لم  
يسجل رسمه وتمت ترجمته بمعرفة ستر ف • لوياين جريفيت F Idwellyn Griffiths  
ملاك سنوتوك استكشف مصر E. E. F • وقد حده ستر جريفيت للمرة الأولى  
لأربع هذه الحفرة المشهورة التي أقيمت في عصر لومر تيسين الأول من الأسرة الثانية  
حفرة •

(٢) انظر Recueil de Monuments Egyptiens للملك Brugsch الجزء الأول  
التمثيل المادي عام • مطبوع سنة ١٨٦٢ •

(٣) يمكن مشاهدة بعض التأثير القيمة الصغيرة مزخرفة ينشئ هذا الدرع من  
الطين • في مخطط هذه الأعمدة رقم ١٠٠٠ •

وقد قال علماء وصف لمسطيل عنتز لأول مرة - د وفي الكهف وجلس  
 الخراطوش مخلوقا مرعى حول اسم المدينة المليون بالحروف الهيروغليفية  
 ( اسيوط ) وبشكل هذا الاسم جزءا من نقش يحتوي على خراطوش ملهى  
 قديم وبذلك عرف ان الاسم الحالي للمدينة يعود الى ايام الترابعة ( كتاب  
 الصالح J. J. Ampère د. عسوانه Voyage en Egypt et en Nubie )  
 ويذكر فيه أن الخراطوش ربما كان يسم راكاميري الذي ذكره بروجنس  
 في الفصل الخامس من الطبعة الأولى لكتابه : ( Histoire d'Egypte )  
 وهنا أيضا نتتبع عملية حفظ مزدوجة ، فهذه المدينة التي كانت تكتب  
 بالمصرية القديمة boui أصبحت تسمى ليكوبوليس Lysopolis  
 خلال فترة الحكم الروماني لمصر - وقد أعيد هذا الاسم الى أصله التاريخي  
 القديم بحرفة أقباط المصور الوسطى الذي كتبوه مسيوط boui  
 وبقي موجودا في اسم اسيوط كما يطلقه الملاحون العرب - وليست هذه  
 حالة وحيدة ، فقد صار اسم كلميس يقرأ بالاسم بانوبوليس ويصير  
 هذه الطريقة تحول الى الاسم القبطي حميم وما زال حتى اليوم موجودا  
 بالشكل احميم الذي يتخذ اسطورة تأسيسها الأول - وكما حدث في هذه  
 الاكتشافات من اللغة القديمة حدث كذلك في التنوع الجنسي الذي وضع  
 له المصريون مع توال الجيوش الفسالية حيث اختلعت مملوهم ببناء  
 الفينيقيين والكرس واليونانيين والرومان والعرب ، واستطاعوا ان يصنعوا  
 هذه العناصر المختلفة في قالب واحد ينتسب الى النوع الانثوي ويستمر  
 مصريا الى الأبد - يا لفرابة طليان القوى الطبيعية ! ان شمس مصر وترتها  
 تطالبان بجنس واحد من البشر ولا تعجز عنه - ولا يستطيع المستوطنون  
 الغريب ان يظهروا نملا في هذا البلد - لقد حاولت مجموعة اجنبية مكونة  
 من مفرين اثب شخص ان تعيش في منطقة السويس التي تعتبر أكثر  
 مناطق مصر ملائمة للصحة ، ولكنها فشلت حل على عشر سنوات في تربية  
 طفل صغير ولدت من ولعوا على التربة المصرية - وان الأطباء الذين  
 يجلبهم آب اجنبي من أم مصرية يتولون بنفس الطريقة التي يموت بها  
 الصغار في الهند ، الا انه تربوا بنفس الأسلوب المصري البسيط - وقد  
 تآكل بالنسبة للموودين نتيجة للزواج المختلط انه بعد الجيل الثالث  
 يسقط الدم الاجنبي ويستعيد النسل الخصائص الجنسية في عروبها  
 الأصل القوي .

هذه مضي وليست كل حالات التقاء المصري (المحل) انه لقاء لت  
 انتباهي خاصة وسامود اليه كثيرا بين السح والآخر - ان كل محافظة  
 من محافظات مصر القديمة لها حيوانها المفضل - وقد أطلق الاغريق على

اسميوط اسم ليكوبوليس (١) لأن الذهب ( انقضى الآن من هذا البلد ) كانت له هناك نفس نوعية التنديس التي للقطعة في بوليس ( نزل بسطة ) والسماح في لبيوس ( كوم لبرو ) والأحد في ليوتوبوليس ( القسم ) (٢) - من مومياوات الدلاف وبحث في لقاير المصرية حول الجبل ، وكذلك مومياوات ابن آوى . من الاله اوتيس الذي يحمل رأس ابن آوى كان هو الاله المبجل في هذه المقاطعة . لها مومياوات ابن آوى التي ننتصر لاهل المنطقة والتي كانت تلف في شرايط حلوة فمن الممكن مشاهدتها في الفرقة المصرية الأولى بالمتحف البريطاني . أما المنظر من انجبل فوق اسميوط فهو أروع من مفايرها وأقدم من مومياواتها . وبالنظر من المنسل العظيم للمصرية الثمانية تبدو الصورة وكأنها موضوعة داخل إطار . لأننا بالنظر إلى المنظر الأمامي شبعنا منحدرا متألقا من الأطلال التي كانت صروحاً مبنية من الحجر الجيري . أما في المساحة المتوسطة فقد شبعنا سهلاً وأصلاً مكتسباً باللون الأخضر الرقيق النبت من الفصح الحديث النبات . وفي المساحة الأبعد ترتفع قلب ومآذن اسميوط في وسط نطاق من زراعات النخيل ، وبعد ذلك يلح الذهب المنصهر في نهر النيل العظيم ، أما على اليمين الميق في الصحراء البعيدة طلبة يد طبقة بعثداد الأبق ، فتظهر حافة الصحراء اللانهائية . وتظهر هنا وهناك برك وأسمدة من الماء الهادي المختلف عن الفيضان الأحمر مثل يسمرات وسط الرراعات الخضراء . وهناك فريق من الرجال ذوي اللون البني يخوضون في المياه بشباكهم . وتتقدم إحدى الجفازات في الطريق المصنوع ، وتري الكلب محمولاً على أكتاف الرجال وهو منطلي بشال أحمر . أما النساء فكن يسلن أيديهن بخصات من التراب ويملينها على رؤوسهن أثناء سير الجفلة . وكنا نرى التراب يتطاير بينما يحمل الهواء صوت تلامس النمار . ولقد المدهن التي تصعدونها على اليسار عند سفح الجبل . وهي مكونة من عدد من الكلاب البيضاء في وسط البيده فيما هنا شجرة هنا أو هناك ، بينما تنتشر مساحات عريضة من الظل تحت أشجار الجوز التي تنتشر على جانبي الطريق . ويموم صقر على رؤوس السباترين . أما مدينة اسميوط التي تستحم في اشراقه شمس الصباح فتبدو كما هي دائماً مثل الجوزية .

(١) كلم الإغريق بترجمة الأسماء الخمسة للآلهة المصرية القديمة . بينما حل الإلهة الأسماء المحلية -

(٢) ليوتوبوليس هي قد التهام حالياً في شرق الدلتا - ( المرجع ) .

وقد ورد ابن ليسيوسى قال ان المنظر من جانب هذا التل يعتبر من أروع المناظر فى مصر - ولكن مصر بلد مستطيل وبعتبر مسائل الأسبقية أمورا صعبة اذا حاولنا التعامل على أساسها - انه منظر جميل بالرغم من أن معظم الرحالة الذين يصفون المنظر حول طيبة والمسل إلى أسوان قد يحدقون فى الاعترا ب ذلك ، ولابد أن أتخيل أن أعطي الأسبقية للمنظر الطبيعى الذى مستشى عنه الجبال القريبة بسبب موقع المقاعد .

ولقد قيل ان المقابر هنا مثلها مثل غيرها من المقابر من بقية أنحاء مصر قد سكنها المتوحدين المسيحيون الأرائل خلال حكم أواخر الأباطرة الرومان - وينسب إلى هؤلاء النساك الأسطورة التى تجعل ليكوپوليس ( أسيوط ) مقرا لإقامة القديس يوسف الجار والمعدن - من خلال سنوات الإقامة فى مصر - أما مجرد أسطورة بعيدة الاحتمال هذا اذا كانت المائلة للقدسة لى جاءت إلى مصر مطلقا - وعدم قضية تفسك فيها الآن بعض الدراسات التى تهاجم الكتاب للقدس (٤) . ولكن ربما كانت المائلة القدسة قد استراحت من تجوالها فى إحدى المدن التى لا تبعد كثيرا عن الحدود الفرعية مثل ثايس أو بيشوم أو تل بسطة . وعلى كل حال فإن أسيوط تقع على بعد ٢٥٠ ميلا على الأقل جنوب أية نقطة يفترض منطقيا أن المائلة للقدسة قد توغلت إليها .

ويظل الانسان ميالا للاعتقاد فى صحة القصة التى وضعت منظر طفولة السيد المسيح فى وسط هذه المنطقة الريفية المصرية الجميلة والمتألقة . وبإله من اهتمام عميق ومؤثر ذلك الذى تضيفه على المكان - ولابد أن ننظر نظرة مختلفة إلى المنظر الطبيعى الذى كان بمثابة لفاصيله عزيزا عليه ومألوقا لديه ، والذى لابد أنه بقى دون أن يتغير منذ يومه وحتى يومنا هذا بسبب طبيعة الأرض - الجبل بمقايده ، ومساحات القمح الخضراء ، والنبيل ، والصمر - كانت جميعها تنمو حينذاك مثلما تبدو الآن . والجديد فقط هو مآذن المساجد الإسلامية ، والهياكل الفرعونية الخاصة بالمباعدة القديمة التى بادت .

(\*) هذه ليست أسطورة ولكنها حقيقة أثار فيها انبعاث القيد القديم بالوحى قبل حديثنا ( لصفحة ١٩ ، ٦ - وانها : موقع ١١ ، ٦ ) .  
كما أثار إليها وسجلها العهد الجديد بعد حدوثها ( متى ٢ : ١٢ - ٢٣ ) ولا يرى لهذا تعاملا الملائة جبل نسطم والقدير المشرق فرتة حافضا للسكان الذين عاشت فيه القاعة المقصدة لمدة ستة شهور مع كافة الآثار والمخطوطات التى تؤكد هذه الحقيقة .  
انظر كتاب : القدير المشرق - تاريخه ووصفه وكل مقتضاته . من تأليف أيفالو الدكتور لانا غريغوريوس وكتبا مدير المجمع هنولند التاريخ لأحداث أيفالو - من تأليف مترجم هذا الكتاب الذى يترجم القديس وغيره - ( المترجم ) .

## الفصل السابع

### من أسبوط إلى دنفرة

استمرت رحلتنا من أسبوط ، ومما على سطح المركب ما ورثه طندان من الخبز اليابس المطاوع الذي تم تغطيته إلى شرائح ثم تغطيته في الشمس . وسرعان ما تحول إلى بقسائط ووضعت في سكرين ضيقين على السطح المملوء . وقد استمتعت المصافير النورية وأبو فصادة بوقتها أثناء تحفيف الخمر ، ولكن أحدا لم يحقد على تلك الضريبة التي حصلت عليها الطيور .

وتعب طينا الآن رياح شديدة رغم أنها نادرا ما تهب قبل الساعة العاشرة أو الحادية عشرة صباحا وتضمحل عامة عند الغروب . وعندما يتصادف استمرارها مع عصف وجود مناطق ضيقة في مجرى النهر فإننا نلهي في الأيسر خلال الليل ، ولكن ذلك نادرا ما يحدث . وعند حدوده يحصل النوم مستحيلا ، ولذلك فإنه لا شيء يستطيع اغراءنا بالإبحار سوى تأكيد السفر لأعيال حديثة ما بين وقت النوم ووقت الإفطار .

لقد مضى وقت طويل ونحن على متن المركب قبل أن نكتشف وجود شخص مريض ، ولذلك لم يكن هناك عفر من استمرار سير المركب ، فلم يكن هناك من شبيه لبحارتنا في نقل ما في طاقتهم من جهد مما جعلهم دائما يصيرون أقدامهم بالكدمات ، ويجرحون أيديهم . ويتلقون ضربات الشمس ، والتهابات الأصابع ، والتواءات المفاصل ، فيسبون المجر لأفهم بطريقة ما . وكانت الميزة ( ل ) ومها صندوق أدويةها الصغير ولقائهما من الفسادات والأربطة . تقوم بإزالة العلاج للمحدود الذي كان لنا . وكنا نراها في السطح السفلي مثل أولئك الصباغ سد الإفطار وهي تعالج المسابين . ولقد كان من حسن حظهم وجود « جراح متمرس » معنا لأنهم كانوا يصيرون بالشفاء واليأس معنا يتضرسون للأذى مع حلهم بالاسمالات الأولية . كما أن هذا المجر كان يقتصر على المواطنين من طبقة البحارة والفلاحين . إن أصحاب الأعمال والموظفين في الأقاليم

يجهلون تماما ليس فقط استخدام الاشياء البسيطة مثل اللبنة أو الحديد  
للببل بالماء ، بل أيضا يجهلون القواعد الأولية للصحة . ولا يوجد أطباء  
في اتجاه الجنوب من القاهرة . مع عدم الثقة في العلاج الحكومي لأنه في  
حالة انتشار وباء ، ترسل الحكومة مفتشي الصحة يأمروا بها ، ويقال ان  
حصب الناس يخفون اصابتهم ، بينما يرفض النصف الآخر تطبيق العلاج  
الموصوف لهم . ومن الجهة الأخرى فإن ثقتهم في مهارة الأوربيين العائرين  
ليس لها حدود فكانوا يأتيون اليها خائفا سواء منهم الأغنياء أو الفقراء  
طالبين النصيحة والدواء - وهناك ما يثير المواقف في الاعتقاد الساذج  
الذي يتفلسف به أمة مسعدة مهما كانت قليلة . وفي نفس الوقت تأكدت  
سمعة السيدة ( ل ) الطيبة في البحارة عن طريق بعض العلاجات البسيطة  
التي قدمتها . ولذلك أطلقوا عليها لقب . البست الحكيمه ، وأطاعوا  
توجيهاتها ، وابتلعوا أدويتها بثقة كما لو كانت خريجة كلية الجراحين .  
وذهبوا عن شكرهم بكافة الأساليب الرقيقة التي تشبه أساليب الأطفال .  
وكانوا يتنون لها ألب اغاني العربية وهم يبحرون بجوار حادها ،  
ويبحثون لها عن شظايا التماثيل عند زيارة الأطلال . وكانوا يقفون  
لها باستمرار هدفا صفوة من الحصباء والأرهار البرية .

وبعد أسبوع ينكشف منظر النهر عن اعظم أجزائه في الضفة  
الشرقية . فقد كانت سلسلة الجبال التي على جانب الصحراء العربية لربية  
حدا . بينما كانت تيفو هناك سلسلة أكثر بعدا في الأفق الغربي ،  
ويأتي جبل شيخ الريانية بعد جبل ( أبو لاية ) ويليه بعد ذلك في كتابع  
متقارب مسخور قلو ، وجبل الشيخ هريدي ، وجبل المسبوات ، وجبل  
طوخ - وجميعها تتشابه في الصلابة القلابة على قواعد شديدة الوضوح  
من طبقات الحجر الجيري المستوية ، وقمم مسطحة تقبى خطوطا من  
الحواجر الضخمة ، يخرقها الكثير أو القليل من الفتحات التي تعرف أنها  
قبور ولكنها من على البعد تشبه المنافذ التي تستخدم في الهروب .

ومع ابتعادنا في مواجهة الريح وقد نشرنا الشراعين ، رأينا المنظر  
العام السريع يكشف عن ذاته يوما بعد يوم ، وميلا بعد ميل ، وساعة  
بعد ساعة . وتركتنا خلفنا القرى ، ومزارع النخيل ، والقبور المنحوتة  
في الصخر ، وتفصل اليوم منطقة نخيل الدم . ولما ستصير الحد المرسوم  
على الخريطة لمناطق التماسيح . وتقدم للصخور ، وينحسر المد ، وينفتح  
المنظر على الوديان المصحورة ، وتظهر آثار ملحة للسمرات التي تعود الى  
القبور المنحوتة على ارتفاعات جمة . ووصلنا إلى الرأس البحري الذي ظهر  
على المد خلفا ما لظلال متدحاضتين ثم تجاوزته . أما مركب البطائح



إلى عملا على التلصق بها طوال فترة الصباح، وقد تخطيطها واحد منظرها يتصاعد حلما - والآن نحن نسير متحدرا يلفرا يظلل على قبر أحد الشايخ ، وشجرة متمزلة من نخيل الدوم - ومن يصيح قديم كان الغمام يقطرون منه الأحجار في شكل كتل ملساء تاركين تقريبا صخرة وممرات ودرجات سلال في جانب الجبل - وعند لاف (١) التي تمثل معقل الفتنة التي ترأسها درويش معتوه منذ حوالي عشر سنوات ، وجدنا أن هذه القرية المضمخة المكتظة بالسكان لم يتبق منها الا منطقة فسيحة من حقول القمح الخصبة ، وبضئ الأكوخ الخربة ، ومجموعة من التختات المفضولة الرؤوس - وبضئ الآل يسير محاذي لمعافة جبل الشيخ حريدي والذي يحد هنا حد غني بالأرض الرخيه، تاركا هناك فراغا يشتمل في شريط من طريق بين حافة الجرف والنهر - ثم تأتي الريانية وهي قرية ضيقة مكونة من أبراج طينية مربعة ، عالية ومحاطة بالأسوار ، وخطوط تشبه السلاسل مكدوة من الحراير المخصصة لحيشة الحمام - وليسا يمد وصلنا إلى جرجا التي كانت في يوم ما عاصمة لبحر الوسطى - ورسونا هناك لمدة نصف ساعة لأرسال البريد والسؤال عن الخطابات الواردة - والنهر هنا مربع الجريان حتى انه كان يطنى على الفيلقن ويهاجم المدينة كالماصرة - ويطع فوق مكان الرمسة مسجد مشرب ، له عقود مدبية وأروقة غير مسلوقة وعود مسحي لابد أنه كان قد وقع على الأرض في تلك الفترة - ومنذ جاء عام مضت كانت تقع على بعد ربع ميل من النهر - كما كانت سليمة منذ عشر سنوات ، ولايد أنها ستبقى صد مرور عدة فضائات قادمة - وحتى يأتي ذلك الوقت مستظلل حرجا واحدة من أجمل المدن المصرية -

وفي فرشوط ، يرى مصانع السكر أثناء العمل ، والدخان يهبط من المداخن الطويلة ، والبخار يخرج من فتحات شبكية في الطابق الذي

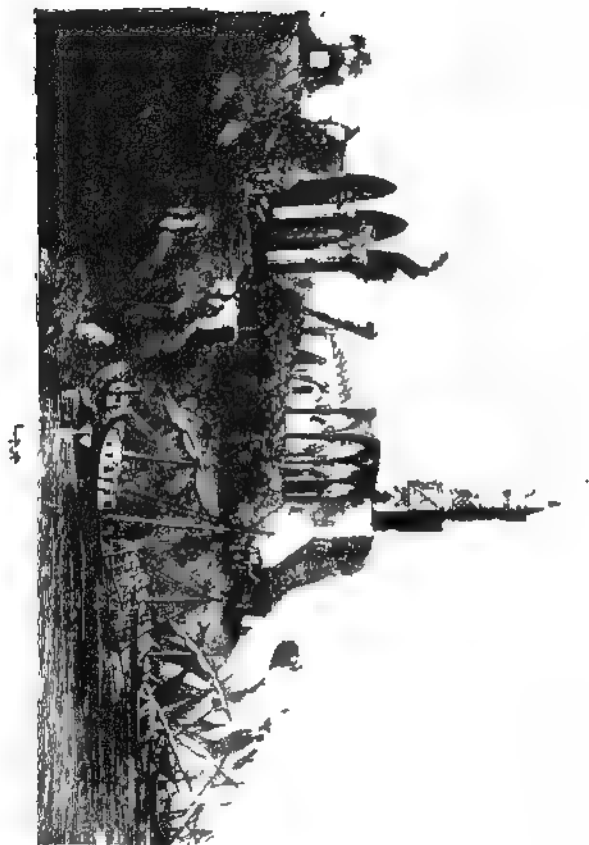
---

(١) أن هذا الشيخ حسب القصة التي أوردتها السيدة داف جوينتون في رسالتها ، أنه اكتسب سمعة زاهرة من حيث القناعة خير الأمثلة لأنه كان يردد اسم الله ٢٠٠ مرة كل ليلة لمدة ثلاث سنوات ليخلصنا منه بأنه بهذه الوسيلة قد جعل نفسه مصونا - وعلى ذلك أعلن نفسه بأنه المدين لدى سيقول للشيخ الصالح - وقد نشر المصنفين بين أهالي القرى المجاورة لبلد الشيخ حريدي ، وحرص على مهاجمة ذهنية انجليزية ، وجلب على نفسه وبضئ أهالي كل تلك المناطق الانتكاس السريع من جهة الحكومة - وقد أرسلت الرئيس المصرية بقيادة فضل بلخا في الدوئل جنوبا - وتم إطلاق الرصاص على الأثريين ، ونهبت الدوى ، وهونرت الحاصل والمضلة - وتم توزيع قصاد وأطفال المظلة بين الكفور المجلورة - أما لاف التي كانت قرية ضخمة في جوم مدينة القصر قد دمرت - أما مصير الدرويش فلنزال غير معروف - وقد قال البعض أنه قتل رجيا بالرصاص ، كما قال البعض الآخر انه عذب في الصحراء ومات في حفلة ليلة من الليالي -

اسفل الأرض ( اليندوم ) . وقوارب النخل تغرق عيمان قصب السكر  
 أمام الضفة بينما ينقله أحزاب أقوى الأجسام إلى المصب ، وتحمل  
 العربات التي تجرها الثيران بقايا القصب لاستخدامها كوقود ، وهناك  
 في ساحل بهجورة المرتفع قليلا على الجانب المقابل للنهر ، نجد الضفة  
 وقد تمازت عليها أكوام من أعواد قصب السكر تصل إلى مسافة ربع  
 ميل . وهناك لكثا من الجبال التي تأتي محملة به أو تعود لتجنب للزيد  
 منه . وتأتي المشتات من مراكب الفحم لاستقبالها . وتقوم حشود من  
 الفلاحين ينقله إلى سطحها لإعادة تفريغها في فرشوط . وكانت الجبال  
 ترعى وكزيد ، والرجال يصاصيون ، ورؤساء المسال يملأهم ذات  
 الحواف الزرقاء ومائلهم البيضاء يمشون في غطسة ذهابا وإيابا ،  
 ويشرفون على العمل . وتراجع الجبال هنا بعيدا حتى تختفي عن الأنظار ،  
 بينما يوسع السهل الغني بزراعات القصب وأشجار التينوبل قيسا بين  
 الجبال وبين سجري النيل .

ويظهر جمال الضفتين اللويتين بوفرة غير عادية من الخضرة . وينتشر  
 التمح للمحدث الأنبات على صفحة السهل مثل السجدة . بينما تنتشر  
 نباتات الست المستحبة ( العجول ) ذات القوارب الصغرى ، وأشجار  
 الطرفاء أو العبل التي تنتشر أوقافها على الرعش ، ولغسل القدم والبلح  
 وأشجار الجيز على حافة ممر سحب العربات مثل أشجار الحديقة المنزرعة  
 على جوانب مراكبها .

وما زلنا نرى مع شدة النعشة ما يبدو أنه فرد رمادي ضخم يجثم  
 على قمة كوم ترابي على الضفة الغربية وذلك بعد أن تركنا حلفنا كل حلم  
 البضرة ، وبمجرد أن عادت الضفتان إلى الاتساع والخلو من المزروعات ،  
 وظهر هذا المخلوق هادئا ومستاكسا تماما وهو يجلس الفرصه ، متخذا  
 ذلك الوضع الذي يميز عن الحزن والاحساس بالبرد ، والذي يخلط  
 الشبانزي في نفسه بمذاق الحيوان . وهناك ستة أو ثمانية من الأمراب،  
 كان أحدهم قد كزل من جبله ، وتجمعا حوله وكملوا يعملون فيه  
 مثلما يحولك الجيود الريطاني ويحلق في النموذج الموجود في حديقة  
 ريجنت بارك . وفي نفس الوقت تنفجر دحملة شمعية بين بحارتنا .  
 انهم يتزاحمون على هذا الجانب ، ويتصاصون ، ويستخدسون الحركات  
 والإنارات باليدين للتعبير عن دعتهم . ويرسل القبطان تحياته ،  
 وطرح عمل الفكة بيده ، وقد اتجهت عيون الجميع نحو الشاطئ .



134

ويصبح تلحي وهو يجمع من أسفل مقطوع النعس . « حل تريس  
الشيخ سليم ؟ انه هناك ! انظر الىه ! هذا هو الشيخ سليم ! »

واكتشفنا أنه لم يكن قردا ولكنه رجل . ليس فقط رجلا بل شيئا  
مبروك . يفيض بالقداية ، وايضا القداوة ، ايضى الراسى ، واييضى  
اللحية ، وذابل الجسم ، ومنحنيا ، ومتكوراً . انه الشيخ سليم الدابع  
ذهبيت . وكان ذلك البريى الذى لا يعرف الاستحمام يجلس فى نفس  
الموقع يوميا تحت حر الصيف ويرد الفتاة على مدى المستويات الخمسين  
الأجرة . ولا يروء نفسه بالهذاء أو الله ، ولا حتى يرفع يده الى فيه ،  
ممتثل على الاحسان ليس فقط لضافته ، بل ايضا لثاولته الفداء . وليس  
من المستحسن أن ننظر اليه حتى مع هذا الضوء الخافت ومن هذه  
المسافة ، ولكن البحارة يظنونهم رائع الجمال ويطلبون تركاته بصوت  
مرتفع أثناء عروفا بالقرب منه .

وكالوا نصايحون « سيدة يا أبابا ، اما لم نتمكن بخاطرها » .  
ثم يضيفون « كم نود أن نقبل منك ، ولكن الريح تهبط والمركب تسير  
وليس فى مقدورنا البقاء ! » ولكن الشيخ سليم لا يزعج يده ، ولا يبدى  
أية علامة تدل على انه سمع أصواتهم . وبهذه دفاقي قليلة ومع حلول  
المس ، تركنا حلفنا الكوم الترابى الذى يجلس عليه .

وعند المدينة الجديدة التى بنيت جريا على التلال القديمة التى أطلق  
عليها باللاتينية « ديويسبوليس پارفا *Diospolis Parva* ، رأينا المواطنين  
فى اليوم التالى ينقلون أحمال قوارب صغيرة من قوارب الزبالة القديمة  
الى الجانب الآخر من النهر بنرسى تسميد تلك الحطول التى جمع منها  
محصول الثروة المبكرة . وبالإضافة الى ما أثاره ذلك من استغراب ، لأن  
الطين المتخلف من المبيضات منذ ألفين أو ثلاثة آلاف سنة طمت ، ياتى  
فى النهاية لكي يستخدم فى الغرض الذى تحول من أجله لاله أكثر  
حسوية من الرواسب الجديدة . وعند قصر الصياد الأبد قليلا ، وصلنا  
الى أحد المواقع الرديئة المشهورة وهو موضح من مصرى الدهور مكتظ  
بالصخور الفارقة مما يجعل الملاحظة عنده مستحيلة . وهنا قضى الرجال  
نصف يومهم فى دفع الأحصية فوق الجزء الخطير . بينما مضى بين التلال  
اننى كانت قما حتى تمثل المدينة القديمة التى أطلق عليها باللاتينية  
اسم « شينوبوسكيون *Chenoboscon* » . وحلم البقايا التى تنطى  
سطح منطقة واسعة وتتكون كلها من أساسات من الطوب الأحمر الخلم ،  
دان أهمية شديدة وحظوظة فى حالة صلة . وقد تتبعنا الرمسيوم

التضليعية للعديد من المنازل والمزارع التي تحصل بينها ، ولاستلنا العديد من الخرد الصقية التي يبدو أن أبواها وتوافدها قد اتهمت حسب حلياس وبسم صغير جدا ، ولكن كان من الصعب التصرف على أسلوب آخر . وكانت أشجار المومج والأعشاب الضارة تنمو في هذه الأراضي المهجورة ، بينما شلت نلال القبيلة ، وسخفت البحر ، واكوام الفخار المكسور ، وسط الخرائب وصحبت من مهمة الاستكشاف . ونظرنا في ياس الى رصيف البحر للتداعي ، والكتل المخرقة التي ذكرها ويلكنسون في كتابه المسمى *General View of Egypt* . ولكن لو استطاعت أشجار أساسيات مصنع السكر الجديد المجاورة لموقع المرمى أن تنكلم ، فانها كانت ستكشف السر بدون شك . ولم نر شيئا في الحظيرة لأن هذه المدينة القديمة لم تحتو على أية صالمة حجرية ، ناهيك عن المرمى المكسور لأحد الأعمدة الجرانيتية الصخرة .



بحر المصعد

وكانت قرية قصر الصناد تتكون من مجموعة من الاكواخ الطبيعية ومصنع للسكر ، ولكن المصنع كان مقلقا في ذلك اليوم ، وبدأت القرية نصف مهجورة . ولانظر هنا جميل على وجه الخصوص . وعلى بعد حوالي ميلين في اتجاه الجنوب ، تهيئ الجبال نحو مجرى النهر بزوايا قائمة على تسلسل عظيم . ومن هناك تحصل في تدريجات طويلة الى الرؤوس البحرية للمنحوتة . أما السهل الذي ينتهي بحدته مقابل قاعدة هذا الحائل الضخم ، فانه ينفذ الى الخلف في اتجاه الشرق حتى يصل الى الأفق البعيد ، في شكل بحر فياض من الرمال المتوهجة مغطا في فوضى ياكوام من الاطلال على مسافة متوسطة ، اقربا جسيما مقدحة صقعة من

التربة المزروعة . ذات اللون الأخضر يسبب الحاصل الحديثة الايتات  
التي تروى بالشادوف . والتي تمتد بطول شفة النهر حتى قواعد الجبال .  
ويظهر على الضفة نهر لأحد الشايف نخله شجرة دوم منزلة . بينما ترى  
وسط الرمال على البعد نهر . قبطيا له قباب عديدة . ومقبرة مئيلة بالقبور  
المسيحية ، وواحة صغيرة من أشجار النخيل التي تعلن عن حلول فصل  
الربيع .

ويتركز الاهتمام الرئيسي في هذا المنظر وسط هذه الأطلال ، التي  
تبدو من أعلى على مسافة قصيرة ، سوداء ومهجورة ونصف مدفونة وصعبة  
بين حبي وآخر عندما تهب عليها الرياح مثيرة سحباً دائرية من الرمال ،  
كما جعلنا نتذكر القرى التي شاهدناها منذ أقل من عامين نصف مكتسحة ،  
وعشبة في وسط سبل الحميم للكهف من يركان فيزوف .

والآن يظهر القمر الكامل مرة أخرى فيجعل الليل أكثر إشراقاً من  
النهار . واعتدنا ونحن جلوس على سطح المركب لمدة ساعات بعد مغيب  
الشمس ، ومع انقلاق المركب في وفق يشرع نصف مثل - بالهواء ،  
واصراف قوة الريح ، إن تشعّب مما إذا كان يوجد في العالم كله مثل  
هذا القناخ الذي يجعل ضوء القمر في مثل هذا السحر ! ونقول إن كل  
شيء سواء أكان بعيداً أم قريباً ، واضح كما لو كنا في وقت النهار ،  
ولكنه أكثر رقة بحيث لا نجد ما يمكن أن يقال . ولم يكن شكل القمر هو  
الواضح فقط ، ولا الضوء والظل هما الظامري فقط ، بل أيضاً اللون  
الذي كان حاضراً . لم يكن ضوءاً خافتاً ولا متغيراً ولكنه رقيق ولامع  
وروحاني . لما البريق المنيرى للجزيرة الرملية في وسط النهر ،  
والبحيرة الهادئة لزراعات النخيل ، واقلنسوة ذات اللون الفيروزي التي  
ترتديها السيدة الصغيرة ، هذه كلها كانت ظاهرة للعيان ، وحقيقية في  
الارتفاع بشكل نسبي . وظهر البرتقال من خلال الضياف صندوق الفصح  
مثل كرات من الذهب الخالص . ولح شال السيدة ( ل ) القرمزي بصيغة  
أدفا مما يبدو عليه أثناء النهار . وكانت الجبال محمرة كما في ضوء  
الغروب . ولا نتذكر من كافة الظواهر الطبيعية التي صادفناها على مدار

الرحلة شتيا أكثر إثارة من ذلك - ولم نستطع أن نصدق في البداية أن ذلك لم يكن يعنى تأثير نور الشمس ، أو يعنى ألوان المساق للبحرة التي تظهر في الشرق ، ولكن الشمس لم يكن لها تأثير على ذلك الاحمرار الذي فوق الجبال - لقد كان المساق في العبر ، يسيرا انقصر دور ضوء القمر على كشف اللون المحلى فقط -

وكما نبحث وبعوث عن تلال طيبة قبل ظهورها بمدة أيام - والآن وبعد مرور ليلة من الإبحار السريع ، استيقظنا ذات صباح لتجد الشمس تشرق على الجانب الآخر للمركب - وسكنت الريح المواجهة لنا أيضا ظهرت سلسلة من مناظر الكمم المتكسرة على يسارنا - ومن هذه العلامات عرفنا أننا وصلنا إلى المنحدرات النهر الكبيرة التي تقع ما بين هاو وقتنا ، وأن هذه الجبال الجديدة الأكثر اختلافا في الشكل من جبال مصر الوسطى ، لا بد أن تكون هي الجبال التي خلف دندرة - لقد ظهرت واقعة على الضفة الشرقية ولكن ذلك كان مجرد وهم لم تبرح عليه الخريطة ، وإنما استمر فقط حتى اكملنا الدوران حول الركن الكبير - ولم يكن الدوران حول هذا الركن في مهب الرياح والتيارات المائية أمرا سهلا ، ولكنه كلفنا يومين كطريق من المسحب الشملق للمركب -

وبعد نقطة تقع على بعد عشرة أميال جنوب دندرة وأبنا عدة آلاف من الفلاحين يصلون على ضفتي نوعة جديدة وسط مسح من الرمال - وكانوا محتشدين على التلال كالنمل ، ووصلت إلينا جمعة أصواتهم عبر النهر مثل طنين جيش لا حصر له من الملح - وكان هناك آخرون يتعفنون على النصار بطول الضفة نحو سوق الصل في فيض لا يتقطع - كان لابد أن يصل عرض النهر إلى هذه البقعة التي نصف ميل تقريبا - وكان من الممكن باستخدام المنظار تمييز المهندسين بملابسهم الألوانية بسهولة ، وملاحقي السمال بالصبي الطويلة التي في أيديهم - وبين التخللات التي على جانب النهر لمست الخيام التي كان يحسب فيها هؤلاء الموطون أثناء مسار الصل باللون الأبيض - ولابد أن مثل هذه المناظر كانت عادية بما فيه الكفاية في الأزمنة القديمة عندما كان الفرعون المنتصر عائدا من

ليبيا أو أرض كوش وقد أجبر أسراه على القامة صرح ، أو حفر بحجرة ،  
أو عمل منجم في الجبل - ولابد أن الاسرائيليين الذين بنوا حواجز بينهم  
ورعسيس فوق الحب الطوب التي كانوا يستعملونها ، قد ههروا حسداك يمثل  
هذا المظهر تماما .

وهكذا كنا مضاهة حالة من السخرة لا يمكن الشك فيها . ولابد أن  
هؤلاء الذين يمدون بالآلاف قد سيقوا إلى هناك في جماعات تبلغ المئات  
من القرى البعيدة . ولم تكن حالتهم أفضل كثيرا من حالة الأسرى الذين  
سألتهم جيوش الامبراطورية القديمة . ويبدو أن العمل في جميع احوال  
السخرة التي تجري في العهد الحالي ، ينال عن عمله الاجباري الضائع  
أجرا ولكنه غير كاف ، وإن فئة تسخيره تستمر على مدى الفترة التي  
يستغرقها إنجاز العمل الذي أجبر على إكماله . وفي بعض الحالات كانت  
فترة السخرة تقتصر على ثلاثة أو أربعة شهور يخترق أن يعود العمال في  
نهايتها فوق صنادل تجرها سفينة مملوكة حكومية . وغالبا ما يست  
أن يترك هؤلاء المتصلة ليمودوا حسبما يتيسر لهم ، مما دلح بالعديد  
من الأرواح والآباء إلى قضاء نعيمهم خلال الطريق ، أو دفعهم للخدمة في  
أحدى القرى البعيدة من موطن إقامتهم . وفي نفس الوقت كانت زوجاتهم  
وأطفالهم الذين يحصلون على إعانة هزيلة من شيخ البلد ، يقعون في  
برائى نوع من القنانة ( عبودية الأرض ) ، بينما تترك راحة الأرض  
الصغيرة التي يمتلكها كل منهم دون حوث أنشاء وقت البنو  
والحصار . ويسر عليها موسم الفيضان العالي وهي في يد شخص غريب .  
وهناك جانب آخر لهذه المسألة المتعلقة بالسخرة يتمثل في ضرورة حصول  
مصر على الماء بأي ثمن ، لأنه إذا لم ترو الأرض ربا كافيا فإن المحاصيل  
تحترق ويجوع المراد الشعب . ولذا ، فإن استمرار حفر الترع كان يحسب  
حسن أولويات واجبات الحاكم لمصرى منذ أول العصور ، ولكنه واجه  
لا يمكن إكماله بدون تعاون آلاف العمال سواء أوعبروا ذلك أم لم يرغبوا .  
وهؤلاء الذين يعرفون سلوك وطباع الفلاح يصعدون للمهمة اليائسة التي  
تدور حول البحث عنه لتقيام بالعمل التطوعي الذي من هذا النوع .  
إن الكفائة والصبر يسلطانه راضيا بحالته الرامنة ، ولذلك لا تستطيع



الوعود يرجع آخره انفراد يترقى محل اقامته في كركيه . فصح نومه  
احتياجات اقليم يمسد متخافة أو سيمائة ميل ؟ ان شادونه يكفى متطلبات  
أرضه الصغيرة ، وما دام فلعوا على زراعة متطصلة الثلاثة الصيفية من  
العلة كل عام فان عائلته لن تحتج جوعا . لكن كيف يتم تباعد هذه  
المشروعات العامة الضرورية بدون الالتجاء الى وسيلة السخرة ؟ لقد وضع  
مسيو آيوت ملخصا يفرعا لحوار هذا « الجانب الآخر » على لسان فلاحه  
النموذجي . يقول أسعد الرجل الفرنسي : « ليس الامبراطور هو الذى يعمل  
الطير يستطع على اراضيك ولكنها الرياح الغربية » . والنتيجة هي ان العائلة  
التي تعتمد عليك تفوق أية مملكة تملكها في الملل اليسوى ، اما في مصر  
حيث لا يتجاوز عدد مرات سقوط الطر في السنة ثلاث مرات فان الأمير  
هو الذى يعمل محلها فيمدنا بالله عن طريق توزيع مياه النيل . ولا يمكن  
الجار ذلك الا اذا عمل الرجال بأيديهم . ولذلك فمن الضروري للجميع  
ان تكون أيقن الجميع تحت تصرفه » .

لقد اعتبرنا الهوى الذى تولد لنا في اليوم التالي ملصقا صرنا على  
بعد ثلاثة أو أربعة أميال من دفعة لحة من حسن الحظ . وظهرت أيفوس  
أولا حسب ترتيب الخريطة . ولكن المصادف تقع على بعد مربعة أو ثمانية  
أميال من مجرى النيل . ولا كنا في ذلك الوقت نضى بسرعة تقرب من  
عشرة أميال في الساعة فقد أجلنا النزعة حتى هودنا ~ وتقع الاطلال  
هنا في موقع قريب نسبيا بحيث نستطيع الوصول اليها من الجنوب .  
ونعود الى ذهبيتنا بعد الالتجاء نحو الشمال بالأميال قليلة حتى تصل الى  
الدهر . وهل ذلك فقد تركنا الرمي حصن يصعب النحية ضد التيار  
ونزلنا في أول نقطة مناسبة . ولما لم نجد حمرا أو مرتدين ، تركنا  
حرسا مكونا من ثلاثة أو أربعة بحارة ومضيفنا سيرا على الأقدام .



وكان الطريق طويلا ، واليوم حارا ، ولم يكن لدينا وسيلة للاعتناء  
 الى الطريق سوى الخريطة ، وبعد أن تسلفنا القسم المنحدر وسرنا  
 مساحات مزرعة تهيئ كثيفة وجدنا أنفسنا في منطقة ريفية ليصمت بها  
 حشرات أو شواذع من أي نوع ، وكانت التربة تنطد شكلا مربعا كما هي  
 المادة فظهرت مثل رقعة شطرنج مستقيمة تعبرها مئات من قنوات المياه  
 الصغيرة التي كان علينا أن نضيق طريقنا خلالها بشعرا ما نستطيع ، وسرعان  
 ما عبرنا آخر حلقة من تجسعات التهيئ ، وكان أمامنا السهل انظر اللون  
 يصل وراعات القص الحديثة ، كما كان سطحه مستويا مثل سطح البحيرة ،  
 ويتسع حتى يصل إلى قواعد الجبال ، أما المعبد الذي ظهر كجزيرة وسط  
 هذا البحر من الرمرد المترفرق ، فله انصصب امامنا على منصة من التلال  
 السوداء .

وكان لا يزال على بعد ميلين ، ينادي الضخامة ، طاعرا من على هذا  
 المعبد كساية بضياء ضخمة ، مستغضة البروز ، شديدة للوضوح ، وكانت  
 المواقف مائلة الى الداخل قليلا في اتجاه القمة ، كما ظهرت الواجهة  
 محذولة على ثمانية أعمدة مربعة مع مدخل ضخم في الوسط ، ولو كانت  
 هناك لتعوي بارزة أو الفريز أو أسطورة مصورة تشرى عالم المواقف لما  
 سمح لنا المعبد عنها بالقفزة على تمييزها ، ولذلك ظهر المعبد كله عاريا  
 وورزينا بشكل عجيب ، لقد ظهر كمقبرة أكثر منه معبدا .

ولم يكن المنظر المحيط لكل سكونا في مواقفه المنمزل ، فلا توجد  
 شجرة أو كوخ أو أي شكل من أشكال الحياة يكسر حدة انظر السهل  
 الرقيق ، وتبرز الجبال خلفه وان كانت منفصلة عنه بمنطقة فراغ بعيد  
 تفصله الاطلال التي ترتفع مثل التلال ، بلونها الوردى ، ورمالها اللامعة  
 التي تنطد شكل اللاكوام في جوف دعائها المكشوفة وارتفاع الظل  
 الأزرق الناعم في وهابها الخفيفة بالسحاب ، حيث تنحصر السلسلة فيلتصق  
 بالنظر من الصحراء اللامعة التي تصل إلى الأفق اللبني .

ولما اقتربنا تدريجيا ، وصلنا خطوة خطوة الى جسر مرتفع كان من  
 الواضح أنه يربط التلال بنقطة منخفضة بجانب مجرى النهر ، وأخذت  
 تقاصيل المعبد تظهر تدريجيا ، وتستطيع الآن أن ترى منحني الأفير  
 ومنطقة الظل المحيطة به ، بالإضافة إلى شيء صغير أمام الواجهة ظهر لأول  
 وهلة مثل هيكل صخري ضخم ، ثم كشف عن نفسه نادا هو قائم في  
 مدخل ضخم من النوع المعروف بوصفه بوابة منفصلة ، ومع اقترابنا  
 أكثر ، أتبنا إلى أجزاء من أعمدة منحوتة ، وتماثيل مشوهة نصف مدفونة

في الحشائش القريبة به بعض التلال التي تقع في الاطراف ، ثم ظهرت سلسلة من حرايت الفترات الراكمة والمصالح المهيورة ، ثم اعمد التلراف والاسلاك التي تصل الى هنا على مسافات واسعة بطول حافة الصحراء ، وننتهي في اتجاه الجنوب حاملة الرسائل الى النوبة والسودان .

ومصر هي الأرض التي تنتج لقاح الفترات التي توجد في التلال التي بها الخيام الاحمر ، أو انقاص البنية الحجرية القديمة ، بالإضافة الى أن طمي النيل متسحب بها . وقد تعودنا أن نجدها في دلتا كثيفة تشبه يودرة التلال على سطح الصحور التي يتجاوز ارتفاعها المستوى الحالي للفيضان . وقد قيل لنا ان هذه الخزانات التي كانت موجودة في دلتة ردمت عند المنح حول الصعيد أيام سحيه باشا منذ أكثر من عشرين عاما . أما الفترات التي وجدها فقد استعملت بعباء حيث غسملت وتبلورت في الخزانات وتحولت في الحاصل المجاورة الى ملح البارد . أما اصلا التلراف فهي دخيلة منذ فترة قليلة ، اقامها الخديو الذي اراد بهذا البعد أن يجعلها في العهد حتى لا تجذب مغالين ملح البارود الانتظار . وحتى يملأ الخزانات بالانقاص . ولكن ماذا تستطيع متون الحرب الحديثة أن عماء العلم الحديث أن تمل مع متحور ، وبه الجمال والظلال القريبة . مربية حورس ، وأفروديت المصرية ، التي صار تقديس أحجار هذا الجبل وكافة هذه القفار من أجل تكريمها ؟

وفي هذا الوقت أصبحنا على مسافة قريبة تسمح لنا بمعرفة أن تلك المعانم المربعة التي تحمل الواجهة لم تكن مربعة ولا كانت دهانم ، ولكنها الصفة شخصية تنهى برؤوس بشرية الهيئة ، وأن الحوائط لم تكن مسطحة على شكل القابر ولكنها مغطاة بخليط لا نهائي من الأشكال المسوحة . وأن البوابة النبية بالنقوش البارزة مشوهة بألاف من أمشاط الدبابير على مجموعات الفقاعات الطيبة . وهي ترتفع الآن فوق رؤوسنا وتقودنا الى شارع محاط بالحوائط ، مشغور مباشرة خلال التلال ، ومنحدر الى المدخل الرئيسي للمعبد .

ولم تعرف التسبب المتطيلة للبد ، حتى وقفنا تحت هذه الأعمدة الضخمة . ناطرين الى الأرض المسهدة تحتنا والافريز الضخم الذي يبرز الى أعلى مثل قمة موجة قلعة . لما ما ظهر لنا شاحقا على البعد فلم يكن الا وسط المعبد الذي جرى حفره ، والذي لم يظهر منه فوق مستوى التلال سوى ثلثي ارتفاعه الحقيقي . لما سطح الشارع فقد وصل ارتفاعه في الجزء المنخفض منه الى عشرين قلعا أعلى من سطح البهو الاول الكبير .

وكان علينا أن نهيئ مدرج سلال شديد الانحدار قبل أن نصل إلى الأرمية الأصلية .

إن تأثير الرواق على الإنسان عندما يقف عند قمة السلم يجعله يشعر بالجلال الفياض ، كما أن العرس والارتفاع وضخامة الأجراس ، كلها تفوق في عظمتها كافة التوقعات التي توصلنا خلالها خلال الميلي اللذين تقسمناهما عند الاقتراب من المبد ، ذلك لأن محيط الأعمدة الضخم ، والضيقات الضخمة التي ترحلها ، والإفريز الثقيل البارز فوق رؤوسنا ، كل ذلك يصير الخيال . ويظهر مع مقاييس الأبعاد (١) ربما أضخم مما هو عليه . وبالنظر إلى أعلى نحو الاطوار الخشبي مري نوعا من المراكب الاحتفالية المصرية التي تضم كهنة وسحرة ، بعضهم يحمل الزينات والبعض الآخر يحمل الآلات الموسيقية . ولقد رسمت الكرة الممتدة بمقاييس رسم ضخم على اسحانة الإفريز بحيث تظهر وكأنها تحوم فوق المنخل الرئيسي ، أما الكتابة الهيروغليفية والنقوش والأشكال الفرية للمسوك والكتكات فهي تغطي كل قدم حل الحائط والإفريز والسود . ولا تحوم هذه الثروة من النقوش نحو الأعمدة من الإحساس الكامل بالضخامة ، بل أنها على العكس تبدو كما لو كانت الرحلة الحقة في تلك اللحظة هي المكمل الطبيعي للمسألة في الشكل ، حيث تظهر ضرورة وجود كل مجموعة ، وكل قن ، وأنه قد وضع في مكانه الصحيح كجزء ضروري في البناء الذي يريته . ويحلم هذه التفاصيل سليم ، كما كان يوم أن تركه آخر العمال الذين كانوا يعملون فيه بعد أن سرح المهندس الممازي بأن تصميمه قد تم تفيته . أما مرور الزمن فلم يهوه سطح الحجر ولم يهش عمل الأرميل .

أما تلك الإصابات التي شاهدها فهي من عمل الإنسان . ولا يوجد طر آخر عملت به يد الإنسان ما عملت . سواء في البناء أو الهنم أكثر مما عملت بمصر . لقد أتى الفرس بالتحف الفرعونية ، وشوه الألباط معابد البطالة والكنيسة . أما العرب فقد نزعوا الطبقة الخارجية للأهرام ، ونقلوا متف من موقعها على ترات غير منتظمة . وعندنا هنا في دندرة نموذج للسبل الإغريقي المصري المشترك ، والتصميم المسيحي

(١) ينكر مير ج - وولكنسون أن الطول الإجمالي للمعبد هو ٩٣ خطوة أو ٦٦ قدما ، بينما يصل عرض الرواق إلى ٥٠ خطوة . أما موراي فلا ينكر أية أبعاد . وكذلك حاربت به في القليل المتصور المتاح الذي نشره . ولم يتعرض لذلك فرجسون أو شاميلين أو أي كاتب آخر من الذين رجحت أنه كتابتهم .

المكر فقد بدأ بناء هذا المعبد في أيام بطليموس الحادي عشر (١) بينما  
يحمل على خراطيشه البيضي المتساحت اسم وصلة بيرون . وقد كان  
الصرح الحائل جديدا سببيا سنة ٢٧٩م عندما قصي مرسوم فيزودوسيوس  
على الديانة القديمة . وهكذا فإن معبد دلتور هو أضخم وأقدم هذه المباني  
الضخمة التي بنيت أثناء أكثر فترات الحكم الأجسي اريهارا خلال  
السيطرة عام الأجرة ، وهو محاط بأشجار النخيل والاكاسيا في حرم  
مطلقة واسعة ما زالت واضحة المعالم ، يبلغ طول حوائطها ١٠٠٠ قدم  
واربعها ٣٥ قدما ومسكها ١٥ قدما . وهناك مصمار مدنون حاليا تحت  
عشرين قدما من الانقاض ، ويصل من البوابة إلى الرواق . وما زالت  
البوابة هناك وقد حوت جريا . ولكن للمعبد سقفه ، مع مدرجات السلام  
وسرايب الكنوز السرية ما زال كاملا من كافة الوجوه كما كان في اليوم  
الذي تجاوزت فيه عظمته الحال للخراب .

ويستطيع الانسان أن يتخيل بسهولة كيف أن هؤلاء المخربين صلبوا  
وحرقوا كل ما قابلهم ، وكيف انتهكوا حرمة الأماكن التي قدسها المصريون  
الغضا . ولقدوا تماثيل الآلهة وقسموا كنوز الهيكل . والمحطلة هي أنهم

(١) لقد وجدت أسماء الأباطرة أغسطس وكليجولا وطيطيريوس وديميتريوس وكليديوس  
وبيرون في الخراطيش الملكية . وكانت قصود خراطيش بطليموس للمعبد على مؤسس  
هذا الصرح الذي أعيد بناؤه في مكان سلسلة المبانى الاسم التي يعود تاريخ انشائها إلى  
عصر الملك حورس بنو الهرم الأكبر . وهذه السلسلة التي حلزات أكثر للطاقات امية ،  
تبين أن البناء الاسم في المجموع ينسب إلى فترة اتباع حورس Horus  
الفترة التي لا يمكن تصنيفها ( المصنوع بقرع حورس صبار الرؤساء أو الأمراء الذين  
حكموا العالم مصر قبل تأسيس الحكومة الملكية الأولى ) وهي مبنية في النظم المعروف  
الثاني ولقد اكتشفه مارييت في أحد المرفف التي انشئت داخل حرم حوائط لمعبد  
الحالي .

ويشير النص الأول إلى مبنى الأعياد التي كانت تنظم للاحتفال بالقرعة حتمور .  
ويذكر أن كافة الخراطيش المتعددة في أرواح الملك توتنميس الثالث ( من الأسرة الثامنة  
عشرة ) : أسماء الآخرين ولقبت حتمور ربة منيرة ويضموا القواعد الاساسية للمعبد  
لمعبد منيرة بانهكتبة القديمة . مبنية على جلد النحاس في عصر اتباع حورس . وقد وجدت  
هذه الكتابة في داخل حائط حلي من قديم الأجر يعود إلى عصر الملك حورس ( من الأسرة  
السادسة ) . . . يوجد في نفس المرفف نقش آخر أكثر اختصارا يقول :  
« للشاهدة الاساسية المعظمة لمعبد منيرة ، والتجديبات التي جعلها توتنميس الثالث  
حسب ما وجد في الكتابة المعظمة التي تعود إلى عصر الملك حورس » . وهذا يعبر مارييت  
ملاحظة تقول : « أن فليس معبد منيرة لمعبد الثبات في عصر الاثريا وحسن بلامته على  
جد أحد الأمراء المتأخرين الذي ضاع أصله في نيل الزمان » . انظر في ذلك كتابه  
Déscription Générale للفصل الأول ، ص ٥٥ - ٥٦ .

لم يقتربوا مثل هذا التخريب الواسع النطاق الذي قام به الغزاة العرس  
 مند تسعة مئة عام ، ولكنهم كانوا محطمين للقيم المتوارثة بدون وجهه ،  
 وإربابا معالمة وجه كل شمال وقع في سبيلهم سواء أكان داخل  
 أم خارج المعبد .

ومن بين المناظر التي أدت من الشويه مظهر كليوباترا اسرار  
 المشهور والمفوق على ظهر المعبد . وقد تكسبت حوله النفايات التي  
 حفظه ولكنها حرمت المياع من مشاهدته . وكان قد تم تصويره مدعة  
 سنوات لمعرفة السور بيني وطعت هذه الصورة في الملحق الخامس  
 بالذبح .



كليوباترا

وتظهر كليوباترة هنا وهي تضع غطاء للرأس يجمع بين صفات ثلاثة من الآلهة هي تسموت (التي صورت رأسه بطريقة يادوه) وقرص حصور ذى القرنين ، وعرش ايريس . أما الكتلة المتدلية تحت غطاء الرأس فهي تمس الشعر المستعار على الطريقة المصرية ممثلا في عدد لا يحصى من الضمائر الرفيعة التي تنتهي كل منها بطرف معدني للريشة . وما زالت سماء مصر والنوبة يرسلن شعورهن يمثل هذه الطريقة حتى اليوم ولا يبدله . وكما أشعر بالأسف وأنا أقول انى رأيت أكثر من مرة كل ثمانية أو عشرة أسابيع ، أن الفتيات البويات يرتدن كل جديدة متصلة قطعة من طوى النيل مطلية بصلصال أصفر (٣) . ولكن من المحتمل أن حدائق كليوباترة الحيرية كانت تطل أطرافها بشمع أو صمغ ذهبي اللون .

ومن الصعب معرفة أين تنتهي نقوش الريشة لكي يبدأ من رسم الأشخاص في عمل ينتمي إلى هذه الحقبة . ونحن غير متأكدين من أن المقصود كان رسم شخص بالغ من أن مقدمة الخراطوش الملكي الذي كتبت فيه كلمة كليوباترة بكل علامات النطق كاملة ، يشير إلى هذه النقطة . ولو كان الرسم يعني شخصا لاحتاج إلى مراعاة المساحة الملائمة للمعالجة التقليدية . إن ملامح الوجه المكثز والابتسامة المتعصبة صفتان عاديقت في كل رأس انساني ينتمي إلى العصر البطلمي . والأذن أيضا عمل مطوي ورسم الشكل مسطح . ويصرف النظر عن التكلف فإن الوجه لا يحتاج إلى الوجود المستقل ولا إلى الجمال . وإذا لمطحت الفم فستجد أمامك رسما جانبيا للوجه حاليا من العيوب . أما اللحن والعلق فيمتاز كل منهما بالجمال التام ، بينما يصير الوجه كله من الإيهام بالقسوة ، والدهاء ، والافتارة الجنسية ، مع الإحساس الفاض ليس فقط بفن رسم الأشخاص بل أيضا بالتعبية .

ولابد أن يشعر الانسان بفن يشبه الصلصة عندما يرى لأول مرة السبل التخريبي غير الظاهر على الأعمدة المزينة برأس الآلهة حتود تلك التي تحبل واجهة معبد دلمرة . فهناك التنبؤات الكثيفة لغطاء الرأس ، وهناك الأذنان المنصبحتان والمهبطتان مثل لذتي البقرة ، ولكن لم تتبع أية واحدة من الملامح الرحيمة لوجه الآلهة . ويصف أمير هذه الأعمدة في أحد خطباته من مصر قائلا عنها انها ما زالت ه تتألق بألوانها التي لم تقدر الرمي على طمسها . ولابد أن الرمي كان مشغولا خلال الثلاثين

(٦) المقصود هنا هو الحنة - ( المراجع ) .



عاما التي صنعت عند ذلك التاريخ لأنه رغم أننا حاليا نجد حالات عديدة من ألوان الرسوم المنحوتة في الحجرات الداخلية الصغيرة مائتي لا أتذكر أنني لاحظت أية بقايا من الألوان ( فيما عدا أترايا هنا لفصلصال الأصغر هنا وهناك ) على الجدران الخارجية .

ويشود كل هذا الصبغ المشتق القادم من الشمس مع الخضرة وانصمت وكل الأسرار ، فأبلىنا عند العتبة رائحة ثقيلة تشبه رائحة الموت مبعثة من الفرائث التي طالت احتباسها . واستطعنا بمساعدة الضوء الضعيف الذي ضل طريقه خلال الرواق أن نرى ملامح باهتة لغاية من الأعمدة التي ترتفع من الظلام السفل وتتمسك في الظلام العلوي . وظهرت سلميا مرة أخرى مشاهد مبعثة لبعض اللغات المتوالي التي تغطي في ظلام لا يمكن احتراقه . ولم تكن تحتاج إلى شجاعة عظيمة للبرول من هذه السلاسل واكتشاف هذه الأعمدة مع مجموعة من السياج للرافقين . ولكن المكان كان مخيفا بالنسبة لي يناسي بزيارته وحده .

ويكشف الرواق عند النظر من الداخل عن قاعة ضخمة يبلغ ارتفاعها خمسين قدما ، ومحمولة على أربعة وعشرين عمودا تحمل رؤوس الآلهة منحوتة . وقد رطبت صفة من هذه الأعمدة بالحاجز عن طريق جزء من الواجهة ، وهي نفس الأعمدة التي تراها من الخارج . ويبدو أن تنويع أعيننا على صورة الفسق تدويرنا رأينا عمودا هنا وعمودا هناك ما زالت جميعها تحفظ التشابه الضامض في نقوش وجه سمائي ضخم ، ييسر ظهوره على كل حائط أو عمود أو منسل ، تشكيلة غريبة لأشخاص يظهرون برؤوس صفود أو عجول أو أبقار ، أو رؤوس متوجة أو ريش الطيور ، وقد دفعوا عاليا شماعات غريبة وهم جلوس على العروش ، يؤدون شعائر سرية ، ويظهرون كما لو كانوا يمشون من أماكنهم مثل الأحياء . وبالنظر إلى السقف الذي صار أسود اللون ومشوها بفعل الفسار ، اكتشفنا رسوما مزحلة لجسمين ، وكرات مجنحة ، وشعائر فلكية تصلب بينها حواجز تنتمي إلى الوعيات الأنثوية المفضلة ، ملونة بالألوان الخضراء وبني . وتغطي عوارس الأعمدة الضخمة من القمة إلى القاعدة سياج من النقوش الهيرغليفية التي تمثل خراطيس ملكية ، ورؤوس الآلهة منحوتة ، وصقور حتيحة ، ووحوش خرافية (٣) ، وآلهة ، وملوك وكلها بالنقش البارز .

---

(٣) هذا الحيث الخرافي يطلق عليه الإغريق اسم شيمرا chimeria . وهو عبارة عن كائن له رأس إنسان وجسم حذرة وفيل إلى ذيطلق النار من فمه - ( التاجم ) .

وحى حسا جيد في كل رأس بشرية لكن الوصول إليها هما كانت صغيرة  
السليم ، قد تعرضت للنشوية الشديد .

ومع الارتباك الذي اجتارنا عند النظرة الأولى لهذه النقوش العديدة  
والسرية ، أحدها تتجول ومضى من القاعة الأولى إلى الثانية ومن الثانية  
إلى الثالثة ، وكل خطوة تقودنا إلى ظلام أشد عمقا . وكنا نقرا عن حرم  
الآلهة والشعارات منذ عدة أسابيع مضت ، لما آل ونحن هنا بالعمل  
فقد وجدنا أي المعلومات التي أخذناها من الكتب لا تساوي شيئا ، وشعرا  
بجهدنا كما لو كنا قد هبطنا صخرة على عالم جديد . ولم تفتح خريطة  
المسيد أو ربما هي معرفة معاني النقوش التي تحيط بنا ، إلا بعد أن أحطنا  
بهذا الانطباع الأول الذي أربكنا ، وبعد أن استرحنا قليلا على قاعدة  
أحد الأعمدة .

لقد كانت طقوس العبادة المصرية القديمة تتخفى بالضرورة المراكب  
الاحتفالية ، وهذا تبه الفكر الأساسية لكل معبد ، ومحتاج بناه ، هو  
يتضمن حجرات مخزون تحفظ فيها الملابس والأدوات والقساعات المقدسة  
وما يشابه ذلك ، ومماثل لتخضير المطور والسماعات ، وشراي لحفظ  
الأواني المقدسة والتقسيمات الثمينه وحجرات لاستلام وتلقيبة القرابين  
بأنواعها ، وصلات لتجميع وحشد الكهنة والموظفين وأغراض تكوين  
المواكب ، وممرات وسلالم وأحواش وأروقة مسقوفة وأمنية ضخمة مربعة  
بالأشجار على الصفيح ، ومحطة بمحاط تحوطها السرية التي تصور  
حصوصية الكهنوت .

ولا يوجد في هذا التصميم كما نراه ، مكان لأي شيء يتخذ شكل  
السادة البصاعية ، ولذلك فإن المسيد المصري لم يكن مكانا للعبادة  
الجماعية . لقد كان مغريا للتكور ، والأواني ، وهيكلها ملكيا حصوصيا .  
ومكانا للتضيق ، والتكريس ، والأسرار الكهنوتية ، وفيه تقيم التماثيل  
المقدسة على عروش تينة حيث يلبسونها الملابس أو يخلعونها عنها .  
ويطرونها بالبخور ، ويرونها الملك للعبادة في أيام عظيمة مصحبة على  
مدار التقويم السنوي مثل مناسبة بداية العام الجديد أو تعظيم الآلهة  
المحلية حيث يتم إخراج هذه التماثيل وتحميها في ممرات المعبد ، ثم  
تحمل في دورات حول القاعة بين بلوحات الرأيات ، والاشد القرائيل .  
وأحراق البخور خلال ممرات القناء . ومن المحتمل أنه لم يكن يسمح  
لأحد بحضور هذه الاحتفالات سوى الذين ينتسبون إلى الأصول الملكية  
أو الكهنوتية . أما بالنسبة لبقية الشعب فقد كان كل ذلك الذي يحدث

بين الجدران الشاهقة خلفها بالسرية • ولابد من السؤال عما إذا كانت للجموع الصغيرة من الشعب أية عقيدة دينية ؟ من المحتمل أنهم لم يكونوا محرومين من دخول حرم المعبد ، ولكن يبدو أنه لم يسمح لهم بالمشاركة في عبادة الآلهة • وإن كان يسمح لهم بهي المعبد والأحر في أيام الأعياد الكبيرة مثل مهرجان المصبيحات المقدسة حول الآلهة المحبوس في موكب يدور حول القنات ، أو يلقون نظرة سريعة على الأشخاص الذين يتحركون وأنتماءات البراقة في الظلام المحاط بالأعمدة في القاعة السفلية • هذا هو كل ما كانوا يلاحظونه من العبادة الوفيرة التي تتم في معبدهم •

ويتكون معبد دندرة من رواق ، وصالة المسفل ، وصالة الإجماع ، وصالة نالفة يمكن أن يطلق عليها اسم صالة المراكب المقدسة ، وهيكل أرضي صغير • ويتضمن قعر المعبد عشرين حجرة جانبية مختلفة الأحجام ومطلها مظلم تماما • وتحمل كل واحدة من هذه الصالات والمحررات سطح استخدامها للحضور • هناك مئات من اللوحات النازية ، والنقوش الهيروغليفية المتقدمة التي تغطي كل قدم من الفراغ المتاح على الجدران والأسقف الخارجية والداخلية والمسفل والأعمدة ، ومكتبات البطانة التي تبطن الممرات والسلالم • وتتضمن هذه النصوص النجمة الكثير من القطع المنحوتة والمبلى ، وهي نروة غير عادية من التاريخ غير المباشر • فها نجد برامج الشعارات الاحتمالية ، وأساطير الآلهة التي لا تحصى ، وسير الملوك مع ألقابهم العديدة ، وسجلات الخوازين والمقاييس ، وبيانات التقديرات ، ووصفات تجهيز الريوت والروائح العطرية ، وسجلات الإصلاحات والتجديدات التي أجريت للمعبد ، وقوائم جغرافية بالمس والاقليم ، وقوائم جرد الخزائن ، وما شابه ذلك • وتحتوي قاعة الأساطير على تقويم بالأعياد ، وتبين بدقة متناهية الاتوات التي تقام عن كل مناسبة تتكرر • ويجد على سقف الرواق خريطة الروج الفلكية ، كما يجد على حوائط معبد صغير فوق السقف ، التاريخ الكامل لمبعث أودوريس ، مع نظام السجلات خلال ساعات الليل الاثنى عشرة ، وتقويم بأعياد أودوريس في كافة المدن الرئيسية بمصر العليا ومصر السفلى • ومنذ سبعين عاما مضت كانت هذه النقوش تسبب الارتباك واليأس لدى العلماء ، ولكن منذ أن تحصل العلم الحديث لل فهم أسرارها أصبح المعبد

عكسونا أمامنا مثل كتاب مفتوح يفيض بالأمور الفريسة والطريفة وغير  
التحجاسة - انه كتاب يتضمّن مجموعة الشرائع والتقاليد ولكنه منون على  
الأحجار النقوشة (٦) .

ومع هذه المساعدة التي يقدمها دليل مارييت يستطيع الإنسان أن  
يستخرج منظم هذه الأشياء الفريسة . ويحدد استخدامات كل حسنة  
وكل غرفة في المبنى كله . والملك بدوره المردوج كترعون ورئيس للكلية ،  
هو بطل كل منظر مسفور . وهو يرتدى أحياناً التاج المشطوف الطرف  
عصر السفلى . وأحياناً أخرى التاج الذى يشبه القفوة الخاص بمصر  
العليا . وأحياناً ثالثة يرتدى التاج المردوج الذى يجمع بين التاجين ويسمى  
« *Pachent* » . وهو يظهر فى كل لوحة ، ويرأس كل موكب .  
وابتداء من النقوش التى هي الرواق نراه قادماً تتبعه الرايات الملكية  
الخمس ، مرتدياً رداء الطويل ، وصندلاً في قدميه ، وممسكاً بمكافه  
فى يده . وتستقبله عند الباب الهتان تقودانه الى حجرة الآلهة تجوت ،  
والآلهة أبيس الذى يحمل رأس العجل ، والآلهة حورس الذى يحمل رأس  
الصقر وهو الذى يصب عليه سيلاً مزدوجاً من مياه الحياة . وبعد أن  
يتظاهر ، تقوم الهسات مصر العليا ومصر السفلى بتقويمه ثم يرسلنه الى  
الآلهة المحلية التى تعبد فى طيبة وحليوبوليس وهى التى تقوده الى حجرة  
الآلهة محتور . وسينتقل يقدم قرايين مختلفة ، ويتلو صلوات معينة ، وهنا  
تمنحه الآلهة وعدداً بطول العمر ودوام السمحة الطيبة وأدوية أخرى  
حلية . وبعد ذلك نراه دائماً بنفسى الابتسامة ، ودائماً فى نفس المواقف  
يقدم الولاء لأوروزيس وحورس وغيرهما من الآلهة . وجهى اليهم الأضمار  
والنبيذ والخبث والبخور . بينما هم يمنحونه الوعد بالحياة والسعادة  
والحصاد الوفير والنهر وحطب الشعب . وتكرر هذه الجلسات اللطيفة  
من رؤسها البعثات الدبلوماسية مع نماذج التلحق الأثينة . مرات ومرات  
فى مجموعات من الوفود الهرغولية . وعلى كل حال فإن مارييت يرى  
فيها شيئاً أكبر من لغة البلاط المظلمة بلغة السلطة . انه يتوصل الى لغة  
التفريس . ويكتشف فى التحيات التى تقدم الى الملك والآلهة المكاسات

(٦) انظر كتاب مارييت وعنوانه *Denderah* الذى يحتوي على هذه  
النقوش التى ٦ تسمى فى ١٦٦ لوحة وفيها مجموعة من النقوش التى فى كتاب  
ديوجين وديوجين وعنوانه

*Récueil des Monuments Egyptiens* . *Geographische Inschriften*,

هذه العبادة القديمة التي تقدس الجمال والبحر والصدق ، تلك المعتقدات التي تميز تماثيل المتحف الإسكندري (١) .

وبعد المرور من الرواق إلى صالة الاجتماع ، ينتقل إلى منطقة من الغروب الساكن ، وبعدها يصبح كل شيء مظلماً ، ولا تستطيع أن ترى شيئاً في الممرات حيث الحرارة الشديدة والجو الحار ، إلا بمساعدة الشموع المشتعلة ، ويبلغ طول هذه الممرات حوالي عشرين قدماً وهي ممرات مثل دمرات السجون ومظلمة تماماً ، أما النقوش التي تغطي حوائطها فهي عديدة مثل تلك التي في الصالات الخارجية وتبين في كل لحظة الفرض الذي صممت الحجارة لأجله ، وعلى ذلك فأننا نجد في المعابد نقوشاً بإدارة تقويم وحرمان ، ولشخصيات يحملون زجايات الممرات ذات الشكل المعتاد ، في حجرات القربان ، مع النقوش التي تشمل ألهام النوتس ، وحزم القمح ، وكيران الذرة ، والرمال ، وفي هياكل أيريس وآمون وسفست ، نجد تماثيل لهذه الآلهة وهي متوجة وتقبل من الملكة لروس الطاعة والولاء ، بينما يظهر كل من الملك والملكة في الخرافة وكل منهما يحمل هدايا مكونة من صناديق الممرات والمقود والصناديق والصنوج وما شابه ذلك ، ويبدو أن مصطفي النقوش لم يجدوا وقتاً يستطيعونه في هذه الزخارف المظلمة ، لأن الوجوه والأشكال هنا غير مقبولة ، كما أن الألوان بقيت في بعض الأماكن مبهمة بشكل معتاد ، وعلى سبيل المثال نجد أن وجوه الآلهة ملونة باللون الأصفر الخفيف ، أما جسم الملك فهو أحمر داكن وجسم آمون أزرق اللون ، بينما تركب إيزيس وراه ثميناً من طراز اللوز الذهبي ، أما أشكال سفست فهي تركب

(١) إن حضور مسكن حرس لا يمثل هذا لوجه الجمال ( أروبيت ) التي عرفت مصر القديمة ، ولكنها تليق من القوس أنها لوجه ذلك التركيب الكريم الذي يتردد في كل مكان من هذه العجايب الدائم للجمالية ، وللتجسود النبيل للجمال ، وهي أيضاً لوجه الحقيقة .

ويقال لملك في أحد النقوش التي في الهيكل المخصص للصالح ( الآلات التي تستخدم في الموسيقى ) ، لنرى قسم من الحقيقة يا لوجه لوجه ، لأن الحقيقة في حكمة ، وأنت نفسك في الحقيقة ، وأخيراً لأن صغرنا في الصالح ومن الممرات أن سر في الصالح كما ذكر بلوتارخ يزعم ويورد خرافات ( ربح قدر ) كما كان يدين أيريس الكائنات في الصالح لثوسفي يافع يمارس وجوهه ، ومن وجهة النظر هذه تصبح الصالح حجراً لتتصالح الخير على الشر - ويؤيد حاربيت في تسليط لخرافات وتقول هذا السيد إلى أن يملكه قد تأثروا بنفسه ذلك الحمر وكيف الحفر الألفاظية الاسكندرية تحت رمزية العجايب القديمة ، والحقيقة أن حضور هذه كانت تبهدهم بغير معروف إلى العصر الحديث .

ثوباً متعدد الألوان ملفوفاً حول جسمها • أما آمون فهو منشع يرداء أحمر وعبدة حربية حمرًا • أما الأجزاء السفلى من ملابس الآلهة ( النقشب ) فهي قصيرة بشكل لا يمكن إحصاؤه • ولكنها غنية بالمحورات ، أما أغلبية رؤوسها وعقودها وأساورها فهي مطاة بالتفاصيل الدقيقة ذات الأهمية • و يرى في أحد الهياكل الأربعة المخصصة للآلهة سميت ، الملك مرسومًا وهو يقدم صدقة تميّنة وفات تصميم رشيق • ولو وجدت الكتابة الوقت والضوء اللامع فكانت قد قامت برسمها •

ويقع هيكل حنحور في البحيرة الوسطى في طرف المعبد في مواجهة المدخل الرئيسي تمامًا • وحده البحيرة العظيمة التي لم يحلها شمساع الشمس مطلقًا ، تحتوي على القصور المقدسة ، وقوس الأنداس حيث كانت تحفظ الصلاصلا المهمة الخاصة بالآلهة • وكان الملك هو الشخص الوحيد الذي يملك امتياز إحراج ذلك القطار السري • وبعد أن يقوم بذلك يضعه في ناووس ثم يغطيه بستارة كثيفة ويضعه في أحد القوارب المقدسة التي تعد صورها مدفونة على حواط القاعدة التي تحفظ بها • وكان القصور أن ترفع هذه القوارب المصنوعة من خشب الأرز والذهب والنضفة على أعمدة مطروقة ثم تحمل على كتاف الكهنة في الموكب الاحتفالية • وما زال الناووس حاليًا ، وهو عبارة عن فراغ في الحائط يبلغ حجمه حوالي ثلاثة أقدام مربعة ويرتفع عن الأرض بحوالي ثمانية أقدام • وكما وقفنا على ضوء القصور بالمرور حول هذه البحيرات الخارجية • وكما نجد في كل مدخل - بالإضافة إلى المكان المحفور لأجل المزلج - ثلجًا دائريًا صخريًا من أعلى ومعمورًا من أسفل على شكل ربح محيط الدائرة حيث كان السحاب يدور على صوره في ملهى الزمان • أما الأرضيات الممهدة والتي قلبها الباحثون عن الكلوز فهي مبلوطة بنقوب الخيانة التي أحدها وكثر من الأحجار المصطبة • أما السقوف فهي مرتفعة جدًا • ويهيمن الظلام على الممرات • وكل شيء خلف هذه الأعتاب غارق في الظلام • وكان الشيء الوحيد الذي يستطيع أن تصله ونرى تسرع خطواتنا في ضلوه الضمور هو الإحساس بالإحباط بسبب غرابة وهول المكان • كنا نتحسّث بأنفسنا مقطوعة ، كما أن الأعراب المرافقين لنا المرفوفين بكثرة الكلام قد لاذوا بالصمت • أما الهواء المحيط فيبدو من رائحته أنه قد أحسب حلاً على مدى عدة قرون •

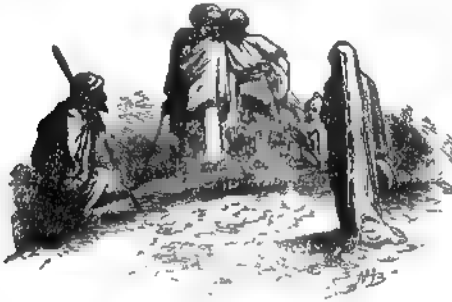
وأخيرا فإننا لتسلق السلم الذي في الجانب الشمال للمعبد لكي نصل إلى السقف • ولم نر شئنا يثير الدهشة والبهجة مثل هذا السلم -

وكما نحاول هنا أن نسيج بالترتيب كافة الاستعدادات التي  
تهدف لإقامة احتفال ديني عظيم . لقد رأينا لذلك يسجل المعبود ، ويسر  
بأجرامات التطهير الرمزية . ويتسلم التاج المزدوج ، ويخلو صسلواته  
أمام كل معبود بالترتيب . وتبيناه إلى داخل المسائل والهيكل وقدم  
الأقداس . وحتى هذه اللحظة فإن كل ما قلّم به ليس إلا إجراءات  
أولية . ويأتي الآن دور المركب وما هو قائم نحونا . وبرى هنا النقوش  
المطورة على حوائط ذلك السلم وهي تمثل احتفال تتويج العبادة المصرية  
وهي تمر ألعنا بكافة تفاصيلها . وهنا نشاهد حامل الرايات ، والكهنة  
حامل القرابين ، ثم الكهنة الذين يؤدون الطقوس ، وكل المركب الطويل  
المحيط والملك يسير في مقدمته . وهم جميعا في أحسن مظهر ودون أية  
حدوش كما لو كانوا قد خرجوا لغوهم من تحت يد السحاح - كل في الحالك  
التي تمود أن يعيشها . وكل منهم قد وضع قدمه على السلم ، مساعدا  
منا أثناء صعودنا وسائرا بجانبنا في كل الطريق . أوصاعهم طييمة ،  
وأشكالهم واضحة اللامع بحيث يتخللهم المشاهد وكأنهم يتحركون أثناء  
تذبذب ضوء القسمة فوقهم . وفي المؤكد أن هناك ليلة موحشة في السنة  
يخرجون فيها من مواضعهم ويترددون البيت الثاني من تربيتهم ، ويتقدم  
السفك في ترتيب روسى مع صوت الآلات الموسيقية الطويل السكون .  
وصوت الانحداد الطويل الصمت !

وقد غرقت الشمس الآن ، وبهت اللون القرعزي بينما كنا ننضم  
على هذا الممر الكبير . أما أسيار السلف فهي مسسنة ، وهي بسفي  
يخطوات واسعة ذهابا وبهيئة فوق الحجارة الأصغر منها . وقد وجد  
وجعلنا الكسول أن المديف منها يبلغ طوله سبع خطوات وعرضه أربعة .  
وهناك في الركن البعيد يقف عبيد صغير مرتكرا على أعمدة ذات رؤوس  
تمثل البقرة ، مثل بيت حجرى صغير في فناء شديد الاتساع ، بينما  
يرتفع سقف القاعة في الطرف الشرقى مكونا منصة نائية أكثر ارتفاعا .

ولمى نفس الوقت يشعل نور الفسق في الولت الذى ظلت فيه  
الجيل متدثرة في جو من الضوء الخافت الرقيق ، ولكن الظلال المسئلة  
بالأسرار ترحف سريعا فوق السهل ، وترقد تلال المدينة القديمة عند  
أقدامها مرتكة ومتقلبة مثل أمواج بحر مظلم . وكم هي مرتفعة وممركة  
وصامتة ! أضحت إلى هذه المصحة النائمة الرفيعة ! أنها عويل ذهب يحول  
في الليل ، انظر كم هي مظلمة هناك في اتجاه المنهر ! أسرع ، أسرع -  
تقدم ناطقنا طويلا . لابد أنه نضى سريعا لأن الليل سيدركنا . وكان  
علينا أن نضى عن طريق السلالم العكسية التي تمتد على صفوف من

البعوض لكي سدفع الى خارج المعبد حيث ينفو العائط الجادبي الضخم  
للرواي وهو يرتفع فوق رؤوسنا نحو السماء مثل برج عظيم . ونسمع  
انبي من النماثيل للصحة أحدهما برأس أسد والأخر بدون رأس ،  
وهما يحسدان حارجا وقد أعطي كل منهما ظهره للمعبد . ونتحس نحو  
اسهل نكن سرعنا ، ونسلك الكتل المتناثرة لكي نغطي بين التلال  
التي ليس لها شكل محدد . وسرعان ما يدركنا الليل ، وننتهي التلال ،  
ويسعد لمعد ، ولا يبقى لنا ما نقودنا الا صوء الهجوم الحافت . وعلى كل  
حال فقد أحدنا بعض ، فنعاربنا من بعضنا ، وأحدنا يطلق رصاصة بين  
حين وآخر على أمل أن يسمعا هؤلاء الذين في القوارب ، وصلنا تمام  
مثل الرضيع في الغابة .



الشيخ مسلم

وأخيرا عندما بدأ بعضنا يرعد ، وبدأنا نشعر جميعا باليأس ،  
واحد بلحمي يطلق آخر رصاصة باقية معه ، ردت علينا رصاصة انطلقت  
القرب منا . وظهر ضوء هائم وسرعان ما لمع بين راعات القصب سرب  
كامل من لمصابع المتراقصة ، والوجوه البسبة اللون لترحب بنا ، وتقودنا  
الى مقرنا . أن الرئيس حسن الميثيل الحجم ، والمخلص ، وانقتول  
لمصلات ، والعزير عميدا ، وخليفة الرجل الشريف ، وسلام الضاحك ،  
ومحمد علي الطريف ، وموسى الأسمر الوسيم ، كانوا جميعهم هناك ،  
وبالها من مصاحبة تلك التي حرت معهم ! . وكم ظهر بياض الأسنان التي  
كشفت عنها الاسناعات ! ويا له من سيل متبادل من التهاني التي يصعب  
ادراكها . أما من جهتي أنا فأقول بكل الصدق ، اني لم أشعر طوال  
حياتي بمساعدة في لقاء مثلما شعرت في هذا اللقاء .



## الفصل الثامن

### طبيعة والكرونك

وفي اليوم الثالث لرحيلنا عن دنقرة ، واثناء صعودنا الى سطح المركب وجعلنا قد ريت بمسح الضخيل ، كما وجدنا محارنا يرتدون صالهمي الخصومة للاجارات ، وظهر الرئيس حسن في أحسن مظهر يمسى أنه كان يلبس الحذاء والجوارب التي يرتديها في المناسبات العظيمة ، وقال لي نفس واحد :

« نهارك سعيد • صباح الخير أيتها الأقصر ! » •

وكان صليبا حارا مقبعا بالفضياب الخفيف الذي لمحت من خلاله أشكال غير واضحة للجبال ، مع هبوب الرياح الدافئة •

وأسرعنا الى جانب المركب ، ونظرنا الى الخارج باستحيق ، ولكننا لم نر شيئا • وكان القبطان ما زال يتمتم وينحن ، بينما أخذ البحارة في الحري هنا وهناك ، يمسحون ويخرفون أرض المركب • قال الجندي الذي لا يستطيع الد أعدائه أن يلصق به كلمة الحياة : « الأقصر ، الخروف - طيب ! » وأخذ يردد ذلك في كل مرة يقترب منا •

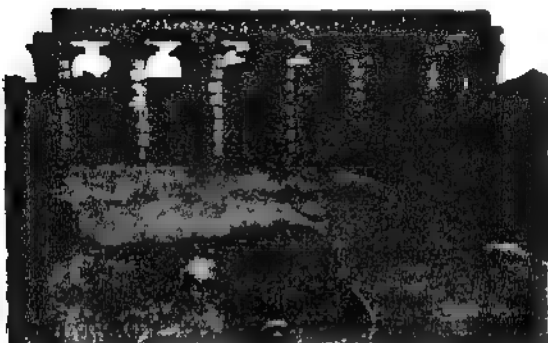
لقد قرأنا عن الأقصر الكثير • كما رأودتنا في أعلامنا ولكنها ظهرت بعيدة دائما ، لدرجة أنه كان من الصعوبة إسكان أن نصلق أننا كنا نقرب من تلك القواطع الشهيرة لولا هذا التنويه اللطيف عن الخروف الموعود ، وحوال الساعة العاشرة ارتفع الضباب مثلما ترتفع الستارة ، ورأينا الى يسارنا سهلا غنيا مرحبا بزراعات الضخيل • أما عن اليمين فقد شاهدنا خطا عريضا من الأراضي المنزوعة التي تحدها سلسلة من جبال الحجر الجيري ، كما ظهرت في الأفق البعيد سلسلة أخرى • وجسمها رمادية اللون ، منتظمة بالظلال • وكان الرئيس حسن في نشوة الانتصار وهو يشير في جميع الاتجاهات على الفور قائلا :

« الكريك - التربة - الأقصر » • وحاول نلحس أن نطعمنا على مديـه  
 حابر ونشأى صنون • وأقسم الرسام المراقى لنا على أنه يستطيع رؤية  
 رأس التمثالـه الجالسـه ومعدل إحدى مقابر الملوك • وحبلقنا ونحن  
 مشبهون ومتشككون فلم نر إيا من هذه الأشياء • ووجدنا أنه من  
 الصعوبة بمكان أن نصق أن نغيرنا بـأها • كلـه الهر يتبع أماتنا •  
 والمنسلحات حفره على كلا الجانبين ، وقد أقسحت الجبال عن المرات  
 التي نؤدى إلى المقابر المحفورة في الصخر ، بينما كنا نرى هنا يوضح  
 مجموعة من أشجار الجوز بيضاء داخل نطاق الأرض على حافة الصحراء •  
 وهناك ريوه مظلمة في منتصف المسافة بين كومة مختلطة من أنباء قد  
 تكون صورا ساطقة أو بناءة من الأحجار المتهنسة ، ولكننا لم نر شيئا  
 يشبه المعبد ، أو شيئا يجب لنا أننا أصبحنا على مسافة معروفة من أعظم  
 الأطلال في العالم •

وسرعان ما رأينا أثناء سير المركب بناء صغيرا حاليـا من التوافد  
 ( ليت السماء تحفظنا ) يشبه قلعة جديدة أو سجن ، يملأ فوق زراعات  
 النخيل التي على اليسار • وقد قيل لنا أن ذلك هو أحد بوابات الكريك  
 الأمية • وفي نفس الوقت ظهرت بعض الأفواج المظلمة بالجوز ، ومجموعة  
 قليلة من الأعمدة على بعد حوالي ميل مسيرة إلى موقع الأقصر • وقصر  
 الجندي وهو يصبح ميمارته التي لا يفك عن نردبها : « الأقصر - الخروف -  
 طيب » • وصفق القبطان بيديه لاحضار الطار والدريكة ، وتشكلت دائرة  
 على السطح السفلى • وابتسم الرجال جميعا وشرعوا يمشون أحل أغانيهم •  
 ومن ثم دخلنا إلى الأقصر دحسول الفاتمي مع الموسيقى الصاخبة •  
 والمراعين المتلئين بالرياح ، والرايات المخالقة ، والأصنام التي تروج  
 فوق رؤوسنا •

وعندما طيننا قفصا كانت أول المناظر التي شاهدها من هذه التربة  
 المشهورة هي قمة بواية غرغرية أخرى،والنهاية الرفيعة لأحدى المسلات،  
 وصف من الأعمدة الضخمة نصف المدفونة في التربة ، والمنازل البيضاء  
 التي يقيم فيها قناصل بريطانيا وأمريكا وبروسيا ، ودوق كل منزل علمه  
 وشعاره ، ومنحدر من شاطئ رملي ، وخلفية من الحوايط الطينية وأبراج  
 الحمام ، ومقعة من القوارب المحلية والصبغات المحلية بأسلوب صار وهي  
 تقف في مراسيها • وأثناء مروننا وقفت لتحتيا مجموعة من الموظفين  
 المصميين الذين كانوا يجلسون في ظل منخل فوقه عقد • أما اللحيات  
 المتجمعة التي كانت واقفة بالشرعته الطويلة مثل طيور السحر النائمة فقد  
 هبت عن نومها في نوبة من النشاط للتقطع • وأنزلت الأعلام ، وأطلقت

السدق ، واستيقظ الأقصر كلها من قيلولة الظهر • وقبل أن ينقشع  
البحار ، وصلت الذهبية ماحسور في هيئتها الأنيقة ، بينما تألفت  
الذهبيات الأخرى كما حدث من قبل •



يهو الاساطين الخامس بالملك هور محب

عن صورة في كتاب بروجش بك •

والآن يسدح نحو الشاطئ رحام من الحبير والأولاد الذين  
يسوقونها ، والشحادين ، والمرشدين ، وتجار العاديات ، بينما أخذ  
الأطبال يصيحون طالبين التفتيش • أما التجار فكانوا يعرضون قلائد من  
احجارين المقلدة ، وكان الأولاد الذين يسوقون الحبير يهتفون بأسماء  
حبيرهم ويمتدحونها ، واعتز الجميع أننا مريسمو الماحة • وصاح  
أحدهم : « أهلا يا سيدي ! هذا حمار أمريكي لكل الأغراض • حربي هذا  
الحمار الأمريكي » •

وصاح ولد آخر : « موسى السريع • انه حمار جيد ، حمار سريع •  
انه أفضل حمار في الأقصر » •

وحاء ثالث وهو يجز بالحمل حمارا محوزا صميف الركيثين • أكر  
عديه البحر وشرب ، بينما هو حمار يماثل الحصان العضبي الذي تحفف  
عليه المناشف وذلك من حيث الصلاحية للركوب ، وقال صائحا :

• هذا هو حصار أمير ويلز • أنه حاصر من الدرجة الأولى 1 حصار  
عظيم ! حفظ الله الملكة ! جزء ١ »

ولم تكن الحرب ولا الجمارين ذات أهمية في نظري الآن بالمقارنة مع  
التطبيقات التي مأمل أن يجدها في انتظارنا على الشاطئ • وأسرعنا بنا  
الغواير • ثم انطلقنا منها سرعياً ، وأنه بعضنا نحو القنصلية البريطانية  
بينما انطلق آخرون إلى شبكات البريد • وعدنا منها ونص الغنشاء  
وسمعهاء »

وفي نفس الوقت عرضنا أن نقضى في الأقصر أربعاً وعشرين ساعة  
فقط • وكان علينا أن نذهب إلى الكرنك بعد ظهر هذا اليوم الأول • وفي  
صباح الغد نسير البيل إلى مدينة هايو وحيد الرسيوم (١) • ثم تصاور  
الإبحار بعد منتصف النهار بقدر استطاعتنا • وكل ذلك كنا نأمل أن  
يحيط بفكرة عامة عن طبوغرافية طيبة وأن نحمل معنا أنطبعا سطحية عن  
الطراز لمصاري الذي اتبعه الفراعنة • أما لا تعلم أن تكون مجرد أطلالة  
ولكنها ضرورية ، لأن طيبة تمثل الفترة الوسطى المنظمة من تاريخ الفن  
المصري • إن الطرز القديمة تنود إلى حده النقطة • وتتفرع منها الطرز  
الحديثة ، ولكن كلا الطرازين القديم والحديث يصعب إدراكهما بدونها •  
وفي نفس الوقت فإن السياح الذين يقصدون الشمال الثاني يصرفون  
بمحكمة عندما يتركون كل شيء مثل الدرامسة المصنفة لمدينة طيبة حتى  
عودتهم • أما في الوقت الحالي فيمكن عمل مسح سريع للمجموعات الثلاث  
من الأطلال : لأنها تقدم الوصلة الضرورية ، وتساعد السائح على فهم معابد  
أدفو وقيلة و (أبو سبل) • واختصار فهي تتيح للسائح أن يضع الأشياء  
في موضعها الصحيح • ومع كل ذلك فإن عمله عملية عقلية يصعب على كل  
سائح أن يبرها بنفسه »

ولا بد من القول بأن طيبة قد بنيت مثل لندن على كلا جانبي النهر  
ولا بد أن حدودها الأصلية كانت شديدة الاتساع ، ولكن مبانيها العامة •  
ولمسة النسخ • والآلاف من المساكن الخاصة قد زالت ولم يبق منها  
سوى القليل من الآثار • أما المدينة التي عاش فيها المواطنون العاديون

(١) يقتصر البحث أن هذا السرح المشهور صورة طبق الأصل من مقبرة محتوية  
لثلاثة حكام استراتيجيين • ومقبرة تومساندس التي وسفها بيدرس القبطي • أما شامبلين  
فإنه حسب ما عرله من الأساطير الهيروغليف التي تطلق عليها اسم « منزل ديموس »  
( المثلث ) أنه أطلق عليه الاسم للتعبير عنه • حيد الرسيوم »

والتي بنيت من القرميد هاجما قائمة على بعض التلال ذات القيمة الضئيلة .  
 بينما اشتمل الجانب الذي يحتوي على الصروح الدينية على حرس مجموعات  
 صخية من الأطلال التي كانت مبنيـة بالحجر الجيري . منها ثلاث مجموعات  
 في البر الغربي ، واثنين في البر الشرقي ، مع بقايا العديد من الحابد  
 الصغيرة ، وتشكيلة ضخمة من الفايـر . وهذا هو كل ما بقي دليـلا على  
 عظمتها على الدوام . أما الأقصر فهي قرية عميقة حديثة ، تحتل موقع  
 أقدم هذه المجموعات الحرس . وهي تقوم على البر الشرقي ملاصقة للنهر  
 وعلى بعد حوالى ميلين جنوب الكرنك . وعلى الضفة المقابلة تقع القصر  
 والرمسيوم وحديقة هابو . ونظرة خاطفة إلى الخريطة تسمى على صفحات  
 كائنه من الشرح لبيان العلاقة المنسية بين مواقع هذه الأطلال . أما مدينة  
 هابو فهي تقع في الجنوب البعيد بالنسبة لأي صرح قائم على الجانب  
 الشرقي للنهر . وتقع مقابر طيبة النطية خلف هذه المجموعات الثلاث  
 حيث تمتد وتسمح بطول طرف سلسلة الجبال الليبية ، بينما تجد مقابر  
 الملوك على البعد خلفها في الأودية المتناكفة على الجانب الآخر من الجبال .  
 وتبلغ المسافة بين الكرنك والأقصر أقل من ميلين ، بينما تقدر المسافة بين  
 مدينة هابو والقرنة بحوالى أربعة أميال . ولدينا هنا بيان بالانحسار رغم أنه  
 لا يعد من المدينة القديمة .

والأقصر قرية كبيرة يسكنها خليط من السكان الأقباط والعرب  
 الذين يمارسون تجارتهم المزدخرة في الماديات ، ويشكل المصب هنا مركز  
 نشاط القرية التي بنى الجزء القديم منها دامل وحول الأطلال . ويواجه  
 المدخل الكبير للقرية اتجاه الشمال ويطل على الكرنك . وعمارات اليرجاني  
 المزدوجان للصرح العظيم عظيمين رغم أنها متناهيان في مكانهما . وميران  
 من الأناريز . ومردمان بالانقاص . ويسكن مقابلهما على كل جانب من  
 البوابة الوسطى تمثال ضخـم على رأسه تاج مهشم ، وبلا طامح ، ومدفون  
 حتى العنق ، مثل اثنين من المتكبرين في العائرة الخامسة الحزينة .  
 ومرة أخرى تقوم مسلة منزلة أمامها على يد عدة ياربات ، وهي أيضا  
 مدفونة إلى نصفها . والشلالان حصنوعا من الجرانيت الأسود .  
 أما المسلة فهي من الجرانيت الأحمر ومصقولة بأسلوب رفيع ، ومغطاة على  
 كافة جوانبها الأربعة بنقوش عيونغليفية رائعة ، مصقولة في ثلاثة أمتار  
 رأسية . وقد حُفرت هذه النقوش بدقة متناهية . ويبلغ حجمها داخل  
 الصلبن الخارجيين من النقوش حوالى يومتين ، وخمسة يوميات في الممرود  
 الأوسط . ويزيد الارتفاع الحقيقي لهذه الكتلة الرائعة من سبعين قدما .  
 يتخفى عنها ما بين ثلاثين وأربعين قدما تحت العرة للترابسة منذ عهد  
 فرعون .



أما اللسنة الأخرى التي فقلت طبقتها السطحية والتي لا تتركها المير  
بسبب تعرضها للسماء المكتشوفة تحت ظروف المناخ الخليجي فأنها تنامي  
من الكتابة بسبب الأعمال الناتج عن الثورات والثروات المضاعفة التافهة  
التي تجري في عياد الكونكوردي • ومنصب تيشال ثالث ذو رأس صغير  
من الحجر الجيري على شط واحد مع التمثالين الأسودين ، ولكنه يعتمد  
عليهما حوالي خمسة قدماء إلى الغرب • ونفسك في أن يكون هناك تيشال  
مائل له مختلفا بين الأكوخ التي تتجاوز منتصف للسفلة عبر واجهة  
البرج الشرقي • أما السطح الخليجي لهدين البرج فهو مغطى كله بنقوش  
محوقة مقلدة للألهة والرجال والحيول والبريات الحربية ومواكب النصر  
ومبارك الحرب • فالملك في مركته يشبه قوسه الرهيب • أو يدع أعداءه  
مرحلا على قضيته ، أو يجلس على عرشه وهو يتقبل الولاء من رجسالة  
البلط • وهناك مرق عسكري كاملة مسلحة بالرماح والفرس تسير في  
الاستعراض • بينما يهرب الأعداء في فرس • ويسود الملك إلى مكانه  
وحوله حللوا الماروج بينما يحرق الكهنة البخور أمامه •

وهذا الملك هو رمسيس الثاني الذي أطلق عليه الكتاب القدماء اسم  
سيرامستريس وأوسيماندياسي والفروفي في التباريخ باسم رمسيس  
الأكبر • وأسماءه والقابله الحقيقية للوجود على الآثار هي : رع - أوسر -  
ماعت • منتب - آن - رع • رع - ميسو • مر - آمون (\*) وهي تسمى :  
رع القوى في الحق ، الذي يبرهن عليه رع • ابن رع • محبوب رع •

أما مناظر المبارك المكتشفة هنا فهي الصلة التي قام بها ضد الحيثيين  
موضوع بردية سمالييه الثالثة المشهورة (١) وقد سجلت للذكرى على  
حوائط كل معبد بناء هذا الملك • ويظهر الملك منمولا عن جيشه ، مسلحا  
بالأعداء ولا يرافقه سوى سائق عربته الحربية ، وهي تبين أنه قد أغار على  
أعدائه مست مران ، وقد قهرهم بسيف قوته وحاسهم مثل القش تحت سناك  
حصانه ، وبعد شملهم بيد واحدة كالآله • وقد كانت هناك شمسالة والفتان  
من البريات الحربية لمطاح بها ، ومائة ألف محارب فشتت جسمهم •  
أما هؤلاء الذين لم يذهبهم بيده فقد طاردتهم حتى حافة البحر • دائمة

(١) ترجمها إلى الفرنسية الدكتور الفايكونت دي روجيه تحت عنوان *Le poème de Pentouge* سنة ١٨٥٦ • وترجمها إلى الإنجليزية مستر جومون سنة ١٨٨٨ ،  
وكبرت مرة ثانية بمعرفة الدكتور فيسور لاندنجتون سنة ١٨٧٤ • انظر *Recueil de*  
*the Poet* - لجلد الثاني •

(\*) يطلق الاسم : أوسر ماعت رع - منتب ابن رع - رميسو • مر • آمون •

انهم لكي يلقوا حتفهم قفروا في الماء مثلما يقف التماسيح . وكان هذا هو الانتصار الذي أعزوه رسيس ، وهو التراجع الذي كبه المؤرخ لذلك بتأؤور .

ولذا سمينا جانبنا المهالمة الأسطورية التي تظهرها هذه القصة ، فلا شك أنها تسجل بعض الأعمال العسكرية التي أجراها هذا الملك مع جيشه والذي يظهر أمامنا ، ولكنها ليست واضحة ، ونذكر النصوص الهروغليفية المدونة على هذه اللوحات في الأحداث الجيدة قد حدثت في اليوم الخامس من شهر أبيب في السنة الخامسة من حكمه . ومن هذا نعرف أنها السنة الخامسة من حكمه المنفرد بمعنى أنها السنة الخامسة بعد موت أبيه سيتي الأول الذي اشترك معه في الحكم عندما كان صغيرا . كان شابا قويا عندما جرت هذه المعركة الشهيرة التي ساهم تحت حواظ قادش على نهر الأورنت ، وتبين النقوش البارزة أنه كان يصحب معه العديد من أتباعه الذين رغم أنهم كانوا صفار السن إلا أنهم ظهروا في حملاتهم الحربية مسلحين بأسلحتهم الكاملة ومشاركين في المعركة (١) .

أما التماثيل المشوهة فهي تماثيل شخصية للملك الظاهر . أما المسلة كطراز فاخر للتركيبات في مصر فهي تمثل على الأقل « سيد العالم » ، الشمس الحاوية للطبيعة ، المؤيد في رع ، قد يني هذا الصرح تكريما لأبيه آمون رع . وقد نصب له هاتين المسلتين العظيمتين المنحوتتين من النحاس في مواجهة بيت رسيس في مدينة آمون .

وكانت هذه هي القاعة التي افتتح بها رسيس الأكبر المعبد الذي أقيم ليله بمرور خمسين ومائة عام بعد وفاة الملك أمنمحات الثالث . وقد بني أيضا المعبد الذي أفسح فيه هذه البوابة الضخمة ، وقد ربطها بانجراف الأقدم من المعبد بطريقة حكيمة جعلت البهو الأصلي الأول يتحول الآن إلى البهو الثاني ، ويليه في الترتيب بهو الأعمدة ، وصالة الاجتماع ، ثم كدس الأعمدة . وبعد أن انتهت الفترة الطويلة التي حكمها الملك رسيس ، وضع الملوك الآخرون الذين حكموا بعده ، بساتيم على المعبد.

---

(١) حسب النقش الكبير الموجود في فيدوس ، الذي ترجمه ماسبيرو ، يبدو أن رسيس عاش في مكان حقد ولايته كما لو أن عرض مصر قد آل إليه من أمه ، وأن أباه سيتي الأول لم يحكم نيابة عنه أثناء طفولته بومعه وجدا على العرش . وتبين بعض النقوش أنه قد شام اليه قبل ولايته .



حيث يظهر في النقوش المتأخرة لاسمه شيكاكا *Shakka* ، ويطلبوس فيلوياتور . والامسكندر الصغير ، بينما يوجد في الأجزاء الأقدم من المبني أسماء لمنحوتات ( ج - د - آ ) ، وجود صحن ، وسيتي والد رمسيس الأكبر . وبهذه الطريقة تطور المصد المصري من عصر إلى عصر فأقام هذا الملك صفا من الأعمدة ، وأقام الآخر صرحا ، حتى أصبح المعبد في الوقت المناسب ممرضا لطور البناء التي تنسب إلى عدة عصور . ومن ذلك التاريخ فإن هذه القوس في التخطيط التي يمكن أن نسميها إلى بروفات البناء المتماثلين تمثل أحد اللامح المدينة في العمارة المصرية . وفي الوقت العالي فإن صرح المعبد والبناء اللذين أقيما رخصيس الثاني قد أقيما برلوية قدرها خمس درجات في البناء والهكل اللذين أقيما أصبحت الثالث . وقد حث ذلك لكي يصير معبد الأقصر على حل واحد مع معبد الكرنك حتى يمكن الربط بينهما بواسطة طريق الكباش العظيم الذي تقتاتر بقاياه فوق مسار الطريق القديم .

وكما قلت منه قليل فإن بوابة الصرح نصف المدفونة ، وهذه المسلة المنعزلة ، وهذه الرؤوس المملقة التي تبرز أمام صرح المعبد ، تبدو مرصعة كما لو كانت ليعوض من الموت ، حازالت كلها تحبل دلائل العظمة . ولكنها بظلة تشبه عظمة فاتحة باهرة لتصبغ لم يتبق منها إلا عايا مشوكة . وتلق حلف هذا المنسل متاحة من الحوازي والممرات المنسنة والفترة والمطعة ، وأكواخ طينية ، وأبراج حمام طينية ، وأحواش طينية ، ومسجد بني من الطين ، وجميعها متشابة مثل أعضائ الدبابير في داخل وحول الأطلال . وكانت تحبل سقف الأكواخ الخفيفة هياكل منقوش عليها الألقاب الملكية . وبرزت الأعمدة المعلقة في وسط المحاور التي يظهر داخلها الجلموس والجمال والحمر والكلاب والكتائن البشرية ، ترعى مع بعضها في رقعة رديئة . وكانت الديوك تصيح ، والدجاجات ترقق ، والحيائم تهمل ، والديوك الرومية تصيح ، والأطفال تتجهم ، والنساء يغربن الأربعة ويخترقن . وكانت كافة التوجيلات المنقوشة من دوتج الحياة العربية تجري بين الحوازي المنحرجة التي تغطي الأوراق وتشوه شكل نقوش القرعنة . ولذلك كان من الصعب دائما أن تتبع تصميم هذا الجزء من المبني . ولما كانت كافة أنواع الاتصالات مقطوعة بين القاعات وبهو الأعمدة . فقد كان علينا أن ندور من الخارج وحلال باب في الطرف البعيد للمعبد ، للوصول إلى قسم الأقداس والممرات المصانة له . وقد احتفظ الإمبراب بالاحتياح بالإضافة إلى بعض المشروع . وكان الظلام مستترا هناك بينما ظل المسقف سليما ، وقد بنى على قمته منزل حديث ضخم متعدد المحمرات .

ولذلك فإن هذا الجزء من المبدع لو كان مصدا جريئا مثل معبد دندرة وغيره  
من طريق فتحات في السقف مثلثة الشكل ، فإنه حتى تلك الومضات  
الباعثة من الضوء تكون قد استيعبت بسببه علما للنزل .

وتمثل كل ما بقي تحت غطاء أحجار السقف الأصلية في المقصوره  
التي بُعِد بناؤها أثناء حكم الاسكندر ايجوس ، وبعض الحجرات الجانبية  
المستقيمة ، ويبدو شخص ربما كان هو صالة الاجتماع . وقد اظهرت  
بعض الأساطين نصف المدفونة والمنحطه على الجانب التالي للنهر في  
هذا الطرف كان معاطا نصف من الأساطين في سالف الزمان . أما قسمي  
الألداس وهو حجرة مستطيلة من الجرايت ذات سقف منفصل ، فقد  
كان قائما تحيط به قاعة أكبر مثل صندوق داخل صندوق ، وتطليه  
نقوش بارزة في الداخل والخارج . وهذه النقوش ( التي لاحظت بينها  
شكل الملك راما وهو يقسم لأموه ربع شمال شخص واكبح ) قد جرى  
تفنيها حسب الطراز المتوسط الذي انتشر في عصر البطالة ، بمعنى  
أن الأشكال أكثر طبيعية ولكنها أقل جودة بالنسبة لأمثالها من نقوش  
العصر الفرعوني ، كانت الأطراف مثلثة ، والمفاصل ضخمة ، والملاحم  
غير مميزة . ولا يستطيع الإنسان أن يبدع انما لقرن رسم الأشخاص فهو  
شكلها الطبيعي ، لأن كل وجه يتخذ نفس الابتسامة الكريمة التي تفرد  
الدهش الناصي البارز للملكة كليوباترة في معبد دندرة .

وفي البهر الكبير الذي أطلق عليه اسم قاعة الاجتماعات يعود  
الإنسان إلى زمن مؤسسه . يوجد ما بين منتخب الثالث والإسكندر  
أيجوس فترة زمنية قدرها ١٢٠٠ سنة . وبالطبع فإن طراز المباني عند كل  
منهما بعيد عن الآخر تماما مثل اعتماد عصر كل منهما في عصر الآخر  
ولا يمكن حتى للمبتدئ أن يخطئ فينسب أحدهما إلى الآخر . ولا يوجد  
شيء عادي أكثر من تواجد الأعمال التي تنتمي إلى عصر الفرعونية جبا  
إلى جنب مع الأعمال التي تنتمي إلى عصر اليونانية في نفس المبدع الواحد .  
ولكنك لا تجد في أي مكان آخر خصائص كل منهما واضحة في تناقض  
صاخر مثلما تجد في هذه الحجرات المنحطة بمعبد الأقصر ، ففي النقوش  
التي تحتل بهو المتحجب نجد الخطوط الناصفة والأشكال العادية والزليخة  
والرؤوس المحددة للشخصيات خلال فترة كان فيها الفن لم يكتسب  
أو يصبح يده تحت ضغوط التأثيرات الأجنبية بل كان مصريا حالصا .  
وبينما تنتمي الموضوعات أساسا إلى طقوس الملك إلا أنه من الصعب أن  
نرى شيئا يوضح في ضوء الشمس المربوطة في نهاية عصا تحيلها ،

ومما جرت النقش ضئيل البروز ، ومع ارتضاع الحوائط فاته من المجال أن  
يميز تخطيط اللوحات للارتفعة .

وقد اكتشفت أن الآله آمون والآله موت وإبتهما حسرو ، في ثلاث  
التحصينات التي يتكون منها ثالوث طيبة هم الآلهة التي تصدر هذه المناظر ،  
وأهم لحسن الخط مبررون بطريقة ما عن تحتضن الرابع والملكة روسته  
وابتهما أصبحوب الثالث ، والواضح أن لمحتوب قد ولد تحت حماية  
الآلهة موت الأم المقدسة ، وتربى مع الآله للشلب حسرو ، واستقبله آمون  
بوصفه الأخ المساوي لابنه المقدس ، وإلى أنى لاحظت في هذه القاعة  
مجموعة مفصلة من النقوش تمثل آمون وموت في موقف رمزي ربما يمثل  
الخطوة أو الزواج لأبهما يطفسان وجهها لوجه وتسك الآلهة بيدها اليسرى  
يد الآله اليسرى بينما تسند كوعه الأيسر بيدها اليسرى ، وفي نفس  
الوقت ظهر فوق راسيهما عرشان ، واستقبلت أقدامهما على يدي انتع  
من الآلهات لممارسات ، ومن الأمور ذات الدلالة أن بعد تأسيس الثالث  
مع أخى روجاه قد ظهر في نفس الوضع في هذه الموضوعات المحنة  
المهيرة المنقوشة على الطوائف العليا لمبسي المقام في مدينة هابو .

لقد ألقينا نظرة عابرة على هذا المعبد للثير للاهتمام ، إلا أننا نقدر  
به وقتنا أطول مما يحظى به معظم مؤلاء الذين ترسو مراكبهم لعدة أيام ،  
عابا بعد عام ياتقرب من أعبدة الملكية ، ولو أمكن نقل المبي بكامته إلى  
قطعة ما بين ممب وأسيوط ، وهي المنطقة التي لا يوجد بها أطلال تطل على  
النهر ، فلابد أن الساتحي مبنوورونه بحساس شديد ، إذ أنه في موقعه  
هنا ضائع الذكر بين عجائب الكرمك والبر الغربي ، ولا ينال إلا الإعمال  
الذي لا يستحقه ، وتلك الأحرار من المنى الأصلي التي ظلت باقية ،  
هي في الحقيقة نسيبة فضلك غريب لأن لمحتوب الثالث كان واحدا من  
ملوك مصر الذين اشتهروا بالبنه ، وما نراه هنا هو هيئة من المبسات  
القليلة التي لا تزال باقية من أعماله المماوية (١) .

---

(١) إن خراسي سعيد الأقصر العظيم قد طغت من التمول الكامل منذ كتابة هذا  
كتاب التذكير العالي ، وقد قام البروييسور ميسيرور خالط الداهين الأخيرين من خدمته  
الطيفية كطلف للمرحوم حاروت باشا ، بعمل الكثير لهذا الأمر القروسي العظيم مثلما  
صل مله لمجد القبر الأكثر جيلته ، وكانت الحريات التي اكتفت تلبية هذا النص  
العظيم بعد شعبية أول دولة - لقد ليس القلاصون في تلبية في يهورا حنازوم  
وطلب مصطفى أما جلع ثلاثة آلاف جنيه استرليني لقره القضاة الذي كلى حبشيا بين  
أبطالين حورمب إلى مرافعة النهر - وكان من الصعب مناقشة شراء حتى عدم المسد ١٩٣٤

ويقع الحى القبلى من الاقصى فى شمال البهو الكبير محاذيا للنهر .  
 انه نظف واوسع وطلق الهواه بالنصبة للحى الذى يقيم به بقية سكان  
 الاقصى . وكان القنصل اليروسى فبطيا ، وكذلك مدير مكتب البريد  
 المذهب - ويعيش الأسقف القبطى فى بيت فخرفى نصفه مجاور للكنيسة  
 والنصب الآخر فوقها ، أما مدير مكتب البريد ( شلب غير وشيق يليس  
 بذله أوربية طيبة ظهرت دراعيه وساقيه من أطرافها القصيرة ) فقد كان  
 يمرضى سماته مريضا - وقد تعهد بأن يرسل اليها خطابات أثناء وجودها  
 فى أسوان وكوروسكو ووادى حلفا حيث أشتت مكاتب البريد متآخرة ،  
 وقد وفى بوعده والترم بهذا بكل دقة - وكان يضيع دائما ملحوظة مجاملة  
 غريبة على المظروف البخاريسى يقول فيها « مع الحبيب تيمباني » أو « أنسى  
 لكم أحبارا طيبة ورحلة مميعة » وقد نقلت عنة من أسلوبيه الأدبى منضمه  
 فى الملحوظة التالية التى يصفو أنه كان فخورا بها .

---

= فى اللقاء الأول للمعيد ، وهما علم كامل من المفاوشت رضى الفلاحون ببيع مقابل فروط  
 عذبة حيث تسلم كل ماله ثمتا لئلا مع قطعة أرض فى مكان آخر لئى يبيع حليها مثلا  
 جديدا . وبذلك تمكن التماس من حوالى ثلاثين عائلة يوننا رفعت ثمانى أو عشر  
 عائلات البرع لقاء أى ثمن . وقد بدأت أعمال الهند فى سنة ١٨٨٥ وفى سنة ١٨٨٦  
 تبعت الأعمال الفطرية الفرفضة للبرع مسار الأعمال الأخرى وبم إتمام المهد بكامله من  
 الأشغال خلال ذلك الموسم - ولم يبق سوى للسجد لدى تركه قائما داخل حرم  
 المعبد ، وكذلك حزل مصطفى أما على الجانب الثانى للمواقع الذى نرسو فيه الترابك  
 مثلا فلك استأثله اليروسى سور حسيرو سنة ١٨٨٧ ، ومن ذلك التجوّن قام خلفه مسيو  
 جروير M. Grouet باستكمال العمل الذى نتج عنه ظهور معبد إلى عهد الفركه من  
 حيث لفحة التصميم وجمال التنفيذ فى مكان فذى تكثر مزجما وقرا وغير ظاهر  
 بمصوب الكواخ الطينية والأحواض والاصطبلات والأزقة وأكوام السداد للمنشورين - والآن فانه  
 قد جرى تنظيم المساراج التى بهر أصدة المعبد ، وارتفعت المولرس المسوقة بطول قبة  
 صليبة الجبال التى ترتفع هنا عالية فوق البحر الخرمى للأنوار - والآر تم إظهار بعض  
 هذه الأساليب حتى سنوي الأربعة الأصاية - ويبلغ ارتفاع هذه الأساليب ٥٧ قدما فى  
 المسفل . وفى اليوم الكبير الذى ينادى به رئيس القلبي جلفت مساحنة المنطقة التى جرى  
 إظهارها ٩ قدما طولا ، ١٧ قدما عرضا وتكتفت مجموعة من التداخل المسطحة  
 للجبهة المصنوعة من البرقيت الأحمر الخرفون ومسبح القلبي . نون أن تتال عن  
 مكانها الأصاي لأنها كانت حنية بين حوائط من الطين ومتامكة حتى هذه القرون ( من  
 يفسى أن يحد هذا الحد غير ثاسروفا من القرون ؟ ) داخل قبر من التصلصال الوشيع -  
 وفى النهاية فإن مصطفى أما القنصل اليروسى المسجور الذى سيلا لساتحون الانجليز  
 يتكفرون كرمه لمقره طرية ، له حلت بعد حوالى علم من ذلك الساريج . كما أن المنزل  
 الذى أمتع فيه الكلدانيين من الزوار الانجليز واثنين أصلاء شبة رفيسة . تهرى الآن  
 لامل ارالته

( ملحوظة بالامر . لمرنا كاتب البريد في مصر السفلى من اسيوط الى الخرطوم . تلك التي تتبع البوستة المصرية للمنطقة ، ان تدفع الآن للرسائل المرسلة في مصر السفلى ضعب ما يدفع عنها في مصر العليا ، ويسمى ذلك ان الخطابات التي ترسل من هنا الى اسيوط اسيوط يدفع عنها قرشاً من كل عشرة جرامات من وريها ، وكذلك تلك الرسائل المرسلة الى ما وراء الخرطوم . اما الخطابات المرسلة ما بين اسيوط والخرطوم فيدفع عنها قرش واحد مقابل كل عشرة جرامات من الورق ويسمى ذلك شراء طابع من البوستة ثم لصقتها على الخطابات . وايضا اذا اراد شخص ما ان يرسل خطابات مسجلة فيجب ان يدفع قرشاً زيافة عن كل خطاب . وهناك تعليمات في مكاتب البريد باستلام الخطابات المرسلة الى بلدان اوروبا وامريكا وآسيا مثل انجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وسوريا والقسطنطينية . الخ . وكذلك ارسال الجزائر وغيرها من الاشياء . الاخير في اول يناير ١٨٧٤ الختتم م . عدي )

كان هذا السبب عند الوداع يطلب بعض الأدوات الكتابية ويراية . وكما بالطبع نجد ضرورة في اهدائه مثل هذه الهدايا التقديرية للترجمة . وله عرفا فيما بعد انه كان يفرس بنس هذه الطريقة على كل دعابة تصافر في النيل . وقد استنتجت أنه حتى ذلك الوقت قد امتلاك مجموعة منيرة من أدوات الملاحة الصغيرة .

وعند نقطة انتهاء خط السكة الحديد كانت الرسائل المصرية والفنوبية تصل بمعرفة عدائين متمركزين على مسافات تبلغ كل منها اربعة فيمال بطول الطريق . وكان كل هذه يجرى الاميال الاربعة المطلوبة وفي نهايتها يجد الهداء التالي مستتبدا لاخطافه حقيقته ثم الانصراف حالا بكامل سرعت . وطرق الهداء التتالي بتسليمها الى الذي يليه بنفس الطريقة . وبمضي هذا الاسلوب كيلا ونهايا بدون توقف حتى تصل العقبة الى اول محطة للسكة الحديد . والمفروض ان ينهي كل هذه مسافة الاميال الاربعة الخاصة به في مدة نصف ساعة وبذلك فان البريد الذي يفرج كل صباح من القاهرة يصل الى القاهرة في ستة ايام بختيار ان القاهرة تبعد ٤٠٠ ميلا وان ٣٦٨ ميلا من هذه المسافة يتم قطعها عدوا على الاقدام ، وبما ان القطارات تسير مرة واحدة كل يوم مستقلة ان هذه السرعة مشكوكه .

وبعد الظهر وكنتا الحبر ومضينا الى الكرنك . وكان طريقنا يمر خلال السوق السياحية التي كانت من افقر الأسواق التي رايناها حتى

ذلك الحين - كانت تتكون من حظائر قليلة مفتوحة ، وفي واحد منها شاهدة  
 بين يدي حلاق الأقصر خمسة من يطارتوا وهم يجلسون القرفصاء على  
 مصطبة مبنية من الطين ، وقد خلعوا عبائهم مثل صف من اليوسفي  
 لتساقط من الشجر ، وكان الحلاق قد انتهى لتوه من دحى رؤوسهم  
 الخمسة برغوى الصابون ، ووقف ينظر إلى تأخير ما عمله في أعصاب مثله  
 يصحى الطاخ المان طبعا مضموسا من البودنج بالكريمة ، وقد ظهر  
 البودنج كما لو كان يشعر بالخجل عندما مسكتنا أثناء عبورنا .

وبعد ذلك وصلنا إلى الفساحية غير المنتظمة الشكل التي تجتمع فيها  
 الفتيات الرافصات ، وكانت تلك الفتيات اللاتي يرتدين الثياب المرصعة  
 باللون الأخضر الزمردي ، والوردي الفاتح ، والأصفر المذهب ، يجلسن  
 القرفصاء خارج مجال اللمس ومن حاضرات الوجوه على أعصاب انتبه  
 أو ثلاث من الحشرات الموحشة التي تستخدم لتقديم القهوة في السوق .  
 لقد كنس في مسابهن وهي يصحكن في وجوها في آلة شديدة . وكانت  
 حواجبهن مرسومة بحيث تلتقي فوق قسبة الأنف ، كما أن عيونهن قد  
 تخفيت بالكل . وتلوت حدودهن بالروج الأحمر بشكل مبالغ فيه .  
 أما شعرهن فكان مثيرا وملها برت الشعر ومقصوا فوق جباههن .  
 ومجدولا في شكل دلايات حديثة . ولم نر من قبل فتيات يمثل حله  
 الفراية . وكانت إحدى هؤلاء الحوريات سوداء اللون وظهرت فائقة الجمال  
 في لونها الأسود بالمقارنة إلى الدعائن والمساحيق التي تفسد وجوه  
 زميلاتهن .

والآن تركنا القرية خلفنا وركبنا الحمار عبر سهل واسع ، بعض  
 أجزائه فاحلة وجبلية . بينما تنمو حشائش الحقل الجافة في بعض  
 أجزائه الأخرى . وقد تناثرت مجموعات النخيل . هنا وهناك . وكان  
 نهر النيل يجري منخفضا وبهدا في الأقطار مما جعل الوادي يبدو مبتدا  
 في خط متصل بالجبال على كلا الجانبين . والآن لتجه يسارا نحو ضريح  
 أحد الكهاين الذي تملوه قبة صغيرة وتطله مجموعة من أشجار الطراف .  
 وبعد ذلك نضى مع حوض ترعة جافة ، ثم نسرر بمحاذاة تلال غير واضحة  
 المعالم تتجدد موقع أطلال لم تكتشف بعد . ونصل إلى طريق غير مستو  
 ولكنه مستقيم ويصه مباشرة إلى الكرنك . وعند كل ارتفاع في مستوى  
 الأرض كنا نرى البوانات الضخمة ترتفع فوق مستوى أشجار النخيل .  
 ومرة واحدة لمدة لحظات قليلة ، ظهرت في المنظر كتلة مختلطة ومتناثرة من  
 الأطلال الكثيفة التي بنت كأطلال مدينة كبيرة . ثم انحدر طريقنا إلى

تستود وعلى محطات بمحاط من الطين ووراعات من الخيل القرمي ،  
وسرعان ما اتسع ذلك الأخود حتى أصبح شارعها كبيرا يمرسه على  
الجانبين صمان من تماثيل الكباش المبطنة وعودنا الى بوابة صرح مرتفع  
الى السماء .

وادرتمت غابة صغيرة من أشجار الجير والنخيل بجانب هذا الصرح  
كما لو كانت قد ردمت هنا عمدا ، وقد ظهر خلفها صرح للمبد ذو اليرجين ،  
وكانت الكباش ضخمة ويبلغ طول الواحد منها عشرة أقدام ، وكان  
بطنها يحمل رأس كبش . لها اليافى ويبلغ عنده حوالى أربعين أو خمسين  
فقد كان بطنه ينوى رأس . وقد انقضى بطنه الآخر الى أجزاء متناثرة ،  
بينما انقلب البعض . وتنبوه البعض فظهر مثل الصخرة التي قلب بها  
السيول . لقد كان هذا الطريق يصل ما بين معبدى الأقصر والكرنك  
فى يوم ما ، ومع مرافقة المسافة ( تبلغ حوالى مائة ميل ) من أحد المعبدين  
الى المعبد الآخر ) وأيضا مع حساب المسافات القصيرة بين مواقع تماثيل  
الكباش تجد ان عدد هذه التماثيل يصل الى حوالى خمسمائة ، أى ان  
عدها كان يبلغ خمسين ومائتين على كل جانب من جانبي الطريق .  
ويبدو ان ترجلنا من الجير لمدة دقائق وصلنا الى المعبد . وطرنا مشغولين  
الى القننة الواسع وصف الأساطين ، واختلسنا النظرات الى بقى السجرات  
الجانبية الحرة . ثم ركبتنا الجير . وذكرنا الكتب التي فى أيدينا أننا  
قد شاهدنا المعبد الصغير الذى ألقاه رسمى الثالث ، ولذا كان مولاه  
فى مكان آخر بخلاف الكرنك فلابد وأنه كان سيظهر ضخما جدا .

وأذكر اليافى كما لو كنت فى حلم . ويبدو ان تركنا المعبد الصغير  
لحولنا نهر النهر وسرنا محاذين طرف المحاط الطينية للقبة ، والقرينا  
من المعبد الكبير فى طريق يقود الى معبته الرئيسى . وهنا دخلنا فوق  
ما كان فى يوم ما طريقا آخر عظيميا للتماثيل التي تحل رؤوس الكباش  
وهي تحجم مرفوعة الرؤوس على قواعد مربعة تنطيطها تفرش الأساطير  
الهيروغليفية ، ويبدأ هذا الطريق من مرسى بجانب نهر النيل .

والآن فإن اليرجين اللذين رأيناها أولا عند قلعها يمر فى الصباح ،  
يرتفعان أمامنا ، كالأطلال هيبية تلعب فى ضوء الشمس ، وقد سطع عليها  
الضوء المتلألئ خلال أعماق السماء الزرقاء ، وكان أحدهما ملجأ تقريبا  
بينما كان الآخر مقلدا كما لو كانت له أضجته حمرة زلال . ولكنهما  
كانا مرتفعين بحيث أنه لو تساقط لخرأبى وتعلق فى منتصف المسافة ما بين

تمة أحدها إلى قمة الآخر ، فإنه وهو على هذا الارتفاع كان سيظهر في حجم لا يزيد على حجم المستطيل .

ومرجلا ثانية على عمدة بوابه الصرح الضخمة ، وكانت التلال غير المنتظمة الشكل التي تكومت من الطوب الأحمر ، تبين حدود الحائط القديم للداخلة ، والذي كان يمد على كلا الجانبين ، واتضح أمامنا منظور خشن من الأساطير والصروح يقود إلى مسلة بسيطة ، ودخلاء فإذا بالمواط العالية ترتفع فوق رؤوسنا كالصخور ، ودخلنا إلى البهو الأول ، وهذا في وسط مربع مفتوح إلى السماء يتصهنا أسطون ممدول ، هو الأخير في درج مكون من اثني عشر أسطونا تفكك بعضها بفعل الهمرة ، لتتمددت على الأرض حيث وقعت مثل الهياكل العظمية لوحوش من الفقرات قلبي بها القبيضان على الضلعين .

وبعد أن عبرنا هذا البهو في ضوء الشمس اللامع ، أتينا إلى مدخل صخيم بين بوابتي أخريين ، وكان للمدخل ضلعا ومنطى بنقوش بالورة ، أما البوابتان فقد كانتا مجرد شلالين من الكتل للتلصقة التي تكومت إلى اليمين واليسار في فوضى كبيرة ، وقد رآنا الرير للمدخل ، ولم يبق إلا شظية بالورة من الحجر الذي تكومت منه الماوشة الألفية فوق المدخل . وكان يبلغ طول هذا الحجر عندما كان كاملا أربعين قصارا وعشرون صفا ، ولابد أن ارتفاع المدخل كان يبلغ مائة قدم .

وتقصا بعد أن تركنا إلى اليمين تماثيل عملاقة مشوهة ، لقض على دروع وصغر كل منها حطوش الملك رمسيس الثاني ، وعبرنا التل الذي على الضفة ووصلنا إلى القاعة السفلية الضخمة التي بناها الملك سيتي الأول .

لقد كتب الكثير عن هذه القاعة كما نشرت عنها حدود كثيرة . ولكن لا نستطيع إية كتابات أو غنوس أن نضل البينة أكثر من الطابع قزمي شديد الضخوب ، وفي الصحن وصفها بالكلمات لنجرد تقديم صورة واضحة عنها ، إن مساحتها كبيرة ، وتأثيرها عظيم ، وتثير في الإنسان إحساسا بالهشاشة التي تجزء في النطق ، وعصر الزمن ، والقصور يتفكك كامل ومساح .

إنه مكان عظيم إلى الضمة ويتوزق ليس كمثل عن الكلام بل أعظم في التفكك ، وليس هذا فقط جو الاحتياج الأول ، فإنه فيه بعد وتلال



معنى انهم عدوا من البهر في رحلة العودة ، ورسومنا بحوار المكان وفصيلة  
 ديماء طويته بين لاطلال ، وحلت أسي لم أقل كلمه واحدة في القعدة  
 الكرى ، كان أفراد آخرون يقيسون محيط هذه الأساطين لصحبه  
 وكان آخرون يسلمون بها وهالك ، ويكشعون وجهات النظر ، ويحسرون  
 دقة هيسات ويكسسون ومادريت ، أما أنا فقد استطعت أن انظر فقط  
 وأظن صامتة ، والنظر المحرد يمثل شيئا اذا نجح الانسان في التذكر ،  
 وقد صورت القاعة الكرى بالكربك في ركن مظلم من عبق طائلا أسي  
 أمثلك الذاكرة ، لقد أغلقت عيني وطرقت إليها كما لو كنت هناك ،  
 ليس مرة واحدة كما يحدث أثناء النظر الى الصورة ، ولكن بالدريج مثلما  
 ملاحظ العيان الأشياء المظلمة وتنتقل خلال نطاق بصري متسع - وقف  
 مرة أخرى بين هذه الأساطين الضخمة التي تظهر خلال الدروب من أي  
 زاوية تنظر إليها .



بؤى الأساطين بالكربك

اننى قرى هذه الأساطيل ملفوفة فى خلال غلغله وحرم عريضة من الضوضاء ، اننى أربما منقوشة وملونة بأشكال الآلهة والملوك مع شعارات الاسماء الملكية ، ومذابج تقديم القرابين ، وأشكال الحيوانات المقدسة . وبحوز الحكمة والمطابقة . ان محيط هذه الأساطيل ضخم . وعندما أقف عند قاعدة واحد منها - أو ما يبدو أنه القاعدة - لأن رصيف الأرضية الأصلية مدفون تحت الأرض بقطر سبعة أقدام ، أجد ان الإحاطة بالأساطيل الواحدة تحتاج الى ستة رجال ينفون حوله بأذرعهم ممتدة وقد تلامست أطراف أصابع ذراعى كل منهم بأطراف أصابع ذراعى الآخر . ان الأساطيل الواحد يقف بظل عرضه اننى عشر قدما . ومثل هذا الظل لا يليه الا برج كبير . اما قمة الأساطيل التى ترتفع فوق رؤوسنا فتظهر كما لو كانت قد وضعت هناك لتحمل السماء . وقد سحقت على شكل راحة الملوحة للفتحة ، وهي تلعب بالوان أودية - ألوان مارالت راحية بالرغم من انها تقع تحت ملاصقة أيد ملونة بالتناوب على مدى أكثر من ثلاثة آلاف عام . ان الأساطيل لا يحتاج الى ستة رجال بل اننى عشر رجلا للدوران حول هذه القبة الدائرية لهذه الزهرة الهائلة .

وتتشابه الأنا عشر أسطوانة الوسطى فى هذا الحجم الضخم . أما بقية الأساطيل ( وعددها اثنا عشر وعشرون ومائة ) فهي ضخمة كذلك ولكنها أصغر . ولم يتبق من الصقب الذى كانت تحمله الا الموارض التى هي عبارة عن أحجار منحوتة من كتل صخرية كبيرة (١) ، ومنقوشة وملونة بكماء مقام القنطرة فى القراغ الواقع ما بين كل أسطوانة والأساطيل التى يليه . وتفرش التربة السيلانية بقطوط من الطلال .

وبالنظر الى أعلى وأسفل المبوب الأوسط نرى فى أحد الطرفين مسألة تصبغ الآلهة ، ونرى فى الطرف الآخر نقطة مشرقة فى مواجهة

(١) لم يذكر حجم هذه الأحجار فى أى كتاب من كتبنا . وقد قمت بإعلاء حول أحد الطلال مع الكاذب فى الاعتبار بمثلثة ٢٠ قدما عند كل طرف. تطلق المسألة الضرورية للموسم الى مركز كل من الأسطوانتين للفتحة بصفحتين الصبر . وقد وجد ان الكلمة للفتحة ٤٥ وان يبلغ طوله ٢٥ قدما . أما فضاء الجيوب الكبير فهو ١٧ قدما للطول ، ٢٧ قدما للعرض . وهو يتضمن ١٢٩ سفرة . ترتفع الأساطيل الأثنا عشر الراسية كلها بمقدار ١٢ قدما (حوالى ٧٠ قدما) على أساس القاعدة الأرضية والهيكلية الحجرية المسببة التى تعلو هذه الأساطيل ( يتفقا يبلغ محيطه ٧٤ قدما و٦ برصفتين . أما الأصلين الأمير لأن طول الواحد منها يبلغ ٤٢ قدما . ٥ برصفتين ومحيطه ٧٨ قدما . جميع الأساطيل قد دخلت فى الأرض الى عمق يصل الى ستة أو سبعة أقدام فى الروايت النهائية التى تخلفت عن الفسافات التى حصلت خلال فترة تتراوح ما بين ثلاثة الى أربعة آلاف عام -

خلفية عبارة عن جبل أحمر اللون . أما عن اليسر واليسار فتظهر من خلال صفوف طويلة من الأصباطين ، لوحة من نقوش ياردة ضخمة تتخذ شكل صفوف على الحواشي غير المستوية التي تتوزع في كل اتجاه ، وكما هي المادة فقه كان الملك ظاهراً في كل مجموعة وهو يقدم فروض العبادة المعتادة بينما تستقبله الآلهة وتباركه . وكانت هذه الأشكال الفنية الرفيعة التي يظهر نصفها في الضوء والنصف الآخر في الظل ، تبرز بشكل واضح ويدور لوى ، ويبلغ ارتفاع كل شكل منها حوالي ثمانية عشر أو عشرين قدماً ، وبالتكاد تظهر أكثر غرابة عندما كان السقف الضخم في مكانه مع وجود ضوء الشمس المباشر .

ولكن من الصعب أن نتخيل وجود سقف فوقها لأنه يفتق الاتساع الذي يفتح نحو السماء . إنها تقوم جميعاً في موضعها المناسب ، ويشعر الإنسان أن حد ما بأنه لم يكن من الضروري وجود شيء يفصل بين مثل هذه الأصباطين والإساق الزرقاء اللانهائية للسماء .

وكان الطريق العظيم ضيقاً بما فيه الكفاية جعل صف مزدوج من النوافذ التي في الجزء العلوي من الحائط الذي يبرز من السقف وما زال بعضها باقياً حتى الآن . وقد افترض بعض الدارسين أنها ربما كانت زجاجية ، ولكن هذا غير محتمل لسبب الأول هو أن واحداً أو اثنين من براوير هذه النوافذ الضخمة مازال يتضمن المصيرية الحجرية الصلبة التي تغطيها والتي يبدو في الوقت الحاضر أنها قامت مقام المادة نصف الشفافة . والثاني هو عدم وجود دليل يبين أن المصريين القدماء قد صنعوا الزجاج الزجاج أو أنهم استخدموه في مبانيهم بهذه الطريقة رغم أنهم عرفوا استخدام الناييب النافع لصناعة الزجاج منذ أيام خوفو .

ككيف كتبت العبارة القائلة بأن البهو الكبير في الكرنك هو أهم الأعمال المعمارية التي صممت وبنيت بأيدى الإنسان ؟ وكيف يمكن تكرار هذه العبارة ؟ يقول لنا أحد المؤلفين أن مساحته تبلغ أربعة أمتار المربعة التي تقوم فيها كاتدرائية بوردام في باريس . بينما يشار إليها مؤلف آخر بكاتدرائية القديس بطرس في روما . وبينما يتحدث الجميع عن عدم قدرتهم على وصفه إلا أنهم يحاولون تقديم هذا الوصف ، وذلك لكي ينقلوا صورة ملموسة عن لم يشاهدوه ، ولكن ذلك مستحيل كما سبق أن قلت ، ولو كان يشبه هذا المكان أو ذاك لما أصبحت عليها مهمة وصفه ، ولكن الحقيقة أنه لا يوجد مبنى في هذا العالم الواسع تستطيع أن تقارنه به ،

للأهرام أكثر عظمة ، أما مصرح الكولوريوم ( في روما ) فيغطي مساحة أكبر ، أما معبد البارثينون ( في أثينا ) فأكبر حجلا ، ولكن بهو الأعمدة يتفوق عليها جميعا من حيث عظمة الفكرة ، وضخامة التنايل ، وحلال التنظيم الرفيع . ان هذا المدخل وهذه الأعمدة هي كلها من بجانب الدنيا . كتب ثم رفع هذه المأذنة الحجرية الأتقة ؟ وكيف تم نصب هذه الأعمدة ؟ يقول مشاهد حديث العهد به ان دخل بين هذه الأعمدة الجبانة : « ستفهم بأنك قد انكشفت حتى أصبحت في مثل حجم وعجز الذبابة » ولكنني أظن أنك ستفهم بأكبر من ذلك ، أنك ستلحل عندما تفكر في الرجال الأقوياء الذين صنعوها ومستول لنفسك : « لقد كان هناك عمالقة حقيقيون في تلك الأيام » .

وربما أحسن السائح الذي يجد نفسه لأول مرة كما لو كان في وسط غابة من أشجار المطاط الضخمة الحجم والارتفاع *Willingtonia Gigantica* نفس الاحساس الساقط بالرهبة والفراية . ولكن الأشجار الضخمة بالرفم من أنها اجتلبت الى ثلاثة آلاف عام لكي تنمو وتصل الى هذا الحجم ، ألا أنها تفتقد الآثار والفضوض اللذين يحققهما العمل الإنساني ، أنها لا تضرب بجذورها في أعماق ستة آلاف عام من التاريخ ، وكذلك لم ترنو بسماه ودعوح الملايين (١) الذين لم تعرف حياتهم أصواتا تنقل في حرسها الموسيقي من غناء الطيور ، أو عويل الرياح الليلية وهي تكس من قممات كالجبر (٢) ولكن يبدو أن كل نفس ينطلق خلال أجمة الكرك المملولة ، يرجع صدها حاملا تبهيدات هؤلاء الذين قضوا صباهم في المعمر ، وفوق المجاديف ، وقضت عجالات مركبة القلبي .

وبالرغم من أن البحر السدلي منه سبتي الأول والد رمسيس الثاني إلا أن بعض علماء المصريات يفترضون أنه قد صمم - أن لم يكن قد بدأ تنفيذه - في عهد آمنحتوب الثالث الذي أسس معبد الأقصر وإقام التنايل الضخمة التي في السهل . ويحتسب أن تكون هذه الخراطيف المنحوتة بوفرة على الأسطون والظاهر الخشبي الذي يحيط بالباب ، لا تتضمن سوى أسماء سبتي ، الذي لا نذكر في أنه قام بتنفيذ السبل كله ، وأسماء رمسيس الذي اكمله .

(١) لقد حسب العلماء أن كل حجر في هذه المأذنة الفرعونية للضخمة يساوي على الأقل حياة إنسان .  
(٢) فتح جنوب إسرائيل الشمالية - ( المتجه ) .

والآن ، أليس مجرياً أن نعرف اسم وتاريخ المهتمس الذي اُشرف على بناء هذا البهو المجدد ، وصمم المدخل الضخم الذي يستقدم للدخول إليه ، والبوابتين المطبعتين اللتين تقفان على كلا الجانبين ؟ ليس من البذر أن نطرق إلى صورته ونعرف في صفت من الرجال كان ينتمى إليه ؟ حسناً - إن المقاعة المصرية في متحف ميونيخ تنفخ نبالاً

وجد في طيبة صد حوالى مئتين عاماً يمثل ذلك الرجل وقد تلبس اسمه عليه ، كان اسمه : باق - أن - حوسو ( حادم حوسو ) انه يجلس على الأرض في حالة تأمل وقد تطلق لحيته وفترته رداءه ، وقد ظهر من التفوق على ظهر التمثال أنه رجل يتميز بقدرة غير عادية ، وتسجل هذه التفوق خطوة خطوة ، تركبته إلى أعلى درجات السلطة ، فقد حصل على منصب رئيس الكهنة والذي الأول للاله آمون خلال حكم سبتي الأول ، وأصبح كبير المهتمسين لمدينة طيبة خلال حكم رمسيس الثاني ، ونال تلو أيضاً ملكياً بالاشراف على زخرفة المعابد ، وعندما أقام رمسيس الثاني أثراً لأبيه المقدس آمون رع تم تنفيذ به هذا الأثر تحت اشراف باق - أن - حوسو . ويضي القش هنا كذا ترجمه مسيو ديفيريا فيقول انه « أقيم الصرح المقدس في البوابة العليا في دار آمون (١) وأقام مسلات من الجرانيت وعمل صسوارى ذهبية للأعلام ، وأضاف صقولا من الأساطين الباقفة الذهبية » .

ويظن مسيو ديفيريا أن صمد القرية قد يكون هو المقصود هنا . ولكن يجوز الاعتراض على ذلك بأن صمد القرية يقع في الجزء السفلي وليس العلوي من طيبة ، وأنه لا توجد في صمد القرية صفوف من الأساطين الذهبية أو مسلات ، والأكثر من ذلك هو أنه لسبب غير معروف لدينا حالياً يبدو أن الأتمة المسلات قد انحصرت كلية في الجبل الشرقي للنهر النيل . ومن الممكن ألا تكون الأعيال التي سردت هنا قد نقلت لنفس المعبد وحده . إن « الصرح المقدس في البوابة الشمالية لمسكن آمون » لابد وأن يكون هو صمد المعبد الذي زينه رمسيس بالمسلاتين الوحيدتين اللتين تسمان إليه في طيبة . والصرح الذي قلناه لأبيه المقدس آمون ( من الواضح أنه بناء جديد ) من المحتمل أن يكون شيئاً آخر غير

---

(١) بر آمون أو يا آمون هو أحد الأسماء القديمة لمدينة طيبة التي كانت هي المدينة القديمة المتممة للاله آمون . وقد نسب ليمس كذلك كلمة آيت أو ابوت أو ابوتو التي أصل منها الذي بمعنى دار أو سكن وهو اسم آخر لمدينة طيبة ولكن من المحتمل أن يكون أكثر أسماء المدينة استخدماً هو پوزا The .

الرمسيوم ، بينما ، صفوف الأساطين المائلة الضخمة ، التي ذكرت  
بوصفها إصافات ، يبدو كما لو أنها تنص فقط اليهو السعلى فى الكريك .  
وهذا السؤال فى جميع الحالات ملء بالاثارة . ويسعدنا الاعتقاد بأننا  
لا نجد فى تشارل متحف ميونيخ مجرد صورة لشخصى لمب دور مايكل  
أصلو فى الكريك خلال فترة مقست ودخلت فى طلى السبيان . ولكنه كان  
أيضا مصمم *Isidore* الرمسيوم ، لأن الرمسيوم هو بارثينون طيبة .

معنا انتهاء من الجولة فى الأطلال الرئيسية . كانت الشمس تبيل  
الى الغروب والظلال تتمدد ، فركنا حيرنا واتجهنا نحو الأقصر . أما وصف  
ما رأيناه بعد مغادرة اليهو الكبير فلا بد وأنه سيسغرق فصلا كاملا من  
الكتاب . ان المسلات الضخمة المصنوعة من الجرانيت اللامع ، التي أقيم  
بعضها ، بينما تهشم بعضها الآخر ، والنحلو ط الضخمة على الحوائط  
المقوشة التي ملحتها موضوعات الحركة الميجية ، والمواكب المقدسة ،  
والتمسجل التفصيلي لأعمال الملوك ، والإقنية المخططة للمحاطة بصفوف  
من التماثيل التي بدون رؤوس ، والهيكمل المبني بكامله بالجرانيت اللامع ،  
والنفوش المطورة مثل الجوهرة ، وهو الأساطين الثاني الذي يعود  
تاريخه الى الأيام الأولى للملك تحوتمس الثالث ، والمقاهات المكونة من  
الصمرات التي بدون سقف ، والتماثيل الموضوعة ، والبوابات المهضمة ،  
والأساطين الساقطة ، والقواعد الضخمة ، والنفوش الهرموية التي ليس  
لها نهاية ، التي حملنا فيها ، وهرونا بها ، قد تلفها عجائب حديثة ،  
ولا أجبر على تلخيص الممد الكبير من المعابد الصغيرة التي شاهدها  
خلال مسار حملنا المسح السريع - وفي أحد الأماكن رأينا منطقة متبوعة  
من حشائش الحقل الجافة ، التي جثت فى وسطها مجموعة مخططة  
ومشبوحة ومهجرة من تماثيل الكباش الجرانيتية الصغيرة ، وتماثيل  
برؤوس لموات - وفي مكان آخر رأينا تماثلا لصغر صمخ واقفا على  
لأعدته فى وسط محيط من الخراب . وقد مرنا بالزبد من طرق  
الكباش ، والمريد من البوابات . والمريد من التماثيل لعل أن يعودنا الطريق  
اندى اتخذناه فى العودة للوراء حول ذلك الذى كتبنا عنه . وفى ذلك  
الوقت وصلنا الى صريح الشيخ عند حلول القسق ، وركبنا سيارتنا عبر  
السهل فى صمت وإرتباك . ألم يقل ان ذلك كان يشبه الحلم ؟

## الفصل التاسع

### من طيبة إلى أسوان

تلا غروب شمس مصر الصافية ليل ملي بالأعاصير ، وقد بدأ هبوب الرياح حوالى الساعة العاشرة ، وبعد منتصف الليل تحول النهر إلى أمواج عاتية ، وأحدث دهبينا تترنح في مرساها مثل سبعة في البحر ، وأحدث الرمال تهب من الصحراء اللبية في نضبات غاضبة ، وتخط في نواذق قمرنا مثل الوابل - وكنا في كل لحظة صططم إما بالضقة أو بالقارب - وأحيرا وقبل الصبح بقليل ، انهارت قطعة صخرة من الضفة ، وأصدت صوتا كالرعد وهي تدفع كالأهجار الثلجي فوق سطح الدهبية ، حينذاك ابرعج الريس حسن في أجل سلة المركب وجذبنا إلى ركن صخر مخفى عن الرياح على ارتفاع عدة مئات من الياردات - وعمل المدموم فأننا بعد اللجوء إلى هذا الركن عشنا ليلة تفيض بالمشاط لم يصادف مثلها منذ رحيلنا عن بلبيس صويحه -

وفي صباح اليوم التالي كان المنظر كئيبا ، فالبحر ترتفع أمواجه مرعدة ، وتجمعت القوارب مما أسفل الشاطئ - واحتفت الضفة الغربية داخل صحب من الرمال ، وأصبح السبر مستحيلا لأن الرياح كانت منصبة علينا ولم يكن الحصى إلى أي مكان على الأرض موضع سؤال - وكان معبد الكرنك يظهر صغبا من خلال الماصلة الرملية ولكن الانسلا يحتاج إلى خوخة القواص لحماية المينين والأدنى من العمار -

وبعد الظهر هذا غضب الرياح بحيث استسلمنا عبور النهر وركوب الحمير إلى مدينة هابر والرسميوم ، وقد حققنا نحة عابرة نحو هذه الأطلال المصيبة ، ولكني لن أنصف عنها الآن . فقد تعرفنا إليها بشكل أفضل فيما بعد فاصبح مجرد الاطّباع الأول لا يستحق التسجيل -

وفي اليوم التالي ساعدنا التسميم المناسب رغم وقته ، على الحصى حتى أرممت ، وهي مدينة صم موتيسى Hermonthis ( أرمست ) البطلمية ،

والتي كانت يوما ما مقر سعيد كبير . وهي الآن مقر مصنع كبير للسكر .  
ورسوما صا لتفضاء الليل . وبعد الفقه وصلتنا زيارة رسمية من اليك  
— وهو رجل طويل وحقيق ساد الملامح لامع الصبغ . يرتدى الملابس  
الأفريقية . وفي الواضح أنه كان وحيها وحسن التربية . وقد جاء بصحبة  
سكرتيره القواس وحامل غليونه ، وعرفنا الآن أن يك أرست هو شخصية  
مرموقة في هذه الأنحاء . أنه حاكم المدينة وهو أيضا المشرف على مصنع  
السكر . كما أن له سلطة عسكرية ، وكان قصره وحدائقه في موضع  
قريب ، وكذلك كان يختص الخاص في مرصاه على النهر ، وهو تركى  
الأصل مثل كل كبار الموظفين في مصر . أما السكرتير الذى كان هو الأخ  
الأصغر لبيك فقد ارتدى رداء خارجيا بدون أكمام دا لون بى ، فوق  
جلباب أبيض طويل ، وترك شبيهه عند باب الصالون . وجلس طول  
الوقت طائرا أصابع قهقهة الى أسفل ، فظهرت قفصه داخل الجيوب مثل  
قبضتي مضومتي ، وقد ارتدى كل من الرجلين طربوشا وحمل عصا  
الريادة ، وبالمناصبة فان عصا الريادة نطص دورا بارزا في الحياة المصرية  
الحديثة . ويطلع طولها فلما ونصف القلم وقد وضع في كل من طرفيها  
مبسم من الذهب أو الفضة . ومن المفروض أنها تضيف لمعاملها آخر  
لمسات الرشاقة .

وقد أسمعنا صيولنا بتقديم القهوة والليمونة ، كما تجادينا معهم  
أطراف الحديث بقدر استطاعتنا . وقص علينا اليك الذى لم يكن يتحدث  
إلا التركية والعربية ، قصة شائعة عن أشغال السكر ، وأرسل حامل  
غليونه لأحضار حزمة من أعواد القصب وبعض عينات من السكر الخام ،  
والمنبور ، وذكر أن لديه ملاحظ عال اجليرى وعدد من الصبال الانجليز .  
وأنه شديد الإعجاب والتقدير بالانجليز كنسب عظيم . أما عن عدم اهتمام  
العرب بأصناعتنا عن الأكل فان اجاباته لم تكن شافية . لقد احتفى كل  
أثر للمعد الكبير عند زمن طويل . بينما يقى من الصيد الصغير عند قليل  
من الأساطير وجرء من الحواظ ، وحيا يقمان خلف المدينة على مسافة  
بعيدة من النهر ، ولم يكن هناك ما يستحق للمشاهدة إلا الغليل منها .  
وهي كلها صغيرة وودينة ولا تستحق مشقة الحديث عنها . أما عن القطع  
الأثرية فمن النادر العثور عليها ، وإذا عثر على شيء منها فانه ضئيل  
القيمة .

وقد مرر علينا العمل الذى كان يرتديه بوصفه نصا لأحد الخرافات  
فأعجبنا به . وأجرا جاء النور على السيرة الصغيرة قصصه واعادته الى  
صاحبه ، ولكنه رفض استعادته مع التحسات وإيماة قصير الى علم الرغبة



في ذلك - لقد كان الخاتم مجرد لعبة لا تساوي شيئا ، ولكن السيدة اجبرت على قبوله رغم انها لم تكن راغبة في ذلك - ان الامتناع يسبى التمدي ، ولكن الطريقة التي حدث بها هذا القبول هي التي أعطت البهجة لهذا الحدث الصغير ، لان ما ضمنه من الكياسة ، والاستجابة ، والمجاملة ، وعدم المبالاة ، كانت كلها جذيرة بالاعجاب . كان ماكريفي في أفضل أيامه قادرا على اثناءها بهكل رفيع ، ولكن حتى هو لم يكن من المحتمل ان يسهر عن التحفظ الشرقي الذي تميز به وجيه ارميت .

ودعانا بعد ذلك لزيارة مصنع السكر ( اينما ذلك لان الوقت كان متاخرا ) فدخل في الحال - وبعد ذلك بمفر دقائق وصلنا مجموعة كاملة من الهدايا بينها ثلاث باقات كبيرة من الورد للسيدات ، والثنان من الجوارين وتمثال جنترى صغير من اليورسلين الأحمر النادر ، وديك رومى حى . اما من جهتنا فقد ارسلنا في المقابل مدية انجليزية ومعها مجموعة من الاتصال ، وعشرة لوانير من الرضى الانجليزية .

وفي صباح اليوم التالي حيث الرياح مع اخراقة الشمس ، وعند تناول الافطار رحلنا في ارميت الى ما بعدها ، وقد خدمتنا الرياح الطيبة طوال هذا اليوم ، كما ان النهر كان موحيا بقوارب البضائع ، وضمت ثيعة بكامل سرعتها ، كما احتفظت السفينة الصغيرة باجستونز بسرعتها . اما الفسقاط وهي ذهبية انجليزية مصنوعة من الحديد ومزجحة بالسالمبي الانجليز ، فقد صاحبتنا طوال فترة هذه الظهور . وكنا جميعا متجهين نحو اسنا وهي مدينة تجارية كبيرة تقع على مسافة ستة وعشرين ميلا جنوب ارميت ، وهنا في اسنا كان عن الارام ان يقوم الرجال مرة أخرى باعداد الخبز ، وظهر شوق الرئيس حسى الشديد للنزول أولا وتدير النهر وشراء التطبيق قبل حلول الفسق - وكان ريس الفسقاط وريس الباجستونز في مثل شوقه ولنفس الأسباب - وفي نفس الوقت كان رجائنا شديدي الاتصال وهم يراقبون تحركات القوارب الأخرى ، وقد تعلقوا بسجل الفراخ مثل جماعة من النحل ، مع طاعة الأوامر بنشاط غير مألوف ، وعندما اقتربنا من الهدف تزايدت حرارة السباق ، وأصبح تفوق كل سفينة هو الهدف وتنامى الجميع مسألة الخبز مع هذا السباق . وأخيرا وصلت السفينيات الثلاث في وقت واحد ، ورست بجانب بعضها امام صف من القناص الصغيرة خارج المدينة .

وتقع اسنا ( واسمها المصري القديم سننى واللاتينى لاثووليس Astopolis ) فوق تلال المدينة القديمة ، وهي مدينة كبيرة تشبه المناس

في خيخ المصاحبة ، وهي أيضا عاصمه وجهه ادائيه مثلها . وهذا اعد  
التراجحة اعدادات البحر ، والفحم البتاني والنفط والمعدات الحية اللازمة  
للرحلة الى النوبة ، واحد اليخارة يحبرون حبرهم لليرة الاحمره قبل  
عودتهم الى مصر ، ذلك لان الطعام نادر في النوبة ، والاسعار مرتفعه  
بالاضافه الى عدم وجود افران عموميه .

وقد وصلنا الى اسنا حوالي الساعة الخامسة في يوم استعاد السوق ،  
ولم تكن السوق قد انضمت بعد ، ولما مضينا خلال متاعه الخوازي الطيبه  
وبيوتها الخاليه من النواهد ، حيث يجثم كبار الس يذبحون ، تحت كل  
شبر من الحائط الظليل ، وبينما تجمخ الأطفال مثل الذباب ، كانت صيحه  
البقشيش تتر متواليه في آذاننا . ثم اتينا الى قضاء واسع في الجزء الجنوبي  
من المدينه ، وسرعان ما وجدنا انفسنا في وسط السوق، وهنا رأينا عامه  
الفلاحه يبيعون المنتجات الزراعيه ، واصحاب الاكتشاك يرضون  
الأمشاط ، والمرايا ، والماديل المطبوعه بالوان صباغة ، والأساور  
الرخيصه المصنوعه من العظام والرخاخ الملون . وكانت الجمال ترقد  
مستريحه وترميح نحر كل عابر . بالاضافه الى الحبر الصبوره ، والكلاب  
الصالة ، والنساء المحجبات ، والرجال الذين يرتفون الإردية الزلاء  
والسوداء ، وكافة المناظر والأصوات المصاده في السوق المحليه . وهنا  
ايضا وجدنا الرئيس حسني يساوم على شراء الفخيق وتلحمي يلح علي بالغ  
الفحم البتاني ، والسيدتان م . و ب . تشتريان لنفسيهما الدويك الروميه  
والأور ، وكسيه صفيحه من التبع لحارتهما . وكان أفضل المناظر هو منظر  
محل مهمل للطايرة في مثل حجم كتبتك الحراسه . وقد علفت على مدخله  
لائفه باللغه العربيه ، بينما جلس في داخله اعرابي محني الظهر ، أغمي  
الشعر . فاشترينا رجاجة كبيرة من ماء الثور لعمل محلول لتسهيل عبور  
مرضى الوعد .

وفي نفس الوقت كان هناك معبد اسنا ، وكان هذا المعبد كما قيل  
لنا ، يقع بجوار موقع السوق ، ونظرنا حولنا بحثا عن علامة تدل على  
وجود بوابة أو رواق دوق جفوي . وقال المنظر ان المعبد قريب ، ولما صار  
راكب احد الجمال الى بوابة خشبية متقلبية بين مرلي متجاروين .  
وطولح ولد صغير بأن يودنا الى الطريق . وقد كنا شديدى الارتباك  
لأننا كنا نتوقع أن نرى المعبد شامخا فوق المنازل المحيطة كما هو الحال  
في الأقصر . ولم نهم بأية حال كيف لا يمكن رؤية مثل هذا المبني  
الصغير الذي توصل اليه هذه البوابة .

وعلى كل حال ، فإن الولد جرى مسرعاً ودق على البوابة وصاح :  
« عباس ! عباس ! » واصفاً صوته على الذي كان يقوم بالحراسة بعض  
الممرات اللوية بقبضة يده ، واحتشد جمع صغير دون أن يأتي عباس .

وكما هي العادة فقد تطوع المتخرجون بنصائحهم المجانية فاشادوا  
على الولد بأن يتسلق ، وعلى البحار أن يلقى بصوت أعلى ، وقالوا أن  
عباس الصائب يمكن أن يجده في كهوة مجاورة . وقد عبرت عن رأيي  
بعد أن بعد صبري بأنه لا يوجد صيد إطلاقاً ، بينما ارتفعت ديمتة من  
الأسوات تؤكد لي أن البرية ( المعبد ) ليست خروقة ، وأن المعبد كبير  
و « كويس » وأن جميع الانجليز يأتون لمساعدته .

وهي وسط الضجة ، وعندما قررنا أن نود بالنسي ، انتهت  
البوابة ، وخرج رجال مصيلة المسطحات وهم يرتدون البهظونات  
القصية ، وأخيراً صبح لنا بالدور .

وعدا هو ما رأينا أمامنا - لقاء صغير محاط بحوائط طينية ، ورأينا  
في الطرف البعيد من الفضاء مسجلاً متداعياً . وظهرت حلقة كتلة غريبة  
الشكل وهائلة الحجم من الحجر الجيري الأصفر - كانت مستطيلة  
ومنخفضة ومستوية السطح وقائمه الضخمة ، عرفنا أنها الاثريز المائري  
لمعبد عظيم ، وعلى بعد خطوات قليلة شاعداً حمداً غير متهام ولا مشهور ،  
ولكنه مدفون حتى بقته في القمامة لتتراكمه على مدى عدة قرون . وكان  
واضحاً أن هذا الجزء هو الرواق ، ووقفنا بالقرب منه تحت سقف من  
الدعامات الضخمة التي تحملها أساطير مدفونة تحت الدعامات ، وكان  
الاثريز الثقيل يادراً فوق رؤوسنا ، وتبلغ المسافة ما بين المستوى الذي  
نقف عليه وحتى قمة هذا الاثريز حوالي خمسة وعشرين قدماً ، وهناك  
حائط مرتفع من الطين يحاذي الواجهة بطول عرصتها تتركها بين الاثنين  
ممرًا يبلع عرضه الذي عشرين قدماً ، وكان هناك حاجر طيني منخفض وسور  
يصل ما بين كل دعامة وأخرى . وكان كل ما نلا ذلك غامضاً ومبهماً  
ومحاطاً بالأسرار وهو عبارة عن حوة غارقة في الظلام ظهرت في وسطها  
أشباح باهتة للمعبد من الأساطير التي تراها بصموية ، ومن خلال فتحة  
بين اثنين من الدعامات رأينا مجموعة من درجات ملحم من القرميد تعود  
إلى قاعة واسعة تقع أسفل سطح المائم الخارجي ، ذات مظهر مقبض  
وعريب ، وربما كانت هي بوابة الهادية .

وبعد أن هبطنا مع هذه الترحلات وصلنا إلى المستوى الأصلي  
للمعبد . الآن ونحن نطأ الأرضية القديمة ، وننظر إلى السقف المنخفض

المحبوب والمقنوش والملوب مثل سقف معبد دنفرة ، أعتقدنا أننا نقف حفا  
 في بهو الأساطير بمعبد دنفرة مرة أخرى ، فهنا نجد نفس المعبد من  
 الأساطير ، ونفس ترتيب الحجارة الذي بينها ، ونفس للناخ الصام  
 والمناخ الأساسية للتصميم ، ولكن صيد أسما أكثر انوره في بعض نواحيه  
 لأن الأساطير بالرغم من أنها أقل ضخامة عن مثيلتها التي في معبد دنفرة  
 إلا أنها أكثر رشاقة ، كما كانت أكثر ارتقاعا ، وكانت مقطعة  
 بتشكال الآلهة والشعيرات وصعوف من النقوش الهيروغليفية ، وجميعها  
 محفورة حفرًا غائرًا . لما تيجانها فاجها ذات أشكال طييرية تمثل لرهار  
 اللوتس أو البردى ، أو رؤوس سحيل البلع بخلاف أساطير دنفرة الضخمة  
 التي تلتصق بتيجان تمثل رأس البقرة حثحور . وكذلك كانت النقوش  
 المنحوتة على الحوائط مختلفة عن تلك التي في دنفرة . وكذلك تختلف  
 عن تلك التي في الكرنك بدرجة كبيرة . وكانت الأشكال في الطراز  
 البطلمي ، وجميعها ذات حجم واحد . وكانت النقوش متباينة وليست  
 متجمعة في مجموعات مما جعلها تمثل أفضل أشكال رخاوى الحائط التي  
 أبدتها الإنسان ، فقد كانت موزعة في أساطير متنافسة تغطي الإحساس  
 بأنافة العمل الضخم المنبر عن الحرية العظيمة التي استكمل بها هذا  
 الانتاج اليدوي المني ، وذلك بالمقارنة مع طراز نقوش الكرنك الذي يتميز  
 بالمبالغة .

وتحتل هذه الدرجات مكان المفضل الكبير . أما الموارض الرأسية  
 وجهر من الأفريز ، والحاجر الذي بين الأساطير التي دخلنا تحت دعائمها  
 الخشبية ، فقد كانت كلها نصف ظاهرة ونصف غائبة في الرابية الضلجة  
 التي وراها . وكان الضوء يسيل من أعلى حلال فراغ ضيق جدا ، بحيث  
 تحتاج المنى الى التعمود على الرؤية في الظلام قبل أن تتعرف على أي من  
 هذه التفاصيل ، وبالتدريج كسفت لتشكال الآلهة المحروقة وغير المحروقة  
 تبثق من خلال الظلام .

وكان الحشد مخصصا للاله حثحور روح العالم الذي نراه الآن للمرة  
 الأولى . إن رأسه رأس كبش ويمسك بيده علامة المنخ أو رمز الحياة (١) .

---

(١) كان إله خنوم منذ الأزل أحد الآلهة الكونية المصرية . فهو خراف المقدس  
 لأنه هو الذي أوجده الإنسان من السلم والنجاة فيه نسبة للحياة . وهو يظهر أحيانا أثناء  
 عملية تشكيل الإنسان الأول أو تلك اللبنة السرية التي خرج منها ليس الإنسان  
 فقط بل العالم الكائن بواسطة هيئة الخراف المروقة . وفي أحيان أخرى يرسم وهو في  
 قاربه . يتحرك فوق سفحة المياه في بحر الخلقة . وفي عصر الأسرة العشرين تطابق إله -



كما أمكن التعرف على شكل جديد هو الإله نسي (١) وهو الإله المسموه الخنثة المنخص بالمرح والبهجة - لها الشيء - الثاني الذي اجتنب انتباهنا فهو أسطراب صمران منمرلان قد بنى بين الأساطير على يسار ويسار المدرجات ، وهما يشبهان جوصق الحراسه المحرى وكان كل منهما متكاملًا في حد ذاته في حيث السقف والافريز المنحوت والمنحدر ، وهما شباك صغير مربع في الجناح - ونجى النقوش التي على ميني مشابهي لهما في الرواق بمحله ادنو ، إلى الخزنة اليسرى قد بنيت الكتب الهنقة الخاصة بالمعبد ، بينما احتوت الحجرة التي على يسار المختل الرئيسي ، صاغر للملك وهو يؤدي طقس التطهير - ولذلك فمن المحتمل أن يكون هذا الموجودان في اسما قد أقيما لنفس السبب .

والآن ، سن بحث عن التساعده التالية . ونظر بلا جدوى . لأن المنحل الذي يعود إليها مسندود بحاط ، وكان الرواق قد كشف عنه في أيام محمد على سنة ١٨٤٢ ، ليس تصيرا على الاهتمام بالآثار ، ولكن لمل مستودع مني لحفظ قطع البارود - وحتى ذلك الوقت وكما هو ظاهر في رسم نكتاب ويلكسون وهوانه ( طبعة وعنظر عام مصر ) *Thabes and General view of Egypt* ، فقد كان الداخل يوصى بين رؤوس الأساطير لسانة تكبر بعدة اقدام وقد استخدم مخزنا للقطر . ولا نعرف شيئا عن بنية البناء لعدم وضوح شيء . ومن المحتمل أنه في مثل حجم معبد دندرة أو معبد ادنو ، وهو سليم كما يقول التقليد المنحل ، ولكنه لا يستطيع أن يشير إلى مساحته التي تقع تحت أساسيات المنارل الحديثة التي تمتد فوق مسطحة . ويذكر نقش كان شاميليون قد أول من لاحظته ، أن تحتبسي الثالث قد بنى هيكلًا من قبل . فهل ما زال ذلك الهيكل الأثرى موجودا هناك ؟ وهل اتسع المعبد خطوة خطوة تحت حكم الملوك المتتابعين مثلما هو الحال بمعبد الأقصر ؟ أو أنه قد أعيد بناؤه في احتمالات النصر مثلما حدث في دندرة ؟ وهذه أسئلة صعبة إلا إذا

---

فيه خرم مع الإله رع . كما تطابق كذلك مع الإله آمون . وصار يسجد في الوضعة الكبرى في المعبر الأقروفي تحت اسم آمون خرم . وهو يعرف أيضا باسم « روح الإله » ويظهر في هذه الشخصية وفي شخصيته القسبية برأس كبش . أو على هيئة كبش . ومن بين التلقب الآخر « صانع الإلهة والناس » . وكذلك كان خرم أحد آلهة الشلال وكبير آلهة المنارل الذي عبد في جزيرة الفنتين . ويذكر نقش في معبد بلمة أنه « صانع كل الموجودات ، وخالق كل الكائنات ، وانه أول الوجوه » . ثم آلهاء وأم الأمهات » .

(١) « يظهر الإله بس في القصور أحيانا بوضعه لها مستورا من أسيا ويظهر مسلحا بسيفه الذي يستل في رأسه . وهو معروف في هذا القصر بوضعه له لعمار - وقد ورد ذكره كثيرا بوضعه له الرقص والموسيقى والثير » - مارييت وك -

بحثنا عن أحوالها بهم ربح المدينة . وفي نفس الوقت كم من كدور  
التاريخ المحفور ، وكم من الصحرات الغنية بالنقوش ، وكم من التحف  
البرورية المدفونة والبقايل ستكون موجودة هنا في انتظار مهول من  
سيقوم بالشر !

وقضت الكتابة طوال اليوم التالى جالسة في دكن من الممر الخارجى  
وهي ترسم رواق المصد ، بينما كل الرجال يخبرون خبرهم . وقد اشرفت  
الشمس من الأفق الشرقي ، وغرمت في الأفق الغربي قبل الانتهاء من  
هذا الرسم ، ولكنها بقيت أكثر من ساعة تضيء مقبلة المصد . وفي حوالى  
الساعة الثامنة والنصف صباحا بدأ ظهور الضوء على الشريط البحرى  
في الرواية . ثم ظهرت قمة أسطوان معقدة مشربط وفتح من الضوء  
الذهبي ، ومع انساع هذا الشريط ظهر الاغبر في لون غاري . ثم برز  
المصد كله في النور وهو يماطح السماء ، ومنه ذلك أسست الشمس تختفي  
بالتدرج ولكن في وضوح تام عبر الفضاء الصيق الذي يملأ الأفق ،  
ومنازل الظلال رأسية ، وأخذ الضوء يتبدل في شكل الجوانب ، وفي  
الساعة العاشرة حيم الظل حتى نهاية اليوم . وعند الظهر صارت الشمس  
في قمة ارتفاعها ، وأحدث تيجان الأساطير الفاضلة التي حيم عليها الظلام  
تضيء بفعل الضوء المنعكس ، وأضأت من الخارج ضوء جعلها  
تبدو مثل أصيلة من نار .

وهناك خمس قواعد الحياة على النيل قاعدت تملك من النزول الى  
الشاطئ بدون حراسة . وحتى ذلك الوقت كان سلام قد أصبح كله تمت  
أمرى . انه موافق من أسوان صغير المس ونشيط وذكي وعلم بالحرارة  
مع الطبع الحار ، فكان بذلك وجبها كاملا ، وكنت سعيدة بمعرفته .  
أما الدليل على حسن تربيته فهو ذلك اليوم الذي قمينا في ليلنا ،  
وهو يوم كان من القروض أن يقضيه في التسكع في أسواق الماديات  
والقمامي ، ولابد أنه أحس بالملل مع الانفعال بضياء اليوم محبوبا بين  
الحائط الطيب والمصد النريب الشكل الذي مناه الجلى الذين حكموا قبل  
عصر آدم . ولكن سلام لم يظهر عليه علم الرضا . وقد استوى على نفسه  
في أحد الأركان يراقب ما عمله . وهو مستمد بالشمسية صلبا تشبه  
حرارة الشمس ، وأخذ يمد يده راحة الماء أو يسلك مصدق الألوان  
بدهائة . كما لو كان قد تدرب على ذلك منذ ولادته . وقد وصل غدا في  
الساعة الواحدة مطوفا في حامل للأطواق . ولا كنت متفولة بحيث  
لا أستطيع الانصراف عن العمل ، فقد فحيت الحاصل جانبيا وأرسلت سلام  
إلى السوق لكي يشتري لنفسه غدا ، وهو عمل أبلى رغبت في أدائه

بطريقة مهذبة - وقد احدثته مبلغ قرشين من الفضة وهو ما يساوى خمسة  
بنسات بالعملة الانجليزية ، ويستطيع بهذا المبلغ ان يشتري ثلاث كؤ  
لربح فطائر من الخبز القتل الطازج وكثرة من اللحم الخشوي وخشويات  
ونصف دنانير من التمر .

ولما كنت اعلم ان هذا الفداء افضل مما يتناوله هذا الصديق كل  
يوم ، كما اعلم ايضا ان بحارنا قد تعودوا على تناول الطعام وقت الظهر ،  
فقد تمجبت وأنا اراد يترك هذه المأكولات اللذيذة دون ان يتذوقها ، فقلت  
في صوت خفيض : بسم الله ، محاولة اجباره على تناول الطعام في كلمات  
لفظية ، بالإضافة الى الحركات التصيرية ، فضحك وهز راسه وطلب الاذن  
بتشخين سيجارة ممتلأ باله لا يشمر بالبحر . وعلى ذلك فقد مرت ثلاث  
ساعات . ولما كنت قد تعودت على الصوم الطويل ومع الانسحاب في الرسم  
التي كنت ارسسه ، فقد سميت كل ما يتعلق بحامل الاطباق ، وكانت  
الساعة قد تجاوزت الرابعة عندما بدأت في اصلاح المسيح في ضوء النهار  
باستخدام اقل وقت ممكن . والآن بدأ سلام الوفي في تناول الطعام  
بشبهة قضت على الفطائر والكعكة والتمر كما لو كان قد استخدم السحر .  
اما بخصوصي ما بقي من غذائي فقد تناوله في مثل لمح البصر . ولم او  
السمان يتناول طعامه يمثل هذه الشهية الا في عروض التمثيل بالاشارات  
( الياتومييم ) ، ولجئاً بعد سميت تلحني يوبخه بسبب هذا الصوم الطويل  
التي تطوع به .

فقال : : اقسم بانني - ألي لست خنزيراً او كلياً حتى اناول  
طعامي بينما السيئة صالحة .

وبالمناسبة فاننا لم نكتشف الا عند اسما هذا الأمر الغريب عندما  
عرض على أحد الأشخاص شراء قطعة من العملة المصرية القديمة . كان  
الرجل الذي يريد ان يبيها قد وجدها عندما كان يحفر على عقب يديه  
تحت التلال في اطراف المدينة بحثاً عن اصلاح الفيترات . وتطوع بان  
يطلعنا على المكان . وأخذ يقص روايته مبتل بساطة الاطفال ، ولسوء  
الحظ فانه بالرغم من حقيقة هذه العملة الأثرية الا أنها كانت تحمل الصورة  
المروعة للملك جورج الرابع ونقشاً يبين قيمتها المتواضعة التي تساوي  
ربع بنس فقط . وفي مناسبة أخرى واثاء الفترة الطويلة التي قضيناها  
في الأقصر ، أحضر أحد اللاحين الى القناري ورا زجاجيا مصنوعاً في  
برمنجهام واتقسم آتة وجده في إحدى الموميالوات في مقابر الملكات في  
قرنة مرعي . وهي أحد الأيام حاد نفس الرجل الى خيمسي عندما كنت  
مستحقة في الرسم ، وقد أحضر منه حطاً يضم عمدا لا بأس به من  
الجصارين ويقول انها اثرية فعلا ولا يمكن انكار اصلاتها .



قلت له بأست : لا تريد أن تحضر في المريد من القطع الأثرية .  
إنها كلها قديمة ومستهلكة وغالية الثمن ، ألا يوجد لديك حمارين مقلدة ،  
جديدة وصالحة للاستعمال بحيث يستطيع الإنسان أن يرتدعها ولا يتخفى  
عليها من الكسر ؟

وحاجت الاجابة الجاهزة : « إنها مقلدة يا صمت ! »

قلت : « ولكنك قلت منذ لحظة إنها قطع أثرية أصيلة . »

فقال لي خجل : « ذلك لأنني ظننت أنك تريد أن تشره أكله . »

قلت : « ما دمت تريد أن تبيع لي أشياء جديدة على أنها اثرية  
فكيف أتأكد أنك لي تبيع لي الأشياء القديمة على أنها جديدة ؟! وهنا أجاب  
قائلا انه قد صنع هذه الحمارين بنفسه . ولما غشى ألا أسدله سحب من  
صدوره قطعة صغيرة من الورق الخشن واستطاع أحد الأتلامي الرصاص  
ودسم أمني صغيرة ، وظاهر لي منجل وبعض الأسلاك الهروغليفية  
المرولة بمهارة ملحوظة . ثم قال بنفحة الإختصار : « هل تصنعني الآن ؟ »

قلت : « أرى أنك تستطيع عمل طيور وأفاع ولكن ذلك لا يبرهن  
على أنك تستطيع أن تصنع حمارين ولا يثبت كذلك أن علم الحمارين  
جديدة . »

فاعترض قائلا . « كلا يا صمت . لقد صنعتها بهاتين اليدين ، لقد  
صنعتها ولكن في اليوم السابق ، والسم بالله أنها لا يمكن أن تكون أحدث  
من ذلك . »

وهنا فشل تحسني قائلا : « إن حمارينك في هذه الحالة جديدة جدا  
ومتصائب بالتشققات قبل انقضاء الشهر ، ويستحسن أن تقوم السمت  
بفراء بعض الحمارين في الوقت المناسب . » وهنا لمي الفلاح حاجبه  
وصدوره ، وقال لي جو من الصراحة الأمانة : « الحظوظ أيا الترجمان هي  
أن هذه الحمارين قد صنعت في وقت الكيفيان . إنها جديدة ولكن ألي  
حد ما ، لقد صنعت في موعدها النظيف . ولذا تشققت فأنك تستطيع  
أن تشكوني إلى الحاكم وسأناك علة مقابل ذلك ! »

وقد ظهر لي أن الغرب ملتحح هنا ينتظر الصغير لتمثل في البساطة  
المنجية التي أبدعها هذا الأعراي ، فقد دافع بكل دماته . وكنوته على  
الاحتمال حتى يرمع نفسه فوق مسخري الشك مثل طفل صغير . ولم

يحدث له من قبل أن كان صديق حديثه موضح الاختيار ، أو أنه نسب لنفسه صديق كل كلمة تقوم بها - والحقيقة هي أن الفلاح نصف بدائي ، وعلى الرغم من إصابته في الكذب ( ولابد أنه كان أكبر كذاب تحت السماء ) إلا أنه ظل أمساناً ترداً يسهل فصحه ، كما يسهل الترفيق عنه ، وتضاعفه ، واستشارته ، وجهده حاطره - أنه يسرق قليلاً ، ويحتال قليلاً ، ولكنه يكذب كثيراً ، أما من الناحية الأخرى فانه صبور ، ومضياف ، وبأدي الود ، ويثق بالآخرين - انه لا يتوقع البغضاء ، ولا يحملها في صدره ، ولا يرتكب جرائم كبيرة ، ولا يضمن الانتقام ، واختصار فأن معاملته تفوق مساوته ، وكل إنسان لو شعب يحتاج إلى الارتقاء بسلوكه نحو الأفضل .

وقد يبدو أسلوب التعميم هنا تجاوزاً من غريب عابر سبيل . إلا أنه يلتمس المنزلة لأنه يحترم مصر أكثر من أي قطر آخر يضاهيها في الظروف . وفي أوروبا كما هو الحال في معظم أنحاء الشرق يرى الإنسان القليل من الناس بحيث لا يمكن أن يشكل رأياً حولهم ، ولكن الأمر مختلف بالنسبة لمن يعيشون على النيل . وبصرف النظر عن الفنادق والسكك الحديدية والبنات ذات الطابع الأوروبي ، فأنك تتعامل مع المواطنين ، إن المرعى الذين يحضرون البنا طلباً للعلاج ، وجهاء الريف ، وموظفي الحكومة الذين يرورونك على ظهر مركبك ، ويسلونك على الشاطئ ، والمرشدين ، والأولاد الذين يسوقون الحمير ، والتجار الذين يعيشون على الاحتيال ، كل ذلك يشكل معيلاً لا ينضب من الدراسات السلوكية ، ويعلمك الكثير من الحياة المصرية أكثر من جميع الكتب التي كتبت عن السياحة النيلية . أما بعارتك ومضيفهم من الأعراب والبعض الآخر من التوبيخ لهم يمثلون عالماً صغيراً في حد ذاتهم . هناك رجل منهم قد ولد عبداً وصيحت علامة النحاس معه إلى القبر . وآخر لديه طفلان في مدرسة ميس هوانجل بالقاهرة وقالت تزوج حديثاً وترك زوجته مريضة في البيت ، وربما بجنتها ميتة عند عودته كما أنه لا يسمح عنها أية أخبار في الوقت الحالي . وهكذا فإن وراء كل منهم قصة متواصلة ، قصة تحمل علامات الطغيان الملل ، والإلزام المرعب ، والسخرية الأكثر رعباً . وهذه كلها تشكل الوقائع الأولية . ومؤلاً المسكين على استعداد يكفى للادلاء بآمالهم ، وأخطائهم . وأعدائهم . ومن خلال التعاطف معهم ، يمكن التعرف إلى الناس ؛ ومن خلال الناس نتعرف إلى الأمة ذاتها . لأن حياة العامة تكرر نفسها ليماً عداً بعض الاختلافات البسيطة في كل مكان يجري فيه النيل ويضع تحت حكم الخديو . فالخصائص هي نفس الخصائص ، والوقائع هي نفس الوقائع ، ولا يختلف إلا بتبدل المناظر على مسرح الأحداث .

وعلى ذلك ، فقد يحدث أن السائح الذى يقضى حوال سنة شهر فى رحلة ميلية ، ويهتم بمصر والمصريين ، ربما يتعلم خلال هذه الفترة القصيرة الكثير عن هذا البلد وأصله أكثر مما بحث فى قطر آخر لقتل اسرائيل واصفها فى كافة الدواحي السياسية والاجتماعية والجزائرية .

ويذكرنى ذلك بأن السائح الذى يسافر فى الليل ، يعاهد القطر المصرى كله ، لأن السائح الذى يتقل من نقطة إلى أخرى فى الاقطار الأخرى يتبع خطا وقبعا من الطريق أو السكة الحديد أو النهر ، تاركا مناطق واسعة لم تستكشف على كلا الجانبين . ولكن هناك أماكن قليلة فى مصر الوسطى والعليا - وليس فى النوبة - لا يستطيع الدارس أن يحيط فيها بأية ملامح أو يقوم بأى مسح لصفحة البلد متفلا من صحراء إلى صحراء . والأفضل أن يقوم بهذا المسح مرات عديدة لأنه يستطيع الدارس أكثر من أى شئ آخر فى فهم الفراغ الجبل التاله الذى شق النيل خلاله طريقه على مدى الطبقات الأتالية ، كما يساعد الدارس فى معرفة ماهية الرداء الكون من الرواسب الطينية التى يغطي هذا البلد الذى هو «هبة النيل» .

وقد واجهنا صباح حبيبى رعدى اللون ، ونسيم ضعيف ومتقطع ، رويد رويدا فى طريقنا من اسما إلى ادفو . كما ظهر الخبز الجديد بوسفه حملا ثقيل على المركب يمد وصفه على السطح ، وقد تكوم من كومة ضخمة عند طرف السطح الملوئ . وقد احتاج تطلبه إلى جهد أربعة رجال طوال يوم كامل ، وسببت لنا تركتهم للتواصله الكثير من الارتباك . وكان تلجس يمسح بين وقت وآخر : « اسكت يا طيعة ! اسكت يا عل ! انك لست على السطح الخاص بك . إن الحواجات لا يستطيعون أن يقرؤوا أو يكتبوا هذا الهرء الذى يتحدثون به » .

فكانوا يصنعون لغة دقيقة ونصف دقيقة .

ولكن من السهل عليك أن تحصل قرذا يترقب عن الثرثرة ولا تستطيع ذلك بالنسبة للأعراي ، فكان رجالنا يتحدثون باستمرار ، وكان حديثهم يطور دائما حول النقود . وعندما نستمع اليهم نطعم يتحدثون بكلمات من نوعية «خمسة قروش» ، «صنف ريال» ، «أنتين شلى» . ولم يعرف أبدا كيف كانت النقود نفس مثل هذا الدور الصغير فى حياتهم بسما كانت تلعب مثل هذا الدور الكبير فى أحيائهم .

وحسبوا منتصف النهار عبرنا الكاب التى كانت تعرف باسم Ellethtys قديما . وهناك أحد الوادى الصخرى ضيق ، كما كان

الألف ميل - ١٩٣

هناك أيضا ضريح لأحد المتسايف على حافة الحبل من فوق ، وعند قليل من مجموعات الحبل ، ويضئ بقايا ما يشبه حائطا طويلة مبينا من الطوب الملبس برأوية عمودية على النهر ، وكتلة معزلة من صخرة صخرة من الحجر الجيري ، تركت ظاهرة في وسط منحدر متهاالك ، وكانت تلك هي كل ما شاهدناه من الكاب عند مرور الذهبية بها .

والآن ومع مرور فترة بعد الظهر المتراحية ، لاحظت صروح معبد ادفو المقلدة بالظباب من على مسافة بعيدة ، وكنا مشاهدا لفترة طويلة قبل ظهورها ونحن نحسب كل ميل على الطريق ، وكل دقيقة من صوء النهار . وكان النسيم قد توقف عن الهبوب حينذاك ، بينما امتد النهر أمامنا ناعما ومتألقا مثل بركة الماء . وأخذ تسعة من الرجال في سحب المركب إلى ادفو ، فهل ستصل في وقت يسمح بمشاهدة معبد ادفو قبل حلول الليل ؟

وكان الرئيس حسن يبدو متفككا ولكنه يحتوي كعادته في عبارة «إن شاء الله» ، وكان تلحني يشعلني في انزال بحار لكي يصفو ليلتنا ويأمر بإحضار الحبر ، بينما كانت قبيلة تزحف مطه ، وأجالت الشمس ترول مختفية خلف سحابة رقيقة ، بينما كانت هاتان البوابتان تلقيان بظلالهما أعلى وأعلى فوق الأفق كالشبح ولكنهما ظلتا على مسافة بعيدة .

وفجأة توقف السحب ، ونظروا خلفهم وصاحوا نحو الذين على سطح المركب وبصخوا في سحب القارب إلى البر . وأحد الرئيس حسن يشير بفرح نحو شريط أبيض عبر سطح النهر الناعم بمسافة تقدر بنصف الميل . وكان بحارة القسطاط يحتفون بأعلى السارية ، بينما عمل بحارة الماجستونز على إفساح المكان لنهيتهم . وكان رجالنا يستعدون لفنق الحبل والتفاز فوق سطح المركب عندما تقترب قبيلة من البر .

وكانت الرياح المتقلبة المراج التي لا تهب الا عنفما لا تزيلها ، تقترب !

أما وقد وصلت القسطاط في المؤخرة فقد نشرت شراعيها الضخم واستقبلت أول سمة . وجاء الدور على الماجستونز بعد ذلك . أما قبيلة فقد تركت جناحيها يرفران ، وأطلقت طلقاتها لتفصح الطريق أمامها . وفي دقائق قليلة أصبحت المراكب الثلاث تسوقها دبح عظيمة .

أما البوابتان العظيمتان اللتان ظهرتا بعيدتين منذ نصف ساعة فقد أصبحتا الآن في مقابول أيدينا . وكانت تحتها غابات من الحبل وأكواح

متجمعة كانت المراتان تمران من حينها في رفعة مقابل السماء الملبدة  
بالغيوم ، وسرعان ما تجاوزناها وتركناها خلفنا . وأخذ الفسق الرماحي  
بفلهمنا ، وأصبحتنا لا نراهما مرة أخرى . ثم سقط اللبل باردًا وحائنا من  
ضوء النجوم ولكن هبوط الظلام لم يكن في مثل سرعة الريح والشفقة  
التي تحيطنا .

والآن ، ومع هذا السباق المشتعل الذي لا يكبح بدماعه - خاصة  
لوق صمعة النيل ، فقد صاروا إلى نفل ما يستطيع من جهد بالفحول  
في تجربة السرعة . ولم يمض وقت طويل حتى أصبحنا في هذا الموضوع .  
أبها صدارة للفور ، فقد كانت قبلة ضد القسطاط . والباحثون صمد  
الإنبيس ما . ونقول في لفه بسيطة إن ذلك كان سببا في السرعة  
وكانت الهيبتان اللتان في القنمة متماثلتين . وكانت قبلة أشبه من  
القسطاط ولكن القراع الرئيسي للقسطاط كان أكبر حجما . ومن جهة  
أخرى كانت القسطاط مصنوعة من الحديد بينما بنيت قبلة من الخشب ،  
وله سهل ذلك من عملية سحبها من الشاطئ الرمل . وجعلها أخف  
قيادة . أما الباحثون فهي تحمل شراعا رئيسيا وتستطيع أن ترفع  
هذه الحاجة . وفي نفس الوقت كان السباق واحدًا من المسابقات التي  
تختلف فيها سرعات السك . والآن في القسطاط تندفع للأمام ، ثم تندفع  
قبلة سبما . كنا نتجاوزها مرة ، وتجاوزها مرة أخرى . كسا كا  
تسحب الريح من أحدهما لصالح الأخرى . ونستفيد من كل دوران ،  
ونشر كل شراع . وكنا قد اتصلنا بقواربنا بحيث أصبحنا أشد شولا  
للفور ، كما لو كانت هناك جاذبة في انتظارنا . وفي هذه الظروف أصبح  
من الصعب علينا إرساء المراكب طوال الليل . وما دعا قد بدأنا للمباراة  
قالنا لا نستطيع أن نمضي إلى أمد ما تسوقنا إليه الريح . وكان يعارضنا  
متشوقين مثلنا للفور . ومع قعود الليل زادت سرعة الريح وازداد معها  
الضباب ، وظلت المراكب تطارد بعضها البعض بظول الدهر المظلم ، وتشر  
الرياح من أفواصها ، وترمي بخطوط عريضة من الرمق خلفها . وكانت بواقف  
قمرتها ضامة كلها من الداخل ، وتلقي بشعلات الذهب الخافتة على أمواج  
البحر التي تحبها . وكانت المصاييح المعلقة في قمة صواريخنا تلعب بالواتها  
البرقائية ، والأرواحية والفرمية خلال الفسق مثل الجواهر . وسرعان  
ما انقضت المسحابة ، وصفت السماء ، وظهرت النجوم ، وبعث الرياح ،  
واحتز زجاج الموائد وتموجت دراع دقة القصارب ، وصباح البحارة  
وتسابقوا ، وتخطت الحبال فوقنا ، بينما كنا جالسين في قواربنا الضيقة  
تضي صف الليل ونحن ننظر من نوافذنا الخاصة بأ . ومضت عدة  
ساعات من هذا للنزول . وفي حوالي الساعة الثالثة صباحا ، اندفعت

الراكب الثلاث وانفردت في شاطئ ، وعلى بعد هزة عميقة وارتداد شديد ، وصياح ، ومضاجرة ، ثم طار الرجال لكي يطووا الشراع الخفاق ، فكان بعضهم يسلك المصلى الطويلة اى تدفع في قاع النهر ، بينما كان الآخرون مثل الصاريات التي يلف اشباحا في الظلام ، وهم يتقافزون من سطح المركب الى البحر ويعملون في دفع السفينة باكتادهم . وأحدوا يتبادلون دينا بينهم وبين الذين على السطح عبارات غنائية تدفع الى بلل المرء من الجهد . وأجرا وبعد حركة جوية استمرت عشر دقائق ، امرلنت ديلة تاركة اللحيين الأخرين جابحتي على الأرض في وسط النهر .

وقبل قنوم الصباح بقليل انقضت الليلة كثيرة الموضاء ، وأجلدنا الى النوم لكي نستيقظ مرة أخرى في الساعة السابعة على صوت لمحي وهو يعلم ان السفينتين الياحنوم والفسطاط قد اقتربا منا ، وأنا قد تجاوزا السفلة وكوم امير . وتركناهما خلفنا ، وأما أصبحنا على مسالة ستة وأربعين ميلا من ادفو الى الرياح الطيبة ما زالت تهب .

أنا الآن على بعد خمسة عشر ميلا من أسوان ، ويمجرى النيل هنا شيق جدا ، وإن خصائص المنظر قد تغيرت ، لقد اتجهت إضمارنا نحو الصحراء الشرقية ( العربية ) والتربا من حدود الهيال الجرايكية اسودده ، بينما كانت هناك على جانب الصحراء الغربية ( الليبية ) سلسلة من التلال الرملية المرتفعة ، وقد تكفل كل منها بالكثير من الصخور ، ولداكنة ، وقد انتشرت أشجار النخيل بكثافة على كلتا الضفتي .

وفي نفس الوقت استمر السباق . لقد كان في الليلة الماضية مجرد رياضة ، أما في هذه الليلة فهو شديد الجدبة . لقد تسابقا في الليلة الماضية من باب العظلة ، أما في هذه الليلة فابا تتسابق من أجل الفوز . قلت : « سامع الرئيس حسن جيبها اذا وصلنا أسوان قولا » .

وبرقت عينا الرس . دعوى الحاجة الى تفعل الترجيما بيننا . كانت للظفرة والبرة واضحة بالنسبة له وضوح أحسن الكلمات العربية ومصدرت كلمة ( جنبه ) السحرية هي الحكم الآن . لأنها كانت تسمى جنبها من الصفة التي كانت تستلجم في أيام تلسون وأبركروصي . ولمس رأسه وصفره . وألقى نظرة الى الوراء على اللحيين اللتين حلفنا ، وبظرة الى الأمام في اتجاه أسوان . ونخط قلمييه ببعضهما في حركة انتباه ، ثم يوط صديلا حول وسطه وتركز بنفسه عند قمة الدرجات

الى تقود الى السطح العلوي . وظهر تصميم الرئيس حسن على الفور مثلاً  
في الدور الذي اسعدت من عسيه ، وهيئة الاستعداد التي اطلعت بقية .

والآن ، فان وصولنا لولا الى تسوي يسمي ان يكون اول من كسبت  
اسماؤهم في قائمة الحكمدار ، وايضا قول من يتجه الى الشمال - ولما كان  
دور الشمال يحتاج الى يومين أو ثلاثة من العمل - فان مسألة الأسيفية  
هذه أصبحت غير ذات أهمية . ولولا الجنيه الموعود لكافيت السطاط قد  
مبقتنا خمس مرات ، وكنا سنضطر حينذاك لانتظار دورنا على الجانب  
الخطأ من السطوط .

والآن شرق الشمس عالية فتشتد حرارة السباق حتى اننا أصبحنا  
على بعد خمسة عشر ميلا من أسوان بعد حلول وقت الإفطار . ثم انخفضت  
الخمس عشرة الى عشرة . وعندما فصل في الراس البحري الذي هناك  
عابها تكون قد أصبحت الى سبعة أميال . وعن السهل رؤية كيف انه مع  
نقصان المسافة يسا ويبي أسوان فانها تنقص أيضا بيننا وبين السطاط .  
وعرف الرئيس حسن ذلك . انى اراء يقيس المسافة بعينه ، كما يرى  
التغطية التي استقرت بين حاجبيه . انه يحسب طول المسافة التي  
تقطعها السطاط كل ربع ساعة . وكما يبلغ عدد أرباع الساعة التي تيمدنا  
عن الهدف ، لأن البعاده العرب لا يقيسون المسافة بالأميال ، انه يحسبها  
بالرسم وبما يقطعه من النهر ، وهي تساوي ثلاثة أميال في المتوسط لكل  
ربع ساعة (٤) . ولذلك فان قطار مبعثنا عندما يقول انه بقي لنا القيام  
بفورتين اجابة للسؤال الذي يتردد مرارا وتكرارا ، فانه يعنى اننا نبعد  
حوالي ستة أميال عن الجهة المقصودة .

بقيت ستة أميال مع انه السطاط . تردد اقتراحا في كل دقيقة ا  
وكنا حتى الآن متجهين بشخص . ولكن عندما يقترب الهدف فانه حتى  
الحجارة يلتزمون الصمت . ويقف الرئيس حسن بفوق حراك عند عموده  
للمتاد لكي يتعرف على الأماكن الضحلة في النهر ، وكانت كلمتا شمال -

---

(٥) هذا الأسلوب الآخر القوي الاصل المتبع في حساب المسافة حسب الزمن .  
يقول في حمله المسافة التي يسلك في الدورات واللفات الاستمرارية . وقد تعمم  
استخدامه الآن في الملاحة البحرية والجوية لأنه يفيد في حساب استهلاك الوقود ، وعلى  
سبيل المثال على الطيارين والرافتين الجويين في اختيار المسى يخلون ان المسافة الناتجة  
على وصول الطائرة الى مقصدها هي ساعتان وخمس عشرة دقيقة مقابلين وقد يكتفى  
بما يسلكه طياران - اما المسافة فيسهل حسابها حسب سرعة الطائرة في الساعة -  
( المترجم )

يسى ، الثلاثين صمداً عنه فى أوجة قصيرة حادة هما الصوت الوحيد الذى يتردد ، بينما عامل الدقة يقطع بهبه وإذنه كما لو كان هو يسه اليمنى ، ويعطى البحارة الفرصة فى أماكهم صديقي ومتحيرين مثل القنطط .

والسافة الآن ليست ستة أميال بل خمسة ثم أربعة . أما القنطط الذى يعود الفصل الى شراعها الكبير فقد كانت أن ملحق بنا ، كما ان الباجستور كانت على بعد لا يريد عن مائة ياردة خلف القنطط . وأثناء تقدمنا كما يمر بفافات من السحابة من أجود الأنواع التى شاعداها من حيائنا . كما مرنا بمصباته مهجورة تنف فى انتظار الريح المواتية للاتجاه نحو مقاصدها ، ومرنا بتقارب محلية ، وأكواح على جانب البحر ، وغيوم من الرمل المنقطع حتى اكملنا الدوران حول الركن ، وكسينا ربع الساعة الأخير ، وظهرت مادن أسوان كما لو كانت فى داخل سحابة على اليف . وكان البرج القديم الذى يتوج الرأس البحرى الناقى يرتفع بمقابل المدينة ، وكانت هذه البقع السوداء التى فى وسط بحرى البحر ، هى أوائل الصخور الضلال . ويشى البحرى هناك بين السحاب الصخرية والصفاء الرملية ، ومن السحاب الدوران حتى فى أشد برقيات الطقس صدماء . وكانت قبلة تندفع الى الأمام وحى تبيل يكاملها مثل عداء قفر الموائع عند الحاجز الصحبى ، مع استمرار نشر شراعنا فى مواجهة الريح . ونتجه كل الميون الآن نحو الرئيس حسن ، الذى يطف مشهودا مثل شمال من البحر ، فالصخور قريبة من الأمام لفوحة أننا نستطيع أن نرى الأمواج وحى تصب فوقها ، والقوامة وحى تدور من بينها . ويقع طريقنا خلال فتحة بين الصخور . وينصرف البحرى المائى خلف هذه الفتحة الى اليسار بجهة . أما نقطة يعتمد كل شىء عليها على تحويل الشراع . وإذا تم ذلك سريعاً فأننا سنفقد العلامة ، أما إذا تم ماسراً فأننا سنصلهم بالصخور . وفجأة رفع القبطان يده ، وحشد السلائم على حدة ، وكفر الى مقدمة السفينة . وصب البحارة واقفي وتجمعا ، بعضهم حول جبل الصارى ، والبعض الآخر حول نهاية السطح . لقد أصبحت القنطط ببيائنا . وحانت لحظة الفوز أو الخسارة .

والآن وبعد مضي ثلثين من حبس الأنفاس ، اندفعت الثقبتان للأمام . كلتاها بجناب الأخرى ، للبرور من هذا البحر الضيق الذى لا يتسع إلا لواحدة منهما فقط . وحتى السفينة الحديدية بالصفة الرملية قامت بحمل مدار أوسع ، وقد حولت شراعها أولاً بجهة تاركة جبل الصارى دون رباط . ورأينا الشراع يرفرف ، والجل يطير ، وقد تلاعبت جميع الأيدي لاستعادته .



ولمى هذه اللحظة أطلق الرئيس جرس كلمته ، وأصبحت قبضة للأمام  
وقد اقتضت القصة من بين محالبي الفسطاط ، وحولت شراعها يدوي  
محب ، وانتقلت عن الماء المبيق مازكة منافستها بعضاى الآخرين وهى  
تسرع بين المياد الضحلة .

وكان الحرء البالى من الطريق قصيرا وحتوحا ، وفى أقل من  
خمس دقائق طويا شراعنا ، وقفنا للرئيس حسن الجنيه الذى كسبه  
بجدارة ، ووجدنا ركنا مريحا لكى يرسو فيه ، وهكذا انتهى مسابقنا  
المشهود الذى قطعنا فيه حوالى ثمانية وستين ميلا من ادفو الى أسوان .



قريب من طي في أسوان

## الفصل العاشر

### أسموان والغتتين

تقع جزيرة الغتتين الضخمة الضخمة التي يبلغ طولها حوالي ميل ، في مواجهة أسموان ، وتقسّم النيل إلى فرعين ، وعلى كلا الجانبين نجد أن الصحراء العربية ( الليبية ) والصحراء الشرقية ( العربية ) التي تتكون من منحدرات ماعية يلو الكهرمان ، وهي صحور جرابية غير مستوية ، تصل إلى حافة النهر ، وهناك صريح لأحد المشايخ على الضفة التي في ناحية الصحراء الغربية ، أما في ناحية الصحراء الشرقية فيوجد حطام بارز من العمارة العربية تملوه عقود حجرية مفتوحة في أعلاها ، تتوج أثنى من المرتفعات المتقابلة ، وتطل على بوابة الضلال ، وتقع أسموان تحت حطام العمارة العربية ، ويفصلها عن النهر شاطئ منمنم من الرمال .

وكل ما يستطيع الأصناف أن يراه من المدينة وهو يقف على المرمى النهري الذي يطع اسمها ، بعض المنازل المتناثرة ، مع صعب من الحوائط البيضاء ، وقبة مربعة ، والمداخل المظلمة لرقائق أو اثنين في الأتفة المعتمة ، وتآلق في الشمس ، الصخور السوداء الملائمة للضفة ، والتي يحتوي بعضها على نقوش هيرغليفية رائعة ، مثل الفهم اللاحق (١) . أما الشاطئ ، فإنه مرمم ببالات البضائع والجمال المحملة وغير المحملة ، والأشخاص المصممين القادحين والرائحين ، وقوارب نقل البضائع المحملة

---

(١) في صخور شلالات الأنهار المظلمة مثل فوريونكو ، والبيبل ، والكريمو . منطدة يطلها من معة سوداء يطلها تظهر كما لو كانت منطدة بالكاريون ، وهذه الطبقة رقيقة جدا . اكتشف بروديوس بعد تطليلها أنها تتكون من أكسيد الماغنسيوم وأكسيد الحديد . ولا تعرف أصل هذه المادة الكثرة من الأكسيد الحديدية والتي تطفئ الصخور كبقية من الاسمنت . واعتقد أنه لا يوجد ما يبرر سبب القضاة في كتابتها . انظر Journal of Researches تأليف تشلرغر ديرون . الفصل الأول ، ص ١٢ ، طبعة سنة ١٨٤٥ .

التي تتكون من موزة ونصف مائنة صحت مشعة الشمس . فيما ترمو ثواب  
أخرى متقاربة وهي تحمل بالضائع أو تعرض منها البضائع - وعلى يد  
قنبل منها ، رمو ثلاث أو أربع صبيات تحصل الأعلام البريطانية  
والأمريكية والبلجيكية - كما أن هناك مراكب أخرى ترمو في الطريق  
بحر القشتل - ومن هذه القوارب ذات المجاديف ، متحدة مسارا عرسيا  
في كلا الاتجاهين من الشاطئ إلى الشاطئ. الآخر ، وأخذت الكلاب تنبح  
والجمال تزمجر ، والحمير تهق ، ويأتمرو الأناس يصيحون ويثرثرون .  
ويصلون على أذرعهم البضائع التي يعرضونها ، ويتعاركون ويتوصلون  
لكي يصلوا إلى سطح المركب - ولا يسعهم من الصعود إلى اللوح المتوصل  
بين السفينة والشاطئ، إلا امتلاك من العمى الفليضة أمسك بهما إثنان من  
البحارة الصناديد -

وتتميز الأشياء التي تعرض للبيع في أسواق بانها جديدة وغريبة .  
وهنا لا يعرضون عليك الجمارك أو التماثيل الجارية أو الآلة المصنوعة  
من البرونز أو العرف ، ولا بقايا الحضارة الماضية ، ولكنهم على العكس  
يعرضون عليك الأشياء التي تتحدث فقط عن حاضر سادج ومتخلف .  
المهم يعرضون عليك بيض وريش النعام والمخل الفضية النوية الصنع .  
والرماح ، والأقواس ، والسهم ، والدروع التي تحمي حاملها  
Rhino-ceros-bids ، والأساور المأجبة المنحوتة من تاب الفيل ،  
وريش الطيور الذي يستخدم في الكتابة ، والسلاسل المصنوعة من البوص  
المصبوغ ، والمجفول ، وحرايات الأنث الفضية ، وما شابه ذلك . وقد  
عرضت إحدى النساء التوبيات المعالز للبيع حقيبة لأدوات الرنيسة .  
وشيثا حشا يشبه التمثال مع ومادة ، وطواقم خوات حصلت من الريش  
الأسود ، أما الوسادة فقد كانت تتضمن رجائتي في الكمل ، وأبصرة  
غليظة . ومغطا من العظم .

وكان أشد الباعة صفيا ، ولد مشاغب لونه شديد السواد ، وصوته  
شديد الحدة . وهنا صفتك مادرا ما تجتمعان في شخص واحد . وكانت  
ملابسه البسيطة تتكون من جلباب مهمل وطاقية من القطن الأبيض .  
وكانت أدواته عبارة عن حرام من الجلد الأملس مربوط في طرف عصا .  
وأخذ يتنقل من مائدة إلى نافذة على جانب الصالون المواجه للشاطئ .  
وتسبق طرف مركب بضائع مجاورة حتى يصل إليها في المؤخرة . وأخذ  
يدفع عصاه وحرامه في وجهنا يصرف النظر عن الاتجاه الذي كنا نهرب  
إليه . وهو يصرخ : « يا مسكلم » حسزلم نوبى ! « يا مسكلم »  
حرام نوبى ! « واستمر يقفر ويصرخ ويكشف عن أسنانه ، كما لو كان  
شيطانا يتواجد في كل مكان وطيح يجميع منافسيه إلى الهاوية .

ولما كنت قد رأيت حراما مشابها ضمن مجموعة أحد الأصناف في الوطن ، فقد تفرقت في عبارة : « يا طعام » حرام نوي ١٠١ » إلى أحد هذه الأحرمة الفرية التي تشكل مع المقد وبعض الأساور التي التكملة للثياب الصغيرة في منطقة جنوب الشمال ، وتختلف هذه الأحرمة في حجمها حسب سن الفتاة التي ترتديها ، ويبلغ عرض أكبرها حوالي اثني عشرة بوصة ، كما يبلغ طولها حسا وعشرين بوصة ، والقليل من هذه الأحرمة يريه الخرز والأصناف الصغيرة وهذه نوعية من الوعيات المية ، أما الوعيات العادية فهي رحيصة وقد جعلت أطرافها مريت الخروج ، ويمكن القول بأن الحرام الجديد يتفق جيدا مع ريت الخروج الذي يجعل الجلد أبيض وغلظ الكون ، إلى جانب إضافة عطر تمنح تسعد به الفتاة الكويتية . أما النوي الذي يردع مروراته ويصغر اعتنا به بنفسه ، فإنه يسمح جدا بهذه الرائحة . أنه حسب ريت الخروج ضمن أفضل كمالياته ، ويستخدمة في الطعام مثلما يستعمل نحن المسحوم ، وتتم فيه روجاته حصلات شعورها المجفولة ، كما تظهر بناته أحرمتها فيه . ويدعى أولاده أجسادهم به . أن يته . ونسمة انفاه ، وأدوات رينته . وطعامه ، جميعها منضبة به . أن ريت الخروج يخرج أريجيه في المكان الذي يحيا فيه . ويا لسعادة السائح الأوربي الذي يتوقف في النوبة لأنه يستطيع أن يدرب أنه المتحور على أريج ريت الخروج ١

لقد طرد التطور الحضاري هذه الأحرمة خارج لطاق المخضة على الحدود . أما في لسوان فهي تعتبر طلقات ضرورية يطلبها الرواد الانجليز والأمريكيون . أن معظم السياح يشترون الأحرمة النوبة لتسليحة أصدقائهم عند عودتهم للوطن ، وقد اشترت السيدة ل التي تراعى المخاض في ملابسها ، حراما قوي الرائحة لدرجة أنه يحترق القهية فيلة طوال الفترة الباقية من الرحلة ، ومارال محتفظا بأريجيه حتى اليوم .

وقبل أتمام ريت حبل الذهبية ، حنم رسامنا نفسه بأوتداء كوفيه ضخمة ، وتسليح بصيا للزيارة ، ثم قفز إلى الشاطئ وسارح لدعوة الحكمار . وبعد ساعتين رد الحكمار الزيارة ( وكان قد وعد بأن يرسل حالا في طلب شيخ الشمال ، وإن يحيط سفرنا بكل ما في استطاعته من عناية ) وقد أحضر معه مدير وقاض لسوان وصحبة كل منهما حامل غليونه .

واستقلنا سيوفنا في الصالون بجفلة نالقة . وحلس الرجال المظلمة على إحدى الأرائك الجانبية . وافتتح الرسم الحديث بتقديم

الشمياتيا والسيد واليرافى والويسكى وغيرها من نوعيات الخمور  
 الفساحرة ، وقام تلحصى بالترحنة ، وشبك الحكينز وهو شاب طويل  
 ورشيق ونقيط وبهى الطلبة ولسود مثل الغربا ، أما القاضي والمدير  
 بعد كانا هما كلاهما من شيوخ العربى وقد اصغر لون بشرتهما ، وقطا  
 حواشيها ، وبدأ عليهما الارسل لجرى ذكر هذه المشروبات المحرمة .  
 وسينشد اقترح ليدنا تقديم الليمونادة .

واتجه الحكمدار بسرعة نحو المتحدث متسائلا . « كلوزة ؟ »

فرد عليه تلحصى قائلا : « ايزه كلوزة » .

ثم اضطرت الليمونادة والسبيجار . وزاقب الحكمدار عملية فرع  
 السدادات باهتمام شديد . وشرب في شرارة ظامرة مثل تسلط صغير .  
 وحتى القاضي والمدير ، تحرروا قليلا من التعطف في السفوك . أما بالنسبة  
 لهؤلاء الرجال الذين تعودوا على المشروبات المكومة من عصير الليمون  
 والسكر ، فإن الليمونادة ذات الزهرة ، المعبأة في الزجاجات تعتبر  
 افضل النوعيات .

وبدأت المحاولات المتتالية للحديث . ولا يعرف مستوى هؤلاء الذين  
 حاولوا النقوى في حديث قصير امام اصحاب السلطة . صعوبة الحصول  
 في موضوعات للحديث تمنع التألق وتضيق التعبير التي على صيغة  
 المستقيم البناء ابداء الاحتشام على كلا الجانبين ، ذلك الذي كان لا يقطعه  
 سوى حديث الترجمان .

لقد بدانا رحلتنا في فترة اعتدال الجير لأنه في مصر حيث لا تظم  
 البسمة ، وتشرق الشمس دائما . يحل الترمومتر حبل النشرة البحرية  
 بوصفه مقياسا مقيدا . ولا كنا نعرف ان سموان تفوق سمعتها سبعة  
 اية مدينة اخرى على سطح الكرة الأرضية من حيث ارتفاع درجة  
 الحرارة ، فقد سمعنا ونحس في قمة المحشة عندما وجدنا ان حرما لا يبعد  
 عن حر انجلترا في شهر سبتمبر . وقد على الحكمدار على ذلك يفرض انه  
 لم يمر عليه شتاء بارد في مثل يوردة هذا الشتاء . ثم سألنا الأسئلة المعتادة  
 عن الحاصيل . وارتفاع مستوى النهر ، وما شابه ذلك . وقد أجاب عن  
 جميع الأسئلة بهمو . وبساطة لم نجد مثلها لدى لى رجل آخر في العالم  
 كله . فقال - ان حو التوبة صحي وكان محصول البلع وفيرا . كما ان  
 براكير الفصح تشير الى جودة المحصول . أما السودان فكانا حادنا ومردعا .  
 أما بخصوص الترتيبات الجديدة للمنظمات اليريدية فقد هنأنا عليها لأننا

أصبحنا قادرين على استلام وإرسال الخطابات حتى الشلال الثاني ،  
وذكر أيضا أن أسلاك التلغراف تصل الآن بانتظام حتى الخرطوم .  
وسنمد سلكنا عن الرمي المتوقع لوصول السكة الحديد إلى أسوان ،  
فأجاب قائلا : « في معنى مستتب على الأقل » .

وسرعان ما انتهى وصيدينا من الموضوعات وحل موعد التسمية .

وسألنا الترجمان : « ماذا أقول بعد ذلك ؟ » .

فأجابه قائلا : « قل له أننا نريد أن نشاهد سوق العبيد  
بالذات » .

ونامت الابتسامة من على وجه الحكمدار ، وتسرك المدير كوكب  
الليونادة دون أن يتموها ، وأسطق القافض السيطرة من فمه ، ولو كانت  
قد أخرجت قبلة في الصالون لما كان لها مثل هذا الأثر العظيم .

وكان الحكمدار هو أول من تكلم وعلى صحباء الحبر ، ونقل  
إلى الترجمان كلامه قائلا :

« يقول لكم أنه لا توجد في مصر تجارة في العبيد ، ولا توجد في  
أسوان سوق للعبيد » .

وكان قد قيل لنا في القاهرة من مصادر موثوق بها أن العبيد  
ما زالوا يشترون ويبيعون هنا ، ولكن ذلك يحدث الآن بنسبة أقل مما كان  
في الماضي . وأن منظر هذه السوق في أكثر المظاهر التي يراها السائح  
في مصر غمراية وإثارة للمشاعر ، وكررها المباشرة فائتين في شدة .  
« لا توجد سوق للعبيد ؛ » فبر الحكمدار والمدير والقافض رؤوسهم ورنموا  
أصواتهم وقالوا في نفس واحد مثل ثلاثي الموظفين الإداريين في الأوبرا  
الفاكهية :

« لا ، لا ، لا ، عافيش بلزاز - عافيش بلزاز » .

وسمينا إلى توضيح أننا لم نرغب بهذا الاستعصاء في أن نشجع  
حب الاستطلاع غير المجنى . أو أن نقدم أية وجهات نظر مسيامية .  
إن غرضنا الوحيد هو عمل رسم كروكي . وكنا نعرف أن هناك سوقا  
للعبيد ما زالت موجودة في أسوان . وكان ذلك أكثر مما تحمله حساسية  
القاضي الفصائية فلم يدع تلحسي يكمل الحديث .

وقاطعه قائلا وقد رم شفتيه تصيرا عن مثل هذا الرعب الذي يحس به  
الرجل اليهودي الذي المصلح عندما ينطرق الحديث منه إلى موضوع آكل  
لحوم البشر - أنه غير قانوني - أنه غير قانوني .

وتلا ذلك صممت مسرح . وحسبنا بأنها قد ارتكبتا خطأ فاحشا  
ترتب عليه ظهور الارتباك علينا .

ورأى الحكمدار ذلك واشفق على ارتياكما مايقده أحسن ، شاعر  
الرقعة في العالم . فوقف . وفتح البيانو وطلب الاستماع إلى بعض  
الموسيقى . فقامت السيدة الصغيرة بعرف أصبل الألحان التي استطاعت  
أن تتذكرها ، وتصانف أنها عرفت لمن رقصة الفانالي للموسيقار فردي .

وفي هذه اللحظة جلس الحكمدار مبتسما ومعتبرا بجانب البيانو ،  
وظهر أنه بالرغم من كل اذيه الجم ، كان يبحث عن شيء حتى لا يظلم  
بمظهر عدم الرضا . وكانت هناك سحابة تعبر عن عظم التوفيق وهو  
يقول : « كنت حيرك كثير » عندما انفجر الفانالي عند نهايته في شكل سين  
من التناوب السريع . فماذا كان يعني بذلك ؟ هل كان يريد الاستماع  
إلى العبة أم إلى الجو الشعري قد أعطاه الاحساس بسعادة أكبر ؟

لا شيء من ذلك . لقد كان يبحث عما لحنه عينه السريعة الحركة .  
وبالتحديد بعض الموسيقى اللدونة في النوتة . فامسك بها منتصرا ووضعها  
أمام العارفة . لقد كان يريد الموسيقى التي تعرف من النوتة .

ولما مثل عما إذا كان يفضل لحننا غنيا بالحركة أم لحننا ينم عن  
الشكوى والأي . أجاب بأنه لا يهم طالما كان اللحن صممه الأداء .  
لقد تصادف عبوره الآن على أسطوانة للموسيقار فاجبر ، وعلى ذلك فقد  
تمت السيدة الصغيرة وغيتته وقصته له جروعة من موسيقى تانهاورر  
Tannhauser ولا مستغرب أن يقول أنه أحس بالسعادة ، فابسم  
كانشما عن أصنانه ، وحرك عييه ووجد ( الآه ) الطويلة المعروفة في حصر  
كثير عن الاستحسان . وكان من الواضح أنه كلما كان اللحن أكثر  
ابهاما وغرابة وغبوضا أصعب به أكثر .

أنسى لا أفكر في أصنوان السنة إلا وأجد نفسي أتذكر ذلك المشهد  
الغريب الذي ظهرت فيه السيدة الصغيرة وهي تجلس إلى البيانو والتأخر به  
منها الحكمدار الأسمر وقد كشف عن أصنانه عن نشوة ، والتأخر وقد

التحف بالنسالة والعمامة ، والمدير وهو نصف نائم ، والمهراء وقد تشبع  
ببخاخ التبغ ، ووقوف كل ذلك - أتذكر صوت الصغب والرمق والأغابات  
ومقامات تهاووز المتنوعة التي طست كلها واستيدت بخلفية المشهد .

ان حلاوة الزبارة الشرفية تمتد لفترة طويلة تبسصل صبر وأدب  
المضيفين الأوربيين محل اختبار عميق ، فهذا الوجه المحل يتوك عمله -  
لو كان لديه بالفعل عمل يؤديه - وينصرف قبل الظهر ، ولا يفعل شيئا  
سوى التدخين والترثرة حتى انتهاء اليوم ، ولا يقيم أدنى اعتبار للزمن  
التي يقتلها بين يديه . وكل هذه في الحقيقة هو استهلاك هذا الزمن ،  
إذا أمكن ذلك بأقل قدر ممكن من المال . ولذلك فهو يقوم بزيارة يتعمد  
خلالها إطالة الألفاء بقدر الاستطاعة . وعلى أية حال فقد قضى زوارنا ساعتين  
من أفضل الأوقات . أما المكندار الذي تحدث حديثا قصيرا عن اللعاب  
الى اميلترا ، فقد طلب كافة أسمائنا وعناويننا لأنه يزعم أن يحضر لزيارتنا  
في بلدها .

وأثناء انصرافه من القبرة تمهل لكي يتأمل ورودنا التي كانت  
موضوعة بالقرب من الباب ، وذكرنا له أن بك فرمت قد أعطاهما لنا .  
فسألنا وهو ينفضهما في أصحاب عظيم : « هل ترور هذه الورود في  
أرمنت ؟ ياها من جميلة ! لماذا لا ترور في النوبة ؟ » .

فقلنا انه ربما كان جو الندوة أشد حرارة بالنسبة لها . فأخى ظهره  
لكي يستشفق عبرها ، وظهر عليه الارتباك وهو يقول : « انها عظيمة  
جدا . هل هي ورود ؟ » .

لقد سبب لنا هذا السؤال نوعا من الصعوبات فلم ينظر في بالنا  
أنا وصلنا الى منطقة لا تعرف الورود . ولكن المكندار الذي قضى عمره  
في تدعيم الرحيلة التي كانت مملوءة مياه الورود ، وشرب شربات الورود ،  
وأكل مربى الورود ، لم يتعرف الى الورود الا بعد أن شم رائحته . وبفسو  
أنه لم يتأخر أسوان طوال حياته . ولم يسافر الى أبعد من أرمنت ،  
ولم ير طوال حياته وردة مقطعة .

وكنا قد مررنا على الحصى في طريقنا الى منطقة الشلال في صباح  
اليوم التالي لوصولنا الى الحدود . ولكن يبدو أنه كانت هناك ذهنية  
أخرى تداخل لفهم طريقها الى فيلة - وحتى مرور هذه الذهنية فانه  
لا الصيخ ولا ربهاله كانوا على استعداد للقاءنا - وفي الساعة الثامنة من



صباح اليوم التالي ، حيث وعدوا بأن يصحبونا كمرشدين ، وكنا نلهم .  
بعد ١٢ حيناً في الرحلة عن الاتهام أي تسمية جنبات للحلب  
والثلاثة الباقية عند عودتنا إلى اسوان .

وكانت هذه هي الاتفاقية المبرمة بيننا وبين شيخ المشلل في اجتماع  
لجنة ترأسها الحكمدار ومساعده القضي والمدير .

وكان لدينا يوم فراغ وعلياً أن نقضيه في اسوان ، وبالطبع شغلنا  
جزءاً منه مرادة الفتي ، التي أطلق عليها في القوش اسم آبر أو جريرة  
العاج . ولأنه كان يوجد هنا صندوق أو مدينة للخزائن ، لفظ  
أثن الأشياء الموجودة في منطقة أعالي النيل ، وأعطى بها الذهب السوي  
وأنياب الفيل التي تفتخر بها كوش .

أما حرية رائحة الجبال ، وعرة ومرتفعة في الناحية الجنوبية ،  
ومنتفضة وحسبة في الناحية الشمالية مع ساحل ممتاز يمثل جداول  
المياه الكثيرة النهر ، ومناطق السبابة الممتدة المساحة التي يتوغل  
الإنسان في كل لحظة أن يقابل فيها مع روبنسون كروزر حاملاً شمسيتها  
أثن صنعها من جلد الماعز ، أو حافه مرأبها وقد أجنى تحت ثقل حمل  
من الحطب . أن سكان هذه الحرية جميعاً من نوبة فرايدي إلى الفتيين  
يوسفيا أول مركز نوبي لا يسكنها إلا النوبيون ، أهنبا نفس قريتين  
نوبيتين ، وحراثب مدينة قديمة كانت عاصمة مصر كلها على أيام فرعون  
الأسرة السادسة منذ ثلاثة أو أربعة آلاف سنة قبل الميلاد . وكان هناك  
معبدان بنى أحدهما في أيام المنحوت الثالث ، كان موجوداً منذ حوالي  
سبعين عاماً مضت ، وقد شاعدهما بلروني سنة ١٨٦٥ . وقد تمت إزالتهما  
مؤخراً لبناء قصر ومسكرات للجيش مكانهما . وقد حث ذلك قبل زيارة  
شامبلدون للمنطقة سنة ١٨٢٨ فلم يسلعه إلا اطلال بوابة من العصر  
الفرعوني . وتمثالاً روى الهيئة للملك منبتاح في وضع المجلس . وهو  
الفرعون الذي قيل عنه أنه فرعون الخروج . وقد بنى وحده لتحديد  
المواقع التي توقفوا فيها .

لكنه تحول قلب هذه الجزيرة إلى اللون الأخضر نتيجة لانتمسار  
مزارع النجيل الكثيفة ، وغول الخروع المروثة بطنية ، والتمسار  
القطي ، والصنسي والدة . أما الساحل النري فهو محاط بالغابات  
التي تطل على حافة الماء ، بحيث يستطيع الإنسان أن يسير بها في الظل  
في أشد فترات الظهيرة حارة ، مهنماً إلى هدير الشلال ورجناً عن الأعداد

المرية التي لا يبدو أنها تنمو في أي مكان آخر إلا لتسلك التي يطلق عليها الاسم العربي الجبيل - جزيرة الأزهار -

ومن فوق الأرض المرسعة في الطرف الجنوبي للجزيرة حيث تنتشر أتوام الرمال والعظام البيضاء اللؤلؤ والجماجيم الشربة ، وجلود الخييات التي انسلخت عنها ، وأكوام قطع الخشب الملون المكسورة ، استطعنا أن نلتقط العديد من قطع الفخار الأسمر المتقشر والتي يتفسيح أنها قطع من الرهريات المكسورة - وكانت الكتاتبة التي عليها بأحدها جدا ومطموسة إلى حد ما - لقد اكتشفنا أنها مكتوبة بحروف يونانية ، ولكن حتى رجلا الكسلاي لم يكن كفوا لتفسير كلمة واحدة بشكل منطقي - واعتقد أنهما ليست مسبوقة قطع صغيرة متفرقة ومن الاستحالة المتور على الأجزاء المدملة لها - وقد سلسنا بأنها تنتمي أيضا إلى تاريخ حديث نسبيا ، ولكننا أجدنا منها ثلاثة أو أربعة منها كذا ذكر لزيارة الملك ، ولم يفكر فيها أكثر من ذلك -

وقد استغرقنا العلم بأن يكون الدكتور بيرش Dr. Birch جالسا في هذه اللحظة في غرفة مكتبة القنصلية بالمتحف البريطاني على بعد عدة أميال ، مشغولا بلك طلائع مجموعة من كسر الفخار المماثلة والتي أسفرت جميعها تقريبا من نفس المكان (١) -

(١) نظرت أعمال الدكتور بيرش في كتابه *Guide to the First and Second Egyptian Rooms* ومعناه الدليل إلى الغرفتين المصريتين الأولى والثانية - وتم طبعه على نفقة المتحف البريطاني في شهر مايو سنة ١٨٧١ - ويقول من محتوياته لادولاي رقم ٩٩ والغرفة الثالثة ما يلي :

« لقد أريد استخدام قطع الفخار لتسجيل الأحداث في مصر الإمبراطورية الرومانية حيث كانت يساق استلام الضرائب تكون على مثل هذه القطع بمعرفة جامعي الضرائب أي للفتين أو سبين على حدود مصر - وقد بدأ استخدام هذه النوعية من الإيصالات على أيام الإمبراطور سيباسيان حوالي عام ٧٧ ميلادية - واستمر استخدامها حتى عصر الإمبراطور ماركوس أوريليوس والإمبراطور ماركوس حوالي سنة ١٦٧ للميلاد ويظهر منها أن ضريبة القربى والضريبة التجارية التي كانت تساوي ١٦ دراهمة سنة ٧٧ ميلادية قد ارتفعت إلى ٢٠ دراهمة سنة ١٦٤ ميلادية بمعدل زيادة ثابت - وكانت القيمة تبلغ على أنساط تسمى *menaeon* ثلاث مرات في السنة - وكانت الضرائب تجمع بمعرفة جباة اتفق عليهم اسم *multatores* وهم من الإفرنج كما يفر من هذا الاسم -

وكانت الضرائب في الفتين تجمع بمعرفة جلمعي الضرائب المصريين باسم *Prætorios* والفرنسيج لهم كانوا يعينون في هذه الوظيفة منذ أيام البطلة - وكان تسمية للمسلكت المعين يتقدمونهم من المصريين - وكانت لديهم مزاياهم وخرافان تسمى *Phylax* انتشر من ١٩ من الكتب المتكرر أملاه وثقبا لنفس المؤلف الدكتور -

ولا تعرف شيئاً تقريباً عن الاعتماد العربي الذي أصبح على هذه الشظايا التي يصعب قراءتها ، أو الأهمية التي حاربها مؤرخو في عيون الباحثين ، أو القيمة المختلفة من اكتشاف بعض الإضافات في بعضها من طريق الصدفة ، ولكنا نريد ذلك بصفة خاصة لشهر رتيباً جيداً وأسفاً للفرضي الضائعة .

لقد عرفنا أن المصريين قد استخدموا قطع الفخار مدلاً من أوراق البردي لكتابة المذكرات الصغيرة ، وأن كل واحدة من تلك الشظايا التي انشطها قد تضمنت تسجيلاً كاملاً في حد ذاته .

والخبر أننا كنا سنطرحك لو ذكر لنا أحد في حينه أنها إيصالات ضرائب حكومية جمعت كل الحدود خلال فترة الحكم الروماني لمصر . لقد كانت مكتوبة باليونانية لأن الرومان عوضوا الكتبة الإغريق بأداء مهام هذه الوظيفة غير المحبوبة . ولكن الإغريق كان واحد اللغة ، كما كان في الخط متخلفاً ، بحيث أنه لا يستطيع قراءة المكتوب عليها سوى القليل من اللغويين البارزين .

وليسست جميع الوثائق التي وجدت في الفنتين إيصالات ضرائب أو أنها كتبت كلها بخط يوناني ردي ، لأن المتحف البريطاني يحوى العديد من الشظايا مكتوبة بالديموطيقية أو الخط النجمي ، بينما كتب القليل منها بالهيراطيقية أو الخط الذي يتعامل به المتقنون والكهنة . ولم يتم بعد ترجمة النوعية السابقة . ولكن لابد أنها تتضمن مذكرات في الأعمال وخطابات خاصة قصيرة مما كان يتداوله المصريون في تلك الفترة .

= بورش . ص ٤٠ من كتابه *History of Ancient Pottery* وأيضاً عدد المذكرات الجافة في الأعمال الأدبية للعالمية الوحيدة التي عثر عليها في الفنتين ، فإنه يوجد ضمن الخطوط المصرية المطروقة بخطف القلندر بعض قطع الفخار التي كتبت في الأسس الثلاثة عشرة تتضمن فقرات عن الميلاد كانت قد اكتشفت في مقبرة فوق هذه الجزيرة ولا يعرف أحد كيف تم حفظها . وقد ظهر عاشق الفخار أن بعض الخطوط الإغريقية أو القروملي قد مات في هذه الخطبة القبيحة أثناء تجميعها ومخيلته ورغب في أن تكون مما في قهره الفخار هوميروس الذي يمينه .

ملحوظة مضافة في الطبعة الثانية :

تم العثور على قطع أخرى من الفخار حول طبقاً أبيض من الميلاد في أجزاء مختلفة من مصر والبيض منها ( فارجو أن يمتد القلندر ) عليه شظية مثل إيصالات دفع الضرائب التي ذكرناها هنا . لقد وجدت اثنين للعينات في مصر أو في أي مكان آخر . أما عندما تم اكتشافه في هذه السنة ١٩٨٨ بمعركة ستر فلترين بترين في مقبرة إحدى الأسباط بمنطقة موقرة بالقرم .

ولكن كيف تم الاحتفاظ بهذه الكسر الوثائقية عندما اختلعت المدينة التي عاش فيها من كتبوها ، والمعابد التي تمسكوا فيها ولم تترك خلفها أى أثر ؟ من الذى ألقى بها بين قطع الفخار المكسورة على هذا الجانب المكتشف من التل ؟ هل تستطيع افتراض أنه كان يحتل هذا المكان مكتسب لتسجيل الوثائق العصرية ، وأن الاتصالات التي حزنت هنا كانت مستقرة من الاتصالات التي تسلمها دالمو الضرائب ؟ أليس من المحتمل أن يكون هذا المكان هو جبل النفايات Monte Testaccio للمدينة القديمة ، حيث تاحد جميع قطع الفخار المكسورة سواء كانت مكتوبة أم غير مكتوبة طريقها إليه لن عاجلا أم آجلا ؟

ومع استثناء شظية فاسرة من الحصى الروماني المواجه تقريبا لمدينة أسوان ، فإن بوابة الاسكندر المصطبة ، وتمثال منبتاح المهتم ، هما الأثران الوسيطان اللذان لهما أهمية أثرية على سطح هذه الجزيرة . ولكن جاذبية الفنتين هي جاذبية الجمال الطبيعي الدائم ، وهي الجاذبية التي تبني في الصكور وفي مزارع التخليل والمياه الهادئة .

وتشبه شوارع أسوان شوارع كل مدينة طينية أخرى على شاطئ النيل . كما أن أسواق العاديات بها تشبه متيلتها في الدنيا واسميوط . والبيئة المحيطة صاحبة بها فيها من عطاء وفنيت وراقصات مثل البيعة المحيطة بمدينة أسنا والأقصر ، وقد اختلستنا الاضطراب إلى داخل المسجد الذي كانت تؤدى فيه بعض الصلوات ولم ندخله . كان يبدو رطباً وظيفاً وشديد الاتساع . وكانت الأرضية مغطاة بالسجاد اللامع ، وقد تداخلت من السقف مجموعات من بيض النعام . وقد اشترينا من سوق العاديات بعض السلال والأطباق المصنوعة في الدوبة وهي مصنوعة من نفس البوص ونفس الصيغة ونفس الألوان ونفس الطرقات المشابهة لتيلتها التي وجدت في ملابى طيبة .

ولد وجدنا حوما مميّنا من السلال البيضاء ذات الغطاء القفص الذي توجد عيناته منها مخطوطة بالمتحف البريطاني مما يدل على أنها هازلت مطلوبة في أسوان . إن صانعي السلال لم يمددوا في الطرازات ، كما أن المشتريين لم يمددوا في الذواقم منذ أيام رمسيس العظيم .

وهنا عند سرانة صغيرة في دكان قريب من سوق الأحذية ، وقمنا في بران الإغراء باقتناء عدة جبهات في شراء ريش النعام الذي جلبه التجار القادمون من السودان إلى أسوان . وكان التاجر يحضر ريشة واحدة في

كل مرة ولم تظهر عليه الرغبة في مرة البيع . وكذلك لم نرى نحن أيضا بهذا الأمر . وكانت لتسلوطة طويلة من كلا الجانبين ، كما كان المتفرجون مهتمين كالمسألة ، وترعوا بالتطبيق على كل كلمة عابرة . وفي النهاية حينما حمل ذراع من الرضى الفاخر الذي بلغ طول الواصلة من غاليته ما بين اثنين ونصف الى ثلاثة أقدام . وكان يرض هذا الرضى ناصح الياسر ، بينما كان بضه الآخر أبيض مع نقط ندية اللون . وكذلك لم يكن هذا الرضى نظيفا ولا مجيدا ، ولكنه كان بنفس الشكل الذي ورد به من أيدي صائدي النمل .

وكان أكثر المناظر إثارة في أسوان هو منظر حسمك التجارب بالقرب من المرسى . مما تشاهد الأحياء مثل قروذ البايون ذات الأرجل الرفيعة ، وأفراد قبائل الشمارية ذوى السحجات الوخفية ، وأعراب قبائل الصايبة ذوى الميوس اللامعة والقصور المسترسلة . والوبيي القنول الضفلات ذوى اللون البرونزي ، والواطيين من جميع القبائل والأقاليم . من كرادل وسبار وصحاري بلعونا وضغاف النيل الأزرق والنيل الأبيض . كان بعضهم عائدا من القاهرة ، والبعض الآخر في طريقه الى هناك . وبعضهم قد أنزل تجارتهم في المحطة ( قرية على الجانب الآخر من الضلال ) ، والبعض الآخر جاء عبر الصحراء لكي يبيع تحميلها على السفن في المحطة . وكانوا يعيشون بجوارها وقد وضع كل منهم نفسه في عمله الصغير المكون من أكوام البالات والصناديق الخشبية التي تستخدم في نقل البضائع . مثل عنكبوت وسط عشه . وقد ردد كل منهم نفسه بتلافة وكثافة للقهوة وسجادة قديمة لكي ينال وصول عليها . وقد أقام تركي عجوز متجهب الوجه سلفا في الحمبر ، وأثت عنه بكثبة من جريد النخل . ولكنه كان غير متفاد للبلونات وهو مستثناء من القاعدة .

وعند مرورنا بالمسكن شاهدنا بعض ميسما ، والبعض الآخر عابسا . وقد عرض علينا أحدهم تناول القهوة ، وكان البيض الآخر لموحا أكثر من غيره فعرض علينا محتويات طروحه التي كانت عبارة عن حرم ضخمة من حلوى الأسود والقهود ، وبالات من القلى ، وكرائب من أوراق الحنة ، وأنياب الفيل المثلثة في الخبش ، والصمير المتناثرة على الضفة الرملية . وكانت هناك عدة مئات من البالات التي تحتوي على الصمغ العربي وحده ، وقد حيطت كل بالة في غلاف من الجلد الخام ، وربطت مسبورا من جلد فرس النهر . وعند قرب حلول الغسق عندما أصبحت أنوار المسكن ، وجرى اعداد وجبة المشمش ، صار المنظر رائعا بما يكفي للتصوير . فقد كانت الأنوار تلمع ، والضلال تنسق . وكان الأشخاص

الغرياء يتمشون هنا وهناك أو يجلسون القرفصاء في مجموعات وسط  
تحدثهم . وكان البعض يجرون صائرا مسطحة ، والبعض الآخر يلبون  
الشوربة أو يحضون البى ، وقد أخذوا ثيابا مسطحة الرمال ، ووضعوا  
حجرين متقابلين لتحل الظل ، ثم جلسوا حفنة من الحطب وذلك لعل  
الطبع يوفى الوقود . وفي نفس الوقت أحطت جميع كلاب أسوان تحوم  
حول المعسكر ، واشترت بيلة من الأكسنة البربرية المختلفة مع السهم  
الذى تلا غروب الشمس .

ويجب ألا ننسى إضافة أفنى رأيت وسط هذا الرعام المتنوع أحوين  
من مواطى الخرطوم ، كما قد لايلامها لأول مرة في المدينة ثم في  
المعسكر . كانا يرتديان عمامتين حمريتين ، لونهما أبيض ، ويرغسان  
أنوايا من قماش الكشمير بلون أصفر يابست . وكان رأساهما الصغيران  
المتمايلان وملامحهما الأستقرائية المتناسلة كتناصيب مع أفنى نوعيات  
أهل فلورنسا . أما عيونهما فقد كانت مستطيلة ولاصقة ، كما خلت  
بشرتهما من أية شوائب حبشية ورقاء . أو موية برورية . فقد كان  
سوادهما حالكا وبرالنا ورائنا . وقد أفضنا على أننا لم نلاحظ أبدا مثل  
هذين الشابين الوسيمين ، فقد كانا مثل نموذجي مجبورين في الحاج  
ولم يترضا لألام العالم . أو يصايا بأمرافئ التفكير التي تصيب الإنسان  
بالسحوب ، وأما كانا يتوجهان بمباهج حياة الجنوب الفانى .

وبعد أن استكشفنا جريرة الفتى ، وقلبا أسواق العاديات ،  
تفرقت مجموعتنا في اتجاهات مختلفة . البعض قضى بقية اليوم في كتابة  
المخططات ، والبعض الرسام على رسوماته الكروكية ، ثم قام ليبحث في  
ذهب يعيش في القرائب فوق وهمة عميقة في الجانب الغربي من النهر .  
أما الرجل الكسول فقد ركب الجمال بشجاعة ومضى بها في الصحراء  
الشرقية .

ويعتبر ركوب الجمال من المظاهر العادية في أسوان ، كما أن السفر  
في الصحراء يقدم نفس المتعة التي ينفثها قضاء نصف ساعة على شاطئ  
بحر النلاج في صر جبل الثلوج Mortaretsch Glacier ، أو تسبق  
جبل مونت روزا ، أن الطريق المختصر من أسوان إلى فيلة أو على الأكر  
ركوب الدواب إلى محاجر الجرانيت ، يشكل جزءا من البرنامج الذي يضمه  
كل ترحماني ، ويستمر بمثابة الاتجاز للتلوج لكل سائح من سياح شركة  
كوك . وغرم الرمان أنفسهم بهذه الرحلات الصغيرة على الحبر بالكثير  
معادة وأكثر سرعة ، وهم في الحقيقة يحرسون على ألا يتجاوزوا طاقة

الجميل يقدر الاستطاعة . ولكن السائح السهل التائق يضع جبل أسوان  
 من مصاعب الرحلة . انه يضع حسبن احتماله ان هذه الحيوانات  
 حوات الأربع المرجرة ، تجبر على ترك مهامها المعتادة لكي يجوب منطقة  
 المرسى . يسا تنفذ مهنها على نقل البضائع التي تقصر قبل وبعد  
 الضلال . ولكن بعيدا عن هذه المهمة المبرطة ، يجد انها تستعمل في  
 أداء مثالية مخفية تهدف الى سلبية السياح ، ولذلك فاني لا اتعجب  
 وأنا أرى هذه النوعية من الدواب وقد أصبح سوء الطباع عادة عندها .  
 انها تعرف ان الإجراءات كلها ذات طابع شعبي ولذلك فانها تستأجر منها  
 بموجب هذه المبرقة . وبالرغم من ذلك هناك مميزات يتميز بها ركوب  
 هذه الدواب ، قلنا انها تسهل للسان مسرعة نوعية الفصل المتوط  
 بأية بمتة استثنائية منتجة في الصحراء ، وهي في جميع الأحوال تنبع  
 للسان ان يتعرف على سفينة الصحراء ومع ( الأخذ في الاعتبار القصور  
 المحتمل للبيئة ) فانه يشكل حكما صليبا على مواهب الجميل .

ان للجميل فضائله الكثيرة التي تختص به والتي يجب التسليم به  
 على الأقل ، ولكنها لا تظهر على السطح . ولقد ذكر لي أحدهم ان الجبل  
 يخزن في صدره مخزونا من تلك الطارح الذي يستحق عليه الثناء . ولكن  
 هذا المخزون لم يذهب متبينة ولا طبعه . لأنها مازالت غطية . ولا شيار  
 عليه بوصفه واحدا من دواب الجميل ، ولكنه يلقى اعتراضات كثيرة كعيران  
 للركوب . وليس من المرغوب فيه في المحل الأول أن تتركب حيوانا لا يرغب  
 فقط أن يركبه أحد ، ولكنه أيضا يبدى تمورا قويا نحو من يركبه . ومع  
 ذلك فهو يمتاز بملاوة المصير . أنت تعرف أنه يكرهك من أول مرة تدور  
 فيها حوله باسنا عن الكيفية التي تبدأ بها التصعود على سنامه . وهو في  
 الحقيقة لا يتردد في أن يبي لك ذلك بأوضح المصطلحات . انه يناديك  
 في سرعة عندما تأخذ مجلسك . ويرمي إذا تحركت في السرج ، ويرمقك  
 في غضب إذا حاولت أن تدير رأسه في أي اتجاه بخلاف ذلك الانجباء  
 الذي يفضل . وإذا صممت على ذلك فانه يحاول أن يضي قصك . وإذا لم  
 يؤد هذا البض إلى نتيجة فانه يرفقه على الأرض .

والآن ، فإن نقود الجميل وقيامه يدلان على العرض الواضح الذي يهدف  
 الى توجيه الأذى البدني السالح لراكبه . وعندما يلقى براكبه مرتين للامام  
 ومرتين للصلب ، ويضرب به الهواء ، ويصطم عموقه القفري ، فإن الراكب  
 السبيح الحظ يتلقى أربع حرات ظاهرة ، كل منها اتس من مبالغتها وغير  
 متوقعة ، ذلك لأن هذا السنام القظيخ يتخذ وضعا متريما وغريبا . وهناك  
 مفصل رائد في مكان ما في أرجله يستعمله ليتغوى على الاسان .

وعلى كل حال فإن خطواته أكثر تنقيدا من مفاصله . وأكثر أزعاجا من طياته ، ذلك لأن له أرويه أصاليه للسير . سير قصير يتدرج فيه متن تدرج القارب الصغير في بحر متقلب . وسير طويل يخلق فيه كل عظمة في جسمك ، وحركة تهبط بك الى مستوى الجوى ، وركض يوردك موارد التهلكة . وأسى اتخيل أن الجريمة التى يعاقب مرتكبها بمعاذرة البقاء على ظهر الجبل لمدة ست عشرة ساعة متواصلة . يمكن أن تكون كضاره كاملة وكافية عن الذنوب ، لأنها عقوبة لا يود الإنسان أن تكون وسيلة لإدانة أى إنسان حتى لو كان يحمل ثاقدا لذيلا .

وكانت هذه الجمال تقضى النهار بطوله على الضفة للايجار . وكان بعضها على اللون ، والبعض الآخر أبيض اللون ، كما كان بعضها اشعث الشعر والبعض الآخر أملس . وقد وضعت شرائب من الصوف الرامى اللون على رؤوسها كلها ، وطرحت بعض المصاحبيد على سروجها الخشبية بطريقة تجعلها تصلح للإقامة . لقد ركب وجهه الصفاط الجبسال منذ ساعات وجلسوا فوقها فى هدوء وإزابلهم متقاطعة . وقد شهدنا سلوكهم هذا بأعجاب يخالفه المسند . أما الآن وقد انتهينا فى تواضع الى شجاعتنا الذاتية ، فقد أعدنا أنفسنا لفعل مثلهم . وكانت لحظة وزينة تلك التى قضا فيها باختيار الجمال التى سركبها ، وتأمينا لمجاهاة مخاطر الصحراء ، وأثار إعجابنا ما قام به الزوجان الصحيان من تبادل الوداع عند الرحيل .

وركبنا ثم مضينا فى طريقنا ، وكان هناك ولدان مثل شيطانين صغيرين يتبعان خطوات جمالنا ، بينما يقوم سلاسل بدور الحارس . لم وجدنا أما نرتفع ونخفض ، وتنارجح ، وتدرج للأمام بسرعة جعلتنا نصعد فوق المنحدر خلال ضاحية ملوثة بالقمامة والبنات الرافعات الضاحكات . ثم انطلقنا الى الصحراء ، وكان طريقنا بالنسبة لخصف الجبل الأول يمر بين القايير . أنها جبال ذات خشية يستخضعها المسلمون ، جزء منها قديم وآخر حديث . وهى تقع خلف مدينة أسوان وتغطي مساحة أكبر من مساحة المدينة ذاتها . وهناك عمة مجموعات من المساجد الصغيرة ترتفع فوقها قباب صغيرة ، وجسمها متناحية كثيرا أو قليلا ، وهى تقوم هنا وسط خراب أحجار القصور المتناثرة . وبعضها منمرل ، بينما تجمع البضى الآخر فى مجموعات تشكل منظرا صالحا للتصوير . ومن الماروى أن كلا منها ينطى قبر قديم مسلم ، ولكن بعضها مجرد أضرحة لتخليد ذكرى مشايخ وشهداء مدفونين فى أماكن أخرى . وهناك التات من شواهد القصور البسيطة ، مشروحة ومسطحة ، وعقلوية ، ومسدودة بعضها الى البعض



الأحر فوق أكوام من الحجارة ، لو وضعت في شكل أكوام مكددة .  
والطرف العلوى في معظمها مستدير مثل اللوحات الفخارية القديمة .  
عليها كتابات محفورة ، بعضها بالحط المكشوف يتجلى عورها ألف عام .  
وعندما تصبى الشمس في اتجاه الغرب وتستطيل الظلال ، تحس بشئ  
من الحر والصفى والروعة التي تعيط بمدينة الأموات ، هذه التي تمتد  
في الصحراء للهجورة .

والآن ، وبعد أن تركنا المفاهيم فانيا نتجه نحو اليسار قاصدين المسلة  
التي في الحجر، وهي تمثل المنظر الأساسي للمكان، ويمتد الأفق خلف أسوار  
محاطة من جميع الاتجاهات بارتفاعات صخرية شاهقة وذات شكل يديع .  
ولكنها ليست بالارتفاع الذي يكفى لكي يطلق عليها اسم الجبال . وكان  
القاع الرمل الذي تحت أقدام جبالنا تناسر فيه الحصى بيسا هو متناكس  
بشكل مريح . وكانت مجموعات الصخور الجرايمنية التي تمتلئ بالنفوش  
ألهروغليفية ، تظهر فجأة هنا وهناك وتقوم مقام المعالم الأرضية حيث تشتت  
الحاجة إليها ؛ لأنه ليس هناك ما هو أسهل من أن يضل الإنسان طريقه  
بين هذه المنحدرات الصفراء اللون ، ويمضي نالها مثل الاسرائيليين  
الذين في الصحراء . وأخيرا وبعد أن تمرجت بنا السبل بئر الروابي  
المنحوجة ومناطق الصخور الأسطوانية وصلنا إلى مجموعة صغيرة من  
الصخور حيث توقفت جبالنا عند سفحها بإزادتها . وهنا ترحلنا ،  
وتسلقنا مسجدا قصيرا ، ووجدنا الكتلة الصخرية الضخمة تمت أقدامنا .

ونظرا لأنها قطعت أفقيا فقد كانت تركل نصف مدفونة في الرمال  
المنحرفة ، ولم يظهر منها ما يمل على أنها ليست منفصلة كلها وبجاهرة  
لنقل . وتقول الكتب التي بين أيدينا أنه لم يتم قطع السطح السفلى منها  
وحر القاع الجرايمني الذي ترقد عليه . لما طرفنا فقد احتضينا .  
ولا يستطيع الإنسان أن يسير حوالى ستين قدما على السطح الظاهر منها .  
ويصل هذا السطح آثار الأدوات التي كان يستخدمها الصال . وهناك  
أحدود منحدر ملى بالثقوب الثلاثة الشكل التي تنح صغار التناقص  
التدريجى في الحجم مع الاقتراب نحو القمة . وأحدود آخر يمتد التناقص  
الحامى . ولو كانت هذه المسلة قد اكتسبت لصارت أضخم مسلة في  
العالم . إن المسلة الحظية للسلطة حشيشوت في الكرك التي جعلت  
أيضا من أسوار حسب ما ذكرته النفوش الموجودة عليها ، يبلغ ارتفاعها

اثنين وتسعين قصفا - وتبلغ سمكتها عند القاعدة ثمانية أقدام مربعة (١) - أما هذه التي برقد نائمة في الصحراء فقد كان طولها يبلغ خمسة وتسعين قصفا وتزيد مساحة قاعدتها على سبعة عشر قصفا مربعا .

ولا يعرف الآن لماذا تركت هنا ، كما أننا لا نستطيع تخمين اسم الملك الذي كان سيقتض عليها - وهل كان الملك قد أصبح في قلبه أن يقيم أضخم مسلة وأنها عيون البشر ؟ وهل ماتت قبل فصل المسلة من كتلة الحجر ؟ أم أن العمال قد طردوا من موقع العمل مثلما طرد الملك عن عرشه بعمل التباين الجائمه المأدبة من «ليويا أو سوريا أو جرد ما وراء البحر ؟ وربما كانت هذه الكتلة الضخمة أقدم من رمسيس الأكبر أو أنها في مثل حداثة آخر الأباطرة الرومان ، ولكنه من المستحيل أن يحدد لها رسما أو نصص لها تاريخا . وهنا يقف علم المصريين الذي حل لنا أبي الهول ، عاجزا ، لأن المسلة التي في الحجر تحتفظ بسرها أما ، وتتمسك به إلى الأبد .

ويفاهد الإنسان المعاصر المصرية القديمة في أوضح معالمها بين الطبقات الكثيفة من الحجر الجيري أو الحجر الرمل كما هي في مناطق طرة والسلسلة . ولا يمكن تسع الطريقة التي يستخلص بها الحجر بدرجة أوضح مما هي عليه إلا في أسوان . وللحاضر هنا رغم أنها على نطاق ضيق بالنسبة لتلك الموجودة أسفل النهر إلا أنها أكبر جاذبية . وليس هناك من ، يثير الإنسان في السلسلة أكثر من الأسلوب الذي كان يقطع به الحجر الرمل من قلب الجبل . أما في أسوان فإن نفس المادة تنتمي إلى نوعية أفضل ، ولذلك فإن أسلوب الاستخراج هنا أضخم تكلفة ، والصخور الصغراء في السلسلة تقطع إلى شرائح منتظمة مثل انتظام الجبس في شباك ياتع الجبس ، وتحدد معالم المكان الذي يتم فيه العمل حواظ من نفس مجلسا ، مع كمية صغيرة من الأبقاض . أما في أسوان فإنه عند استخلاص الجرانيت لأغراض النحت فإنهم يقطعون الصخر كتلة واحدة بالشكل التقريبي المطلوب ، ثم يقومون بتسكيكه بالتخلص من الرواند ، وليست المسلة الضخمة إلا إحدى الميتمات التي في المنطقة . وفي نفس المجموعة

(١) هذه هي الأبعاد التي وردت في مثل موراي أما الترجمة الانجليزية للجمهورية  
لغتي مارييت وهولك *Monaire de la Haute Egypte* وترجمته النجل  
للر حمر العليا - فإنها تذكر أن ارتفاع مسلة ششيسوت يبلغ ١٠٨ أقدام وعمر  
برصات - انظر : *The Monuments of Upper Egypt* ترجمه في الانجليزية  
الفرنسية مارييت - لندن ، ١٨٧٧ .

من الصخور ، أو في مجموعة أخرى متجاورة . رأينا عددا منحتونا دون استواء ، قائما وقد فصلت ثلاثة أجزاء منه وأيضا الفتحة نصف الأسطوانية التي أحد منها دسله . وكل من هنا تحريف غريب لطمع منه كدلة ربيع دائرية اتارت ارتباطا بسبب ضخامتها . وفي أماكن أخرى ظهرت الكتل الصخرية وقد انضمت شكل من فوق . وقد بحثنا عن النفوس المهنم الذي ذكره موراي ولكن دون جدوى .

ولكننا صاكفون من أن الرمال المراكمة قد انضمت أشياء أخرى اثنين من هذه . ومن المحتمل أن تكون النفوس كثيرة هنا كما هو الحال في محاجر الحمامات . ولابد من وجود صلة وميلة للصلة الضخمة ، وليتنا صرف الكائن الذي يبحث فيه عنها . ومن الممكن تتبع صلة الملكة حثفسموت وتولويس العديد من الملوك المشهورين حتى مواقع لطمها في هذه المحاجر . وكذلك أسرار الطيرة الخارجية التي اكتسب بها حرم هنا ورج ، والكتل المكمية الضخمة التي بنى بها معبد الكاش ، وحوائط هيكل فيليب أريدايوس بالكرناك . وقبل كل شيء ، التمثال الضخم بالرسيموم وتمثال الحيوان الضرافي الغريب الشكل في تاييس (١) الذي يعتبر الضخم تمثال منحوت في العالم ، فلا بد أن يكون كل منهما قد ترك الصخرة الضخمة التي نحت منها بين الصخور القريبة . ولكن هذه تسميه أثنية الجنيتات البحرية ( في الأساطير اليونانية ) أو اليلة لتخيل رغم أنها ليست فوق مستوى التخمين ، إلا أنها تقع ضمن الأسماء التي لم يتم اكتشافها حاليا .

أما بخصوص عملية التلمح من المحاجر بأسوان ، فيبدو أن الكتلة الجبرائيتية المستطيلة الشكل قد قطعت ها مثل الحجر الجيري والحجر الرمل الناعم في أي مكان آخر ، باستخدام أدوات حشوية تثبت في تجويف صنعت لاحمالها . ويبدو أن تشجيع بالماء ، تلمس الصخر الصلب بقوة التمدد . ويبدو أن كل كتلة مأخوذة من الحجر تحمل علامات معلوم من تجويف الأدوات التي ذكرناها .

ومررتا في طريقنا بواحة صغيرة شاهدتا فيها جبالا ويرا ، وسالية مهيجرة ، ومساحة من الشجر الأخضر بلون الرمرد . وبعد ذلك ركبنا

---

مصر (١) للاطلاع على قصة اكتشاف هذا التمثال الضخم ومطابقين الجزائه المختلفة ، انظر الجزء الأول من كتاب Tania تأليف العالم و - م - لندر بيري الصادر للناشر ، صفحة ٢٢ وما بعدها . طبعة جمعية استكشاف مصر E.R.P سنة ١٩٨٥ . ( ملحوظة مشابهة إلى التسمية الثانية ) .

الحكيم عائدين إلى ضواحي أسوان ، حيث يمكنك أن تسرى في صياطي صيتر في الأرض على حافة الصحراء هذا صيغرا تصف مغفون في العصر البطلمي . وما زالت آثار الآلاف ظاهرة على القرص الحجج الذي سمى الأهرير ، وعلى بعض النقوش البارزة المشوكة على كلا حائبي المدخل . ولم يحاول الدخول لأسنا وجدنا داخل للعيد غامضا بالمخلفات ، ولذلك ابتعدنا دون أن نزل عن الحكيم .

والآن ، مازال ضوء الشمس باقيا لمدة ساعة ، وعقدنا النية على الصعود إلى قمة القرب تل ، لكي نشاهد غروب الشمس ، وهو ابتكار لم يسمع به أحد من قبل ولذلك فقد حلق فينا الأولاد الذين يقدون الجمال ، وهرروا رؤوسهم واعرضوا كائنهم : « ما فيش سكة » أي لا يوجد طريق . والواضح أنهم اعتبرونا مجانين . وزدعت الجمال صلابة أقدامها المموجة في الرمال ، وحاولت أن تعود . وعندما أجبرت على الاستسلام لضغط الظروف ، صارت تسيينا طوال الطريق . وعندما وصلنا إلى القمة وجدنا أنفسنا ننظر إلى جزيرة الفتى بما فيها النيل ، والمدنية ، والتهبيات التي تمتد أقدامنا . وقادتنا إطلالة حافة سلسلة الجبال التي كنا نقف عليها إلى مرتفع آخر يتوجه قبر متهم ، وبدا المنظر كما لو كان هو منظر الللال . وعندما رأى الأولاد الذين يقدون الجمال أننا سئمنا للاستمرار في السير ، اندفعوا في ثورة غضبهم محترضين ، ولم يفتح حدا لتبردهم الصريح سوى عصا سلام الكبيرة . واستمر تقدمنا صاحبه عدم الرضا ، وصممنا على مجابهة قمة ثالثة . وسار الأولاد في ثنائيل وهم يشعرون بالياس وقد تجهمت وجوههم . وكانت الشمس تنجيه للمشي . بينما كان الطريق متعذرا وصعبا . واقترب طول الليل . وإذا احتار الخواجات أن تكسر أعناقهم فالأمر خاص بهم ، أما إذا انكسرت أعناق الجبال فمن الذي سيفتح آسمانها ؟

وقد عبروا عن بعض هذه المعاني بكلمات عربية ، وعن بعضهم الآخر بالإشارات . وكانت تلك هي أفكار هؤلاء الشبان النوبيين . ولم تكن الجمال نفسها بأقل منهم حسبا ، فقد صرت على أمتانها ، ونحرت بأبونها ، وزعمت مكثرة عن أنيابها ، وعارضت كل قدم من الطريق . أما عن جملي ( وهو حيوان ثقيل الحركة وشديد الاستخفاف ، وهيماء تفقدان بالشر ، وأغفه روحاني مائل ) فأنى لم أر في حياتي كلها جملا مثله يخلف بأشد عبارات اللمة بفاة ! .

وكلن النزل الأخير حرجيا شديد الانحدار ولكن المتظر من فوق قيمته كان رائعا . لقد فرما الآن بأجل تعلقة على الحافة التي تصل وادي

الليل عن الصحراء العربية ( الشرقية ) . وقد ظهر الشلال الذي أخذ يتسع مرحلة بعد أخرى ، ويمتلئ بالجمر الصخرية الصغيرة التي لا تنجم . كما لو كان بحيرة وليس نهرا - ولم نستطع أن نرى شيئا من الصحراء العربية وراء المسدات الرملية المقابلة ، ذلك الحواف الذهبية التي تواجه حشره الشمس . وكانت الصحراء الشرقية وهي متاحة مترامية الأطراف يقع على حافتها خط متعرج من القمم القرمزية ، تمتد شرقا نحو الأفق البعيد . وأحيانا ننظر إليها كما لو كنا ننظر إلى خريطة بأزوار العالم . أما مقابر المسلمين، التي تقع على بعد حوالي خمسمائة قدم إلى أسفل . فقد ظهرت في حجم لعب الأطفال . وقد عرفنا ونرى نطير إلى المينى من فتحة واحدة متسعة متجهة إلى الجنوب . ذلك الحوض القديم للماء ، الذي يقوم حاليا مقام الطريق العلوي بين حصر وملاد النوبة . وقد حدثت الطريق إلى قبلة ، بعض التخللات البعيدة التي تقع في مواجهة حلقية صخرية على حافة الصحراء .

وفي نفس الوقت كانت الشمس تتجه بسرعة نحو المغرب . وتغطت الأنوار لونا قرمزيا ، والظلال تستطيل ، بينما لب الصمت والوحشة كل شيء . لقد أخصتنا ولكننا لم نسمع أية صيحة من الضلال . وبحسنا من محجر السلسلة دون جنوى ، فلم يكن سوى مجموعة من الصخور بين المجموعات الأخرى ومن المصعب التعرف إليه من هذه المسافة البعيدة .

وفي تلك اللحظة ظهرت مجموعة مكونة من ثلاثة أو أربعة أشخاص يركبون حميرا رعادية صغيرة ويدورون بين القبور ، ثم اتخلوا الطريق إلى قبلة - كانوا بالنسبة لنا مجرد نقط صغيرة متحركة ، ولكن الأولاد ذوي الألبسة العادية الذين يسولون جمالنا ، عرفوهم سريعا بأنهم « شيخ الضلال » وحاشيته . لقد دخلت ذهبيات كثيرة إلى الضلال ، وكان الرجل الضليل اقتدر القى قضى النهار في أسوان يقوم بالزيارات والمناقشات والمساومات ، وعائدا قضاء الليل في منزله بالمنحطة . وراى الركاب المتقهقرين لمدة دقائق ، حتى غطى الضيق القمامة القديمة مثل البيضان وانقرقا في الظلال العائقة .

ومررنا ما احتفى الضوء حلب للارتفاعات عندما عبرنا آخر حافة . وفزنا آخر جانب من الضلال ، ووصلنا إلى السطح المستوي الذي بدأنا منه . وسأقابلنا مجموعة القساطر مرة أخرى . لقد ركبوها إلى قبلة وعادوا عن طريق الصحراء . وكانت ملابسهم جديدة الانتساخ . ولما شاهدوا دخولا جالهم المسير بالخطوة السريعة ، وتظاهروا بأنهم يحبون هذه الطريقة في السير . وقد انخرجت أساور الرجل الكسنان

والكنيسة من ابتسامه واسمه ودعما بجمليهما للسير بعض الخطوة السريعة. ولم يفصحا عن صعوبه السير بهذه الخطوة متظاهرين بأن هذا هو الثاني اسسوكي للجمل ، الذي يتصرف بشكل عصبي ، عتسبك بالعضائل لاسرعية ، وادا لم يكن هو نفسه يطلا ، فانه على الأقل يلدع الآخرين في طريق البطولة .

وعندما وصدا اسوان كان السبل قد أرحى سدوله • وكاتب جميع المقاهي مضادة ومسيطرة على قدم وساق ، وكان التدخين واحساء القهوة مسمرين خارجها ، بينما تصاعلت أصوات الموسيقى والصحك في داخلها • وكان هناك بنت خصوصي ضخم على الجانب الآخر من الطريق مرس بالابواب كما لو كان شاعلوه يجعلون بمناسبة ساره • كانت الأعلام بتطير على المنطح سما اشعل رحلان في تركيب يافعه ملونة على المدخل • وقد سالنا كما هي العادة عما اذا كانت الاستعداد ذات بحري لمقد حفل بالرواج أو احتفال موسيقي ، ولم تظهر أية علامه بدل على أن هذه كانت علامات الحداد ، وأن رب هذا المنزل قد مات خلال العرة ما بين حروحا وعودتنا على ظهور الحمار • وفي مصر التي كانت تعتبق عبادة الأسلاف وحفظ الأحساد محبطة في يوم ما ، ضمن الواجبات المقدسة ابثي يقوم بها الأحياء ، يعمل المصريون الآن عملا مشابها لما كان يحدث في الماضي بالنسبة للميت • كانوا يقولون انه سيبدى في صباح الغد بعد شروق الشمس بثلاث ساعات •



الجمل في اسوان

## الفصل الحادي عشر

### الشلال والصعراء

عند أمواى يودع الاسنان مصر ويدخل النوبة من خلال بوابات الشلال . وهو من الحديقة ليس شلالا بل سلسلة من الجنادل تمتد بطول ما يريد على ثلثي المسافة بين جريرتى الصنع وفيلة ، حيث يتحول النيل من مجراه الأصلي بسبب بعض الموانئ التي لا تنحصر ، والتي كانت طبعها مبنيا في ظهور اقتراضات علمية كثيرة . وينتشر النهر هنا فوق حوض صغير تحده على أحد الجانبين منحدرات رملية ، وعلى الجانب الآخر صخور جرايتية ، وتستهجر جور صغيرة تفوق الحصى ، ويتفرع الى عدد كبير من الفروع ، ويفيض على الصخور الفائرة ، ويدور في شكل دوامات حول الصخور التي تغطيها المياه ، فتارة تبطئ المياه وضطة ، وتارة أخرى عميقة ، وتارة بطيئة ، وتارة أخرى سريعة ، وهنا يرقد في صق منحدر رملي صغير ، بينما يدور هناك فوق دوامة غير ظاهرة ، وتستطيع ان ترى النهر سواء من فوق سطح اللحية ، أو المرتفعات التي يطول الشاطئ . وهو يسبق طريقه خلال متاحة لم ترسم ممرها بعد على الخرائط ولم يسمح بها أحد .

وتجد علم الممرات صعبة وحظيرة في كل مكان تفسر به . ويملك الشلال وحده مفتاح هذه المتاحة . وفي وقت الفيضان عندما يصبح كل شيء مغطى بطلاء اللهم الا الصخور الشديدة الارتفاع ، تصبح الملاحة سهلة هنا كما هي في أي مكان ولا تجد أثرا لمواقف الشلال ولكن مع انحصار الفيضان وظهور المسافرين مرة أخرى ، يعود الشلال الى ما كان عليه . وهنا تسحب النسيجات فوق هذه الجنادل النادرة بقوة دفع الجبال والفيضات ، وتوجه بهارة للعودة خلال القنوات المجرورة بالصخور والتي تقف بالريد فتصبح شظية الشاغل لمدة خمسة اشهر كل سنة . انه عمل شاق ولكن يقامله أجر مرتفع ، وترداد الأرباح دائما لان هناك ما بين أربعة الى خمسة دهبية تأتي اليه في الفترة ما بين شبهرى نوفمبر

ومارس ، حاملة حيلة أكبر من السباح . وفي نفس الوقت نجد أن الحوادث  
بأدوم الوقوع ، سيما تتجه الأسماك نحو الارتفاع باستمرار ، ويحقق  
أغراب الفشل رجحا لا بأس به عن طريق احكامارتهم الفردية (١) .

أما منظر الفشل الأول فلا يضاهيه في العالم كله الا منظر الفشل  
الثاني . انه جديد وغريب وجذيل . ومن المصغر أن نفهم لماذا كتب عنه  
السياح عامة يمثل هذا الإعجاب المصنوع ، فمن الواضح أنهم تأثروا بقوة  
المياه ، وغرامة أشكال الصخور ، ووحشة وروعة المنظر الطبيعي بوجه  
عام ، ولكنهم نادرا ما تأثروا بجماله الذي يفوق الخيال .

وتجس النبل هنا فيصبح مثل البحيرة ، ويبدو صعوبة في وصف  
مئات الجرد التي يضي بها ، ولكننا لا نبالغ إذا قلنا انه لا توجد منها  
جزيرة واحدة متشابهة . وتتكون بعض هذه الجرد كتلة فوق كتلة ، وعمودا  
فوق عمود ، وبرجا فوق برج ، كما لو كانت قد صنعت بيد الإنسان مثل  
الصخور التي لم يتركها كورنول (٢) .

وتزخر بعض هذه الجزر باللون الأحمر بسبب الحشائش ،  
يسما يزرع بعضها الآخر باللون الذهبي بسبب مسطحات الرمال المجردة ،  
وبعضها الآخر مروج يصفوف من مياه الترس المرصرة بالأنهار  
الترمية والبيضاء ، بينما تحول بعض منها الى مسرد لال صغيرة من  
قطع الحجارة . وتنتشر قسم الصخور الخطرة هنا وهناك . وتقع فوق  
واحدة منها صخرة مستقيمة منزلة بارزة كما لو كانت قد وضعت هناك  
كنصب تذكارى لتاريخ معين ، أو لتحديد الطريق الى بقعة . وتبرز كتلة  
صغيرة أخرى من الماء ، مربعة ومركزة في القاع كاحدى المقلاع .  
وتحدد كتلة ثالثة كما لو كانت هي الظهر المبلل لأمم الوجوه البرمائية  
الذي يرجع ما يبدو أنه رأس متوج بالقرون فوق مستوى سطح الجبال  
وحينئذ هذه الكتل والصخور المعيبة من الجرافيت ، بعضها أحمر ،  
والبعض الآخر قرمزي ، والبعض الآخر أسود . أما أشكالها فهي مستديرة

---

(١) أن تزايد حركة المركب بشكل نسبي قد خير أحوال السفر في النبل على  
كتابة هذا الكلام ، قال هذه الفتيات المستغمة ، ولكن بظنسية لمؤلاء الذين يستقيمون  
بذبح النملات والذين يرغبون في الحصول من الرحلة على أقصى درجة من الاستمتاع .  
والدرس ، والاعتماد ، فهو ملقما بتفصيل للحمية . ( ملحوظة مضافة الى الطبعة  
الطبعة ) .

(٢) كورنول مقاطعة في جنوب غرب إنجلترا تبلغ مساحتها ٢٦٠ ميلو و ١٣٥٠  
ملا مربعا - ( المجلد ) .



بسبب توالي المصور • أما الصخور الغربية من الحافة فتعكس صورة  
المناء وكأنها مرآيا مصنوعة من الفولاذ الصقول • وفوق هذه الأسطح  
اللامعة تظهر هنا وهناك خراطيش حلكية ، وتقوض هيولييفية مسليمة  
كما لو كانت قد نقشبت بالأس • وقد كثل القليل من هذه الخز  
مجموعات من الخيل • وأردات أجسل هذه الحرر بأشجار الصصح  
والأثل وخيل الدم وخيل البلع وأشجار الطرفة ذات الفروع المتناثرة  
مثل ريش الطيور • وقد تشابكت كافة هذه الأشجار تحت مظلة معلقة  
من النباتات الراحلة ذات الأبرار الصفراء • لقد دخلنا الى هذا الأورخييل  
الخرافي في صباح يوم أحد مفرق مع هبوب رياح مواتية واهرنا ضد  
التيار بسرعة منتظمة حتى ايمتدنا على أسوان وتركنا الفتنه خلفنا •  
وسرعان ما وجدنا أنفسنا في وسط الحزر • ومن تلك اللحظة أصبحت  
كل دورة للدفة تكشف من وجهة نظر جديدة • وجلسنا على سطح الذهبية  
للعرحة على بانوراما متحركة • وكان هذا التباين في الموضوعات بلا نهاية  
لأن هذا المريج من الشكل واللون ، وس الضوء والظل ، ومن المنظر الأمامي  
والمسافة ، دائم التغيير ، ولم يتطلب الأمر لاستكمال المنظر الذي يفرى  
بالصوير الا قاريا وبضعة أفراد ، ولكننا لم نر في كافة هذه القنوات ،  
وبين جميع هذه الجزر أية علامة تدل على وجود كائن حي •

وفي نفس الوقت فان شيخ الفلال - وهو نوبى كهل ، مسطح  
الوجه ، وذو عيين كميون الأسماك ، وقد ربط رأسه بسدلى حريري قلد  
ذى لون أصفر ، جلس وحيدا في مؤخرة السفينة وهو يدخن أرجيلة  
طويلة في جلال مهيب ، وجلس القرفصاء خلفه حصة لوسنة غرباء متهمي  
الوجوه • وتولى قيادة الدفة عامل جديد أسود اللون هو المرشد الذي  
سيقودنا في منطقة النوبة ، وقد أصبح مسئولنا عن سلامة اللحبة وكل من  
عليها من أسوان الى وادى حلفا ثم العودة الى أسوان •

وقد مرت بجه البحارة عمارة عامة تبعدنا عن الاقتراب الشديد  
من المحتل الأول • وكانت هناك سلسلة من الجزر الصغيرة تمتد  
طريقنا رأسا بطول القناة مثل سد صغير يتحكم في مخرى النهر ، بينما  
يتفرع النهر الى ثلاثة أو أربعة مسارات طويلة تنفج فوق المنحدر ثم تنحد  
مرة أخرى عند التقاء في ميثاق عاصف •

وفي البداية ظهرت لنا استعالة الوصول الى جزيرة فيلة فوق هذا  
البحل من الماء المتخفة • واستمر عامل الدفة في عمله منتزعا بالأسوار  
داحل أوسع القنوات ، كما لمستمr الشيخ في التنهين وهو رابط الجأش

دون أن يرفع النليون عن فمه ، وهو يردد كلمة واحدة ( روح ! )  
أي ( تقسم ا ) .

ومع ابتداء من رأس الشيخ ، اعتلات الصخور سريعا بالمواطبي .  
لقد كانوا محتجين حتى الآن في كافة أنواع الأماكن غير المنظورة .  
وقفروا وهم يصيحون ويستحمون الإشارات ، وقد حملوا الصائف من  
الصال ، ثم قفروا في مياه الجتادل حيث أثاروا فيضانا من المياه مثل  
كلاب البحر ، وكانوا يتقافرون مثل قطع الفلين . وهم يمرضون علينا  
استمرافضا للقوة كما لو كانوا سيحذبونا الى أعلى شلالات بياجرا ، كان  
المنظر مثل دقائق المسرح ، وشسها بظهور فرقة محاربى الألب في مسرحية  
دونا ديل لاجو Donna del Lago مع طلب البشيش في الحلفية .

وكان المنظر الذى تلا ذلك مثرا للنفاية . لقد حملوا حبلين من  
الذهبية الى اقرب جريوة وثبتوهما في الصخور ، كما أوصلوا حبالا من  
الحرير الى سطح الذهبية . وكان صاك صلك من الرجال على السطح ،  
وسمان آخران على البحر . وقلما جبيما بترتيب أنفسهم وهم يقفون بطول  
البحال ، وأعطى الشيخ الإشارة وبدأ سحب الذهبية من طريق حبلين  
يحدهما حذان الصلمان من الرجال ، بحاسبهم الاتقاد بصوت مرتفع ،  
وحركة تشبه الرقص البربرى الذى يؤديه سيد روبر دى كولفرل . وهكذا  
صعدت الذهبية ببطء وثبات . لقد قضينا ربع ساعة في صعود المنحدر ،  
ولكى يثبت لنا هذه الفترة أطول من ذلك . وفي نفس الوقت كان الرجال  
مدمجين في عملهم ، وصار صوت انقادهم أكثر ارتفاعا ، كما أصبح  
سحبهم أشد قوة ، حتى اندفعت المركب أخيرا . وتملقت فوق بحيرة من الماء  
انهادي سببا ، وبعد أن قضينا ساعة للراحة ، كررنا المرحى ثانية ضد  
تيار أشد قوة للصعود الى أعلى لمسافة أخرى . وفي هذه المرة انقطع أحد  
الحبلين فتساقط الرجال الذين يسيرون المركب مثل صلب من أوراق  
اللعب التى مالت أطرافها فجأة ، وتراجعوا حول الذهبية قبلة ، مستقبلي  
اندفاع التيار على كمرة السفينة . ومضى حصى حطنا من الحبل الآخر كان  
مربوطا جيدا . ولو كان قد انقطع هو الآخر لتحولت الذهبية الى حطام  
قبيح الشكل .

وبعد ذلك ترك مساعونا النوبيون العمل ، وقالوا ان القمر كان  
معبادا ، وعادوا الى منازلهم تاركين المركب راسية طوال الليل في البحيرة  
هذه قصة الجندل الأول . ووعد الشيخ بأن يبدأ رجاله العمل عند فجر  
الثد فيصلون بنا الى هناك قبل الغروب . وجه صباح اليوم التالى

ولم يظهر أى رجل فى الأفق . وعند منتصف النهار تقريبا بدؤوا يتقاطرون ويلتفون بانقسامهم فى اللد . وتلقوا بطريقة كسولة ومتراخية فى السبيل لمدة ساعتين أو أكثر ونقلونا إلى موقع أفضل لمواجهة الجندل النشأ . ثم ذابوا بين الصخور فى مجموعات مكوبة من فردين أو ثلاثة ، ولم يظهروا بعد ذلك . وأحسبنا الآن بأن وقتنا وقودنا قد تبددت باسبغتهار . وأبنا لروما إلا نحمل هذا الوضع أكثر من ذلك - وتكفلس الرصاص المراقب لنا بإبلاغ اعتراضنا للتنبؤ وإقناعه بطفا الأساليب التى يلجأ إليها . وأنصت إليه الشيخ ، وأخذ يفسر برجيته ، ويهر وأسمه ، ثم أحاب بأنه توجد فى الشلال مثل فى مكان آخر أيام سط وأيام مصر ، أيام يسمى فيها الرجال بالرغبة فى العمل . وأيام أخرى يميلون فيها إلى الكسل . وقد حدث اليوم أنهم أحسوا بالكسل ، ولا ذكرناه بأنه من غير المقبول أن نقضى ثلاثة أيام فى صعود خمسة أميال فقط من النهر . وأن هناك حكمدارا فى أسوان سئصل به غذا إذا لم يستمر العمل بنشاط ، اجقسم . وهز كتفيه بلا مبالاة وتمتم بقى « عن القصر » - والأآن بدأ الرسام يقوم بدور محلى لأنه كان قد جمع لنفسه مجموعة كلمات عربية معتادة عن السحاب والشمس . وقد دونها فى موعة للوحة اليبا عند الحاجة . أنا ولد اعتقد فى عدم امكانية الاستفادة منها فقد وجدنا فى الطريقة التى يجمعها بها مادة للتشبية . فنظرنا إليها واعتبرناها فى حقيقة الأمر تشبية غير شارة ، مثلما نظرنا إلى الشمس الذى يحمله فى جيبه دون أن يحسوه بالرصاص ، أو بندقيته الجديدة الخاصة بصيد الطيور ذلك الذى لم يعرف مطلقا كيفية استخدامها .

ولكى شيخ الشلال يضى إلى أبعد من ذلك ، لأن سخافة اجسامه تلك تثير أكثر الرجال تواضعا ، ولم يكن رسامنا هو أكثر الرجال تواضعا ، ولذلك أخرج البوتة من جيبه ، ومضى بالصبيبه على السط واستخرج تميرا متناسبا . وربما لم تكن لهجته صحيحة ولكن لم يخطئ فى أسلوبه أو قوة لنته . وكان تأثيرها سريعا . لقد أقر الشيخ على الفصحى كما لو كان قد أطلق عليه الرصاص ، وأمتنع لونه من الغضب . واقسم بأن تظل قبلة فى مكانها حتى يوم الحشر لأنه مها كانت الأساليب فانه هو أو رجاله لن يسلموه فى تيريكها قلعا واحدا . لم أتمتع صندله لكذلك واتمته نازكا أياها خسيرنا .

ووقتنا منحول . لقد انتهى كل شىء بالنسبة لنا ولنا نلاحظه (أبو مبر) . وأن نكتب أسبانا على صخرة (أبو صبر) ، أو نرى عطلتنا فى حله الشلال الثانى ، لماذا نفضل ؟ هل يمكن مقاومة الشيخ أو استعطائه ؟

هل تحصل بالحكماء ، أو نقسم الرسام قربانا • وقد وافقت الأغلبية على التضحية بالرسام •

وفي تلك الليلة ذهبنا للنوم ونس يانسون • ولكن ، انظر ! لقد ظهر شيخ الضلال في صباح اليوم التالي عند شروق الشمس بكل ابتسام ، وكل نشاط ، وصحة حيال لاهصر لها ، وقوة مكونة من مائتي رطل • لقد أصبحنا الآن أعز أصنافه وأصبح الرسام إلخا له • لقد استمدى جياهير الضلال وما وراءها لكي يصيروا في حمتنا • وباحتصار ذاته على كل ما في استطاعته لخدمتنا •

والقسم الثريمان أنه لم ير النوبيين يعملون كما عملوا في هذا اليوم • لقد انهزموا مثل الصائفة وانحدوا يسحبون السفينة من الصباح حتى المساء • ولم يتوقفوا حتى هبروا بنا الركن الأخير ، وصعدوا بنا آخر الجنادل • وعندما استقرت لهيبتنا أخيرا في الماء الخالي من الخطبات ، كانت الشمس قد غرقت • وغيم الظلام ، وبدأ التساقط ينطلي سطح النهر • ومع سحابة الرحيل تفرق الرجال الذين يبلغ عددهم مائتي واحدوا إلى أقاصم المدينة •

ولم تعرف بعد ذلك أبدا قيمة البارات السيفة • ولو كانت هذه النقطة هي كتاب بروسبيرو الذي غرق في البحر ، أو بردية تحوت السحرية وقد جرى صيدها من قاع النيل ، لما كنا ننظر إليها باحترام يقارب ما لقيته هذه النقطة من الاحترام • وبالرغم من عدم وجود خط يحدد أين تنتهي حدود عصر وأين تبدأ النقطة ، إلا أن جنسية السكان الذين يعيشون على كلا جانبي هذا الخط الوهمي غير المنظور ، وأصبحت كما لو كان المحيط يفصل بين الاثنين • فمن بين القرويين الذين يسكنون الضلال توصلتنا فجأة إلى عدم وجود شيء واضح يجمع بينهم وبين سكان عصر • انهم ينتهيون إلى تصنيف جنسي مختلف • ويحدثون لغة مختلفة من اصول الريفيّة خاصة • فالبدائيون الذين استشفوا حول قبلة عند عبورهما الضلال لم يحتفلون عن بشارتنا الصرب من حيث سمحتهم العائسة ، وأجسامهم نصف السارية ، وقوتهم البدنية ، ولا يستطيع الانسان إلا أن يلاحظ أنهم ما زالوا حتى اليوم أناسا مميزين ومختلفين.وقد صنف المصريون القدماء جميع الأمم الذين يعيشون جنوب الحدود بحيث يشتركون في صفة وأخطأ بوصفهم « الجنس الكوشى القبيح » ولم يغير الزمن شيئا من طباعهم منذ الأيام القديمة التي هزمهم فيها المصريون ، ولكن زحمت إلى مفرداتهم بعض الكلمات العربية • وتضمنت قائمة احتياجاتهم اليومية بعض مواد

اكتشف الحديثة مثل التبغ ، والكهنة والصاويين ، وملح البارود - ولكنهم ما زالوا في غالبية نواحي الحياة يعيشون حتى اليوم مثلما كانوا يعيشون على ابلج التفاعلة - يزرعون الجنس والذرة ، ويصنعون الجعة من التمر ، ويصنعون الخمر والسلال من البوص المصبوع ، ويحطون اشكالا يدائية فوق أوعية من سطح القرع المجفف ، ويخفون الريح ، ويرمون القوس الخشبي الذي يرتد الى راميهِ - ويصنعون الدروع من جلد التمساح ، والأساور من العاج ، ويمنون مصر بالحفة ، ويولغون أنفسهم على جلد النخلة المجوف بهارة عظيمة كما لو كانوا يجلسون في قارب المراكبات، وتمسكك طريقة تبيدهم في النهر نهائيا وعودة - وربما كان هذا البديل اليريري للقارب أقدم من الأهرام - وبه أن شاهدنا مسار الجنادل القليلة الأولى سعدنا بالثروة من النخلة وقضاء الوقت في الرسم حسبا وهنأ على حدود الصحراء وبين القرى والجر المحيطة ، ولا يوجد في كل بقاع مصر واللوية منظر شبي بالصور الصالحة للرسم أفضل من منظر السلال ، ولا به للفنان أن يقضى هناك فصل الشتاء دون أن يستنفذ الثروة التصويرية الموجودة في هذه الأحيال الخمسة التي لفصل أسوان من جزيرة فولة ، أو يستنفذ الجفول المائية الصغيرة للتمرحة الليلية بالصصور المتجمعة في شكل عجيب ، أو المتحدرات الرملية المهيبة التي على ساحة الله ، أو البحيرات الهائلة التي ترقع في وسط حقول التمرس ، ومناطق زراعة القمح القريب والسواقي المتحقفة بين أشجار النخيل وهي تدلي بالماء أثناء دوراتها ، والأكواخ الطينية التي تتجمع هنا في مناطق غامرة ، بينما تجثم هناك منعزلة على المرتفعات التي بين الصخور وتخط حتى هذا اليوم شكل وانحدار البوابات الفرعونية ، والقوابل البدائية التي تجهر في حلجان محببة لو التي تفكرس وتجب فوق الرمال ، وصخور الجرانيت القمرية والسوداء والأرجوانية التي تحرفها الأمواج وتغطيها الطيور البرية في وسط النهار ، والصيد الذي ينتشر شبابه لكي تجب في حرارة الشمس ، والخيال والتوافل ، والمسكرات الشاطئية ، وقوابل نقل البضائع ، والمراكب التي في النهر ، والأشكال الضخمة للأجسام الرياضية نصف المائية ، والنساء اللاتمت اللون اللاني يتزين بالزينة البربرية ومن سافرات ، ويسرقن بسرعة ، ومسجين خلفهن القوابل طويلة الدليل ذات ألوان زرقاء غامقة ، والسناجر المسنات ، والأطفال الصغار المرأة مثل تماثيل برونزية حية - وليست هناك نهاية لهذه الموضوعات ومثلت الموضوعات الأخرى التي يمكن تصنيفها في مجموعات لا نهائية - وهي جميعها صالحة للتصوير ، والتدوين ، والنظم في القصائد لدرجة أن الإنسان يخشى أن يقع في خطأ نسيان أن هذه الأماكن تمثل ما هو أكثر من خلفيات جميلة ، وأن النظم ليسوا مجرد تماثيل متناسقة وضمت

هناك لاسعاد الرسامين ، ولكمهم من لحم ودم ، يتحسرون وهم مصعرون  
بالأمل والمحاف والاحزان مثلنا .

وستنكس المحطة في أحضان خليج صغير وقد احصر لونه ، بفعل  
أشجار الحمير والخيل ، كما انحد نصفها الحلقى شكل جزيرة بسبب  
ذراع من الماء ينحى ويلع مثل سيف تركى فتبدو بذلك من أجمل القرى  
، التي على النيل . انها مقر الشيخ الرئيسى وهى ايضا عاصمة الشلال .  
وتبعد المنار قليلا عن الشاطئ . أما الخليج فانه مردحم بالقوارب المحلية  
من كافة الاحجام والالوان . ويردحم الشاطئ الرمل بالرجال والنساء  
ولسواء والأطفال والحمير والكلاب والبضائع والاكواح المؤقتة كل ذلك  
فى نفس الموقع مع الأعمدة والحصير . وهذه هى أسوان أخرى ولكن على  
نطاق أوسع . فهناك العشرات من السفن . أما معسكر التجار فهو قرية  
فى حد ذاته . ويبلغ طول الشاطئ نصف ميل ، كما يبلغ عرصه اسحدر  
الى النهر ربع ميل . والحقيقة هى أن المحطة تمثل المياه التوام لاسوان .  
وعى لا تقع تماما على الطرف الآخر للوادي العظيم بين أسوان وفيلة ، ولكن



التجار السودانيون فى المحطة

بعد اقرب نقطة يمكن الوصول اليها فوق الشلال . ويفرغ التجار  
السودانيون بضائعهم هنا لكى يعاد شحنها الى أسوان . ولم تر بطول  
النهر مثل هذه القوارب البوينة المحملة ذات المنظر البربرى ، انها تبدو  
قديمة ومهجورة مثل سفينة نوح ، وعلى البعض من هذه القوارب شرفات  
عقوسة خارج ملحد القمر ، بينما تميل مؤخرة بعضها الآخر مثل السفينة

الشراعية الصينية للمستطعة القاع - وقد كان معظم هؤلاء البحار يعملون بالنخاسة أيام المخترداريك ، ويتنقلون بهم وادي حلفا والمسطحة متلب يتنقلون الآن حيث يرغبون بضاعتهم البشرية في هذه النقطة لكي يملأ شخصها إلى أسوان ، وبأدرا ما كانوا يعبرون التلال حتى في وقت الفيضان . ولو كانت الواحهم الخشبية القديمة القدرة تستطيع الكلام لذكرت لنا العديد من القصص السودا المأمية .

وبعد أن مضينا من خلال القرية وسدائق النخيل ، ودرا في اتجاه شمالي شرقي نحو الصحراء وصلنا إلى منتصف المسافة في هذا الوادي الذي لوحته عنه أكثر من مرة ، ولا يستطيع أي شخص غير ماهر في الجغرافيا الطبيعية أن ينظر من أحد طرفي هذا الحدود الضخم إلى الطرف الآخر دون أن يكتشف أنه كان في يوم ما قاعا للبحر . ولا يعرف كم من عشرات الآلاف من السنين طوى النيل في مجراه داخل هذه الحدود الأصلية . ولا يستطيع أن يذكر متى صجرها . ولكن من المؤكد أن البحر كان يفيض منتخذا هذا الطريق خلال المصور التاريخية أي في أيام أمنمحات الثالث ( حوالي سنة ٢٨٠٠ ق م - ) والكثير من هذا الكلام يحتاج إلى برهان يستدل عليه من بعض المفوض (١) التي تسجل أعلى

---

(١) إن أهم الاكتشافات التي اكتشفناها هنا والذي سألني في جهاز ، هو سلسلة من القناري المصرية التي تسجل أعلى ارتفاعات النيل خلال سلسلة من السنوات تحت حكم أمنمحات الثالث وخلفائه . أنها توضح علي أن البحر قد ارتفع خلال الألفية آلاف عام التي مضت أكثر من أربعة وخمسين قضا فوق مستوى ارتفاعه الآن ولأنه في ذلك نتج عنه تحولاً منتظفاً بالنسبة للفيضان وسطح الأرض كله ، شمال وجنوب هذه البقعة - انظر خطابات بن عمر للمؤلف ليميسوس ( خطاب للساحل والمصريين ) Lepsius's Letters from Egypt. لقد تم تسجيل أعلى ارتفاع للنيل كالم عام في سنة بواسطة علامة تين سة حكم اعلم ، نقتض في الجرائد ، سواء فوق إحدى الكلال التي تشكل أحاس القلعة أو على صخرة علامة على الضفة الشرقية أو الغربية في اطلال مكان مناسب لدرء الفيض . وقد بلغت تلميحية عبارة علامة من هذه العلامات ، قطعت ثلاث حفره منها في عصر موريوس ( أمنمحات الثالث ) وخمس في عصر الملكين اللذين خلفاه - لك (أوضحاً هذه العلامات ذات الدلالة وهي في أعلى للمرجات المسطحة صمرت مسروقة الآن ، لذلك أنه في خلال السنة الثالثة عشرة من حكم أمنمحات وبناء على القياسات الدقيقة التي تمت بها ، كان الارتفاع ٨,٧٧ متراً ( ٢٦ قدماً ، ٨ بوصات ) أعلى من أعلى مستوى وصل إليه الارتفاع النيل خلال سنوات الفيضان العظمى . وكانت تلك علامة على قبر الشرقي ولي عايليد السنة الخامسة عشرة من حكم نفس الملك ، عيّن أن الارتفاع مترال هو ١٤,٨٦ متراً ( ١٢ قدماً و ٣ بوصات ) كما أن العلامة المنزلة على الضفة الغربية تبين أنه في خلال السنة الخامسة بلغ الارتفاع ٢,٧٧ متراً ( ٩ أقدام ) فوق أعلى مستوى سبق الوصول لأيه ) من خطاب ليميسوس إلى البروفيسور هيرنبرج Lepsius's Letter to Hensenberg

ارتفاع الفيضان عند سمعة جلال الستوات العديدة التي حكمها هذا الملك ، ثم ارتفع النيل في أثيوبيا الى مستوى ٢٧ قدما رباحه على أعلى نقطة وصل إليها في الوقت الحالي - وأنا لا أعرف ماهية العلاقة التي يحصلها ارتفاع هذا الفيضان القديم بالنسبة للمستويات المسجلة في سمعة أو بالنسبة لتلك المستويات المسجلة الآن ذاتيا على شواطئ فيلة ، ولكن الاسمان يرى في لمحة واحدة يعجز الاستماعة بالقائيس أو علم مسح الأنهار ، أنه لو غامر النهر في موجة عظيمة تصل قمتها الى ٢٧ قدما فوق أعلى أرض يتصبها الآن الفيضان السنوي ، فسرعان ما يمتلئ الحوض الصحراوي الطويل ويحول أموان الى جزيرة .

ولابد أن النيل الذي أغرق الصحاري بقيضانه العسالي في عصر الأممات الثالث ، قد جاء عليه يوم في فترة أخرى تلت ذلك العصر فانخفض مستوى الفيضان الى درجة الجفاف . وفي المفروض أن تكون هذه الكارثة قد حدثت في وقت طرد الهكسوس ( حوالي سنة ١٧٠٣ ق م ) عندما تحطم الحاجز الصخري في السلسلة وأغرق منطقة النوبة التي لميت حتى الآن دور حران سخم ، وشنت الفيضانات الهبسة فوق سهول مصر الجنوبية . وفي الخطأ استنتاج أن النيل مع هذه الكارثة قد حول مجراه لكي يتدفق في اتجاه الشمال ، ولابد أن ذراعاً من النهر قد انصلب لنفسه المجرى المنخفض والمسيق الحالي ، في نفس الوقت الذي جف فيه الذراع الآخر الذي كان مستظفاً وذلك مع هبوط الفيضان كل موسم . ولا يوجد أي سجل أرى لهذا الحدث ، ولكن الحقائق تتحدث من نفسها . هناك المجرى العظيم ، وهناك طس النيل القديم ، وقد دفن الجمر الأكثر منه في الرمال ، ولكنه مازال ظاهرة فوق العديد من المدرجات والهضاب الصخرية التي تقع بين أموان وفيلة . وهناك أماكن يجد فيها أن سطح الكتلة قد انحرف كما لو كان ذلك بفعل الاندفاع الفجائي للمياه . وعند ذلك البحر فاضت موجات الحرب والتجارة في مكانها .

لقد اتجه كل من الفارين تحتس ورمسيس الى أرض كوش ولذا جيوشهما عبر هذا الطريق . واستطاع شيباكا وهو على رأس القبائل الاثيوبية أن يتخذ هذا الطريق المختصر ليصل به الى عرش القرعنة . وكذلك فإن القرسميين الذين طاردوا ثامالك بقيادة ديزيه بعد معركة الأهرام قد اندفعوا خلال هذا الطريق الى فيلة . وفي نفس الوقت فإن كل جماعة السودان قد انخست ففس الطريق وإن كانت قد انقطعت أنحياتها بسبب تلك والجزر التي تحدثه الجروب . ولم تبر أبداً هذه الأممال الخمسة من الصحراء بدون مقابلة فائلة أو قائلتين من الجبال



لمتصلة سواه بالبضائع الأوربية الى جنوب السودان ، أو الكونج الشرقية  
في اتجاه الشمال .

ولن أنسى مريخا القافلة الاتيوييه التي قابلتها ذات يوم أثناء  
خروجنا من المنطقة ، كانت تتكون من سبعين رجلا محملا بأنياب الفيل .  
وقد حزمت كل سنته من هذه الأنياب التي يبلغ طول الواحد منها أربعة عشر  
قنما في حزمة واحدة ، ووصفت داخل ركائب من جلد الجاموس أغلقت  
جيذا بالتيبوط المتينة . وكان كل رجل محملا بمصلي وضعت كل منهما  
فوق أحد جانبي السنام . ولابد أن القافلة كلها قد حملت حوالى أربعين  
وثامائة ناب . وكان يجرى الى جانبي كل رجل نوبى حافى القدمين .  
وتلا القافلة هذه صياد محبوس داخل قفس خشبي ومحمول فوق ظهر  
رجل ضخم ومعه قطة برية داخل سلة . وفي النهاية سلسل حقيق أسود  
كالفحم يصل طوله الى حوالى سبعة أقدام ، وقد ارتدى شالا فضيا وعيالا .  
وكان يلحق الى جانبيه سيف لحظي ضخم . كما وضع في حزامه روجا من  
حديدات القرن السابع عشر المظلمة بالصنف ، مثل جسرأب مسلس  
الأمير روبرت . وكان هذا المحارب المزدكش هو حارس القافلة . وكان  
الفهد الصياد والقطعة البرية فادحي لأجمل الأمير حسن الابن الثالث  
لول العهد . أما الحاج فكان مخصصا للتصدي . ولم أجد منظرًا يصلح  
للتصوير أفضل من منظر هذه القافلة التي تسبقها سحابة من الغراب  
للتار بينما يخرج الأطفال من القرية في الرما ، بشكل يصعب إدراكه .  
وقد اشتقنا لصور جبروم لكي يرسمها على الطبيعة .

وتجسسى الصخور على كلا جانبي مجرى النهر القديم نقوشا  
هيروغليفية ، ويغطي تاريخ هذه النقوش مع غيرها ما وجدناه في المحاجر  
المجاورة ، فترة تتراوح ما بين ثلاثة الى أربعة آلاف عام ابتداء من المصور  
المبكرة للإمبراطورية القديمة . وتنتهى بصخور البطالة والقيامة .  
إن بعضها مجرد توقيعات ، ولكن البعض الآخر يصل الى طول مقول .  
والكثير منها يعطى اشكال الآلهة والعمالدين . وليست هذه النوعية في  
منظها الا مجرد نقوش جدارية مينة الرسم ومحفورة بالعمال .  
أما السجلات التي تصورهما فهي في الغالب سجلات النذور - كان المسافر  
العابر ينظم آلهة الشمال ، ويطلب حمايتها ، ويسجل اسمه ، ويذكر  
الفرس من رحلته . وكان المسافرون من طبقات ومصور وجنسيات  
مختلفة ، ولكن السجلات كانت في سبيل الحالات متشابهة الى حد كبير .  
فهذا مواطن من طبقة يقوم بالغز الى غيلة ، أو قائد على رأس قواته عائد  
من غزوة في اثيوبيا . أو أمير تابع يقدم خضوعه للملك رئيس المنطقة

وارتباط اقطاعيه بأله المكان ، وكما نرى حين وآخر بعض على حطوط ملكي وقائمة طويلة بالآلغاب تبين كيف أن القرع هو نفسه الصقر الذهبي ، وابن رع ، والجنار ، والذي لا يقهر ، وشبيه الآلهة .. وهكذا .

ومما يثير العجب أن نرى كيف أرسبت الملكية من عدة آلاف من تسعين أسلوب الآلغاب ، كما تعمل في أيامنا هذه ، لقد تسمى تسعة أعشار من المسافرين القدماء الذين تركوا توقيعاتهم على هذه الصخور ، بأسماء رمسيس أو تحتمس أو أوسرتامين . وكان البعض منهم طموحين فاندخروا لأهلبهم أسماء الآلهة . وقد وجد أمير الذي كان مجتهدا في العمل في اكتشاف النقوش سواء هنا أو بين الجور ، توقيعات عدد لا يحصى من أموتى الذين تسموا بأسماء آمون وحتمور (١) .

وتلا فترة ثلاثة الأيام التي قصيهاها مجبورين في الشلال ، يوم رابع تميز بالهواء الشامل حيث لم تكن هناك سمة هواء تملأ أشرعتنا . ولم يكن هناك مكان يقوم فيه الملاحون بسحب السفينة ، حتى أننا لم نسطع أن نحرك اللامام الا باستخدام المصى الطويلة التي تغرق في قاع النهر ، ولذلك مصى نصف النهسار قل أن ترسو الذهبية في ظل النحره المقدسة التي تحمل اسمها .



معبد جزيرة الفراعنة

(١) للاطلاع على عبارات وترجمات عند كبير من نقوش اسوان الجديده ، انظر كتاب ديميس وعنوانه Denkmal der Denkmaler للاطلاع كذلك على أحدث وأكمل مجموعة من النقوش التي كانت على صحور اسوان والمناطق المجاورة بها فيها النقوش غير المدونة مرادى السبع رجالة ، والفنتين ، والصخور التي في جنوب السلسلة .. الخ .. الخ انظر أحدث كتب السير ولدم ج فليدر وعنوانه عمل فصل كامل في مصر سنة ١٨٨٧ - جسدر سنة ١٨٨٨ من دار نشر Field and Tuer ( ملحوظة مسافة لى الطبيعة شامية ) ..

## الكامل الثاني عشر

### فيلسفة

فلمينا عنة أيلم على مقربة من فيلة ، وليس للكارىء أن يحسب أنها اكتفينا منها بالتطلع الى بواباتها الجميدة بين الحين والآخر ، ولكن على العكس فقد كنا نجد طريقنا الى هناك عند انتهاء جولة كل يوم . لقد اتفينا منها بريا من الصحراء ، وصغريا عن طريق القنارب ، ومن المحطة عن طريق البحر الواقع بين الصخور والنهر . وعندما أقول بأننا قد درسونا هنا ليلة ولهارين تقريبا ونحن فى طريقنا جنوب النهر ، ومرة أخرى لمدة أمبوج عند وصولنا ، فإن ذلك يبين أنه كان لدينا وقت يسمح لنا باستظهار معالم هذه الجزيرة البديية . وأجدل الطرق للأودية إليها هو شريق النهر ، فحينما نرى من سطح القنارب الجزيرة وعبيها أشجار التنكيل ، تظهر أساطيسها وبواباتها وكأنها هى سراب يرتفع من النهر ، وتحيط بها اكوام الصخور عن جميع الجهات . بينما نسد الأفق الجبار ذات اللون الأرجامى ، وترتفع هذه الصروح الزينة بالقوش شيئا فشيئا فوق أفق السماء ، بينما يرتلق القلوب على صلصة الماء فيدسو منها وهو يشق طريقه بين الصخور الخالقة ، دون أن تظهر عليها أية علامة تدل على الخراب أو تقسم الزمى ، فكل شىء يبدو صلبا ومتناسكا ومتكاملا . ولبرحة نعال أن كل شىء على حاله لم يتغير ، فلو حملت إلينا نسايم الهواء الذى يلفه الصمت فماتت أشبه عابرة . ولو أننا ردينا حوكبا من الكهنة المتربيلين بالبياض يشق طريقه وسط أجام التنكيل وأبراج القصب . وهم يحملون زورق الآله للمحسوب عن الانتظار . فما كنا سنجد فى ذلك غرابة .

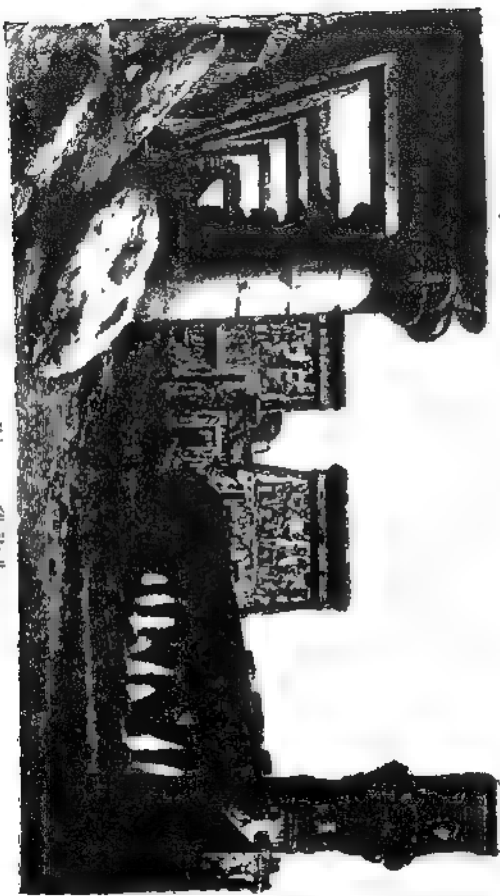
وينزل غالبية السالمين فى طرف الجزيرة بالقرب من الشلال ، وبذلك يصلون الى المبد الرئيسى من الخلف ويتأصفونه بترتيب عكس . ولكننا جهلنا الأعراب يجفون حول الجزيرة متجهين نحو الطرف الجنوى حيث كان يوجد مرسى فحسم يتجهر بسدرج الى النهر . وسرنا محادين للضفاف المنحدرة . ومررتنا بالمهد غير المستوف المعروف بأسمم مبيد

سرير فرعون ، وهو معبد طلالا اجتنب الفنانين لتصويره بالرقيقة والكاميرا حتى أصبحت صورة كل حجر فيه وكل وكن في النصة القائم عليها وأجرام النخيل التي خلوقه مطبوعة في الذهن منذ الطفولة كصورة أبي الهول أو الأهرام . وقد وجدتته أنفسهم ما كنت أحسب ، لكنه لم يكن أقل حلا عما نوقشت ولو بغير حردله . وعلى أية حال فالانسان يشعر بأن معبد سرير فرعون الحقيقي يجعل محل الصور المحفوظة في الذاكرة الصيغة التي تشبه عشي الحمام والتي اعتاد الانسان حتى هذه اللحظة ان يختزن فيها المناظر الشهيرة علي ياته حتى الصور قد يطرا عليها نوع من التغيير .

والآن بعد الركن مستديرا ، والنهر يتسع في الاتجاه الجنوبي يها للبحال ومزارع النخيل . وتلمس مقعده السفينة حرائب حليج قديم فاذا بالفلسفة هنا شديدة الانحدار . ونصعد فينتج أمام أعيننا منظر عجيب . انما نقف على الطرف السفلي من فضاء يقود الى صروح المعبد العظيم . وهذا الفضاء غير منتظم الشكل ، ويطلوه على كلا الجانبين رواق من الأساطين ، وهي أساطين غير متساوية في الطول ، كما انها مقامة في زوايا مختلفة . وتجدد ببساطة ان أحد الرواقين عبارة عن صر مطلي ، بينما يفتح الآخر على صف من المصبرات الصغيرة مثل رواق دير يفسح على صف من صوامع الرعيان . لما الإبحار التي أقيمت بها صفوف هذين الرواقين فقد أزيحت قليلا ، بينما فضاء أسطون او تاج أسطون حضا لو هناك . اما الصروح المزدوجة المتشغل التي تلب في صفوف مستقيمة ملايل السمة وقد غطتها التنايل المنحوتة فهي كاملة أو شبه كاملة تقريبا متما كانت في أيام البطلة الذي شيدها .

وقد زخرت المنطقة التي بين الأساطين بفراعه من القلوب اللين عبارة عن الأثر الباقى من قرية قبطية تنتمي الى الصور الأولى للمسيحية . وقد اتخذنا طريقنا بين هذه الفراعه الى مقعده الصرح الرئيسى التي يبلغ عرضها الكلى ١٢٠ قدما . ويبلغ ارتفاع البوابة ٦٠ قدما من القاعدة حتى الشرفة . وهذه الأبعاد لا تسمى شيئا بالنسبة لمصر ، ولكي الصرح الذى يعتبر صنيرا بالقياس الى صروح الأقصر او الكرنك لا يبدو هكذا في قبلة . وليست المنطقة هنا هي صور الكلام بل الجبال . والجزيرة صتيرة بمعنى أنها تغطي منطقة تملد مساحة قبة الإكروبول في اثينا . اما لطاق المياالى فقد حده حجم الجزيرة ، والأرض هنا كما هي لى اثينا يحتفلها معبد رئيسى واحد متوسط الحجم . بالاضافة الى عدد من الهياكل الثانوية . ومحل محل الضخامة هنا الرشاقة الكاملة ، والتناسيب الرائع ، والعجيب

الرواق الكبير بمسجد جامع



المحتلف والمتصلب الإطوار ، وكذلك يضاف إلى النماذج المصرية مهم النظام التنفيذ وهو صفة تميز الصنارة القوطية ، واللحمان الذي تتميز به الصنارة الاغريقية .

وتشاهد الآن بعض لمحات قاعة داخلية ، وهووا فانيسا ، يقع حلفه بهو آخر ذو أساطين ، وعندما نرفع أنظارنا إلى السطح البارز الضخم الذي فوق رؤوسنا ، نرى الأشكال السرية المتعانة للبلوك والآلهة ، متوجين ، وجالسين على العروش ، يمدون أو يتلقون العبادة . وتبرهن هذه النقوش التي تبدو لأول نظرة وهي ليست أقل كمالا عن الصروح على أنها نالت من الجهد مثل ما نالت من مثيلتها في ميدان دندرة . وقد نصبت من التحطيم هذه وحناك التماثيل التي تحمل رأس الصقر حورس ، ورأس البقرة حتحور ، بينما كانت الآلهة ذات الوجوه البشرية وبلا عيالفة ، بدون عيون ، وبدون أنوف ، وبدون أذان ، وبدون أي شيء .

ودخلنا إلى القاعة الداخلية وهي على شكل مربع غير منتظم يحده من الشرق رواق مكشوف . ومن الغرب هيكل صغير في مقلته أساطين على أمتها رأس البقرة حتحور ، بينما يحده من الجانبين الشمالي والجنوبي الرواق الثاني والرواق الأول ، ويضم المصمت على هذه القاعة المربعة ، بينما تقع زفة السماء من أعلى ، وترقد الظلال من أسفل ، ويظهر الفسق رقيقا حول أقدامنا . وترصد الظلية الإلهية في داخل الهيكل الصغير الذي ينادى بطلميوس الثاني ( يودجيتيس ) وينتمي هذا الهيكل إلى الطراد الذي أطلق عليه شامبليون اسم ماميري ( بيت الولادة ) Mamoud . وهو مكان شديد الغرابة ، مخصص للآلهة حتحور لتخليد الذكرى تربية حورس . وفي حلال الضوء الباحت الذي يتصارع على الحاجز والمدخل ، ظهرت على الحوائط السوداء صورة ايريس روجة وأخذت تؤزوديس وهي غلة حورس . أما في الخارج فقد تبعتها على عوارض الحاجز قصة طفولته ، وتعليمه ، ولوه . كان يتبع في حير أنه الحاضنة حتحور عندما كان طفلا رضيعا . وعندما صار صبيا نراه يقف عند ركية أمه ، ويصمت إلى موسيقى عارلة القيثارة ( رأينا في القاهرة في يوم آخر ، ولدا عازي القدمين يصرخ على قيثارة من نفس النوع بها أوتار حديثة ) . وعندما صار شابا كان يررع الحبوب تكريما لايريس . ويقف صدرة مرسمة بالأحجار الكريمة إلى حتحور . أما ايريس غله بأنفها الطويل المقوف ، وشفتيها الرفيعة ، وطعامها اللصاقة فأنها تشبه إحدى الصور الشخصية التكريمية التي نعرف إليها ضمن نقوش المعابد المصرية . وقد تمثل إحدى الصور التي اللذين تسجلان زفاف كليوباترة إلى بطلميوس فيسكون .

وقد نقش على الحائط الخارجي لهيكل صغير محاور ، كلبان  
 سلوقيان ، وضع حول عقيهما طوقان ، ويظهر هذان أيضا مثل صوريين  
 شخصيتين ، وربما كانا هما الكلبين المفصلين لأحد كبار كهنة ويلة .

وقد نقشت مقابل الكلبين وعلى نفس الحائط تلك النسخة الشهيرة  
 من النقش المذكور على حجر رشيد والذي كان لبسبوس هو أول من لاحظها  
 سنة ١٨٤٣ للميلاد ، وهو نقش غير مرتفع ومكتوب بحط واضح بحلاف  
 ما ذكره أمبير ( بكل ما فيه من تعصب بوصفه فرنسيا من رجال  
 شامليون ) ونسطيح القول بأنه كان محفوظا في حالة أكثر من جيدة .

أما عن هذه النسخة من مرسوم رشيد الممنوعة على حائط قبلة بوصفها  
 صورة طبق الأصل ، فهي نسخة ناقصة ، لأن نص حجر رشيد بعد أن أورد  
 بكل الفخامة الرسمية انتصارات ومخاض الملك بطليموس الخامس الدائم  
 البقاء والمنتم لمصر ، ينتهي بالأمر بأن يدون هذا السجل بالكتابات  
 الهيروغليفية والديوطلمية واليونانية . ويوضع في جميع معايد البرجاء  
 الأولى والثانية والثالثة في كافة أنحاء الإمبراطورية . وتتميز النسخة  
 الثمينة التي من ألبازلت والموجودة في المتحف البريطاني بكافة هذه  
 الاشتراطات ، بصرف النظر عما بها من كسور وتحطيات (١) وعليها  
 النص المكتوب باللفات الثلاث .

#### A percú de l'història d'Egipte

(١) يورد هاريت في نهاية كتابه

- قصة حجر رشيد واكتشاف شامليون كما يلي :

« Découverte, il y a 65 ans environ, par des soldats français qui creusaient un retranchement près d'une redoute située à Rosette la pierre qui porte ce nom a joué le plus grand rôle dans l'archéologie égyptienne. Sur la face principale sont gravées trois inscriptions. Les deux premières sont en langue égyptienne et écrites dans les deux écritures qui avaient cours à cette époque. L'une est en écriture hiéroglyphique réservée aux prêtres ; elle ne compte plus que 14 lignes tronquées par la brisure de la pierre. L'autre est en une écriture cursive appliquée principalement aux usages du peuple et connue par lui ; celle-ci offre 82 lignes de texte. Enfin, la troisième inscription de la stèle est en langue grecque et comprend 54 lignes. C'est dans cette dernière partie que réside l'intérêt du monument trouvé à Rosette. Il résulte, en effet de l'interprétation du texte grec de la stèle que ce texte n'est qu'une version de l'original transcrit plus haut dans les deux écritures égyptiennes. La Pierre de Rosette nous donne donc, dans une langue parfaitement connue (le grec) la traduction d'un texte connu dans une autre langue encore ignorée au moment où la stèle a été découverte. On ne voit l'utilité de cette mention ? Remonter du connu à l'inconnu n'est pas une opération en dehors des moyens d'une critique prudente, et déjà l'on devine que si la Pierre de Rosette a »

أما في قيلة . فانه بالرغم من ان النص الاصل المكتوب بالهيرغليفية والديوطيقية مطابقا حرفيا ، الا انه يقصه النص اليوناني الاصل ، وهو الذي تصفه حجر رشيد في المقدمة ، وقد ترك له مكان فارغ في نهاية لوحة قيلة . وبهي تخيل اما استظما ان تسير هنا وهناك آثار الحجر

— acquis dans la science la célébrité dont elle jouit aujourd'hui — c'est qu'elle a fourni la vraie clef de cette mystérieuse écriture dont l'Égypte a si longtemps gardé le secret. Il ne faudrait pas croire cependant que le déchiffrement des hiéroglyphes au moyen de la Pierre de Rosette ait été obtenu du premier coup et sans tâtonnements. Bien au contraire, savants s'y essayèrent sans succès pendant 20 ans. Enfin Champollion parut. Jusqu'à lui, on avait cru que chacune des lettres qui composent l'écriture hiéroglyphique était un symbole — c'est à dire, que dans une seule de ces lettres était exprimée une idée complète. Le mérite de Champollion est de prouver qu'au contraire l'écriture égyptienne contient des signes qui expriment véritablement des sons. En d'autres termes qu'elle est Alphabétique. Il remarqua par exemple que partout où dans le texte grec de Rosette se trouve le nom propre Ptolémée on rencontre à l'endroit correspondant du texte égyptien un certain nombre de signes enfermés dans un encadrement elliptique. Il en conclut 1. que les noms des rois étaient dans le système hiéroglyphique signalés à l'attention par une sorte d'écusson qu'il appela cartouche. 2. que les signes contenus dans ces écussons devaient être lettre pour lettre le nom de Ptolémée. Or il a donc en supposant les voyelles omises, Champollion était en possession de cinq lettres — P, T, L, M, S. D'un autre côté Champollion savait, d'après une seconde inscription grecque gravée sur une obélisque de Philæ que sur cet obélisque un cartouche hiéroglyphique qu'on y voit devait être celui de Cléopâtre. Si sa première lecture était juste, le P, le L, et le T, de Ptolémée devaient se retrouver dans le second nom propre — mais au même temps ce second nom propre fournissait un K et un R nouveaux. Enfin, appliqué à d'autres cartouches, la rhabel encore très imparfaite révélée à Champollion par les noms de Cléopâtre et de Ptolémée le mit en possession de à peu près toutes les autres consonnes. Comme prononciation des signes Champollion n'avait donc pas à hésiter, et dès le jour où cette constatation eut lieu. Il put certifier qu'il était en possession de l'alphabet égyptien. Mais restait la langue, car prononcer des mots n'est rien si l'on ne sait pas ce que ces mots veulent dire. Ici le génie de Champollion se donna libre cours. Il s'aperçut en effet que son alphabet tiré des noms propres et appliqué aux mots de la langue donnait tout simplement du Copte. Or le Copte à son tour est une langue qui sans être aussi explorée que le grec n'en était pas moins depuis longtemps accessible. Cette fois le voile était donc complètement levé. La langue égyptienne n'est que du Copte écrit en hiéroglyphes, ou pour parler plus exactement le Copte n'est que la langue des anciens Pharaons, écrite comme nous l'avons dit plus haut, en lettres grecques. Le reste est devins. D'hiraces en indiens Champollion procéda véritablement du connu à l'inconnu, et bientôt l'illustre fondateur de l'égyptologie put poser les fondements de cette belle science qui a pour objet l'interprétation des hiéroglyphes. Tel est la Pierre de Rosette. — Aperçu de l'histoire d'Égypte. Mariette Bey, p. 109 et seq. : 1872.



الأحمر في الفراغ الذي كان من المفروض أن تكتب فيه المسطور اليونانية ولكن لم ينقش حرف واحد منها على سطح الحجر .

وإذا نظرنا إلى هذا النقش في حد ذاته فائفا لا نجد غرابة في هذا الصيغ ، ولكننا نسطر إليه مرتبطا بصلب مماثل موجود في نقش آخر يسط عنه هذه ياردات ، وبذلك يصبح الأمر أكثر من مصادفة .

وهذا النقش الثاني محفوظ على صفحة كتلة من صخرة تكسكل جزءا من أساس البرج الشرقي من المصح الثاني، وهو به أن ذكر الأراضي التي أوقفها بطليموس السادس والسابع لصالح للمبد ، ينتهي مثل الحجر الأول بالأمر إلى ينقش هذا السجل الخاص بالصفحة الملكية بالفساتيه الهيرودوتية والديموطيقية واليونانية - أي بلغة الكهنة المقدسة التي كانت تستخدم لدى الفراعنة ، ولغة العامة ، ولغة البلاط . وهذا أيضا ترك المنحوت عمله ناقصا حيث يتوقف النقش عند نهاية النص الديموطيقي تاركاً فراغا للنص اليوناني . وهذا المنحوت الثاني يسمى أحيانا مفسودا ، وليس من الصعب إدراك الدافع لهذا المنحوت وهو أن لغة المجلس الحاكم لم تكن لها شعبية بين المملكات النبيلة المرفقة والكنوتية . وربما كان كهنة فيلة الذين يحتمون بغيرتهم البسيطة والتمردية يغفلون هذه الفترة دون خوف من التمسك بخلاف أخوتهم في الدلتا الذين أجبروا على الانصياع .

ولا نلهم من ذلك أن الحكم الإفرنجي كان بالكلية غير شعبي فإن لدينا من الأمسيات ما يدلنا على الاعتقاد بعكس ذلك فقد كان قاهر الفيلاد

= ونضيف إلى ما ذكره ماريوت أنه قد اكتشف نسخة أخرى مكتوبة باللفات الثلاث عندما كان يقوم بسروراته في سالن ( تاليس ) سنة ١٨٦٥ ويوجد تاريخها إلى خمسة الفسمة من حكم بطليموس يوجينيس ويثمن للنص تاليه برئيس أبنة الله والتي ماته فيما بعد ( سنة ٢٥٤ قبل الميلاد ) وهذا الحجر المنحوت في متحف بولاق معروف باسم حجر حسان أو حرسيم ككروب . ولو لم يكن أنه تم اكتشاف حجر وهيد فلنا كنا سنستلج أن مرسوم ككروب ربما أصبح هذا هاميلتون فيما بعد لاكتشاف ملاح الفلة الفيروقلانية ولا كان هذا الاكتشاف العظيم لم يتم حتى الآن .

ملاحظة مضافة إلى الملاحظة الثالثة . وبعد أن قل تبرره سنة ١٨٦٥ نسخة ثلاث من مرسوم ككروب منقوشة بالفيروقلانية فقط وتلك إلى متحف بولاق . وقد فلت مكتشف هذه اللوحة الإعلان من هذا اكتشاف الأظم وحفظه كما هو بالنسبة حتى أني مسرور . للتعليق بترجم إلى هذه البتة بعد ذلك بظهر لو شيرين يوجد أن مرتحات قل تبرره لغفر بقلبا لخدمة الإفرنجية نوكراتيس المشهورة والتي فلت مجهولة لفترة طويلة . انظر كتاب بترين وهنوت Westcott - الجزء الأول - فترته جمعية لاكتشاف مصر K.P. سنة ١٨٩٦ ج .

المارس في الحقيقة هو مختص حبر . لقد استعاد الاسكندر الأكبر السلام  
 منصر المصري ، واهتم البطالمة بشئون الشمس ، وأشادوا الأسرة التي  
 لم تنصف الاحمال عن الفقراء فقط ، بل واحترمت امتيازات الاعبياء وكرمت  
 رجال الكهوت ، ووهبت الأوقاف للمساكين ، واستمدت العائد من مياه  
 النيل ، ولذلك كان من الصعب على مثل هذه الأسرة أن يفشل في كسب  
 موده جميع الطبقات ، ولابد أن كنهه فيله قد احتقروا لاه هوميروس  
 ولكنهم في نفس الوقت كرموا إلهاد فيليب المقدوني . لقد استطاعوا  
 تمهيد الملك ، فأحوا اسمه بصروف الهجاء الهروغليفية ، وصوروه  
 مرديا ملاسي الزراعة التقليدية ، كما قدموه متوجا بالتاج المزدوج أثناء  
 عبادته لآلهة بلده الجديد ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يصوروا أو يخفوا  
 لاهه ، فقد كانت شيئا دجيبا سواء في نطقها أو كتابتها ، وكان خطرهما  
 في الأماكن العالية يمثل شعارا للمعبودة . فمادا تستطيع السلطة المحافظة  
 إلا أن تكرمه ، وإن تتجاهله كلما كان ذلك في استطاعتها ؟ وهناك نقوش  
 أخرى في هذا المربع يصعب الإنسان أن يلقى عليها نظرة ، وهي للوحة  
 الأولى تيجان أساطين الرواق الشرقي التي لا يشابه منها اثبات ، والنقوش  
 البارزة المنحوتة التي فوق الفريز الهيكل . ومن هذه الأساطين نجد  
 مجسوة غريبة جدا تشبه شجرة الانساب ، تمثل الصقر المقدس جالسا  
 في وسط شجرة على شكل المروحة بين اثنين من المساعدين ، أما المساعدين  
 فاحدهما أحد مجنون على أحد الجانبين ، والآخر أحد الفراس النهر ،  
 وقد تمسك كل منهما زوجا من جزء صوف الخراف .

والآن وقد عبرنا من مشتل الصرح الثاني ، نجد الفسنا في مواجهة  
 بهو الأساطين الذي رأينا له العديد من الصور التخطيطية حتى تخيلنا  
 أننا نعرفه ، وعده للرفة الشاوية لا تساوي شيئا في حضرة الحفيلة .  
 وقد سمعنا البهجة الضديدة كما لو كنا أول السياح الذين يضمرون  
 اقدامهم في هذا الحرم الخلاب ، وفي هذا المكان يبدو أن الزمن قد توقف  
 ساكنا كما في مثل هذا القصر الخالد الذي أخذه كل ما فيه المعلوم على  
 مدى مائة عام من النقوش البارزة على الحوائط ، والمناظر المنقوشة  
 على السقوف ، والألوان التي على تيجان الأساطين ، كانت كلها سليمة  
 وواضحة بشكل لا يصدق عقل . لقد كانت هذه التيجان الرائعة هي  
 المسيرة التي تسعد السياح في مصر على مدى الأزمان . ألهما جميعها  
 مأخوذة عن أشكال الطبيعة مثل زهرة اللوتس في البرعم المتفتح ،  
 والسردى ، والخيل . انها تكشف عن المهارة التقليدية ، وفي نفس الوقت  
 تمتاز بالانساب ما بين الارتفاع والمحيط الاسطواني للأسطون مما يسطى  
 أنطينا بالرشاقة التي تشمل للمنى كله . وهناك اللون قبل كل شيء .

أما اللون الذى تركز فى رقة ومساطة فى رسوم واتر ولاسرت وجورج وهى بوجهه ساحره - أنها البوعية المتدرجة الزرقية ، وهى صودة طبق الأصل من « ملهى التلوى » التى لا تنقل الفكرة البعيدة - كانت كل درجة من درجات اللون ناعمة وهمتية ومتدرجة - فالألوان الوردية مرجانية ، والحضرة متزجة بالورقة ، ومختصرة كالقهور ، مثل النصف العربى من السماء فى أحسية خريفية .

وفيما بعد علما عددا إلى قبلة من الضلال الثانى ، خصصت الكاتبة الجزء الأكبر من الأيام الثلاثة لعمل دراسة متأنية لأحد أركان رونق الأساطين علما ، وجعلت فى صبر عجيب هذه الفروع الدقيقة التى فى طبقات اللون صاعدة إلى المسطرة على سر تركيبها (١) .

إن الرسم الملحق للطبوع من خمر على الخشب يمكن أن يبين ما هو أكثر من مجرد عمل فنية .

ومن وجهة النظر المسارية نجد أن هذه القاعة لا تشبه أية قاعة أخرى شاعناها حتى الآن بوصفها صغيرة جدا ومفتوحة من الوسط نحو السماء مثل الصخرة المركزية المفتوحة فى متروك روماني . وطبقا لأن الصور المسحوح به يعمل وأسيا فى شكل بقعة مربعة على الأرضية التى تحتها ، وينعكس على حنيات السقف للزخرفة بالصور ، وهناك ساحر أصل بين الأساطين فى الطرف العلوى . وتبين الجوانب الخمسة للأساطين المكان الذى انضمت فيه الكتل التى توصل بينها . وكذلك الأرضية قد خلعت

(١) ولست نرجح أن الأساطين هذه من العصور الأولى لباردة القلوب فى دولة حوت مازال وجه بين القرون الباردة المصطفة التى لم يجر الأساطين الكبير الواقع فى الغرب الغربى للمزيرة . . . بعض الفلاح المنزلة التى لم يعمل إليها القوي ، وهى ملونة بالوان جميلة . انظر إلى الزخرفة بالزخرف التى على حوائط الاله فوق الدخول الخائى فى الساحة الغربى ، والتصميمات التى على سلسلة من القرون الأخرى التى تبرز قليلا نحو الشمال . تلك رسمت كلها بطلاقة فى شكل مقصورات وألوان بالألوان الخمسة الثلاثة ، ونظرة إلى المرحلة عريضة مثل على المسطحة المهيبة والقرنة للتأتمية . ومن بين هذه الرسومات التى تستلحق أن نلقبها كـ « لاج » أيضا التجاز المكنن والتصميم الذى جرى تنكيده بالوان زاهية ، زهرة القزى التى وسعت بين كثرين من البرام ، وكفى صغير متمركز على أرضية بالزخرف الأحمر الفلاح ، وبسلسلة من الصغار الخمسة بألوان البيض على أحمر والتقابل مع كوث البيض على أبيض وكلها ولادة للكثير .

ولا يوجد على مايتى القيل بطوله . مثل تلك تخطيطية للدراسة وثائرة للبهجة فى النفوس يفرق رسم هذه القلاع الخفية التى نرى عليها والرسامين بشاعمتها .

منها أحجار الخرف الملوثة التي كانت تغطيها وذلك بمعرفة الباحثين على الكنوز ، وتبعت الكتل المكسورة وقطع الأفرير المحطمة على الأرضية .

وهذه هي العلامات الوحيدة الدالة على التخريب . وهي علامات لم تتسبب فيها أصابع الرمح ولكن أصابع الخريف . لما البقي فهو سليم حتى اننا تمنينا أن نخدع أنفسنا لحظة بالاعتقاد في أن ما شاهدناه ليس الا عملا لم يلحق به ضرر ، وإن هذه الأساطير التي يركز عليها لم يتم إلغاؤها بعد ، وإن أحجار الخرف التي كانت تغطيها على وشك أن يتم تركيبها . ولي يفحصنا أن يجد هنا في صياح اللد الثعابين أو المصوري ومهم الطريقة والأتميل . وهم ينفقون هذه المجموعة من براعم اللوتس والتخيل . ومن الصعب الاعتقاد بأنهم جميعا مهكوك في هذا العمل منذ اثنين وعشرين قرنا مضت .

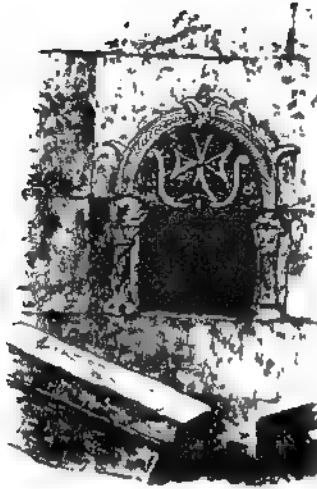
ويرى المشاهد هنا وهناك حيث جرى الإحلال بالأساسيات - ان الأساطير قد انشئت من كتل متحولة ، انشئت من صيد أكثر قسما . بينما يرى على ارتفاع حوالي ستة أقدام من الأرض صليبا من الطراز اليوناني ، محفورا في جانب قصة السهم التي تركز على عمودين علامه على ممارسة العبادة المسيحية ، ذلك أن الأباطرة الذين أحاطوا القاعات والأبنية بأكوامهم تسربوا أيضا الى المأبذ . وقد عمدوا بضمها للحصول على مواد البناء بينما استعملوا على البطح الآخر .

ولا نعلم كم عدد المأبذ التي خربوها ، ولكننا نرى دويرين كبيرين على الضفة الشرقية في نعل النهر ، وكنيسة صغيرة من الطراز البيزنطي في الطرف الشمالي من الجزيرة . ويبدو أن هذه المأبذ قد بقيت بأحجار رصيف الميناء الجنوبي ، والكتل الحجرية التي أحلت من مبنى كان يحتل الركن الجنوبي الغربي من الهيكل الكبير .

لما فيما يتعلق بهذا البهو الملون فقد حولوه الى كنيسة صغيرة ، وأقاموا مقصورة صغيرة في الحائط الشرقي ، وهناك مذبح مغلوب مأخوذ من كتلة منفصلة من الصخر الجيري تشير الى مكان القسم الشرقي من الكنيسة وهو المخصص للتساوم والارتلين . لما الحرب الذين اتخذوا من هذا الصرح الأخير شواهد للقبور فقد قلبوه رأسا على عقب ، حسب عاداتهم يحدثا على الكثر المغبون مع الأموات . ومرة أخرى يظهر الصليب



الأسكنة المملوكية في جامع حلب الكبير بجزيرة حلب



• مقصورة مسيحية قديمة في جزيرة أيلة •

اليوناني على مقعدة المديح (١) وفوق المقصورة التي رُفِفتها بالنقوش  
البيرنطية البدائية يد غير حاضرة ولكنها متدينة •

ان اثناربخ الديسي لجزيرة فيلة عجيب لدرجة تثير الشفقة نظرا  
لمدم قيام أحد من المؤرخين بدراسته • انها تتقاسم مع أييدوس وبعض  
الاماكن الأخرى السمعة القاتلة بأنها هي المكان الذي دفن فيه أوزوريس •  
ولذلك كانت تدعى « الجزيرة المقدسة » ونفس تربتها تربة مقدسة •  
وكان لا يسمح لأحد بالهوط على شواطئها أو حتى الاقتراب منها بدون

---

(١) أشار كاتب في مجلة ساترداي ريفيو Saturday Review الى ان هذا  
المديح قد اقيم من قطعة صخرية أُخِذت من خروبع كان حطونا فيه أحد الصقور نرى كانت  
تعبد لتقليسا لاله حورس ( ملحوظة مضافة الى الطبعة الثانية ) •

مصرح • ويتطلب الحصول على هذا التصريح والقيام بالحج الى قبر الاله  
— الذي يمثل بالنسبة للمصري الصالح ما يمثل الحج الى مكة بالنسبة  
للمسلم للصالح — الكتبخ من العنا • وكان أكبر قسم يقسم به المصري  
هو • باسم ذلك الذي يرقد في عيلة •

أما صى وكيف اعتبرت الجزيرة لأول مرة مكان الراحة بالنسبة  
لأحب الآلهة فهذا أمر لم يكتشف بعد • ولكن يبدو ان تمتع الجزيرة  
بسمعتها كمكان مقدس يعود الى تاريخ حديث • ولايه أنها ثالث أهميتها  
بعد اصطحلال أبيفوس • وقد قام هيروdot — الذي يفترض أنه وصل الى  
المنشئ — بالاستسلام الفتيق حول ما يتعلق بحالة النهر بعد هذه النقطة  
وذكر ان التلال كان تحت اصطحلال • البنى الإتيوبيين • ولا يذكر شيئاً  
عن فيلة لو مسايفها • وهذا الهدف الذي قام به شخص عرف عنه أنه  
كان يقوم بدراسة مجتمع الكهنة في كل بلد ذهب اليه — واعتم اهتماما  
خاصا بالشعائر الدينية للقبعة في البلد • مما يبع أن هيروdot لم يذهب  
الى أبعد من ذلك • أو أن الجزيرة لم تكن قد أصبحت بعد عزلا لأسرار  
أوزوريس • وبعد ذلك بأربعمئة عام يصلها ديودور الصقل بأنها أقدم  
الاماكن المقدسة • بينما يذكر استرابون الذي كتب تاريخه أثناء عصر  
الفترة الرومانية أن أبيفوس قد قضت مكانتها حتى صارت مجرد قرية  
ولذلك فربما يكون كهنة أيريس قد هاجروا من أبيفوس الى ليلة حلال  
فترة تالية لمصر هيروdot وسابقة على عصر ديودور واسترابون •  
ولا يصح هنا بأية حال أنه كان انتقالا رسميا ليس فقط لرجال أوزوريس  
بل أيضا للكهنة التي كانت مرتبطة بموضع راحتهما الأصلي على مدي  
المصور • ولا يحتاج الى بيان المانع لهذا الخروج • فلم تعد بنيايا الاله  
آمنة في أبيفوس التي تقع في وسط منطقة ريفية غنية بالقمح على طريق  
حيية • ولم تكن أية مدينة جنوبى تمتع أكثر منها بتمرضا لمخاطر الحرب •  
لقد مر قبيير من هذا الطريق • ولا بد أن غزاة آخرين قد تبعوه • ولذلك  
يبدو أن البحث عبر الحدود من الأمان الذي لم يعد موجودا في مصر  
هو السبب الواضح لمسيرة جماعة الكهنة الذين خصصوا أنفسهم لهذه  
الشفة • وبالطبع فإن هذا مجرد تخمين قد تكون له قيمة • ويتنازع ديمور  
أبيفوس في كافة الأحوال مع نمو مكانة فيلة • ولا يستطيع الاستسار أن  
يتقهم كيفية ارتفاع شأن هذه القبة فيلة الى هذه المكانة الرفيعة دون  
الاستماتة بمثل هذا الافتراض •

لقد بنى المصد الأقدم هذا والذي لم يخطئ منه الا روى صغير  
بسرقة آخر الترابعة الوطنيون ( نختنبو الثاني - ٣٦٦ ق م ) • إما أكثر

أيام قبله ارتدحاراً فهي التي تنتمي إلى الحكم اليوناني الروماني . أنها أيام البطالة التي أصبحت هذه الجزيرة لنفسه خلالها مقراً للمدرسة دينية ومعقلاً لسلطة الكهنة القوية . وكان الروان من كافة أرجاء مصر ، والسماح من الأراضي البعيدة ، وموظفو البلاد المحملون بالفتح للكنيسة ، يأتون سنوياً في جموع عظيمة لتقديم فصولهم عند قبر الإله . وقد تقدموا المئات من أسماءهم في كافة أرجاء المعبد الرئيسي كما يصل السماح اليوم . وقد كتبت بعض هذه الأسماء فوق أسماء دوار آخرين سابقين ، بينما نقشتم أسماء غيرهم من الزوار على الأحجار بعد نحو الأسماء التي كانت مكتوبة سابقاً . وكذلك حطرت أسماء أخرى على سطح المختل وبوابة الصرح اللذين لم يجرحاً بعد . لأنها تبدو أقدم من النصوص الهيرغليفية . انسى حفرته عليه فيما بعد . وتغطي هذه النقوش فترة استغرقت عدة قرون . وهي الفترة التي تولى فيها لوسال الأول والثاني إلى الجزيرة بمعرفة ملوك البطالة والبصرة المتتاليين . وفي سنة ٣٧٩ للميلاد أصبحت المدرسة الدينية ، القسبية بترواتها ومساكنها وأساطيرها المحلية التي لخصتها ، قوية بما فيه الكفاية لكي تفرض عقاباتها السلبية ضد منشور إيودوسيوس ، ذلك أنه بكلمة واحدة صادرة عن القسطنطينية صارت كل أرض مصر مسيحية ، واعتنق الكهنة - بسبب الخوف من عذاب الموت - عن ممارسة الشعائر الجنازية المقدسة ، وسلبت المئات من المعابد ، وتم تحطيم أربعين ألفاً من تماثيل الآلهة في هجبة واحدة . وفي نفس الوقت سوحصر كهنة فيلة خلف الحلال والصحراء للبقاء على حجارة نظامهم وخزائن عقيدتهم القديمة (\*) ولا يعرف بالتأكيد الكلمة التي استمروا يهتمون فيها بامتيازاتهم الكهوتية ، ولكن نقوش من النقوش التي ذكرناها عاليه يدلان على أن المائتات الكهنوتية كانت لا تزال تحتل الجزيرة حتى سنة ٤٥٣ للميلاد . وأنها ظلت تحتفل بأسرار أسطورة أيزيس وأوزيريس . ويبدو أن هذا هو السبب في الاعتقاد بأن المبلدة القديمة أصبحت قائمة حتى نهاية القرن السادس للميلاد ، وهو الوقت الذي تسكن فيه سينكو ، ملك جميع الإثيوبيين ، الذي كان مسيحياً ، من غزو جنوب النوبة من تبي حيث أعطاه

---

(\*) لقد حُفرت لمسيكته المائلة إلى حصى جديد ولم تستطع بها تخفيته من يداعات انقصار المسيحية في مصر إلى تغطي حرم إقامتها بمرارة التاريخ الحقيقي لهذه الفترة لأن الانسحاب الذي تمتعت به حصن من جانب الرومان للمصريين اللذين كانوا قد دخلوا في المسيحية منذ التديلات وليست للتراسيم التي سمعت من الرومان بالاعتراق بالمسيحية هجبة وسجية إلا ذلك لولف الانسحاب الذي عارضوه - ( الترجمة ) .



الرب الانتصار ، وأقسم له الصليبيون بأنهم على مراعاة شروط السلام -  
وذلك بناء على تفش موجود في سيد كلايشة (١) .

وليس في هذا السجل شيء يبيح أن الفزاة قد ضلوا إلى أبعد من طاب  
Tafa التي كانت تشتهر قديما باسم Taphis وهي تقع على بعد ٢٧ ميلا  
جنوب فيلة ، ولكن من المقول أن يستنتج أنه طلكا كانت الآلهة القديمة  
تحكم في أي جزء من النوبة - فاب الجزيرة المحصنة لمبادة لوزوريس ظلت  
محتفظة بقدميتها التقليدية - ولابد أنه كان هناك يوم مخصص لتسويج قبر  
الاله بالأزهار وانضاد هراثي إيزيس على أعقاب المبد - ولابد أنه كان هناك  
يوم آخر ارتفع فيه الصليب منتصرا فوق هذه الأساطين الملونة ، وأقيم  
أول قدس مسيحي في الحرم الوثني ويود الاسان أن يعرف كيف حدثت  
هذه التغيرات ، وحمل أضحت العبادة القديمة لأصناف المريدن منها ؟  
أم أنها أريدت بالقوة ١٩ ، والتاريخ غير واضح في هذه النقطة (٢) ، كما أن  
عوض تلك الفترة لم تذكر شيئا - لنا سرف فقط أن العبادة القديمة قد  
انتهت ودخلت العبادة الجديدة ، وأنه حيث كان سيد لوزوريس المقام في الموت  
حسب أقدس أساطير الطقوس المصري القديم ، صارت عبادة المسيح الدائم  
من ميه الأموات بعد نشأة الكنيسة القبطية في عصورها الأولى - والآن ، فإن  
الجزيرة المقدسة التي كان من المعتقد أن الأسماك لا تستطيع أن تسبح

(١) كانت جزيرة فيلة في مصر استرايون كما وصفها البروفيسور وغير Berthelot  
في كتابه *Seconde Mémoire sur les Hieroglyphes* حكاه عالم المسمريين والنوبيين  
أو على الأصح تلك الدولة الفلتسية التي أطلق عليها اسم البليسي الذين كانوا يصنعون  
مع يفر التيهاد والمجاير في تلك الوقت طيلة واحدة من ه الأبحس ، وكان البليسي ( أجداد  
من يطلق عليهم حاليا اسم البرابرة ) جنسا شجعنا ونهمه البس ، وقريا بما فيه الكفاية  
للتعامل مع الحكام الرومان الذين حكموا مصر وكانوا عبادا عظميين للآلهة إيزيس  
ومن المثير أن يعلم أن ملكسيتين في معاملته مع هذا الصنف الشهير أنه ه طيلة للظنور  
القديم ه يسمح لضبح البليسي إلى يملأوا شمال إيزيس من سيد فيلة إلى بانهم للزيارة  
لغرة متفقا عليها - ويذكر نظري فيلة الذي غشه ليقرون *Ammon* إلى الكتاب  
( يقصد استرايون ) كان موجودا في فيلة عند أمانة تتقال الآلهة من أصدى هذه  
المجالات للنوبة ، وأنه شاعر وحسب القوارب القصص التي حدثت مرار المتقابل الماسة .  
ويتضح من ذلك أن هناك تماثيل تحوي بثلاثة تتقال إيزيس كانت تنقل إلى إثيوبيا روما  
كانت لأورديوس وحوس ، وربما أيضا لتمنور المرقسة القصص - ( ملحوظة مضافة إلى  
الطبعة الثانية ) .

(٢) يجمع الفضل إلى الأميراتور جستيان في تشويه تقيون المسيد الكبير ، ولكن لابد  
من هناك ما يدل على أن هذه المسألة القصية قد توفقت مؤقتا في الفترة التي حكم فيها  
الأمبراطوريه

على شواطئها ، ولا تستطيع الطيور أن تطير في أرجائها ، ولا يستطيع  
 حاج أن يطا أرضها بقلميه يدوى تصريح ، أصبحت على الفور ملكية عامة  
 ومقاسما لجميع الناس - وانتشرت المساكن الصغيرة للبيتية من الطوب  
 اللبن بين القاعات ، والأروقة ، وحتى الممرات المسقوفة - وبنيت كنيسة  
 صغيرة على الطرف البازيليكي في الطرف الجنوبي للبحيرة - وتحول بهو  
 لأميد الكبير الى كنيسة صغيرة كرسيت لاسم القديس إسطفانوس - ويقول  
 نقش يوناني حرق هناك بيد راسب عاش في تلك الفترة أن « هذا العمل  
 العظيم قام به رئيس الدير الأسقف ثيودور حبيب الله » - ولا نعرف شيئا  
 عن هذا الأسقف - الذي وصفه نص آخر بأنه القديس الطليمس -  
 إلا اسمه فقط .

ونستقي الحواشي في كل مكان هنا بهذه السجلات الطاهرة ، فوجد  
 أن أحد الكتاب المقيمين كتب قائلا : « لقد انتصر الصليب ، وسينصر  
 دائما » - بينما ترك كتاب آخرون توقيعات بسيطة مثل « أنا يوسف »  
 في مكان ، و « أنا تيودور سيموس الذي في البوابة » في مكان آخر - وتعد  
 هنا أو هناك بعض الكلمات الاممالية التي تنطى أهمية انشائية للتوقيع .  
 قل سبيل المثال نجد في شريحة مثيرة أحد التوقيعات لشخص يقول عن  
 نفسه « المهد يوانس » ويبدو أحيانا أننا نقرأ قصة حياة أحد الأفراد  
 في سطر واحد - وقد اعتقب رسم علامة الصليب هذه التوقيعات البسيطة  
 كلها -

وما زالت أساسيات الكنيسة الصغيرة التي من الطراز البازيليكي -  
 والتي تتجه الشرقية ( المحراب ) فيها نحو الشرق ، بينما يتجه المختلن  
 نحو الغرب - ظاهرة ويمكن تتبع آثارها - وقد خصصنا النص من يمارنا  
 ثمة يوم كامل لازالة القمامة التي حول الطرف الجنوبي من صحن  
 الكنيسة - وهناك وحدنا للمبودية - وهي حوص من الحجر غير المستقر  
 عند قاعدة أسطون مكسور -

وليس من الصعب تخمين ما كانت عليه جريرة قبلة على أيام رئيس  
 الدير الأسقف ثيودور وأتباعه ، ولكننا نعلم أن الكنيسة الصغيرة التي  
 من الطراز البازيليكي كانت لها مجموعة من القباب الطينية فوق السقف ،  
 والتخيل أن رئيس الدير وزعيانه قد أقاموا في هذا الصنف من الصوامع  
 التي تقع على الجانب الشرقي من البهو الكبير حيث كان يسكن كهنة  
 ايزيس قبيلهم - أما عن القرية فلايه أنها كانت مثل الاقصر - مدمجة  
 بالحياة الكنسية - ومليئة بالقسوس الذين يخدمون الأطفال ، وصياح الطيور  
 الملجنة - ونباح الكلاب ، ويرتفع منها ولدت الظهور اعمدة رقيقة من اللسان

الأزرق . ويتطوَّب في أوجاعها صدى رنين الجرس الذي يدعو إلى الصلاة صباحا ومساء . وتنام ليلا في سكون كما لو لم تكن هناك آلهة مشعوذة شبيهة بالديابلين ، ظل عليها في خلال ضوء القمر بشكل ينير الأشجار .

والآن انقضت الآلهة نفسها ، فالتقىم التي أفرقتها عن عرشها قد انزلت هي الأخرى عن عرشها . أما رئيس الكهنة الأسقف ثيودور وخلفاؤه والديانة التي مضروها ، وبسطه الناس الذين أنصتوا إلى تعليمهم فقد ذهبوا وغابوا في طي النسيان . لأن كنيسة المسيح التي ظلت ضميمه في مصر ، قد اندثرت في العويدة . وقد بقيت فترة طويلة - بالرغم من الشك في أنها كانت تحتل شكلا متخلفا وثيريا - مثل ذلك الذي يبدو عليه في أثيوبيا حتى اليوم . ولكن الإسلام احتسها مؤجرا ولم يبق إلا دمي مغرب جالسا هنا أو هناك فوق بعض المنصات المنعزلة ، أو قليل من الصليبان المشعرة بدون عناية على حوائط المبد البطلسي ، وقد بقيت دليلا على أن المسيحية مرت يوما عن هذا الطريق (\*) .

أما التاريخ الوسيط لجزيرة فيلة فهو مجهول . إن العرب وقد غرروا مصر حوالي منتصف القرن السابع الميلادي ، قضوا وقتا طويلا فوق الأرض المصرية قبل أن يبعثوا في عظم الآداب ، وأعضوا ما يريد على ثلاثمائة عام في صمت ، ولم تظهر أية لوحة هابرة من فيلة مرة أخرى قبل القرن العاشر الميلادي . فقد انقضت الحدود الآن إلى شماله الضلال . وتولفت الجزيرة المنعمية عن موارسة وضماها المسيحي ، وتوقفت أيضا عن موارسة وضماها النوبي . أنها الآن كتضمن مسجدا وقاعة عسكرية وهي آخر نقطة حدود إمامية للمسلمين . وما زالت كحجر وستظل كحجر اسمها المصري القديم لمعة قرون قادمة ، وتقول إن بيلاق المذكورة في النقوش الهيرغليفية ( بحرف P الذي يصحح B في اللغة العربية ) أصبحت

---

( بلا ) عجبت لهذه السيمية المسيحية التي كتبت هذا الكلام وخبره مما ورد في مواضع أخرى من الكتاب . وهو كلام أثل ما يقال عنه أنه ملهم بالحقد المرير على المسيحيين الذين تنتمى إليهم خاصة الأقباط وكنتهم القليلة المصرية كنيسة الشهداء والتي حصه للمسيحية خلال عصورها الأولى قيام التنصليات وما تلاها من الاضطهادات ، وكسدي رجالها لكل حوامل القاء وتقدموا للاستشهيد وهم يتقدمون فرحين - ولكنني لا استعجب مثل هذا الكلام من سيرة لتجربة احتلت مولاها مصر وبلغت فيها ميلا ( فرق الله ) للارثية بين الأقباط والمسلمين ، ولم تنجح مما قرأه شعور هؤلاء القبطاء - ( للترجم )

بيلا في اللغة العربية ( يعرف B ) وهي أكثر شيها بالأصل من فيلة  
وهو الاسم الذي أطلقه عليها الإغريق (١) .

وفي نفس الوقت كان المواطنين المسيحيين يظهرون وقد أدتوا إلى  
حالة نصف بربرية . أنهم يشتمون عذرات دائمة على الحدود العربية ،  
ويقاسون دائما مראה الهرمية . أنهم يخوضون للشارك ويستصوبون  
الضرائب ، ويعقدون المصالحات ويخربون شروطها . وعند نهاية القرن  
الثالث عشر قتل ملكهم ونهبت كنائسهم ، وفقدوا ربع مساحة أرضهم ،  
بما فيها ذلك الجزء الذي تسهل أسوار صمن حدوده . أما هؤلاء الذين  
ظلوا مسيحيين فقد أرموا بندق حربة ستوية ، بالإضافة إلى الضرائب  
المدنية المفروضة على البلج ، والمعيد ، والجال ، وتستنتج من ذلك أنهم  
قلوا الإسلام من العرب ، كما قبلوا من قبل عقيدة أوروريس من أعضاء  
المصريين ، والمسيح من الرومان . ولم بعد نسمع عنهم شيئا بوصفهم  
مسيحيين ، لأن للمسيحية في النوبة قد تلاشت من الجلود والفروع ،  
ويقال انه لا يوجد قبلي الآن في منطقة الحدود .

وكانت فيلة ماهرة بالناس سنة ١٧٩٩ ميلادية عندما احتلت  
البحرية تجريد من جيش ديزمة بقيادة الجنرال فيليارد ، وتركت  
بعضاً (٢) فوق الساقب الفاضل لصل البهو الكبير أحياء للذكرى عبور  
الشلال ، ويذكر دينون عند وصفه المظهر خطبة روحه للمتاحة كيف أن  
المواطنين قاوموا في النهاية ثم هربوا أمام الفرنسيين ، وألقوا بأنفسهم في  
النيل ، وأغرقوا أطفالهم الذين لم تسمح أمهاتهم بالسباحة ، ثم هربوا في  
الصحراء ، وظهروا في هذا الوقت بوصفهم مجرد عشوائيين فكانت النساء

(١) توجد هذه الفاصلة وغيرها من الضمانات المنطقة بالمسيحيين النوبيين في كتاب  
الفرنسيين . وهو مؤرخ عربي من القرن الخامس عشر نقل الكثير من الآخرين السابقين .  
انظر كتاب بوردشارد Borchardt ومتراه في Travels in NUBIA . للجزء  
الرائع - نشر سنة ١٨١٩ الطيول رقم ٢ - والفرق مما ذكره من أن بيلا جزيرة مجاورة  
للشلال وتبعد أربعة أميال عن لسان الآلة يمر على اتها تقع ضمن الجزء الذي في جنوب  
البحر ، وأن فيلة هي أول مدينة نوبية بعد الحدود . ولم تكن الأبجدية الهيروغليفية . اد  
حلت محلها حيث كان ذلك مات بالقاهرة سنة ١٨١٧ .

(٢) هذا القلق الذي يظهره مسيحي نوبت أهم الناقضات الموجودة في فيلة وحتى نسبه  
كما يلي : - في السنة السادسة للجمهورية وفي ١٨ من شهر ديسمبر . نقل جيش  
فرنسي بقيادة ليجنرال يوناتيرت في الاسكتلندية . وبعد عشرين يوماً هم المالك في موقعة  
الأمراء ، وقام بيزيد الفرقة الأولى وتبع فيلة للملك حتى الشلال الذي وسطها في ١٨  
من شهر يناير من السنة السابقة .

كتيبات ووجهات الوجوه ، وكان الرجال عراة ، ونصاف الحركة ،  
ومشاهين ، وكانوا مسلحين ليس فقط بالسيف والرمح ولكن أيضا  
بسادس يتم حشوها بالبارود ، وقد استخفوها لاطلاق « نيران سريعة  
ومركزة » .

وربما عاد رحيلهم عن الجزيرة الى هذا التاريخ ، فمتسا ذهب اليها  
بوحارت سنة ١٨١٢ للسيلاد ، وجعلها كما تبدو حتى اليوم ، مهجورة  
وحالية - ولم يكن يسكنها سوى رجل عجوز فقير هذا اذا كان لا يزال  
حيا ، وأتشك في قدرته على عبورها من بيته في الموسم السياسي . انه  
يطلق على نفسه اسم الوصي على الجزيرة صوا ، عن طريق السلطة الو  
بدونها ، وينام في كومة في الحرق البالية والقلى في ركن محلي حلب المبد  
الكبيس . وهو مجهد الوجه ومحتي الظهر ومتكفي . بحيث لا يظهر منه  
ما يدل على انه حي سوى عييه . وقد أعطيناه حسيق بارة ( حوال جيهي  
وسنة بسلسات بالعلبة الانجليزية ) عند رحيلنا في طريق العودة الى مصر ،  
ولقد ذهول لدى احساسه بهذه الثروة حتى انه اسرع بفعل هذا الكنز  
وتوصل اليها الا نخبر أحدا بما أعطيت له . ومع الحصاد الفرنسي وعروب  
السكان الوطنيين ، أغلق الفصل الأخير في تاريخ قبيلة المحل . ووقعت  
الجزيرة المفلسة بعد ذلك في خضم حرب الصراعات العقائدية أو الملكية -  
واحتلت من صفحة التاريخ ودخلت صفحة العلم . وقد امتازت الجزيرة  
بمساهمتها في اكتشاف الأبيدية الهوغليبية - ولا يكاد يغفل أي وصف  
لجزيرة فيلة - مهما كان سيظا - من المسلة التي امتدت شامبلون باسم  
كليوباترة . وهذه المسلة التي تلي حجر رشيد في الأهمية اللغوية قلها  
مستر و . بانكرز Mr W Bankes مكتشف اللوحة الأولى في أيدوس -  
الى دورستشاير . وتبقى مكانها الخالي ، وقلتها المسلة الأخرى مقسوة  
وتمنلة دون أن تنقل من مكانها الأصل في الطرف الجنوبي البعيد من  
الجزيرة .

لما الآن وبعد أن مكثنا في البهو مدة طويلة فقد حان الوقت لامتاع  
النظر في داخل المبد . ولذلك فأنا سندخل من الباب الأوسط الذي تفتح  
خلفه شمس أو عشر قهجات وسجرات جانبية قود الى الهيكل . كما هي  
المادة ، وكل شيء هنا مظلم ومترب ومفقر . وقد وجدنا في الحجرات  
التي لا يصل اليها أي شعاع قادم من الخارج ، حوائط ذات لون أسود  
بسبب المعتان ، ومنطاة بالقوى البارزة ، كما وجدنا ممرات مربة سوداء  
تشق طريقها في باطن الجوانب السمكة وتتقابل عن طريق فتحات تشبه  
الثغف وتحتها أقبية . وهناك مدبح مقل في الهيكل . بينما تقع في الركن

حده الحية التي لا يد ولا يكون استرايون قد شاهد فيها ذلك الصقر  
الاثيوي المسكين الذي وصفه بأنه « مريض وميت تقريبا » .

ولكن هناك في ذلك السيد ، المخصص ليس فقط للالهة ايريس بل  
أيضا للكرى أوذوريس وعبدته حورس اينها ، توجد حجرة لا شك هي  
الاسترايون لم يشاهدنا وكذلك ديودور ، ولا أي غريب ينتمي الى علية  
اجنبية هما كانت سمعته او مصلته . انها حجرة أكثر قفصية من بقية  
الحجرات . لأنها الترفة المخصصة لأوذوريس وبالطبع حتى غير مقيدتين ،  
ولا مسوعين ، بل أحرار في أن نطش حيثما نشاء . وتذكر لنا الكتب  
التي بين أيدينا أن هذه الحجرة السرية تقع في مكان ما فوقنا ، ولذلك  
نقدمنا مرة أخرى الى ضوء النهار ، واعتدلتنا سلمنا بالها يعود الى أهل  
السلف .

وهذا السلف مكان معقد جيئة وذهابا ، ومن الصعب العثور على  
الحجرة . انها تقع عند قاع سلم صغير على شكل حجرة صغيرة يبلغ حجمها  
حوالي اثني عشر قدما مربعا ولا يضيئها إلا المنفل . وكانت حوائطها  
ملطخة بتقوش تمثل مقاصير ، وتحنيط ، وبعث أوذوريس (١) وتحتوي

(١) أما قصة أوذوريس ، الإله الكريم ، سيد الإنسان ، الذي قتله تيفون ، ومنقذ  
أطفاله ، ثم دفن في عدد من القبور وبذلك منه ايريس ، واستعادت طيرافه واحدا  
فولدا ، وأعيدت اليه الحياة ، وانتقل من الأرض ليحكم الأموات في عالم الظلال - هذه  
القصة تعتبر لكثير الأساطير المصرية تقليدا - ورواية أوذوريس القتل في الصعيد من  
النواحي ، وهو يحمي الخير المطلق ، ويطلق عليه اسم « الملك النظيف » وهو يظل في  
شكل أسطورة من القصة المسمية ، ويصل شعبا شبيها بالآله برومبيوس اليوناني  
والآله بلسمس الهندي

« Osiris, dit-on, était autrefois descendu sur la terre. Fière bon par  
excellence, il avait adouci les mœurs des hommes par la permission  
et la bienfaisance. Mais il avait succombé sous les embûches de Typhon,  
bon frère, le génie du mal, et pendant que ses deux sœurs, Isis et Ne-  
phthys, recueillaient son corps qui avait été jeté dans le fleuve, le  
dieu ressuscitait d'entre les morts et apparaissait à son fils Horus, qu'il  
installait son vengeur. C'est ce sacrifice qu'il avait autrefois accompli  
en faveur des hommes qu'Osiris renouvella ici en faveur de l'âme  
dégagée de ses liens terrestres. Non seulement il devint son guide,  
mais il s'identifia à elle ; il l'absorbe en son propre sein. C'est lui  
alors qui, devenu le défunt lui-même, se soumet à toutes les épreuves  
que celui-ci doit subir avant d'être prochainement justifié. C'est lui qui à  
chaque âme qu'il doit sauver, fléchit les gardiens des demeures inferna-  
les et combat les monstres étonnantes de la nuit et de la mort. C'est  
lui enfin qui, vainqueur des bêtes, avec l'aide d'Horus, s'adresse  
au tribunal de la suprême justice et ouvre à l'âme déclarée pure les  
portes du séjour éternel. L'image de la mort aura été embaumée au  
soleil qui disparaît à l'horizon du soir, le soleil resplendissant du »

« matin sera la symbole de cette seconde naissance à une vie qu. cette fois, ne connaît pas la mort.

« Osiris est donc le principe du bien. chargé de sauver les âmes de la mort définitive, il est l'intermédiaire entre l'homme et Dieu, il est le type et le savor de l'homme. - Notice des Monuments de Boulaq - AUG. Mariette Rev. 1872, pp. 185 et seq.

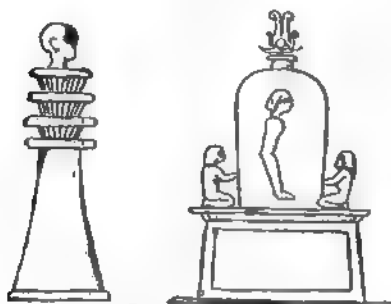
وقد اقر علماء المصريات كلمة مسلم بها ان اوزيريس في الاصل هو الله المحلي  
عبيبة اوزيريس وان اوزيريس كانت مهد اسطورة اوزيريس - وقد بين مسير ماسبيرو في  
بعض مصمحاته الأخيرة هي كولدج دي غراس ان اسطورة اوزيريس ظهرت في الدنيا  
وان اوزيريس كان يدعى في موش قديمة مدينة باسم ملك اوزيريس « مسند الأموات »  
( بورويس ) وكان اسمه حطوتسا داخل حطوتسا ملكي رضى بذاقة الحكم بيوانى  
نورمانى كانت (دنيستان السلى حكما اوزيريس عما بورويس ومنسب لفظ .

« Le centre terrestre du culte d'Osiris, était dans les cantons nord-est du Delta, situés entre la branche Sébennitique et la branche Pelusiacque comme le centre terrestre du culte de Sit, le frère et le meurtrier d'Osiris les deux dieux étaient limitrophes l'un de l'autre, et des rivalités de voisinage expliquent peut-être en partie leurs querelles

Tous les traits de la tradition Osirienne ne sont pas également anciens le fond me paraît être d'une antiquité incontestable Osiris y réunit les caractères des deux divinités qui se partageaient chaque nom. Il est le dieu des vivants et le dieu des morts en même temps le dieu qui nourrit et le dieu qui détruit. Probablement, les temps où l'on avait pitié pour les mortels si leur ouvrir l'accès de son royaume, avaient été précédés d'autres temps où il était impitoyable et ne songeait qu'à se venger. Je crois trouver un souvenir de ce rôle destructeur d'Osiris dans plusieurs passages des textes des Pyramides où l'on promet au mort que Harthouti viendra vers lui 'déliant' ses liens, brisant ses chaînes pour le délivrer de la ruine. Il ne le délivra pas, Osiris si bien qu'il ne mourra pas, mais il sera glorieux dans l'horizon. Solide comme le Did dans la ville de Didou' L'Osiris farouche et cruel fut absorbé promptement par l'Osiris doux et bienveillant. L'Osiris qui domine toute la religion égyptienne dès le début, c'est l'Osiris Onnotris. L'Osiris Ebe bon, que les Grecs ont connu. Comme ses parents, Sbou et Nouf, Osiris Onnotris appartient à la classe des dieux généraux, il ne sont pas confinés en un seul canton, mais qui sont adorés par un pays entier. See Les Hypogées Rouges de Thèbes (Bibliothèque critique de la religion égyptienne) par Professeur G. Maspero — Revue de l'histoire des Religions, 1888 (2nd édition)

« ان العناصر الفكرية والطبيعية أوضح من ان يتم لها بطريق خاطئة . ان اوزيريس  
واوزيريس هما النيل زمر . وتمثل اسطورة اوزيريس السنة القسسية . أما قوة اوزيريس  
في الشمس في نصف الكرة الجنوبي . فترة الانقلاب الشتوي . ويمثل مجلده حورس  
الانقلاب الربيعي . وانتصار حورس هو الانقلاب الصيفي وفيلسوف النيل . أما فيلون هو  
الاعتقال الخريفى . انظر كتاب مسير وعمره Egypte place in universal History  
المجلد الأول من 187 . ويلنر فيرونوف في كتابه الثاني ان المصريين جميعا هم  
يشتركوا في عبادة جميع الالهة فيما عدا اوزيريس واوزيريس اللذين صعدوا جميع  
المصريين .

كل من هذه المقاصير ذات الأشكال المختلفة على جزء من جسمه • فرأسه مثلاً يستريح فوق مقبلات للذليل • ودعاه التي تمثل رأسه ، قد نقشت على اسطوان رأسى على شكل يمثل للفرقة مرتفعة الكتفين يطلو أسفه إعطية إتراسي المقصصة ثلاثة ، أما رجله وقمصاه فانهما يرقطان بكامل طولهما في شريح على شكل صرح المعبد •



ويقف في مقصورة أخرى مرتدياً تاجه الذي يشبه تاج الأسقف ، وهو يرتديه بوصفه قاضياً للمالم السفلى ، وتقوم إيزيس ونفتيس بحراسة كل من الضريحين • ونرى في أرميز سفلى مومياء الإله موشوعة على بعض وقد وضعت تحته الجرار الأربع التي تسمى الأواني ذات الفتحة الذي يشبه القبة canopic jars (١) •

(١) هذه الجرار المصنوعة من الفخار ، والذهب ، والفضة ، كان موزعاً ينقسم في أطراف الأجزاء الثلاثة أو الأقسام التي كانت مستخرج متصلة وتحتنق فيها • وكان عندما تربية مصنوعة على شبه جدران الهادئة الأربع التي تشير إلى الجهات الأصلية الأربع • انظر كتاب بيرسي وحترانه Guide to the first and second Egyptian rooms المأخوذ سنة ١٨٧٤ من

٨٩ وانظر كتابه الثاني وحترانه : History of Ancient Pottery المنشور سنة ١٨٧٢ • من ٢٢ وما بعدها •





وعلى بعد قليل يرقد الآله مساكنا ، تحيط به براعم اللوتس فوقه  
سيقان طويلة تمثل النمو أو عودة الحياة (١) . وأجرا فإنه قد رسم  
ممدحا على أريكته ، وقد أعيد توصيل أطرافه ورأسه ويده اليسرى وقدمه  
اليسرى مرفوعة كما لو كانت تمثل حالة استعادة الوعي، بينما تقوم بيفثيس  
في ثياب حسي مجنح بالذهوب عليه بتفخ لكمة الحياة .



(١) وعلى ذلك قلته يسمى « أوديريس قلبي بيتح الجذور » ( حلوقة حشافة كلى  
الطبعة الثانية ) .

وتلق أيريس يدراعيها الميسوطتين عند قفصيه ، ويبدو أنها تدعوه لكي يعود إلى أحضانها مرة أخرى ، ويوضح للنظر في حقيقته ، أن هذه هي اللحظة العظيمة التي صيبت فيها أيريس لشسواتها ، بينما يعود أورويس إلى الحياة بعمل لغاني الأسرود للكنسبات (١) .

ويسرف النظر عن راحة الفراز والقطع فإن هذه التماثيل تتميز بطبيعة غظة ترفعها فوق مستوى الانحجار التقليدي في الأعمال البطلمية الخاصة بالهوتى . إن الحروف نحكي قصتها بوضوح ، حيث يبدو أورويس كما لو كان يناضل بالفعل للقيام من دقلده ، كما تعبر حركة أيريس عن غرض الفناء بوضوح ، وبالرغم من تشويه بعض الرؤوس وانحطاط سطح الحجر فسي المؤكد أن الموضوعات محفوظة لكن في حالة سيئة . ولم يتم عمل شيء في الرسوم التخطيطية لتصحيح الشكل الناقص أو إصلاح الخطوط الخارجية للرسوم الأصلية . ففي إحدى الصور نجد أن أورويس بدون قدم ، وفي صورة أخرى بدون وجه . أما إحدى أيريس فلبستها بالشكل الطبيعي كما لو كانتا إحدى حمية مصنوعة من القش ، وتغطي سداجة التقييد على الموضوع فتجعله يبدو مثل رسوم الكاريكاتير ، ولكن الأهمية التي تحملها هذه الصور تختلف عن طريقة تنفيذها .

والآن ونحن نستشقى بسرور الهسواء التي القلادم مع غروب الشمس ، تعود إلى السلف ، لكي نرى الجريرة في شكلها الذي يشبه المرح المصري القديم ، وهي ترفد بكل تفاصيلها تحت اقدامها . ومن هنا ننظر خلفا إلى الطريق الذي جئنا منه ، وننظر أمامنا إلى الطريق الذي سنلحم فيه . الضلال يقع في الاتجاه الشمالي ، مع شبكة من الجزر الصغيرة التي تتخللها ممرات من مياه النهر . كما في الاتجاه الجنوب فإن التيار الواسع يتجمع في شكل لوح رجائي ناعم ولا يقطعه أي اندفاع سريع . وكما جئنا بأبصارنا في شوق نحو هذا الطريق لأن هناك يوجد مبدأ أي سبيل وجميع الألفي المليئة بالأسرار التي خلف الضلال . ولكننا لم نستطع أن نرى أبداً من ذلك لأن النهر يشغل في المحطة كبيرة نحو اليمين ويمتلي خلف سلسلة من الضلال الجرافية . وهناك سلسلة مشابهة تحيط به على الضفة القابلة . وفي تلك الوقت خرائط ديون فوق حافتي صخرتين على طرف الضلالي . لنرى من مزارع النخيل ، مثل

(١) النظر القوية التي كتبها مسيو ب . ج . في مودرك في كتابه  
Records of The Lamentations of Isis & Nephthys  
The Past الجزء الثاني ص ١١٧ وما بعدها .

فلمنع على بحر الرامس \* وعلى الضفة الشرقية المقابلة يوجد عدد قليل من البيوت الطينية ومجموعة من أشجار الخروب التي تحدد موقع قريته يحتل الجبل الأكبر منها بين أشجار السخيل - ويبتلع خلف هذه القرية واد رملي متسع مثل فراع من البحر راجعت عنها المياه أما المسحة الطويلة التي مروتا بها في اليوم السابق فقد كانت تبدو كالمراث الذي يقب بعض الطريق الى فيلة \* وأخيرا وجدنا جزيرة بيضاء التي مثل الجانب الغربي من هذا المنظر الرباعي \* كان مسطحها وعرا وجلبا ، ويفصلها عن جزيرة فيلة ذراع صلبة جدا . بحيث ان كل صوت يبعث من القرية الوطنية التي على المنحدر المقابل ، يسمع كما لو كان آتيا من الغد الذي تلقب فيه \* لقد بنيت هذه القرية بين شرايب صيد بطلمي صغير لم يبق منه الا حاجز وحقل من بوابة صغيرة - ونستطيع ان نرى سيدة تطس الجبل على عتبة باب أحد الأكواخ ، وبعض الأطفال يراحمون حول المصنوع وهم يطاردون ديكنا روميا ، ويسجدون أمامها على سلق المعبد جامعا وهم يصيحون ويهرولون الى الشاطئ ، والحواء في طلب اليقطين \* ولو لم يكن المجرى أوسع مما يبدو عليه لكنت قد لذت قرشا نحر أيديهم الممدودة \*

وقد قبل ان مستر هاي اكتشف ممرا سريا من البحر الصلب ، مسجورا تحت أرضية النهر وموصلا بين الجزيرتين \* وكان الممثل على هذا الجانب يبدأ من ممثل مميد أيزيس (٦) \* ولم يذكر لنا مستر هاي الهى الذى استطاع أن يصل اليه في التخلل في اتجاه بيضا ، ولكن من المحتمل أن يقدنا المسر الى المعبد الصغير المقابل \*

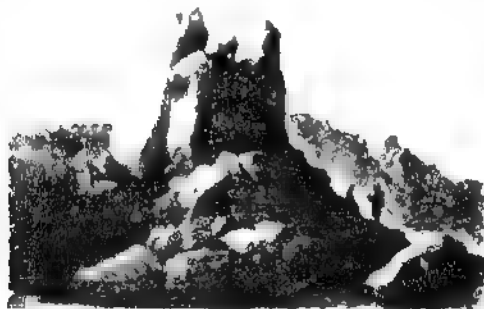
وربما كانت الجبال من أكثر ملامح هذا المنظر غريبة \* أنها من نوعية لم نرها متيلا خلال جولاتنا للتيانية \* أما الجبال التي نعرفها فهي متجانسة وتشق طريقها من أسفل الى أعلى في كتل لا يوقها في \* أما هذه الجبال فيبدو أنها ترقد فوق سطح بدون أساس ، في شكل منحور منفصلة أحدها فوق الأخرى ، مثل تلال عقيمة أقامتها أشباه الآلهة والمردة \* وتجد هنا وهناك كتلة ضخمة مستديرة يصل وزنها الى عدة أطنان معلقة على رف ثوبية في توازن متقلب الاطوار - وقد اقتنمت بل معظم هذه الكتل قد يتعرض للانهيار اذا وضع تحت الاختبار \*

Operations Carried on at the Pyramids of Ghizah

(١) انظر

الكلف كولونيل هارولد هيس - لندن سنة ١٨٤٠ - الجزء الأول - ص ٦٢ \*

ونقدم كمودج لهذه الصحور ، صخره ضخمة فى مواجهة حافة ماء  
بالقرب من أشجار الحروب والمعدية . ونجد أن هذه الصحرة بالرغم من  
أبها كثرة مفضلة من الجرائيت ذى اللون الأحمر البرتقالى ، إلا أنها  
تبدو مثل ثلاثة صحور ، وقد رأى الأعراب أنها بتعريتها الثلاثية تشبه  
الكرسى ذا المساند ولذلك أطلقوا عليه اسم : عرش مرعون ، وقد جعلتها  
الفيصانات المتعاقبة مستديرة ومصفولة . وقد نقشت عليها حرايطش  
ملكية ذات حجم غير عادى مما جعلها تجذب انتباه الحجاج من جميع  
المصبور . وقد غطاها الملوك والأماحون والكهنة والساح تسجيلات  
الانتصارات والمسابات الدينية والصلوات والقرايين والأعمال البطولية  
ويريد عمر بعض هذه التسجيلات على عمر المعابد التى على الجزيرة المواجهه  
لها بسطة ألف عام .



الصحرة الضخمة التى تحمل نقوش التسجيلات فى قبلة

وهذه الوجوه الأربعة التى تحيط بجزيرة قبلة هى الشلال والبحر  
والصحراء والجبال . وترقد هذه الجزيرة الجميلة والتى لا حياة فيها من  
وسط هذه الوجوه الأربعة ، بما يمثله من الماضى البعيد بكل ثروتها من  
النقوش واللوحات والباريخ والفخار والتراث . أنها واحدة من أشهر  
المعالم الأرضية فى العالم ، وهى تستحق ما تتمتع به من شهرة يصعبها  
كن سائح ، إلا أنها مجرد مكان من تلك الأماكن التى تتوارى فيها الملامح  
الاجابة مع السلسلة والتى لا يمكن وصفها بالكلمات أو الألوان . ويصطر  
الرسام الى أن يترك مرغما ، حو المعاشرة الموحى بالموضوع الصالح لترسم .  
أما وصف الكاتبه فانه فى أحسن حالاته ليس الا قائمة ناطقة .

## الفصل الثالث عشر

### من فيلة الى كورسكو

أخذ مهر الليل يتسع أمطسا ونحيي فيبحر جنوباً في رفق ، بينما كانت فيلة تتجامل في الخلف ، وشمرها بأننا الآن قد أجبرنا الحدود مماساً . وانه إذا كانت مصر غربية وبعيدة عن موطننا فإن الزوبه طلب أشد غراية وأكثر عصا ، وفي هذه المنطقة يرداد الثيل اسناعا وعمقا . أما الارتفاعات الصخرية القريبة التي تحيط به من كلا الجانبين فانها ما زالت سوداء من فاحية ، وذمبية من الناحية الأخرى . أما الضفتان فانهما تصيقتان أكثر من ذي قبل . وصارت المساحة الخالية أكثر ضيقا بحيث تسمح فقط بسحب المركب ، وصارت مساحة الفراغ من بعض الأجزاء أكثر ضيقا بحيث تسمح فقط بمجرد شريط من أشجار النخيل ، وممرات من التربة الطينية ترزح فيه الليرة أو الشمس . وكان الطرف المنحدر تحتنا يصل بلونه الأخضر إلى حافة الماء . وكان النهر ألسنه المنساره اليومى يترك حامشا من التربة الرطبة كأن القلاح القثار يسرع إليه لكي يحرق شفا جديدا ويغير حطا آخر من المنور؛ لأنه لا يستطيع أن يترك بوصة واحدة من هذه التربة الثمينة دون استغلال .

ومع الاستمرار في الإبحار بشراع يمتلئ نصف حجمه بالهواء ، لاحظنا كيف أن مساحة الأرض الصالحة للزراعة هي التي تتجدد عند السكان ، وكانت ترددات كثافة القرى في المساحة التي تنتشر فيها مياه الفيضان ، ويظهر الكثير من الأشخاص الذين يتحركون هنا وهناك في ظل أشجار النخيل ، ويرداد عند الأطفال الذين يتصاقبون بطول الضمير وهم يصيحون طالبين البقتيش . وعلمنا بتيق شريط التربة وبصبح على خلاف ذلك مجرد هامش من الحضرة اللامعة التي تلتقي الصخرة من ناحية النهر ، يثيب كل شيء - يدل على وجود الحياة . وتبقى لك المركب بطول هذا الهامش صلا بعد ميل دون أن تصادف أية علامة تدل على وجود بشر يمكنون فيه . وعلمنا يظهر بين حين وآخر مواطن فرد مسلح بسفينة

أو ربح وهو يمشى بخطوات واسعة على حافة الصحراء . فانه يظهر الإستداد المريع للعبة الموحشة .

وفي نفس الوقت خائفا لا يفقد وجود الرجال والنساء فقط . الرجال الذين يعملون على شاطئ النهر ، والنساء اللاتي يحملن أطفالهن مغربيين السيقان على أكتافهن . أو جرار الماء لتوازنه على رؤوسهن ، ولكننا نفتقد أيضا الطيور والوحوش والمراكب وكافة الأشياء التي تعودنا على رؤيتها بطول النهر . وكانت اثاث الجملوس تائهة في المياه الضحلة في وسط النهر ، والجبال تنحدر في ثقة متجهة الى مقاصدها في صف واحد عند غروب الشمس . واحتفت الطيور المألوفة التي كانت تتردد على الضفتين الرمليتين بشكل فجائي . وحتى الحمر أصبحت الآن نادرة . أما عن الخيول فلا أتذكر أنني شأصت إحداها على مدى الأسابيع الأخيرة التي قضيتها في النوبة . ولم تسمع طوال الليل سوى عواء الذئاب بدلا من نباح الكلاب الذي تعودناه من قرية إلى أخرى . ولم تمجس لمرءة الحياة الحيوانية في مثل هذه المنطقة التي تغطي تربتها الضعيلة طعنا قليلا يكاد يكفي هؤلاء الذين يهرولوا . ولكني أعرف مدى ضآلتها ، علينا أن نتذكر فقط أن هذه التربة في أوسع عرض لها لا يزيد عرض الرواسب السنوية التي تغطيها عن نصف ميل . بينما يصل عرضها إلى مسافة تتراوح ما بين ستة إلى ستين ياردة في غالبية الطريق ما بين خيلة ووادي حلفا الذي يبلغ طوله ٢٦٠ كميل .

وهنا فقط يستطيع الإنسان أن يرى كيف أن جميع هذه الأرض التي لدورها مصر والنوبة ليست شيئا سوى شطآن نهر وحيد وسط عالم من الصحراء . ويتسع الوادي في مصر لدرجة تنسى الإنسان الفراغ البحري الذي يمتد خلف حطول الفصح - أما في النوبة فالصحراء حاضرة دائما ولن نستطيع أن ننساها حتى لو أردنا ذلك . وكفضائل الجبال القاحلة على طريق سيرنا ، وهي تسطرنا بسيول من الجرافيت على جانب واحد ، وإابل من الرمل الأسفر على الجانب الآخر . ونعرف أن هذه الصحابة تتساقط بشكل دائم ، وأن هذه الرمال تنحدر دائما لدرجة تجعل من الصعب على النهر أن يصب في مكانه ، وتكتمع الصحراء في صمت يوما بعد يوم .

وتعتبر هذه المجازي الرملية من أحدث وأجمل المعالم الأثرية . أنها تنحدر من المستوى الأعلى للصحراء القربية ( اللسة ) مثلما تنحدر خلوج مومسرا من حضية الألب العليا ، وتجد لنفسها مخرج من خلال

كل وحدة وفجوة • وهي هنا تظهر في مجاز دقيقة • بينما تخفى هنا في حيول عريضة تكسح في اتجاه النهر •

ويبدو ههنا استغرق عمدة أميال فوق جريدة فيله • وجدنا أحسن عند قاعدة أحد هذه المنحدرات الكبيرة • دخلنا في قبة مع ذهنية السيدتي م • وب • التي أرادنا تسلك المنحدر ورؤية غروب الشمس في الصحراء • وكانت الساعة حوالى الساعة والثلثون وروعة • وغامرنا بالقول بأن القبة تستغرق مسافة طويلة إلى أعلى ليلوغها • ولكن السيدتي م • وب • لم تتراجعا • وعلى ذلك مضينا نلثت وهي مقطوعه الأتماس بسبب قدوما الصمب • لقد قامت السيدتي ل • والكاتب في أيامها ببعض المسيرات الصعبة على الجبلين • وفي الحسم المركابية الباردة والساحنة • ونوق المنحدرات المشبعة ببقايا الصمب المحترق وأحوالى السيول الجبلية • ولكن هذه المنحدرات الرملية ذات الشكل البري برهنت على أن تسلكها أصعب من كافة تلك المسيرات • ذلك لأن الرمال تتراكم ناعمة وخفيفة بشكل عجيب • وهي في نفس الوقت ساخنة كما لو كانت خارجة من الفرن • وفي هذه الرمال تنفر الأقدام • وتسوى الكواحل • وتترلق إلى الخلف عند كل خطوة لتلك حرة كبيرة تنساب إليها الرمال مرة أخرى كالمياه • وإذا نظرت خلفك هناك ترى آثار خطوات قمتك عن طريق سلسلة من الخطر التي هي شكل الألفاق يصل حجم الواحدة منها إلى مثل حجم حوض غسيل الأيدي • وبالرغم من أن هناك لا يتجاوز حجم حذاء سنديلا • فإن الأقدام الذي يأتي بعدك لن يستطيع أن يذكر ما لذا كان أثر القدم هذا يخص سيلة لم حبال • أنها مهمة حسيرة لأن القدم لا تجد راحة ولا مقاومة مع مواصلة الضغط على المضلات •

ولكن جمال الرمال يفوق الجهد المبذول في تسلكها • أنها ناعمة ولاصحة وجريدة ودقيقة مثل تراب الحاس • ولينة ومتسوجة وبراقة • وتيسط في أشد المنحنيات روعة • وتندور في حفات مثل أكوام الفلج التي تكسبها الرياح وقد تحولت إلى اللون اللحمي • ومع هبوب كل نسمة تميز تشكيل سطحها الدائم التغيير في عرض لا نهاية له من الأنوار والظلال الرقيقة • ولم يوجد بعد النعل الذي يستطيع نعت مثل هذه الامحانات ولكنك في مقبرة ( نمر ) دائه • في لرق وأهم حالاته • على أن يحسن التحكم في هذه الألوان الرمادية والمغرية المركبة •

ويبدو أن استرحنا على حافة الصخرة البارزة في منتصف المسافة إلى أعلى • وصعدنا إلى قمة المنحدر الأسير • وجدنا أنفسنا على سطح

الصحراء . وهنا كانت أول الأضواء التي انصبت بها عيوننا مع المسار الصحيح لمجرى النهر . أعمدة التلغراف والأبراج وحلقها في الشمال والجنوب محدودة من القمم القريبة . أما في الجهة الغربية فهناك ضياء دائري يتكون من الروابي والأعوار المتتمة نحو الشمس ، حيث تضيئ كرة قرمزية اللون نصف متخطية تحت أفق العالم .

ولا يستطيع الإنسان أن يقاوم الرغبة في المضي قصبا لعملة القدام حتى يلمس الرب لعملة التلغراف ، ونفسه هذه الرغبة محاولة أن يمد الإنسان يده نحو الوطن .

ودجسا مع غياب الشمس ، فكان المادى الأسفل شديد الانحدار أثناء فترة المسق . وكان الليل يلعب مثل حية ملتعة في الظلال ، وينمكس عليه سماء الليل في ثلاثة محاور متعصبة - وقد أصبحت سلسلة من الجبال في ناحية الصحراء الغربية ( الشرقية ) بلون أرجواني ، وبررت في مواجهة الألق القرقي .

وكان الدورول سهلا حيث صعدنا بكموبنا على الرمال فإزلقنا ، نصف متزحلقين ، وسرعان ما وصلنا إلى القاع ، وهنا التقينا بأمرأة تربية مجبور كانت قد أسرعت بمتيبتها البطيئة آتية من اقرب قرية لتسأل بشارتنا عن يوسف ابنتها الذي لم تسمح عنه منذ هام مضى . وكانت أرملة عجوزا شديدة الفقر ، أما يوسف هنا فهو ابنها الوحيد ، وقد أراد أن يحسن حالته المادية فاتخذ طريقه إلى القاهرة منذ ثمانية عشر شهرا في مركب لنقل البضائع . ومنذ رحيله لم يرسل إليها سوى خطابين فقط وبعض النقود . ومنذ ذلك الحين مضى أحد عشر شهرا في صمت ، وتمشى أن يكون قد مات . وفي نفس الوقت فإن خلقتها قد أنهكت إلى أقصى قدرتها على الانتاج بحيث لم تجب منها هذا العالم ما يساوي قرشا واحدا . وقد تقوض كوجها الطينى ويوصف غير موجود لكي يقوم باملاحة . ولا تستطيع الآن وهي عجوز ومرضة أن تقفل شيئا سوى طلب الإنسان من الناس . أما حيراتها الذين عاشت على أحسانهم فقد صاروا انظر منها .

ولم يعرف رجالنا شيئا عن يوسف الضائع - ووعده الرئيس حسن بان يسأل عنه البحارة عند عودته إلى بولاق ، وأضاف أنه « يوجد في القاهرة عدد كبير من الذين يحملون اسم يوسف » .



وقد دأبت حلوبنا ومن نسمع الصوت لثمتلى المتهدج الذى صاغت  
به العجور استلثتها ، والخبرة الملتاعة على وجهها عمما استدارت لتعود  
أدراجها .

ولآن وقد صاوغنا الحظ السعيد بهبوب الرياح التى تأتى فى العالب  
من اتجاه الشمال ما بين الشروق والغروب ، استطعنا أن نقدم بحيث  
قضينا عشرة الأيام التالية على سطح دعشنا فى جو لطيف .

وأحدثت المعالم الأساسية لسطح الأرض تكرار نفسها يوما بعد يوم  
مينا عدا بعض الاختلافات المحدودة ، فالجبال ترتدى ريفها المعتد من  
اللوتس الأسود والذهبي ، والنهر يتسع ويضيق وهو يجرى بين ضفتين  
تظللها أزهار العنقبيد والترمس . بالأسافة إلى أخصان أشجار السط  
الصغراء وحبات الخروع الرقراء ، وشسجرات البطيسخ البري  
Weird Coloquintida بأوراقها الخضرة وصبرها القلبي ونمازصا  
المتلخنة مثل الخوخ الأحمر الكثيب بالحمرة ، وكأ نجمع منها يالة لترين  
مائة الفناء وذلك لمف وجود أزهار أخرى ، وصعوبة زراعة الأزهار فى  
هذه التربة التى يمس كل عود أحمر يروع فيها قيمة كبيرة بالنسبة  
للأراع .

والآن صار المناخ أدقا يشكل محبوس ، واشتدت حرارة الشمس  
فى وسط النهار حتى مع هبوب رياح الشمال ، وتندر علينا الجلوس على  
سطح المركب ما بين الساعة الثانية عشرة والساعة الثالثة . وعند الغروب  
كانت سرعة الرياح تنخفض ، ويصبح الجو حافيا ، ولذلك اعتبرنا أن  
التنحية على الشاطئ واجبا أكثر منها متعة . وعلى كل حال ، فأننا نشكر  
ذلك الرسام الذى لا يعرف معنى الاستسلام والذى كان على استعداد  
دائم للقيام بجولة قصيرة بعد الظهر ، ولذلك اعتدنا القيام بالنشى لمدة  
ساعة قبل المقاء نضى فيها إلى الصحراء بحثا عن الأحجار الكريمة بين  
الحصاه التى تفتتت على سطح الرمال ، ونراقب بعون جدى هور  
الدائب والأرانب البرية .

وفى بعض الأحيان كنا نشى بسلاطة شفى النهر بدلا من الصحراء  
فصاوغ ساقية تدبرها جاموسة متقبضة الصعر ، أو نضى إلى قرية  
وطنية متخفية خلف نفقات قرمية . وهنا نجد أن لكل كوخ فناء أماميا  
صغرا ، أقيم فى وسطه قرن من الطين ، وخزانة طينية تمتلئها  
الأسرة ، ومروطان قصيرا من الصلصال الرمادى مثل أنابيب الفخار

التي في رأس المذبح ، وقد غطي أحدهما بقطعة من الرصاص ، لما الآخر  
قد ركب عليه باب برلج نحبي . وكانت يضي للشارع مربية على  
الجوانب بأسلوب مختلف يكثر أياها قد غمست في صبغة حمراء أو  
صفراء لم تطفئ المسطح الفنى كان ميتا (٢) .

وكانت هناك أعداد لا تحصى من الأسواق التي تنتشر في كل قرية  
في هذه القرى . وعند دخولنا كانت الكلاب تغطي أقدامنا يدل على  
التراب ، وسرعان ما محيط بنا جميع النمل والبنات اللاتي بالكل ،  
حيث يمرض علينا ذراء الحمام العن والبيض والكوسة ، والفلاذ ،  
وغرامات الأنث . والأساور الفضية . لما الأولاد فقد ظلوا يلحون علينا  
لغراء الرومب الباكسة . لما الرجال فكانوا يفلون بعيدا تاركين  
المساومات للنمل .

ولم تكن النساء على حراية بالمساومات لعل بل أيضا بتقدير القيمة  
السببية لكل قطعة عملت تمر على تيارب النيل ، التي يمرض الروبية  
والروبل والريال والدولار والشطن مثل معرفتهن البارة ( الملم ) والقرش ،  
ويمرض كذلك مقدار ثقل الجنيه الذهب الانجليزي ، ومقدار خة الفرنك  
الذهب الفرنسي . لقد مضت أيلم النوبي الذي ذكره بلزوني بأنه أحد  
يخلق في أول قطعة تعود معدبة براها في حياته وهو يقول : « من قبل  
أن يستلني حينما مقابل هذه القطعة الصغيرة من الممن ٩ » .

وكانت الفلاذ تتضمن حيات من الطيق والمظم والفضة والزجاج  
بألوان وبعض الجمارين أو التسانم المصنوعة من الخزف الأزرق القديم .  
وكان ترتيب الألوان دقيقا جدا . لما الحرامات المصنوعة من الذهب  
المحفوظ ، والأساور الفضية الكبيرة الحجم ذات الزخارف البارزة ،  
لقد كانت ذات تصميمات معبرة للأنامل ، وطرايات تقليدية لا تفك في  
أقدميتها الزمنية . وقد التفتت السيدتان م . وب . مسفرة جميلة  
التصميم مصنوعة من الفضة والمرجان . ولابد أن تكون إحدى بنات أحد  
الفراعة قد تزيت بها منذ ثلاثة آلاف عام مضت .

وبدأنا الآن نلقي نظرة حادة من فوق مسطح المركب بحثا عن  
التماثيل . لقد كنا نسمع عنها باستمرار ، ونرى مساراتها فوق شفاف

---

(٢) قصد بذلك ما يلجأ اليه القرويون في الريف عند بيع المسحة في مناسبة مزينة  
حيث يتمسون لهديم في مساكنهم ويعلقون بها الجدران اللكنى والتدوير عن أيمانهم بهذا  
البيع العظيم - ( الترجمة ) .

التي الرملية . وتفصصا مع الترقب الشديد كل دوة سوداء على البعد ،  
ولكننا كنا نفشل دائما . وكلنا اجتمعنا جنوبيا ، على صخورنا .  
وفي صباح أحد الأيام الهادئة قابلا السيد ( ١ ) الذي كانت ذهيبته  
تساق ببطء في طريق العودة . وأبلغنا أنه شاهد لمسى ، أحد عشر  
لسمحا جميلا ، فوق جيرة رملية . على بعد حوالي عشرة أليال . أما قلب  
مستر س - ب - فقد تكلم بالتماسيح من القطة الى المؤخرة ، مما ملا  
نفوسنا بالمحند تجاهه . وكنا على استعداد لدفع أى شيء في مقابل أن  
نشاهد هذه الزواحف وهي تتقل على جانبي صارية مركبتنا الرئيسية أو  
رفيفنا الياجستونر الومية . أما الفريد الذي قرر أن يجمع ستة تماسيح  
على الأقل فإنه لم يقل شيئا ، ولكنه كان يردد وجوما يوما بعد يوم .  
وفي الليل عندما كان يظهر القمر ويطغى النمس الى أسرهم وينطقون ،  
كان الفريد يجول في الصحراء متابعيا الذئب وهو عكر المزاج .

وفي نفس الوقت واطلنا على السير ، فقبعا المركب الايباص هذه  
شروق الشمس ، وترسو عند الغروب ، ولا تتوقف ساعة واحدة طوال  
النهار ، متدحفا الى الأمام في اتجاه أبى مسجل بأسرع ما يمكن . وعلى  
ذلك لقد عبرنا بوابات داوود بما تخفيه وراينا من الصحراء والنمس التي  
كنا نراها عند اقتراب النساء عند الغروب . وكانت منطقة طافا الشية  
بالنخيل تلعب بأعينتها البيضاء من خلال لورق الشجر المخضر على جانب  
المياه ، مع الصخور والجرز ، وجنادل كلابشة والمعد الضخم الذي يرتفع  
في وسطها مثل القطة ، ودندور وهو هيكلي صغير له بوابة وحيدة .  
وجرف حصين الذي يبدو من هذه المسافة مثل فرجة قبر منحوت في  
صخرة على حافة الهادئة .

وفي منتصف المسافة بين كلابشة ودندور دخل في مدار السرطان .  
وفي ذلك اليوم وحتى اليوم الذي عبرنا فيه تلك الحدود الوهمية .  
وجدنا ثغرا ملحوظا في الأحوال الجوية التي نعيش فيها . انطت درجات  
الحرارة خلال النهار ترتفع بالتدريج خاصة في وقت الظهر عندما تكون  
الشمس سودية . وكذلك لم يعد الليل ممحسا . وانخفضت قسرية  
الصباح الساكن اللهم الا عنه هبوب رياح قوية من الشمال ، حتى اننا  
أصبحنا لا نرى ما نحن في حاجة اليه ، وهل هو شال تلتف به على  
سطح السفينة في المساء . لم اقطة إضافة على أسرنا عند اقتراب  
الغمر . اننا نلهم ونوافق قمراتنا مفتوحة ونمتنع بلثة الحرارة المحتلة  
منذ غروب الشمس وحتى شروقها . وفي نفس الوقت كان طول النهار  
يتساوى مع طول الليل .

والآن ، فإن الصليب الجنوبي والمجموعة الثابتة من النجوم التي استبنجنا أنها تشكل جزءا من القنطورسي تظهر ما بين الساعة الثانية والساعة الرابعة كل صباح . وكانت مرجح بشكل بنجم كل ليلة خلال الأسابيع الأخيرة، ولكنها عارلت شديده الانخفاض فوق الأفق الشرقي لدرجة أنها لا تراها إلا عندما يحدث انكسار في السلسلة الجبلية فوق هذا الجانب من النهر . وفي نفس الوقت كان اصبعنا القدامى الذين ينتمون الى صف الكرة الشمالي ، ويظهرون مشوهين وفي غير مكانهم الصحيح ، يختفون سريرا في الجانب المقابل من السماء . لقد ظهر كوكب اوريون وكأنه يرفد على ظهره . أما النجم الأكبر فقد ظهر واقفا على ديله بينما اختفت مجموعة النجم القطبي، وفي نفس الوقت فإن مسبب الرأس قد ظهر رقيقا جدا . ولذلك أحسستنا بأننا قد دخلنا بعيدا عن أحد نصفي الكرة الأرضية ولم نصل بعد الى النصف الآخر . أما عن الصليب الجنوبي فإنا مستحفظ برأيتنا عنه حتى تباعد في اتجاه الجنوب . وقد تكون هناك خيابة عندما نسير الى أننا قد جانبنا التوفيق مع هذه المجموعة من النجوم .

وبعد جرف حسي ياتي للكان التالي في الأهمية والذي تقودنا حرائقنا للبحث عنه وهو مفيد الدقة . وعندما اقتربنا منه متوقمين في كل ساعة إن برى شيئا من المبدأ ، كان النيل يواد اتساعا وجبالا . وكان صباحا آمنا وصافيا . وكان الرجال قد عملوا في سحب السفينة منذ الفجر . وتوقفوا للأفطار تحت شفة رميلة تظللها أشجار الطرفاء والصنخ . وكانت هناك شبكة منقاة من مسيج المكبوت تطلو متعة من غصن الى غصن . وتلوت السماء فوقنا بطون أزرق لامع لم نر له مثيلا في أوربا . أما الهواء فكان ساكنا بشكل يثير العجب . وكل من النهر الذي يتخذ هذا العناية لجائية نحو الشرق ، يتخذ شكل سمرة ، بما يوحى بأن الصحراء تمتد في مساره . وفي الحال شاهدنا جنلة تمر بطون الضفة الخالية ، وكبير الناقص يحرك عكزا طويلا مثل عصا قائد الفرقة الموسيقية ، وكانت النساء تلدى مله أيديهن من التراب ويلقن به فوق رؤوسهن . وظلنا نسمع نواحين للكرة طويلة بعد مرور الكوكب .

ومع استمرارنا في المسير استحوذت كل اهتمامنا الملاح الجيولوجية الجديدة والمتفرقة للصحراء الليبية . كانت سهلا عريضا منطلي بالخيال المتسرلة ذات المسالم البركانية ، مما جعلها تبدو مثل بعض التحولات الغربية التي تطلنا على سطح الهضبة بكلفة مروجها التي تكسها الرياح لتحولها الى دغال ، ونجوانها ذات الحشائش التي نرعتها الرياح فجعلتها



معبد الدكة بالأنوية

حرداء • وكما ارداد انساع هذا السهل أمام أعيسا ، ارداد عدد القمم التي تنتشر على صهخته • وببما كنا بدور حول الركن ظهر معبد الدكة ، الذي يعتبر نموذجاً مصغراً لمعد ادو ، أمام أنظارنا على نصفه العربية حيث كانت الصحراء التي في هذا الجانب ، تقدم لنا منظر حق صخيم من القمم البركانية التي لا يخطئها العين • وكانت هذه القمم المحروطة محتلة الأحجام والارتفاعات مثل تلك الموجودة في أوفري *Auvergne* . كان بعضها منخفضاً ومستديراً مثل الفقاعات التي تم تبريدها دون أن تنفجر ، والبعض الآخر يتراوح ارتفاعه ما بين ١٠٠٠ الى ١٥٠٠ قدم • وكانت العوالت البركانية للمديد منها يمكن التعرف عليها بمساعدة نظارة الميدان • وكانت احداها بالذات نفسه صديقنا القديم سهل باريو Puy de Pariou الذي لا يستطيع حتى مع الاستعانة برسم تخطيطي باللون الأبيض والأسود أن تفرق فيه بين القمة والأخرى •

واندهشنا لأننا لم نجد ذكراً لأي شيء عن جيولوجيا هذه المنطقة في كتاب من الكتب التي بين أيدينا • لقد مر عليها موراي وويلكنسون في صمت • أما كتاب الرحلات فإن واحداً أو اثنين منهم فقط هما اللذان استطاعا أن يلحظا الشكل « الهرمي » للتلال ، وقد أحسنا بالرصا لذلك الاكتشاف • ولم يد على أحد منهم أنه لاحظ أصولها البركانية (\*) ونشكر السليم الخفيف الذي هب عند الظهور ، لقد أتاح لنا أن نشر

(\*) لم يقل أحد من قبل أو من بعد أن منطقة الترية بها أية تكوينات بركانية مما يتناقض مع اكتشاف المؤلف - ( الترجمة ) •

صارينا الأكبر مرة أخرى ، وأن نبيع وجالنا من نسب سحب التهيئة .  
وعلى ذلك فقد جعلنا قبالة غرائب المحرقة التي تظهر من النهر مثل بوابه  
اغريقية مرتفع من الفضاء الواسع للصحراء الحارقة . وبعد ذلك جاء  
وادي السبوع وهو صيد نصف حلقون في الرمال ، حيث قابلنا قريبا  
منه ذهبه صفرة يجر بها نوبيان يرفلان علما يحمل نجمة وهلالا . انه  
مفتش الحكومة المخادع الذي يرتدى ملابس اوروبية وطويوشا ، وقد وقد  
على حميرة خارج باب قمركه وهو يفتن ، بينما علق تمساحا ضخما على  
قائم خشبي من أجل . كان لون هذا الوحش يميل الى الاحمرار ،  
ويبلغ طوله من رأسه حتى ذيله ستة عشر قدما على الأقل ، وكان فكاه  
منفرج . وقد اجلت إحدى أرجله السمينة المترهلة ، وعقبه الثقليل  
يتأرجحان مع حركة المركب فظهر مثل انسان غريب الشكل .

وقد حيا الرسام عرضا قدمه بنفسه في الموقع وهو ينظر الى المقدمة  
الأيامية ، ولكن المفتش المخادع لم تحركه اعتبارات الروع ، وفلسل  
تمساحه على الذهب الكافر . وتنازل بحق الأنفس بالرد على الطلب .

وفي نور الفسق المظلم ظهرت الجبال الأرجوانية وهي تنحدر في  
كتل منفصلة نحو سفافة النهر في جانب ، والصحراء يلحمها البركانية  
المرتفعة في الجانب الآخر . وقد حسينا أن الاقتراب من كورسكو يشكل  
منظرا رائعا يصلح للتصوير أكثر من كافة المناظر التي شاهدناها جنوب  
الشلال . ومع تنخلل الفسق ظهر أكلر . لما التخللات التي وجدت لنفسها  
مكانا تنمو فيه بين الجبال والنهر . فقد تحولت من اللون البرونزي الى  
الفضي . وفي الوقت الذي نعيم فيه بعض الفسق مع بعض ضوء القمر  
وصلنا الى منطقة المرسى . اما تلحمي الذي كنا أرسلناه في القلوب الصغير  
هذه نصف ساعة لكي يتكفمنا ، فقد انز الى سطح اللحمية وهو يحمل  
حرمة من الحطابات ورزمة من الجرافد . وقد اكتشفنا قول مكتوب يريد  
يومي في حمة المنطقة التي يمضي فيها طريق القوافل الكبيرة عبر الصحراء  
الى الخرطوم . وكانت قد مضت عشرة ايام فقط منذ أن تسلمنا آخر رسالة  
وددت اليها في أسوان ولكن هذه الفترة ظهرت لنا مثل عشرة أسابيع -



مجوهرات نوبخت

## الفصل الرابع عشر .

### من كوروسكو الى ابي سنبل

وصلنا الى كوروسكو في واحة العيد الكبير في مناسبة الصحبة الصحية التي لهما ابراهيم عندما كان ابنه اسماعيل ( حسب النص الاسلامي ) هو الصحية المقصودة واعتدى بحروب . ولما كان العيد الكبير هو أحد الأعياد الكبرى الاسلامية فهو مناسبة لتقديم الهدايا ورفع الدعوات الطيبة ، فالأغنياء يورزون أصنافهم ويورعون اللحوم على الفقراء ، ويلهب كل مؤمن حقيقى في الصباح الى الجامع لثلاثة صلواته . ولذلك قاله بدلا من الاستيقاظ عند شروق الشمس كما هي العادة ، قدسنا الى يحاوئنا حروفا وانتظرنا الى ما بعد الظهر حيث يقبضون العيد .

وبعدوا يومهم بالذهاب الى جامع القرية وهم يرفلون في الحلاليب الجديدة والعبائم النظيفة ، والضياعب الجلدية القرمزية اللون ، فاشغوا يتسكمون حتى وقت الفداء عندما تم طهي الخروف المذكور مع الفصص والثوم وانتوى بذلك الاحتفال . لقد كان الخروف حيوانا ضميما ولا بد أنهم عاشوه بقسوة ، ولكن الفصق الى الطعام جعلهم يستمتعون مثل الأطفال ، وذلك عندما جلس أصداؤنا المختصون الترفصه متقاطعي السيقان ، وهم سمعاء حول المرحل القذى يتصاعد منه الدخان وهم يهزرون ويضحكون ويحتفلون بالعيد ويفرزون أصابعهم في الطعام المشترك الذي يبدؤونه من اناه واحد . ثم ينسلون أيديهم بعدد متصل من ماء النيل ويعد أن انتهوا من ذلك اغفوا يجادلون تدينين النارجيلة التي كانت تدور من شفتين الى شفتين وهم معتل- بالقهوة الكثيفة . وبعد منتصف اليوم قفلل كانوا قد غلغوا ملايسهم الفاخرة ، وربطوا أنفسهم الى الحبلين . وبعدوا المبل في سحب المركب خلال القطم المسخرة التي تعد قل عمار التيار .



وبلغ المسافة الحقيقية ما بين كرووسكو والدر ، حوالي أحد عشر ميلا ونصف ، ولكن مع العواصف التي ستشعر في جبرى الليل ، ومع الريح التي يهب عواصف ، ومع الدخول في اصنامة كبيرة اخرى ، تغيرت مسار الليل الى الشرق ، وجدا ان هذه الأميال الأحد عشر والنصف قد كلفنا جهد يومين كاملين من السحب الشاق .

وعندما كانت المركب تلاحق الشاطئ، وكنا نهبط منها ، وجدنا نظام الزراعة متشابهة في كل مكان حيث يزرع الترمس والعنبر على المنحدر مقابل خط المياه . بينما تنمو غايّة متصلة من أشجار النخيل على حافة الشاطئ . وتنمو حقول القطن والقمح الحديث الانبات في الفراع التي على ذلك ، ثم تتسع الصحراء . وكانت التربة القابلة للزراعة قد قسمت كالمتلاد بواسطة مئات من القنوات المائية ، ويبدو انها الملتحمة جيّدا ، كما رويت بمرارة بحيث لا يستطيع الانسان رؤية أية أعشاب خضراء ، كما انه لم نلق بوعبة واحدة من التربة . وكانت القنار والكوسة تزدهران في الأركان المنعزلة حيث لا يوجد مكان لزراعة النخيل وسائر المحاصيل . ولا يمكن العثور على أشجار الخروع الخضراء ، أو لوز القطن الكبير أو أشجار النخيل المرتفعة في أي مكان .

وعندما نشاهد لأول مرة خارج مصر بين الشجيرات القصيرة هذا القللا من طائر الهندود وغيره من الطيور الصغيرة ، كما شاهدنا على منحدر رحل بجوار النهر مجسوة من البط البرى . وقد تجولت الكتابة مع إحدى السيدتين ، م . و ب . في ذلك الاتجاه بحثا عن التماسيح . وكانت كلتا النهرين ، كل بطائم السحب التي يجرها ، تتلفلان ببطء ضد التيار على بعد حوالي ميل ، كما كانت المنطقة كلها شديدة الحرارة وشديدة الصموت . وقد ابتعدنا في سيرنا ولكننا لم نر أية تماسيح - فما الذي سنفعله لو شاهدنا واحدا منها ؟ كنت مستعدة للاجابة ، فربما كنا سنركض مجتمعين . وعلى كل حال فقد كنا على وشك العودة عندما لمنا طيور البط تجلف نفسها في الشمس وهي نصف نائمة على حافة بحيرة صغيرة على بعد حوالي مائة وخمسة مئرا .

وقد زحفنا بحرص تحت الظفة حتى أصبحنا على بعد ياردات قليلة منها . كان عددها أربعة ، أحدها ذكر واحدنا انتهى واثنان صغار كان لهما ویش رائع وصغير مثل الزنجب . أما الأبووان الكبيران فقد تجاوزا طول كل منهما ثمانين بوصات من الرأس حتى الذيل . وكانت لها جعسا

دوفوس بلون نساير أيى قروة يشتها من المنتصف شريط اصفر مثل فرق الشمس . و ظهور ذات لون قمرى مائل للسومة . أما ريش أجنحتها فقد كان بلون قمرى ورمادى . أما ديولها فكانت أطرافها صفراء اللون . كانت راقعة الجمال مع اكتمال الصبغة المائكية الصفرة لدرجة ان المؤلفة لم تستطع ان تخفى سمادتها لوجود القويد وبندقيته على ظهر الأباستونر .

وصاف على الضفة المائيلة للصحراء الليبية كان يرتفع صعيد عمدا الصغير على ساقطة مسجدة وهو صف مملون فى الرمال . وعندما كنا نقوم بصيد البط فى الصباح راينا من الجانب المكسي ، فظننت انه أحد الملاجئ البحرية التي أقامها محمد على لتربية الماشية التي ترسلها للمودات سنويا . وتأكدنا من أنه صيد صغير ولكنه مسبح وقد بسى بكل من الحجر الرملى ، ويعد تاريخه الى أيام أوسرتيسر وتحتوى . وكان يشتمل على وهو وقاعة أمامية مستعرضة وثلاث حجرات صغيرة . أما السقف المبنى من كتل مستطيلة فهو مسطح من الجهتين . وإذا نظرنا الى كاحد المعالم المصرية مستجد انه فى الحقيقة ليس الا درجات قليلة تقلت من خرافة قديمة . ويدور هذا الصيد الصغير فى المنطقة تصبح مثل العلية التي جرفت من البحر الكريم الذي يتوسطها . ولم نلاحظ مثل تلك النقوش الثائرة الجبيلة الطراز والصيغة الألوان الا فى مقبرة « تي » . ولها مثل كالأماكن الأخرى نجد الحوائط مغطاة بمجموعات من صور الملوك والآلهة والنصوص الهيروغليفية . وتظهر لشكالك الأشخاص رشيقة وقد رسمت فى اوضاع حركة . كما ان الخطبة الرؤوس والمجوهرات والمخالب مرسومة وملونة بأحكام بحيث تبدو كل رأس مثل لوحة شخصية . وكل شكل هيروغليفى مثل منسجمة مرسومة على الماچ او جلد الرق .

ويصرف النظر عن التنفيذ الرائع فإن النحت الموجود على حوائط حميد عيدا لا يتمنى الى الدولة القديمة وإنما الى عصر النهضة المصرية . ورغم ردايته من ناحية الوضوح والتميز عن الطبيعة بالنسبة لأصاال المدرسة القديمة الا انه يمثل علامة على تلك الفترة التي تطور فيها فن الحت الفائر بحيث صار يتقاسم مع المستوى الرفيع الذي لم يدرکه من قبل ، لأن هذا المستوى الرفيع يود الى أيام تحوتيس الثاني وتحوتيس الثالث مثلما تنتهي فترة التكامل فى الصلابة الى عصر سبتيم الأول ووسيس الثاني . وتمود لصية صيد عيدا الى هذا السبب . انه يسجل وصول تاريخ الفن الى قسته . ويقيم أحسن مائل هذه الفترة عندما بلغت قمة

تألفها - ويظهر السحت هنا ملتزما بالحدود التي رسمت له ، ولكنه رغم هذه الحدود كان يشتمع بحرية الحركة - وبالرغم من أنه الفن الذي يعبر عنه تقليديا إلى حد كبير ، إلا أنه يعطى غير متكرر ، وظلت موعبة الاحساس الفني كمبر عن نفسها فيه - وباختصار قلن سبب هذا إعجاز بالرقة واللفظ فيها يتعلق بالبحث الفائر الذي يحق ذلك النسب القصوى المرسوم على حائط الكرتك -

أما الحجرات فهي نصف مكتظة بالرمال مما اضطرنا إلى الزحف على أيدينا وركبنا في داخل الهيكل - وصلى نقش طويل في الطرف العلوى يسجل كيف أن أصبحت الثنائي عند عودته من حملته الأولى ضد أعدائه الآسيويين ، قد ذبح سبعة ملوك بيديه ، شتى ستة منهم على أسوار طيبة بينما أرسلت جثة الملك السابع إلى الحبشة عن طريق النيل حيث علق على الحائط الخارسي لمدنية تيانا (١) - حتى يعلم أهلها بالانصارات الملك في كل أنحاء العالم -

وفي أحد أركان الصالة الأمامية ظلاما ، شامدا لوحة غريبة تمثل الملك وقد احتضنته إحدى الإلهات ، وكان يمسك بسيف مستقيم قصير في يده اليسرى ، وعلامة الصلح في يده اليمنى ، ويضع على راحته الخوذة الحربية وهي تاج أزرق مرصع بالنجوم النضمية ومرص بالآلهة الملكية - وتمسك الإلهة برفشته في حب وتغريب يفتتها من شفتيه - وقد لون الرسام بشرتها باللون الأصفر المضمض للنساء - ولكن لمسا الجذاب وأنفها المستقيم ينتميان إلى الملامح الأوروبية - ولا كانت ترتدى ملابس القرن التاسع عشر (ق-م) ، فلابد أنها كانت تمثل الفتاة التي عاشت في ذلك العصر -

وكل الرمال قد تكوون في كومة شديدة الانحدار خلف المجد بحيث يخطو الإنسان فوق السطح كما لو كان ينزل فوق ممر قد ارتفع مستوى سطحه عن مستوى سطح الصحراء - ولكن سرعان ما يستوى السطح سريعا - وإذا لم يتم عمل شيء لاتخاذ التدبني خلال جبل أو جيلين قادمين لأن الرمال ستهلكه جميعه ويضيع مكانه -

---

(١) مدينة ثيووية كانت بعد الله لمون حلال نهاية الأسرة البطونية ، وعن طريق كهنة خيمة الذين استقروا في تيانا في تلك الفترة ، جاء النيل الذي فزا مصر على أيام الأسرة البطونية والقسريين -

وأذا نظرنا من فوق السطح خلفنا إلى كوروسكو ومباشرة نحو قرية  
الدر ، فإسما سنرى واحدا من آخر المناظر في النوبة ، وربما أفتخرها  
كلية - فالليل يسبح انتعاشا عظيما خلال الأرض الأمامية ، يسبح نحو  
أراضي قرية الدر ، خضراء على البعد ، وتبدو المنطقة الجبلية التي عبرنا  
تلالها منذ قليل ، مثل حلال شمع ومكون من القسم التي لا تحصى والتي  
تنتشر حول ثلثي الألف ، حافة بعد حافة ، وسلسلة بعد سلسلة ، وهي  
تلمع في الضوء بلونها القرمزي ، وترداد عمقا في الظل مع كل درجة من  
درجات اللون البنفسجي والأرجواني . ثم تتلاشى في الأفق بها الأروق  
المتعرجة - وعند غروب الشمس تبدو لامة ، ومتوحشة بالضوء ، ومقلامة  
مع اللهب ، مثلما كانت كل قوحة بركان في الماضي عينا لنبيح من النار .

وفي الصباح التالي بعد أن باضنا خلال مناهة الضباب الرملية  
الفارقة في النهر ، وصلنا إلى قرية الدر بعد الأمطار . وتقع هذه القرية  
التي تعتبر عاصمة النوبة في موقع منخفض قليلا عن مستوى الضفة ،  
وبذلك لا يظهر منها سوى القليل من الحوائط الطينية التي تبدو للمناظر  
من النهر . ولما كنا قد تملأنا حتى هذا الوقت أن العاصمة ليست  
الإفريقية كبيرة قد تضم مسجدا ومكانا فسحيا لأقامة السوق ، فلم تصبنا  
خيبة الأمل عند رؤية المعالم المتواضعة لهذه العاصمة النوبية .

وكانت دهشتنا أكبر عندما وجدنا مرقع المرسى مهجورا بدلا من  
الازدحام المصاحب المعتاد ، والذي يتصارع فيه الأفراد وهم يصرخون ،  
ويؤمسون بعضهم بعضا بالناكب ، ويضايقونا طالبين البنفسجي . وكان  
هناك قاربان وطبان أو ثلاثة تقف فارغة تحت الضفة ، ولم ير شخصا  
واحدا على مدى الرؤية . وكان السيد ( ل ) والسيدة الصغيرة متشاورين  
لشراء بعض السلالات التي يشتهر بها هذا المكان ولكن بدون جدوى .  
أما تلحمي الذي كان متشوقا لتتوم في سفن الميناء الطازج والخضروات  
فقد عاد بكفي حزين .

ورسونا ، ولكننا لم نر أماسا سوى مراع يقع في الطرف البعيد منه  
في مواجهة النهر قصر المدير ، وهو عبارة من كوخ طيني ضخم له افرير  
من الطوب الأحمر حول قمته . ومعدل حجرى مهيب . ويستقبل الرجل  
العظيم جمهور الزوار في هذا المتسل حسب الاستخدام القديم . ورائته  
فإذا هو مجرد شاب ، ينقع في غليون طويل وسط حفد صغير من كمار  
المن ذوي اللحى الرمادية الذين نظروا اليها في وقار دون أن يتحركوا

مثل الآلات التي يتبعث منها الضجيج . وقد أدركت أن ،سكانهم إذا ما كانوا قد أصبحوا جميعا كماتيل من الجرائيت ابتداء من وسطهم حتى أقدمهم ، وعمّا إذا كان يسكن قرية الفرح قد تحولوا إلى حجارة دوقله ولكنني اعتذرت .

ومع الإصرار على شراء السلال ، هذا إذا كانت هناك سلال تصليح لشراء ، كل الإصرار أيضا على اكتشاف مكان معبد محجوت في الصخر أوصت الكتب التي بين أيدينا بأن يبحث عنه في ظهر المدينة ، فانحرفنا جانباً إلى شارع غير منظم الشكل يتجود إلى الصحراء . وكانت المنازل مبنية بطريقة أفضل من المعتاد . ويبدو أن تسوية سطح القمار وتزيين الأبواب بقطع من الفخار الملون قد استغرقا الكثير من الجهد . وكان هناك طلق مشروح مصنوع من الخرف المرص بالرسوم ، موضوع مثل طاقة بأعلى أحد الأبواب ، وطقق آخر أبيض اللون من أطباق الشووية لا شك أنه جاء من مقصب إحدى النخبيات الانجليزية - كان موضوعاً فوق باب آخر . وكان الطبقاق مصدر غر لأصحابها . وقد نظرنا في هذا الشارع من طرفه الأدنى إلى طرفه الأقصى . وكان شارعاً طويلاً ما بين الليل في أحد طرفيه ، والصحراء في الطرف الآخر - إلا أننا لم نر علامة أو ظلاً لحركة إنسان يسير فيه . فيما هذا سيدة شابة سمعت الأصوات القرية التي تحدث بلغة أجنبية فأجلسمت النظر من باب نصف مفتوح أثناء مرورنا ، وبعد أن راكني انظر إلى الطفل الذي بين ذراعيها ( كل طفل قبيح الشكل ملتصق الصنيتين ) جذبت حجابها على وجهها ودلفت إلى الداخل مرة أخرى ، وقد ظننت أنني طمعت في كثرها ، وخلفت من جسدي السنين القليلة .

ومررنا ما سمعنا صوتاً مثل صرخة مرتجلة لعدد كبير من اليوم آتية من بعيد . فأصعنا أنفاسنا ، وأصعنا أسناننا ، ولم نكن قد سمعنا مثل هذا الصوت الخوحش القاتع من قبل . ولجئة رأينا من فتحة بين المنازل زحاما ضخما جل أرض مرتجلة قسيطة على بعد حوالي ربع ميل . وكان الزحام مكوناً من الرجال فقط الذين بلغ عددهم حوالي أربعمائة رجل ميم واقفين في سكون وهم ينظرون جيما في نفس الاتجاه . وأسرعنا إلى الصحراء حتى شاهدنا المنظر الغريب الذي كانوا ينظرون إليه .

كان المنظر يسكون من معبد وعلى قاسل ، يقع بين المدينة والصحور . وقد انتشرت فيه القبور . وكانت جميع المماتات من النساء وقد تزاحمن

تحت حائط طويل على بعد عدة مئات من البيردات • وكانت رؤوسهن مكشوفة ومعرضة لحرارة شمس الصباح ، وكان عليهن يربد عن عدد الرجال بمقدار الثلث ، البعض مهن جالسات ، والبعض الآخر واقفات ، بينما كن يتحلقن حول سيده شابة في الوسط يبدو أنها كانت تقوم بدور القائه • وأجلس يترجس ويتجسس في شكل دائري ، ويجري حرك خطواتهن في شكل صف متراص ومترايط من الرافصات • وكانت كل العينون مركزة على حله السيدة الشابة • كانت تسعة سوداء اللون من كامباندوا (٥) وكانت تحرك جسمها من جانب الى جانب ، ولده فميكت يديها فوق راسها ، وأطلقت أنشودة حماسية لخطت الأخرى في ترديدها خلفها • ويبدو أن هذه الأنشودة كانت مقسمة الى أبيات ، ولذلك كانت تتوقف عند كل بيت من أبياتها ، ولحق على صمونها ، ثم تنفجر في هذا النواح المخيف الذي سمعته من على البعد • ويبدو أن أخاها قد مات الليلة الماضية وما نحن نلاحظه جنائزه في تلك اللحظة •

ولد التهمت عملية الدفن عند وصولنا الى الكبار ، ولكن ما زال هنالك أربعة رجال مشغولين في تكديس الرمال فوق القفرة حيث كانوا يلقون ملء جاووف في كل مرة ثم يكبسونه بأقدامهم الحافية •

ولما كان الخوفي غير متزوج فقد ترأست اخته جولة البدايات • كانت امرأة شابة طويلة وهزيلة من النوع النحوي البسيط الذي يعتاز ببروز عظام الخدين ، والعينين المستدقيتين من الركن الى أعلى ، والقم الضخم ذي الأمتان الملتصقة • وكانت قد وضعت فوق رأسها طرسا بيضاء مغطاة بالتراب • أما رفيقاتها فقد تميزن بشريط أبيض ضيق ملتف فوق أكتافهن وقد ربط من طرفيه خلب الرأس • ولده أخطين قلائصهن وأمسورهن وأركدين أردية تميز كل الأرض وغطين رؤوسهن بشيلان • كما أركدين سراويل من القطن الأسود أو الأزرق •

ورقنا نلاحظ وقصهن الأحوج مدة طويلة دون أن نلاحظنا واحدة منهن • ولكن الرجال أقبحوا لنا الطريق بلذب حاسوب بالعزى حتى وصلنا الى المقفلة لكي نلاحظ منظر الاحتفال من مواقع أفضل •

---

(\*) ابنة الملك بريام التي كانت لديها زوجة للتبيل ولكن احدا لم يكن يسمحها -  
( انظر ص ١٠ )

ووقفت امرأة عجوز من بين أولئك الجائعات وتحركت بخطوات مترنحة غير ثابتة نحو نقطة مرتفعة من الأرض مبتعدة قليلا عن الرحام . وحدت حركة ساعطاب بين الرجال الذين استنظر أحدهم نحو المؤلفة وحمس قائلا « هذه أمه » .

كانت عجوزا واحدة ترتدى ملابس متواضعة ، وكانت ذراعها ويداها مثل ذراعي ويدي المومياء ، أما وجهها الأسود الدايل ، فقد ظهر مرعبا حلب فتاعها النرابي . وأضحت تدبر جسمها للأمام والخلف عدة لحظات وهي مراقب حماري أخير وهم يهيلون الرمال ، ثم مدت ذراعها وانفترطت في سيل من التحميم .

كانت لهجة قرية الدو غربية ويربريه (١) ولكننا شعرنا بأننا نفهم كل كلمة نطق بها ، وسرعان ما بدلت المصوغ تسلسل على ضيقها ، واحتق صوتها بالمبرات ، وسقطت على شكل كومة لا حول لها ولا قوة ، ورفقت وأضمة وجهها على الأرض مثل كلب كبير القلب . وظلت هكذا .

وفي نفس الوقت ارتفعت الرمال حتى أصبحت كومة كبيرة فتوجه الرجال بأصبعهم إلى مكان بعيد عن الصخرة واختاروا حجرين كبيرين من بين الألقاض لم وضوعهما في موضعين فوق رأس وجبل الميت والتهوى كل شيء .

بعد إشارة متفق عليها بالرغم من أننا لم نلاحظها ، توقف النواح ، وقامت النساء وانطلقت جميع الألسنة ، وأطرد الرحام إلى حشد متحرك متدافع كثير الضوضاء ، ونشقت الجميع في اتجاهات مختلفة . وضمينا مع الجميع فأضحت المؤلفة والرسام يتجهان للبحث عن المصعد ، بينما اتجه الثلاثة الآخرون إلى البحث عن أماكن بيع السلال والحل . وعندما نظرنا إلى الخلف ، كان الرحام قد أنفض بيننا بقيت الأم الصغيرة واقفة في النراب بلا حراك .

لقد تصادف أن شاهدنا العديد من الحنازات في منطقة النوبة . وكانت كثيرة حتى أننا أحسبنا بأن محافظ أسوان لم يكن يبلغ عن الحالة

---

(١) الرجال منا يتحدثون جميعا باللغة العربية ، أما سماء المؤلفة فلهي بحرين فقط اللهجتين الكنيسية والميربرية والأولى منهما يتحدث بها أهل كيروسكو

الصحية في محافظته • وكان الاحتمال الجبلي متشابهاً في جميع الحالات  
 من حيث الرضعي والامضاء داسا يتخذ بريري مع أعلى درجات التخصص •  
 وحلت احدى في مدى مسيح هذه الاحتمالات بالاصول الاخرى في التحالصة  
 وعلى ما دخل عليها من التقاليد المصرية القديمة • هي المحتمل ان يسود  
 الرضعي في اصول حيشيه • وقد شاهد ليسبوس أثناء رحلاته في السودان  
 سنة ١٨٨٢ الميلاد شيئاً من هذا النوع في جباله كانت في واد عدي  
 الذي يقع في منتصف المسافة بين سنار والخرطوم (١) أما شريط القمر  
 المصنوع من القماش الأبيض الذي كانت ترتديه جوفه الناضجات فهو  
 مصري ، لأنها رأيناه فيما بعد في المنقوش التي تمثل مواكب الجوارات  
 على حوافل العديد من المعابد في طيبة حيث تظهر النساء الناضجات وهن  
 يحسن التراب في أيديهن ثم يلويهن فوق رؤوسهن مثلما يحدث الآن أما عن  
 النواج فقد بدأ مرتصفاً تم استخمس في دورات يحصل بينها ثلث نسبة وليس  
 نصف نسبة حتى يصل الى ختام الجواب المكون من ثمانى لفحات موسيقية  
 متتالية يبلغ ارتفاعها نصف الاربعاء الذي يبدأ به النواج -- ولابد أنه  
 يمثل حتى اليوم نفس الحركة والارتفاع الذي لفتار به النواج الذي كان  
 يصحب الفراعنة الى متواهم في وادي الملوك •

ولابد ان هذا النواج كان يسلم من جيل الى جيل على مدى عصور  
 عديدة مثل الرغاييد التي كانت كل أم تعلمها لبناها المصغرات والتي  
 لا يمكن اتقانها الا بالتفريب عليها منذ سنوات الطفولة • ولابد أيضاً أن  
 الأغنية التي يدير الفلاح الشادوب على أنغامها ، والاشهاد الرتيب الذي  
 ينشده عامل المساقية تعود جميعها الى اصول بعيدة - ولكن أقدم وأشجع  
 الأصوات الانسانية هو نواج الموت الذي استمعنا اليه في قرية الدر ،  
 ولا شك في أنه أقدم الأصوات وأكثرها إثارة للشفقة •

أما هذا المبدأ الذي يسود تاريخه الى أيام رمسيس الثاني فهو  
 بسيط التصميم ، متوسط الجودة في التنفيذ • وقد بني جزء منه وحفر  
 الجزء الآخر ، ويتم الوصول اليه عن طريق قناة عملي يدعم سقفه ثمانية  
 أعمدة مربعة ، لم يتبق منها سوى قواعدها • وترفع سقف البهو أربعة  
 أعمدة ضخمة كالأمهات في يوم من الأيام أربعة تماثيل كبيرة الحجم •  
 وتسمح الأعمدة بظهور ثلاثة مداخل تؤدي الى العجرات المنحوتة في

(١) انظر Lepsius's letters from Egypt, Ethiopia etc. - للخطيب رقم  
 ١٨ صفحة ١٨٨ ، طبعة في Bonn سنة ١٨٥٢ •



الصخر حلقها • وهذا اليوم ، لأن يكون سقف ، أما التماثيل فلم يبق  
منها سوى أحد منها • لقد حارب كل شيء بحرياً ليس فيه شيء من الاحمال •

وسلمد نصر ، إلى الملك من انداحل بحله لا يحو من روعة • وتنقسم  
لغاعة الكبرى إلى صحن وجناحين بواسطة صفي من الأعمدة المربعة يوجد  
منها ثلاثة على كل جانب • ويبلغ مساحته هذه القاعدة أربعين قدماً مربعاً  
ولقد بنيت الأعمدة في الصخر مثل تلك الأعمدة الموجودة في المقابر  
للقديمة بآسيوط • أما حوض انهار الذي يحتره اليهود المتهم بأنه يبنى  
حاصب ، ويشق طريقه صعيد إلى قدس الأقداس في الحرة لميق •  
أما سموش التي في الداحل فيها بالرغم من شدة الدمار الذي لحق بها  
فإنها أقل تشويهاً من تلك التي في اللغاعة الخارجية • وقد غطيت الحوائط  
ولأعمدة وانداحل سموش بارره يظهر فيها الملك والآلهة بتاح ، ثم الملك  
والآلهة رع ، وأخيراً الملك والآلهة آمون ، وأمام وجهاً لوحه ، ويد في يد  
عل الجوارب الأربعة لكن عمود • ومطلي الحوائط مسطر الحروب ،  
والدبح ، والمسح بالرب • أما المساحات الحالية هذه اعتلت كالعادة  
بالحقوش بهيروغليمية التي اكتشف شامبليون من بينها قائمة غير كاملة  
باسماء أولاد وبنات رمسيس الثاني •



معبد آمون بالثوبة

وكانت هناك يوما ما اربعة آلهة تجلس على عروشها في عمق قديم  
 الاقداس ولكنها لقيت مصير المائيل الخارجية الأريه ولم يبق منها  
 الا اقدمها . اما النقوش الحائطية التي تغطي هذه الحجرة الصغيرة  
 الخائفة فهي محفوظة بطريقة أفضل من تلك الموجودة في القاعة ، حيث  
 ترى صورة لم تسمى لوكت احتفالي مكون من الكهنة الذين يحملون على  
 أكتافهم القارب للقبس « باري » ، وبالقرب منها صورة للآلهة تتجوز  
 بطول الحائط ما زالت تحتفظ بألوانها الزاهية .

أما الخنزير الذي ينير الاهتمام أكثر من هذه المناظر كلها والذي تعود  
 أهميته الى مدرته - فهو منظر مسحوت لشجرة مخيل يركع الملك أمامها  
 أنبسا ، تقديمه القرابين للآله آمون رع . وقد رسم الجذع يصعد واضح ،  
 والأشجار كاملة ومحمرة برشاقه رغم تبعدها حسب التشكيلات المتعارف  
 عليها . ولست هذه الشجرة الا إضافة ربما أمكن التعرف عليها من  
 خلال موسم جنى البلح الذي يمثل ثروة هذه المنطقة ، ولكنها لا تمنى  
 شيئا مقدسا . وقد رسمت لأشياء الجو الطبيعي على الرسم . وهذا الجو  
 الطبيعي غير معناد في الفن الذي ينتمي الى هذه الفترة حيث كانت زهرة  
 البردى التقليدية ووردة اللوتس التي يجارها عما المصكبن المبتاعين  
 الرحيدين اللذين يظهران على حوائط المصباح . وأندكر رسما مشابهها  
 يتجلى في البيت البار الذي ينتمي الى عصر العولة الحديثة ، ونعني  
 به أعواد بيت البردى المنحنية والمقصوفة والمتمايلة في منظر صيد الأسود  
 بمسجد مدينة هابو ، وهو رسم يجبر الإعجاب لتحرره من القيود واستعاراته  
 الواضحة من الطبيعة .

وبعد خروجنا نظرنا الى سوانط الهند باحثين بلا جفوى عن منظر  
 الممركة التي استطاع شامبلين عن طريقها أن يتتبع الأسد المفسود الذي  
 خطبح للملك رمسيس الثاني في الاسطورة التي تصفه بأنه « خادم جلالتة  
 التي يسرق أعداءه الى أشلاء متناثرة » . وقد حظي على ذلك حسنة وأربعون  
 عاما . وآلآن فانا نكتشف بصممة يمس الخطوط الخارجية للبهمة التي  
 تبين عجالات البرية الحرة والغوي .

وهناك بعض المقابر المحفورة في الصخور القرية . وقد اكتشفها  
 الرسام يينا كانت مؤلفة هذا الكتاب ترسم بعض الرمومات التخطيطية  
 للمعبد من الداخل . ولكنه قرر أنها مجرد مقابر غير ملوثة وغير منقوشة .  
 وعلمنا أدوا ووحدها ناحية النهر ، كانت الصخور والرمال والسمد في

أرجعها . وبعد أن كان هناك حشد كبير من الناس لا يجد الآن شخصا واحدا . وكانت أشجار الخيل نهر حماماتها ، وطيور الحمام قد عليها الناس . وللمدينة الطيبة مرقد في الشمس . وحتى لم الفيد يارعب المكان الذي كانت توح فيه ومركت أيها ليرقد في سكون المصراة .

ومصيا لكي تشاهد قبره . وكان الرمل الذي أميل فوقه حديثا . شامق اللون بالنسبة لبقية الرمال المحيطة ، ولولا آثار الإقدام لما استطعنا أن نسير القبور الحديثة من تلك القديمة فكلمها متشابهة . وقد وجدنا بعضها غائرا أكثر من غيره فحدونا بأحجار كبيرة تم حلاتها بالربط المتعدد الألوان . وكان منها قبر واحد لو أناس محددين يحاط من الطين . وعلى رأس القبور جميعها آية من الطين . وكما أينما شاهدنا محطة مداهن في النوبة ، سر هذه الآية فوق القبور . وقيل لنا أن البائعين كانوا يمشون على هذه الأرض يوما ويضربون حبال حله الفترة كل يوم جمع . ويسلوا هذه الآية بالله الذي شرب منه الطيور . وكانت الآية التي على القبور الأخرى جافة ومملوءة بالرمل ، ولكن الاناء الجديد كان ممتلئا . وعندما لمسنا الماء الذي كان فيه وجدنا مساحتها .

وجدنا السيد ( ل ) والروحيين السعديين واقفين عند الخليج وظهرهم مستندة إلى شجرة ليخ كبيرة ، مصاطي بزحام ضخم وأبعد ما يكونون عن الراحة . ولابد أنهم مروا على « الأسواق » منظرهم بالاستعداد للشراء . ولذلك حضر اليهم جميع السكان حاملين كافة الحصر والسلال وحراعت الأسف والحوام والقلائد والأساور من المكان الذي يقفون فيه . ولما شاهدنا القليلة التي كانوا فيها أسرعنا إلى الذهبية وأرسلنا ثلاثة أو أربعة من البشارة لتجديتهم فاحضروهم منتصرين .

أنا لا نستطيع أن نتجول على الشاطئ بدون حراسة حتى في مصر ، فقد تعود الناس على الإلحاح ولكن من الممكن إعادهم إلى مسافة مملوءة . أما في النوبة حيث لم تكن حياة السياح آمنة من حشمة علما مضت . فإن الإنجليز الذين بدون حماية يتجمع حولهم الفرغاء بشكل غير مقبول . أما المواطنون فما زالوا في حقيقة الأمر مجرد متوحشين ، والطباج القديمة مختلفة تحت قشرة رقيقة من الإسلام .

وكانت بعض النساء اللاتي نعن أنفسنا إلى المركب بالرغم من لون بشرتهن الأسود ، مثل بقية النساء يتميزون بعيون ذرقاء صفية ،

وشعر أحمر مما جعل أشكالهن تنير الخوف . ويوجد هنا وفي أبريم الكثير من هذه العائلات ذات البشرة العائجة اللون ، ويقال إنها تناسلت من آباء من البومنة كانوا قد أقاموا في النوبة منذ الهرمية التي لحقت ببلادهم على أيام السلطان سليم سنة ١٥١٧ ميلادية . وتتفاخر هذه العائلات بسماتها الأجنبية وتطلي بناتها أبهن جميلات .

وبعد أن ركبنا جميعا للركب ونحن سالكون ، أبحرنا في الحال تاركين حوائى مائتة من الباعة الساحطين واقفين على الضفة ، وهم يشيخمون بصياحهم الذي يعبر عن الاعتية - لقد طن الذين باعوا والذين لم يبيعوا أنهم قد تمردوا جميعا لعدم التوفيق والخراب والندماع . لقد الدلعت إحدى النساء تجرى بطول الضفة وهي تصرخ وتصرب صدرها لأنها استطاعت من دون البائعين أن تنجب الدلاية المحببة التي تتدلى فوق الحناجب بشم مرتفع ولكنها تشمر الآن بالحزن للفقها . وكثيرا ما كان يحدث أن الباعة الذين أبدوا استعدادهم للبيع ، يمدون فينبدون على المساومة ، بالرغم من أن جشمهم يفوق جبههم للمظهر . وقد تأثرت مرة أو مرتين ببيكاه بعض الفتيات السود اللاتي يربحن ربعا مقلولا من بيع قلائصهن ، ولا عرضت عليهن الفاء القراء ، اتضح أنه بالرغم من دموعهن فاهن يظلمن الاعتفاظ بالنفود .

وكانت أشجار النخيل في قرية الدر والمنطقة الفنية التي وراها من أفضر الأنواع التي رأيناها خلال الرحلة كلها . لقد كانت مستقيمة وقوية وواحدة أكثر ، وكان متوسط ارتفاعها يصل إلى ما بين سبعين إلى ثمانين قدما . وهذه النخلات الفاخرة تمتد مصر كلها بالفتلات ، وتساهم في ريادة فصل القومى بسبب ما يفرض عليها من صرائب ضخمة ، أما البلح الذي يضاف من الشمس ، وينكش سبطه الخارجى فيرسل إلى الفصائل يكحيات كبيرة .

ويقوم المواطنون بزراعة أشجار النخيل في حلب شديد . ويومد اكتمال نجاح محصول هذا إلى الري المفرير والمناخ المناسب . ويحيط بساق كل نخلة حديق دائري يمثلي بناء الوارد إليه عن طريق قناة صغيرة يبلغ عرضها حوالي ١٤ قدما . وتقف كل مجموعة من النخلات داخل شبكة من هذه المجاري الصناعية . وتمد الساقية الخزان الذي تخرج منه هذه القنوات بالحد . والساقية أله بدائية وجميلة المنظر ، تتكون من عجلتين أحدهما موضوعة رأسيا على النهر وقد ربطت بها سلسلة دائرية من الأجرار . لها الثانيه فهي ترس على يديره في بعض الأحيان جمل ، وفي

أحياء أخرى جاموسة • أما الحرار ( التي تهبط فارغة وتنفس في الماء ثم ترتفع مثلثة بالماء ) فانها تطفئ حوضا محددا يمد حرارا بالماء في بعض الأماكن ، وهي بعضها الآخر تحصل مباشرة بقنوات الري • وتصل هذه السواقي بشكل مستمر وهي موضوعة في أعلى قرية الدار بكثرة ، حتى ان المؤلفة أحصت خمس عشرة ساقية في حط واحد ، وعلى مدى ميل واحد ولا شك في وجود العديد منها على الضفة الأخرى •

وتصدر السواقي سريرا عاليا يرفع صوته الى طبقات غير محدودة من النخم • وتبدأ الفوران من الفجر حتى حلول الندى ، ومن حلول الندى الى العصر وهي تصر وتغوي وتحنك وتنق ويصد حلول الغللام يسمع صوت السواقي وهي تجارب احداها الأخرى ، ويحصل تردد صوتها الحزين الليلي مرعبا بشكل يستحيل معه النوم • ولما كنا قد رسمونا مصطريين على بعد لميال قليلة من قرية الفجر ، فقد عابنا من السهر مدة حصل الى نصف الليل ، ولذلك عرضا على عامل الساقية دولارين اذا ترك ساقيته لتستريح حتى الصباح ، ولكن كان الرمي والماء خلال هذا الفصل أغل من الدولارات ، ولذلك رفض الرجل المبلغ ولم نعمل شيئا سوى الانتقال بالركب الى منتصف السهر ، والبقاء في نقطة نبع على بعد متوسط من أقرب ساقيتين •

ويحب المواطن صا بخله اننى تكلفه الكثير من الجهد ، وينظر اليها بوصفها ثمة امجارات الخليفة • وتقول أسطورة عربية ان الله عندما خلق الانساق الأولى احتفظت بقطرة صافية من الطين صنعت منها التفتلة • وتعتبر هذاها البقع مقدسة بالنسبة للنوبي الفقير ، لأنها تعلم الطعام لأطفاله ، والسقف فكوحه ، والواح الخشب لساقيته ، والحيال والحصر والأطباق والأوعية وحتى المشروب الثرى الذى تحرره تعاليم الاسلام • والخمر المصنوع من الملح ( المرقى ) لونه ابيض صائب الى الصفرة مثل الويسكى ، وهو ليس مثل الويسكى ، ولكنه خلاصة ذات قوام غليظ وطعم ملتهب غير مستساغ •

وهناك اشجار معينة مثل شجرة الصنوبر الصغيرة التي تنمو في غابات الاميا وتلقى الواحة منها كل عاية ، ولكن لا أحد يهتم بالنبلة • ان النخلة الواحدة أو المجموعة من اشجار النخيل رشيقة وعتيبة دائما وهي كبيرة اكسبة بالنسبة للرستم الذى يرسم لوحاته على شاطئ النيل ، لأنها تكسر الخطوط العرضية الطويلة للنهر والاضفتين ، وتتوافق مع الخطوط المعادة للمصارى المصرية بشكل لا توفره أية شجرة أخرى في العالم •



الصينالية

بعد قال أحد العامين البارزين لمؤلفة هذا الكتاب هي يوم ما  
ه الموصوعات حقا ، ان ما يقال عن الموصوعات هو كلام فارغ ! ان العنان  
لصادق يستطيع تكوين لوحة من مجرد عمود وحفرة صحجلة تمتلئ بماء  
الطر » \*

لنفسر المحطة اذن هي العمود ثم نط فيها وبن أول ما يحظر على  
بالا ، وليكن حملا أو شادودا أو امرأة تحبل حرتها على رأسها ، فصيح  
اللوحة كاملة أمامك \*

وفي البداية لم يحسن شيء أكثر من النخيل الذي اعاد رسامو  
المنظر الطمعه الشريفة أن يرسموه بلون اردي غامق مثل لون ورقة  
الصسمار Yucca ان سمعه النخيل رقت ولامع ، ولونه خليط من

الرملي والأخضر مثل لون البحر . ومن الصعب ممالكه إلا أنه يتوافق مع لون السماء المشرق الرائع ، ولون الصحراء الذهبية .

وقد ظلت مزارع الحبل مباحية لما عتد أميال ، وكانت تحيطها من ناحية الصحراء الشرقية سلاسل طويلة من صخور البحر الرمل التي تتخذ شكل طبقات أفقية مثل تلك الموجودة في طيبة . والآن أصبحنا لا نرى القرى إلا نادرا ، ولكننا كنا نرى فقط النخل والسواقي والحدائق الرملية على نهر النيل . كانت القرى هناك ، ولكنها غير مرئية لأنها مبنية على حافة الصحراء . لأن الأرض القابلة للزراعة ذات قيمة كبيرة في النوبة سواء للمعيشة عليها أو لبيع ثلوثي فيها .

وشاهدنا في أبريم لعدة دقائق ، حطام صرح كان قائما على حافة جرف عال ، وذلك عندما ذهبنا لشراء حروف صغير ذي فروة كثيفة أتى به أصحابه إلى منطقة الرمي بقرص البيع . ولكننا لمضنا السليم الذي أخذ يهب حينئذ فاردا أن نسلق الصخرة لمشاهدة المنظر والغرائب التي كان بعضها حديثا ، وبعضها الآخر ذا طابع تركي ، والبيض الأحمر ورمالها ، والقليل منها حصريا .

وهناك أيضا بعض الكهوف المنحوتة والموتة التي تظهر في الجانب الجنوبي للحبل . وكان أوتقاؤها مصفا بالنسبة للسيفات . ولكن ثم جنب الفريد - الذي ذهب إلى القضاة ، معنا عن طيور السماء - إليها مربوطا بالجبال ، ولكنه وجفها عشوة إلى العرجة التي تجعلها لا تستحق مشقة المشاهدة .

وأصبحنا الآن على بعد ٣٤ ميلا من أبي سنبل ، ولكننا كنا نتقدم ببطء ونسعى كل قسم لمطعمها من الطريق . وكانت الحرارة شديدة في بعض الأحيان مع هبوب نسائم من رياح الضاسم التي كانت تعاقب صاحبة مما ضايق الرجال الذين كانوا يسحبون المركب . واستمر تقدمنا لمسافة عدة أميال في كل مرة حتى انحطت الصخور ذات القمم المسطحة تدريجيا ، وتبعها مرة أخرى القمم البركانية التي ظهرت أعلى من تلك التي حول الدكة أو كوروسكو . ثم أجدت مزارع النخيل في الروال ، وضائق حزام الأرض المزروعة حتى أصبح مثل نيط أخضر بين الصخور وحافة الماء . وفي النهاية حل المساء عندما كنا نريد فقط رياحا تكفي لعبور امتدادتين أو ثلاث امتدادات من النهر .

وسألنا للمرة العشرين قبل أن نهبط لتناول العشاء ، « هل سنصل إلى أبي سنبل الليلة ؟ »

وكان الرئيس حسن يضيف قائلا : « أيجو » .

ولكن المرشد كان يضيف قائلا : « بكرة » .

وعندما سمعنا مرة أخرى كان القمر قد لاح ، ولكن الرياح انخفضت سرعتها ، ولكننا مازلنا ننحرك مسوقين بريح ضعيفة لدرجة أن الانسان لا يشعر بها ، وسرعان ما استتفت هذه الأخرى ، وتم طي القراع ، وادار المرشد المركب نحو الشمال ، وأعطى القبطان الأمر بالارتفاع عندها أدت عبة ريح مفاجئة قلعة من الشمال إلى تغيير طالعنا ، ودفعنا للخروج مرة أخرى إلى وسط النهر بشارع معتل بالهواء .

ولن يسي أحد منا الاثارة المتواصلة خلال الساعات الثلاث التالية . وعندما أخذ القمر في الارتفاع انتشر نور أكثر غرابة ، ومختلفا من نور النهار . على الامتداد المتسع للنهر والصحراء . واستطعنا مشاهدة جبال أبي سنبل وهي ترتفع على مسافة بعيدة غير مسبوكة . لقد رأينا الجبل المنخفض في البداية ، ثم الجبل الأكبر ، ثم سلسلة من المرتفعات المنحدرة إلى الخلف . وكانت جميعها متجاورة ولكنها منفصلة .

كان الجبل الأكبر هو جبل الحب الكبير الذي يقف في مواجهةنا مثل تمويطة . لقد ظهر لفترة طويلة مجرد جبل مثل بقية الجبال ، ولكننا تخيلنا رويدا رويدا أننا اكتشفنا شيئا . انه ظل - كما لو كان دعامة ضخمة . ثم ظهرت قمة سوداء لا يريد حجمها عن حجم للفتة القمرية في السفينة . واستنتجنا أن هذه القمة السوداء لابد وأن تكون هي المنسل ، وهرلنا أن التماثيل الطينية كانت هناك رغم أنها لم تظهر بعد ، ولكن لابد لنا أن نراها .

وفي نفس الوقت شعر بطاقتنا ببهجة الوصول قبل الآخرين . وكانت الفخية باجستونر وثلاث خضبات أخرى تتبعنا في مسير ضوء القمر . وكانت أنوارها الصفراء تلمع مثل المنارات الضوئية فوق سطح الماء . وكانت أقربا إلينا على مسافة تبلغ ميلا تقريبا . أما الأخيرة فكانت مثل حرارة على البعد . ولم تكن في الحالة التي تسمح بالاهتمام بالتصديق من هذه الليلة ، ولكننا كنا حريصين على وجودنا في المنطقة ووصلنا أولا إلى مواقع الحرس .

وكان الصمود على الشاطئ الرملى الفارق في النهر يغميه في مثل هذه اللحظة الغرق الفلجج في ماء بارد . لقد خلق شراعنا بشكل غريب ،



واندفع الرجال الى المعى الطويلة التى تنفرز فى قاع النهر لمطع المركب الى الامام ، فقفر اربعة منهم على السطح ودفنوا المعى بكل قوة اكتافهم ، وفى نفس الوقت تركنا نحن الى القوارب الأخرى التى استطلعا ان نتقدم بها لمسافة نصف ميل ، وبذلنا جهدا كبيرا لمسح هذه القوارب من الصفيط على كمرب اقداما . وبعد ان درنا حول الركن الأخير ظهر المعبد الكبير مرتفعا فى مواجهةنا . اما المواجهة التى كانت غارقة فى جانب الجبل مثل صورة ضخمة داخل يرواز كبير ، فقد صار من السهل رؤيتها الآن . ولم تعد البقعة السوداء فى مثل حجم نافذة القمر بل ظهرت فى حالتها الطبيعية بوصفها بوابة ضخمة .

واحدا ظهرت التماثيل الأربعة الضخمة كالاشباح ، باهنة ومكلمة بالظلال فى ضوء القمر الساهر وذلك بالرغم من الليل ، ومن يصحنا عنا بمسافة لا تقل عن ميل . وحتى عندما كنا نراها ، كانت تظهر وكأنها تكبر وتتسع وتتحرك نحونا قاذبة الينا على هذا البعد .

وكان الوقت يقترب من صف الليل عندما وصلت فيلة عند المعبد الكبير . والمتمنا بما شاهدناه عن طريق النهر فلهبت بلبلة المحوعة لسوم فيما عدا الرسام والمؤلفة اللذين لم يصبرا حتى الصباح . ولذلك تقفرا الى الضاملى . وأذا فى تسلق الضفة قبل ان يتم ربط حبل الرمي جيدا .

وذمبا وولما عند التمام التماثيل الضخمة على عتبة ذلك المدخل الكبير الذى حيم المظلم حله . وكانت التماثيل الضخمة ترتفع فوق رأسيهما مثل الأبراج المائلة . أما صفحة النهر فكانت تلمح على البعد مثل لوح من المصطب . وكان المسكون القديس يثقف الهواء . ونجم الصليب الجنوبي يرتفع فى اتجاه الشرق أما بالنسبة لهدى القريين اللذين ولما يمدان بالأسف مقطوعة ، فقد أحسا بأن ظروف الوقت والمكان وحتى صوت حديثها أبعث كثيرا عن التصديق . وشعرا كما لو كان الأجرب يقضى فلاش المنظر كله فى ضوء القمر واختفاه قبل قدوم الصباح .

## الفصل الخامس عشر

### رمسيس الأكبر

كان رمسيس الثاني وسيظل دائما هو العلامة المركزية في التاريخ المصري . وهو ينال هذه المكانة بالقرنية مرة وبالمسقة مرة أخرى . ولقد ولد ليكون عظيما فتال الطيبة ، وامتدحهم الطيبة فشقت طريقها اليه ، وكان قدومه الوحيد ليس فقط أن يقتصب الطيبة بعد الوفاة ، بل أيضا أن يسي اسمه الشخصي ويذكره الناس عن طريق مجموعة من الاسماء المستعارة مثل ميسوسيميس ، وأوسيماندياس ، وميزوسيتريس . لقد صلب مرتبطا على منادى الرمس بكافة أعمال أبطال الفولة الحديثة التي بدأت بتحتوس الثالث الذي سبقه بثلاثمائة عام وانتهت بشاشاتق الذي استولى على القفس والذي عاش بعده بمئة قرون . وعلى كل حال فقد قام العلم الحديث بإصلاح هذا الظلم عندما كشف عن السلسلة الطويلة من الاسماء المنسية لسطوة الملوك ، مما ساعدنا على أن نرد الى كل منهم الأجداد التي تخصه . ونحن سوف الآن أن بعض هؤلاء الملوك كانوا غزاة أعظم من رمسيس الثاني ، ولا تشك فيه أن بعضهم كانوا حكماء أفضل . إلا أن المظن القسيمي احتفظ بمكانته . وما فقه بالتأويل من ناحية ، ناله بالتأويل من الناحية الأخرى . وسيظل رمسيس يظل البردية الشالقة السالمة ، والمرعون الذي يمثل سلسلة من الملوك الذين يغطي تاريخهم فترة زمنية تظهر بضمين قرنا ، والذين امتدت حدود إمبراطوريتهم يوما ما من بين النهرين الى الحدود الجنوبية للسودان .

وبدأ الاحتمام برمسيس الثاني من حنف ، ويمضي في الإزدياد على طول الطريق مع نهر النيل . أنه اعتياد حي وشخصي مثله يحس الإنسان في أئينا بطلمة بركليس . أو قتي فلورنسا بطلمة لورنزو . أما بقية الراعة فلا يشرون الخيال إلا قليلا . أن تحتوس ولتحتوب يتلان ما يمثل دأرا أو أرتاكسيس — ظلالا تأتي وتذهب على المهد . أما بالنسبة لرمسيس الثاني فإننا نعرفه المعرفة التي تمتحق الاحترام . أننا سوف الرجل



الذي يمثل أروع سجل تاريخي انتقل من الماضي الى الحاضر ، فإنه لا يذكر للسابع الا جزءا من الحقيقة - وعندما يصل الى مجرد التخط الذي يظهر من الترح ، فإنه يتجول في قاعة الى قاعة مقفلة بهجة الارتباط بالمسي الذي لا يستطيع أي مؤلف من نوعية موزي أن يشرحه . ويصح مثل السائح العربي الذي يتجول شريطا خلال قاعات كاتدرائية ويستمتعي أبي في لندن تحت توجيه أحد شماسة الكاتدرائية ، فلا يحيط إلا بمفهوم غير واضح عن المزي التاريخي للأشياء التي يشاهدها . وما يقال عن هذا السائح الفرنسي يقال كذلك عن هؤلاء الذين يأخذون معلوماتهم عن الرحلة عبر مهر النيل عن طريق كتب الإرشاد السياحي . وغدا أرادوا أن يفهموا شيئا من وصف أبي مسيل فعليهم أولا أن يسرفوا شيئا عن رمسيس الثاني . دعا لذن ستهر فرصة وجود قبلة رمنية في صخرة إيشك (١) ، لكي تستعرض باختصار شديد الحقائق الأساسية عن هذه الفترة ذات الأهمية . وسنورد هذه الحقائق كما هي مقونة في النقوش والبرديات وغير ذلك من الآثار الماصرة .

كان رمسيس الثاني (٢) هو ابن سبتى الأول ، أحد قرابة الأسرة التاسعة عشرة من الملكة توي التي تصفها الآثار بأنها « الزوجة الملكية ، والأم الملكية ، ووارثة وشريكة العرش » ومن المروى أنها تعود الى النسل الملكي من الأسرة السابقة وعلى ذلك ، فمن حقها أن تسبق زوجها في ارتداء التاج المزدوج . ويبدو أن رمسيس الثاني قد ولد عن طيها ، مساويا لزوجته في المكانة إن لم يكن مساويا لها في قوتها . وتحدثت حقوقه بالإشتراك مع أبيه سبتي الأول الذي منحه السلطات الملكية والصفات القلمية منذ لحظة ولادته ، أو كما يقول المؤرخون المصريون عندما كان ( ما يزال في الببضة ) ويذكر النقش المقدس الموجود في ضريح أوروريس

(١) إيشك هو الاسم الهيروغليفى لقبة أبي مسيل .

(٢) من الصعب في الترتيب الزمني المصري حاليا تحديد تاريخ لقريوس للأحداث التي حدثت قبل غزو قيسر ، فليس للمصريين في الحقيقة ترتيب زمني بالعلم المعروف للحقيقة . والله فتخذوا بهؤلاء السيد المسيح خطبة مرجعية ، وأحصوا أحداث كل فترة من بداية ظهور السلطة التي تتولى إليها الأحداث . ولم يكن من الممكن قضاة حرك الخطا والارتباك مع تطبيق مثل هذا النظم . فمن الصعب تحديد تاريخ ميلاد ووفاء رمسيس الثاني . كذلك غالبا غير متأكد من تاريخ لقريوس السيد الذي عاش فيه ، ويلفرض مايريت الذي اتخذ من القوائم الترتيبية التي أوردها هاتشين قلعة لصابية ، أن الأسرة التاسعة عشرة قد حكمت خلال الفترة ما بين عامي ١١٦٢ . ١٢٨٤ ق.م . وبما على هذه التواريخ التي تطرحها الأسرة من فترة حكم رمسيس (الذي يسبق الأول) يصرح حكمه

في أبيدوس (١) كيف وضع أبوه الطفل الملك بين يديه ، الذي لم يكن  
 إلا ولدا صغيرا ، وعرضه على الجبابرة بوصفه ملكهم وطلب إلى كبار  
 ضباط القصر أن يتوجهوا بالتاج المزدوج - ويذكر نفس النقش أنه كان  
 قائدا عسكريا منذ ولادته ، وأنه بالرغم من كونه طفلا ، كان « يقود حراسه  
 الشخصيين وكتيبة فرسان السجلات الحربية » ولكن لابد وأن تكون هذه  
 مجرد ألقاب . وفي الثامنة عشرة من عمره جلس على العرش إلى جانب  
 أبيه ، مع تسليح سيتي الأول التدريجي من الالتزام بهام الحكومة .  
 وفي خلال فترة تتراوح ما بين عشر إلى خمس عشرة سنة أصبح رمسيس  
 صاحب السلطة الكاملة بلا منازع . ومن المحتمل أنه كان في سن الثلاثين  
 عند وفاة والده . ومن هذا التاريخ يبدأ حساب سنوات حكمه الرسمي .  
 ويعني آخر نقوش ابن حكم رمسيس الثاني يحسب في الوثائق الرسمية  
 ابتداء من السنة التي انفرد فيها بالسلطة ، وهي أيضا السنة الأولى التي  
 توفى فيها سيتي الأول ، ولذلك فهي تعتبر السنة الأولى من حكم ابنه  
 وحليفه حسب ما نزويها النقوش الأثرية . وخلال السنوات الثانية  
 والرابعة والخامسة لحكمه ، قاد بنفسه الحملات العسكرية إلى سوريا .  
 وقد دوت أخبار العديد من انتصاراته على الألواح المنحوتة في الصخر  
 على تهر الكلب بالقرب من بروت . وأنه كان معروفًا في ذلك الوقت  
 بوصفه المقاتل الجبار كما هو مدون على لوح دكة الذي يعود تاريخه  
 إلى السنة الثالثة ويصفه بأنه دهيب في المعركة « الثور الأقوى ضد  
 أيوبيا » أما هؤلاء الذين كانوا يصلون تحت الأرض فقد سيقوا للعمل بدون  
 أن يظلوا سيقانهم للريح . « أما أحداث حملة السنة الخامسة ( قام بها  
 لكره يعبه إلى طاعته قبائل سوريا وبيد النهرين النافرة ) فهي مذكورة في  
 قصيدة بنتاؤور - وفي هذه الحملة خاض معركة التي استخدم فيها

= رمسيس الثاني إلى سنة ١٨٠٥ ق.م وحسب بروجش فترة حكمه ما بين ١٨٠٧ .  
 ١٧٤١ ق.م أما ليسوس فله سجل حكمه خلال السنتين عامي المسورة بين عامي ١٧٨٨ ،  
 ١٧٣٧ ق.م . وقد أجريت هذه الحسابات جميعها قبل اكتشاف لوحة أبيدوس ، أما بليسين  
 فإنه يحل بداية حكمه من ١٧٥٢ ق.م . وهناك اختلاف البره ٥٥ عاما بين لكره وأصدر  
 هذه الحسابات كما يلي :

ولفيا لحسابات : بروجش ١٨٠٧ ق.م  
 ماريوت ١٨٠٥ ق.م  
 ليسوس ١٧٨٨ ق.م  
 بليسين ١٧٥٢ ق.م

(١) انظر كتاب "G. Clavier في باريس سنة ١٨٦٧ وعملاته :

*Revue sur l'inscription Déclaratoire du Temple d'Abydos et la Jeunesse de Sévatis.*

يديه ضد المهاجمين الذين تدفقوا عليه أمام كلا الجيشين تحت حوائل مدنية قاجش . ومنذ ذلك بثلاث سنوات حمل النار والسيوف في أرض كسان . وفي عامه الحادى عشر استولى على قلاع عسقلان وأورشليم حشد الاماكن الحصينة الاخرى وذلك حسب النقوش التي عثرت باقية فوق حرايب روايات معبد الرصيصوم في طيبة .

وينقلنا السجل لهم الثاني الى السنة الحادية والعشرين من حكمه . لقد قضت الاث عشر سنوات منذ سقوط اورشليم ، ومن المحتمل ان تكون قد حدثت خلالها حروب حدودية متقطعة مما أدى الى انهك الجيشين ، فسمى الأمير خيتا سوا أمير خيتا الى السلام (١) ، وحينذاك وقعت معاهدة طميلة ورد فيها ان الأمير المذكور ، ورفصس كبير الحكام الذى يقم حدوده حيثما شاء ، يتماحدا على إقامة حلف هجومى ودفاعى ، وتحقيق البوايا الطيبة ، والتآخي بينهما الى الأبد . وقد قيل لما ان هذه المعاهدة قد نقضها الأمير الخيتى ، على لوح من الفضة مرسى بصورة سوتخ حاكم السماء العظيم ، اما بالنسبة لرصصيس مر آمون فقد نقضت على حائط ملاصق للقاعة الكبرى في الكرنك (٢) حيث بقيت الى اليوم .

وحسب آخر فقرة في السجل العريب ، يتدخل الطرفان المتماحداين أيضا في التناق يقضى بأن يسلم كل منهما الآخر السياسيين الهاربين من كلتا الدولتين . ويعلنان في نفس الوقت على تحقيق سلامة الأشخاص الممارضين . وتقول المعاهدة : : إما الذى يتم تسليمه فلا يتعرض للقتل حر أو زوجاته أو أولاده ، ولغلا عن ذلك فإنه لا يسمح بارتكاب أية جريمة ضده . (٣) . وتعتبر هذه النصوص أقدم نموذج معون لمعاهدة تنصر

(١) أمير الخيتيين حيث يعرف شعب تلكه الآن باسم : الخيتيت .

(٢) هذا السجل لهم معثور على قطعة بارزة من الحائط خصصت لهذا الغرض ، تقع على زوايا القاعة من الحائط الجنوبي للقاعة الكبرى بالكرك . وينجبه وجه نص المعاهدة نحو الغرب ، وهي واقعة في نفس المسافة بين القصر البائس المصهور المتصلق بانه شادائق وإسراه ، ونسبة لمسيحة يتنازور المعصرة في الكرك . وتقع الألفين في فريد لخطل الجنوبي يملأ تقع الأخيرة إلى الشرق وربما كان هذا الحائط الجنوبي وولسه اللذان يبلغ طولهما معا حوالي ٢٠٠ قدم يمثلان اثنين قطعة من الاسطح المتفرقة في القلاع .

(٣) انظر كتاب Treaty of peace between Ramses II and the Hittites

ترجم المعاهدة من الهيروغليفية الى الانجليزية س . و . جودين ، ضمن مباحلة Records of the Past - الجزء الرابع - ص ٣٥ .

عن تسليم المحرمين • وهي جديرة بالاعتناء لأنها تصور مدى الاعتدال  
الذي تميز به القانون الدولي في تلك الفترة •

وأخيراً فقد وضعت المعاهدة بين الدولتين تحت الحماية المشتركة  
لآلهة كل من البلدين • موتيج اله حيتا • وآمون اله مصر • وكافة الآلهة  
التي يصل عددها إلى ألف اله • تمثل الآلهة الذكور والإناث • وآلهة التلال  
والأنهار وآلهة البحر الكبير وآلهة الرياح والمحب • وآلهة أرض حيتا  
وآلهة أرض مصر •

يبدو الآن أن السلام المتفق عليه قد بقي مساوياً المصروف خلال بقية  
عدة حكم رمسيس الثاني الطويلة الذي • ولم نسمع في كافة الأحوال •  
عن المزيد من الحروب • وبجسد أن الملك قد تزوج أميرة حيتية  
اتخذت لنفسها اسم : ما - آب - إيري - نفرو - رع • ومما • المناقلة  
في محاسن رع • واستلمت بذلك مع آلهة بلدها • وقد وجدنا أيضاً على  
الآثار اسمي اثنتين من الملكات هما نفرماري وأست نفرت •

ومن المحتمل أن تكون هذه الملكات الثلاث من الزوجات الرئيسيات  
للملك رمسيس الثاني بالرغم من أنه كان لديه عدد ضخم من الحريم •  
وعلى كل حال فإن عدد أفراد أسرته كما هو مقرر على جدران معبد وادي  
الممبوع • يبلغ ما لا يقل عن ١٧٠ ولما عنهم ثلاثة أمراء • وربما كانت  
هذه أسرة صغيرة العدد بالنسبة للملك عظيم حكم صد ثلاثة آلاف عام •  
ولا بد أن ليس يوم قد رأى في يوم آخر العجوز حسن • كاشف قرية النور  
وهو نفس الحاكم الصغير الذي أثار الكثير من المضايقات أمام برونو  
ويورخلوت وغيرهما من الرحالة السابقين • وكان بوصفه كبير المعائن  
في أيامه زوجاً لعدد من الزوجات بلغ أربعة وستين زوجة وأباً لما يقرب  
من ٣٠٠ ابن •

وقد عاش رمسيس الأكبر في سلام مع جيرانه من دافني الجزية على  
مدى ستة وأربعين عاماً • وكان عصره طويلاً وعظيماً • فقد أحب المدن  
الجديدة وفاتح باخشاها وحيد التصور • وحفر الترع • وبني الحصون •  
وصانع أعداد التماثيل والمنسلات والقوش • وقام أكبر وأغلى السادة التي  
تميد فيها الأساق • وأضاف إلى الآثار التي أقامها أسلافه مساعدات عظيمة  
فألت التسميات التي كان في نيتهم استكمالها • وحفر الآبار الارتوائية  
في قاع الصحراء المصرية • واستكمل القناة التي بنا أبوه في سحرها •

وشرق طريقا مائيا بين البحرين الأبيض والأحمر (١) ولم يكن ليصعب عليه  
أي مشروع ، أو يتجاوز أي تصميم حدود طموحاته . وتقول لوحة الدكة  
أنه : « أشرف أثناء طفولته على الأعمال العامة ووسع نفسها بيديه » .  
وقى رجولته سائر أعظم البنائين . أما عن حياته الشخصية فقد استطاع  
القليل منها أن يقاسوم عولاه الأيام ، ولكن هذا القليل يمثل عجائب  
الدينس .

ومن الصعب ألا تقدير تكلفة هذه الأعمال التي أسجزها لأن كل  
معيد ، وكل نصر ، يمثل عديحة بشرية ، لأنه أجبر الصيد المستوردين من  
اثيوبيا ، ولسرى الحروب ، وللمهاجرين السوريين الذين استقروا في

(١) منذ تأليف هذا الكتاب تفتت الدراسة المستمرة لهذا الموضوع للتحقيق بأن سيقى  
الأول لم يكن هو نفسه الخلفى للترعة التي أرسفت دهر قليل بالبحر الأحمر ، ولكنها  
الملكة حتشبسوت التي انطس إلى الأسرة الثامنة عشرة ، ذلك لأن الطوق المصنوع على  
موانئ مهبدا الكبير في الخليج البحري تذكر بوشوح أن تسطروا أحر من طيبة إلى  
بلاد بونت لم عاد من بونت إلى طيبة ممعلا بمنقحات هذا القطر الضامس الذي استنتج  
ماريت وحاسبيرو أنه كان يقع على شواطئ المسموال بين باب المنجب ورأس جلودافوس ،  
ولو لم يكن هناك في تلك الوقت طريق بحري ممك بين النيل والبحر الأحمر فمن «برجج»  
لن تكون جملة حتشبسوت الإنشائية قد أبحرت من طيبة في اتجاه الشمال وبعثت في  
النيل إلى أحد مصباته وبعثت البحر الأبيض المتوسط بطوله وخرجت منه عند نقطة هرات  
وبعثت رأس الرجاء الصالح ووصلت إلى ساحل المسموال من طريق بورغار مؤتميق  
وسواحل رنجرار ، وبعض آخر ، فإن الكفن القفراعية المصرية قامت بدور كلمة حول  
القارة الأفرقية مرتين - ومن المراضح أن هذا الانشغال لا يقوم عليه دليل . وليس هناك  
طريق بديل إلا جوه فناة أو سلسلة من القنوات التي تربط النيل بالبحر الأحمر .  
أو عن طريق ترعة وادي الطبيلات التي يصب حفرها إلى سيقى النيل . لكنه لم يكن هناك  
سبب آخر يبرر حفر هذه القناة التي تصل من النيل إلى البحر والتي وجدت مرسومة  
في نفس خاثر على الحائط الشمالي الخارجي من معبد فكرته العظيم الذي يعود إلى  
حمرة . ولكن مما لا شك فيه أن تكون الملكة المصرية التي جلست على عرش الفرانة  
هي التي تصورت أولا فكرة القاهرة باستطواها للسفر في بحر خير معروف وهي أيضا  
التي أنشأت القناة التي أبحرت منه السفن عن غربها ، وصعب ما ورد في الطبيعة  
الدانية من كتاب سيد ج - و داوسى المسمى مصر وسوريا Egypt and Syria  
فإن الدراسات الأخيرة التي قام بها الفيلسفات كولونيل أرنج - Arrang ، وأليجير  
سييت Spalgit ، وأليفتانت بورتون ومع جميعا من المؤتمسن للكثيرين ، تؤكد أن هذا  
الوادي ( تقصد وادي الطبيلات ) كان يجري فيه يوما ما قرح من النيل كان ملقى بمياهه  
في البحر الأحمر ، وفي هذه الحالة فإنه لو لم يكن هذا الفرع مستخدما في الملاحة  
بالفصل فإن الملكة حتشبسوت تكون قد المتاجت فقط لحظه ومن المحتمل أن تكون سملت ذلك  
والفصل

( ملحوظة حسنة إلى الطبعة الثانية ) .



أولاً بحكمة الدولة • ونحن نعرف مقدار عناد العبرانيين ومدى وصولهم إلى حافة اليأس التي قادهم إليها الأعمال التي أحبروا على القيام بها • ولكنه حتى العبرانيين قد استسلمت صدمهم قسوة لا نحاول تلك التي استخدمت ضد الذين احتفظوا عبر الحدود من حيث قوتها ، وأتبعوا من ييونهن بدرب أمل في العودة إليها ، ثم سقوا في أسراب إلى المناجم وساحار وساحات صنع الطوب الأحمر • لقد عوملت هذه الفرائس المسكودة الطلح بطريقة لم يحفل هناك فرصة للفرار • لقد اعتد الربوج من الجنوب إلى الشمال حسب نظام موصوع ، كما أن الأسرى الآسيويين قد نقوا إلى أيسوس • أما هؤلاء الذين كانوا يعملون تحت الأرض فقد سقوا للعمل بدور راحة أو امهال حتى سقطوا في المناجم وماتوا • أما القول بأن رمسيس هو الفرعون الذي استبعد العبرانيين (١) وأن مرستاح ابنه وحليفته كان هو فرعون الحروج (٢) فهو الآن ضمن الإضرابات المسلم بها في عدم

#### (١) انظر كتاب شلباس :

« Les circonstances de l'histoire hébraïque s'appliquent et d'une manière on ne peut plus satisfaisante. Les Hébreux opprimés bâissaient une ville du nom de Ramsès. Ce récit ne peut donc s'appliquer qu'à l'époque où la famille de Ramsès était sur le trône Moïse. contraint de fuir la colère du roi après le meurtre d'un Égyptien, subit un long exil parce que le roi ne mourut qu'après un temps fort long. Ramsès II régna en effet plus de 67 ans. Assez tôt après le retour de Moïse commença la lutte qui se termina par le célèbre passage de la Mer Rouge. C'est l'événement eut donc lieu sous le fils de Ramsès II, ou tout au plus tard pendant l'époque de troubles qui suivit son règne. Ajoutons que la Rapidité des derniers événements ne permet pas de supposer que le roi eût sa résidence à Thèbes dans cet instant. Or Merneptah a précisément laissé dans la Basse-Egypte et spécialement à Tanis des preuves « importantes de son séjour » — De Rougé Notice des Monuments Égyptiennes du Rez de Chaussée du Musée du Louvre Paris, 1857, p. 22.

« Il est impossible d'attribuer ni à Menephtah I ni à Sed II, ni à Sipsak ni à Amornemes un règne même de vingt années à plus forte raison de cinquante ou soixante. Seul le règne de Ramsès II remplit les conditions indispensables. Lors même que nous ne saurions pas que ce souverain a occupé les Hébreux à la construction de la ville de Ramsès nous serions dans l'impossibilité de placer Moïse à une autre époque à moins de faire table rase des renseignements historiques. » — Recherches pour servir à l'Histoire de la XIX Dynastie F. Shabas; Paris, 1873 ; p. 148.

(٢) النسخة الواردة في الكتاب أنقش وأثنى جرت مرعاتها تذكر أنك بليقه (فرعون) مما يجعل من الصعب تطبيقه أممه • ويرد بروجش اسم الله على طريق ذكر القايه

« Plus généralement », says Brugsch, Writing of the royal titles, « sa personne se cache sous une série d'expression qui toutes ont le »

المصريات - ويتفق الكتاب المقدس مع الآثار حول هذه النقاط ، سيما قولهما مرة أخرى البحوث الجغرافية والقسوية الحديثة ، أن « مدينتي الخزانين بيتوم ورمسيس » اللتين يسميها الإسرائيليون للمرعون من الطوب التي صنعوه ، هما المدينتان المذكورتان في القفوش باسم باثوم وبارميسيس . وقد تسرق عليهما حديثا ميسو نافيل خلال حائره التي قام بها فيما بعد ، عامي ١٨٨٣ ، ١٨٨٦ لحساب صندوق اكتشاف مصر **E.E.F.**

أن اكتشاف بيتوم « مدينة الخزانين » القديمة الوارد ذكرها في الكتاب المقدس في الاصحاح الأول من سفر الخروج قد جلب الكثير من الانتباه العام . وورقش على نطاق واسع بمعرفة العلماء الأوروبيين أكثر من أي حدث آخر منذ اكتشاف مدينة نينوى . كان ذلك في شهر فبراير سنة ١٨٨٣ عندما فتح ميسو نافيل الرابية المروغة باسم تل المسحوبة على الضفة الجنوبية من الثرعة الجديدة بوادي الطويلات . وهناك اكتشف الأسس والبقايا الأخرى لمدينة حديثة من النوع المعروف في التاريخ المصري باسم بكن Bakhen أو قلعة التخرين . واتضح أن مساحة هذه المدينة التي كانت محاطة بسور سمكه ٣٠ قدما تبلغ حوالي ١٢ فدانا ، وقد وجدت حوائط معبد بناء ومسيح الثاني في أحد الأركان . أما بقية المساحة فقد شغلها متعة مكونة من مراديب مستطيلة تمت الأرض ، أو عسرف للتخزين مبنية من الطوب كبير الحجم المصطف في القس . وتقسما حواطط جراوح صمماها ما بين A إلى ١٠ أقسام . وقد اكتشفت في جزائن المعبد العديد من التماثيل التي تهشمت بعض أجزائها ومنها تماثيل ضخم لصغر مطور عليه الخراطيش الملكية للملك رمسيس الثاني ، مع أعمال فنية أخرى يعود تاريخها إلى أيام أوسركون

« sous de la « grande maison » ou du « grand palais », quelquefois au dual, des « deux grandes maisons », par rapport à la division de l'Égypte en deux parties. C'est du être très fréquent. Per-se, « la grande maison », « la haute porte », qu'on a heureusement dérivé le nom biblique Pharaon donné aux rois d'Égypte. » — *Histoire d'Égypte BRUGSCH* : 2d édition, Part I, p. 36 , Leipzig, 1877.

ومن المحتمل أن يكون ذلك هو القاب الوحيد الذي سمح لطبعة العامة باستخدامه في الحديث أو للكتابة أثناء ذلك العصر . ومن الجسب أن تتعامل معنوعة هيرجش التي وجدت مترجمة من سائر النكوبن { الأصحاح الخمسين الآية الرابعة } التي تقول : « وعلما ضمت ليام بكنه ، كلم يوسف بيت فرعون فاكلا » إذ كنت قد وجدت تعة لهم عيونكم « .. الخ .. الخ » ولو كان لم مبدل ولو مرة واحدة خروطين اسم أي من الفراعنة الثلاثة الذين علمهمم لوفر بذلك الكثير من المناصب التي يمتاها رجال القل والهرج .

الثاني ونختارو ويطلقون فيلادلفوس . لما الأساطير الهيروغرافية التي  
ناقشت على التماثيل فانها تحدد القيمة الحقيقية لهذا الكشف بما قدمت  
من اسم للمدينة واسم المقاطعة التي كانت تقع فيها للمدينة . وكان اسم  
المدينة هو باتوم ( بيتوم ) ومعناه « حصن توم ( أتوم ) » واسم المقاطعة  
هو نوكون ( نوكون ) وبذلك جرى تريف باتوم التي في مقاطعة نوكون  
باتها بيتوم مدينة الخرائن التي بناها المبرانيون عن طريق السخرة ،  
كما ان نوكون هي للتنقل التي أقاموا فيها أولا في طريق حجيتهم من  
أرض المبودية . وحتى قوائم الطوب التي بني بها المخطط الكبير وحواظ  
المخازن تحبل شهادة بلغة على نمط البؤسة الذين احتلوا وتبنت يلق  
التفاصيل صحة سجل تسخيرهم : كان يصعب مجيها بالقش . وعند  
علم ورود القش ( القش ) كان البص الآخر يخلط بأوراق البوص الموجود  
بكثرة في مستنقعات الدلتا . وعندما كان ينذر وجود البوص كان البص  
الأخر يصنع بدون التبن فيصير من الطين ويصف في الشمس . ولله  
أظهرت أبحاث مسيونافيل فيها بعد أن عهد أتوم الذي أنشأ رمسيس  
الثاني قد أعاد بناء أوسركون الثاني من الأسرة الثمانية والعشرين في  
نفس الوقت الذي جرى فيه اكتشاف بقايا حصن روماني على مستوى  
أرض أعلى من مستوى المعبد . وكانت مدينة بيتوم هذه طرائث ذات  
أهمية كبيرة في عصر البطالة دل عليها لوح تاريخي شديد الأهمية وجدته  
مسيونافيل في إحدى غرف التخزين التي كان قد ألقى فيها مع منحوتات  
أخرى وبوعيات مختلفة من القمامة . ويسجل هذا اللوح أبناء الإصلاحات  
التي أجريت على القناة ، وبمنه إلى اثيوبيا ، وتأسيس مدينة لوسينوي .  
ولا يقل عن هذا اللوح في الأهمية من وجهة النظر الجغرافية اكتشاف لوحة  
مسافات رومانية تعلق من بيتوم بانها تسمى هيروبوليس . وهي المدينة  
التي ذكرت التوراة أن يوسف ذهب إليها لملأته أبيه يوسف . وتبين هذه  
اللوحة الرومانية أن هناك تسمية لمينال رومانية هي المسافة من هيروبوليس  
إلى القلزم . وقد اكتشف ستيفور جاموديس Gamoudis مؤجرا في مكتبة  
أويرو مخطوطا بين أنه منذ القرن الرابع ليلادي استخدم هذا القضاة  
القديم التي سمى الحواظ معسكرا للجيش في العصر الروماني . لقد كانت  
مدينة بيتوم الواردة ذكرها في الكتاب للقش مروة للحجاج الأتقياء

بأنها « بيتوم التي بناها بنو إسرائيل » وأن المدينة المجاورة في خارج  
المسكر والتي أنشئت حينذاك داخل حدود مدينة بيتوم القديمة كانت  
تسمى هيروبوليس . ولما مدينة بارميس كانت بعيدة عن بيتوم بحوالى  
عشرين ميلا رومانيا (١) .

أما فيما يتعلق بمدينة « بارميس » مدينة الخرائط الأخرى الخاصة  
بالخروج فقد تعرف إليها مسيونا فيل بالحنس وليس بشكل إيجابى .  
وهى واية قرية صفط الحنة في المكان الذي قام فيه بطائره سنة ١٨٨٦ .  
أما صفط الحنة وهى « كس » أو جوشين عاصمة إقليم « أرض جوشين »  
فقد برهن المكتشف مسيونا فيل على حقيقة أنها - ومن المحتمل أنها كانت  
معروفة أيضا في عصر رمسيس الثاني باسم « بارميس » (٢) . وتوجد  
هناك بقايا معبد عسى من الثارت الأسود يشتمل على أعمدة وأجزاء من  
بعض التماثيل وما شابه ذلك ، وكلها منقوش عليها خراطيش رمسيس  
الثاني وتبعه عن بيتوم بمسافة ٢٠ ميلا رومانيا .

(١) يورد الكفل في المصنف على هذا الطريقة الى رحلة قامت بها لجنة فرنسية  
حوالى سنة ١٢٧٠ ميلادية للبحث الى مصر وما بين القنوين والآرامى المقيمة . وهذا  
الكتاب مقبول من قبل اكثر من اربعة الى القرنين الماضى والمباشر والمباشر مصر  
واله ضاع منه الكثير ولكن الاجراء التي تصف عملية الحج من جوشين الى تانيس  
ثم الى القنس وايضا وحفران ، حارلت سلمية وكابلا . يورد فيه عن بطوم قوله

« Pithoniam etiam civitas quam condiderunt filii Israel ostendit nos  
nobis in ipso loco : in eo tamen loco ubi jam fons Egypti intravit ,  
relictas jam terras Saracorum . Nam et ipse nunc Pithoniam  
Castrum est . Heroniam autem civitas quae fuit ille Ieropere , id est ubi  
posuit Joseph patris sui venientem , sicut scriptum est in libro Genesis  
nunc est cornus et grandis quod nos dicimus vicus . Nam ipse vicus  
nunc appellatur Hero . »

انظر الترملة من « Pithon-Heropolis » التي وصلت الى الاكاديمية من مصر  
تأليف في ٢٢ مارس سنة ١٨٨٤ - وانظر كذلك مذكرات مسيونا فيل وطوائفها  
( « The stone city of Pithon and the Route of the Exodus » ) ( اللغة الانكليزية )

- نشرت بمجلة جمعية صنفوك لكتشاف مصر E.E.F. سنة ١٨٨٨ .

(٢) انظر مذكرات مسيونا فيل وطوائفها : Goshen and the shrine of saki .

at-Higuelat - نشرتها جمعية صنفوك لكتشاف مصر E.E.F. سنة ١٨٨٧ .

ومن بأرمسيس هذه انطلق ومسيس بعيشه لمحاربة الأمراء المجتمعين بأسياء الصغرى حيث وقع في الكمين عند قادش (١) وهناك آخر انتصاره العظيم فيما بعد - ويحكى كاتب معاصر اسمه يابيهما Panbema في عبارات واضحة عن جمال وعظمة المدينة للكلية ، وكيف أن العتبات كن يقف على أبواب بيوتهم وهي يرفدين الملابس الخاصة بالمطلات الرسمية ، وفي أيديهن باقات الأزهار ، وعلى حوامل شعورهن الريوت العظيمة \* في يوم وصول آلة الحرب في العالم كله \* وهذه الرسالة محفوظة بالمتحف البريطاني (٢) \*

وقد ورد في خطابات أخرى أثناء فترة حكم رمسيس الثاني ذكر كلمة الاسرائيليين بطريقة مباشرة ، حيث ذكر الكاتب كما أوسر في رسالته إلى رئيسه ( بك - ابن - بتاح ) أنه : « ضاع قطعة تقديم التموين للجنود والخابيرو [ العبرانيين ] الذين يقتلون الأسفار لبناء قصر الملك رمسيس محبوب آمون » ، وهناك وثيقة مشابهة كتبها كاتب يسمى نسي في آمون Zmlamon تحمل في مضمونها نفس الكلمات ، تذكر هؤلاء الخابيرو في مناسبة أخرى بأنهم كانوا يقتلون الأسفار لأقامة مبنى في الجهة الجنوبية من منف ، ولابد أن معاجرة طرة كانت هي المنطقة التي عدوا فيها \* \*

وهذه الرسائل القليلة التي كتبت على أوراق البردي بالحروف الهيروغليفية في حالة جيدة - وقد وجدت في خرائب منف وتشكل الآن جزءاً من كنوز متحف لندن (٣) \*

(١) دافس از كادش مدينة على نهر الأوردت - انظر بحثاً بعنوان : حملة رمسيس الثاني في علمه الفلسفي ضد دافس على نهر الأوردت \*  
« The campaign of Ramesses the second in his 5th year against Kadesh on the Orontes »

بالقلم جـ ٥ : تونكنز في مجلة The proceedings of the society of Biblical Archaeology في سنتي ١٨٨١ - ١٨٨٢ \* وكذلك معاصر جلسات الجمعية - المجلد الثاني \* \*

(٢) بريدية المتاحف رقم ٢ بالمتحف البريطاني \*  
(٣) انظر في Melancon Egyptologies المجلد ١ : شافيس - الطبعة الأولى سنة ١٨٦٢ حيث يذكر أنه جرت مناقشات عديدة بين علماء المصريات حول تعريف شافيس للمصريين - وقد استشهد بالاسم الذي أطلق عليهم من القبطيات وأيضاً في نفس موجهه في معاجرة الجملات والاسم هو الخابيرو Ape-tu . وهناك بحث علمي منشور في مجلة Revue Archéologique { المجلد الخامس - الطبعة الثانية سنة ١٨٦٢ } يقول :

وهم يذكرونا بأحداث وشخصيات الكتاب المقدس حيث نرى العمال متعنتين في عملهم . والملاحظ يلفتونهم بتعليمات مشرفي الأشغال العامة .  
 أنهم يستخرجون من الحاجر تلك الكتل الضخمة التي تثير دهشتنا حتى اليوم ، ثم يسحبونها وهي مربوطة الى وحافات يدائية نحو صمه النهر ، حيث يقومون بتسويقها للنقل الى الضفة الأخرى (١) وكان بعضها شديدة الضخامة وتقبل الورد مما جعل نقلها الى موقع المرمى يستغرق شهرا (٢) . وكان هناك عمال آخرون في مكان آخر يقومون بصنع الطوب اللبن ، وحفر القنوات ، والمساعدة في بناء الحائط الكبير الذي كان يصل ما بين مدينتي ييلوروم وعليوبرليس . وتقوية الاستحكامات ليس فقط

« La découverte du nom des Hébreux dans les hiéroglyphes serait un fait de la dernière importance , mais comme aucun autre point historique n'offre peut-être une pareille séduction, il faut aussi se méfier des illusions avec un soin redoublé. La confusion des noms R et L dans la langue égyptienne, et et le voisinage des articulations B et P influent un peu, dans le cas particulier à la rigueur des conclusions qu'on peut tirer de la transcription. Néanmoins, il y a lieu de s'écarter en considération ce fait que les Apertu, dans les trois documents qui nous parient d'eux sont montrés employés à des travaux de même ordre qu'à ceux auxquels, selon l'écriture, les Hébreux furent assignés par les Egyptiens. La circonstance que les papyrus mentionnant ce nom ont été trouvés à Memphis, plaide encore en faveur de l'assimilation proposée — découverte importante qu'il est à désirer de voir confirmée par d'autres monuments »

• وشكك آخرون في ذلك بأن كلمة الخنازير تظهر أيضا في النقش الخاص بالملك تحتمس الثالث في الكوكب . كما افترض ماريتش أنهم شعب إيفرت Ephet • وجنر بالذكر أن النقوش تذكر قبائلهم من الخليليو . واحدة كبرى والثانية صغرى • وربما يعود ذلك الى أن بعض الإبرانيين سيطروا في القدس وسحبهم الآخر بجهول ملك • ويظهر الخنازير في نصوص أخرى بأنهم كانوا فرسانا أو حاربين للشهول • ويشارك هذا مع القول بأن هذه التسمية قصد بها الفيرثيين •

(١) انظر النقش المنقش الموجود على القطع النسخ الموصول على الرحمة والمرسوم في الصورة التي في مواجهة الحفران الداخلي لكتيب مير ج . وليكتسون المصريين القدامى ( Ancient Egyptians ) المجلد الثاني - طبعة سنة ١٨٧١ •

(٢) وجدنا في خطاب كتبه تافن كلن يشار في ذلك للمصر ( مصر رمسيس الثاني ) قصة مثيرة عن الصييد وللمصاحب التي واجهت أنواع الحرف المختلفة والملاحظات التي جاءت من محاولة وفهم أصعب . للمصاحب الكهنوتية • ويعلق للخطيب من العمال الذين يفتخرون في صرفة تحت الإحجار ما يلي :

« يصل حقن بؤسهم الى درجة للآل من سنة عمل فقط يدفع كتلة من الحجر بوزن ثلوايا مثل الحجر وعرضها ست ذراع وهي كتلة يستغرق سحبها بين المنزل بالاسانين لشخصه حدة شهر » ( برنيسه مصرية رقم ١١ بالمتحف البريطاني ) •



لها مثل هذه الأهمية ، لأن الكاتبتين كا أوسر وقي آمون يظهران كما لو كانا على قيد الحياة ويحدثان ما وود في البرديتين ، وليس هناك شيء لم نذكره عن خطائيهما هذين ! لقد عرفنا منذ في أيام ميخا ، وتفردا في وجه ديسيس الأكبر ولا بد أنهما شاعدا موسى في عنوان شيا به عما كان يعيش في حماية الأم التي تبنته ( ابنة فرعون ) أميرا وسط الأحرار .

لقد عاش كا أوسر وقي آمون ومانا وحفظ جسداهما خلال فترة تتراوح ما بين ثلاثة إلى أربعة آلاف عام مضت . ولكن هذه القطع الصغيرة من البرديتين قد عبرت حطام المصور ، كما أن الكتابة الطويلة التي شطتها واضحة لنا كما كانت بالنسبة للموظفين الذين وجهت إليهم . لقد كان المصريون يصبون العمل ، وحرصوا على دقة تسجيل أعمالهم وأسرارهم ، وبناء على أنهم ما سجلته الآثار ، نمد نظاما بيروقراطيا حسبها عن العمل في كالة أنحة القطر . وحتى في أيام بناء الأهرام كان هناك مسؤولون على الأعمال العامة ، ومفتشون للتفتيش على الأراضي والبحيرات والمحاجر ، وسكرتاريون ، وكنته وملاحظون عديدين (١) . ولا بد أن هؤلاء جميعا كانوا في حاجة إلى حساب مسروقاتهم ، وإلى تقارير عن الأعمال التي تم إنجازها تحت إشرافهم . ولكن عينات السجلات المصرية التي سجلت فيها هذه الشؤون نادرة . ويعتبر متعب اللونر غنيا في هذه النوعية من الذكريات التي يختص بعضها بتقويم تواريخ تحصيل الضرائب ، بينما يختص بعضها الآخر بنقل التبع ونظام فرض الضرائب الخاصة به . ويختص البعض الآخر ببيع الأجور ، وكذلك بيع وشراء الأرض لأقامة المداين ، وما شابه ذلك . ولذا كانت قد وصلتنا من مصادر مصرية أنها مستمدة وواضحة عن المبراتيين ، فسي لتؤكد أنها جاءت عن طريق مثل هذه الوثائق .

(١) « Les affaires de la cour et de l'administration du pays sont ex-pédiées par les « chefs » ou les « intendants », par les « secrétaires » et par la nombreuse classe des scribes. Le trésor rempli d'or et d'argent, et le divin des dépenses et des recettes avaient leurs intendants à eux. La chambre des comptes ne manque pas. Les domaines, les propriétés, les palais, et même les lacs du roi sont mis sous la garde d'inspecteurs. Les architectes du pharaon s'occupent de bâtisses d'après l'ordre du pharaon. Les carrières, à partir de celles du Mokattam (le Toura de nos jours) jusqu'à celles d'Assouan, se trouvent exploitées par des chefs qui surveillent le transport de pierre taillées à la place de leur destination. Finalement la corvée est dirigée par les chefs des travaux publics. » Histoire d'Egypte, Brugsch , 3d édition, 1875 , chap. V. pp. 24 and 30.



ويبدو أن السنة والأرضين علما الأخيرة من حكم الملك رمسيس الثاني الطويل على غير العادة ، قد مرت في سلام ورجاء صا أنتاج له أن يتمتع بشهوته للحكم بنون انقطاع . ان وضع قائمة مصورة بأعماله الانشائية المعروفة قد تتبادل أهميتها مع كتابة بيان تصصيل عن مصر واثيوبيا تحت حكم الأسرة الثالثة عشرة . ويبدو أن تصميماته كانت ضخمة كما أن وسائله غير معروفة . لقد سلا البلد من الدلتا حتى جبل برقل بالأناضول التي خصصها لبيان أوجه عطيته وكميعة الآلهة . وقد ظهرت معالم عطية التي لا تبارى على الآثار التي أقامها في طيبة وإيدوس وتانيس . لما في السورة في الأماكن المعروفة الآن مثل حرف حسي ووادى المسوع والدو وأبي سنبل فقد أقام المعابد وأصا المدن . وقد اخضعت هذه المدن التي يحضر وصفها بأنها كانت عواصم كبرى ، ولولا وود ذكرها في النقوش المختلفة لا عرفنا شيئاً من مجرد وجودها . ما يبعثنا بتساؤل عن كيفية بناء الكثير منها دون أن نترك أثراً في سجلها . وربما كانت هذه اثنتا عشرة مدينة تخص رمسيس معطوة تحت بعض هذه الروابي التي لا نعرف أسماءها والتي تلى بعضها البعض في سلسلة مستندة بطول ضفتي النيل في مصر الوسطى والسفلى (١) . وبالأمر فقط اكتشفت بالصدفة بلقيا بناء عظيم مزين بأسلوب فريد تحت رابية تل اليهودية (٢) التي تقع على بعد اثني عشر ميلاً شمال شرق القاهرة ، ومن المحتمل وجود حوالي خمسين رابية من هذه الروابي التي لم تفتح بعد في الدلتا وحدها . ولستأ نبالح إذا تحدثنا عن وجود حوالي مائة رابية أخرى تقع في المسافة ما بين البحر الأبيض المتوسط والشلال الأول .

وقد وجد في إيدوس خلال الحفريات الأخيرة نقش يبين أن رمسيس الثاني قد حكم مملكته البطلمية حوالي سبعة وستين عاماً ، ويقول رمسيس الرابع مقدماً ذاته إلى الآلهة لورويس : « انك أنت الذي ستتمنى مثل هذه لحكم الطويل الذي حكمه رمسيس الثاني الآله العظيم على مدى سبعة

(١) ان قصة مدينة « بريسيس » المعروفة في الكتاب المقدس نقل على أنها لم تكن المدينة الوحيدة التي تحمل هذا الاسم ، فقد كانت هناك مدينة أخرى باسم بريسيس تقع بالقرب من حلب ، ومدينة ثالثة عند أبي سنبل وربما ثلثت مدن أخرى تحمل نفس الاسم .

(٢) تكشف طبقات من تلة ضخمة مختلفة بيلطات من المرحل الأيوبي أما الحواشي فقد كانت مبنية بتفكيكة من القوالب والقشاني - كما للقوالب هذه كفن العديد منها . رابع السبعة وقد طست فيها الحروف الهيروغليفية المستوردة من القراج أما هيجان الأسماء قد وجدت بالبرلييه للون القلح ، كما تلمح بالآخر سط من الغرابية . -

وسمى عاماً • وأنت الذى ستمتحنى اللغة التى استغرقها هذا الحسم العظيم • (٦) •

وإذا كنا قد عرفنا من أى من جلس رمسيس الثانى على العرش ، فإننا نستطيع عن طريق هذا النص أن نعرف أيضاً النسب التى مات فيها • ولم يصل اليها سجل من هذا الموضوع، ولكننا توصلنا الى ذلك عن طريق مقابلة الفترة الطويلة التى استغرقتها أحداث هذا العصر • وقيل كل شيء العصر الذى دلت عليه مومياء هذا الفرعون العظيم التى اكتشفت سنة ١٨٨٦ وهى تبين أنه عاش مائة عام •

وتقول لوحة الدكة : • أنت الذى وضعت التصميمات عندما كنت فى عمر الطفولة • لكه كنت ولدا يوتفى الارز • ويطونك لم يبق أى أثر أو يوضع أى نظام • وكنت شابا عرك عفر سنوات عندما كانت جميع الأعمال فى قبضة يدك وأنت واضع لمبساتها • • وليس لدينا ما نضيفه الى هذه السطور التى ترجمناها حرفيا • وهى لا تتضمن شيئا يبين أن هذا الشاب الذى كان عمره عشر سنوات أصبح فى هذه السن ملكا منفردا

• وقد جعلت بعض الأبحاث بلغاتى رمسيس الثالث • ، انظر دليل حوراي عن مصر - الفصل السابع - Murray's Handbook for Egypt عن ٧١٧ • وحتوتى لشراة رقم D فى الفترة المصرية الثانية بالمتحف البريطانى على المسجد من بلاطات الفيفتى هذه التى رسمت على جدرانها التماثيل الاسرى الاسميون والذين والظهور والذميين الخ وتمثال جميعها بالروحة سواء من ناحية التصميم أو التلوين • وقد إن حوراي قد خلص الى نسبة هذا التمثال الى رمسيس الثالث لأن الفراعشة تضمن رمسيس الثالث • وقد اكتشف بعض العمال هذه القاعة سنة ١٨٧٠ - ملحوظة مطابقة للمطبعة الثانية : كشف عن هذه الرابية كمنظر على الجراما سيد ناليل فى العام الثامن ( ١٨٨٧ ) مثالا لجمعية سننوتى اكتشف مصر - E.E.F - انظر الملحق المضاف فى عدد مجلة The Illustrated London News بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٨٨٧ وهو يتضمن القاعة الكلية لمعرفات ال اليهودية مع الرسومات •

(١) لمثل هذه القصة نأرا أو نقرأنا • وحتوتى فى حقيقته على حيلة لجمعية النما رمسيس الرابع لالة أودوروس فى السنة الرابعة من حكمه • وهىا يبعد ذلك فضايلة لخصمية وأعماله المصاحبة • ويطلب من الآله أن يحميه طول العمر - انظر مثلا سنواته Sur une table modèle d'Abydos بطم ب • بيتر نثى فى مجلة، Revue Archéologique المجلد التاسع عشر • من ٧٧٧ •

«وحالما نهر وانه كان منذ ولادته ملكا شرقيا حسب مفهوم الوردانة (١) أثناء حياة أبيه». وقد صار ذلك مؤكدا الآن - ورغم كونه ولدا إلا انه قام بتصميم المباني العامة وأشرف على بنائها - وإن هذا المركز كان لابد من استناده إلى ولي العهد الذي كان يحب الحضارة واتخذ منها سجلا لمواسمه الخاصة - والحقبة إلى هذا المركز كان مركزا نبيلًا لأنه كان يسند منذ أوائل الدولة القديمة إلى أمراء تجرى في عروقهم الدماء الملكية (٢)، ولكنه لا يحمل في حد ذاته دليلا على السلطة - ولذلك فإننا نسلم بأن لوحة الملكة هذه ( التي يعود تاريخها إلى السنة الثالثة حكم رمسيس الثاني منفردا على العرش ) تشير إلى وقت طويل مضى عندما كان الملك ولدا يحمل هذا المركز تحت رعاية أبيه -

ويشير نفس النقش كما رأينا إلى الحملة للظفرة في الجنوب ، ويذكر رمسيس بوصفه « الثور الأكبر غصة اثيوبيا ، والوحش القاصص ضسد

(١) أومح محبو مارييت في كتابه المتضمن من أبيديس أن الملك رمسيس الثاني قد اختص أثناء حياة أبيه بفرطواش بيبي أنه ولد ( أوسر - ماتت - رع ) وأنه لم يتنص على لقب الإلهي ( ستب - رع ) حتى وفاة أبيه الملك سبتي الأول - وعلى كل حال فإن ملصق اللوفر يتضمن قطعة من النقش الفاتر تبين الولد رمسيس الثاني حديلا غلبت الأكليل كذبح حمله في السنوات الأخيرة - وقد وصف مسيو ب. بيير هذه القطعة قائلا :

« Renséle II enfant représenté assis sur le signe des montagnes du c'est une manifestation au soleil levant lorsqu'il émerge à l'horizon réentier. Il porte le Hauit gauche à sa bouche, un signe d'enfance. La main droite posé sur les genoux. Il est vêtu d'une longue robe. La tresse de l'enfance tombé sur son épaule. Un diadème relie ses cheveux, et un uræus se dresse sur son front. Voici la traduction de la courte légende qui accompagne cette représentation : « Le roi de la Haute et de la Basse Egypte, maître des deux pays, Re-Unân-Ra Scip-en-Ra, vivificateur, éternel comme le soleil. » Catalogue de la Salle Historique, P. Pierrat, Paris, 1873, p. 3.

ويرى مسيو ماسبيرو أن هذه القطعة تختلف عن الحقيقة لأن كثير الجدل حولها وهي أن حكمة الحصى قد بدأ منذ الطفولة وبذلك يتضح هذا الشكل اظهر انني الرابع الذي ذكره ج. ماسبيرو سنة ١٨٧٧ في باريس ضمن سلسلة الملوك التي تمثل العنوان الثاني :

L'Inscription Médicatoire du Temple d'Abydos, suivi d'un Essai sur la Jeunesse de Ramsès II.

(٢) انظر كتاب بروجرش

« Le métier d'architecte se trouvait confié aux plus hauts dignitaires de la cour pharaonique. Les architectes du roi, les Amiset, se recrutèrent assez souvent parmi le nombre des princes. » Histoire d'Egypte Brugsch. Second édition, 1878, chap. v. p. 34.

الرموز ، \* ولدى الأحداث التي ألح إليها لابد وأن تكون قد حدثت خلال المستويات الثلاث الأولى من حكمه للتعهد وهو ما يرحس عليه تاريخ اللوح \* وبالتفصيلة أن نقش ابيدوس العظيم يبين أن رمسيس الثاني قد قام بحملة في اثيوبيا ، في الوقت الذي وصله فيه خبر وفاة أبيه وأنه عاد في السمل إلى إلى الشمال لكي يتم توجيهه في طيبة (٦) \*

والآن ، فإن النقوش للشهيرة التي كانت مرسومة على الهيكل التذكاري في معبد بيت الوالي تشير إلى أحداث هذه الحملة \* وقد نفتت النقوش بهذا الأسلوب الرفيع والرقيق الذي يجسده على وجه الخصوص النقش البارز في القرية وأبيدوس وكافة هذه المباني التي أنشأها سيتي الأول ، أو بلحا سيتي وأكملت خلال السنوات الأولى من حكم رمسيس الثاني \* والتي اجتراف بالقول ماضي اعتبرها معاصرة له ، أو قرية العهد من عصره \* وعلى أية حال ، فإنها مع المناظر التي تسجلها تدفسا إلى استنتاج أن الفنانين الذين قاموا بالعمل كانوا يعرفون شيئا من الأحداث والأشخاص الذين جرى التعبير عنهم ، وأنهم أبرياء من الاتهام بعدم امرار الإسطا

ويجيد الشك كله حول ما إذا كانت التواريخ المتعلقة بحكم سيتي ورمسيس أو حكم الأخير المنفرد ، عندما يجد في هذه النقوش (٧) أن القاتع يصحبه ابنه الأمير آمون حرجشف الذي كان في السن التي تسمح ليس فقط بالقيام بدوره في الجداى بل تحمله يحم يد ذلك احتفالا عظيما بمناسبة حضور القائد الاثيوبي ودفعه لفضية ، وهذا الدليل الذي تلعبه النقوش البارزة الموجودة في بيت الوالي ، وكذلك فإن هؤلاء الذين لا يستطيعون الذهاب إلى بيت الوالي يمكنهم أن يشاهدوا ويحكموا بأنفسهم عن طريق الأضواء المحيطة التي تطرحها هذه اللوحات العظيمة التي تغطي حوائط الغرفة المصرية النائية بالمسح البرطاني \* ويصحب تفسير ما يتعلق بالأمير آمون حرجشف \* لأننا تعودنا على اكتشاف قدر معين من المبالغة المهدية من جهة هؤلاء الذين يسجلون بالقلم أو يرسمون في لوحاتهم الأحداث العظيمة للفراعة \* أننا نتوقع أن نرى الملك على الدوام شابا وحميل المنظر ومنصرا \* والقي الحقيق والطبيعي أنه يجب ألا يطل سوله من مشرق قعما ولا يزيد على سجين \* ولكن الذي لا يمكن تصديقه هو أن

(٧) انظر مقال ج\* مسجود ومتراده :  
L'Inscription funéraire du Temple d'Abydos, etc.

(٨) انظر كتابي بحيلاني Monumental Statues النسخة رقم ٧٦ \*

يحاول أي مسلم أن يقضي في مساقته إلى دوحه الإقرار بقدرات موسى في التلاقي مع ابنه الذي يفتح نفس عمره كقريباً .

ولمهما لهذا هو الدليل من الكتاب المقدس :

" بعد موت يوسف وبقا الاسرائيليين في مصر . جاء الى العرش فرعون الذي شعر بخطرورة زياده أعداد هذا الشعب الأجبي وبحث عن طريقه لوقف ترايهم السريع . ولم يصل مطلق على إذلال هؤلاء الأجانب . بل امر أيضا بأن يقضي في مصر الليل كل مولود جديد يولد في مصر . وتأتي بعد ذلك القصة القديمة المظلمة التي أوردتها الكتاب المقدس وهي مروفة لنا جميعا . وتمت ولادة موسى ووصف لهم مسط من البردي ووصف بين الخلفاء على ساحة النهر ، وانظرت ابنه فرعون واتخذته ابنا لها . وبالرغم من عدم ذكر أية تواريخ نسب الواضح أن هذا الفرعون الجديد لم يكن له سوى عليه في الحكم سنوات طويلة عندما حدثت عنه الأحداث . ومن الواضح كذلك أنه لم يكن مجرد شاب . لقد كان كبيرا لأنه كان يدبر أمور الدولة ، كما كان ابنا لأمة من الشعب الاقترنض أنها كانت هي نفسها طفلة .

وعموما نستطيع استنتاج أن رمسيس الثاني بالرغم من انه قد ولد ملكا إلا أنه لم يكن يبلغ مبلغ الرجال حتى تم وفاته ، وأنه بعدما أصبح أيا لأطفال قد تجاوز مرحلة الطفولة . وتم ذلك كله قبل أن ينفرد بالحكم . وعلى كل حال فإن هذه هي وجهة النظر التي أبداها البروفيسور مانيسرو الذي يقول في الطبعة الأخيرة من كتابه : التاريخ القديم *Histoire Ancienne* : " أن رمسيس الثاني عندما وصله خبر وفاة والده كان في عتفوان حياته محاطا بأسرة كبيرة ووصل بعض أبنائه إلى السن التي تسمح له بالقتال تحت قيادة أبيه " (١) .

(١) أنظر

• A la nouvelle de la mort de son père, Ramsès. Il désormais seul roi quitta l'Égypte et se rendit à Thèbes. Il était alors très jeune, dont quelques-uns étaient avec lui pour combattre sous son ordre. » *Hist. Ancienne des Peuples de l'Orient*, par G. Maspero. Chap. v. p. 220, 2ème édition 1916.

ويجعل يرويشى ميلاد موسى في السنة السادسة لحكم رمسيس الثاني (٦) وهو مستنتاج صحيح . أما السنوات الثلاثون التي انقضت بين ذلك الوقت ووقت الخروج فهي تتطابق بالتبصر بالفترة الرمزية التي أوضحها الأناور . وعلى ذلك فإن موسى قد شاعدا الستون الباقية من حكم هذا الملك وعددها واحد وستون عاما، وأطلق الاسرائيليين من العبودية في اواخر حكم مرتيناح (٧) الذي جلس على عرش آياه حوراي عشرين عاما . وفي هذه المرة نجد ان تطابق التواريخ لم يترك شيئا للتسني .

أما ميروعتريس الذي تحدث عنه ديجودو الصقلي فقد أصيب بالعمى وقتل نفسه بيده ، وقد أعجب شعبه كثيرا بهايته هذه التي تتطابق مع قصة حياة . أنا هنا ندخل في منطقة الخرافة الخالصة . ان الانتحار معروف لدى المصريين ولكنه فضيلة كلاسيكية . واذا كان الاغريق قد كرموا الحياة لدى المصريين قد عظموها . ونصك فيسا اذا كان الناس الذين يتولون دائما أن طول الأيام يترجمهم التقصير الارادي لأيام الحس وهي أعظم عطية أعطتها الآلهة للانسان . وباستثناء كليوباترة ، فهذا أيضا

#### (١) انظر :

« Comme Ramsès II régna 66 ans, le règne de son successeur sous lequel la sortie des Juifs est lieu, embrassa la durée de 20 ans , et comme Moïse avait l'âge de 80 ans au temps de la sortie, il en résulte évidemment que les enfants d'Israël quittèrent l'Egypte une ou ces dernières six années du règne de Menephtah , C'est à dire entre 1297 et 1291 avant l'ère chrétienne. So nous admettons que ce pharaon périt dans la mer, selon le rapport biblique, Moïse sera né 80 ans avant 1291, ou 1401 avant J. Chr., la sixième année du règne de Ramsès II. » - Chap. viii, p. 187, Hist. d'Egypte BRUGSCH. First edition, Leipzig, 1869.

(٧) اذا كان الخروج قد حدث خلال السنوات الاولى لحكم مرتيناح يكون من الضروري اما فرحول هناك موسى الى ترويع سابق . واما قبول التجميع الذي أورده بلنمين الذي يقول « من السبب ان نظم حرفيا بالقدس للفنم خمس موسى وقت الخروج وهي اثنا عشر وأربعون عاما » وفترة الاربعين عاما هي الاصطلاح المستخدم للتعبير عن جبل من الاجال وهو لغة زمنية تفرع ما بين ثلاثين الى ثلثة وثلاثين عاما - انظر كتاب بانسين وحوار . Egypt's Place in Universal History - نشر في لندن سنة ١٨٤٩ - الجزء الثالث - ص ١٨١ .

ومنه يتأكد هاتين بان مرتيناح لم يملك مع جوده . أما السليمان الذي بلغ ثروته هذه الميراثين ومجرات موسى ، حسب ما ورد في الكتاب المقدس ، لثنا جميعها تلميذا انطاعا بان كافة هذه الاملاك قد حدثت في فترة زمنية قصيرة ، ولم تكن على مدار حشرين عاما . ولم تكن ان تحرق قد ملكه . والحقيقة ان مقبرة مرتيناح موجودة الى واسم الملك - ( المجرة رقم ٨ ) .

موت ميتركريس الكائن الاغريقي ذى العنود الوردية (١) المشكوك في أصله - ولكن لم نسمح ان مصر يا انتحر - وستى كليونيايرة التي كانت افرقية بالبلاد - قد تأثرت في اقامتها على الانتحار بسوابق افرقية ورومانية - ولذلك علينا ان نتفلس عن هذه الاسطورة القاتلة بآية أصيبه بالعمى وقتل نفسه - وهكذا يمكن القول باننا لا نعرف شيئا مؤكدا عن موت ومسيح الثاني .

وباحتصار ، فان هذه هي الحقائق المتعلقة بتاريخ هذا الفرعون المجهور . وإذا عالجنا قصته بالتفصيل فان تدوينها يحتاج الى مجلد كامل . ولو حدث ذلك بالمثل فسيظل الانصاب يتسائل ويتساءل عن دومية هذا الرجل ولكن دون جدوى . وتعتبر كل محاولة لاستنباط طباعه الشخصية بناء على هذه المعلومات المصنوعة مجرد خيال (٢) . اما عن شعاعته فيمكن ان نستدل عليها من قصيدة يتناوور - مع التحفظ الواجب - اما عن اختياره بصفة الرحمة فقد ظهرت في العبارة الخاصة بتسليم الجرحين التي وردت في معاهدته مع الحيثيين - اما كبريائه فليست لها حدود - لقد كان كل معبد اقله يمثل اثرا مسجل عظمته ، وكان كل تمثال ضمن يمثل نذكارا - وكان كل نقش يمثل انفسودة تدح شخصه ، لقد وضع صورته الشخصية في الهيكل بين صور الآلهة في ابي ستيل وفي الدو وفي جرف حبيث (٣) وهناك حالات رسم فيها بظهر السلطة

#### (١) هيروdot - الكتاب الثاني .

(٢) يذكر هيرودوت صفات الظية في احدى لرجاتها حيث لا يذكر لغة في وصفه الاكبر كـ حلق لمر الرغاء نهاية لتتسارلاته . وان هذا الرغاء كـ تير التي نعرفه الحواة الهرمية وامن المرولة . ولكن فيما ( مع قول اللغة للتكلمة للروح الكائن من التتسارلات كمفيدة سلم بها ) يخيل ان هـ السلام العالي حلق له حب المنجيز - انظر Mon-Histoire اقله ثلاث - الجزء الثاني - ص ٢٩١ . ويخلص القبر يحداز بلنسين الى الانتهاء المنفذ ، و لا يرى لية صمة من سمات القدامة او لكرم في شخص يجب ان يوصف بأنه « ظافية لا يكبح جهاده . تستدل ميرة بذلك في الحكم هذه الظرة الطويلة ، وتجلزات اليه وسلاخه لكي يحذب رعاياه ، والرعايا الذين على أرضه مستغما (تسمى ما يستخرج من قرة ، ووطنهم لتحقين شهرته في الحرب والبناء - انظر كتاب بلنسين Egypt's Place in Universal History - المجلد الثالث - الكتاب الرابع - الجزء الثاني ، ص ١٨٦ .

#### (٣)

« Souvent il s'introduit lui-même dans les triades divines auxquelles il dédié les temples. Le soleil de Ramsès Mésamoun qu'on aperçoit sur leur muraille, n'est autre chose le roi lui-même dédié de son vivant. » Notice des Monuments Egyptiennes au Musée du Louvre. De ROUGE , Paris, 1872, p. 22.

الملكية والسبلة الالهيه - ومسيس الفرعون يحرق الخور أمام ومسيس  
الاله .

أما عن الباقي فمن الأسلم استنتاج أنه لم يكن أفضل ولا أسوأ من  
اطلاق المبدأ العلم المرفوع عن الطاعة الشرقي، ألا وهو أنه لا يرفع  
الرحمة في الحرب ، مسرفاً في السلم ، متكالياً على الضيعة ، ومسخياً في  
معارضة القوة غير المحدودة، وكان هذا الكبرياء مع هذا الطغيان يتوافقان مع  
الأسبقية التي تعود إلى الإلهة القديمة ، وطليعة العصر الذي عاش فيه .  
ولا شك في أن المصريين قد اعتقدوا بأن ملكهم كان على الدوام الها  
لكتبوا عنه التراثيم (١) ورفضوا إليه الصلوات ، واعتبروه الممثل الحي  
للإلهية . وكان أمراؤه ووزرائه يخاطبونه عادة بلغة العبادة ، وحتى  
زوجاته المرفوعة أنهن يرفعنه جيئفا ، تم تصويرهن وهي يقدمن الأعمال  
الدالة على التقديس الديني أمامه ، نرى ما الذي يثير دهشتنا عندما يعتقد  
هنا الرجل أنه إله ؟

---

(١) انظر ترجمة موجهة إلى الفرعون ( حرنشاح ) ترجمتها من و - جودوين  
C. W. Goodwin في مجلة Records of the past المجلد الخامس ، ص ١٦



## الفصل السادس عشر

### أبو ستيل

وصلنا الى أبي ستيل في ليلة الحادي والثلاثين من يناير ، وغادرتها  
عند غروب شمس اليوم الثاني عشر من فبراير ، وقد قضينا من هذه الأيام  
الثمانية عشر ، أربعه عشر يوما عند أقدام صخرة المعبد الكبير التي يطلق  
عليها في اللغة المصرية القديمة اسم " صخرة إيشك " لما الأيام الأربعة  
الباقية ( التي تقع بعد نهاية الأسبوع الأول وقبل بداية الأسبوع الثاني )  
لقد قضيناها في رحلة قصيرة الى وادي حلفا ثم العودة ، وبتقسيم المسـة  
هكذا أصبحت إقامتنا الطويلة أقل وتابة نظرا لعدم وجود عمل محلي  
لنقوم به .

وفي نفس الوقت أعجبت أن نستيقظ كل صباح يجوار الضفة المنحدرة  
دون أن نرفع رؤسنا عن المحنة لكي نرى ذلك النصف من الوجوه المعلقة  
التي تباطح السماء . وكانت تظهر عالية جدا في ضوء القمر ، بينما تظهر  
بنصف هذا الارتفاع في الفجر . وفي تلك الساعة التي تمثل السب  
ساعات اليوم كانت النماثيل تبدو في حالة سكون ولكنها أكثر روعة .  
وعند اشتداد حراره الجو ، كانت هذه النظرة الثاقبة وحشية تنصاعد  
وتتمحق مثل اسلمت وحشية الحياة ، حتى إن هذه الوجوه ظهرت وكأنها  
تندرج ، وتبتسم ، وتجتلي . وبعد ذلك ظهرت شرارة مثل شرارة الفكر  
نفسها . وكانت هي الشرارة الأولى لفروق الشمس والد استقرقت الـ  
من ثانية واحدة ، وذهبت قبل أن يقول الانسان أيها هناك . وفي اللحظة  
التي تلت ذلك ظهر الجبل والنهر والسماء من خلال ضوء النهار المنتظم .  
والآن نرى النماثيل الضخمة جالسة عائدة ومتصلة في ضوء الشمس  
الساطع .

وكنيت مستيقظ في هذا الوقت كل صباح لمسامحة هذه المجره  
اليومعة . التي أديت هؤلاء الاخوة المهيبين كل صباح وهم يمشون من

أدبرت إلى الحياة ، ويتحولون من الحياة إلى أحجار منحوتة • وغالباً ما كنت  
الرمز نفسه بالاعتقاد أجراً بأنه سرعان ما يأتي يوم سواء أكان عاجلاً أم  
آخراً ، هنالك تنحني البهجة القديمة جانباً ، فيقوم هؤلاء المسالفة  
ويجسدون •

وليس هناك ما هو أصعب من رؤية هذه التماثيل الضخمة بوضوح  
مع هذا المظهر المهيب • وإذا وقف المشاهد بين الصخرة والظهر فإنه يقترب  
متها اقتراباً شديداً ، أما إذا وقف فوق الحرية القابلة فإنه يتخذ عنها  
بعداً شديداً • بينما لا يشاهد وهو فوق المنحدر الرملي إلا منظرًا جاتياً •  
ومع الحاجة إلى موقع مناسب للمشاهدة كان السياح لا يرون شيئاً  
فيما عدا تشوهات أكمل وجه سلج له الفن المصري ، مما يجعل بعضهم  
يتعرف في هذه التماثيل إلى الملامح الزيجية • بينما يتعرف سائح آخر  
على الملامح المصرية (١) بينما يتمتع سائح ثالث للإخلاص الذي تدل عليه  
• التفاصيل التوبية •

والحقيقة أن راس الملك الشاب ليست موضوعة في قالب أعلى •  
لأن هذه التماثيل تمثل صوراً شخصية لنفس الرجل مكررة أربع مرات  
وهذا الرجل هو رمسيس الثاني •

(١) يطلق المرحوم ألفينكوف (١) روجه في خطاب أرملة في مسير *M. Guigault*  
عند ظهور اكتشافات تاليس أنه لاحظ الملامح السالبة في الصور الشخصية لرمسيس  
الثاني ويسمى الأول ، ويقتن أن فرعون الأسرة الثامنة عشرة ربما يكون قد اندمجا  
من سلالة الكوشية • والله ما نذكر في هذا الصدد •

« L'origine de la famille des Ramsés nous est jusqu'ici complètement  
inconnue en prédilection pour le dieu ou Sutech, qui éclate dès  
l'abord par le nom de Séti Ière (Seïha), ainsi que d'autres indiens, pou-  
vaient déjà engager à la reporter vers la Basse Egypte. Nous savions  
même que Ramsés II avait épousé une fille du prince de khéti quand  
le traité de l'an 39 met ramené la paix entre les deux pays. Le profil  
très-décidément sémitique de Séti et de Ramsés se distinguait nettement  
des figures ordinaires de nos Pharaons Thébains » (*Bec Revue*  
• Archéologique vol 12 A.D. 1864).

وفي نفس الخطاب يشير مسير روجه في مقالة عهد الإله صرت في عهد  
تجويد في تاليس ( حسان البحر ) بمعرفة رمسيس الثاني ، وإلى حقيقة أن الإله أرسيم  
هناك يابن لهؤلاء للرأس الذي يرتديه أمير خيتا في موقع آخر • ولابد أن نذكر أن  
أمون رع هو حاكم رمسيس الثاني • أما تكريمه الإله موت ( الذي من المحتمل أن يكون  
لهذه الزوجة الحديثة ) فيبدو أنه يقتصر على مدينة تاليس التي من المفروض أنه  
الأميرة الحديثة ( حات - أيرج - نفرو - رع ) تسكن فيها •

والآن ، فإن رسميس الأكبر لو كان يشبه هذا التمثال الأرسه المتشابهة فلا بد أنه خرس أكثر الرجال وسامة - ليس فقط في عصره بل على مدى التاريخ - وحيثما تقابلنا به مسود في التمثال السابق في حنف أو في التمثال المقطوع الأطراف Syento torso بالمتعب البريطاني ، أو بين النقوش البارزة الحديثة بمعابد طيبة وإبينوس والقرفة وبيت الوالي ، فإن علامته دائما متشابهة ( بالرغم من أن بعضها يحمل مظاهر السياب وبعضها الآخر يحمل ملامح النضج ) . الوجه يبيض ، والميون مستطيلة وباتكة ، وأحافانها سمكة . أما الأنف فهو عمقوف قليلا ومضغوط عند طرفه المدبب . أما فتحة الأنف فانهما واسعتان وحساستان ، والشفاة السفلى بارزة . بينما الدفن قصيرة ومربعة .



وهنا رسم ملحوظ عن رسم غائر في بيت الوالي . والموضوع مسجل لتخليد ذكرى أولى حملات الملك رسميس، ويمثل شايبا غير منتج حليخ الوجه يهباز الحركة ويمسك بأحد الأسرى من شعر رأسه . ورفع الصولجان الملكي لكي يقتله به . وفي هذا الوجه الرقيق الذي يموذه امتلاء وحلو، الصور الشخصية الأخيرة . تتعرف على كافة السمات التي تميز بها رسميس الأكبر .



وهنا نجد للمرة الثانية رسماً من أيبكوس يظهر فيه الملك منتحياً  
 ملحية الشيباب ، وقد تجاوز الراس الذى ساق عليها فى الصورة السابقة  
 ثلاث أو أربع سنوات ، وذلك بالرغم من أنه لم يتوقف بعد عن ارتداء  
 الأزار الذى يرتديه الشيباب .



ومن الضروري أن نقارن بين هذين الرأسين بالرسم الجانبي لأحد  
 الأعمدة الضخمة التى على شكل امرأة داخل معبد أبى سنبل الكبير .  
 ثم نقارن بين هؤلاء الثلاثة وبين إحدى الصور الضخمة التى فى واجهة  
 البناء ، واستبعد أن هذه الأخيرة بصرف النظر عن اعتبارها أنثوية من حيث  
 الحجم ودقة رسم الأختصاص ، إلا أنها تمثل قمة ما وصل إليه فى النحت  
 انصرى . إن ملامحه متطابقة مع الرأس للرسم فى بيت الوالى . ولكن  
 الضبوط الخارجية مختلفة . وقد زاد عمر الملك بحوالى خمسة عشر  
 أو عشرين عاماً . لقد تجاوز عنوان ذلك الشيباب المبكر ولم يعد مندفعاً  
 بل معتدلاً ، وحادثاً فى مثل هذه الآلهة ، مع رقة تتجاوز طاقة البشر .  
 وإرادة راسخة . وهذه السمات كلها يكاد ينطق بها الحجر المنحوت .  
 لقد تعلم الإيمان بأن بطولته لا تقاوم . وأن خاله مقدسة ، وأنه إذا رفع  
 دواحه اليوم للقتل فإنها ستكون فى مثل وداعة لملك المهلك .



مقلد جانبي لوجه رمسيس الثاني  
( مأخوذ عن التمثال الواقع في القصر الملكي في مدريد )

أما الرسم الملحق المحفور على الخشب فإنه يعطي التمثال الذي في أقصى الجنوب - وهو التمثال الوحيد الكامل تقريباً من بين التماثيل الأربعة - الشكل المحابي للوحة . أما التمثال الأصلي فلا يمكن رؤيته كاملاً من أية نقطة فيما عدا نقطة واحدة ، وهذه النقطة هي التي يتلاقى عندها الجدار الرملي مع الدعامة الشمالية للمواجهة على مستوى متوار

مع ذقون التماثيل . ومن هنا تم رسم الشكل الجانبي الذي قدمناه الآن ، أما المنحدر الرملي فهو شديد الانحدار وغير متماثل وشديد الحرارة بالنسبة لأقدام المتشاهدين ، ويبدو وجود منحدر يصعب تصافقه مثل هذا المنحدر حتى في بلاد النوبة ، ولكن لا يستطيع أي سائح يرفض القديم بمواجهة مثل هذه القبة الصغيرة أن يدعي رؤية وجوه التماثيل .

أما إذا نظرنا من أسفل ، فإن هذه اللوحة الجميلة تفسر أبعادها من ناحية نسب المنظور ، فظهر متسعة أكثر من اللازم في المسافة التي تقع ما بين الأذنين ، بينما تظهر المساء والجبل السفلي من الأنف بحجم أكبر نسبيا من بقية الملامح ، وربما يقال نفس الكلام عن التمثال العظيم بالمنحرف البركاني فهو مجسوس في نهاية عمر ضيق ومرتفع من سطح الأرض بمسافة لا تزيد على خمسة عشر قدما . فقد تم وضعه بمثابة حتى يسهل الوضع حائطا من جميع الزوايا ، ومعبرا عن سوء عرض التمثال من كافة الأركان .

لم يواجه الفنانون الذين طوعوا التماثيل الأصلية أية صعوبة من جهة ضبط الأبعاد ، ولم تهدم أية صحوة فيها يتعلق بنسب الرسم ، إن هؤلاء الذين نحتوا هذه التماثيل الصلاقة من الصخر الصلب ، وموجهة القوة والجبال الذين يوقان إدراك البحر ، كانوا هم أنفسهم عمالكة ، ولم يستخوا من كتل الأحجار أو الصخور المأخوذة من المناجم لأقامة تماثيلهم ، ولم يقبوا نماذج من الصفيال ، ولكنهم احتاروا جبلا وانكبوا عليه مثل المردة وأخذوا يثقبونه وينحتونه كما لو كان نمر من ثمار الكزير ، ثم تركوه لكي يقف رجال الأجيال القادمة في بلاءه ، مشدحين أمام عظمة هذه الممطرة إلى الأبد . ثم تحقروا في بطنه قاعة ضخمة وخمس عشرة حجرة فسحة . ثم هذبوا حافة الجرف الذي يتجه نحو البحر ، وقطعوا أربعة تماثيل ضخمة متجهة بوجوها نحو مشرق الشمس ، اثنان منها إلى يمين المدخل ، واثنان إلى يساره لكي يقوموا بالمراقبة إلى نهاية الزمان .

إن هؤلاء الحراس الذين يجلسون بارتفاع ستة وستين قدما أعلى المنصة التي تحت أقدامهم . يبلغ عرض صلب كل منهم ٢٥ قدما ، ٤ بوصات - وتبلغ المسافة من الكتف إلى الكتف ١٥ قدما ، ٦ بوصات . ومن الجانب الداخلي لمصل الكوع إلى طرف الأصبع الوسطى ١٥ قدما . وهكذا يجري حساب التقييم النسبية حتى أنه لو قدر لهذه التماثيل الوقوف فإن ارتفاعها سيبلغ ٨٣ قدما من باطن أقدامها إلى قمة تيجانها المروجة الفسحة .

لا يوجد في تراث النحت المصري كله شيء يصل روعته إلى مثل تلك الروعة التي تعامل بها فنانون أي سبيل مع الاطلاق من الملاحظة الجبرية التي أعطوها هذا الشكل الانساني . واستطاعوا كاستنافة أصحاب تأثير أن يعرفوا بالتجديد ما يجب أن يفعلوه وما يجب أن يتركوه . فقد كانت هذه التماثيل شخصية ، ولذلك فرغوا من نحت رؤوسها إلى أعلى قطعة فيها وجعلوها متناسبة مع حجم الجسم . ولكنهم طرؤا إلى الجذوع والأطراف السفلية من وجهة النظر الرحوية وليس باعتبارها اجزاء من التماثيل .

أما من وجهة النظر الرغرية فقد كان من الضروري لهذه الأطراف أن توفر لمواجهة مظهر الضخامة والهيبة . ونتيجة لذلك أصبح كل شيء هذا ثانويا بالنسبة لاصفا- التأثير باتساع وضخامة البناء- ومع هذا الاعتبار بدلت التماثيل القصة في التنفيذ . انها تجلس متجاوزة بصها إلى جانب اليسار الآخر في وضع هادئ، وهيب . وقد تباعدت أقدامها قليلا بينما استراحت يدا كل تماثيل على ركبتيه . وتظهر المسيقان الضخمة في الوضع الذي هي عليه ، رديئة المحيط بالقباس إلى أعمدة السركك الضخمة .

أما وصلة رباط الركبة . واستندادة سمانة الساق والخطوط الخارجية لقصبه الساق الطويلة ماها تبدو طبيعية أكثر منها مكتسبة . أما الأطراف ومفاصل اصابع القدمين فهي منحوتة بنفس الأسلوب الجري . وجرى تنفيذ اصابع اليدين بشكل عام علما بأنه لا يظهر منها الا أطرافها وذلك لأن الناظر إليها يراها من أسفل .

تكتشف الوجوه عن نفس ضخامة الشكل ، واللقى الصغير الذي يظهر مثل هذه الرقة لجانبى الفم . واللمع السطحي الذي في شحمة الأذن ، كل ذلك يمثل في حقيقة الأمر محاولات دائرية في مثل حجم فناعبي القوة . ويمكن أن تتأمل في كيفية تناسب هذه المعالجة مع رقة ورعة التنفيذ بالنظر إلى الرسم التخطيطي . وستجد أن الألف المرسوم في الشكل الجانبى للوجه يبلغ طوله ثلاثة أقدام ونصف القدم . كما يبلغ عرض الفم نفس هذا القندار . وحتى فتحتا الألف اللتان يبدو أنهما تمعدان مع سمة الحياة . يتجاوز طولها 8 بوصات . أما الأذن ( العالية ) والمنفصلة عن الرأس بدقة ( فيبلغ طولها 3 أقدام ، 5 بوصات من القمة إلى الطرف المذهب .

• ويرى كاتب حديث العهد كان قد أثر هذا المصوغ (١) أن النحاتين المصريين لم يحتجوا عليهم قبل التنقيذ ، وإذا صدق هذا القول فإن المعجزة هنا تكون أشد روعة • لأن الرجال الذين يصلون في مادة يمثل هذه الصلابة ومثل هذه الثنومة لم يستطيعوا قطب انفساء هذا الجبال والتشطيب الرابع للرؤوس التي سلح هذا الحجم ، بل استطاعوا أيضا باستخدام الأدوات البدائية أن ينحتوها من الصخر الطبيعي وهم بذلك وفي الحقيقة ما يكمل أنجلو عصرهم •

ولقد قيل مؤخرا أن تمثال رمسيس الذي في اتجاه الجنوب هو الذي في حالة الفضل ، وإن كانت ذراعه اليسرى ويده قد كمرشنا للأذى ، كما أنه رأس الحية المنحوتة على مقدمة التاج قد ضاعت ، ولكن بالرغم من هذه الاستثناءات فإن التمثال كامل ، وسليم الصلح ، وواضح التفاصيل ، مثلما كان في اليوم الذي استكمل فيه •

أما التمثال الثاني له فإن وسطه سطم ورأسه ساقط عند قدميه وملفون حتى تصفه في الرمال •

أما التمثال الثالث فهو سليم مثل الأول • أما الرابع فقد فُقد منه النخبة بكاملها والجزء الأكبر من الحية كما أن ذراعيه الأيمن مكمورتان.

(١) « L'absence de détails, la simplification voulue. »

La restriction des détails et des ornements à quelques sillons plus ou moins hardis, l'ingorgerment de toutes les parties délicates, démontrent que les Egyptiens étaient loin d'avoir des procédés et des facilités inconnus. — La Sculpture Égyptienne, par ÉMILÉ SOLIDÉ, p. 48.

« Un fait qui nous permet avoir du entrevoir les progrès de la sculpture, c'est l'habitude probable des sculpteurs ou entrepreneurs égyptiens d'entre prendre le travail à même sur la pierre, sans avoir préalablement cherché le modèle en terre glaise, comme on le fait de nos jours. Une fois le modèle fini, on le moule et on le reproduit mathématiquement définitive. Ce procédé a toujours été employé dans les grandes époques de l'art ; et il ne nous a pas semblé qu'il ait jamais été en usage en Egypte. » Ibid., p. 48.

ويؤكد حسن سريدي أيضا مع الرأي القائل بأن النحاتين المصريين كانوا يستخدمون الكثير من الأدوات الخشبية والبرونزية والفضة والبرونز والبرونز والبرونز (المعدن) مثل فروع المسطرة ومن الناس ٠٠ الخ ٠٠ الخ •



مع وجود قلب غائر كبير في مقدمة الجسم . ويختصص الإنتاج المردوج على رأس التمثالين الأخيرين ، فإن الرجولة العليا مفقودة . وهي تبدو كما لو كانت مجرد مقبض ، ولكن ارتفاعها يصل إلى ثمانية أقدام .

ويتلخص تأثير حجم هذه التماثيل الأربعة على عقل المتشاهد في أنه نادرا ما يلاحظ الكسور التي تحملت الثقل . وأنا لا أتذكر أنني لاحظت رأس وجسم التمثال المحطم ، بالرغم من أنه لم يبق منها شيء فوق الركبتين ، وسقط النفوس القديمة هاتين الساقين والقصص الكبيرتين (١) وبسط هذه النفوس ذات أصل اغريقي ، وبعضها الآخر يعود إلى أصل فينيقي ، وهي ترتفع فوق رؤوس الذين ينظرون إليها من أسفل بالرغم من أنهم نادرا ما يفكرون في النظر إلى أعلى .

هذه التماثيل مارية حتى الوسط . ترتدى الارار دا الثنيات المتباد . يسما ضح على رؤوسها التاج المردوج ، وتحمل أعضائها الصدرية التسمية المرسعة بخصوص الأحجار الكريمة . والإقدام مارية بدون صنادل . والأذرع بدون أساور . ولكن هناك نقوبا عميقة في الحجر في مقدمة الجسم حيث كان يوضع الحزام المتباد وشبكة كما لو كانت قد حطرت لوضع صمامير برشم مع اعتراف أن الأحرمة كانت مصنوعة من البرونز أو الذهب . أما على الصدر وتمت الصغرية تماما وعلى الجزء العلوي من كل ذراع فله تحت أشكال بيضية عميقة ، يخرج طول الواحد منها ما بين أربعة إلى خمسة أقدام تمثل الخراطيش المادية للبلاتك . ومن المحتمل أن تكون وقبما مرسوما على جسمه .

(١) نطش على الساق اليسرى لهذا التمثال نفس الاقنوش المشهور الذي اكتشفته السيفتان بلنكس ومالت . ويعود تاريخه إلى عصر بسماتيك الأول . ويبلغ بيشه اتع برامطة ششمه معن يسمي دلميرشون وهو أحد الجشود الذين بلغ صدمم ٢٤ رفا الذين ذكر هيرودوت ( في الكتاب الثاني للفصلين ٧٩ ، ٢ ) أنهم قد هربوا لأنهم حجروا في حامية بين ادة ثلاث سنوات صرى تريح . وقد لورد كتاب رولنسون عن هيرودوت ترجمة النص لتلي قام بها كولونيل ليك ( الجزء الثاني - ص ٢٧ ) وهي كما يلي : « بعد أن جاء الله بسماتيك إلى الفنتين فإن هؤلاء الذين جاءوا مع بسماتيك كما كتب ابن ثوكليس قد أبحروا وجاوروا إلى أمالي كيركس حيث يرتفع مجرى النهر ١٠٠٠ أمازيس المسرى ١٠٠٠ والكتاب هو داميرشون بين امويكوس وبوليفوس ( بوليفكوس ) بين اوداميس » - واسم بسماتيك هنا حمير في النفوس باسم بسماتيك الأول - ولذلك نرى الهروب لاصسكرك الكبير قد حدث في عصره وليس في عصر بسماتيك الثاني كما كان يظن البعض من قبل .

لقد افترض البعض أن هذه التماثيل كانت حلوة في الأصل . وإن  
الألوان قد زالت بسبب رحرحة وحبوب الرياح المكثفة ، ولكن الاكتساح  
وصل إلى ذروته عندما اكتشف يورخارت هذا المكان سنة ١٨١٣ ، وبعد  
أنه لم يلبث آثارا للألوان على الرأسين اللذين كانا يبرزان على السطح .  
ولم تستطع المين الفاحشة أن تكتشف أي أثر لهذه الطبقة الرقيقة من  
اللوحة التي كان يستخدمها المصريون في إبعاد السطح للزخرفة . وربما  
رعى الفنانون باللون الطبيعي للنجس الرملي الذي يظهر هنا عبقريا  
ومتابيا . كما تصادف توافق لونا التمثال مع لون الصخرة الفاتح ،  
ولذلك فهو يجلس مرتاحا مقابل أروسة غامقة اللون . وعند الظهر عندما  
دخل مستوى الواجحة في الظل بينما كان ضوء الشمس مازال يضرب  
فوق التماثيل ، كان تأثير المناظر أخذا وأصبح في الامكان رؤيته بكاملته  
من الحرية ، شيئا يخص كبير من الطيق البحوث بحثا بارزا .

ويقوم تمثال لاله رع (١) الذي كرس المعبود على اسمه ، على بعد  
حوالي عشرين قدما داخل فجوة فوق التمثال وقد استند في كل من جانبيه  
إلى شكل يالتمت البارز لذلك في وضع العبادة . ويأتي بعد ذلك نقش  
هروغليفية رائع يعرض الواجحة فوق البلش البارز ، ويتضمن مجموعة  
من الخراطيش الملكية فوقها الفرير مكون من قروود جالسة ، وفوق القروود  
بعض أجراء من طنف . ويتجاوز ارتفاع هذه التركيبة كلها مائة قدم .  
وستطيع أن تميزها بوضوح من الرحرحة مع وجود الخراطيش البيضاء  
تلك . وقد لاحظت تحت تلك المخاريف المنحوتة على المنصات وفوق  
الرساب إلاملاة الهيروغليفية للمروثة بين مجموعة الملامات  
الدالة من المادن بأنه يعني الذهب ( نوب Nub ) ولكن عندما يتم  
تصوره مثلما هو ظاهر هنا بدون تحديد فهو يعنى النوبة (أرضي الذهب) .

(١) رع هو إله الشمس ويمثله رأس صليب عليه قرص الشمس

« Ra veut dire faire, disposer, c'est, en effet le dieu Ra qui a dis-  
posé, organisé le monde, dont la matière lui a été donnée par Ptah. »  
— P. PIERRET - Dictionnaire d'Archéologie Égyptienne.

« Ra est une autre des intelligences démiurgiques, Ptah avait créé  
le soleil, le soleil ; le Soleil, à son tour est le créateur des êtres, ani-  
maux et humains. Il est à l'hémisphère supérieure ce qu'Osiris est à  
l'hémisphère inférieure. Ra s'élève à Héliopolis ». A. MARJETTE  
Notice des Monuments à Boulak, p. 123.

وحده الإصافه التي لا تعرف أين شاهدها مع أرباطها يتراكمي رمسيس  
الثاني (١) قد استخدمت هنا مفهوم يتعلق بالأنساب بمعنى السيادة  
النبوية .

لقد وضعنا الموقع المسمى لميدي أبي سنبل ، وكيف أنها محفورة  
في جبلين متجاورين يفصل بينهما شلال من الرمال ، وتقع مقعته المبد  
الصغير موارية لمسار النيل الذي يتدفق هنا في الاتجاه الشمالي الشرقي .  
وقد حفرت واجهة المبد الكبير في منبج الجبل في مواجهة الشرق . وكذلك  
في التماثيل الضخمة التي ترتفع فوق مستوى المنحدر الرمل تحتل مسطراً  
جانبياً من المبد الصغير وتواجه السفن الملحية إلى شمال النهر . أما من  
الجانب الرمل فهو يشبه الأجزاء المتحصنة من نهر الروم . ويأتيها من  
حيث الحجيم والتشكل والتوقع ، وكل شيء ماعدا اللون والمادة . وهو  
محصور بين المنحدر في قمته ، بينما يفتح كاللوحه عند القاع . وهو  
بهذا المسار الاجباري يسد في اتجاه الجنوب عبر واجهة المبد الكبير .  
ثم يفس الحرب القديمة الخلية حائطاً ومكتسماً ومتراكماً إلى الأبد ، ويصل  
في حدوده وبلا كلل على ملء البحرات الموقفة ودفن التماثيل المطيعة  
واحاطة للمبد كله بالرمال حبة واره حبة . مثل تاهوت ذهبي وبذلك  
لا يعرف أحد هذا المكان فيما بعد .

وكان قد القرب من هذه الحالة عند حضور بورخارت ( سنة ١٨١٣  
للميلاد ) . وكانت قمة المدخل حينذاك تقع على بعد ٣٠ قدماً تحت مستوى  
السطح . أما إذا كان الرمل سيبلغ هذا الارتفاع مرة أخرى ، فهذا أمر  
يتمه على القوة التي ستكونه . انه يحتاج لازاحه كلما ازداد تراكمه  
لأنه من المستحيل تفاديه . ولذا أعيد إلى التناحلات غير المحدودة في الصحراء  
الغريبة فلا يمكن استنفاد المد الذي يتدفق من أعلى ، وسيظل يتدفق  
حتى انقضاء الدهر .

وعندما رست غيلة كان الرمل المتراكم قد وصل إلى قمة التمثال الذي  
في أقصى الشمال ، وإلى منتصف ساقى التمثال الثاني . أما المدخل فقد

---

(١) تظهر هذه العلامة في نقش صغير محفور على سفوف جزيرة سويل في الشمال  
الأول ، ومن يسجل الآثار الثاني الذي يمتدح حكم رمسيس الثاني انظر  
Reinhold den Monumenscript المسام بروجن - المجلد الثاني - الصفحة رقم ٨٧ .  
النقش رقم ٦ .

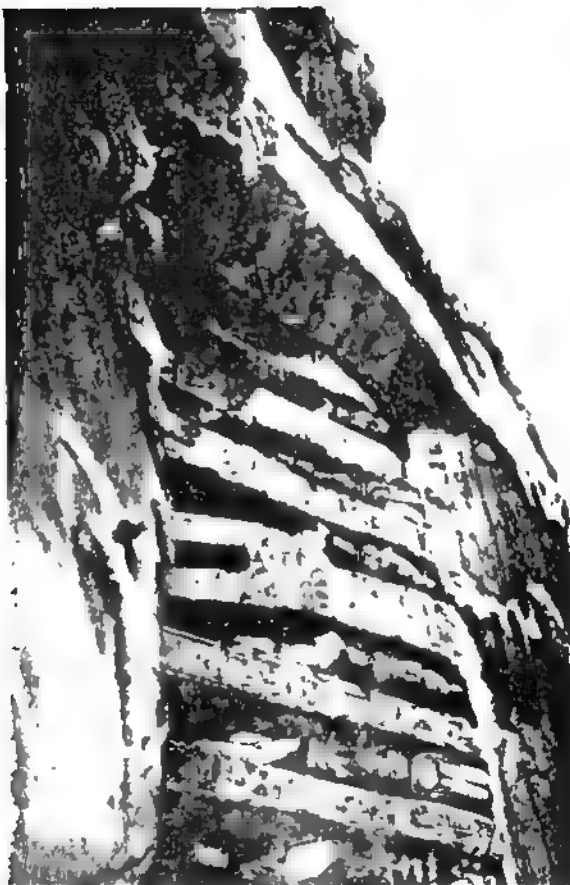
كان حلوا من الرمال حبي القثبة . ولم يرد ارتفاع الرمال في داخل القاعة الأولى من قفصين . وقد قيل لنا ان الواجهة كلها قد أحلقت من الرمال حتى أصبحت عارية تماما ، كما جرى كس وتنظيف داخل المعبد عندما أبحرت لامبراطورة الفرنسية في مهر السبل بعد افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ووصلت حتى التلال العلى . ومنذ ذلك الوقت تقريبا عادت المسجدة الرملية مرة أخرى لكن قفصى كل غرفة صق اكبر ، وممران ها سلت المسهل مرة أخرى .

كيف أتذكر مدى الإثارة الشديدة التي واجهناها في يومنا الاول في ابي سبل ا عندما كنا نحاول اختيار زوايا مشاهدة المنظر ، ونسرف على نصب الحيام في الصباح البارد . لقد وضع الرسام حبيته على حافة النهر في مواجهة التمثال والمسل الصيخ . لما مؤلفة هذا الكتاب فقد حسنت حبيتها على ارتفاع يقرب من أربعين قدما على حافة المنحدر الرملى . وبذلك تشاهد المنظر الجانبي للواجهة مع اختلاس النظر من مسافة تتيج الرؤية عبر النهر ، علما بان تشيت الخيبة في هذا المكان المرتفع لم تكن بالأمر السهل لأنه تم فقط بفرر هود الخيبة في تقب ملو بالأحجار حتى يمكن للخيبة أن تثبت في مواجهة ضغط رياح الشمال التي تهب دائما أثناء هذا الفصل من السنة .

ولمهر نفس الوقت كان السياح القادمون على مسلح المصهيات الأخرى يسبرون مسافة طويلة للأمام والخلف بين المعبدين . وهم يملأون الجو بضحكاتهم التي تبثت أصفا غريبة في الجبال المجوفة . ومع مضي النهار عادوا الى مراكزهم التي نشرت أشرفها واحدا وراء الآخر ، وأتجهت نحو وادى حلما . وعندما اختلوا تبلم وأصبح المكان ملكا لنا وحدها ، ذهبت لمشاهدة المعبدين .

لقد وجدنا أن المعبد الصغير بالرغم من أنه يظهر أولا للقادم من النهر الا أنه لا يشاهد إلا أخيرا ، ولذلك فإن رؤيته لا تعتبر ميرة بالنسبة للضيوف القادمة بعد مشاهدة بيت رخ و بيت حنوز ، حيث يملأ بالنسبة لها في حدم أقل من حدم الطبيعي ، وهي حقيقة ولكنها أقل أهمية بالنسبة للمعبد الموحود في قرية الدو . لها القاعة الأولى والتي تبلغ أبعادها ٤٠ قدما طولا ، ٢٩ قدما عرضا ، فانها تؤدي الى مسر مستعرض تطل على حصرتان جانتستان وقفس أكفاس تبلغ مساحته مربعة اقدام مرسة حيث توجد في نهايته النفايا المحطبة لتمثال يحمل رأس البقرة حنوز . وهناك

مبنى القى مبنى المستشفى، بانيقريه



أعمدة مرممه مثل تلك الموجودة في معبد الدر سجل ما يحور أن سطلق عليه  
اسم سقف القاعة ، بالرغم من أن السقف في الحقيقة هو الجبل المخور  
فيه للعباد .

وصالح الكثير من البساطة والرشاقة في هذا التنظيم كما هو في  
الشكل العام للنقوش الواردة التي تغطي الحوائط والأعمدة ولكن ليس  
لها شيء جديد . وعلى العكس من ذلك فإن الواجهة ابتكار جري ،  
والرسم الملحق بهذا الكلام يقى عن تقديم صفحات كاملة من الوصف  
بالنسبة لهؤلاء الذين لم يشاهدوا المكان . ومن الصعب كذلك أن نصفه  
بالكلمات . وهنا تجد أن الواجهة كلها ليست إلا إطارا يحيط بست فجوات  
يبرز من كل منها تمثال ضخم شبيه بالإنسان الحي ويبدو كأنه يقى  
الى الأمام خارجا من قلب الجبل . وتلف هذه التماثيل بالمسبة للبدن  
بمعدل ثلاثة الى اليمين وثلاثة الى اليسار . ويبلغ ارتفاع كل منها ثلاثي قسا  
دمثل رمسيس وزوجته الملكة نفرتاري ، وبالرغم من أنها مشوهة إلا أن  
تماثيل الملك مفعمة بالحياة وتماثيل الملكة مليئة بالرشاقة . وترقى الملكة  
على رأسها (قرص الشمس بين قرني البقرة) تاج الآلهة حصور . أما الملك  
فهو يرتدى تاج اللباد ( التاج الأبيض ) مع خوذة مصرية مزينة بالأجنحة  
والقرون . وهما يصحبان أطفالهما معهما . الملكة معها بنتانها ، والملك  
معه أولاده . ويبلغ ارتفاع الأطفال عشرة أقدام بحيث تصل رؤوسهم الى  
حسوفى وكبة الأيوين .

تشكل جدران هذه الفجوات الثلاث وهي تتبع انحدار الجبل ، دعائم  
ضخمة يظهر تأثيرها المصيب في الضوء وفي الظل . ويغطي المدخل تأثير  
الغرفة التي شاهدها سبواه في مصر أو في النوبة . أما النقوش  
الهيوغليفيّة العظيمة التي تغطي وجوه هذه الدعائم ومقعدة هذه الشرفة  
فهي منحوتة في الصخر بعمق يصل الى نصف قدم ، وكبيرة الحجم لدرجة  
تسمح بجراعتها من الجزيرة التي في وسط النهر . أما القصة التي تحكيها  
فهي القصة المكررة في الطرقات المصرية القديمة المختلفة والمفونة على  
الأطر التي تحيط بالفتحات أو الأبواب ، وهي قصة فرطة ومثيرة .

قول الأسطورة الخارجية : « أقام هذا المسكن لنفسه رمسيس  
القوسى فى الحقيقة ، محبوب آمون - لزوجته الملكة نفرتارى التى  
يعبها » (٦) .

ويعد أن تعدد الأسطورة القلب «لأن تذكر أن « زوجته الملكة التى  
تحبه نفرتارى محبوبه ماتت » قد بنت لأجله هذا المسكن فى حبال المياه  
الطاهرة » .

وتجد اسمى رمسيس ونفرتارى متلازمين وغير منفصلين على كل  
عمود ، وعلى كل فعل تميدى منحوش على الحوايط ، وحتى فى نفس الأقداس ،  
وربما استطاع الإنسان أن يكتشف فى هذه الهيئة المتبادلة وفى رقة الطوار  
غير المألوف ، آثار بعض الأحداث التذكارية التى شاعت محلها إلى الأبد .  
ربما كفى لقاء ، أو وداعا - وربما كفى صلاة استجيبت ، أو بدوا تحقق .  
وعلى كل حال ، فأنسا نرى أن رمسيس ونفرتارى أرادا أن يتركا حلما  
سجلا خالدا عن الحب الذى جمع بينهما على الأرض والذى ياملان أن يجمع  
بينهما أيضا فى السماء .

ما الذى نريد أن نعرفه أكثر من ذلك ؟ لقد رأينا أن الملكة كانت  
واقفة (٧) ، وأن الملك كان فى قمة عظمته - اتنا نفس الباقى ، وكذلك  
فإن الشعور المدون فى هذا المكان يختصنا فى جميع الأحوال - وحتى فى  
هذه المرأة الموحضة فإنه نهب علينا نسمات من شواطئ الخيال القديم ،  
ونفس بأن الحب قد مر من هنا يوما ما ، وأن الأرض التى وطأها مزارع  
أرضا مقدسة .

(٦) بالمرغم من أن هذا المعبد كان مبة عن الله رمسيس للملكة نفرتارى ، ومن الملكة  
نفرتارى للملك رمسيس ، إلا أنه قد اتهم أيضا تحت حماية حمهور اعظم نموذج للأحومة  
القدسة - وتتلها الملكة نفرتارى التى تظهر فى التراجيح كأم لستة أطفال وتبجل بصلوات  
الآلهة - ومن وجهة النظر الدينية نجد أن حمهور هو المعبد الظاهر لمعبد رع .  
ويذكر سيد مارييت فى كتابه *Notice des Monuments à Bouhik* من  
حمهور أن وفاتها ميجزة ولكنها غير معروفة لنا تماما وفى ذلك يقول :  
« *Fontaine établie à Ba en que Mast est à Anmou, le recipient où le  
dieu s'emprandre Fai-ou-ne pour l'éternité.* »

(٧) لا يستطيع الإنسان أن يتخيل كثيرا عن جمال ياس انسى فى ردم جدهلى  
مصرى ، ولكن يتضح من هذه الصور التى جمال الملكة واللى تكويرت مرات كثيرة غرق  
حوادث ففاعة الاولى بسعد حمهور ، أن الملكة لم تكن تتمتع بجمال الزوجين حسب  
معايير الفرية عليها تحقت بالكثير من الحلاوة والكثير من الرقة - واسم نفرتارى -

وحرولسا الى المعبد الكبير دون ان يستقر للمصنق تفاصيل المعبد الصغير - وكان هناك ضوء خافت يقيم على القاعة الاولى والظلام يلبس كل شيء حله . وقد اقيمت ثمانية تماثيل اربعة الى اليمين وأربعة الى اليسار . تنحى الى وسط القاعة ، حامله الجبل قوى رؤوسها ، ويبلغ ارتفاعها خمسة وعشرين قدما . وقد وضعت التماثيل ايديها متقاطعة على صدورهما وهي تمسك بالعضا والصولجان رمز السلطة والسلطان . وهذه الهيئة هي هيئة أوروريس ، ولكن الوجه هو وجه رمسيس الثانى . وتبدو التماثيل عند رؤيتها من خلال هذا الضوء الخافت الطليق والمجرد والمجيب . كما لو كانت قد تذكرت الماضي .

وتقع قاعة ثمانية حطب القاعة الاولى مكدولة على اعمدة مربعة . وتقع حطب هذه الصالة أيضا حجرة الخفية لمخيط حوائطها بنقوش بارزة للعديد من الآلهة . وفي النهاية بانى قفس الأكداس - وهنا تجلس اربعة تماثيل متحاورة أكبر من الحجم الطبيعي تمثل الآلهة بتاح - آمون رع - رع ، ورمسيس المؤله وأملهم مديح على شكل حرم متور الطرف ، مصحوت من الصخر الصلب ، ومارالت آثار الألوان بالقية على ثياب التماثيل وقد ظهرت فى الحوائط على كلا الجانبين نقوب وأحاديث ربما حضرت لتثببت متفورة مهدنية .

كان الهواء فى الهيكل ثقيلًا مع رائحة لاذعة كما لو كان الكهنة قد أحرقوا بعض البخور الغريب ثم ذهبوا لتوهم من المكان . ومن يدعى بهذا الوهم للرواى الذى كانوا قبلنا لأبهم أحسبوا شريطا من المانغسيوم لآبارة المكان . وكان دماهم ما زال باقيا فى هذه القاعات المظلمة .

---

« يماى تراثية الكلمة واللغوية والجمعية » والمفيدة من أن هذا الجمال والطبيعة لابد أن يكونا صفتين مترافقتين . وليس لهما قط مجرد الأهمية التي تظهر من وجهة النظر الفلسفية الرأسمية . ولكنهما تتكاتفان من القوة الكسنة فى ذلك المذهب الذى جرى تعليمه فيما بعد فى المدارس الاستكبرية وأصبح لى ملك هذه التلذذ الواضحة . ومنه يتضح لنا أن كلمتي الحقيقة والعمل مترافقتين وتصلان نفس المبنى -

وهناك معنى خفيك عن أسماء الأعلام المصرية التي تذكرنا بالأسماء التي استخدمت فى إنجلترا ثم حفلة الكومفولت ولتأخذ مثلا الاسم بكه - ان - غوسو ، أى ( خادم جونسو ) . يا - تا - امين أى ( مية آمون ) . ويختار فى ( عام سعيد ) . جونسون اين غير شو . وهناك أسماء طويلة ومكتنزة شبيهة بالعلاقة والآلهة مثل - القلم التي اسم الآلهة - - الخ - - الخ -



ولذلك كان من الصعب أن يستقر هنا وهناك لإجراء تحقيق تأييد حول نقوش الجدران ولم يحاول ذلك ، وأحد ما تنجول من قاعة إلى قاعة ومن حجرة إلى أخرى ، بأهل أحيانا الأشعة الباهتة التي تدخل من الخارج ، وأحيانا أخرى تختبر في سوء حنة من التسرع مربوطلة إلى نهاية هذا إلا أننا فضلا في ميثاق هذه الاطلاعات الأولى المنبئة من الاتساع العظيم ، والضموض ، والخطبة الموحدة التي ترداد عتقا مع بعض الإبهام والشبوح .

ومرت أمام أعياننا مناظر الحرب والاقتتار والعبادة مثل أحداث عابرة . هنا الملك محبولا في مركبة تجرها حيول مسيية يعلو ناقص سرعتها وقد ريت بأغطية مركبة فوق سرورها ، أما هو فيصحب لوسه الجبار ويهاجم قلعة مينة ، وقد طس بعض المحاصرين يساهمه الطيعة فاحبوا يطوبون الرحمة . انهم من السوريين ، ويشير بعضهم بأنهم من الحيثيين الشماليين . وكانت يشرتهم صمرا وقد ارتدوا الشمس المستعار الطويل واللحية ، والشرائط التي يربطون بها شعورهم والملايس الثمينة ، والمعدات التي يدون اكمام والأشرطة المطرزة بأشغال الإبره التي تدبس فوق الكتف لحمل السيف والتي اعتدنا رؤيتها في تماثيل ليدوي، وهناك رجل يسوق الماشية في واجهة الصورة يبدو كما لو كان قد خرج مباشرة من إحدى لوحات المتحف البريطاني . وفي نفس الوقت يظهر رعييس فوق الرحام مسرعا ، في هيئته الألهية - أما خيوله لمس سلالة حائلة مثل شيول أحبل . أما أولاده وكل أفراد جيفسه وعجلاته الحربية وجوانه فأنها كلها تنبى . وتكتف كافة للمناظر على الحركة وروعة الحركة .

ويعد ذلك نرى الملك عاكفا في هيئته الرسمية يتبعه أسراه في الحرب وقد ربطوا بها في مجموعات وهم يترنحون أثناء سيرهم وقد أراحوا رؤوسهم إلى الحلف ورفعوا أيديهم إلى فوق . ولم يكن هؤلاء الأمرى آسيويين ، ولكنهم كانوا أحيانا وبوبيين يمثلون مبالغ صادقة لاحتسهم بالشهداء القليلة ، والأثرف المخططة والشمع الأشعث ، ويشير منظرهم الرثاء بدلا من المستريحة .

وبعد ذلك يرى الملك رعييس يقود مجموعة من هؤلاء الأمرى في حضرة آمون رع وموت وحتمسو ، ويظهر آمون رع في شكل غريب غير مالوف بونه الأرق وأجنحته الطويلة . أما الإلهة موت فكانت ترتدى تاج مصر العليا ، أما حتمسو ففي ملامحه لمسة دقيقة من المبالغة التي جعلت ملامحه شبيهة بملامح الملك . ومرة أخرى تجد صور رعييس على يسار

المحتل في حجم يصاحبه ثلاثة أمثال الحجم الطبيعي وهو يدبح مجموعة من الأسرى من جنسيات مختلفة ، وعلى يساره آخرون رجع وعن يمينه رج حرماني (١) وهو يراقب ويتقبل التضحية . وفي القاعة الثانية مري كالعادة موكب الآلية للقنصة يتأج ، وحوم ، ومست في عباءات ملونة تظهر غامقة وهم مثل لشباح في لوحة بعثة من النسيج ، بين حوائط المر المستعصر ، أما الشيء المجهب في أبي ستيل فهو الموضوع الضخم المرسوم على الجانب الشمالي من الصالة الكبرى ، انه يمثل جامبا كبيراً في أرض الحركة يغطي مساحة طولها ٥٧ قدماً ، ٧ بوصات ، وارتفاعها ٢٥ قدماً ، ٤ بوصات ويدهاها ما يريد على ١١٠٠ شكل - ويوجد أن هذا الجانب قد حذف منه صف الخراطيس المتعلقة بالانساب والأفامى الصغيره التي تدور حول بقية السقف . وبذلك على الحائط يستلء بالصورة من القمه الى القاع .

ولا شك في أن الوصف الكامل لهذه اللوحة يستغرق عدة صفحات . لأنها تمثل معرضاً حقيقياً في حد ذاتها . انها لا تمثل عملاً واحداً بل حملة كاملة ، لأنها تكشف أمامنا في بساطة روعة وحالة الحرب ، وأحداث حياة المسمكرات وأحداث ميدان المصارعة المفتوح ، وبرى مدينة الإغناء بإبراحها المجهزة للقتال ، وتالوث الآلهة موت ، ومسكر النصر وسرايق الملك ، وسير جنود القساء وقوات المجلات الحربية ، والنجار الحابل بالنابل يدا بيد أثناء الحركة ، وقرار المهورين ، وانحصار العرعون ، واحضار الأسرى ، واحضار عدد الأيدي المقطعة ، ومرور نهر خلال الصورة من طرفها الأيمن الى طرفها الأيسر محيطاً بالمدينة المعاصرة ، والملك في عجلته الحربية يتبع جمهرة من الفارين بطول الضفة ، وقد سقط بعضهم تحت عجلات الحربة ، بينما سقط البعض الآخر في الماء وغرق فيه ، وحلفهم حائط متحرك من حلقى النروع والرماح يتقدم بخطوة منتظمة في صف متلاصق كتفا الى كتف ، بينما تظهر هناك حيث تحتل المصارعة ، المجلات التي اقلبت ، والرجال الذين هاتوا ، أو يهاتون من مسكرات الحرب ، والخيول التي يدون فرسان وهي تجري في الميدان ، وفي نفس الوقت يرسل المصامرون كشافين راكبين ، بينما يسوق الفلاحون ماشيتهم الى التلال .

وعندك صف طويل من المجلات الحربية التي تجرها البعياد بأقصى سرعتها . يشق الموضوع طولياً ويفصل المسمكر المصري عن ميدان الحركة .

(١) رج حرمانيس يعني حر - لم - كنت . في اللغة القديمة وهو يمثل الشمس التي تشرق من الأفق الشرقي .

أما المعسكر فهو مربع الشكل ومحاط بجدار من الدروع ، وهو يحتل مساحة الصورة ويحتوي على ما يقرب من مائة شكل - وقد استطاع القسان أن يجع في هذا الحيز الضيق مجموعة مثيرة من الأحداث . الخيول واقفة في صفوف وهي تأكل من عود عومي ، أو تنتظر دورها وهي تشرب الأرض بجوارفها نظرا لتفاد صبرها ، ويضربها راقدة على الأرض . وهناك أحد الخيول بدون السرج واللجام يهرول حول الميدان . وهناك حصان آخر يرفس السجلة الحربية المارغة باستخدام عقبيه الخلفيين وقد اعترضه صائغ . وهناك عدد آخر من المائتين يحضرون جرادل من الماء تتلوى من نير موضوع على عاتق كل منهم . وهناك أيضا ضابط جريح يجلس منعزلا وقد أراح رأسه على يده ، بينما يحضر إليه الضابط المتأوب مسرعا لكي يلفه أحبار المركة ، وضابط آخر مصاب بجرح بسيط في قفصه ويقوم أحد الجراحين بعمل غيار على جرحه ، بينما تسرع صيكتان من المشاة للقيام بدورهما لمهونة الجنود المشتركين في المركة ، وتقايلان عند مدخل المعسكر مع السجلة الملكية أثناء هودتها من ميدان القتال . وكان رمسيس يسوق أمامه بعض المارين الذين وقفوا وقبض عليهم وأرسلوا إلى هذا الموضع . وقد وصفت في أحد الأركان أشياء يستحوها قطع كبيرة من اللحم . ويقارب منها صديق صغير ومجمرة من الفحم على حامل ثلاثي . وفي مكان آخر يطس اثنان من الجنود على أعقابهما وبينهما مرجل كبير . وهما يفسدان أصابعهما في محتوياته ، مثلا يعمل كل اللاح حتى اليوم . وفي نفس الوقت يتضح أن النظام كان مرعيا لدى المصريين . وأن الجندي الذي يتجاوز حدود الإلزام كان يتعرض للعقاب باستخدام العصا مغلما يحدث حاليا مع أحفادها للمصريين وترى فيما لا يقل عن ثلاثة أماكن هذه العادة التي أصاب عليها الزمن جلالا وهم يظنونها ، فبمساعدة الضابط العظيم وهو يرفع صباه . بينما يتقبل الشخص المصاب عذوبته باعتزاز واضح . ويرفقه بجوار رمسيس في وسط المعسكر اسمه المستأنس في رعاية حارسه . بينما يقف عند الجناح الملكي جاسوس مهاد يقصر بالهشدة بينما يتولى الضابط القائم بالمراقبة طينه . والجناح نفسه شرمب جدا لأنه ليس حية بل ميتي من المحتمل أنه أقيم ارتجاليا من الطوب اللبن . وبه أربعة مداحل ذات عتود ، ويتضمن في أحد أركانه شيئا مثل دولا ب بعضه اثنان من الصقور المقلصة . وهذا الشيء الذي يطابق مع القصار الهيرودقليتي المستعصم للتصير في التكريم أو الاحتفال يقوم بلا شك كبدل في هيكل صغير مخصص للملك . وهناك خمسة أشخاص راكعون أمامه لأداء العبادة .

وإذا اردنا أن نمقد أو نصف العاصر المهمة في هذه اللوحة المدهلة فانما تحتاج الى مساحة أكبر . ومن المستحيل حتى مجرد رؤيتها خلال الفترة الزمنية المتاحة لنا مع كل المساعدة التي تقدمها لنا الشروع وصاييح للأفنديوم ، وتجد أن تضاريس الصورة مستقيمة على غير العادة ، والسطح الذي كان مغطى بالحصى ، قد غلته آثار الأزميل الدقيقة التي تراحم التفاصيل بشكل ينير الألم . وليس هذا كل شيء ، بل إن نوعا من الرواسب الطينية المألحة في هذا الجانب من الصورة قد عتلا مثلها البعض وكان منها في الإضرار بالسطح الطبيعي الذي يفوق عتلا مثلها يتأكل الحديد بفعل الصدأ ، وهناك بعض المساحات الصغيرة سليمة في بعض الأماكن ومحتفظه بألوانها الأصلية . أما الهرم فبازالت تغطيه الخطوط المتفرقة الزرقاء والبيضاء التي تمثل الماء ، وهناك بعض المجموعات المنقطة كاملة . وكذلك جبلتان حريتان ملكيتان أحدهما تملوها مظلة حطيفة مرعرة برخلاف جبيلة ولا ممة كما لو كانت قد رسمت حديثا .

أما الخيول في كل أرجاء اللوحة فهي متنارة ، ويميز صف الصفات الحربية من الانطباع الذي يخلفه تحريك الجماهير ، وتصر الخيول التي في مصكر رئيسي من أحسن اتجاهات الفن المصري لما تملو عليه من أشكال طبيعية داخل مجموعة مختلفة من الأوضاع . ويعبر بنا أن نذكر أن هناك فارسا يبرز الوجود يظهر لربع أو خمس مرات في أجزاء مختلفة من الصورة . إن منظر الحملة قد جرى في سوريا . وكذلك فإن الهرم الذي نعل عليه الخطوط المتفرقة الزرقاء هو نهر العاصي ، والمدينة المحاصرة هي قادش (٦) والأعمال هم الحيثيون . والحقيقة أن اللوحة كلها صورة تعبر عن قمة الأحداث التي حللتها قصيدة بنتاؤور ، وهي القصيدة التي وصفها مسير ووجيه بأنها : نوع من الإبلات المصرية ، ولابد أن المقاربة هنا تدور حول الصورة أكثر منها حول القصيدة . كان بنتاؤور

(٦) تسمى كادش في اللغة المصرية القديمة :  
« Aujourd'hui encore il existe une ville de Kados près d'une courbe de l'Oroule dans le voisinage de Hama. » Leçons de M. de Rougé, Professeur au Collège de France, Sur Mélanges D'Archéologie, Egypt. and Assyriol., vol. II, p. 200.

وهناك رواية مهمة أخرى بعنوان : حملة رئيسي الثاني ضد قادش  
of Ramesses II against Kadesh  
تأثر الكتاب المقدس Sec. of Bib. Arch. المجلد الثامن من الجزء الثالث . ص ١٨٨٧  
ومنها تعرف أن الحملة التي ذكرها في صورة بالقدس الهير .

يمسى إلى رجال البلاط في المجلس الأول ، وشاعرا في المجلس الثاني . وقد صبحى نكل شيء لابرار عظمة الشخصية المدوية - لقد قصد عظيم الملك - أما قهيدته التي تطوى كلها على المديح هي تنبأ وتنتهي بالحديث عن شجاعة الملك وصيبي محبوب آمون . وعلى ذلك يمكن أن نسمي الياذة ، فهي ملحمة لم تترك شيئا مما يمكن أن يصح أحيل ، أما الصورة فهي على العكس ، بالرغم من أنها مبدع البطل في القتال والحر ، إلا أنها ذات أبعاد صخنة ، ولم تترك مساحة لجمهور من الشخصيات الصغرى . وتتخذ القصص التي تظهر فيها هذه الشخصيات شكل الملحمة . إن معاجاة العاسوس وقتله تشبه قتل دولون بيد أوليس . أما الرجال فهم يحتفلون ويقافون ويصايون بالجراح مثل أبناء أحياء ذوي الشعور الطويلة ، بينما تأكل حيولهم التسمير الأبيض والثوفان وهي طليقة بدون سروج . وهم في مثل صلالة عطلتهم الحربية ، ينتظرون ظهور العجر .

وقد اضم القاص الذي نفذ القطعة العاصية بالمركة مثل هوميوس أيضا بإبرار الصفات المميزة للقاتل الكثيرين ، فالحيثيون يركب كل ثلاثة منهم عجلة حربية ، بينما يركب العجلة الحربية المصرية اناس فقط . ويتبار الحثيون بالثوارب ويرتدون الخوذات فوق رؤوسهم ، بينما يتباهى المصريون بوجوههم الحليقة وينظون رؤوسهم بالشعور المستعارة الثقيلة . أما جنود سردييا المرتفعة فانهم يطلقون شعورهم الكثيفة ولعاصم وشواذبهم ، ويظهر ملاصقهم الأوربية بوصوح ويرتدون أيضا الخوذة الحربية التي تملوها الكرة وقضبان معدنيان مدببان ، وهي الخوذة التي يمكن عن طريقها التعرف عليهم في الغوش . ويظهر هؤلاء السرديين في الصف السفلي القرب من الأرض . وقد تكومت الرمال عند هذه النقطة ولم يظهر فوق السطح الا قمة خوذة واحدة . ولما لم نعرف لمن تنتمي هذه الخوذة ، حلما رجالا يرمعون الرمال فاذا بهم يكتشفون مصادفة أكثر المجموعات لحراة وأهمية في الصورة كلها ، وهم السرديون ( شاردا في اللغة المصرية القديمة ) (١) الذين كانوا سجناء معدنيين في صفوف الجيش المصري . وهم أول الأوربيين الذين تظهر أسماؤهم في الآثار .

• La Méton Sardana de l'armée de Ramses II provenait d'une (١) première descrite de ces peuples en Egypte. « Les Sardana qui étaient des prisonniers de « assésité », dit expressément le texte de Karnak, au commencement du poème de Pentour. Les archéologues ont remarqué la richesse de leur costume et de leurs armures. Les principales pièces de leur vêtements semblent couvertes de broderies. Leur bouchier est ...

وهناك ساعة واحدة فقط على مدى الأربع والعشرين ساعة يمكن خلالها تكوين فكرة عن التأثير الهائل لهذا الموضوع الضخم وهي ساعة شروق الشمس . وبعد ذلك يتبقى اليوم في المسجل ونضيف ظلمة الأجمة الجاذبية بالضوء المنعكس من الأرضية التي تضيئها أشعة الشمس . وحينذاك يمكن رؤية الأقسام الواسعة من الصورة وتوزيع المجاميع ولكن بشكل متعمد .

أما التفاصيل فهي تحتاج إلى ضوء الشمس ، ولا يمكن دراستها إلا على مراحل تستغرق الرحلة كلها عدة يومات ، ومع ذلك فمن الصعب الوصول إلى المجموعات العلوية بدون استخدام السلم . وسعد سلام على كرسي مسكاً بعضوصى طويلتين مربوطتين مما حتى استطاع صسحوية أن يرفع مشطه الصغير إلى الارتفاع الذي يتيح للمؤلفة مسح النقش المرسوم على الجيرج الأوسط في قلعة قادش .

ومن المثير أن تصاعد شروق الشمس على واجهة المبد الكبير ، ولكن هناك شيئاً أروع يحدث في قلب الجبال في صباح أيام ممية من السنة . عندما تظهر الشمس فوق قمم الجبال الشرقية يدخل شعاع طويل من الدخيل ويشق الظلام الداخلي مثل السهم ويتسلسل إلى الهيكل ويستقط مثل النار النازلة في السماء على المذبح الذي عند أقسام الآلهة . ولا يشك أحد من الذين شاهدوا نزول هذا الشعاع من ضوء الشمس أنه يعطي تأثيراً صسحويا ، وإن المفر قد اتجه مباشرة براوية خاصة بحيث يسمح بمثل هذا الحدث . وبهذه الطريقة يقال إن رج الذي خصص له هذا المبد يصل يومياً . وأنه يقدم بحضوره دليلاً على قبوله تضحيات الذين يبعثونه .

ونقول أننا لم نشاهد نصف النفوس ، أو حتى نصف الحجرات في نصف هذا اليوم الأول بمعد أي سنبل . ولقدنا نجول هنا وهناك ونحن منممشون وقائمون بمجرد التمسكة مثل القرويين الذين يتجولون

---

« une rondache ils portaient une longue et large épée de forme ordinaire. Mais on remarque aussi dans leurs balins une épée d'une longueur démesurée. Le casque des S'ardana est très caractéristique, sa forme est arrondie, mais il est surmonté d'une tige qui supporte une boule de métal. Cet ornement est accompagné de deux cornes ou surmontés de croissants. Les S'ardana de l'armée Egyptienne ont seulement des favoris et des moustache coupés très courts » . *Mémoire sur les Attaques Dirigées contre l'Égypte, etc, etc*, E. DE BOURGK. *Revue Archéologique*, vol. xvi. pp. 80, 81.

بأحد المفارص • وكان لدينا متسع من الوقت للحضور مرة ثانية وثالثة حتى نحتله عن ظهر قلب • وكانت الكابينة تمحل باستمرار وفي أي ساعة من الساعات بعد الانتهاء من الرسومات التخطيطية اليومية، بينما كان الآخرون يتشرون أو يركبون القوارب في بروجعة بعد الظهر المتأخرة • أنه مكان عجيب بالنسبة لي يرويه مفردا • أنه مكان يتميز بالسلام والسكون القديم الذي يبدو فيه الزمن غارقا في النوم • والشمس التي يتجول فيه هنا وهناك بين هذه الكفاحات المغطاة بالنقوش مثل ظل بين الظلال ، يحس بأنه قد ترك المالم خلفه ، وأنه قد تخلى عن التماثيل الماسرة لكي يرتبط بالماضي • ونفس الآلهة تسيح تأثيرها القديم بين هؤلاء الذين يطلبونه في وحدتهم • فيشاهدونه في حلقة طلة المساء حيث يظهرون مندمجين في حياة ما وراء الطبيعة • وكانت هناك أوقات أحسست فيها بضرورة أن أستمع إليهم وهم يتحدثون ، وأن أسمعهم وهم يتحدثون عن عروشهم المزخرفة ويخرجون من الجدران ، وقد مرت لحظات أحسست فيها أنني أتي بهم •

كان هناك شيء شديد الغرابة والروعة يظف المكان ، وقد استلهمت هذه الغرابة وتلك الروعة مع الحصى قفعا في داخلي • حتى أنني نادرا ما جازفت بتجاوز القاعة الأولى عندما كنت يفردي • وبعد ظهر أحد الأيام عندما كان الوقت ميكرنا والقصر أوضغ ما هو في العادة ، ذهبت إلى الطرف البعيد وجلست تحت أقدام الآلهة في قفس الأقداس ، وصباحا ( لا أستطيع أن أذكر لماذا لأن أفكاري كانت حائرة بعيدا ) جئ في إلى أن الجبل كله يوشك أن يغطي رأسي مثل حفرة • وقد غشيتني رعدة فحائية مثل تلك التي يشعر بها الإنسان في الأحلام ، وسأولت أن أجري ولكن قفصي تسمرت في مكانهما ، وهربت الأرض وكأنها تريد تعتهما ، وشعرت بأنني لا أستطيع أن أطلب المساعدة رغم أنها كانت ضرورية لإنقاذ حياتي • وليس من الضروري أن أضيف أن الجبل لم يسقط على رأسي وأن خوفا لم يكن له أساس من الصحة ، وربما كانت هذه المشاعر تمثل أموليا كبيرا للدوت وأسلوبا كبيرا للتدفن ، ولم تكن جميع زياراتي للمعبد بمنزلة هذه الروعة ، ففي بعض المرات صحبت معي سلام الذي كان يمشي السجالات عندما لا يكون في بوة عمل • لو يملك شجرة عندما كنت أرسم نماذج الكاريز وأنظمة رؤوس المورق والآلهة • وتصميمات القلائد والأساور • ورؤوس الأسمى وما شابه ذلك • ولما نى بعض الأحيان باستكشاف الصحرات الجنائية حيث توجد ثمانية من هذه الحشرات اللدنية الثقلة والمطورة دروايا مختلفة • وقد أحيطت اثنتان أو ثلاثة منها بقواعد حجرية محفورة في الصخر • وكانت النقوش الهيروغليفية فوق أطرافها

محفورة جزئيا ومرسومة باللون الأسود ولكنها متروكة دون استكمال .  
ويصيب هذا السنتال مكافئه الى عمل وصيبي النامي، ولا يحمل أية علامة  
تدل على ان احدا من حفائله قد اصابه الله شيئا . أما هذه العلامات التي  
تدعي عدم استكمال النقوش فتدل على ان للملك قد علت قبل انهاء العمل .

وقد أحسست دائما بأنه كانت هناك مواضع سرية في هذه الحجرات  
المظلمة لم يستكمل اكتشافها . وقد شاركني مسلام في البحث عنها .  
وسواء في ديفوة أو ادفو أو مدينة هابو أو خيلة (١) وجدت مراديب داخل  
جسم الجدار والحجيت تحت الأرضيات لحفظ الكنوز وقت الخطر ، ولا بد  
ان الحابد المحفورة على الصخر كان بها أماكن مماثلة لاحتفائه الكنوز ،  
ومن هذه الأماكن قد اتخذت شكل خلايا متباعدة في الجدران أو تحت  
الأرضيات داخل الحجرات الجانبية .

أما عن المروج بمعدك من هذه الجحور السوداء الى ضوء الصالة  
الكبرى ورؤية العالم الأرضية كما هي في داخل اطار المنحل النحاسي ، فهو  
يساوي وحده الرحلة الى أي منبل كلها . وفي أوقات غروب الشمس  
يسبح أن النور والجريئة الرملية الصفراء وأنجار النخيل والطرفاء  
المواجهة لها ، وجبال الصحراء الشرقية . مثل « كيش القداء » كانت  
كلها قنية بالأزهار والنهب مثل للكان .

وحضت أيامنا في أي منبل على هذا المنوال . الصالة يصلون ،  
والكسالي يتكاملون ، ييسا الغربه من العالم الفارسي يأتي ويذهبون  
بين حين وآخر . وكانت الحرارة على الشاطئ شديدة الوطأة خاصة في  
التيام التي تجلس فيها للرسم . ولكن ربح الفساح كانت تهب بانتظام  
كل يوم معه شروق الشمس بعد ساعة وحتى قبل غروب الشمس بمدة  
ساعة كذلك . أما الجو على سطح الصحبة فكان باردا دائما .

وقد استغل الزوجان المحيدان ميزة الريح الطيبة معه لملزمة  
النجديف في القارب . كما رقبوا جولاتهم بحيث يستملون فترة انتهاء  
هبوب الريح للخروج في جولاتهم على أن تتكفل الأذرع القوية لأربعة من  
المجندين باعادتهم مرة ثانية . واستطاعوا بهذه الطريقة أن يشمساحدوا

---

(١) حتى فبراير سنة ١٨٢٤ على كارمين من النصب والقصة كان حسيما في جدار  
لحد اعلم حور في الثانية العليا -  
نظر : *Legatus's letters* - ترجمها ل ج. هورن - نشرت في دور سنة  
١٨٥٢ - من ١٥١ .



معبود فرميج الصغير المنحوت في الصخر وهو ما اشتهر به الباتون لسور.  
 حظههم . وفي فرصة أخرى قاموا برؤية شيخ معين كان يعيش في قرية  
 تبعد حوالي ميلين جنوب أبي سبيل ولكن رجلا عظيما كما يذكر كيسان  
 السويدي ، وكان اسمه حس بن وشوان الكاشف ، وهو حفيد ذلك الذي  
 كان يسمى حس الكاشف الكبير نائب حاكم السوية في أيام يوحنا  
 ويلدوني . وقد استعمل الروجي السيد بنحافوة بالغة ، وديع حروفا  
 نكريما لهما ، واحد يساهمنا لاكثر من ثلاث ساعات . وكان الغداء مكونا  
 من سلسلة لطباق لا نهاية لها وكلها تشبه البمبج الذي كما مضى في  
 طفولتنا . وامتس تكرار فسي الصنف تمت ستار حطيط من التمويهات  
 سواء كان لهما مشويا أو مشبوقا أو عطبوفا أو مفروفا ، وسواء جرى  
 تقديمه على اسياخ ، أو حلقونا في الأرز ، أو خموسا في الثلبس الرائب  
 فان الاطباق كلها كانت من لحم الضأن .

لقد ينسبنا الآن من امكانية رؤية التمساح، ولولا ان رجالنا اكتشفوا  
 آثاره على الجريزة المتناقلة لكنا امسكنا عن الاعتقاد في وجود تماسيح  
 بمصر . وكانت الملاحة حديثة عندما ذهبنا لمصادتها . وكان التمساح  
 يستحم في الشمس ويجفف نفسه ، في حسي النقطة التي عاد منها  
 نائية في النهر . لما الرمل الرطب عند حافة الماء فقد اكنسى بتراب مخالته  
 السمينة الصمغية ، وكذلك السلسلة المخرعة التي تقطع ذيله بصرف النظر  
 في أن هذا الانطباع الأخير كان ممنوعا بسبب ارتفاعه النهائي صحر الماء .  
 واشك في ان روبسون كروزو عندما شاهد اثر القدم على القساطل كان  
 أكثر دهشة مما نحن ركاب النخبة فيلة عند رؤية هذا الأثر الاصيل  
 والذي لا يمكن إنكاره .

لما في الرجل الكسول فقد قفز مصرعا إلى السباح واستعد  
 للهجوم . وحفر لنفسه قبرا عميقا على بعد ياردات من المكان ، ثم ذهب  
 ووجد فيه عدة ساعات مستلقيا وصائرا وحفرا ، صباحا بعد صباح تحت  
 وهج الشمس وصه بنفثته جاعزة للإطلاق ، وفطاة البمش فوق ظهره .  
 وإذا كان قد بدا من غربة الشمس فان هذه ليست غلظته وكان جراثمه من  
 جسم العبد لأن التمساح كان اذكي منه وحرس على ألا يعود مرة أخرى

وفي نفس الوقت فان بطارتنا بالرغم من سمكاتهم بهذه المطننة  
 الطائرة ، فقد يلحوا يواجهون للثلل في أبي سبيل ، وطول فترة بقاء  
 الباحثون كان طاقما البحارة يتجمعان معا كل ليلة للرقص والتدخين  
 وغناء سواويلهم الطريفة . ولكن عندما وصلت الفشائعات عن الأشمس

المعجبة التي جرت في هذا الشتاء عند وادي حلفا ، وهي الشائعات التي ذكرت ان التشلال الثاني كان مروحيا بالتماسيح ، فان رفاقنا الأوفياء سئلوا في صباح احد الأيام قبل شروق الشمس وتركوا المهينة فيه بدون رفاق .

ولم هذه الظروف ومع رؤية وقت الرجال وهو معلن بين أيديهم ، حطرت في ذهن الرسام فكرة ارسالهم لتنظيف وجه التشلال الذي في أقصى الشمال والذي كان ملطحا بالخصيص الذي ترك فوقه عندما أزال مستر هاي الطبيعة الخارجية منه أكثر من نصف قرن مضى . وقد دفعت هذه الفكرة السعيدة وسرعان ما تم التوصل الى عمل مقالات عن القوائم الخشبية والمجاذيف ، وأسرع الرجال يستعدون فوق الرأس الضخم وهم سبداً مثل الأطفال مثلما كلى النحاتون يستعدون لوقه عندما كان رسميسي ملكا (١) .

ويخلص كل ما كان مطلوباً منهم في إزالة أية كتلة صغيرة ملتصقة بالسطح تم تلوين البقع البيضاء بالدهون . وقد فعلوا ذلك مستخدمين قلعاً من الاسفنج مربوطة في نهاية عصي طويلة ، ولكن الرئيس حسس اخذ فرشاة قديمة من الرسام وتفاحر بها . واستغرق استكمال هذا العمل شتات بعد الظهر على مدى ثلاثة أيام ، وشعرنا جميعاً بالأسى عند امتياله وكان منظر الرئيس حسس وهو يتحسس الألف الضخم الذي يمتاله في

---

(١) هذه الطريقة للتجربة التي ألت للمتحف البريطاني ونشرت فوق باب يقود الى المكتبة في نهاية الدفعة الشمالية التي أمام السلم . وعلمت من المرحوم مستر براون أن دافنة الصينة صنعها مستر هاي الذي اشترى منه مصنعا إيطاليا القطعة من القمامة وأحضرها جميعاً من براونلي من الجسم وطينين وأحضرها وسيلة تماثل تلك القوائم ولاعتمد على اعتمادها من الذهبية لومض سقالات وسائر متساوية للتشال المصنوع في الجسم . وكان التشال في ذلك الحين جفرا في التماثل حتى دفنه مما جعل عملهم أكثر سهولة . وعندما أصحرت الطبيعة الخارجية التي كلفها حتى قرص الى انجلترا أرسلت الى متحف مستر براونلي مع صينة من الطبيعة التي كانت على رأس تماثل بيت رعيته . وصينة من رأس الصلة الشمالية في الكرك . وصينات من تراب التلوي الإدارية في بيت الرائي . وأشرف مستر براونلي على عمل المجنحة ووضع ذلك كله في القالب منه مرور حوالي ثلاث سنوات على صنع المجنحة . وقد حدث ذلك عندما كان مستر هاركنغر في منصب أمين المتحف . ولما أورد هذه للتفصيل لأنها تهم كافة الذين يدرسون الأمر منديل ، ولأن قدر كبيراً من سوء الفهم قد نشأ بالوضوح لك حسب بعض الصياح تقوية الرأس على كرسيس ، ونسبة الخزون الى شركة كريستال بالاس ، وهكذا حتى ان المؤلفة نفسها قد أنقذت المرحومة من مآزيرتها فيما ذكرته من قصة هذا امتدوية الى شاميليون .



### تقديم القهوة

الطول ، ومطر ورق الله ومساعد الطبايح وهما يربحان هنا وهناك أثناء تناوب حمل القهوة التي أعدت « سميكة القوام وصلبة » لتأدية الغرض ، ومطر سلام وهو يحتم متقاطع السائقين مثل بعض المقاربت المتكبرة فوق الطرف الباور من الغطاء العلوي ، ومطر بقية البحارة وهم يشرطون ويتقاعرون كالقروود حول السقالة . كل هذه المناظر كانت مثيرة للضحك أكثر من كافة المناظر التي شاهدها في (أبو سسل) من قبل أو من بعد .

وكانت شهية رمسيس لشرب القهوة تفوق حد التصور ، حتى أنه لا أعرف عدد الجالونات التي استهلكها في اليوم الواحد وقد وقف الطبايح منهولاً إزاء هذا الطلب الذي استنفد مخزونه من البن ، ولم يكن قد دعي من قبل لتقديم القهوة لصيف يبلغ عرض فيه ثلاثة أقدام ونصف القدم .

وكادت النسجة مستحق التكلفة - لقد برهنت القهوة على أنها تضارع الحجر الرملي - وبالرغم من استحالة استعادة تماسق السطح الأصلي فقد نجحنا على الأقل في إخفاء تلك القع اللطيفة التي شوهت هذا الوجه الجليل فسطته في مثل قبح للصاب بالخدام لسنوات طويلة .

ومع الانشغال بالتجديد والصيد والرقاد في انتظار التماسيح وتنظيف التمثال وكتابة بطاقات على أوراق الخطابات الرقيقة للأصندانة في الوطن ، قضينا الأسبوع الأول بسرعة ممقولة - وفي نفس الوقت كان الرسام والكاتبة يصابان بجد كل منهما بطريقة ، الرسام على قماش الرسم أمام لمبه ، والكاتبة تنقل خيستها الصغيرة وهي تقوم بالكاتبة،والآن مانه بالرغم من أن أكثر نواحي الحياة بهجة هو الرسم فانه من المسلم به أن الرسام في أي سنبل يعمل وسط صناع عديده وعلى رأس هذه الصناعات تأتي صموية الواقع . فالمصن الأكبر يقع على بعد حوالي خمس وعشرين ياردة من حافة الضفة ، بينما يقع المصن الصغير على مدى أقدام عديدة بحيث يستحيل الاعتماد على الموضوع . لهذا رسمت الكاتبة المصن الصغير وهي على سطح الدصبة لعدم وجود نقطة على الشاطئ تنظر منها إليه . ويل ذلك صموية اللون ، فكل شيء أصغر اللون ما عدا السماء والنهر . فكان اللون هو الأصفر بكل درجاته متدرجا في ألوان البرتقال والورد والشمس والذهب والجلد المدبوغ ، والجبال من الحجر الرملي ، والتمادي من الحجر الرملي ، والمنحدر الرملي يصب الحجر الرملي من الصحراء ذات العجبر الرملي - وفي هذه جميعها نجد نفس مقياس اللون الأصفر - وحتى الظلال التي تلح على الضوء المنعكس ، نميد التكرارات المتدرجة للون السائد . ويل ذلك أن الذي يبدل جهده رغم توافقه لاستخلاص حقائق المنظر أمام عينيه ، يضطر لتنفيذ ما يسميه رسامونا في هذه الأيام السينغونية الصغراء سواء من طيبه خامل أو من اضطراب .

وأخيرا ، فهناك الفضاءات الصغيرة التي تسميها الشمس والرمال والرياح والذباب ، فللكل كله يبع بالحرارة ، والنور ، والتهوج من أعلى ومن أسفل مع عدم قدرة الإنسان على تحمل وطأة ذلك كله .

واستشعرت الكاتبة التي نصبت خيستها على المنحدر الرملي رائحة احتراق اللحم البشري ، نعم وطأة هذه الحرارة الشديدة وهي رائحة العيين وعابرة حتى عن النظر الى عصبوعها بدون مساعدة النظارة التي

أصبحت بلون النحاس • وعندما تهب الريح من الشمال ( وهو ما يحدث دائما خلال هذا الفصل من السنة ) تقل شدة الحرارة ، ولكن الرمال تنير الفيلز • انها تملا شعرك وعينيك ووجاجاتك لله التي منك • وتلقى بالتراب على صندوق الوانك ، وتضع سمانك وتقلل من بياض اللون الأبيض فتجعله الى لون السلاطة لاستلامه بالمسي • أما عن الذباب فان شهيته مفتوحة للالوان المائبة حيث يتيح قرشاك للبللة على الورق ويترك أرجله في مسحوق اللون الأصفر وتنفس بضاعة في اللون الأزرق الجاهز للاستعمال • وكل شيء - حلو الطعم أمامه ولا يخل أي لون السم إليه • كان وقتنا ممتعا بكل المقاييس بالمسبة للذين عملوا والذي استراحوا وكان كل شيء يبعث على السرور • ثم انطلقنا الى وادي حلفا •

## الفصل السابع عشر

### الشلال الثاني

حملنا بطول الطريق من أبي سبيل إلى وادي حلفا نسيم عليل ،  
وشراح متيسر في مهب الريح ، واحساس بروعة الاجارة وسعادة غامرة .  
لقد بدأنا الايجار في وقت متأخر بعد ظهر اليوم الأول ، واستطعنا أن  
نقطع مسافة تبلغ حوالي اثني عشر ميلا قبل أن تهب الريح ، واستكملنا  
مسافة التماية والمدرين ميلا الباقية قبل ظهر اليوم الثاني ، وكانت هذه  
هي آخر رحلة لنا في الليل والسفينة منشورة الشراع - ورست ليلة عند  
وادي حلفا لكي يتم تفكيكها ، سينزل الشراع الكبير الذي كان موضوع  
لخبرنا ومبعت سروريا . وستصبح لمحييتنا يرشافتها وسرعتها مجرد سنبل  
مكون من الواح خشبية منشورة أكثر شيها بقولوب النزهة على نهر التيمس ،  
عنها بسفينة كيلوباترا التي تعمل بالمجاديف . وبعد أبي سنبل بمسافة  
خضيرة احترقت الضفة الغربية سلسلة من الجبال البركانية تقبسه في  
ارتفاعها وحجمها وشكلها سفا من أبراج مارتيكو وقد فصلتها عن بعضها  
سلسلة من المنخفضات الرملية للتكاملة الشكل . بينما طفت هاماتها  
المستديرة طبقة من الغرب الأحجار السوداء في العالم . حصل الربيب  
المنود على سطح الكمكة التي يملأها تلاميذ المدارس باسم « القبعة  
السوداء » . ولما كنت قد ارتيت أكثر في مرة قبعة جيبيل أيفسك  
( وهو أول جيل مرتفع في هذه السلسلة ، وقد تمجبت لقبه بلقب  
الأسلوب ) فقد تعرفنا إلى هذه الأحجار ، وعرفنا ما الذي كانت تتشابه  
معه ، فمن حيث اللون كانت سوداء أرجوانية تشويها مساحات حمراء  
هنا وهناك . وهذه طرفها خضفر صوتا مثل صوت الصنوبر التي تطلق  
شررا عند حكها ببعضها البعض ، أما شكلها فهو غريب . والتقط السيد  
( ل ) بعضها الذي يشبه عنقود العنب . بينما كان بعضها الآخر مجرورا  
وملتقا مثل حزم بركان فيزوف عند ثورته سنة ١٨٧١ . وكانت متناثرة  
على السطح بأحجام مختلفة ، فكان بعضها صغيرا في حجم حبات الربيب ،  
والبعض الآخر في مثل حجم ربح الرغيف . وأنا أقول كما لو كنت من  
المتخصصين أن هذه الأحجار تنتمي إلى نوعية نادرة كانت في حالة انصهار  
تظلي وتزوج ثم استطاعت بواسطة شديد البرودة .

ويتيسر عرض للنظر عند نهاية السلسلة على بعد حوالي ثلاثة  
أو أربعة أميال جويي أبي سبيل ، وتظهر مجموعة من الجبال الخارجية  
متناثرة فوق سهل واسع يمتد لعدة أميال في الصحراء الغربية ، وعلى  
الضفة الشرقية تظهر قلعة عمدة (١) وهي قلعة رومانية ضخمة متحدة  
بالجديدة متجهة الى خرائب مسورة في آخر جرف على حافة اله الى اليسار

(١) هي قلعة تشبه قلعة ابرهم من حيث الحجم والشكل ، وتحتل اسم قلعة عمدة  
وقد هجرت منذ سنوات عديدة ، وهي محاطة بمستور حائط ، وحلزال جزء من حائطها  
للضيق الذي يتسبب حائط قلعة ابرهم موجودا ، وقد بنيت بعض أماكن الأتلة من الحجر  
ويصنعها الحجر من الطوب ، ولربما على ترش أعلى قلعة في الحفرة الصغيرة الخائبة أو  
حفرة السابطين جرنيتية ذات جدران صلبة وبهاولها بعض نيجار، السابطين التي تنتمي  
الى العمارات الأفريقية ولكن بشكل ودود ( انظر كتاب بونخلوت وحالات في  
للوبة *Trevels in Nubia* المنشور سنة ١٨٦٩ - ص ٢٨ ) ، وقد في كتاب  
عربي من تاريخ اللوبة كتابه حرك يدعي عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني - مقتطفات  
سما لصفحة كتاب المقريزي العظيم التي كتبها بورخارت وكاتنجر ، تكتف منها الفقرة  
التالية

« وتقع في هذه القلعة ( اللوبة ) حجرة بهرام *Bedrah* عاصمة نريس ،  
قلعة ابرهم ومكان آخر يسمى حجرة لها ميناء ويقل عنها انها مكان ميلاد لسان الحكيم  
وذي اللون وهناك محبة طهم - انظر :  
*Mémoires Géographiques sur l'Égypte, etc. R. Quatremere, Paris, 1811*  
Vol. II, p. 2.

وإذا كانت حجرة وحة اسمي اسمي واحد ، فمن المرجح ان تكون هذه الحفرة ك حفات  
لانس الوحيد التي أصبحت لسببها القال على هذا العهد للعظيم المحدث في العصر - والذي  
تلقى الرمال حداثته حالها - ومن الواضح ان الفسود ليس هو مصدر ( أبو سبيل )  
( انظر على الخريطة التالية وشمال عمدة بحوالي ثلاثة أو أربعة أميال ) ولا هو مصدر  
فروج ( الذي يبعد قليلا وهو أيضا مكان صغير ) ، ولكن مسلك محدد آخر يقع في مكان.  
ما بين ( أبو سبيل ) ووادي حلفا - لم يكتشف بعد ، ولكن وجوده مؤكد حيث يدل  
عليه لوح كبير منحوت في الصخرة التي تهب ضلوعه شمال العهد الصغير في ( أبو  
سبيل ) ، ويكشف هذا اللوح الذي يعتبر أكثر الصناد وشوها وتوصلا من بوابة مصرية  
لظهور الفسود الموصلة ، وبين رمسيس الثاني ملوحا في يتناول القوام من آخر ترجوم  
روسييليني اسمه هو ( رمسيس - نيتسكي - هابا ) - ويوصل القلق الذي يشغل  
منذ عصر أسطوانا سلطنة تامة - القاب ومدفع الله ، ويذكر كيف أنه « كان مسكنا الروا  
للك حرس أبيه - وسيد هام ، وقد حفر في باطن صخرة ما لكي يظهر له مسكنا يبنى  
لعدة أجيال - ، ولا نعرف شيئا من السفارة علم ( انظر عليها روسيليني اسم سكام )  
ولكن لا شك في أنها موجودة في مكان ما يقع بين ( أبو سبيل ) ووادي حلفا . انظر  
« *Quasi s'io precisamente disottili in questo nome di Scham, lo non  
saprei nel presente stato delle cose determinare credo peraltro secondo  
varie ipotesi della iscrizione che lo ricordava, che fosse situato sul' una  
o l'altra sponda del Nilo nel paese compreso tra Wadi-halfa e Theban-»*

تصل بالسلسلة القابلة لها الى نهايتها ، وتطور سهلا مماثلا تتأثر فوقه  
ايضا القمم المنعزلة . والنظر هنا شديد الروعة . انما تشاهد جزيرة  
كبيرة تضيقها أشجار الخيل وتضم نهر النيل الى فرعها يبدو كل منها  
غى مثل اتساع النهر نفسه . وتفتح مسافة غير محدودة نحو الأفق  
الظفي ، ولا توجد أية خضرة على الضفتين أو أية علامة تدل على نشاط  
إنساني ، فلا شيء يعيش هنا ، ولا شيء يتحرك ، فيما عدا الريح والنهر .

ورغم غرابة القمم التي شاهدها هنا فإن الجبال المحيطة أكثر غرابة .  
وسواء أكانت منمرلة لم في مجموعات فإنها تبرر هنا وهناك بين السماترى  
التي على الجانبين مثل قطعة العطرانج على ورقة اللعب . وهي معظمها  
مخروطية الشكل ، ولكنها ليست فوصلت بإراكن خالدة مثل القمم  
البركانية المخروطية في كوروسكو والدكة . ولا لاحظت الكتابة كيف  
تبرز صممها بنمى الارتفاع قريبا ، وأن قممها كلها منطاة بهذه الطبقة  
من الأحجار السوداء اللامعة ، فإنها لم تستطع أن تمنع حيالها من رؤيتها  
فهيبة بجبل روشيه دى كورنى Rocher de Cornelle وروشيه دى  
سانت ميغيل Roche de St. Michel في بوى Puy . ولابد أنها  
أجزاء من فترة صخرية انصلبت واجرفت بعيدا منذ فترة سحيقة من  
التاريخ المالى وربما كان سطح قممها الحالية هو السطح القديم للسهل .

أما عن شكلها فهي موحشة بما فيه الكفاية تطبيقا لأشد الأفكار  
الجيولوجية التي تتعلق بالوحشة . وتتناقص جميعها تدريجيا مع الارتفاع  
نحو القمة . وقد لاحظنا أن أحدها له أربعة جوانب مثل الهرم . والنظ

---

... bal, e poco oltre, là qui dovrebbe trovarsi il nominato spacio di Horus, .  
falso e) presenza occulte a noi. » — Hasselblad, Letterpress to Monumental  
Staircase, vol. III, parte II, p. 164.

ويظهر من ذلك أن مشفرة علم ورد ذكرها في نصوص القرون .

والبحر المسافة بين ( أبو سنبل ) وروانى حلما لم تكن جولا قط والامكن لفسادها  
بمازلت المستقرين قليلة جدا . وإذا تم الكشف عن هذا الجهد فيمكن مظهرها بطنع التمايح  
الى شاطئه . ويترك من حيث لا نكتة ما يترتب عليه من إلهاء التمايح إلى الطيلة لحد الذي  
يجبر أسأل الشكل للفتنة .



الأحر شكل مخروطي مبتور . وظهر الثالث كما لو كانت تملؤه مادة  
وثقة - وكان الرابع مجوقاً على شكل عقود متصلة بعضها البعض ،  
والخامس يتوجه قل من الأحيار للكسوة - وهكذا تتوالى تصورات  
الكتابة عن المرحيات المختلفة التي لا نهاية لها . وربما استطاع أحد  
علماء الجيولوجيا أن يحدثنا عن هذه الثروات لموقع لنا كيف تتابعمت  
النيران والزلازل والفيضانات بعضها وراء بعض ، وكيف أن هذه الجبال  
التي كانت قبلاً مغطاة بالأحيار البركانية ، قد انشطرت إلى وهاد  
حبا أدى إلى فتح الوديان حتى عبرتها السيول التي اكتسبت الأجزاء  
الناسية من الصخور وتركزت الأجزاء الصلبة في مكانها .

وبعد فلسة عام واحتماء سلسلة جبال ( أبو سبل ) وجيرة  
التمثيل في الصحراء ، وبعد أن تركنا خلفنا القبة الوحيدة المنعزلة التي  
تسمى جبل الشمس ، أتينا إلى معجزة جديدة تقع فوق مجموعتين من  
الروابي المتناثرة تقع إحدى المجموعتين على الضفة الغربية والأخرى على  
الضفة الشرقية . ولذا حاول الإنسان أن يجازف بتكوين رأي معين من  
على هذا الجبل فإنه لم يجد هذه الجبال ذات تكوينات بركانية ولا حتى  
تكوينات طارية . وهي أحياء مختلفة بعضها صغير وبعضها الآخر كبير ،  
وجميعها مستديرة وقامة ومغطاة بتراب بركاني ذي لون يختلط ما بين  
الأسود والبني - فكيف تكونت في مكانها هذا ؟ وما سبب تكوينها ؟  
وما الذي تحتضنه ؟ وهناك حراش رومانية بجوارها . لقد مر الجنود  
الفارون وعددهم ٢٤٠ ألفاً من هذا الطريق ، ولا بد أن الجيشين المصري  
والأثيوبي اللذين تدفقا بالألاف بطول نفس هاتين الضفتين قد خاضا  
معارك عديدة فوق هذا السهل المكشوف . لقد افترضت كافة أنواع  
الاحتمالات وملاّت رأسي بتخيلات عى الجيوش والجوارح والجرار التي  
تسوى رماد بحث الأموات ، حتى أبدا أوشكنا في هذه اللحظة أن نلقه  
نصف عقولنا ، ونوقف للركب ، ورمسو هناك ، ولكننا ارتدنا الأفكار  
الثانية التي وعدنا أنفسنا فيها بأننا سوف نحفر إحدى هذه الروابي  
هند عودتنا .

والآن صار الهواء منعشاً ، وأضحت اللعابية تشق طريقها بيرة ،  
لتركنا الروابي خلفنا لنبدل في منطقة مهجورة حيث تتراجع الجبال  
تدريجياً وتتمزق الضلأف الرخيلة الفارقة بحرى النهر .

ووجدنا عند إحدى هذه الضفاف الرملية على بعد صبح يارذات من حافة الله ما يشبه جذع شجرة ضخمة ربما كانت نخلة قديمة ساقطة ، ومارات يضر بقايا السعف للكسور متصلة بها ، ويسمى أحد قائي الأمريكيون مثل هذا الشيء « نتوء أو بروز » . وأدعى الريلان على ذراع البقة إلى الإحام ووضع أصبعه على شفيه وهيس « تسماح ا » ومرعان ما صعد الرسام والرجل الكسول والكاتبة جميعا إلى سطح السفينة ، ولم يصفقه أحد . لقد شاهدوا لتوهم العديد من هذه التوءات ولن يتركوا أنفسهم بها للتوتر بلا طائل مرة أخرى .

وأشار الرشد إلى القمرة التي كان فيها السيد ( ل ) والسيدة الصغيرة منهكين في هذه النقطة الصغرى التي تسمى تناول شاي بعد الظهر - وهو يقول : « السبت ! استعدوا السبت ! ما هو التسماح » .

ولمصبنا هذا الشيء ، بمنظارتنا وضججنا على المرشد إلى درجة الاستهزاء . لقد كان أسوأ تقليد رأيناه للتسماح . وفجأة رفع جذع النخلة رأسه ( في التسماح ) وحرك ذيله وثبت رجله في الأرض وأخذ يمد ويدلوي ويتوج في سرعة شديدة على المنحدر وسرعان ما احتفى في الله حتى قبل أن تطلق صيحة تصحب .

ولقد مر ثلاثيا بوقت مصيب عندما حضر الاثنان الآخران وعرفنا أننا رأينا أول تسماح دون أن يكونا معنا .

وفي صباح اليوم التالي مررنا بضفة رملية غاصة بالذبول المتحركة وبنت كما لو كانت قطعة ينصف فيها برلمان التماسيح، فقد كان هناك على الأقل صفرون أو لاثون تسماحا خاضعين في تلك الجلسة . وبرهنت المعلومات الجديدة على أن الاجتماع قد انقضى لتوه .

وحصلنا رياح شديدة مسافة الثلاثين ميلا الأخيرة من رحلتنا ، وتخيلنا أننا قد وصلنا إلى أقصى الجنوب حيث نابلنا أشد الأحرار حرارة ، ولكننا نحقق أن نقول إما كنا برتمش في داخل معاطب القرو تحت أجمل صباه في العالم ، وعند خط عرض يصعد كثيرا إلى الجنوب من مكة أو كلكتا . وكان علينا في مقابل ذلك أن يجري بكا سرعتنا مقابل أسوأ مناظر الليل حيث كنا لا نرى إلا الضفاف الرملية التي في مجرى النهر ، بينما تمتد التلال والمستطحات الرملية على كلا الجانبين . وكان هناك شاحوف منهجور ، أو هيكل قارب محطم عند حافة الماء ، وأحدث الريح تلاعب بشجرة القوم التي تناضل من أجل البقاء على سافة الضفة .

وعند ركن حظير يبعد حوالي ستة أميال جنوب وادى حلفا مرور  
 بأسطول صغير من الذهبيات المفككة من بينها القسطنطية ، وروبيبا ،  
 وأليس والمنصورة - وجميعها تحت رحمة الجو ، على عكس اتجاه عذراء  
 الرياح ، وكان على سطح المنصورة وبطونها والسيدة ( أ - ) ، لقد دسنا  
 ثلاثة أيام لم يقطعا خلالها سوى هذه الأميال الستة وبذلك ناهين بعدل  
 أسرع هذا قد يصلنا إلى القاهرة بعد انقضاء عام وشهر ونستلم  
 ولكمال •



وادى حلفا

وعند الإحصاء التالية ظهرت أشجار الخيل في وادى حلفا بنوبها  
 لأزرق على البعد • وعند الظهر رست فيلة مرة أخرى بجوار الباحثون  
 عند شاطئ • مردح المراكب ، ومقطى بالبالا وصناديق البضائع ، ومثل  
 شواطئ المحطة وأسوار من حيث الازدحام بالأكواخ المؤقتة ، لأن الحمار  
 الذين يسافرون بالمراكب يحملون بضائعهم أو يفرغونها مما وهم في  
 طريق دهابهم أو عودتهم بين دنقلة والشلال الأول •

وكانت هناك ثلاثة معابد أو على الأصح ثلاثة مباني مصرية قديمة •  
 كانت في زمن ما قاتبة مقابل وادى حلفا •

والأول ، لا يوجد سوى القليل من الأعمدة المحطمة وجزء منجزل من بوابة مبنية بالطوب وبعض بقايا درجات سلم حجري يتجه الى النهر . وحائط قريب تسمو عليه ثمار القرع البرية . وتشكل هذه الخرائب مع حان صلي مسند الحجرات ، وشجرة جميز قديمة ، مجموعة صالحة للتصوير ، حلقها صخور عذرية اللون تجلس مكان مدينة طاقودة (١) تنتمي الى عصر أوسرتسج الثالث .

ويبدأ التسلسل الثاني بعد وادي حلفا بقليل ويمتد عدة أميال ، وهو يتكون مثل التسلسل الأول من سلسلة من الصخور والجنادل ، وتمازيه في مسافة الأميال الخمسة الأولى ساحة صخرية رملية تشكل كما سبق أن قلت حلقية للخرائب التي تواجه وادي حلفا . وتنتهي هذه الحافة بشكل حاد الى اليمين المصهورة التي تسمى صخرة ( أبو صير ) . ولا يتجاوز هذه النقطة الا السباح للمغامرون وهم في طريقهم الى دنقلة أو الخرطوم ، وفي معظم الأحوال يتخطون الطريق الأقصر من كوروسكو عبر الصحراء . ولام السيد ( ل ) والكثافة باستنجاير بعض الجبال ، وتلقيا حتى مسنة التي تستغرق الرحلة من وادي حلفا اليها يومين ، وهي تعتبر من أسهل الرحلات البرية بالنسبة لهؤلاء الذين تزودوا بغياض للرسم .

وقد يلعب الاسنان الى صخرة ( أبو صير ) برا أو بحرا . وقد صاحب الزوجان السيدان الكتابة مع جعفرين وطريق لها خبرة في تقادى عقيات التسلسل ، وركب الجميع في القارب " أما السيد ( ل ) والرسام فقد فضل ركوب الحمار ، ومع صوب ربح طيبة من الجانب الأيسر صعبا قليلا الاختيار بين الطريقين يصرف النظر من عنصر الزمن ، ولا يستطيع من وصل الى الصخرة من طريق الله وشاهدتها وهي ترتفع مثل الكاتدرائية في وسط تلك المتساحة من الجزر الصخرية التي كان بعضها على شكل صقائيد من الأعمدة البازلتية ، وبسطها الآخر متوج بخرائب متعاقبة ، وبسطها الآخر مكتوف للرياح ، وبعض آخر أنة

(١)

« Un Second Temple, plus grande, mais tout aussi détruit que le précédent, existe un peu plus au sud, c'était le grand temple de la ville égyptienne de Sébénî qui exista sur cet emplacement et qui d'après l'étendu des débris de poteries répandus sur la plaine aujourd'hui déserte, paraît avoir été assez grande. » — Champollion, *Lettres écrites d'Egypte*, etc., éd. 1808, Lettre 52.

الملون بسبب أشجار الرمان البرية - أن يشك في أنها من أحسن المناظر  
حساسة للرسم .

وبعد أن نزلنا بجو أشجار الطرلاء عند قاعدة الصخرة وصلنا إلى  
أطراف متألزة من جرف يعمل متعرج ومجه لكل من يحاول أن يتسلقه  
يفسك أصعب من الجرف الرمل الذي عند ( أبو سنبل ) . وقد تسلقناه  
بالرغم مما كنا فيه من عيوس ، ولا جدنا داكبي الحجر جاثين على التلة .  
أنفسنا أنفسنا بمرعات من الليونة للتلعة التي أحمرناها ممنا  
من وادي حلقا في تلة من الصخر .

أما قبة الصخرة فهي منحدر حاد ومعلق لبر الشرق والجنوب  
وقد غطيت عليه توقيعات تذكارية ، والتليل من هذه التوقيعات هو  
الذي يثير الاهتمام ، ولكي أغلبها يسجل فلط ريلات أفراد مشهورين .  
وقد وجدنا بينها اسم بلزوي ، ولكننا بحثنا دون جدوى عن توقيعات  
جوارث وشامليون ولسيوس ولغير .

وظلنا لطيفة الأرض وصفاء المناخ ظهر لنا المنظر من هذه النقطة  
من أعظم المناظر التي شاهدها طوال حياتي ، وهنا نرى صخرة (أبو صير)  
وهي ترتفع ارتفاعا غير ملحوظ ، وبذلك تعتبر مجرد تل صغير  
بالقرب من قمم بعض جبال الآلب التي أرفعها . ونشك في أن يصل  
ارتفاعها إلى مثل ارتفاع الهرم . وهل أية حال فهي مكان صواب المناظر  
منه إلى أسفل بالدوار ، كما أنها تبدو أكثر ارتفاعا مما هي عليه .

ومن الصعب علينا ونحن هنا الآن ، معرفة أن هذه نهاية الرحلة .  
والعمل خليط ضخم من الجزر الصغيرة السوداء واللامعة التي يتسع  
النهر عندها فيطرح إلى مئات من القنوات المتصلة ، ويبتشر إلى مسافة  
بعيدة تبلغ أكثر من ستة عشر ميلا . إلا أنه يرعى ويزيد عند أقدمنا  
ويصل إلى رفاو ولجواج ، وينطفح عادلا عندها يكون مجرى خالصا  
من العوائق ، ويمجر في وديعة عندها يصطدم ببعض العوائق . وهو  
يسرع في حين ، ويبطئ في حين آخر . ويصل هنا إلى دوائر مثل  
الزيت ، ويرقد هناك في شكل برك مسكنة لا ينطع سكونها إلا خريف  
للأ . ويقتل النهر في كل مكان بالحياة والأصوات ، وتلج فوق سطحه  
أشعة الشمس .

وفي ناحية الشمال حيث يتلوى في اتجاه ( أبو سنبل ) نرى في  
الأفق كافة الجبال المحيطة التي شاهدها لفس ، لنا في الشرق فانه

يرتبط بالجبال التي تنتمي الى نفس السلسلة المنفصلة حيث توجد  
مناخة من البرية السوداء العاصفة التي تتفرع الى عدد لا حصر له من  
الدوديان التي تتخللها بحور من الرمال . وفي الجانب الغربي يقطع  
استمرارية المنظر المتحدر الذي ينتهي عند ( أبو صير ) . وفي الجنوب  
تصل الصحراء الغربية الى سهل متدرج صخري لونه أصفر مائل الى  
السمرة ومجذب ويصمت على الملل ، بينما تلمع الشمس كلها والرمال  
كلها هنا وهناك بومضات من النيل الذي يمرق كالسهم . وترتفع لستا  
جبلين في الطرف البعيد من العالم . أحدهما طويلة والأخرى تشبه الحبة .  
وقد ذكر النوبيون المراقبون لنا أن هذه هي جبال دقلة . وبالقارئة  
موقعا هذا بالشلال الثالث كما يظهر على الخريطة ، نصل الى استنتاج  
مهم هو أن هذه الأشكال العاصفة هي جبل فوجو (١) وجبل أرامبو ،  
وحما جبلان متوازيان يقفان في جانبيهما متقابلين على نهر النيل ، على بعد  
حوالي عشرة أميال جنوب هانيك ، وعلى بعد حوالي ١٤٥ ميلا من البقعة  
التي تقف عليها .

ولا يوجد شيء حقيقي وجوهلي في كل هذه الصورة الغربية ذات  
الطابع البري والمروحي إلا اللون ، ولكنه لون وفصح غامق أو في عصر  
شيئا يمثل هذه الرقة والصفائية والتناسق . التي أغلق عيني وهو  
المنظر كله لعمري فأرى اللون الصبوري للرمال والجبال ذات اللون الوردى  
والنيلي ، وصخور الشلال وكلها سوداء وزرقاوية وصفولة ، والخلات  
الرمادية التي تتصايك هنا وهناك فوق الجزر الكبيرة ، وأشجار الطرفاء  
والرمال ذات الخطرة الداكنة ، والنيل بلونه البني الذي يميل الى  
الخطرة المشوبة بالزغوى التي بلون الخيرة . وفوق كل ذلك السماء  
الزرقاء الحارقة التي يخللها الضوء وأدنة الشمس المتلاعبة .

لم أرى شيئا فقد شعرت أنه من الصعب أن أحاول ذلك .  
وأشعر الآن بأن أية محاولة لتصوير المنظر بالكلمات هي مجرد جهد  
متطفل لوصف ما لا يمكن وصفه . إن الكلمات أدوات تافهة ، ولكنها مثل  
أبرة الخرز على الألواح المعدنية والحافض المستخدم معها من حيث أنها  
يميزان عن التشكيل ولا يستطيعان ترجمة الأول في هذه اللوحة  
الصبغية . وإذا سألتني مبالغ وقته محدود عما إذا كان من الضروري أن

---

(١) جبل فوجو كما يظهر على خريطة مصر والقوية التي رسمها كيث جونسون هو  
جبل علي برسي الذي ذكره لسيوس .

يصحب إلى ما بعد الضلال الثامن ، فانتفى كنت سأصحب بالعودة من ( أبو  
مسيل ) لأن هذا الجزء من الرحلة يستغرق أربعة أيام ، وإنما لم تكن  
الريح مواتية بطريقة ما ، فانه سيستغرق ستة أو سبعة أيام .  
أما مسافة الأربعين ميلا من النهر التي يجب قطعها مرتين فهي أصعب  
أيام الرحلة التالية . والضلال هنا عبوة مكبرة من الضلال الذي بين  
أسوان وقيلة . ولننظر العظيم كما سبق أن قلت ، ليس بهذا النوع من  
الجمال الذي يجذب السائح الصادي .

هناك أهمية تتجاوز مشاهدة الجمال ، فلننظر في الخيال للاحساس  
بجلمة نهر النيل ، أننا ننظر عبر عالم من الصحراء وري النهر قادما من  
بعد . لقد وصلنا إلى نقطة ينتهي عندها كل ذلك المألوف والمبتدأ بشكل  
جاذب . فلا تساعد قرية أو حقل للفول أو شادونا أو صالية ، في السهل  
المبتدأ . كما أنه لا يوجد أي خراخ يحصل في هذه الميزة الشجرة .  
ولا يوجد مخلوق واحد يتحرك فوق هذه الرمال المصفوة المسالك .  
فيما هذا أعباء التلذذ التي نسمو كالأشباح عبر الصحراء . ويبدو  
أننا قد وصلنا إلى أطراف الحضارة ، وأننا نقف على اعتاب أرض لم  
تكتشف بعد . وبالرغم من كل ذلك فإننا نعيش كما لو كنا عند بداية  
النهر العظيم . لقد قطعنا ألف ميل ضد التيار ولكن - لماذا نحن المسافة  
التي قطعناها من البحيرات العظمى ؟ وكم تبلغ المسافة التي يجب أن  
قطعها الإنسان بعد البحيرات العظمى بحثا عن النبع الذي لم يكتشف  
بعد ؟

ولم نبق في وادي حقا إلا ليلة واحدة . وقبلا برحلة واحدة إلى  
الضلال . ولم نساعد التماسيح بالرغم من كثرتها بين هذه البحيرات  
الصغيرة الصحراوية . فأم . . ب . اللذان قضيا هنا أسبوعا لقد كان  
لديهما العديد من قصص التماسيح والحيوانات المفترسة بأسماءه . لقد  
التقوا من وحش وأطلق النار عليه قبل وصولنا بيومين ولكن الوحش  
انطلق عائدا إلى الماء بعد إصابته وهو يلوح بذيله فوق رأسه غاضبا ،  
ولم يره أحد بعد ذلك أو يسمع عنه شيئا .

ويبدو أن ذلك التماسيح كانه مثل أنجيل لا يمكن إصابته إلا في  
نقطة واحدة . وتقع هذه النقطة غير المرفوعة خلف ذراعه الأمامية . وكان  
من الممكن أن يقتل هناك عددا كبيرا لو كانت الطلقات تتخذ طريقها إلى  
النقطة الحيوية . لو كانت من النوع المجهنم الذي « يطير في جسم  
الفريسة » . وحتى إذا أصاب التماسيح يجرح قاتل فمن النادر أن يكون

قد أصابه في النقطة غير المدركة ، فيدفع السباح بكل قوته المخبرية عائدًا إلى الماء ويموت في القاع . وترتفع الجثة بعد ثلاثة أيام وتطو على سطح الماء ، وقد بقي استخوانًا حتى الآن لكي يضع الفريد لعبته الضخمة في الحقيبة مع أن الوحش المسكين قد ذهب إلى حجرة أو اختفى بين الأبراش ولن يظهر مرة أخرى . وفي مقابل كل تسباح هناك دمنة من التماسيح التي تعود إلى الماء . وبعد أن تصانئ الألام تحت الماء بدت بعيدًا عن معنى الرؤية وخارج مقادير الصياد .

وهنا كنا نتسلق صخرة ( أبو صير ) ، كان رجالنا مشغولين في النزول الشراخ الكبير وإعداد ليلة للقيام برحلتها الطويلة والمرعبة في الاتجاه المناير . ولا عدنا وجدنا الصاري الرئيسي موضوعا مثل شجرة تظلل من رؤوسنا . وقد طوى الشراخ في شكل كرة ضخمة ووضع على سقف المطبخ . أما الصاري الصغير وشراخه فقد وصلا فوق الصاري الرئيسي . وتم ربط كل ستة مجاذيف على جانب من جانبي الفحيفة . وتحول السطح السفلي إلى مقاعد لجلوس للمجدفين . وبهذه التغير تحولت الدحبة إلى سفينة مسطحة تسير بالمجاديف . وأصبحت مجاذيلها هي لوتها المحركة ، كما أصبح في قدرة طاقها المكون من المجدفين ( الذين كانت التيار في صالحهم ) أن يقطعوا ثلاثين ميلا كل يوم . وعندما تهب رياح طيبة من الجنوب قاله يكفي الشراخ الصغير والتيار لكي يدفع المركب إلى الأمام ، ويضرب الرجال قوتهم للتجديف أثناء الليل عندما يتوقفه صوب الرياح . وأحيانًا عندما تصير الرياح هادئة ويحتاج المجدفون إلى الراحة فإن الفحيفة تنقاد بأجهزتها الخاصة فتطفو مع التيار . وتتراقص مترنحة في وسط المجرى ، أو تنحرف جانبًا مثل حصان مستر ويكمل ، فتنته حرة إلى الضفة الفرعية ثم تغير رايها وتنحرف في المرة الأخرى إلى الغرب . وبذلك تقطع حوالي ميل ونصف ثم ميلين في كل ساعة في المتوسط . وفي ذلك تقسم حرفًا مسرحيًا تصور فيه المتنوعة عذبة الحيلة أمام المصاهدين القائلين . وفي أوقات أخرى عندما تهب الريح القادمة من الأمام بشدة . لا تنفع المجاذيف ولا التيار ، ولا يكون أمامنا من مذهب سوى أن نركن بالفحيفة إلى جانب الضفة في انتظار ثمرات أفضل للابحار .

وتلك كانت حالتنا المزعجة أثناء عودتنا إلى ( أبو سشل ) . وبعد أن كانجا بصعوبة كبيرة خلال الخمسة والعشرين ميلا الأولى وصلنا إلى وقة تمعد حوالي منتصف المسافة بين فراش وجبل الشمس . يجب لنا التنازل إلى الأمام . ونسحبنا الرياح إلى الخلف ، تضربنا الأمواج ونهزنا احترازاات المركب إلى هنا وهناك . وأخيرًا دخلت ليلة في ركن حادٍ



بعد تدبير دام عدة ساعات . وهناك تركت في سلام حتى يتغير اتجاه  
الرياح أو تتوقف كلية .

وبعد أن قضينا يوما ونصف اليوم في هذا الصبح ، وجدنا  
أنفسنا بالصدفة في متناول الروابي التي فكرنا في استكشافها .  
وانتهينا أولا إلى تلك الواقعة على الضفة الغربية ، وقد صعدنا معنا في  
الكواب أربعة رجال للتصويب والممر . ومعرفة للنار ، ولأننا صغيرة ،  
وقضينا حديدا ، وسلة كبيرة من الخيزران . وهذه هي كل الأدوات  
التي نمتلكها ، وهي أيضا ما نحتاج إليه حينذاك وفيما بعد . وكذلك  
الأدوات التي لا بد أن نكتزود بها كل ضحية عند الإبحار وهي حاروان  
أو ثلاثة وزوج من المايول ذات الطرف للجب وعجلة حديدية .

وبعد أن صعدنا إلى قمة أهل هذه الروابي بدأنا في عمل مسح  
للأرض ، الصحراء رقيقة حتى القاع ، ومسطحة ، ومتية ، وقد نأرب  
فوقها الحصباء الكثيفة . ولم نر إلا القليل من الرمال الصفراء الناعمة  
التي تتميز بها الصحراء الغربية . وهذا القليل يتركز مثل التلوج في  
أكوام وشقوق وتجاويف كما لو كانت الرياح قد حملته إلى هناك . وقد  
غطيت قسم هذه الروابي بخراب من الطين المسالين يتميز بالنعومة  
والصلابة والتسبك . وقد أحصينا من أكوام هذا التراب أربعة وثلاثين  
كومة يتراوح ارتفاعها ما بين خمسة إلى ثلاثين قدما ، ورأينا الكثير منها  
على الجانب المقابل من النهر .

ويجب أن وقع اختيارنا على كومة منها يبلغ ارتفاعها حوالي ثمانية  
أقدام كلفنا البحارة بالعمل . وبالرغم من استحالة شق مسطح هذه  
الكومة بهذا القليل من الرجال وذلك لعدم المتاح من الأدوات ،  
إلا أننا نجحنا بوجه عام في الحفر حتى وصلنا إلى طبقة من كتل الصلصال  
الحام غير المنتظمة الشكل والتي يمكن تشكيلها باليد .

وسواء أكانت هذه الطبقة تشكل أساس الرطوبة أم تخفي قبورا  
مختورا تحت مستوى الصحراء ، فلم يتوفر لنا الوقت أو الوسائل  
لتأكد من ذلك ، ولكننا اقتننا أنفسنا بأن هذه الروابي اصطفاية (١) .

---

(١) بالمودة لدى كتب الكولونيل فايس رحلة في مصر العليا Voyage into  
Upper Egypt etc. يرى أنه قد هي إحدى هذه الروابي ولكنه لم يجهد كثيرا  
على أية تشايدات اصطفاية . ويتضح استنتاج أنه لم يفسح في حفره إلى مسافة  
كبيرة لأنه من الصعب التماس أن الروابي قيمت بدون هدف . ولا شك أنها تستحق  
تحقيقا طويلا آخر .

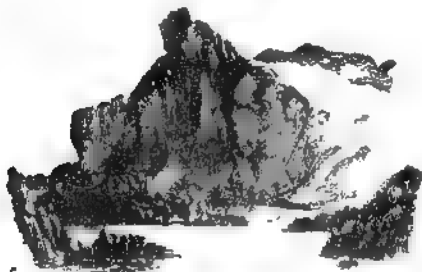
وعند ذهابنا قاربنا قلاجا نوريا يسير متناقلا من اتجاه الشمال وهو يقود جبلا ياتسا وقد حمل تحت ذراعه ديكا أبيض اللون ، وتسير خلفه امرأة حائفة مسجبت ضالها على وجهها وأجنت نفسها خلفه وهي ترتعد لرؤية الانجليز . وسألنا الرجل عن هاهية هذه الروابي ومن الذي ألقاها ، ولكنه هر رأسه وقال انها موجودة في مكانها منذ زمن بعيد ، وسألناه مرة أخرى عن الاسم الذي نعرف به في هذه الأجزاء التي دفع عقدها جملة الى الإمام ، فأجاب مترددا أن لها اسما ولكنه سسه .

وبعد ان كان قد تقدم قليلا عاد مرة أخرى قائلا انه تذكر الآن كل ما يتعلق بها وأنها كانت تسمى « قرون ياكسا » ولم نستطع ان نحصل منه على بيان لكثير من ذلك ، لما من هو ياكسا ، أو كيف أصبحت له قرون ، ولذا اتخذت قروبه شكل الروابي ١٢ فهذه أسئلة أصعب من أن يجيب عنها ، ولا نستطيع نحن ان نحسن لجوبتها .

ومعنا ان يقبضنا صفيرا مقابل هذه المعلومات السرية ، ومضينا في طريقنا بالقى سرعة ممكنة ، وفي نيتنا ان نجلب عبر النهر وري الروابي التي على الضفة الأخرى قبل غروب الشمس . ولكننا لم نتحسب لصعوبة شق طريقنا بين سلسلة من الضفاف الرملية أو المضي قلنا في اتجاه الشمال لسافة ميلين ، وذلك لكي ندور حول القنطرة الملاحية التي على الجانب الآخر ، وبالطبع فاننا جربنا الطريق الأقصر . وبعد أن جربنا على الأرض ثلاث أو أربع مرات ، صرفنا النظر عن المخطوطة ، وولمنا شرابنا الصغير والساق القارب عائدا بأسرع ما نستطيع الريح أن تحملنا اليه .

وعلى ذلك فقد كانت هودقنا بهذه الرحلة بالقارب من امتح الأشياء التي نذكرها من الدليل . تلك غرابت الشمس ، واختفى نور المسق ، وأجالت النجوم في الظهور . وبعد أن اقتنصنا بأننا رأينا وعلمنا شيئا ، أخذنا نتمتع الى الألفية الجملة القدية التي يفتني بها المجنطون ، وإلى حرير الماء المخرق تحت هيكل السفينة . وفي نفس الوقت كنا نرى إشجار التبخيل وهي ترتفع أمامنا في لونها البرونزي الى عنان السماء . وسرعان ما أخذ المركب الكبير يلوح وسط المسق وهو يتالق بالأضواء ، وصوت الفلذ يمتلئ من مؤخرة للركب . ولقدنا نزلت تحت الإضاءة . وكانت هناك نصف دسمة من الوجوه السمرق تلقى علينا السلام . مع الأيدي التي امتدت لتساعدنا على الوصول الى القسطنطين . وقد حمل التسميم رائحة طيبة قلامة من الحليج ، واستقبلنا منظر صالة الطعام المبهجة وفي

وسطها المائدة المجهرة والمصابيح المشتعلة وهي تلقى علينا بأوارها من  
 خلال المدخل المفتوح . لقد عدنا الى مكان إقامتنا مرة أخرى . هنا الآن  
 نأكل ونشرب ونستريح ونشعر بالمرح ، لأن غدا سيبدأ العمل الشاق مرة  
 أخرى لمشاهدة المناظر ورسم الصور التخطيطية .



صخرة ( أبو حيدر )

## الفصل الثامن عشر

### الاكتشافات في ( أبو سنبل )

عدنا لكي نجد أسطولا من اللهبيات المصروفة بطول الشاطئ. عند ( أبو سنبل ) . وقد نصب على الأرض هناك ما لا يقل عن ثلاث خيام للرسم . وقام إحدى هذه اللهبيات في البقعة التي أطلقنا رسائنا . وقد اختصر حجمها لكي تصبح مكانا للمستأجر الأصل . وعلى مدى مساهمة تعودنا على الجو المائل كما لو كما لم نبرح المكان لمدة نصف يوم .

وفي نفس الوقت وجدنا سديقتنا القديمة القسطنطين وعليها الوجوه من ركاياها . وهناك زويا وكل ركاياها من السيدات ومن اليس الصغيرة مع سيرج . من " ، ومسفر و " على سطحها . والذهبية سيرينا وقد رفعت العلم الأمريكي ، أما الذهبية المصورة فقد ربطت بشاة الى الذهبية الفيوم . وفي اليوم التالي قضيت الى هذه اللهبيات ، ذهبيتان تحلان المعلمة الآن ، ثم الباجستومز وقد عادوا بالسلامة من وادي حلفا .

أما عن الوصول والرحيل وتبادل الزيارات وعرض الرسوم . والترفيه من مختلف الأنواع ، فقد قضينا وقتنا ممتعا . وقد أقبلت قبيلة حلف عشاء ومرسبقي تحت أمب اللبانيل الضخمة . وقد انضمت أطعم اللهبيات جميعا في الطبل والصياح لطرود اشباح ومسيح وجسيم ملكاته . وكان ذلك مبهجا حقا مع استمراره . ولكن عندما رسل الغرياء واحدا وراء الآخر . عدنا مرة أخرى للوحدة . ولم نكن أسفهم لأن المكان كان أكثر وقارا بالنسبة " للفتاة والفتك واختلاس النظر الى الفتات ، وما شابه ذلك " .

عندما تقارن سهرنا أثناء الليل بسهر السياح الذين قابلناهم في ( أبو سنبل ) نكتشف الآن كيف ذاع متطو اوقات السهر عندنا

وعلمهم - لقد كنا نصل براموسا دائما منذ رجينا عن الصاغر والى الشمس كانت تسعها دائما ، وبذلك فقدنا التحكم في الرمي بوجه عام وكانت أول كلمات يحيى بها كل قادم جديد هي : « هل تعرف كم الساعة الآن ؟ » وكان القادم يرد قائلا بأن هذا هو نفس السؤال الذي كان هو نفسه على وشك أن يسأله إياه - وتضخمت المشكلة أخيرا حتى اكتشفنا أننا كنا نقضي حوالي إحدى عشرة ساعة من اليوم إلى ثلاث عشرة ساعة بالصباحة بعض ساعات الليل - فقررنا إصدار عرسوم تقديري بحيث يعول أن الساعة تطلع الساعة عند شروق الشمس وتطلع الساعة عند غروبها - وكان في ذلك تلبية لكافة الأغراض .

وحسب هذا التوقيت الذي ابتدئناه كان نجم الصليب الجنوبي يظهر كل صباح ، ولا شك في أن رؤيته من ( أبو سنبل ) أفضل من أي مكان آخر - والنهر هنا شديد الانسحاب ، وحيث ترتفع مجموعة البروج توجد فتحة في الجبال التي على الضفة الشرقية ، وبذلك تبار هذا النجوم الأربعة يسكن رؤيتها من خلال فراغ واسع من الجو بالرغم من أنها كانت لا تزال منخفضة في السماء ، وبذلك يتولد عنها منظر أعظم مما يتولاه الإنسان ، ربما لأننا كنا نقصدها من زاوية منخفضة جدا - ولذا قلنا أن مجموعة البروج قصرت أبعادها في المنظور ، فإن صدى ذلك سيكون سكيما ، ولكن هذه هي الحقيقة التي تتعلق بالصليب الجنوبي عند ( أبو سنبل ) وإذا نظرنا إليه من زاوية تبلغ حوالي ٣٠ درجة فلابد وأن يظهر مشموا ومظلم - وإذا نظرنا إليه وهو يشرق في سمت الرأس فإنه سيصل بلا شك إلى مستوى شهرته المعروفة - والآن فإن ذلك هو اليوم الخامس من عودتنا من وادي حلفا عندما حدث حادث انثار طيقتنا إلى أعلى درجة من الاكارة وجعلنا في قمة الترتي خلال بقية الوقت المتاح لنا .

كان اليوم هو الأحد والتاريخ هو ١٦ فبراير سنة ١٨٧٤ ، لما الوقت حسب ما قلنا عليه ليلة فهو حوالي العاشرة صباحا عندما كان الرسام يستمتع بيومه السابع من إجازته بعد عودته وقد خرج يتمشى الهريزي بين الصخور ، وقد حدث أن اتجه بخطواته جنوبا ، وبعد أن عبر مقدمة المسد الكبير سمع إلى قمة ديرة غير مغطاة الشكل مكونة من صخور مساقطة ورمال - وحافظ من الطوب مقابل الركن الذي يتصلب فيه الجبل ناحية النهر - ولما نظر من هذا الركن بسرعة نحو الجنوب واقترب حتى مسافة ضيقة من حافة بارزة من الصخر الضيق ، وجد مالدتين للقرابي مسوختين وملوحتين ، يعود تاريخهما إلى الملم الثامن والثلاثين من حكم رمسيس الثاني - وقد رأيناها من النهر عند عودتنا من وادي حلفا .

ولسقطنا روعة المنظر من هذه النقطة - ويصرف النظر عن حقيقة أنهما ملونتان وأن اللون كان ما زال يلصق فوقهما ، فإذنا لم نلاحظ شيئاً بلفت الانتباه في هذه النقوش لأنه يرجع الكثير من أمثالها في ( أبو مسبل ) ، ولذلك فإن وسامنا لم يضر لفحص اللوحات فقد كان سندسنا لجمال المنظر .

وبجرد أن استمدار للمودة أثارت انتباهه بعض النقوش المشوهة على الصخرة التي تبعد عدة ياردات عن الركيزة الجنوبية للعبية . لقد رأى هذه النقوش من قبل " ورأيتها أنا أيضاً عندما كنت أتجول في اليوم الأول بعدنا عن وجهة النظر دون أن أهتم بها . كان النقش غائراً ، والتعليق رقيقاً ، والسطح مكسوراً بحيث لم يبق من النصوص إلا خطوط قليلة تشبه الأرتباك .

أما التي - الذي أثار انتباه الرسام الآن فهو شق طويل عمودي على وجه الصخرة . ويبدو أنه حدث عن عهد ربما بسبب عاصفة شديدة .

فأخني ظهوره وفزال الرمال بيده جاساً . فلاحظ أن الشق أحف في الانساح ، فدلح فيه طرف عصاه . ووجد أن عمقه يصل إلى قسمين أو ثلاثة أقدام - وحينذاك خطر له أن يتوقف ليس لأنه اصطدم بمائق ، ولكن لأن الشق لم يكن عميقاً بما يكفي لمرور الطرف السميك من العصا .

وله أثار ذلك دهشته لأنه لم تكن هناك أية شائبة في الصخرة الطبيعية . وفكر في أنه مضى إلى أبعد من ذلك فأراح بعض الرمال مرة أخرى ، ومازال الشق يتسع " ودلح بالعصا مرة أخرى - كانت العصا من حديد النخل مثل العصا المستعملة في تسلق الجبال ، ويبلغ طولها نحو خمسة أقدام - وعندما دخلها في الشق للمرة الثانية مضت معه على حرية حتى الطرف الذي أمسك به في يده . أي أنه عمق حوالي أربعة أقدام .

لقد اقتنع الآن بوجود فترة مخفية في الصخرة ، فقام بلمس السطح بمنأى ، فظهرت بعض الحروف الهيروغليفية وجزء من خرطوشين مع بعض الخطوط الخارجية المحلية لأشكال قديمة . وقد ضاعت رؤوس هذه الأشكال ( في هذه النقطة نزيل وجه الصخرة الذي كانت مرسومة لفرقه بكامله ) . بينما كانت هي مستخفية تحت الرمال ابتداءً من وسطها ولم نستطع الكشف إلا عن بعض الأيدي والأذرع فقط .

كانت هذه الأيقونة والأندروز تضم أربعة من الأشكال . اثنتان منها  
في وسط التشكيل والاثنتان الأخريان في الطرف البعيد - أما الالبان  
اللذان في الوسط واللذان كانا يلفان وقد أولى كل منهما ظهورا لاسر .  
فهما اثنتان من الآلهة بينما كانت الأشكال الأخرى تمثل العابدین .

ولاح في ذهن الرسام أنه قد شاهد هذه المجموعة من قبل خاصة  
فوق أحد المنحدر . وعاد اليها وقد أسس بأنه على وشك تحقيق كشف  
عظيم . وأخذ معه سلاحا ومجعد على . ولم يقل كلمة لاي أحد . بدأ العمل  
مع حدين الأتني في إزالة الرمال في البقعة التي أخذ الشق يتسع  
عندها .

وفي نفس الوقت كان جرس الفداء قد دق ثلاث مرات لاستنجاب  
ان الرسام كان يتجول في مكان ما في المصحف ولذلك جلسنا لتناول  
الطعام بنونه . وعندما اقتربنا من نهاية القفص وصلت اليها ملحوظة  
مكتوبة بالقلم الرصاص مضمونها كما يلي :

« من طلبكم احضروا حالا . لقد وجدت مدخل مقبرة . من فضلكم  
أرسلوا بعض الساعاتشبات - أ . م . م . م . »

وتبعنا الرسول سريعا إلى موقع العمل حيث شاهدنا النزوة  
المسماة - كما هناك بعد أقل من مفر دقائق . وأخذنا ونص مبهورو  
الأنفاس لسبب استئله . ولينحلي النظر إلى داخل القفرة الآخرة في  
الانساع وتساعد في إزالة الرمال .

« ولقبنا بعد ظهر يوم الأحد غير مهتمين بأن نصاب بضربة شمس ،  
وغير متجهين للاجهاد ، وقد ركزنا على أيدينا وركبتنا تحت أشعة الشمس  
الحارقة . وحضر اليها بقية البحارة وأغفوا يسألون مثل النور . لقد  
ساعد الجميع حتى الترحيل والانتان . وعندما كنا يتوقف لالتقاط  
الأنفاس كنا نخطب بعضنا بعضا قائلاين :

« ماذا كان سيقول لمتكافؤنا في الوطن لو شاهدونا في مثل  
هذه الحال ١٩ »

وأصبحنا الآن أكثر من أي وقت مضى بالحاجة إلى الآلات .  
فالر كان لدينا مجردة أو اثنتان وعربية يد ذات عجلة واحدة ، لا يستطيعنا

هذه المعجزات . ولكن لم يُوفّر لنا الأمجرة فتم صفيحة . ومكسبة من اللبث . وسلتان من سلال الصم البائس . وحوالي عشرين دوجا من الأيدي البشرية . فقد كنا قلقه حقا ، وقد استسلمنا أن سجن بلاسلوب ما كلن يحتاج الى الاجاز بالوسيلة - قام بعضنا ياراحه الرمال ، وقام البعض الآخر بوصفها في السلتين ، وحمل البعض الآخر السلتين الى طرف الصخرة وافرغها في النهر . كما الرجل الكسول فقد شغل نفسه بمفر لينة الى حيث كان المنحدر شديد الانحدار لسهل العمل ، وحافظ على بقاء القناء الحالية ، مما جعل الرمل يدفع منها كما لو كان ميلا من الماء .

وفي نفس الوقت أحدث القجوة فتسح مريما . وبعد مرور ساعة من بقاء العمل الذي يملأ الرصام والجهازان وجدنا ثقبا يسمح بدور يد الانسان . استسلمنا عن طريقه ان نلجج الحواط الملوثة حلقه . وعند غروب الشمس كنا قد كشفنا عن قمة للسبل . وعندما انتهى الشفق الى كسر مثلث الشكل . وصلنا الى قفرة تصل مساحتها الى حوالي قدم ونصف قدم مربع . وكان محمد علي هو اول من دخل فيها ، وتبعناه مع دسمة وعيلة تقاب ، ولكنه خرج سرعا قائلا انها بركة رائحة الجبال ، ودخلها مفره .

ثم دخلت الكاتبة بمعه فوجدت نفسها تنظر من قمة منحدر ومل الى غرفة صغيرة مريمة . اما هذا المنحدر الرمل الذي يرتفع هيا الى حوالي قدم ونصف قدم من قمة الداخل ، فقد كان مكوما الى السقف في الركن الذي حلف الباب ، ثم المحر يمتد الى أسفل ، حتى غطي الأرضية تماما . وكان هناك ضوء كاف لرؤية كافة التفاصيل بوضوح . فهناك الافريز للون الذي يدور تحت السقف . والتقوس البارزة المرسومة على الحواط وقد لونت باللون زاهية . والرمل الناعم المكوم بالقرب من النلسة حيث دخل محمد علي . ولا لم يتورع الى أية ناحية اخرى بفضل اسنان ، فان الفتحة الكبيرة في وسط السقف حيث انصبحت الصخرة الطريق واقطع المسافة على الأرضية ، كل ذلك دفن مظهره الآن تحت الرمال .

وشرنا بالرضا لأن المكان لم يمسسه احد . وخرجت الكاتبة زاسفة . بينما دخل الآخرون زاحفين ، واحدا فواحدا . وبعد أن شامعنا كل منهم يدوره ، تم إغلاق الفتحة في المساء ، ومنح البحارة من الدحول حتى لا تضار الزخارف .



وفي هذا المساء عندما مجئنا مستشاريا عيت ثورما ان يصحب  
 تلمسي والريس حين غدا الى اقرب قرية للحصول على خدمات حسيين  
 من المواطنين الاشداء . وقدما انما نستطيع بمساعدتهم ان نكشف عن  
 المكان في مدة يومين يسهولة . وتمسنا ان نكشف عن المدخل الى مكان  
 لوميه اسفل القبرة . لما لنا كانت مجرد هيكل صغير ذو غرفة مثل  
 تلك الموجودة في ايريم فسشعر بالرضا : لاننا على الاقل قد شاهدنا  
 كل ما تضمنه من وسومات وقوش .

وقد حدث ذلك بالفعل ولكننا في صباح اليوم التالي عدنا بعيد  
 حتى منتصف اليوم . ثم اتخذ رفيقنا الوطنيون وعددهم حوالي الاوسين .  
 طريقهم الى مركب قديم معلق كان لاهه مستقلا بالماء حتى المنتصف .

قد طلبنا منهم احضار أدوات وقد احضروا بعضها ومنها سجدانان  
 مكسوران لاستخدمهما في الحفر . وبعض السلال وعدد من القطع  
 الخشبية التي كانت تربط بين قطعتين من الحبال . ويتم سحبها بطول  
 السطح . مثل الطرف المكون من قطع غير متجانسة . وكانت جميعها  
 طينة بحالتها الراهنة . وقد استخدمت هذه الاطواح في رحلة مزدوجة  
 من المدخل الى الصخرة الى حافة الصخرة مع الفناء البدائي . ثم دلف هذه  
 الاطواح حتى استطاع الرجال اختلا سبر الى المدخل . وكان ذلك تسببا  
 في قيامهم بعمل اضافي حتى بعد ظهر اليوم . وعند غروب الشمس .  
 وبعد ان قمتموا . كان المسر قد تم تجهيزه الى عتق أربعة اقسام مثل  
 نموذج صغير لمطح سكة حديد يمر بين دصيلين من الرمال .

وفي صباح اليوم التالي حضر الشيخ نفسه ومعها ابناءه . ورتبهما  
 حانة وجبل . وكان هذا العدد اكبر مما اردناه . اضطرت لنا فكرة ابتزاز  
 الاموال . وقد يرمي الشيخ على أنه صويرة طبق الاصل من رشوان  
 ابن حسي الكائن الذي استيعب الزوجان السعيدان من قبل بضيافته  
 الكريمة لمدة اسبوعين . ولذلك مستقبلنا بالترحاب . ودعوانا لتناول  
 اللداء . ولكني نهي العمل بسرعة قسما الرجال الى مجموعات تحت  
 اشراف الريس حسي . وكبير البهرة . وعده الظهور ازييت الرمال عن  
 اللياب حتى يجتبه السفل وظهر الماقلان الجنوي والدرين مكملهما .  
 وقد اكتشفا الآن ان الاطلال التي سدت الحائط الشمالي ووسط الارضه  
 ليست كما افترضنا من قبل مجرد كومة من الاجزاء المانقة . ولكنها  
 صخرة صلبة منقطة يكملها من اعل . وكان من الصعب تحريكها . فلم  
 تكن لدينا ادوات للقطع او التكسير . وكانت اعرض واعلى من المدخل .

كما أن محاولة إخلاء الرجال التي ترتفع حلقها إلى السقف مستعرق وقتاً طويلاً وقد تسبب أضراراً جسيمة للزخارف التي حولها . وقد بهت لجمال اللون حيث كان الرجال قد أحتوا ظهورهم فصارت الحوائط كلها ممتلئة بالعرق .



• مدخل الهيكل الصغير •

ولما لحظنا أنه لم يتم كشف حوالى ثلاثة أرباع الزخارف ، وأنه لم يكن هناك شيء ذو أهمية جلب الكلفة الساقطة ، قررنا ألا نستمر في العمل أكثر من ذلك .

وفي نفس الوقت قصصنا وقتنا سعيها ونحن نلهم مع شيخنا البوذي، وهو رجل طويل حسن الملامح يتميز بالكثير من الكبرياء الطبيعية . وكان يرتدى ملابس فاخرة وعمامة بيضاء، قد رتبت لعائتها بصاية دائمة ، كما لُف حول رقبته شالاً أبيض اللون وارتدى رداء طويلاً مفتوحاً من الصوف الأسود ، وعمامة خارجية من القماش الأسود الفاخر ذات أكرام وقلنسوة .

وقد ارتدى في قميصه جوارب بيضاء وحذاء مغربياً قرمزي اللون . وقد ارتد حرجه عندما واجه المسكين والفقيرة وظهر أنه كبير السن بحيث لا يستطيع أن يتناول طعامه بنفسه . ولابد من وجود من يمسكه من الخلف لكي لا يلقى عليه الرجال في المصور الوسطى ذوقه يقوم بتدوير البيضة . ولا كان يلحس مؤخره لهذا العمل فقد التفت بأصابعه أجراء من لحم الثياب والفساج وغرس يده من الخبز في المصاصة . ووضع كل لقمة في فم ضيفا العظيم كما لو كان الضيف المذكور جنلا .

وعند تقديم الجلوي أخذته السيدة الصغيرة والسيدة ( ل ) والكاتبة من يد . والمصاصة بكافة أنواع الخبز والفواكه المبطونة . وقد سعد الرجل المسكين بهذا الاهتمام فأكل كما لم يأكل من قبل . ووصح يده على المنطقة التي تلي قلبه . وطلب الرحمة .

وبعد الفداء دهن مارجيلته . وقصمت القهوة فلم تسجبه فهو لها فتلقوها وأعاد الفنجل سريعا . وهو يقول للداخل بامتصاص أن البيل احترق أكثر من اللازم وصارت القهوة صميقة - ولا اعتدلوا عن ذلك تأسف بأسلوب النفاق الشرقي المعروف وقال أنها قهوة جيدة .

وكان من الجول تسلمونه لأنه كان مهتما بكل شيء . بنظارة الميدان الخاصة بالسيد ( ل ) والاكورديون الخاص بالرسم . والبيانو . ووبرية فتح الزجاجات . وقد سعد جدا عندما أعطياه القليل من الكولونيا . ومرمحا على لحيته . وأخذ يشها وعيناه مفلقتان في حالة من الانتماس . وكان فتح موضوع الحديث هو الأمر الصعب كالمادة . وعرضا ذكر ل أن ابنه الأكبر هو حاكم الدار . وأن أصغر أولاده عمره خمس سنوات . وأن بلع اليد الفضل من بلع وادي سلقا - وأن أعمال النوبة فقراء . وصل إلى نهاية موضوعاته . وأجرا طلب اليها أن تنقل عنه خطابا إلى لورد دي الذي استضافه هل سطح ذهسته في العام الماضي . ولا سألها عما إذا كان قد أحضر خطابا معه من رئيسه قائلا : « مسقوم ترجمانكم بكتابته » .

ومرسلان ما تم احضار الورق والقلم البسيط وكتب تلحس ما أملى عليه كما يلي :

« الرب يحفظك - أتمنى أن تكون في حالة طمة . وأتمنى آسف لأنه لم يصلني منك أي خطاب منذ كنت هنا - أحرك وصديقي - رجاوان ابن حسن الكاشف » . وكان خطابا مزجرا ويطي بالفرض .

وعينها وجهان إلى مرحلة المسلب لم يكن شيخنا المصم الوجيه سعيدا . فانه أرسلنا أولا في طلب حسيب وبنجل ، وكان الثمن المتفق عليه خمسة قروش على حوال شلن انجليزى يوميا عن كل رجل . وردا على ذلك وجهل اليينا أولا اربعون رجلا لمدة صعب يوم . ثم مائة ليوم كامل . وبذلك يكون المجموع ستة جنيهات فلفه أيجور الجميع . ولكن أحفاد الكنائس لا يسمحون من شيء عادي مثل الموضة بالمعهد الصريح ، فطلب أجور مائة رجل عن يومهم كاملين وينفقون لنفسه وبقيشيشا صاحب ينفع نقدا . ولما وجد أنه طلب أكثر مما يمكن أن يحصل عليه ، وضع تسالة الأجور . ولكنه أصر على طلب حقبة لعمل الحيوانات التي يتم صيفها ، وطلب زوجا من المسلمات . وأجرا أجبر على قبول مبلغ ستة الجنيهات أجرا لرجاله . وإن يأخذ لنفسه برطانتين من الرمي وعليتين من السردين وزجاجة من الكولونيا وعلمة من القراميس الفوا ، ونصف جنيه انجليزى من الذهب .

وعند الساعة الرابعة انصرف هو ورجاله . وقضينا اليوم التالي يكمله في العمل داخل وسول الهيكل . وقامت السيدة ( ل ) والسيدة الصغيرة بنقل كتبهما وإشغال الآلة الخاصة بهما إلى هناك ، وجهلنا منه غرفة استقبال وقامت الكاتبة بنسخ الزخارف والنقوش . أما الرجل المسؤول والرسم فلفه فلما بقياس ومسح الأرض حول الهيكل مع محاولة عمل رسم لبعض أقسام الحائط والأساس التي لم تنكشف بعد .

وقد استطاعا بفضل القمص الثمان لهذه الخراف ، وإحلاء الرمال هنا وهناك ، أن يصلا إلى اكتشافات أخرى . فوجدوا أن الهيكل يتم الوصول إليه عن طريق صالة خارجية كبيرة مبنية بالطوب المجفف في الشمس ، مع مدخل رئيسي واحد في مواجهة النيل . ومدخلان جانبيين في اتجاه الشمال . أما الأرضية فقد دغنت في الرمال والأقفاص ، ولكن معظم الحوائط بقيت ظاهرة فوق السطح فتبين أن السقف كان مقببا وإن المدخلين كانا على شكل عشرين .

وظهر لنا عند إزالة الرمال أن الحائط الجنوبي لهذه القاعة لا يقل سمكه عن عشرين قدما . ولم يكن ذلك عسيفا في حد ذاته ، فقد كانت هناك في المباني المصرية حوائط مبنية من الطوب بلغ سمكها ٨٠ قدما (١)

(١) يوناغ سمك حائط السيد مير محمد بطرس الكبير ٨٠ قدما - انظر كتاب : تاليس - جلم د . م . فكتور يترو الجزء الأول - فقرة صندوق استشفاء مصر . الخ .  
سنة ١٨٨٤ . ( مطبوعة مطبعة إلى الطبعة الثانية )

ولكنه كان حثيثا للحجب لدى حفرته بالحافطين اللذين في الشمال الشرقي والغربي ، واللذين يبلغ مسكها ٢ أقدام فقط . ولا كان من الواضح انه لا يمكن أن تكون هذه الكتلة صلبة بدأ الرجل الكمول في العمل مع اثنين من البحارة ففحص الجزء الأوسط منه . وسرعان ما اتضح وجود غرغ مجوف يبلغ عرضه حوالي ثلاثة أقدام يسير ما بين الشرق والغرب وليس في وسط البنية بالفيصل .

ودفع الرجل الكمول أصابعه مرة واحدة في جحمة ١ وكان ذلك حادثا مذهشا وغير متوقع ، لأنه حتى هذه اللحظة لم يغل شيئا ولكنه استمر في حفره يزيح الرمال ويخصص طريقه تحت السطح . وفي اللحظة التالية اصطفت يده بحافة وعاء طيني فصبه بصلابة . كان قطره يبلغ حوالي أربع بوصات وعرضه متاكد وملوء بالرمال وأعلن سينت من اكتشافه . وأسرع الجميع نحوه للمساعدة في العمل . وسرعان ما انقلبت الجحمة الصغيرة ، ثم ظهر وعاء آخر . ثم ظهر تحت مكان الأوعية هيكلان عظيمان مفككان ومتصلبان تماما ولكنها كملان . كانت هذه بقايا طفل وشخص بالغ صغير ربما كان امرأة . كانت الأسمان سليمة والظلم دقيقة وحشة . أما من الجحمة الصغيرة ( التي سيطرت عند الرقبة ) فقد كانت صافية وحشة وقابلة للكسر من ناحية البنية مثل كوكب من ماء الزئبق . ووضعتنا الظلم جانباً كما وجدناها . واحدا في فحص كل حفنة من الرمال على أمل اكتشاف شيء يمكن أن يلقى الضوء على أشخاص المدفونين . ولكن بلا طائل . فلم نجد شريطا من القماش أو خرزة أو قطعة عملة أو أي أثر صغير شيء يساعد للحكم على ما إذا كانت هذه المايا في مكانها منذ مائة عام حطت أو ألف عام .

والآن ، استدعينا جميع البحارة واستمروا في الحفر الى أسفل داخل ما يبدو انه حقد ضيق يبلغ مساحته حوالي خمسة عشر قدما طولا وثلاثة أقدام عرضا .

وبعد التأمل اقتنصا بأننا عثرا على مقبرة نوبية بالصدفة . وإن الأوعية ( التي أطلقنا عليها أولا اسم قوارير الرمال من باب التكريم ) لم تكن الا قوارير الماء للمائدة التي كانت توضع بجوار رأس الميت . ولكنها لم تكن حينئذ في حالة تخلصية تسمح بالتأمل ، وتأكدنا أن هذه المقبرة لم تكن الا غرفة صغيرة لحفظ الجثث . وإن المقعد لم يكن الا حفرة راسية تعود الى غرفة الدفن . وأتينا منحنه تحتها ٥٠ من يستطيع أن يذكر ماذا ؟ وميوارات . ربما ، ونولويس وتماثيل جوازية ، وصيوجوات ، وأوراق

بردية ، وعجائب لا تنتهي ؟ جعلت القديس يفسون فيه الحطام في فوهة مثل هذه البقرة بلا عناية مما جعلها تبدو غريبة بالنسبة لنا ، ومادام يعد أن افترضنا أنها بقايا نوبية ؟ ولذا كانت البقرة النوبية في الطبقة العليا لئلا لا تكون هناك جدت لتعمد المصريين في الطبقة السفلى ؟

ومع استمرار أعمال الحفر ، وجدنا أن الطبقة يمكن الدخول اليه عن طريق سطح مائل شديد الانحدار ، ثم يتحول السطح للمائل ليصير مستويا درجات شحلة يالية . وكان يفود الى مقر مربع مشعر على عمق حوالي اثني عشر قدما تحت مستوى سطح البحر يهبط منه مدخل رئيسي وممر مفتوح على القاعة الامامية للبقرة (١) . وقد لقي بجارتنا صهوة عظيمة في حفر هذا الجزء ، بسبب ثقل وزن الرمال المتراكمة والحطام المتدقق من الجانب الآخر للبقرة . ومع انبلاء الأرضية تمكنوا من كشف الأرض التي كانت مبلطة بالكعاب من الفخار مثل قاع مقاس السوائل . وهذه الكعاب التي استخرجنا منها حوالي ثمانية وعشرين أو ثلاثين قدما لم تكن على الأقل شبيهة بالكعاب الجنازية التي وجدت معلقة في طينة لأنها لم تعمل أي ختم . وكان شكلها أقصر وأكثر صلابة . وأخيرا وبعد أن أبعثنا جميع الكعاب وصلنا الى أرضية مطبوعة وصلنا من الصلصال المحروق .

وفي نفس الوقت كان الرصاص متشظلا في الكتل أيضا ، لقد نتج العائرة ورسم خطا لتخطيط الأرضية ، واستنتج أن كل الكتلة المتصلة بالمخاط الجنوبي للبقرة كانت في حقيقة الأمر مكونة من حوائط إحدى البوابات التي كان سمك حوائطها سمكة أقدم . وقد بنيت في خطوط منتظمة من الطوب الرصلي ، وانتهت في الروايا بالمسجلة الناتئة المعتادة ، أو الأفاريز المائرية . وقد زال لبنى كله بضراره وعبرائه والفريزه العلوى ، وإن الجزء الذي نهتم به الآن كان مجرد القاعدة وجنسن قناع المسلم .

(١) ساد الاعتقاد فترة طويلة بأن المصريين لم يعرفوا فكرة القوس أو العقد في معابهم . ولم تكن تلك هي القضية ، فهناك مظهر من التشرب تعود الى إلهام رئيسي القلبي خلف الرمحيم في طينة وخبرها من الأماكن . ولكن لاحظوا تارة في مصر بوجه عام - وقد ضاع عليه العهد وتطهته موة الخروب . وكذلك الجزء الأكبر من التلم للمحافظة طوم الجزء السابق .

وقد قضى الرسم التخطيطي الذي قام به الرسم على كل كمالا في  
 حيلة واحدة - فلم يعد المقد هنا ، وكذلك فإن السلم لم يعد يقود إلى  
 غرفة العلى - ولم تمه الأرضية الميتة من الطوب تتخلل حشداً سورياً .  
 وتبخرت المومياءات في الهواء - ولم يعد لدينا سبب يدفعنا إلى الاستمرار  
 في الحفر - وشعرنا بالإحباط إلى أبعد الحدود - وقلنا لأنفسنا في رأس  
 إن اكتشافنا لبوابة صحيحة من الطوب تلك التي لم يشبه إلى وجودها  
 غيرها من السياج الذي سبقونا ، كان حدثاً له أهميته القصوى أكثر من  
 مجرد اكتشاف مقبرة - لقد اعتدنا على اكتشاف القبرة وأنفى أن نقول  
 إن اهتمامنا بالبوابة لم يكن بنفس الحساسية -

لما وقد تبخنا مسار الضائر إلى هذا الملقى ، والطريقة التي كان  
 كل اكتشاف يفودها بها إلى اكتشاف آخر مترتب عليه خطوة خطوة ،  
 جعلني أشعر بضرورة أن أعود الآن إلى المقبرة وأحاول أن أصفها بقدر  
 الاستطاعة ليس فقط لاعتادنا على مذكراتي التي دونتها عن المكان ، ولكن  
 على ضوء تلك الملاحظات التي دونتها فيما بعد عن الالامعات التي تنتمي  
 إلى نفس الطراز والفترة الرسمية - ولابد أن أقدم لحديني بأنني لم أجد  
 لحدوة على الدخول فيها أثناء قيام الطيارين بالعمل - وقد بقي لنا يوم  
 واحد فقط في ( أبو سنبل ) مع انتهاء العمل ، وهكذا لم يعد متاحاً لي  
 الكثير من الوقت - فقد أدركت أن أحصل صوراً ملونة لجميع النقوش الجدارية  
 ولكن ذلك لم يكن في استطاعتي ، ولذلك اضطررت إلى الاكتفاء بنسخ  
 النقوش وعمل صور تخطيطية لقليل من الموضوعات ذات الأهمية  
 القصوى -

كانت الغرفة المنحوتة في الصخر التي سبق أن وصفناها بأنها هيكل  
 والتي اعتقدنا في البداية أنها مقبرة ، وهي ليست كذلك في حقيقة الأمر -  
 لقد كانت هيكلًا أثريا نصف مبني ونصف محفور ، معاصراً زمنياً للحيد  
 الأكبر - ويتشابه هذا الأثر في بعض جوانب التصميم مع الهيكل الخاص  
 للقام في بيت الرائي - ومن الواضح لأول وهلة أن الحوائط الخارجية  
 ثلاثية كانت تتخلل في الأصل شكل المقود - وأن النقوش المنحوتة فوق  
 سفح الحجرة المحفورة في ( أبو سنبل ) تنطق في موضوعها ومعالجتها  
 مع تلك الموجودة على المنحوت مع الأجزاء المحفورة في بيت الرائي - لما فيها  
 يتعلق بالمفهوم العام فإن أثر ( أبو سنبل ) يتدرج تحت نفس العنوان  
 مع المعابد المنحوتة في الدبر وجرف حسين ووادي السبع ، من حيث أنه  
 طراز مختلط يربط ما بين القصر والبسة - ويبدو أن هذا الطراز كان  
 شائماً على أيام رمسيس الثاني -

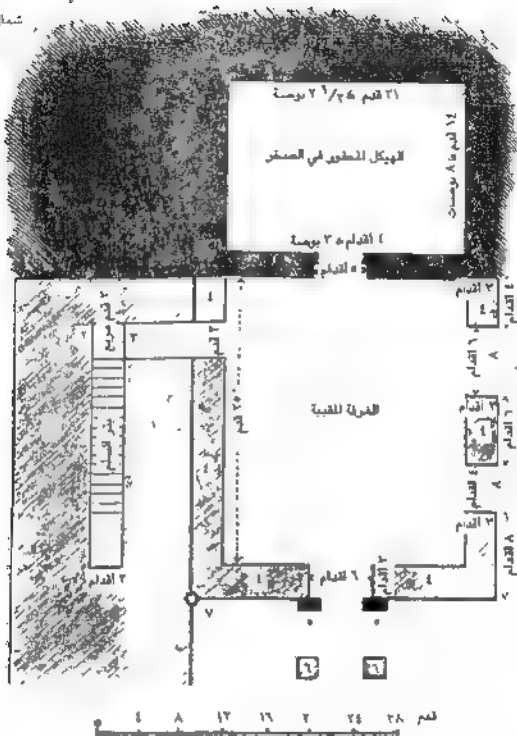
ويقع هذا المدخل للمحور في الصخر في الزاوية الجنوبية الشرقية للصخرة ، بعد واجهة المعبد الكبير بقليل وصالة المدخل التي تسد من الجنوب الغربي إلى الشرق وتتحكم في معظم المنظر الذي يرتفع إلى مستوى معبد حتمور ، وهذه البوابة المطورة يصل عرضها إلى ٢٦ قدما ، و  $\frac{2}{3}$  بوصة ، ويبلغ طولها ١٤ قدما ، و ٨ بوصات ، أما الارتفاع من الأرضية إلى المسقف فيبلغ حوالي ٢٢ قدما ، ويبلغ عرض المدخل ٤ أقدام ، و  $\frac{3}{4}$  بوصة ، كما يبلغ السجوة الخارجية لاطار الباب ٥ أقدام ، وهناك تقيان كبيران مستديران أحدهما في المتبة والآخر في المعارضة العليا فوق الباب وهما يحددان مكان المحور الذي كان يدور حوله الباب يوما ما .

وليس من السهل قياس الصالة الخارجية في حالتها الخربة والمردحة حاليا ، ولكننا بقدر استطاعتنا نقول إن أبعادها هي كما يلي ٢٥ قدما للطول ، و  $\frac{2}{3}$  قدما للعرض ، ٦ أقدام عرض المدخل الرئيسي المقابل للتليل ، ٤ أقدام ، ٦ أقدام للمدخلين الجانبيين على التوالي ، ويبلغ سبك الحوائط المتينة من الطوب ٣ أقدام ، وهناك عارضتان رأسيتان للباب على كلا جانبي المدخل الرئيسي لهذه الصالة المبنية من الطوب ، وعن بعد حوالي ستة أو ثمانية أقدام أمامها ينتصب صفان حجريان فوق لاعدتين حجريتين عليهما نقوش هيروغليفية .

وقد وجدنا أحد حطين الصقرين في مكانه ، بينما كان الآخر أبعد قليلا . وقام الرصاص الذي لم يتوقع اكتشاف أي من هذه الأشياء بعد الحاجات بامتصاصها كصود ، ويط إليه أحد الجبال الرئيسية لحية الرسم الخاصة به ، ووجدت لوحا هيروغليفيا ضخما أظن أنه كان يشكل جزءا من الباب ، واقفا عند جانب البوابة على بعد ياردات قليلة بالقرب من النهاية .

وما دعنا نتحدث عن المدخل والصالة الخارجية فإن الرسم التخطيطي المرفق لأرضية المعبد الذي انتهى على أساس القياسات التي قمت بها من جهة وعلى أساس الجزء الذي استمرته من الرسم التخطيطي الذي قام به الرسام من جهة أخرى ، يمكن قبوله بوصفه وصفا صحيحا ، أما فيه يتعلق بالبوابة فاستطيع أن أقول بكل ثقة إن السلم الذي يقع في الوسط يبلغ عرضه ثلاثة أقدام ، وإن سبك الحائطين اللذين على جانبيه يبلغ سبعة أقدام بالرغم من صعوبة ذلك لأنه مدفون بين الانقاص والرمال مما يصعب معرفة أين ينتهي البناء وأين تبدأ القبالة في الطرف الذي على نهر النيل . ولذلك تركنا هذا الجزء غير محدد في الرسم التخطيطي للأرضية .





الرسم التخطيطي للأرضية

- ١ - حائط
- ٢ - مهبط مربع
- ٣ - المداخل والمخارج المزدان إلى الغرفة المقبية
- ٤ - حوائط الغرفة المقبية أي ذات العقد أو القوس الطوي
- ٥ - مصارير الأبواب
- ٦ - المصنوع الحجري على قواعد
- ٧ - حرم المصريح
- ٨ - المداخل المقبية ( ذات العقد المقبية ) في الحائط الشمالي

ويظهر استطاعتنا لم نشاهد أية دعامات حجرية في الجانب الداخلي للمحوط الإمامية - ولو كان هناك شيء من هذا القبيل فمن الممكن اكتشافه بوضوح يقاوم مع استمرار احلال المنطقة من الرمال - وهو عمل متعب بالنسبة لمن لديه وقت فراغ للتكلم به .



طراز من «الفرز» \*

وسأحدث الآن عن رحلتي المدهلة والجانب الداخلي للمحوط التي رنم من أسفل السقف الى حوالى ثلاثة اقدم من الارضية ، وهي جميعها مغطاة بنقوش موضوعات دينية مصورة بالحجر الباور ومسطاة ، كما هي العادة بطبقة من الجبس وملونة بالوان راحية لا اعرف لها مثيلا فيما عدا مقبرة سيدي الاول في طيبة (١) وهذه الالوان في المنطقة التي تملو مستوى الرمال المتراكمة لاسمة وجيدة المظهر كما لو كانت قد انتقلت الى عالم المداخل من بائية الرسام . لما كافة النقوش التي تحت هذا المستوى فلهذا كانت مبهمة ومهلهمة \*

ويحيط بالسقف امرير من الخراطيش التي تحملها الحيات المقدسة ، وقد انقسم كل خرطوش مع حياته في الخرطوش الذي يليه بواسطة شكل مجلس صغير . وتتخذ هذه الأشكال رؤوسا رمزية لآلهة مختلفة مثل رأس البقرة لآلهة حصور ، ورأس ابن قردان لآلهة تحوت ، ورأس الفيل لآلهة حورس ، ورأس ابن آوى لآلهة أنوبيس .. الخ .. الخ . وتتضمن الخراطيش الطراز المناد ، والقاب الملك رمسيس الثاني ( أومر - ماعت - رع ... محتجب ان - رع - رمسيس مري آمون ) ومحيط بها مجموعة من قرص الشمس \* وقد وضع تحت كل اله حارس الهرم الهريروغليفي الذي يعني ( مري ) أو ( محبوب ) \*

وعن طريق هذه الوسيلة لدى الافريز كله يدل على عناصر أسطورة مرتبطة به ، ويصف الملك ليس فقط بأنه محبوب آمون ، بل أيضا بأنه رمسيس محبوب حتحور وتحوت وحورس - وما احتصار فهو محبوب كل اله ظهر في السلسلة \* وهذه الآلهة فيما عدا الافريز يتطابق في التصميم مع الافريز الموجود في القاعة الأولى بالمسيد الكبير \*

(١) للمرونة باسم بالفرز \*

## الحائط الغربي (١)

ينقسم الحائط الغربي أو الرئيسي الذى يراجه المسجل الى موضوعين كبيرين يحتوى كل منهما على رقمين كبيرين من المعلومات . وفى القسم الأيمن يقوم الملك رمسيس الثانى بالتميد للاله رع . كما فى القسم الغربى فهو يتميد للاله آمون رع ، وهذا الترتيب يتفق مع ذلك الموجود فى المعبدى الآخرين حيث تحتل الموضوعات التى تنص آمون رع النصف الأيسر ، بينما تحتل الموضوعات التى تنص الإله رع النصف الأيمن فى كل مبنى . ويحصل بين هذين القسمين شطر رأسى يملوه رأس حورس لروميس *Aroëris* أى حورس النورج ، بروعة كبيرة (٢) ويظهر



حورس النورج ( لروميس )

(١) اكتب من هذه المعلومات ملاحظة إليها باللفظ الدخالى واللاتينى والفرنسى والى  
كما تموت باعتراف فى عوالم المينى حوان الليل ، اما الابر الصالى فظنوا انه يمثل  
البراحية الجيوب، حول زاوية السفينة فانه يقع فى اتجاه جنوب شرق الى الشرق بدلا  
من الشرق والغرب كالسرد الكبير .

Horus Arcotis, — «Celui-ci qui semble avoir été frère (٧)  
d'Osiris. Porte une tête d'épervier coiffée du pechent. Il est presque  
complètement identifié avec le soleil dans la plupart des lieux où  
il était adoré, et il en est de même très souvent pour Horus, fils  
d'Isis.» — *Notices Sommaires des Monuments du Louvre, 1873, De  
Boué. In the present instance, this God seems to have been identified  
with Ra.*

الملك وحيس الثاني في الموضوع الأيسر وهو يلبس التاجين الأحمر والأبيض ويقسم قربانا مكونا من زهرتين بنون مقابض . وقد لوت الزهرتين باللون الأزرق ، ولقروض أنهما تحتويان على أحجار كريمة من أحجار اللازورد التي كان قبحها المصريح يحولها وكانت مرمومة لديهم باسم حسبت . وكذلك كانت صندرية الملك وأكناه وأساوره جميعها أيضا زرقاء اللون . ويجلس رع متوجا على العرش ممسكا في إحدى يديه بعلامة المنع ، أو الصليب الذي لقيضي رمز الحياة ، ويمسك في اليد الأخرى صولجان الآلهة الذي تحليه رأس الكلب الملوكي (١) . إن رأسه رأس الصقر ويتوج بقرص الشمس والأقنص . أما لون بشرته فهو أحمر بدلي لامع . ويرتدي صندرية مزخرفة وصندرية قمعية مكررة من جهات قرمية ومسوداء بالتبادل . وحزاما ذا لون أصفر ذهبي مرصعا بأحجار حمراء ومسوداء . أما العرش للوضع فوق منصة زرقاء فهو ملون بخطوط مستطيلة حمراء وورقاء ويصاه . وللمنصة مرحرفة نصف من المنحرف ذات اللون الذهبي وعلامات المنع الملونة باللون الأحمر . وعند أقدام حلم المنصة بين الآلهة والملك يقع مذبح صغير موضوع فوقه إزارا للوتس أزرقا يسيقانها الحمراء مع أياه لسكب السوائل . وإلى يسار شعار حورس يجلس آمون رع أكثر الآلهة المصرية بفساعة . وظهوره إلى ظهر رع على نفس العرش بلون بشرته الأزرق الأسود ، وحزامه المكون من سلسلة ذهبية وغطاء رأسه المكون من ريش الطيور (٢) . وهنا أناحت لنا الصورة

(١) « Le sceptre à tête de chien, nommé à tort sceptre à tête de cou-coups, était porté par les dieux. » — Jac, d'Arch. Égyptienne : P. Pierrat à Paris, 1873.

(٢) آمون ذو البشرة الزرقاء هو الله المكون من ثلاثين مثل التراكليات الجديدة من مصر لنفس الذي يحمل منه لقب « آله السموات والأرض وأبواب والجبال » .  
« Dans ce rôle de roi du monde, Amou a les chairs peintes en bleu pour indiquer sa nature osseuse , et lorsqu'il porte le titre de Seigneur des troues, il est représenté nu, la couronne en tête d'ordinaire il est debout. » — Étude des Monuments de Karnak. De Rougé. Mélanges d'Archéologie, vol. I, 1872.

وقد خرجت من تراكليات جديدة من صور آلهة آمون مثل التراكليات الجديدة من مصر العذراء مريم في إيطاليا في أسبانيا . قد كان ذلك آمون خليفة . وسمون للآلهة وسمون لفظ وسمون كيس ( بكتريوليس ) وسمون البحث وسمون اللحن وسمون الشمس ( آمون رع ) وسمون الكائن بذلك أو الذي خلق نفسه بنفسه .. الخ .. الخ ولا شك أن الآلهة آمون وكيع مما آله ولحد . ومن الملاحظ أن تعدد الكلمات الإنجليزية المشتقة من كلمة كيمياء المصرية في أصلها إلى الاسم كيم الذي أخذته قدم كلمة كيمياء المصريين وتحت آله لانتبكت والأشباب وعلتمس الخلق . ولا شك أن الزارع المصري لم احتج جميع هذه الآلهة التي أطلق عليها اسم آمون هي طرائف رمزية من آله واحد .

السليلة التي يميز بها السطح، رؤية أن الصانع القمام، لم يتعدوا استخدام هذا اللون المختلط ما بين الأزرق والأسود فكان واضحاً أن بشرة الآلهة قد لوتت أولاً باللون الأسود القائم ثم لوتت بلون ماحود من بودرة الكوبالت الأزرق ، ومع ذلك استمر اللون الأسود ظاهراً ، وهو يحمل في إحدى يديه علامة المنخ ويمسك باليد الأخرى المصولة التي تحليه رأس الكلب السلوقي . ويقدم إليه الملك يده اليسرى مرفوعة ، وفي يده اليسرى سلة صغيرة تتضمن قرباناً عبارة عن تمثال صغير للآلهة ماعت الهة الحقيقة والعدالة ، وعلى كل حال فإن ماعت مجردة من ريشها المميز وتمسك بالمصا التي تحمل رأس ابن آوى بدلاً من علامة المنخ .

لما عي دلالة هذه الصورة الشخصية فإنها لا تمثل أيًا من رؤوس رمسيس الثاني ولكن الملامح تحمل شيئاً معيناً للرسم الجانبي المعروف لوجه الملك . أما تنقيذ الشكل فهو رشيق ومملء بالحركة ، ويمثل الشكل بكل نقائه الخط الواضح والانسياحي للفن رسم التصميمات الهندسية المصري .

ويميز لباس الملك بلونه الفاتح ، فالخوذة التي تشبه تاج الأسقف ملونة بلون الكوبالت الأزرق (١) المزخرف باللون الذهبي ، أما الحرام

(١) ان اللغة المنسوخ عنها هذه الخوذة الزرقاء والتي وره رسمها كثيراً على الآثار ، قد تكون هي حايا Homotic Kneave التي تجمع عنها للكثير من الحكوة والتخمينات ، والتي يفترض مصدر جالستون أنها كانت معبدا من القبان نشر ٤ ، Jernesian Journal, Chap XV p. 332 .

ونقدم لنا صورة مخشورة في مجلة The Academy ( ٨ يناير سنة ١٨٧٦ ) الفصائح التالية عن مصابيح ملهية مبنية مسوعة من ، حادة مصفوفة زرقاء ، تكلفحت في هيسنوايك على يد النكتير خلتيلز ووجدت مركزة تحت الفروع الخاصة التي ربما كانت حلافا بها . وقد أجرى عليها فحص بمعرفة المقام لآدمبر - انظر : (Berg. Raktam-Zeltung. XXXIV- 490) أظهرت فيها سلطات النحاس . وقد كان من تزيين اللحن ، محبلا للتمثيل في كريتيرس تكفروا يفسرون الفصائح للسان في ذاكرة بيرين . ويبدو أنه من المستحيل أن تكون هذه حيا لوسفوية ، وأن اللون الأزرق قد انتقل إلى اللحن عن طريق خضه وهو فيه درجة الامرار في الماء وتحويل السطح إلى سلطات التمثيل .

ويلاحظ أن الفراصة ظهورهم وهم يرتدون هذه الخوذة الزرقاء في منظر التماثيل وقتها كانت في نظام الإسرائيل مرسمة بسلطات من الذهب . ولذلك قلنا أن تكون من اللحن . فلذا لم تكن من سلطات النحاس فلذلك أنها كانت تصنع من الصلب الذي يعرف في القندل حالته مقلداً في حين الجفر وغير ذلك من الأسلحة التي ترسم على الآثار باللون الأزرق .



رسميس الملكين المرسوم في القبر

والصعدي والاكمام والاساور ، فكلها من الذهب المصنوع بالأحجار  
الكرينة • اما الأرضية فهي خضراء ذهبية • ويحوم فوق رأس الملك  
النسر لنفس وشعار الالهة موت وهي تسبك بمخالبها نوعا من اللوحات  
المعدنية قد رسمت عليها علامة النخ •

### الحائل الجنوبي

الموضوعات المرسومة على هذا الحائل هي كما يلي :

١ - رسميس بالحجم الطبيعي يصعد حائلة القرايى • ويرتدى  
الملك غطاء الرأس القماشى • النس • منطوط ذهبية وبيضاء ومرغرف  
بالأفنى • وقد تكتست الحائلة كما هي المادة باللحوم والطيور والأزهار •

والسطح هنا سليم وتفاصيل هذه الأشكال قد نفذت بدقة مذهبة ، حتى أطراف الريش السوداء المثقبة للأوزات التي تنب ريشها قد رسمت بنفس احتلاص ألغن الصيني ، بينما ظهر جرح أحمر في صدر كل طيرة يوضح كيف تم ذبحها للتضحية - أما الأربعة فلد كانت مكونة من قرصين ، الصغير قوى الكبير وهو ما يطلق عليه علميا اليوم اسم *Cottage loaf* وبها نفس الهبوط الملوى الناتج عن ضغط اصبع الشيلز ، وتتوج المجموعة أزهار اللوتس واليرى في شكل باقات .

٢ - حاملان ثلاثيان من طراز لطيف ورشيقي يحملان الأزهار .

٣ - الباري *Barry* أو القارب المقدس ملون باللون الذهبي وبه الحجاب للمتاد نصف المرخي عبر النافوس أو المقصورة ، وقد أصبحت مقدمة القارب بطرقة واضحة ، وريدت بالمعنى الرمزية *هاتل* (١) تسبقها مروحة مبخمة من ريش النعام . وقد ظهر وكنب القارب في شكل غلاف سوداء صغيرة يركع أحدها أمام مؤخرة القارب بينما يجثم آخ كمانيل ( أبو الهول ) بجسم أسود ورأس يقرى ويراقب مقبلة الملك وهذا التمثال يمثل الملك (٢) .

وعلى هذا الحائط ، وفي الفراغ الموجود بين القارب المقدس وشكل الملك رمسيس ، يجري النقش التالي المنحوت تحت بارزا وألوان بالوان زاهية :

(١) هذه العين التي تسمى الوجهات ، استقسمها المصريون بكثافة للريشة والتأريذ أثناء حملهم ، وكثيرة مع الفيت ووجدت في شكل عين على دميون يصرى - وتمثل عين حورس وهو ينظر الى الآفاق الشمالي والجنوبي في رحلته من الشرق الى الغرب من الشرق الى الغرب . وقد ذكر سير جزيير في ترجمته لقال آشوبه لأمون رع - ما يلي : « الشمس التي تدير من الشرق الى الغرب تكشف بسميتك حافة الشمال وسفلة الجنوب » انظر *Review Arch*, vol. xxv 1878, p. 287

(٢) أنظر صورة طبق الأصل لآلة القارب مطبوعة على الحجر في كتاب مسمر ليلبير سفيروت « اهرلكت تراهة : Villiers Stuart's « Nile Glenings » Murray, 1879.



**ملحوظة :** - يقرأ هذا النقش حسب أرقام الأعمدة  
 فيبدأ الكاهن برقم ١ ويتجه إلى اليمين ثم يعود مرة  
 أخرى إلى العمود رقم ٧ ويقرأ بقية النسخ في اتجاه  
 اليسار . أما الممران للممران بالغرفة A في الجزء  
 السفلي من العمود رقم ٥ فيملؤها خرطوشا الملك  
 رمسيس الثاني .



## الترجمة (١)

قال تحوت سيد سيسلو (٢) الساكن في آمون هري (٣) أقدم  
 لسيادتك الأبوية على القطرين يا ابن جسي المحبوب . وع - أوسر -

(١) تمت ترجمة هذا النقش للطبعة الأولى من الكتاب بمعرفة المرحوم دكتور بدران  
 لما بالنسبة للطبعة الحالية فالتى حققة للنقل للمترجم السيد ١٠١ . واليس برج بهذه  
 الترجمة .

(٢) سيسلو هي قصور في هرميوبوليس .

(٣) جبل عذرا .



ماعث ، منتب - ان - رع . مالك الكا . تقدم لك الأعياد التي لا تحصى  
لرئيس محبوب آمون ، رع - أوسر - ماعث ، منتب - ان - رع ،  
مير كل شيء يصور فوقه قرص الشمس ، الإله الحي الوسيم صانع الأشياء  
العجيبة لأبيه تموت صيد صيغو الساكن في آمون حري . الذي صنع  
أثارا قوية وحيلة تواجه الأفق الشرقي للسماء الى الأبد .

ومعنى هذا أن تموت يوحه حديثه الى رئيس الثاني ثم يعيش  
ويحكم . وهذه خمس طوئل وأعياد يوبيل (١) عديدة في مقابل الأعياد  
التي أقيمت لشريف تموت في ( أبو سنبل ) وغيرها من الأماكن .

#### المحافظ الشمال :

لقد دسست في الطرف العلوي من هذا المحافظ سيفته بالحجم  
الطبيعي ترتدى غطاء رأس أزرق دليق الصنع يعلوه قرص الشمس وانتان  
من ريش النعام . وتمسك الصنع بيدها اليسرى ، بينما تمسك بيدها  
اليسرى الصولجان الذي تعلوه رأس ابن آوى . وهذا الصولجان مما يخص  
الآلهات ، وأن غطاء الرأس هذا يخص الملكة كما هو مبين على واجهة معبد  
سنحور . وقد استنتجت أننا هنا أمام صورة نصفية للملكة نفرتاري في  
مواجهة الصورة النصفية لرئيس النامي على المحافظ المقابل . وتوجد  
بالقرب منها حائكة قرابين ، وضعت عليها ضمن أشياء أخرى - قرع  
زهرينات ذات لون أزرق غامق مرسوم عليها شرائط أفقية باللون الأصفر .  
وبما كانت تمثل نوعية الزجاج الملون الذي يطلق عليه اسم  
False Murrahine (٢) . وتحتوي كل من هذه الزهرينات على مثل

- (١) أحدهم يوبيل هذه التي يحتفل بها كل ثلاثين عاما . كانت أعياد عظمة نظام  
بعد مرور كل فترة ثلاثين عاما من ارتقاء الفرعون السلط للعرش .  
(٢) يوجد مايتلف للبريطاني عهد من التقارير والفتاوى التي ينطبق عليها هذا  
الوصف تعود تاريخها الى أيام الأسرة الثالثة والعشرين . إنظر المستولى رقم ٢٢ بالفرقة  
المصرية الثانية بالمتحف البريطاني . وهي مصنوعة من الزجاج الأزرق نصف الغلاف .  
ومجهزة بشريط متحركة من اللونين الأبيض والأسود للتمثيل .

الصوير . أما لون الأرضية فهو أصفر غامق يحاط بتقسيمات فرعية  
فرعية اللون ، وقد اعتيرناها نماذج لحبوب النورة المكسفة على شكل  
الهرم .

وأجرا ، فإنه يوجد على الحائط المقابل للغرب المقدس، وهو مرسوم  
بطريقه عكسيه حيث تنجه مقبضته إلى الشرق ، بينما تستقر يمينه على  
مدبح رمن في منتصفه مرطوشا ومسيبى الثاني ، وقش ميروغليلى  
صغير يسمى . « محبوب آوى رح . ملك الآلهة ، الساكن فى ارض كينوس  
( الربة ) »

وبعد منه النقطة وفى الغرب القريب من الركن الشمالى الشرقى  
للرفة ، نجد أن الرمل المكس يمتد غير ذلك مما يمكن أن تحتويه  
الرفة على سبيل الزخرفة .

### الحائط الشرقى

إذا كان الحائط الشرقى مزجريا مثل الحوائط الأخرى ( ككيفية  
مسلم بها ) فإن لوحاته وقوشه تختفى خلف الرمال التى يصل ارتفاعها  
هذا إلى السقف ، علما بأن المنخل الموجود فى هذا الحائط يحتل مساحة  
يبلغ عرضها ٤ أقدام ، ٣ ١/٢ بوصة فى الجانب الداخلى .

وبقى جزء لا يرد من ذكره عن أهم الأحداث التى تتعلق بحجر هذا  
الهيكل الصغير . لقد وصفت صورة السيدة التى فى الطرف العلوى  
لحائط الشمالى ، وكيف أنها تمسك المنع فى يدها اليسرى ، والصولجان  
الذى يحمل راس ابن آوى بيدها اليسرى . واليد التى تمسك المنع  
تمتد إلى جانبها ، أما اليد التى تمسك بالصولجان فهى نصف مرفوعة .  
ويشاهد تحت هذه اليد المرفوعة سبشرة ، وعلى ارتفاع ما بين ثلاثة إلى  
أربعة أقدام من المستوى الطبيعى للأرضية . وعلى السطح غير الملون  
للجص الأصل ، عدة صفوف من الكتابة منط اليد . وقد رسمت هذه  
الكتابة بالفرشاة والخبر ، هذا إذا كان لونها أسود فعلا لأنه أصبح  
الآن نيا . ووجدت منها خمسة صفوف طويلة ، وثلاثة صفوف قصيرة  
لم تسمى ، وتحتها آثار بعض خطوط أخرى قد طمسها الرمل .

وسرعان ما عرفنا أن هذه الكتابة الجذابة الباهظة قد كتبت لما بالخط  
الهيراطيقى أو الديموطيقى . واستطعنا أن نميز فى خطوطها بين الأشكال  
التي اعتدناها فى الكتابة الهيروغليفية ، لأنها تتكون من طيور وأفاع

وقولرب، ولا شك في أنه كان شيئا غريبا وقليلاه في عقولنا يومئذ الكتابه  
التي كتبها اليه، لو المرخرف الذي رتخرف اليه . ولما كانت الكتابة  
منسوقة لصل صورة طبق الأصل من النقش فقد نقلته ثلاث مرات .  
وكانت أفضلها آخرها ، وهي التي نشرناها هنا مع ترجمة بقلم الرحوم  
الدكتور بيوش . وسلم جسيما مدى صعوبة النقل اللغوي عن لغة يجهلها  
الإنسان ، وإن حذف أية اجتناع أو نقطة صغيرة يشير ضرورة كاضية بالنسبة  
لصنى هذه الحروف القديمة ، وفي الطرف الحلال فإنه مهما كانت العناية  
التي نل بها النص فلا بد من وجود أخطاء ماثلة لأنه كان غير مفهوم في  
بعض الأماكن التي سقطت بها لغرات حتمية ، ولكن بقي ما يكفي لبيان  
أن الخطوط لم تكتب بيد الفنان كما افترضنا ، ولكن بيد زائر مدرسي  
لم يستطع لسوء الحظ أن نلين اسمه . وكان هذا الزائر هو ابن أمير  
كوش ، أو كما هو مكتوب حرقيا الابن الملكي لكوش وهو القلب الرسمي  
لحاكم اليبوبيا (١) ؛ لأنه كان هناك ثمانية حكام لايوبيا على أيام رمسيس  
الثاني . ( وربما أكثر ولكن لم نصل اليها بنية أسماهم ) ومن الحال  
أيضا أن نصل من تخمين أصل زائرنا عليه . وعلى أية حال فقد عرفنا  
أنه أرسل إل هناك للإشراف على البناء شارع ، وأنه بنى قولرب لقل  
البضائع ، وأنه مارس وظائف . وبعد أن أخذنا في اعتبارنا الأرض  
والنقوش والزخارف تبقى لنا الاسابة على هذا السؤال :

ما هي طبيعة وخاصة الأثر الذي وصفناه الآن ؟

أله مساحم لبوابة ، وكما رأينا ، كان مكرما من هرة مقببة  
مبنية بالطوب ، وهيكل محفور في الصخر . وقد رسمت على حوائط  
هذا الهيكل آلهة مختلفة مع صفاتها ومع القرابين والعبود النصية  
للملك وهو يقدم فروض العبادة . أما القلب بارى فقد ظهر مرصوما  
على الجائطين القبائي والجنوبي للمدخل . وحده هي المعالم الأساسية  
لصيد أو مكل . ومن جهة أخرى لابد من تسجيل اعتراضات مبسطة على

---

(١) حمل حكم اليبوبيا هذا القلب حتى عندما لم يكن من أبناء الأسرة الفرعونية  
السلطنة .

وهناك حقيقة غريبة تلخص في أن حكمنا اليبوبيا على أيام رمسيس الثاني كان يدعى  
عيسى *Isis* أو سحر *Isis* ونفس ( ابن ) أو ( حلال ) . وهو نفس الاسم الذي  
والآن نرى أن المسمى حوسر كما ورد في الكتاب المقدس كانت قد تطلت أبنه فرعون ، منار  
حقل ابن لها . وله تذهب بكل حكمه للمصريين . وتروج امرأة كوفية موداه ولكنها  
عليقة الوجه . وربما كل من المبالغة أن نطلق في امكانية وصوله الي مجلس حاكم  
اليبوبيا أو الابن الملكي لكوش .

حدد المقدمات للمنطقة - لقد تهيأ لنا أن البوابة قد بنيت أولا وأن الحائط الجنوبي الذي يمتد في مرحلة تالية قد أقيم في مقابل مستنق البوابة حيث يبدأ ظهور القصد - وإلى جانب ذلك فقد كانت البوابة ملحها صحنها غير متناسب الأبعاد بالنسبة لأثر صتيه بلغ طوله الكلي من المنسل إلى الحائط الغربي للهيكل أقل من ٤٧ قدما - ولذلك استنتجنا أن البوابة تنتمي إلى المعبد الأكبر ، وقد أقيمت في الجانب بدلا من إقامتها أمام المواجهة - بسبب صيق الفراغ الذي يفصل الجبل عن النهر (١) .

ولفس هذا السبب نجد أن البوابة التي في كوم أمبو قد أقيمت بجانب المعبد وعلى مستوى أكثر انخفاضاً - أما بالنسبة لهؤلاء الذين قد يترشون قائلي أن البوابات المقامة في الطوب اللبن من الصعب الحفاظ عليها من عباد العجزة الأولى ، أقول أن بقايا البوابات المشابهة ما زالت موجودة على قمة ما كان يعرف يوماً بأنه المرمى الذي يعود إلى المعبد الأكبر في وادي حلما - ويمكن افتراض أن هذا الأثر الصغير رغم ارتباطه بالبوابة عن طريق متصل وسلم إلا أنه أضيف في تاريخ لاحق .

وما دام هو مجرد إضافة بصرف النظر عما تعنيه هذه الكلمة فإن المبني لابد أن يكون معبداً .

وحتى مع ما يتيق بذلك الاستنتاج من شك ، فإن الهيكل لا يوجد به أثر للمذبح أو قطعة من صير حجري أو صورة منحوتة أو عرش من الجرانيت ، كما هو الحال في خيلة ، ولا حنية مقنصة كما هو الحال في دمنرة . أما راية حورس أوزيريس ( التوج ) التي سبق أن شرحناها فهي تحتل وسط الحائط في مواجهة المنسل ليس كآله حارس ، ولكن كوسيلة للزخرفة للمصل بين الموضوعين الكبيرين اللذين شرحناهما .

ومرة أخرى نجد أن الآلهة المرسومة في هذه الموضوعات هي الآلهة دج وأمون رع والآلهة الطارسة للمعبد الأكبر ، ولكننا إذا عدنا إلى النقش الذي شرحناه من قبل نجد أن تصورات التي لم تظهر صورته على الموائط حطقة (٢) ( إلا بوصفه واحداً من الآلهة الصغيرة في الأفريز ) ، هو في

(١) توجد على يد حفصا من أعمال المعبد الأكبر ، وحالة مجرى النيل ، كتلة غير متطابقة الشكل من الأطلال التي كانت مقامة بالطوب اللبن - ومن الممكن أن نجد تركيبها أن تدعى للمذبح بواجهة ثلثة مكملة لتلك التي كشفنا عنها جزئياً في الجديب -  
(٢) ربما كان مرسوماً على الحائط الشمالي للنيل بكمية الرمال .

الحقيقة الاله المتصغر للمكان . وهو الذي يستقبل رسيس وسيرايميه .  
والذي يجعل التعظيم القم له بمعرفة إلهه المحبوب . والذي في مقابل  
الآثار العظيمة التي شيدت لتكريه . يد الملك بأنه سينال . سيادة أبديه  
على المقربين . »

والآن نجد في تحوت هو اله الخطابات العظم - ويسوف بأنه اله  
الكلمات العظيمة واله الكتابات العظيمة ، وقريب الحقيقة ، وهو يمسد  
الدكاء الالهى . أنه حلى الفى والملم . وصاحب الفضل في اجترار  
الحروف الأبجدية ، وكما ورد في واحد من أهم خطابات شامبلتون من  
طبية (١) فإنه يتحدث عن الخراف التي في الطرف الغربي للرسيوم  
وكيف أنه وجد فيها مدحلا مرحرا بأشكال تحوت وسافيك (٢) . تحوت  
بوصفه رب القلم ، وسافيك التي يرى وصفها بلقب سيده لانة الكتب .  
وتوجد في دندرة غرفة مخصصة للكتابات العظيمة وقد تقلبت حواملها  
كلها بغائنة لكدور المسد من المخطوطات . وفي أدلو بنيت خزانة بين  
أسطولي في صالة الاجتماع وحصنت لنفس هذه الرضى . وماحصاد  
فان كل عهد له مكتنته الخاصة . ولما كانت الكتب المصرية تنسخ على  
البردى أو الرق لم تلف في أشكال أسطوانية ، وتخزن في صناديق .  
لذلك لم تكن تحتل الا مكانا ضيقا فكانت الجدران المخصصة لهذا الغرض  
صغيرة الحجم .

وكان من رأى الدكتور بيرش أن هذا الأمر الصغير ربما كان مكتبة  
معد أبي سنبل الكبير . أما الحال كذلك فأننا نكون قد تحدثنا عن  
عدم وجود المذبح وتصور دح وأمون دح في اللوحين الرئيسيتين ، ما ليه  
الكفاية . أما الاله الذى يرمس المحبد العظيم وحامى رسيس الثانى فمن  
الطبيعى أن يحتل في هذا المبنى الثانوى نفس المواضع التي يحتلها في  
المبنى الرئيسى ، بينما ظلت المكتبة بوصفها من ممتلكات تحوت ، تحت  
حماية آلهة المحبد الذى خصصت له .

ولا اعتقد أننا سألنا أنفسنا يوما كيف بقى هذا المكان متقيا طوال  
هذه العصور . سيما تمل جنته على مدى الفترة الزمنية التي ترك فيها  
مهبورا . ولو كان مفتوحا على أيام خلفه رسيس الثانى ، فلا بد أنهم  
كانوا قد تسحلوا في القنوش والخراطيش كما هو الحال في أماكن أخرى .

(١) الخطاب رقم ١٢ من ٢٢٥ من أكتبة الجمعية . باريس . ١٨٦٨ .

(٢) قصد هنا الآلهة سفات آلهة الخطية . ( المراجع ) .

و استبدلوا حراطيشهم بحراطيش المشى . ولو كان مفتوحا على أيام  
البطالة والقياسرة لكان السياح الاغريق والفارسيون الرومان والعرباء  
القادمون على يبرطة وقلد آسيا الصغرى قد حروا أسماءهم على البارصتهم  
الراسيتين للباب ، وشوهوا صورهم على الحوائط . ولو كان مفتوحا في  
أيام المسيحية اللدوية لكادت النقوش قد غطيت بالطي ودهست بالجير  
ورسخت فوقها الصور القديمة للقدسي مار جرجس والمائلة المقدسة ،  
ولكننا وجدناه سليما مثل قبر كان مغطيا تحت القلاع الصخرى في  
الصحراء . ولهمه الأسباب اظن انه لم يستعمل بعد استكمالها مباشرة .  
وهناك بعض الشك في حدوث موجة من موجات الزلازل خلال عصر  
رسميس الثاني بطول الضفة الشرقية للبحر الميتة من بعد وادي حلفا  
وحتى شمالا حتى جرف حسي . وأن مثل هذه الهزة قد حدثت المبد  
للتعرج في الدرع وجرف حسي والتي حسيما اعتقد قد حملت المساهد  
الأربعة الأخيرة علامات تبين أنها انضمت بمعرفة القراعة اللاطخ، مما يفيد  
بأنه قد هجر نتيجة الخراب الذي ألم به . أما هنا فقد حزت الزلازل  
جبل الحب الكبير ، وشرحت أحد أهم أرووريس بالقاعة الأولى (١) .  
وخطبت أحد التماثيل الأربعة الكبيرة، مع أحداث أصابت صفيحة أو كبيرة  
بالتماثيل الثلاثة الأخرى ، وطرححت البوابة الضخمة المبنية من الطوب اللس،  
وحولت جناح المكتبة Promos الى كومة من الخراب . ولم تدمر فقط  
جزءا من الهيكل المظور ، بل شملت أيضا صنفا رأسيا في الصخرة  
يبلغ طوله حوالي ٢٠ أو ٢٥ قدما .

(١) لكل على فخر هذه الهزة أو الزلازل أثناء حياة ذلك رسميس الثاني . حادثة  
أن السمود الأرووريس حتموع ، وأن هناك حلفا حنيا لتتبع المومدين الاخويين الى الهيكل  
عند الجرف الطوي للثلاثة الكبير . وتوجد على هذا الحائط لوحة ضخمة يقفها نقش  
ميروغفوس محفل يحده تاريخه الى السنة الفلسفة والثلاثين من حكم رسميس الثاني  
في اليوم الثلاث عشر من شهر ثوية . أما القراع اليميني للتماثيل الضارحي الواقع الى  
اليمين من الهيكل الكبير فقد مهم بالقلة ذراع حسنة للمرض بليت من الطوب المربع للشكل .  
وهذه من القراع الموجودة التي لم يوجد مثلكا في أي من المروحي الأربعة . وقد  
اكتشفت بيس مارتيتو اصابة جزء من الهيكل المسمى للتشال كذا في النص القديم ،  
وأخضا جزءا من الزء الذي يرفيه أحد تماثيل أرووريس في الصلاة الكبير - وادي  
سيرة قوتوغرافية اكتشفت عندما كان سحرى الرجال كثر استغلوا من محتواها الخطي  
بعدة أقدام . وهي أن المائق اليميني للتماثيل الشمالى ليست هي الاخرى لا نتيجة اصلاح  
واسع النطاق . وقد بنيت في شكل كتلة ضخمة مثل ذراع حسنة الحوش ولابد أن تضفيها  
قد جرى فيما بعد .

ومع مثل هذا الممار الشديد الذي يصيب إصلاحه والذي حدث  
 لنفسه الكبير ، ومع ذلك الجبر- الكبير الذي تم إصلاحه فإن الأمر يسرع  
 الأسباه . ولا عجب أن هذه المباني المصنوعة من الطوب اللبن قد تركت  
 لمواجهه مصيرها (\*) وربما استنطاق الكهنة أخذوا الكتب الخمسة من بين  
 الأتقاض تم هجروا للكنان .

ولا شك في أن الكتب مما ذكرناه هنا قد لوردها عن طريق التخمين .  
 ولكنها تعرض أنه سبب كلف لتفسير الحالة الجيدة التي وجدت عليها  
 الحجرة الصغيرة عندما وصلت إلينا في عصرنا الحالي . وهناك تفسير  
 عطفي آخر ليعيب الحطوشي الأحيين وتسجيلات النذور الإغريقية  
 واللاتينية . والرموز المسيحية ، وما تلا ذلك من تصويها مختلفة الأنواع ،  
 فيما عدا ما يمتلي برأى معاصر واحد هو ابن حاكم كوش ، فأننا عندما  
 فتحنا المكان وجدناه لا يمتوى على أية تسجيلات نتجنت عن روبر هايرين ،  
 أو توتيج مشوه لأحد السياح أو علماء الآثار أو العلماء الممتكشفين .  
 وكذلك لم يتكشف ذلك بلروني أو شاميليون ، وحتى لبسيوس مر عليها  
 مرور الكرام .

وقد يحتمل أحيانا أن الأبنية الممتقية التي سجل اكتشافها في  
 حده ذاتها تفلت من المصص لأن أحدا لا يفكر في البحث عنها . ولكن لم  
 تكن هذه هي الحال في الوقت الحالي ، فقد جرى البحث هنا عدة مرات  
 حتى اليوم .

(\*) أثناء ترجمتي لهذه الفصول المتطعة بالثر النوبة التي كانت موجودة طه  
 ١٢٠ عاما ، تذكرت التي كنت أعمل عليها مرانبة جوية بمطار شوان عام ١٩٦٥/٦٤  
 وحضرت الاحتفال بتحويل حجر التل الذي انهم في مصر القزيم الرأسل جبل  
 عبد الناصر ، ونتج عن ذلك التحويل تمهيدا لبناء قنصل الصائير - الخراق معظم أراضي  
 النوبة والارها تمت جراه بحيرة ناصر - فيها هذا ما تم استغلاله بالسلسلة التي دعت  
 اليها اليونسكو حيث كان قد تم نقل معهد كاليفر ومجيس ( أبر حبل ) إلى أماكن  
 جديدة . وبه رتقا جميعا في مؤلفها الجديدة حينذاك بعيدا عن البحيرة . أما بقية  
 الآثار التي ليست لها أهمية قصوى قد قامت هيئة اليونسكو ومعه في تلك سلطات  
 هيئة الآثار حينذاك بتمويرها وتسجيلها وعمل كتابات عنها وفي محفوظه بمرر تسجيل  
 الآثار بالرمالك وفي جميع الأحوال يصبح ما لورته مؤلفة هذا الكتاب - تسجيلا له أهميته  
 القصوى ومصدرا عظيمنا نظريه وجرائمه أولي النوبة التي اغرقها للبحيرة ، ولم يعد  
 لها وجود - ( المترجم ) .

ويبدو ان الفخديو عثما كان يريد تسليط الضيفوف للشهودين الذين كان يرسلهم في ذهبيات فضة للرجلة عبر نهر النيل (١) ، كان يرسلهم ريوه علوا ، أو عدة اقدم مربعة من مقبرة شهيرة ويسمح لهم بالحقن الى العمق التي يرغبونه ، ويسمح لهم بالاحتفاظ بما يعثرون عليه من آثار . وكان في بعض الاحيان يرسل فتيان الكشفة لسطر الأرض لاكتشاف مقبرة لم يتركوها دون ان يفتحوها ، لم يسمح للزائر الجليل القدر بالكشفها . وعندما كان فتيان الكشفة لا يوفقون كما كان يحدث احيانا ، فانهم كانوا يعيدون اغلاق مقبرة قديمة بمثابة تم يصادفتها مرة أخرى بعد يوم أو اثنين بين مظاهر الفرح .

• وقد ذكر لنا الشيخ وشوان بن حسن الكاشف ان ذلك حدث في سنة ١٨٦٩ عندما وصلت امبراطورة فرنسا الى ( أبو صتيل ) ، كما حدث مرة أخرى سنة ١٨٧٢ عندما جاء أمير وليرة ويلز ، وكيف أنه تسلل اوامر مشددة بالبحث عن مقبرة لم تكتشف بعد (٢) لكي يحسن الضيفوف بالادرياح لافتتاحها . ولفاض أنه لم يجد هناك مكان بين الصخور والوديان على جانبي النهر لم يفسحه دون ان يجد شيئا . ولكن وجود مثل هذه البرية ( المعبد ) كان سيخلف موقفه امام الحكومة ، وسيستج له الحصول على مقشيش كبير من ولي عهد الامبراطورية في الوقت الذي كان فيه قد قال التوبيخ لانتقاره الى الاجهاد ، واعتقد أنه صار مندوبا من ذلك الحين .

ولكن انتهى هذا الموضوع يجب ان اذكر هنا ان المبني بالرغم من انه مدفون في الخارج الى عمق حوالى ثمانية اقدم ، فان الهيكل قد اعتلا من الداخل برشح تدريجي متساقط من أعلى . ولا بد ان ذلك قد حدث عندما كان المتحدر الرمل القديم في أوج ارتفاعه . ولا بد ان هذا المتحدر الذي اسفل في حط متصل عبر واجهة المعبد الكبير ، كان مرتفعا هنا في يوم ما الى ٢٠ قدما فوق المستوى الحالي . ومنذ ان اتخذ الرمل طريقه الى أسفل الصدع الصوي الذي ذكرناه من قبل . وقد ارتفعت كومة الرمال في الركن الذي حلف الباب حتى السقف ، في شكل يشبه الرمل المتراكم هذه كائنة لأسلحة الرملية . وقد أبلغني الرسام أنه عند اكتشافه لينة المدخل مع احدى الفتحات لأول مرة ، اهالت الرمال من الداخل مثل الماء الذي ينطلق من حين حادثة .

(٢) يلاحظ هذا القول على الفخديو السابق لسماعيا، بالقاء الذي كان يمكن حصر حته نظير هذا الكتاب، وبجده في خطبة الأولى - ( مخطوطة مضافة الى الخبيرة القليلة ) -  
(٣) توجد حقاير جديدة في القواعد التي خلف المعابد - ولم نعلم نحن بمشاهدتها -



وهنا نجد دليلا ايجابيا ( هذا اذا احتاج الأمر الى تحليل ) على اसा  
ثبوت من دخل الى المكان . من ارتفاع المنحدر الرابح حتى وصوله الى  
مستوى قمة المنحدر .

وكتب الرسام اسمه وأسماءنا مع التاريخ ( ١٦ فبراير ١٨٧٤ )  
في مساحة خالية من حائط حال من النقوش فوق الجانب الداخل من  
المحلل . وهذه هي الشخصية الوحيدة التي ترك فيها أي فرد منا اسمه  
على أثر مصرى . وعند وصولنا الى كوروسكو حيث يوجد مكتب البريد ،  
أرسل الرسام خطابا الى جريدة التايمز يحوى باختصار الحقائق المتعلقة  
بهذا المكان . وقد نشرنا هذا الخطاب الذى نشرته الجريدة فى ١٨ مارس  
التالى في التلايدل الذى فى آخر هذا الكتاب .

وقد علمت فيما بعد أن أسماءنا التى سجلناها قد شوحت جريا ،  
ولأن الرسوم الجدارية التى أحسننا بالصيانة ونحن نحبب بجمالها  
وجودها قد جرحت . وهذا هو قدر كل أثر مصرى سواء أكان كبيرا أم  
صغيرا . فالمائع يشغل الآثار كلها بالأسماء والتواريخ وأحيانا بالرسوم  
الهزلية ، وكذلك فإن دمار علم المصريين يبطل دولة يشق بها كل أثر  
باقى من الكون الأصيل . أما جميع المتحف فإنه يشتري ويقتل كل شيء له  
قيمة يستطيع أن يتوصل إليه ، ويقوم الأعرابي بسرقة الآثار لحسابه .  
وفى نفس الوقت تستمر أعمال التخريب على قدم وساق ، ولا يعمل أحد  
على وقف هذا النزيف أو عدم التشجيع على المكسب فيه . واستمر عمل  
التشويه للمزيد من الأثر والتمثيل . ويعتوى متحف اللوفر على  
شكل بالحجم الطبيعي لكذلك مبنى الأول ، قد نزع بكامله من مقبرته  
بواذى ملاير الكوك . وكذلك فإن متحف برلين وكورين وفلورنسا أغنية  
بالفراب التى تحكى قصتها الذاتية التى يرى لها . ليس من الغريب  
أنه فى نفس الوقت الذى يدخل فيه العلم الى مكان ، يدخل خلاله الجهل  
أيضا الى نفس المكان ؟

## الفصل التاسع عشر

### العودة من خلال أراضي النوبة

يوجد أربعة عشر ممبدا ما بين أبي مسبل وجريرة قليلة . بخلاف  
مخاربات والمقابر والمزارع الأخرى . وكقاعدة عامة فإن الناس يبدون  
في الإحساس بالتعب من جهة المعبد في مثل هذا الوقت ، ويمطون  
أصواتهم في غير صالحها بقدر كبير ، ويجوس السباح المتواضعون خلالها  
كنوع من أداء الواجب . ولكن العدد الأكبر منهم يتحرد . ويؤسفني القول  
بأن الروجيين المسعدين اتخذوا مسارا الفالبية ، ولم ينعجوا في إعلان ذلك .  
لقد أعلننا صراحة أنها يفسحون بالمثل ، لدرجة أنها تجعلنا معبدين عديدين .

أما من نفسي . فأنني لم أشعر بالمثل من المعابد أبدا ، وبالرغم من  
كثرة مبعدي إلا أنني أود دائما أن يكون عندي أقل ، وتوضح لنا ميس  
مارتينيه كيف أنها وهي في هذا الجزء من النهر ، نادرا ما كانت تسبل  
بالجلوس إلى الأفطار قبل أن تكون قد اكتشفت ممبدا . ولكنني كنت  
أستطيع أن أتناول الإفطار وأتندى وأتشفى على الممبد . لقد كانت شهيبي  
للمعبد لا ترتوي . وكانت تنفج مع ما يتخذى عليه . لقد حوت بها  
جميعها ، ودونت مذكرات عنها كلها ، وفحصتها كلها .

وأقول أنني سوف أنشر صريحا العدد القليل من هذه المذكرات .  
والقليل من هذه الرسومات التخطيطية ، ضمن هذا الكتاب . وسوف  
تفضل المزارع - إذا ما أحاط بها حلفائها المحليون - في أن تنير اهتمام  
هؤلاء الذين يسافرون بمبدا لكي يشاهدوها . وليس من المفروض أن  
تثير القراء في الوطن . وربما ظهر شخص هنا أو هناك يهتم بأن يكتب  
معي على كل تمثال ، وأنت اقرأ معي كل خرطوش قليل الوضوح ، وأن  
يتلقى القاترات اللغوية والرومانية ( التي لا تتضح في أي مكان آخر  
بخلاف هذه المسامي النوبية ) والتعود البطي للطرز المصري . ولكن  
العالم يحتفظ لنفسه بالبرء الأكبر منها - خاصة ما يتعلق بالمعبد الرمسة

المطبخ والاسماء الكبيرة التي ترصدت في المناسبات ، وطرا لأنه لم يعرف  
 جينا إلى النساء الكرنك ، واي سبيل ، والاكرام ، هذه يحترق عددا  
 ضئيلا من هذه الآثار الأصغر والتي تؤرخ لفترات الحكم ادجيمي  
 واضمحلال الفن الوطني . ولقد الاسيب . اقترح ان نتجمل وباحصار  
 شديد العديد من الأماكن التي منحها ساعات طويلة من العمل التي  
 لدرجة .

وغادرا معه أي سبيل عند شروق القمر في مساء يوم ١٨ فبراير،  
 والتينا بانفسنا مع الكتيار لمسافة ثلاثة او اربعة كميل قبل ان نرسو  
 لتضاء الليل . وفي الساعة السادسة من صباح اليوم التالي بدأنا في  
 التجدد . وفي حوزل الساعة الثالثة والنصف كانت رؤوس التماثيل  
 الاربعة الضخمة لا تزال ظاهرة بعد ان عبرنا سلسلة من التلال المتوسطة .  
 ثم أصبحت كلها على بعد يخطو خمسة كميل على خط مباشر . ولكن كما  
 العالم كانت واضحة في ضوء النهار ذلك . وكنت أرفع ثانية وثلاثة مع  
 استمرار يقالها على مدى النظر ، ولجرا لوجت لها بتحية الوداع . بنفس  
 الفصح القليل الذي يصحب المناظر الجميلة في جبال الألب .

وعندما اتول لنا قمينا سبعة عشر يوما للخروج من ( أبو سبيل )  
 ال حرارة خيلة ، وان الريح كانت كل يوم ضدا من شروق الشمس حتى  
 غروبها ، فإن ذلك يرجع كيف كان تقدمنا بطيئا جدا ، خاصة بالنسبة  
 لأولئك الذين تميروا من مشاهدة المعابد ، والبشارة الذين عاونا من الأمور  
 في مغرون الحيز ، فقد كانت هذه الأيام الطويلة - (لتي قميناها راسين  
 تحت الضفة ، أو متارجين يميننا ويسارنا ومع الزهر - بقلعة بنا فيه  
 الكفافية .

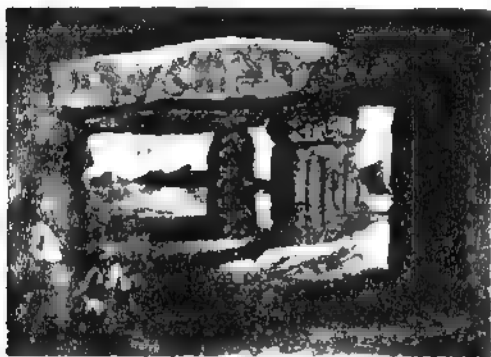
وكانت الأميال تغطي ببطء شديد ، فكانت المرحلة المارة تحيط  
 بنا يميننا ويسارنا دون وجود في شريط أخضر بين الصخر والذهر . وفي  
 بعض الأحيان كما حدث في توشكي (١) (م) كنا نأخذ إلى منطقة واسعة  
 مفتوحة تنسويها التيجار التكيل ، ولزواجات الخروج . وحول التبع التي  
 تجميع فيها السمان . وقد نزل الرجل الكسول إلى الشاطئ في توشكي

(١) تقع توشكي على الضفة الغربية وليست الغربية كما نوردنا في جونسون في  
 خريطة .  
 (٢) في توشكي إلى الجهة الغربية من التل وليست الشرقية كما تنزل المذلة  
 ومنها لوجت هناك توشكي لغروب قديمة جنوب لواند - ( كرايج ) .

ومنه تنبعثه • بينما تساهلت السيلية الصغيرة والكثبية صغيرة مسربة على ارتفاع حوالي ٢٠٠٠ قدم من سطح النهر • وفي كل يومهم تغطي أطراف الضفة موجة من الفيضان على شكل الهلال يبلغ طولها حوالي ثلاثة أميال • ويستطيع الإنسان من هذا الارتفاع أن يساعد متى اتساع الموجة ، وكفى تنقيء طيحا صغيرا عندما تتكون هناك • والحليج الآن مزدور بالشعير الذي يلا السابل ويصل الرياح على أمواجه • وبعد الحيرة تأتي الصحراء ، كلتاها جلب الأخرى في حلة تشبه مواجهة الأرض مع النهر • ويظهر جمال عرالة الصحراء بجانب الفصح الأخضر • ويتسع انتشار فيضان النيل بين الضفاف الرملية مثل بحر من اللد والجرد بالقرب من البحر • أما القرية المربعة التي على شكل متوازي الأضلاع مثل صوق المشية فهي تقع أسفل النهر • وتظهر لطافة الميدان أن المداخل مسودة في مساحة بأحواش مسلوقة بسف الخيل ، أما منزل الشيخ فقد كان أكبر حجما من المنازل الأخرى ويمتد أمامه القصب المتداد ، كما تنتشر أمامه أشجار الجبير • وتتحرك السماء هنا وهناك في داخل الأحواش ، والأدراج في حوله الغروب • يظهر الآن جفارة يشي حلقها طيور من النمايات في اتجاه المفاصل على حافة الصحراء • وكان الرجيل الكسول الرقيق الجسم الذي لف حول قبعته شريطا ، وأخذ يفوض الماء وهو صيف صيف بين أعواد الشجير ، يسلن بين اللقطة واللقطة عن نفسه ، من طريق قلعة في السماء الأبيض • وتظهر مركب للضياع عائذ فوق صفحة النهر دون أي تقسيم يذكر • وهناك فجرة وطنية ترفع شمامرا مهلهلا بين اللون كطفي سرجا مع الريح في اتجاه الجنوب بسرعة تجعلها تصل إلى أي سبيل قبل وصول الليل • وقد تجاوزت القرية الآن • وكانت تلك البقع السوداء التي لم نعلم بها هناك • هي التسانح التي ألقت بنفسها إلى الماء عند اقترابنا ، وهي الآن بعيدة على هذه المسافة غير المحدودة ، وأنتى تشقها ألحاح فضية من النهر • وتنتهي باتساع ضخم ، كزرق وعترامى الأطراف لغومة أن الإنسان لا يستطيع أن يميز النقطة التي تختلط فيها الأرض بالسماء اللهم إلا في وجود ثلاث أو أربع قطع من القلم الأرجوانية التي تبدو في الأفق •

وبعد ذلك تأتي أبريم ثم الدر ثم وادي السدوح • وتوجه في أبريم كما في الدر عائلات حميلة الشكل تصود شعور رؤوسها المقلقة ويعبونها الزرقاء ( المقلبة على حلة أسود بني ) كل أحدها البوسيديين الذين أحضروا إلى هنا سنة ٣٦٠ عاما مضت • هؤلاء يشجعون أنفسهم على الآخرين ويبدلون وجه المنطقة ، وحالهم كبطل ويسلوق إلى الضحار •

ما السوء فيديني ثيابا طويلة مع العديد من الحرور والحلجان وهي اقل  
 حاديه . ويصحن ذواتهن يريتم الخروج أكثر من سائر السوء اللاتي  
 ساهدناهن في أماكن أخرى . وهم يحبطون ايضا دلمسد وقد رأيت  
 هؤلاء العبيد المحوسين وهم يسيرون على الكلاب حلف ساداتهم من  
 اسيدات . ولما كانت السيدتان م . ب تعرفان أن الرق محظور رسميا  
 في أملاك لنديو فقد دخلتا في مساومة مع أحد السماسرة الذي عرض  
 عليهما فتاة حبشية مقابل عشرة حبيبات . ودارب المساومة حول دائنة  
 هذه الصفقة لأن الفتاة كانت تستطيع أن تكتسب ، وتغسل ، وتجنب  
 اللبس ، وتحضه ، ولكنها لا تعرف الطبخ . ولما كانت السيدتان م . ب  
 ليستا في حاجة الى المزيد من الألفس فقد تراجعتا عن أتمام الصفقة .



معبد همدان

وفي الدرعنا بريلدة بوزيغ لندمد - روهندلا عبد عبد قرب  
 نهاية اليوم ، فقررتنا أن نشاهد جمال المظهر للمرة الأخيرة منبرحا نحال  
 الشمس عند الغروب .

والآن فانه بالرغم من جنوب وريح الشمال باستمرار الا أن الحرور  
 تزداد كل يوم . والشمس تصبح ذلك وتظهر لكي تبتهق في حرارة  
 الشمس . وفي صباح أحد الأيام نودى عليا في أثناء الإصطار مشاهدا  
 تمساحين ، أحدهما صغير والآخر كبير ، وكانا راقيدين على صخرة رميلة

قرية • وكان الرجال يستريحون على سجادتهم بينما تضيئ المركب مع  
 المجرى • لا أحد يتكلم ، ولا أحد يتحرك ، ومضينا في صمت حتى أصبحنا  
 بالقرب منها • كان التمساح الكبير ضحيا وأسود اللون مثل مثل مسلي  
 شجرة الغردنر المروعة في لندن ، ووصل طوله إلى ثمانية عشر قدما •  
 أما التمساح الصغير فقد كان ضاحيا بلون أخضر ويطبع مثل الزجاج •  
 ولحظة تحرك التمساح الكبير وحوس جسمه ثم قلز واختفى في طرشة  
 عطية • ولكن كان واضحا أن التمساح الصغير غير مميز للخطر لرفع  
 ذرقته مثل الرأس • وأخذ يرمقنا بعينه من جميع الجهات • وهنا همس  
 أحدها ، وإذا بهذه الهمة تكسر جدار الصمت لأن تمساحنا الصغير رفع  
 ذيله وغطس تحت الطفة واختفى في لحظة •

ولم يفهم البحارة كيف أن الرجل الكسول الذي كان يرقد في  
 ( أبو سليل ) متفكرا ظهور التماسيح قد جعل هذه الفرصة تمر دون أن  
 يطلق رصاصة واحدة • ولكننا منذ ذلك الحين فذكرنا المدببة المشوائية  
 التي جرت عند التسلال الثاني وأنه لم يساهم بأي دور في إبادته هذه  
 المرواحب التاريخية القديمة • وليس من المفوق أن يرغب الرجل الرياضي  
 في الحصول على جائزة واحدة • ولكن هذا الاطلاق الكثير للمطلق  
 المشوائية والذي يعود كل شعبه قتلا وجرحا لهذه الوحوش اليانسة  
 بعمى يتفوق ما بين القتل عشرة إلى ثمان عشرة طلقة لكل بنقبة  
 ليس إلا مذبة فعلية • ولابد من استنكاره بقسوة • وأخذت هذه المخالقات  
 تخطي وتنقاص أعدادها عاما بعد عام • وليس بعيد ذلك اليوم الذي  
 أصبح فيه التمساح نادر المظهر بهذه قرية سبعة • مثلما هو اليوم نادر  
 المظهر به أسوان •

وكان الترمومتر متوقفا عند درجة ٨٥ فهرنهايت في غرفة الصالون  
 بالجمعية فيلة • وذلك عندما وصلنا آل وادي السجوع حيث يوجد مسجد  
 وحيد غارق في الرمال • وكان يتم الوصول إليه يوما ما في طريق  
 للكاش والتنايل الواقعة قد تحطم الآن ودفن في الرمال • أما سيقف  
 النجدة - لو كان هناك سقف - فقد زال • وجميع القاعات الداخلية المبنية  
 في الصخر ومنها لمس الألفس • خاصة بالرمل ومن الصعب عبورها •  
 والبوابات فقط هي التي تلبس خالية من الرمال • وتبدو رغم ضخمتها  
 حشة • بحيث تنقوش تحت صبغة واحدة من الآلة الحريسة التي كانت  
 تستخدم قديما لتقويض الحصون • لأن كل حجر ضخم من أحجارها  
 مقلق • كما أن كل كتلة في الأبريز تبدو متناهية في مكانها • وتدل هذه

الإعلامات كلها على حافات ولرل ( أبو سبيل ) الذي تخيلنا حوته من قبل ( ١ ) .

وعند ذلك الصبوح نشاهد مواطناً مميماً • ولابده من تسجيل حلم الحقيقة بأنها غير عادية • انه رجل شديد البأس متوسط العمر ، يلبس ثوباً قصيراً مهلهلاً ، ويحيط في يده لبقاً من جريد النخيل ، ويقلد لأمنا وتنبه زوجته وثلاثة أو أربعة من الأبناء وهم جميعاً يمارسون التجارة • كنسخة طبق الأصل من التمثال الخشبي الموجود أمام متحف بولاق • وكانت لمرآة ترفضان للبيع يعطي العمل الرخيصة • بينما يصرخ الأولاد جريه حية وتبذلها صفها •

وبينما كان الرسم يسلم على شراء التماثيل والسيدة ( ل ) تستري حرفة للألف • كانت الكاتبة تتعرف الى اثنين من طائر الهند • يشبان في البوابة الضيقة للسيد ويبتزها عشا ضحياً قاماً بيناته • وهما يجلسان يراقبانني بالصغراب وأنا أرسوم لوحاتي • مثل اثنين من النقاد • ويظهر طائر أسود صغير أبيض الصدر ينشأ لنا شجياً ، وهو لا يشبه أي طائر آخر صغير رأيت من قبل • ولكن اللص الذي يشد به من حجرة الصغيرة يماثل في سلوكه وركته شدة عصفور الكناريا •

وكانت المفعية تقف مستجيبة عكس اتجاه الرياح يوم بعد يوم في الشمس • وأحياناً غلبها كان يتصادف وجودنا بالقرب من إحدى القرى كان المواطنون يجلسون الترتيباء على الضفة • ويحلقون قساً أو يثرون مصاً • وفي اللحظة التي يظهر فيها أي شخص على سطح المركب كانوا يندلعون في صوت واحد طالين « البشيش ا » • ولم أحد سوى وصيلة واحدة لتتفحص منهم وهي أن تقوم يرسمهم • وكانت

---

( ١ ) هو أحد العديد التي تشابهها رمسيس الأكبر • واعتقد انه لم يكن أسئلة أسألها أحد خلافة • انه أقيمت هناك لمورثة الشخصية التماثيل الضخمة والأسماء التي حين شكل أوردني وتماثيل الكروش ( التي تلمح الآن تنجرت من كتلة الملاح الانسانية الخالصة ) • كذلك فمن جميع الخرافات شخص • كما أن هناك قائمة بأسماء أفراد عائلته الصغيرة في إحدى المجلات الدفنية • وكان من السهل الوصول الى جميع هذه المجلات منذ ثلاث أو أربع سنوات مضت • عندما فرحت مجموعة من السياح الأثريين بعض التماثيل الضخمة ذات الأسماء الآتية الضخمة • وبعد حفلة الفطير هذه أطلق الضلال بالرمال تقيداً الراس مريدت • مع الحظ في الإحتفال الزفاف الذي ربما يكون قد حدث في هذه المكان • كظهر القبل السابق من هذا الجزء من الكتاب •



معبد وادي السبع

الاستجابة سريعة فقد اجبروا فرحا من الورق ولقنا من الرسامين ،  
وسرعان ما اسرع أهل القرية جميعا بالهروب لدى اكتشافهم لهذه البنية •  
ولو كنت أريد موديلاً لواجهت صنعية كبيرة فقد استحضرت الرسام يمين  
اسماء والعتيبات ( الكثيرات منهن مليحات الشكل ) لكي يجلسن حتى  
يرسمن • وأتذكر ان واحدة منهن كانت صارخة الجمال وتنتسب الإلهة  
حورب زوجة حوشر كبير الآلهة الانحرافية ، وقد وقفت على الضفة في  
صباح أحد الأيام وهي تسخر من كل ما يجري على ظهر السفينة • وكانت  
تحمل سلة عريضة ذات مقبض خلفي ، وقد غطيت ذراعها بالأساور  
وأصابعها بالهواتم ، وتملقت طفلتها الصغيرة بطرف ثوبها وهي نصف  
متععبة ونصف خائفة • وقد أرسل إليها الرسام مندوباً مفوضاً يعرض  
عليها أي مبلغ ابتداءً من مئة ينصت حتى نصف حنينة الحديزي من  
الذهب ، اذا استشرت في وقتها هذه لمدة نصف ساعة ، وكانت طريقة  
رفضها عظيمة فقد منحت شالها فوق وجهها وأمسكت بيده طفلتها ومضت  
مثل لينة تمرصت فلاسفة • وكانت الكاتبة قد رسمت لها حلقة صغيرة  
صغيرة من ثلاثة القمم وهي مخطئة خلف بمثابة •



وفي الضفة الغربية في بقعة حالية من الخضرة ، تقع ما بين وادي  
النسيبوع والحدسرة . قامت حرائب مدينة حصينة لم يذكرها موراي  
أو يوقها على حرافة . كانت مرفقة ومبنية على قاعة من الصخر .  
وتحكم من النهر والصحراء . وقد اكتشفها الرصاص والكتابة بعد ظهر أحد  
الأيام خلال جولة بدو قصب . حيث ارتقى في البداية منحدرًا حادًا  
تدأرت فوقه الأشجار ، ثم وصلنا إلى بقايا بوابة حجرية . ولما لاحظنا  
صمودية عبورها ، اتفقتا طريقنا من خلال ثغرة في الحائط . ثم صعدنا  
طريقًا ضيقًا انضممنا منه إلى شلال من الأتقاض . ولما وصلنا إلى موقع  
حرب في قمة هذا الطريق . وجدنا أنفسنا في متاحة من المرات التي  
تملأها البواقي المبنية من الطوب اللبن ، ومضانة على مسافات قصيرة  
من طريق قنات من السقف . وقد كشفت هذه المرات الغربية إلى  
الجانبين ، صفات صمودية من الطوب اللين على قواعد حجرية . ودخلنا إلى  
بعض المنابر فوجدناها مجرد مسلات خربة وحجرات بدون سقف .  
وليسست بها أية علامات على وجود مكان للمدائن أو بئر للسلم . وقد  
سطحت في أحد هذه المنابر قطعة من عمود حجري يبلغ قطرها حوالي ١٤  
برصة . وكان الهواء في هذه الفوارج القديمة متففسا وراكدا . وقد  
تكدست الأرضية في كل مكان بأكوام من الشقافة الفخارية المكسورة  
بالوانها السوداء والصفراء مثل شقافة اللتيم وفيلة . ولم أر  
ما يتفوق على هذا المكان من حيث الرخشة والخراب . وكان يبدو كما  
لو كان محاصرا ومنهوبا ومهجورا منذ ألف عام مضت . كما يدل على ذلك  
بوذية الفخار الذي ينشئ إلى فترة الاحتلال الروماني . وبالإنشادة إلى  
كيفية بناء الطبقات العليا بالطوب اللين فوق أحجار أكثر قسا . استنتجنا  
أن بدايات هذا المكان هي بدايات مصرية . والأبنية التالية رومانية .  
أما الرخام فيبين أن هذه المدينة مثل أية مدينة دنيست في بقعة متبركة  
ولم يكن هناك فراغ كبير تقفله جدران الأساس لأن المسافة الواقعة بين  
النهر والصحراء لا تزيد عن ميل أو أكثر .

وبعد أن عبرنا المكان من بملجة إلى خواجه . خرجنا من فتحة أخرى  
من الجانب الغربي . وقد فكرنا في البحث عن موقع يصلح للرسم في  
جانب من الأرض وجهة نحو الشمال . وللوصول إلى ذلك يتجهم على  
الإنسان أن يمر ولديا عميقا يتصل صخرة القائمة من الصحراء . وبعد  
أن تمينا جانبًا هذا إلى وادي إلى القنطرة التي تصل منة إلى مستوى الارتجاج  
وجدنا مع بالغ المصيبة أنه لا يمكن لنا أن نمر من هذا المكان .

والنهر ممتلئ بالرمال الآن ولكنه كان ممتلئاً بالماء يوماً ما - وقد انفتح لنا كل ذلك من الحال التي نتجبه نحو التربة ، فقد استطعنا أن نتتبع اتصالاته لمسافة طويلة عبر السهل ثم خلال الوادي وجنوباً في حل متواز مع نهر النيل ، وهذا تمت اقتطعنا ، كانت تقع الصخرة التي كان يتعد طريقه من خلالها - وهذا الصخور التي شملها علماً اعترضه مساره ، وهي الآن نصف مدفونة في الرمال - ولنتك في أن المجري وهو ممتلئ بالماء ، كان في نصف الجبال الذي هو عليه الآن وهو نهر من الرمال -

ولا شك في أنه كان حينذاك عنكراً ومسلماً بالرواسب ، أما الآن فإن لونه ذهبي أكثر من لون نهر باكتولاس (\*) وقد غطته موجات متحركة بطريقة أكثر عدداً مما كانت ترسمه لرشاة كاتاليتي \*

ولما التفتضنا أنه كانت توجد هنا مدينة عندما كان هذا النهر ممتلئاً بالماء ، وكان السهل خصيباً ومزدهجاً بللاً ربا جيهاً ، فإن ذلك كان سيوضح سر موقع هذه المدينة التي كانت محمية من الأمام بنهر النيل ، ومن الخلف بالوادي والنهر القديم . ولكن متى كان ذلك ؟ من الواضح أنه كان يجري هنا نهر مستقل ينبع مأوّه من بين الجبال الليبية ، وبذلك فإن تاريخه يعود إلى الزمن الذي كانت فيه هذه التلال القاحلة تتجمع ومورع الماء - ولنتقل إلى ذلك الزمن كانت الأمطار تسقط على أراضي التوبة ، كما أن ذلك الزمن كان سابقاً لظهور المحاذي الصخري في منطقة السلسلة ، في الأيام الخوالي عندما كانت أرض كوش تفيض بالدين والعسل (١) \*

وكان في الامكان أن تسقط الأمطار على أراضي التوبة في هذه الأيام التي نعيشها لفوجة أنه في نفس ذلك المساء الذي يليها فيه حتى وقت الغروب ، قد غلغنا مسجاة على شكل مروحة متقطعة وهي تنساق فوق رؤوسنا على ارتفاع ضئيل - وكانت تنطك على شكل اطراف من

(\*) نهر كان يجري في حلبة ليبيا حالياً للمصريين والذين باللاعب الذي اصحاب لونا كعبية - ( انترجم ) \*

(١) لك وجهاً هذه التربة الخشنة الذهبية ليس هذا بالقرب من هذه المدينة شجر النخلة بل في أماكن كثيرة أخرى تقع بين ( جبل ستيل ) وجبله وبتراون لوتاليتي ما بين ٢٠ إلى ٣٠ هذا نهر سوري جيلها القديمه الخشنة -

البخار الذي يتخذ اللون القوس قزح • وكنا نستطيع ان نرى هذه الاطراف بوضوح وهي تتكون وتنبوذج وتنبخر ولكنها لا تستطيع ان تتناقص في شكل اسطوانات كانت تتباعد على ارتفاع شاهق بسبب الحرارة المنبثقة من الصحراء • وهذا هو الاستثناء الوحيد الذي راينا فيه سحابا فوق اراضي النوبة (\*) •

وعند عودتنا للتفينا بمواطن مويي يحمل في يده عقدا من الخمر وسكبنا على كم نوبه • وقد تبعنا مسافة طويلة وهو يحكي قصة غير واضحة عن بركة ( صعيد ) غير معروفة في الصحراء (١) • وسألته عن مكانها فاجاب ان اعلى النهر غير المعروف الذي تحدثنا عنه • مساله الرسم : • حل رأيتها • فقال • مرات كثيرة • • وسأله مرة اخرى • كم تبعه عن هنا ؟ • فاجابه • مسيرة يوم واحد في الصحراء • • مساله • الم يرعا احد من الانجليز من قبل ؟ • فهر رأسه أولا لانه لم يهتم السؤال • ثم ظهر عليه الحزن ورفع احصى اصابعه •

كان رصيدا من اللغة العربية قليلا • بينما كانت لفظة العربية مختصة باللحجه الكسبيه Kassen حتى اننا وجدنا صعوبة شديده في فهم ما ذكره بعد ذلك • واستطعنا ان نستنتج ان احد الفواصل كان يسافر على الاقدام وحده بحثا عن هذه البركة ولم يجد • فهو تاه في الصحراء • لم اقل • لا احد يعرف •

ورد الرجل حامل الخمر قائلا : • كان ذلك مند وقت طويل مضى ولم يأخذ معه مرقضا • •

وكنا مستعدين لدفع الكثير من المال للوصول الى منبع هذا النهر • والبحث في الصحراء من هنا لمجد غير المعروف • ولكن سوء حظ مثل هذه النوعية من السفر • يجعل المسافرين يلتزمون بسم الخروج عن المسار المطروق • وكان فصل الصيف قاربا • والماء منخفض في النهر • والتكلفة اليومية للحمية قارصة • وفي النوبة يصحب ذره أبة مراد غذائية ولذلك فالن المسافرين للتجسس يشار بالمرت جوعا • وعمل المرء انه

(\*) لابد ان افهم انه صلب بالكتابة هذا الكلام عن اللام حتى انها شئت ابسط  
 فالحظ للظبية عن سقوط الأمطار - ( انظرهم ) •  
 (١) كلمة بركة العربية كغير غيرها - ( انظرهم ) •

يلاحظ أنه بعد الدبل بدلا من أن يبقى المسافة ١٢٠٠ ميل دون أن يسله  
امتدادات من أي رافد آخر ، فإنه جاء خلق جياذ رافد كبير (١) .

وتتوالى المسابح في تتابع سريع بالنسبة لهؤلاء الذين تهمهم ربح  
الجيوب خلفهم ، وقد استطاعوا تطبيق ذلك بدرجات ، ومعناها عبقها  
رسمت ذهبيتها العاجرة عن التجدد من أي شيء يستحق المشاهدة .  
وعلى ذلك فقد استطاعوا في يوم من الأيام إلى المحرقة ، وهي ليست في حد  
ذاتها إلا حراية كئيبة ولكنها موحشة كمنظر صانع للرسم ، وهي تظهر  
للقدام من الضفة بعد السروى من المركب على شكل صفين متوازيين من  
الأصمعة ، يقفان في جراته مقابل المساء ، ويسندان بناية مسقوفة خربة .  
وفي القنصة يقف القليل من شيل الدوم المتخضب بالسو وهو على وشك  
البقاء والموت لعدم وفرة الغذاء في تربة قليلة ، بينما تقترب الصحراء  
من على البعد .

ويشع معاصرون حبا بعينه صفيق من الرجال والأولاد ذوي  
السحابات المتوحشة ، والفتيات الوحيدات دوات الشعر المجمع والاهداث  
اندوبية اللاتي أخذن يرحبنا بالخرق والحصياء ، وهن يرقصن ويصرعن  
ويضربن أرجلهن ويصنقن بأيديهن في وجوهنا ، ثم يلتفن علينا الرلط  
منصفا لسير . وأحد أحد المصطفيين المحتاجين يلوح ببندقية قديمة يسلع  
طول ماسورتها سنة الفعام كاملة ، بينما حبل بعض المحاربين الآخرين  
رماحا وقبضة .

ويبدو أن المصعد وهو مبنى روماني قديم قد تعرض للفساد نتيجة  
زلازل حدثت قبل انبثام مياهه ، فقد كانت جميع الأعمال الحجرية غير  
مستقرة . وظهرت الأصمعة كما لو كانت قلعة لتوها من المحجر ، كذلك  
كانت تيجان الأصمعة على شكل كتل تنتظر النحات . وهذه الخزائب غير  
المستكملة الصنع ، والتي كان يبدو كل صخر منها جديدا كما لو كان الصل

(١) : ويقسم الجليل حواء نشر روايته وهو ظهر حلقة عند خط عرض ١٧°٢٢ شمالا  
عند طرف اليفقة التي تتخذ شكل شبه الجزيرة والتي تسمى جزيرة مريوخ . ومن هناك  
يسبح شمالا ( أي شكل مجرى سفره بدون أي روافد أخرى ) خلال ١٢ درجة من خطوط  
العرض ، ثم يقع مجراه المخرج السفلى لا تال عن ١٢٠٠ ميل إلى البحر . - انظر كتاب  
بلاك : *Superficial Chemistry* ، المجلد سنة ١٨٦١ - وهو مسح دقيق  
للمنطقة . من الملاحظ أن يلقى الجود على أطراف الجافة الكثير من هذه الروافد من  
شمال الرافد الذي تتخذ هذه الاتجاهات .

في تشطيطه يصرح بل عدم وفاق ، موثر في حيال المشاهد الى حد يسير .  
وعند حافظ متداع في جبوب اليهو ، أحد الرجيل الكسول يصعب بعض  
بقايا نحت اغريسي (١) ربحنا عن حروف هيروغليفية أو حروفيش مهنسي  
بها الى تاريخ البتة دون جهورى (٢) \*

وباتي بعد ذلك الدكة في التريب لم جهورى حين تم دسدة  
وكلايشة . وقد وصلنا الى الدكة بعد شروى الضممن مباشرة فوجدنا  
جميع المسكان يصرحون ويتدافعون ويثرثرون وهم يحملون البيض .  
والحمام ، واليطي ( القرح المسلي ) للبيح . وقد تنقلوا لاستقبالنا .  
وتوجد في الطريق هنا جريرة رملية كبيرة ، ولذلك فقد رسوما على بعد  
حوالى ميل شمال للصدى في البقاية ، وأما صرح صيد الدكة منذ عدة أسابيع  
صصت ، وكذا صيدك فوق سطح فيلة ، وقد شبهناه بالصرح لدى البرجيين  
لصيد افدو . أما وصي فقترب من هذا الصرح عن طريق الأرض فقد بصجينا ،  
لأننا وجدنا البرجيين صغيري جينا . وكان صياحا مقترقا شديد الحرارة .  
وكان طريقا يمر بجزوار النهر بين منحدرات الصدى ومزارع الخروع .  
وكانت هناك أسراب على الحمام تطير منخفضة فوق رؤوسنا ، وقد اقتربت

(١) يقول بورغفورت من هذا الحائط : « من الواضح أنه قد سقط بسبب ارتجاج فجائي  
وخطي ، لأن الأحجار قد سقطت على الأرض وهي مائلة في طبقات فوق بعضها ، مثلما  
كانت مرسومة في الحائط بما يبرهن على أنها قد سقطت كلها في وقت واحد » .  
انظر كتابه Travels in Nubia, ed. 1819, p. 100. ولكنه لم يلاحظ أن هذا  
يعبر عن كبرياء على ثلاثة صفوف فوق ثلاث طبقات متصلة من الحجر . وله نسخ الرجل  
الكسول الأصل وهو في الموقع حيث سقطت هذه الصفا حاذ ذلك الوقت مرسومة بأنها تثر  
صديق لأحد الجنود الرومان منصفون ضمن مجموعة النصوص الهيروغليفية التي جمعها بورغ  
في كتابه Boschi's Corpus Inscr. Graec. والتي ترجمها ، هذا هو الذكر  
المهم من الجشدي فيروكوندريوس وقلبه المصطفى ، وجورجس أخيه الأصغر وبغية  
لغوه » \*

(٢) هناك ملاحق التاريخ من للحنل المظور طيه وهو لوح مظهر نقشها سابقا وهو  
النقش الوحيد الموجود في هذا المكان على حائط مدخل بالقرب من الأصلة القائمة .  
وهو يمثل إيزيس تقبل العبادة من شباب يركبوا القبة الرومانية القصيرة Tuba  
وكلا المالكين ثياب القل وصهريه البارز ، وقد جلت إيزيس تحت شجرة الأجرير التقليدية  
وهي ترضى شعرا مستعارا يتنثر على شكل أسفوانات جفشة فوق الوجوه طير  
شكل إكليل . قد لوجه والحجر اكتسب اللون لتشير به ملكة أثت الأمير المظور  
لأولاد-كسا ، من واتج على قلعة المين المصرية القديمة سموتيا في القوس :  
Smith's Dic. of Greek and Roman Biography, Vol. II, p. 920. والمهمة في  
كان هيرودوت-الجنيل (١) لا يدرج في *Historia* حيث يتبنى شعبا صغير  
وحدة الكورنوس \*

ما الكلاب التي تسبح ، والدبوك التي تصبح في القرية • ومثلت من الحنافس بطول المسار ، والجمالان الحقيقية الحية بلونها الأسود مثل الفحم وهي مشغولة مثل النمل حيث تقوم بدرجة يالات الظن من عند حافة دلاء الى الصحراء • ولو قمنا بمصص عدد من هذه البالات لقد نجد ما ار هناك بالة لا تحتوي على البيض لأن هناك حقيقة غريبة مفادها أن البيض يصنع بالالة ويخرجها ، سواء أكان بها بيض يريد حظه أم لا • أما أنني الختساء فبالرغم من المساعدة التي تلقاها من الذكر فإنها تقوم بالجر، الصمب المتعلق بدرجة البالة ، وإذا حل المساء قبل انتهاء بالتها فإنها تنام طوال الليل وهي مسكة بها بين أقدامها ، ثم تواصل عملها في الصباح (١) •



وقد بنا انشاء للميد هنا على يد ملك اليبوس يعني أركامان ( ارجامس ) كتب عنه ديودور الصقلي قصة ملوية ثم استمر العمل في استكماله بمعرفة البطلمة والقيصرية • ويقع للميد في قضاء واسع منعزل في شمال اكرية ، ويتم الوصول اليه عن طريق شارع القيت حوائطه يكتل مدفولة من مبان أخرى أكثر قديما • لنا حجارة الشارع وكل الأرض القضاء التي تحيط بالميد الى مسافة ثلاثمائة أو أربعمائة ياردة فهي ليست مبنية ولكنها عبارة عن أكوام من قطع الشائكة والرمل والحجار كبيرة ناعمة من

(١) نشر كتاب اللزاد وويلد C. Woodroffe وعرفه The Scythians  
Bauer وحجارة عن دورا عشت في الأفكار التي كتبها ( ج - جون ) التي اتم  
جمعية ونشرت انه مليشاه للسلطنة والفتحة في ٨ نوفمبر ١٨٧٠ وقد طبع على ثلاثة  
الزاد •

أحجار القرمح ( نوع من الصخور النارية يتميز باللون الأحمر القاتم ، ومن المرمر ، وأنبازلت ، ونوع من الرغام الأخضر ، وهي جميعها أحجار مجبرة لأنها تبصر كما لو كانت لقطا من تماثيل قد شكتتها المصور المتألمة من الأحكام في حوش سيل جلوف . وبعد بين القطع الموجودة بين الشقوق مثل تلك التي كانت في الفتحة (١) - أما عبد الحميد فساقول أنه جيد البناء ، بالسمة لأي عمل أخسر من أعمال الأسرة الثعلبية عشرة أو الأسمه التاسعة عشرة التي أعرفها . والنحت شنيع جدا ، ولم نر حتى اليوم مثل تلك الحروف الهيروغليفية ودقيقة الشكل ، وتلك الإلهات المتصبرات المتجسست ، وهؤلاء الملوك الهرليين بأعطين رؤوسهم الرديئة . وباجتصار ، فإن للمسي كله طراز من الأبنية البطلمية الممارسة عن الانتباه البطلمي .

وسرعان ما جعلنا متجهين إلى كويلا . والنهر هنا واسع وسريع الجريان . وبعد أن تجاوزنا الجزيرة الرملية نزقنا تحت حواط بناء حرم من الطوب اللس جعلته المصور التراقية أسود اللون ، وكان يبدو للوحة الأول بدون شكل محدد ولكنه يدل على أنه قلعة مصرية قديمة ذات دكانين وتوتفاعات ومنازل . ولقد شطبت عنه الزوايا بفعلد مصرية على شكل قوالب ويحيط بها حندق جاف عميق ، لا يد وأله كان يمثل بناء الفيلسوف في كال سيف .

وقد وجدنا ضمن الأبنية البائدة في وادي النيل خرائب مبنى غير ديني ، وهو يختلف أساسيات المباني السكنية المتناثرة هنا وهناك . يعتبر قول مبنى من نوعه . ولا يد أنه قديم جدا ربما يعود إلى أيام تحوتمس الثالث الذي وجدنا اسمه منقوشا على بعض الكتل المتناثرة على بعد حوالي ربع ميل ، وهو الذي أقام قلمتين متماثلتين لهذه القلعة في سمته التي تقع على بعد

(١) كلمة بكة ( التي تطلق عليها الأمازيغ والبربر اسم Poulas ) وهذا المكان عليها المصرون اسم Poulas ) . تكثر بها ما على مصر والجزيرة ويبدو أنها كانت محلة صكرية ضخمة . أما الفسلفات المنقوشة هنا فهي إلهيات ومسابلات روتب الجود . وقد زينت التماثيل الخارجية للمعبد والمجرات من تماثيل يتقوس بديرة كتب عليها بالبحر الأحمر . وأظن أن بعضها كان تلالا لليلة . وقامه الكتلة بلسع النملين القائمين من حول هذه التلال وقال الدكتور كيرش إن أولها مكتوب بالهيروغليفية القديمة وهو مجرد اسم . أما الثاني فهو معروف .

التي تسمى بكة  
Y-PLT-MS/O  
+K2MS/O





على طريق الفصل الثاني ووجدنا أنفسنا في وسط عتواري تضلع ضخم يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب ٤٥٠ قدماً ، وريصاً يبلغ عرضه الآخر ٣٠٠ قدم من الشمال إلى الجنوب .

وتعطي هذه المنطقة كلها اسمها في الخرائط ، ويبدو هذا الصـ  
كثيرا بما فيه الكفاية لاشارة عليه ضحلة حتى على اقل من عشرة  
مديّة - وأحدنا تسلك قليلا من مديّة في الخلف ، وتسلك حواف  
شلالات من الشفافة ، ونح على حواف مناجم مغطاة ومثلية مثل قرص  
المسل على عمق أربعة قدما ، وقد أقيمت أساسات في الطوب اللبن  
وقد احتشد فوق هذه النبال وعند فوهات هذه المناجم ، رجال ونساء  
وأطفال يلاؤن سلايا في الانقاض ، ويضحون بها ويمتدحون - وكل الأتراب  
يضعده مثل السحاب ، ويصحب عليها وصف ما كان يحدث في الصحيح ،  
والحرارة ، والارتباك ، ويتوقف الضاحك ويرتبك محاولا أن يكتسب في  
هذه المناطة الضخمة عن دليل يكتسب عن حطة محددة دون حدود ،  
واسطحت بجهد كبير أن أعرف تدريجيا أن لكل كيسي الاضطارة ضخمة ،  
ولن جميع هذه النبال والمناجم تتعد موقع ما كان في يوم ما صرحا ضحيا  
مرتقا الى موقع مر كرى كالبرج مثل ذلك الذي مره في موضوعات المازك  
في ( أبو مبل ) وطية - وأصبح هذا الصرح المرتفع والمزجج المكري  
كالبريسة حيث ينقل على شكل قطع صغيرة بعيدا ويتحول في بودة ويسر  
على ضفة الأرض كسند ، وقد استغرق بالفصل حتى أساساته ،

من عتقها وعلقها سكرانها عيدا . والفرار بسلامة يسير على الارض . (لكن بتدريج) استطاع بقرة نقل جميعا من مخترع الاب جنس من الفاشا و ٨٠٠ حصان الى يوم جهنم مكرنا من ثلاثين الف رجل ، واجبرهم على التفكير الى شكسبي - ثم ارسل وكالة لاطالاية باستدعاء سايونيه - واقع الاستدعاء لاني اعرفهم بان ميكرنا - الحبيب - وبك تبه بتدريسي على حكيهم . يتكلم دائما عن علاقة سيكنا من المكان الزمان قائلا انه فلاه لوسا عم اسلمه السلطان اليه - وبعدما كملوا هذه العلاقة انهم للتفكير ولم يفهموا شيئا منهم فندعوا به ، فاجابهم بتدريج . ثم يصرهم على القتال - فهوذا سرورنا . بسبب سوء فواتيدهم وسوء تعليمهم انهم كانوا يصلون خروفا ضخمة مصنوعة من الجلد الخام وقرصا كاشطة جميعها . وقد جرد من القوت المتوفرة الى داخل كنيته - بينما مرب ليضع جميعها في الخلف غير المرفوعة - أما الذين اخروا يبيزن الفيل فله مرفوعة جردة واحدة - سويح ؟ ووجهه منه كبير من التفتيح بسبب التفتيح - ثم نام وذهبوس بمعالجة صليبي واستدعى عليها - امير - جغرافية لسفرافين - Strabo's Geography مترجم في يوم سنة ١٩٨٧ - الجزء الثالث - ص ٧ - ٢١٨ - روسيا كانت هذه الجزيرة التي قرب اليها القردون من الجزيرة الضخمة التي عزلات في وسط الكثير رقص الانتراب من مكة الى الامم مرفوعة الى جزيرة تفرق التي تبعد بمسافة ضخمة . فقال ان استروين ثم ينكر انهم الجزيرة

ولم يتبين إلا البئر التي في الوسط ، وحائط الدائرة الضخم . وهذا الحائط يضيئ الآن الى حفته ، وسيلقي تدريجيا نفس حصار بنية الصرح . أما البئر التي كانت عميقة جدا ، فقد حصدت بالمخلفات حتى الحافة . وفي نفس الوقت فإن الانسان لكي يعرف ما يمثل هذا المكان حاليا لا يمكنه إلا أن يتخيل ما يبدو عليه برج لندن إذا تحولت المياه الداخلية كلها ، والبرج الأبيض ، والكليسة ، ومستودع الأسلحة ، وعقر الحائط ، وكل شيء ، الى حرائب غير مطهنة الفكل ولم يترك منها إلا الحوائط الخارجية والحنق .

وقد احتشمت مقابل الجوانب الساحل لحائط الدائرة بقايا سلسلة من الأبراج الضخمة تبدو كمها قصبة باليسية للبناء الخارجي ، ولا يمكن ان تتصل بالأسوار الا باستخدام السلم . ويواجه افضل هذه الأبراج مع جزء ضخم من الحائط الصحراء القارية .

وحرجنا عن طريق المداخل الضخمة ، لنجد ان جوانب البوابة ، وهي درجات السلم التي تقود الى الحندق سليمة وقد بقيت عند قاعدة الحائط الضخم على الجانب الخارجي في مواجهة النهر قلعة تبلغ مساحتها حوالي قسمين مربعين وهي مبنية وسقوفة بالأحجار . ويصفها موراي في كتابه بأنها بوابة ماثلة .

وعندما تحولنا للجانب كانت الشمس قد ارتفعت ، والحرارة انتشرت ، والقارب في انتظارنا . فحيينا ونما عنا ونحن نعرف انه ابتعد من هنا وجنى الثمرة ، لئلا نضاعف آثرا أخرى من الماضي السحيق فيها عما هذا الحصن المنيع . انه مجرد جبل من الطوب اللبن ، وبالرغم من عدم تناسب شكله الا أنه ينهد الإعجاب بسبب قوة تناسب أجزائه الضخمة ، والإتانة التي تنطلق من تواضع لثلاله . ولكنه يبيد الصور الضائعة الى خيال الانسان بطريقة لا يقدر عليها أي صيد آخر . انه يبدو لامسا في لحظة الإغراق الأثري للنقوش ، ويجبرنا على ان نذكر هذه المظالم للنسبة من البشر والتي لم تذكر أساسا ، هؤلاء الذين شكل منهم الحكام جنودهم في وقت الحرب ، وأخذوا منهم بنائين في وقت السلم .

وأصبحت مناورتنا في الطريق قليلة ومتباعدة ، ومن النادر الآن ان تقابل ذمبية . وصار عدد القلود كبيرا عما كان عليه في هذا الجزء من النهر منذ أسابيع قليلة مضت . ورأينا أسراها ضخمة من طائر الكوكي الأسود والأبيض وهي تحتشد على الضفاف الرملية ليلا ، وأصبحت أعداد السمك في متناول الصيد . وابتعدنا لدى رؤيتنا للرجل البكسول وهو يخرج بندقيته ويعدو إلى حقيبة من السمك ، ذلك لأن آخر بخروف كان

لدينا قد ذبحناه قبل توجهنا الى وادى حلفا ، كما ان آخر دجاجتنا توقفت عن الوقفة عند ( ابو سبيل ) .

وفي صباح احد الايام شاهدنا عروسا يهرون بها النهر في مركب كبيرة مزودة بالنساء والبنات اللاتي يصفتن يديهن ، وطلقن الزغاريد المصوية ، وكانت العروس ذات جمال بلون الشيكولاته ، وعينين زاهيتين . وترى بثلاثة تنمل دوى حاجبيها ، وحزامه في انفيها ، وقد جعل شعرها في حبات من الجداول الرفيعة التي تنتهي في نهايتها بحبات من المصمصايل مطلية بلون اصفر . وكانت تلف محاطة بصدقاتها ، فخورا بثيابها ، ومهيمة وهي ترى الانجليز يرمقونها بعيونهم .

وفي ذلك الوقت ايضا ، رأينا في احدي الليالي نوعا من الاحتفالات الابدائية يجري على يد عدة اميال من جالبي النهر ، ورأينا النيران تشتعل قرب الضيق اولا على هذه الضفة ثم على الضفة الاخرى ، وازداد لهاها واتساع رقعتها مع صيوت الظلام . وعند ذهابنا للنوم كنا نسمع اصوات الطبول وهي تقترب شيئا فشيئا على الضفة الشرقية وري على البعد موكب مشاعل ورجال . وكان تأثير هذه المشاعل - لان المشاعل فقط هي التي كانت ظاهرة - شديدا جدا . وكانت الاضواء تهبط وتتناثر كما لو كانت كالنات حية ، وتصور في الهواء بين حين وآخر مثل المواريح . وبالرغم من ان الوقت كان متاخرا الا اننا رغبا في الهبوط الى الشاطئ ومشاهدة هذا الاحتفال من قرب ، الا ان الرئيس حسن عز راسه رافضا ، والمعروف ان المواطنين في هذه المنطقة يميلون الى التمسجر ، واذا كانوا يستعملون بملد بعض المشايخ المحليين وهو لم يورد ، فاننا مستعمل كنسلا مطلقين .

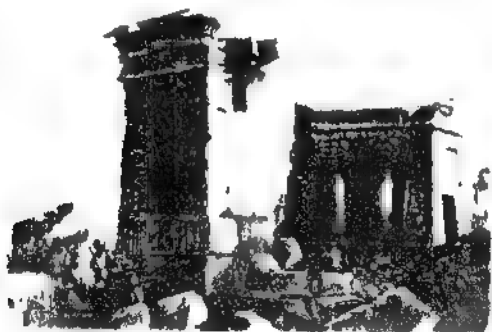
وعندما وصلنا ميكرين في صباح احد الايام الى جرف حسن ، اتخذنا طريقنا الى المعبد الذي كان مضورا في واجهة صخرة من الحجر الجيري على ارتفاع حوالي ٢٠٠ قدم من سطح النهر . وهناك مر منحدر شديد الحرارة تحت أشعة الشمس ، يقود الى شرفة واسعة في الصخرة . ويتم الوصول الى المعبد من خلال رواق خرب ذي اعمدة وطريق للتماثيل الضخمة المحطية . ودخل المكان شديد الانقباض ، اما حارجه فهو صورة من المعبد الكبير في ( ابو سبيل ) ، كما انه يعود الى نفس التاريخ الزمني . وهو مكون من قاعة أولى تحلبها اعمدة على شكل أوزوديس ثم قاعة لانية اصغر حجما ذات اعمدة مربعة . وقد تحلى السنان الهيكل بلون اسود ، بالإضافة الى حجرته جابيتين . لما اعمدة أوزوديس الضخمة التي ترتفع الى



مسافة ٢٠ قدما دون اصافه الأحرار الى بعض الهياكل الأعمدة عن السقف و بدون قواعد تحت أقدامها ، وبذلك قابها تبدو قصيرة مسئلة ومقوسة السقف وريثة الشكل - وسنرى وجوها كما لو كانت قد طلبت أصلا باللون الأسود ، بينما تبدو السائيل التي في الطريق الخارجى ذات ملامح أثيوسية واضحة . وكان علينا أن نبحث هنا عن أسلوب المصانيع الذين أقاموا الترميم في طيبة مثلما فعلنا في ( أبو سنبل ) ، أما الحرتان الحابيبان في حرف حسين فهما تقصان بالثقافيش .

وبمثل هذه الثقافيش أعظم مناظر المكان ، ولها معظم حفلاتها الاستعراضية ، وقد وجدناه في انتظارنا معه حيل غمست بهائيسه في القطران يقوم بقدهه يلمع في المدخل الشديد الظلام ، وهي لحظة وحدة راينا السقف كنه وقد سطعت به روائد بيضاء مثل ستارة شفافة . وكان ذلك لمجرد لحظة واحدة ، وهي اللحظة التالية تحركت جميع الثقافيش واندفعت يجرون في وجوها مثل حبات الثلج المتساقطة ، وفيما بعد وبعد انتهاء الإندفاع التقطنا حفاشا ميتا ، وفحصناه في الخارج في ضوء النهار . كان مخلوقا صغيرا بديعا أيضا ألين اللون ومغطى بشعر ناعم ، وله جناحان شفافان ، وقدمان صغيرتان ورديتان ، وعم رقيق مثل

فم الفلر .



معبد تدور \*

اما الصحور الواقعة بين جرف حسين و تدور فهي « حدة » بأشجار الحيل القصيرة ، وأشجار السنط ، وشجيرات الحمى ، فانها تتجمع في شكن ككل ممزلة تشبه الأطلال ، حتى اننا لا نكاد نصدق انها صحور .

وبعد غروب الشمس في دلتا وهبوط ظلام خفيف على الودى ، قسا  
 جزيارة مديد صغير يقع على الضفة الغربية وهو يقع أهل من النهر ، محاطا  
 بحائل من الأراضي العامة ، وهو يتكون من بوابة منزلة وهو للأعمدة  
 وحصرتي صغيرتين وقنص أقداس . ويشبه المكان كله لمبة وائمة منطقة  
 بأعمال النحت الناعمة للشمس وذات الشكل الجديد والبناء المنير للأصحاب .  
 وعندما كنا نراء فيما بين الغروب وحلول الفسق ، يبدو لنا أن هذه  
 النقوش البارزة تنتسب إلى المدرسة المختلفة (١) . ويضفي اللون الودى  
 الخفيف الذي يلعب في نور الفسق ، كثرة من الأطلال التي لاتعد  
 ولا تحصى ، ويختل بالجميل في جو من القامرية .

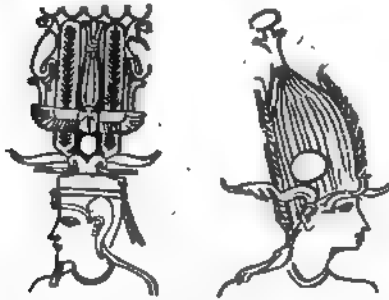
ولقدنا نصيب لما صار إليه الجو ، فقد استيقظنا في صباح اليوم  
 الثالث ومن مرتعد حتى قرب نهاية اليوم ساعة ، كما أننا تلوقنا  
 لأول مرة عند أسابيع مدينة القنصرية المبكرة القديمة في الهواء . وبعد  
 الظهر وجدنا أنفسنا في كلابشة وقد حررنا بحفود المنطقة الإدارية أثناء  
 الليل . وفي ذلك الوقت صار النهار شديد الحرارة بينما كانت هذه  
 القنصرية تأتي مع أحد ساعات الليل ظلاما قبل بروج الفجر .

وشاهدنا زحام السياح المعتاد من يالهي الخرز والسلال والبيهي  
 والحمام وهم يحيوننا من على الشاطئ في كلابشة ، وقد حمل أحد الرجال  
 حيفا قويا ذا مقبضين في جدران من القنطرة الرقواء ، وكان يطلب  
 خمسة جنيهات ذهبية فرنسية ، ويبدو هذا السيف كما لو كان يخص أحد  
 الصليبيين . وقد أحضرت بعض السيليات (قنطرة جاموسي) في قرية سوداء  
 قلعة المنظر مبرومة إلى وسطهم مثل النطاط . وكانت القنطرة جيدة ولكن  
 القرب الجديدة تمنع النفس من استعمالها الماكولات غير المادية .

ويوجد بالقرب من هنا معبد عظيم محفور في الصخر ، ويطلق عليه  
 اسم جبل هو : بيت الوالي . وقد حظيت لكوش هذا المعبد المشهور  
 بالوصف والتصوير أكثر مما حظيت به أية نقوش أخسري في مصر .  
 ذلك لأن مشاعره موكب حامل الجزيه من الألبوبيين ، وحيلة مدينة هوروة ،  
 وانتصارات رمسيس مصروفة جدا ليس فقط لدى كل من قرأ كتابه  
 ويلكسون . بل بالنسبة لكل زائر يمر على الحجرتين الصريتين بالمنحرف  
 البريطاني . وهي مازالت جميلة بالرغم من الأجزاء التي تهرعت منها

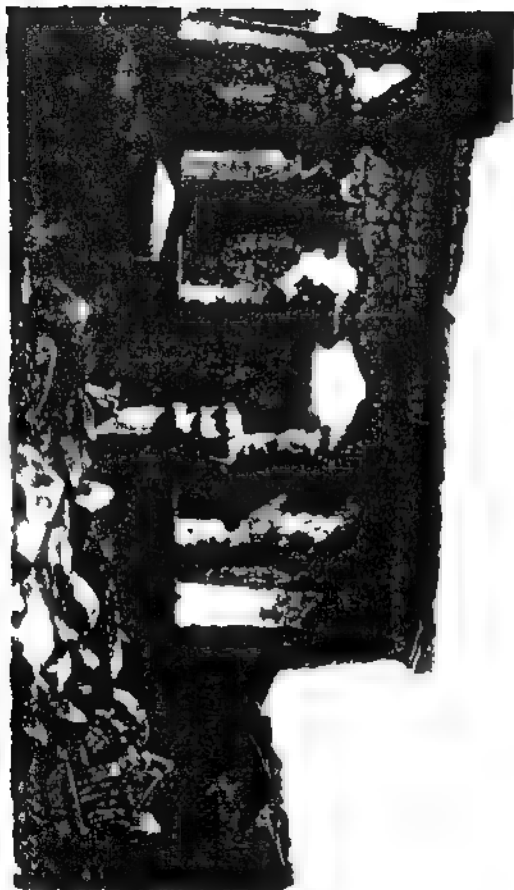
(١) C'est un ouvrage non achevé du temps de l'empereur Auguste. Quelque peu important par son étendu ce monument m'a beaucoup intéressé, puisqu'il est entièrement relatif à l'incarnation d'Osiris sous forme humaine, sur la terre. — Lettres écrites d'Égypte, etc. : Champollion, Paris, 1826, p. 132.

والعمامة المسبوكة التي عاينها بها المواطنين والزوار - وبالرقم من فن لون هذه النقوش التي في الفناء غير المسقوف كانت كاملة عتسما نند بولومي لوجاته الكثيرة للإحجاب ، إلا أنها الآن قد زالت عنها قشرتها الخارجية . ولكنها ما زالت تلج في البهو والحجرات الداخلية . وكذلك فن اللون تمثال أوزوريس الضخم مثل الزمرد واللؤلؤ أنوبيس القرمزية واللؤلؤ إيريس الصلواء مثل صدى الكروم ، ما زالت جميعها ملحقة بصالحها ونقاء حاصيتها ، أما عن لون جسم أنوبيس فاعتقد أنها كانت المرة الأولى التي اصادف فيها لونا قرمزيا حقيقيا في كلفة الصيغ المصرية ، ويقع بين معبد بيت القاضي ومعبد كلابية الجبلورة على مسافة تبلغ حوالي نصف ميل من معبد جبل ، وتبلغ طوله حوالي ١٤٠٠ ياردة ، ويعودا رمسيس إلى حضرة أغسطس ، ثم تمتاز الخطبة التي استعينا بها في بيت الفرعون العظيم إلى الفرقة التي يشكلها التياصرة .



ولو كانت الزخارف التي في غرفة التياصرة تشبه الزخارف التي في معبد كلابية لكان ذوقها من أفتح الأذواق . لأنها لم تساعد أبدا مثل هذه الآلهة التنكرية ، وتلك السبل المبطنة والمنقطة والمتعاطفة ، وتلك الأغنية الساذجة التي فوق الرؤوس ، وتلك الألوان البدائية النقية (١) .

(١) لاحظت هنا اللون البنفسجي للمرة الأولى والوحيدة . واللون الأزرق الشاذ .  
للأمع . كما توجد آثار الخلاء باللون الذهبي فوق الكثير من الأشكال .





أما عن الإلهات فانهن مهرجات أكثر من البنات الراقصات في  
الأنصر ، بينما يضم الملوك على رؤوسهم أكاليل مكونة من قرون وأنداد  
وطيور وكرات وجاريس وأزهار الموتى والأغصان الصغيرة والزهريات  
والريش .

ويعبر تنفيذ هذا المعبد على نطاق واسع فهو كركك النوبة (٣) .  
ولكنه كركك قصرى لهرة زلزال أعنف من تلك الهزة التي زلزلت الأعمدة  
الخشبية للصالة الأولى ، واستقطبت حيلة ماناسو . وهو يبدو من النهر  
مثل قلعة ضخمة ، ولكنك إذا نظرت إليه من عتية البوابة الرئيسية  
للصرح مستنجد مجرد متعة حرية ، فالكثول والأعمدة وتيجان الأعمدة  
والطبقات العازلة بينها وبين سقف ، جميعها ساقطة ومتكسرة يمكن  
تحبيب بحيث لا يوجد بقعة واحدة في جميع هذه القاعات والأقنية يستطيع  
الإنسان أن يطلعها بنفسه على سطح البلاط الأصلي . وللهمة الثانية يبدو  
أن الزلزال قد حدث قبل اتمام العمل ، فهناك أشكال محطمة على الحوائط  
ولكنها لم تنحط ، وأشكال أخرى بدأ العمل فيها ولكنها لم تمتد . وتستطيع  
أن تتبع المواضيع التي توقف عنها الأزميل . بل أنك تستطيع أيضا أن  
تكتشف آخر علامة نجحت على السطح . ويستطيع الإنسان هنا أن يتتبع  
العمليات الأربع التي تتم بها مرحلة الحوائط . فتجد في بعض الأماكن أن  
المساحات قد عزلت داخل مرصعات وغسست تحت سيطرة العامل  
الميكانيكي . وفي أماكن أخرى تجد أن الموضوع قد رسم بالفعل داخل هذه  
المرصعات بمعرفة الفنان ، وهذا مضي بها النحات إلى مرحلة أخرى ، وهذا  
بدأ الناقش في تلوينها .

ومن أهم النقوش الأخرى التي تتجاوز أهميتها أي شيء آخر في  
كلابشة ، النقش اليوناني من ميلكو ملك أثينا . وقد اكتسبه هذا

---

(٣) كان هذا المعبد يبدو من حد أسوان بحوالى ٢٧ كيلو مترا ، ولكنه أصبح  
تشيده جنوب أسوان أثناء حملة الكلدان للقرية عام ١٩٦٠ بمساعدة الكائن -  
( المرجع ) .

النقش شهرة عظيمة بسبب تطبيقات نييود ولتروين التي اكتشفت سنة ١٨١٨ للميلاد بمدينة مسمو جالو M. G. G. ، وهو يتضمن ٢٦ سطرا كتبت بالحبر الأحمر بخط جميل ، ويعد تاريخه الى القرن السادس بعد الميلاد ، ويبدأ هكذا :

لقد وصلت مرتين الى تلميس (١) وثاليس (٢) .

لقد حاربت ضد البليسي (٣) ووصيني الرب بالانصراف .

لقد قهرتهم مرة ثانية . وفي المرة الاولى .

اقلت نفسي ثمانا مع جيوشي .

لقد قهرتهم وتفرغوا الى .

لقد اقلت سلافا معهم والسموا لي بأسمائهم .

لقد وقلت بهم لاهم اتاسي ذوو عقيدة طيبة .

لم عبت الى معلكاتي في القطر الملوي .

لأنني ملك

ولست ملكا داخلا في ترتيب الملوك الآخرين .

ولكنني أقتلهم

(١) كلابسة .

(٢) علفة .

(٣) البليسي جنس بدوي من البربر . والفروسي أنه يقضي أصلا الى قبيلة بيلمسي التي من القوي في الصحراء الوسطى وقد استقر مكررا في هذا الجزء من وادي للتيفل لأنهم يقع بين الشمال الاول والشمال الثاني هذا اليوم لراشيسيس .

انظر

Le Nord de l'Afrique by - M. V. Desl. Martin, Paris, 1863, section III. p. 73.

أما هؤلاء الذين يبحثون عن التساقط ضيق .

فأنتى لا أعتدبهم سلافا فى مساكنهم حتى يتوسلوا الى طابق المفرمى

امنى أسد فى السهول وعزلة فوق الجبال .

الخ . . الخ . . الخ .

هذا الغاشى له أهمية تاريخية عظيمة لأنه يبين أنه فى سلال القرن  
الساسى الميلادى بينما كان السكان الوطنيسون فى هذا البحر . من  
وأدى النيل يلتمون بالمقيدة المصرية القديمة كان الأحياء فى الجنوب  
يفتحون أنهم مسيحيون (٣) .

وكانت سلاله الجنس البليسي كمثل جفمسا حالصا يمتار افراده  
بالطول والقوة . وكانوا ذوى لون بني غامق . ومعدما كنا تفتى سلال  
الفرية عند الغروب شامدا جميع السكان ، فكان الكهول من الرجاله  
يجلسون أمام ابواب منازلهم . والشباب يتسكعون ويدعون ، والأطفال  
يلعبون . أما النساء اللاتي كن يشتمن بأسنان نضاه لأمعة وعبون صافية ،  
ويتعطين بالملل الذهبية والنفضية على أعناقهن وجوانبهن بشكل مفرط .  
فقد كن يخرجن مع أطفالهن الصغار ذوى اللون البني ، هلالجى السيفان  
على وسطهن أو كتفهن لكي يستطعن الحملقة فيما أثناء مروءا .

وكانت هناك سيده عجوز مريضه ترقه خمارج كوحا على ذك  
مصبوحة من جريد التنخيل ، وقد رفعت نفسها مكررة على كوعها لحنلة  
قصيرة ثم اتهازت مرة أخرى وهى تتأوه فى ضعف ، وأدارت وجهها نحو

---

(٣) هذا الاستنتاج مخالف للواقع فقد حملت المسيحية القبطية فى أثيوبيا أيام  
الهابا القبطى للمصرى القديس أنطانيوس الرسولى الذى اختير للبطريركية سنة ٣٣٦  
للملاك - وجاء اليه غريغوريوس Proterius القبطى ليقهره عن الأحوال فى اثيوبيا  
فرفضه أصلا وأرسله اليها سنة ٣٣٢ ميلادية وسار يصرف باسم أبا سلامة أى ( أبى السلام )  
وهو لقب حوران الحبشة الذى كان يرصد ويرسل من مصر . وذلك فى معرفة كتيوبيا  
للمسيحية وبخوف الأقباط فى هذه الأمانة ثم حدث خلال القرن الرابع الميلادى على  
يد الإبيساق المبرزين ، وهذا يخالف ما فكرته المؤلفة من أن المصريين فى القرن السادس  
كانوا يلتزمون بالمسيحية المصرية القديمة - انظر فى ذلك ١ - تاريخ الكنيسة القبطية -  
حنس يوحنا - ص ٤١ - ٢٠٦ - ٢ - قصة الكنيسة كاثوليكية - ليريس حبيب  
المصرى الجزء الاول ، ص ٢١٤ - ٢١٥ - ٢ - تاريخ كتيوبيا - فكتور زاهر  
رولى - ص ٤١ - ٤٦ - ونحوها - ( لترجم ) .

المحافظ . لما المساكن المبنية من الطوب اللبن هنا فقد اقيمت داخل وخارج محتاة من الأساسات الحجرية الهائلة وهي بقايا مباني كانت عظيمة في يوم من الأيام ، وقد بنيت بعض هذه الحوايط في لشكال صحنية ييسا بنيت اطرافها من الأحجار يمسى أنها مضغوطة من الوسط ومرفعة عند الأركان ، وهو طراز من البناء تم تمديله ، لكن يطي مقاومة أقل عنصفا يصرص لهرات الزلزال (٦) .

ولقد شاهدنا أساسات أخرى مقامة بنفس الأسلوب في طائفا حيث وصلنا في صباح اليوم الثالث . ولما كانت الأعمال الحجرية في طائفا تعود الى التاريخ الروماني المتأخر ، بالإضافة الى كثرة الزلازل في الثورة خلال الفترة الطويلة التي تلت الثورة الفصحى التي حدثت سنة ٢٧ للميلاد ، والتي ذكرها المؤرخ يوسابيوس فقد كان السباح مستعدين لمصيبة كافة الأطلال الى عصر قسطنطين والثورة الإصلاحية التي قام بها المسيحيون الأوائل . وليس هناك شيء أسهل من التمييز بين تخريب الآثار الذي أحدثته يد الإنسان والتخريب الذي أحدثته ثورة شاملة . فالتشويه يسود في الأولى ييسا يسود الاستبدال في الثانية . وفي دفترة على سجيل المثال نجد أن الممر الذي حدث كان مقعما ، بينما هو في ( أبو سنبل ) عريض ، أما في الكرنك فقد كان يجمع بين التمدد والصفعة . لما في كلاهما من الواضح أن مثل هذا التمار الضخم لا يمكن أن يحدث بواسطة إنسانية دون مساعدة المعدات الآلية . مع الفيران أو البارود لأن هذه الوسائل قد تركت آثارا واضحة .

ويوجد في طائفا مئذنان صميران أحدهما معطم بشكل يصلح للرسم . أما الآخر فهو سليم تماما ويستخدم الآن كاستيبل للخيول . وهناك أيضا عدد من الأساسات الحجرية منزلة ومرجمة الشكل ومقسمة الى حجرات صغيرة عديدة ، وسعاطة بحوايط يمسها مبنى من المباني الخشبية التي



بفانيا معبد طافا بالثوية •

سبق أن ذكرناها • وقد ظلت هذه الأساسات الفرعية التي أحصى منها  
الرسم ثمانية عشر أساسا ، تثير حيرة السائحين (١) •

وسم طافا في موضع ساحر ، ولا شك في أن الأبعاد السبعة التي كانت  
تفصلها عن كلابشة ، مع منظر الشلال ، تمثل أفضل المناظر صلاحة

---

(١) لابد أن هذه الأساسات محدد موقع دير قبطي ورد وصفه في مخطوط عربي يعود  
عنه ١ كاترمير حيث يقول أنه « في مدينة طافا يوجد دير يدعى يسمى دير أنسبون  
Ansboun وهو دير قديم جدا ، ولكنه صلب البناء لدرجة أنه بعد عدد كبير من  
السنين مازال مستمرا بقوى استمرار وتقع بالقرب من هذا الدير وفي مواجهة جبل خمس  
عشرة قربة »

انظر Mémoires Hist. et Géographique sur l'Égypte et le Nubie  
E. Quatremere - نشر في باريس سنة ١٨١١ - المجلد الثاني ، ص ٥٥

ولا شك أن الدير والقري أيضا قد شيدت حسب الطراز الروماني المصري كما يبدو  
لأول وهمة وربما كانت في الأصل تشكل كنيسة لاهوتية مثل الكنيسة اللاهوتية التي  
في لبنة •

لرسم على هذا الجانب من وادي حلفا . أما النحر الصخرية الصغيرة التي في النهر ، ومرارح التخيل ، ولشجر السنت والحروب والحنا والخروج وكافة توصيلات الأشجار المزهرة على حواف الصفاف والجوانب المتصعبة والقسم المتروكية للجبال التي ترتفع هنا بعمدة على حافة للاء ، فانها تشكل مع السهل الرعي مناظر جميلة حيثما ذهب الانسان . ويقال انه توجد هناك غزلان في الوديان التي حلف طافا . ويشرح احد المواطنين وهو شخصي مشاكس يركض قميصا ممزقا وعلامة بيضاء قلزة كيف أنه يوجد على مسافة ثلاث ساعات ، وقد ضيق طويل به بركة أخرى أكبر من هذين النحيديين اللذين في السهل ، وتمثال ضخم يتجهز طولها ثلاثة أمتار طول الرجل المادي . إذن فلو سمعت القصة فانه يوجد كمنفذ جاهز لم يرد القيام به . وباع نفس هذا المواطن عقدا للرجل الكسول . وبعد أن طوى رانسيا بالثمن الذي حصل عليه ، عاد اليها عدة مرات وخلفه نصف أمال القرية وهو يطلب نصف الثمن . ولا رفضنا هذا الطلب المتواضع حاج كالمجنون ومزق عمامته ، وأخذ يؤذي بعض الحركات الرسمية بالريح الذي كان يحمله ، ثم جلس في هدوء وجلس حوله استقلؤه وجبراته خلفه في شكل نصف دائرة .

ويبدو أن هذا هو الإجراء الذي يتخذه النوبيون للتحدي . لقد التي بلغاه طالبا النزال . وفي نفس الوقت أخذ الجميع (الصاحب يتزايد في كل لحظة . وهو الرئيس حسن حزينا . ونفى حدوث معركة مستحيلة ، بينما كان الرجل الكسول يقرأ صلاة بآكر في أسفل المركب ( لأن ذلك الصباح كان صباح الأحد ) ولم يسمح شيئا من الضجيج الدائر في الخارج . ومع حالة الطوارئ هذه خطر في بال الكتابة أن ترسل إلى القاطن رسالة تبلغ هؤلاء السادة بأن الخراجات يؤدون صلاتهم الآن في الضحية ويطلبون اليهم أن يهدؤوا حتى ينتهي وقت الصلاة . وكان تأثير الرسالة عاجلا فقد صمتت الأصوات الماضية ووضع المتحدثي عمامته على رأسه ، وجلس انتظارا للفرصاء على القاطن في هدوء . وبعد أن مرت على ذلك الوضع ساعة كاملة ، أحبطت الماسلة في الانقشاع ، وعندما ظهر الرجل الكسول على سطح المركب ، تكلم متعدها إلى الأمام سعيها بأن يملأ المساحة من جديد .

ولا نهما الصورة التي انتهت بها هذه المسئلة ، ولكنني اعتقد انه عرس عليه ان يسترد عقده في مقابل رد النقود التي أخضعها . وقد فضل أن يلتزم بالمساومة التي اتفق عليها . والواضح انه ذلك كان نتيجة الانحلال الذي يعنى على عقول هؤلاء الناس نصف التوحشين (١) لدرجة انه وجمت أن الواقعة لا تستحق الذكر .

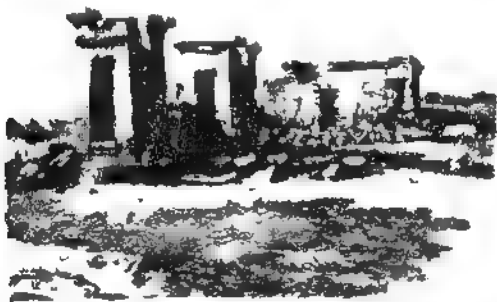
نرى الآن على بعد أقل من أربعين ميلا من قبلة ولكن الريح القادمة من الأمام كانت ضدنا على طول الخط ، وقد نعد صفوف الرجال من الخبز . ولا يوجد دقيق في هذه القرى النوية . وقد كنس الرجال المساكين آخر الكفاف الذي كان موجودا في قاع صحارة الخبز منذ ثلاثة أو أربعة أيام مضت . وهم يبيعون الآن على ثلاثة أرباع الجارية المروضة لكل واحد منهم ، من شحوبة الشمس والليل من الشعر الذي اشتروه من إحدى حلقا . وقد جثموا بجوار عباديهم صامتين ، أو حاولوا أن ينسوا جوعهم بالالتجئة الى النوم . وبالنسبة لنا كانت رؤية حاجتهم الى الخبز كثير الأمانة . وقد تضاعفت هذه الآلام لمجزأنا من مساعدتهم . واتسم تلميحي الذي وحصل مفزونه الى أقل مستوى بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئا . أما عاب اللحم المحفوظ الموجودة لديه فلن تكفي لفداء خمسة عشر رجلا ولا لمدة يومين فقط . أما من الدقيق فليس لديه إلا كمية من السمير تكفي الخوفجات ، ولا شك في أنهم جائعون . ولكن ماذا في ذلك ؟ انهم أعرا ب ، والإعرا ب يتحملون الجوع مقلما تتحصل الجمال السطحي فهذا ليس بجديد بالنسبة لهم ، وقد عانوا من الجوع من قبل . وسيعانون منه فيما بعد . يكفى هذا ! فليس على النساء الاعتماد بمنزل هؤلاء الناس !

وكانت نصيحة جيدة بلا شك ولكن من الصعب الإصطفاء إليها . لن نمن احتمالا وعدم قدرتنا على فعل شيء لهؤلاء الفتيان المساكين شيء

(١) ، ان لاجم طائفا يتكونون لهم لطفه السكان المسيحيين القليل من أهل المدينة الذين اعتنقوا الديانة الإسلامية منه خلعوا اليك للاستقام . وقد لجأ لجزء الكثير من هؤلاء الى الفرار . أو أنهم قتلوا أثناء هذه المسركة . ويؤخذ يطلق عليهم اسم أولاد الفساريين - أي ذرية المسيحيين .

Travels in Nubia, Burchard, London, 1819, p. 121. انظر كتاب

لا يمكن احتماله • وعندما يعنى هذا أن تضع أيدينا على مخرون بلحمي  
القليل من البيض والسكويات وأن نقيم مسابقات اليانصيب ونخصص  
لها حوائث من الشيكولاتة والتبغ فإن ذلك يعنى أننا قد نصرنا بالقليل من  
الحكمة • وقضينا ساعة أو ساعتين تحت حر الشمس في قرطاس ثم  
توجهنا الى دابود • إن معاجر الحجر الجيري في قرطاس مليئة بالمناظر  
و سقوش الخاصة بالندور • وليست اطلال المني الصغير الا مجرد مجموعة  
من الأعمدة التي تسد قطعة من الاقريز الذي يقف فوق حافة صخرة تطل  
على النهر • وعليك أن تظن اليها كما تريد سواء من أعلى أو من أسفل •  
وانظر شمالا أو جنوبا فهي من جميع النواحي تمثل منظرا صالحا للرسم •



معبد دابود

وإذا انتقلنا الى دابود على ذلك السطاط السحري المذكور في  
قصص الحيات ، فإن الانسان سينظر اليها برصها خرائب في • منطقة  
ساحلية • لاحدى البحيرات الهادئة في وادى الأحلام • أبها تقع بين اثنتين  
من أنهارات النهر الذي يتسع في هذه المنطقة دون أن تظهر له مبادئ  
للتصريف ، وقد أحاطت به الجبال ومرارح النخيل • أما المعبد نفسه  
فهو صغير وغير ذي أهمية • ويبدأ ادشاؤه مثل معبد الدكة بمعرفة أحد  
ملوك الأنوبيين وينتهى بمعرفة البطالمة والقيصرية • أما الشيء القريب  
فيه فهو عبارة عن صومعة سرية ، وتوجد بحوار الهيكل غرفة حائنية  
مظلمة ، وهناك حجرة في أرضية الغرفة الحائنية التي كانت مغطاة بالبلاط



في يوم ٢٠ وفي أحد أركان المطرة كانت توجد فتحة تسمح بمرور جسم رجل من حلال مر صديق . وهناك في الممر الضيق درجعت سلم تقود إلى غرفة سرية مبنية في جسم الحائط . وقد شلعدنا غرنا سرية أخرى في المبادي الأخرى (١) ولم تكن بينها غرفة واحدة سليمة بنا فيها من الأساليب القديمة .

ولا نتجاوز المسافة من داوود إلى قبلة عشرة أميال ، ولما كنا نقصد توريجور الأقرب إلينا بمسافة ميلين وهي لمس القرية التي عند سبيع المنحدر الرجل الجميل الذي رمونا بالقرب منه في طريقنا إلى جنوب النهر ، فقد كان علينا أن تبقى هنا لمدة يومين يليهما أسبوع على الأقل في حيلة . ولذلك فانه يسجد ووصلنا إلى توريجور أسرع الرئيس حسن وثلاثة من البحارة إلى أسوان لشراء الدقيق ، وطلب الكهل على . ورزق الله ، وحسن الذين تقع منازلهم في القرى المحيطة بالمكان السباح بالثياب لمدة أسبوع ، وسرعان ما تقلص عدد البحارة إلى خمسة تحت رئاسة حليمة . وعلى كل حال فقد كان هؤلاء الخمسة بمثابة خمسين .

وعندما رست النخية ولم يكن هناك شيء نملطه ، وقد أصبح بمعارنا الخمسة سعداء الآن بعد أن استطاعوا شراء بعض اللطائف النورية الثمينة والمدسى الأخير ، فقد أقام الرسام خيمته على قمة المنحدر الرمل ، وأجالت الكاتبة ترسم خرائط المدير القابل ، وأنجحت السيدة ( ل ) والسيدة الصغيرة تكتبان خطابات لانتتهى . وقام الرجل الكسول بقصه محمد على بصيد السمك . وقصر الجميع بالرشا .

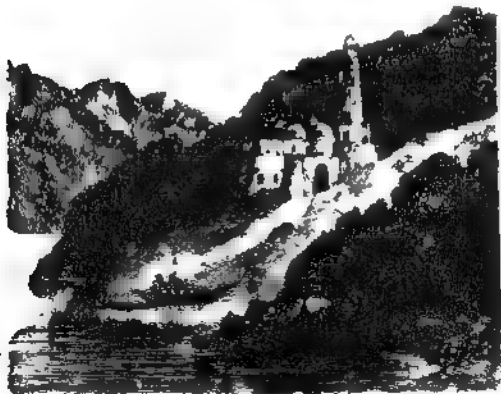
وكان الرجل الكسول منحوسا ، ولكنه لم يكن مصابا ببنون الكتل لأنه اكتفى بقتل السمك ولم يحاول قتل الأطفال ! فما أثنى دفعه إلى

---

(١) كانت تحط في هذه الغرف السرية ( التي كانت مدظلة بكتل صخرية مربعة بحيث لا يمكن للكشف عنها ) الشكليات المنسوجة من اللهب والفضة والبرود ، والبرويات القديمة ، والصنوج ، والكتك المصنوعة بالجرار ، وجميع الكثور المنقولة التي في المبادي . وقد رأينا كثرة مطابخ وغرفة صغيرة في مكان محدد القبة ، وبعض المرايب الفرفية وأماكن الأنظار تحت ترسية الغرفة المظلمة التي في شرق القوسية . وجميعها قد كسرت وسلبت . وكان لدينا سببا قويا للاعتقاد بأن الرسام قد كشف مكان غرفة سرية في ممر إلى غرب البيت عازل مغلقة . ومن المحتمل أن تكون جميع كؤوزه سليمة . ولم تكن لدينا على شيء حال . وسأل فتح الملك لابني من الممر للطلب .

ذلك ؟ دعنا لا تأمل أن تكون قد أصابه أطماع اهتمام عاطفي ، بسبب  
 لسانه السليح ! فقد ظهر هادئاً ومبتسماً وقد وضع يندقيته تحت أظفاله ،  
 ومحمد علي يسير بحاطه ، ولم يكن هناك من يشبه الرجل الكسول في  
 حقه عليه ؟ ومن كان يصاحي محمد علي المصمم ، في حفة سيره ؟ وقد سمعنا  
 رجبت الرياضي وهو يدخل في حقل الشعير • وقد سمعنا بهذا الصوت  
 لأننا عرفنا أن همداه حقيقي • وقدنا في أنفسنا أن كل طليقة نسمعها تعني  
 صيد أحد طيور السمان • وتها لنا أن إحدى هذه الطليقات قد  
 أصابت طفلاً •

وسرعان ما سمعنا صرخة إحدى السيدات • كانت صرخة حادة  
 ومخيفة على إثر طليقة رصاص • كما كانت مشبوبة بالعزع ، وترددت من  
 ركن إلى آخر مع ريادة الحدة وزجج الصدى من كل اتجاه • وفي نفس  
 اللحظة سمعت الصرخة مائة مائة الشريعة • وظهر الناس كما لو كانوا قد  
 خرجوا من باطن الأرض • وكانت النساء يصرخن ويلوحن بأذرعهن ، وأخذ  
 الرجال يهرعون ، والجميع يتجهون إلى نفس الهدف • وسمعت الكنتشة



دير قبطي للراهبات بالقرب من هيتة •

حبوت الصرخة ، وشهدت الاصابة ، واستجبت حالا ونزع حدث  
تاسم عن اطلاق النار .

وتلت ذلك لسطات من التوقع المؤلم ، ثم ظهر محمد على وهو يبدو  
بانقص سرعته . وبعد ذلك بحوالي خمس دقائق بقيت كسما لو كانت  
عشرين دقيقة ، جاء الرجل الكسول وهو يسير ببطء وتعد مرطوخ الرأس  
وذراعا ميسوطتان ، وقد اختفت بندقيته ، وخلفه حشد ضخم  
من الفولجا .

ومع بدارتنا القليلون المسلحون بالصفي للنجدة ، واضطروه سائلا ،  
وبعد ذلك عرفنا ماذا حدث . لقد طار صرب من السمان عاليا . وعندما  
عاد الى ارتفاع منطبخ ومن سطح الزراعت ، وغاص مرة أخرى في دورة  
سريعة ، أصبح في متناول بندقية الرجل الكسول . وفي اللحظة التي  
أطلق فيها الرصاصة وفي نفس مسار السمان قفزت مسيدة وظل كانا  
يجلسان القرفصة في داخل حقل الكسور وأخذوا يصرخان . وسرعا ،  
ما لاحظ العجل الكلام . واستطاع بحضور ذهنه الخبير للاعجاب أن يفرح  
شحنة الطاقة التالية . ثم أحط صنفوق ذبحه واحتضن بندقيته متسنا  
أن يتسكك بها أطول فترة ممكنة . وفي اللحظة التالية أحاط به الناس  
وحملوا مقاومته وسحبوا بندقيته من قبضته . ثم تلقى ضربة حجر من حجر  
ظهره . وبعد أن أخذوا بندقيته تركه واحد أو اثنين من الرجال لكي  
يبقى في طريقه . وبعد ذلك تخلص من الباقي وعاد إلى المركب . وفي  
نفس الوقت أسرع محمد على في طلب النجدة . وكان هو الآخر قد نال  
بعض الضربات الكسبية بالإضافة إلى نزيف ثوبه وجرح عميقه  
في رأسه .

وفي نفس الوقت لم يكن مينا إلا ما يقل من نصف عدد رجالنا ،  
وقد دخلنا في معركة خاصة بدون قائد . بينما استولى العدو على إحدى  
جناحي الثلاث ، مينا له من منظر مضطرب لقد اندفع رجال القرية كلها  
وهي قرية كبيرة . وانضموا يتراحمون على الضفة وهم يجرؤون ما وهناك ،  
وجميعهم يهتفون بالكلام ويهتفون مستخدمين الحركات والاشارات

للتعبير عن مستلهم • لقد كنا على وشك الغراك في طائفا • ولكننا هم •  
مهندسون بالبحر • وبعد ان سمعنا اللوح الغضبي الذي يصل ما بين  
الركب والشطرنج، عقدنا مجلسا سريعا للحرب •

وكانت المراتة سليمة ، واذا كان الطفل قد أصيب نهى اصحابه  
طفيشة ، وأحسنا بالاعتدال في الحديث منحة الإصابة ودعونا أهالي  
القرية الى تقديم بيان بحالة الموقن الجبل ، وطالبناهم باعادة اليانقية  
حالا ، وعلى ذلك دوسلنا تلحمي للتفاوض مع وعيم القرية واحضار  
اليانقية سريعا ، وموضعا بأن يقول لهم كنوع من الصفاء السياسي -  
انه لو كان قد حث مكرهه فانه يوجد طبيب ضمن الموجات ، وعلى والد  
الطفل ان يأتي بطفله الحساب لمعالجة امراضه •

وكانت الاحوال متوترة في الخارج مثلها في الداخل ، فانتظرتنا  
لا يستمر عنه الأحداث • ولما كان ظهر تلحمي في مواجهة الظهر فقد  
شاهدنا كل نصف الدائرة التي تتكون منها الوجوه السمر • كاملا بما فيه  
العواصب الموقسة ، والعيون التي تطلق الشرر ، والاسنان اللاعبة •  
وفجأة تغير تعبير الوجوه • لقد بدأ التغيير أولا بالنسبة لهؤلاء الذين كانوا  
اكثر الى الخشخشة ، وانتشر بالتدريج الى الخارج • وظهر كما لو ان موجة  
قد عبرت فوقهم ، وعرفنا حينذاك ان ضربتنا قد جاءت • وعاد تلحمي •  
وتجمع القرويون حول زعمائهم وهم يتفاوضون • وأخذت أعداد منهم في  
الجلوس ، وعندما يجلس القروي تتأكد أنت من أنه لم يعد يشكل خطرا •

وبعد حوالي ربع الساعة انتهت اليانقية دون ان تمس • وظهر  
رجل كهل على الضفة وهو يحمل صرة زرقاء • والآن أعيد لوح الخشب  
الموصل بين المركب والضفة ، وابتعد الزحام ، وسمح بمرور الرجل الذي  
يحمل الصرة ومعه ثلاثة أو أربعة آخرون •

وبعد ذلك الصرة ظهر جنى صغير بني اللون يبلغ من العمر حوالي  
أربع سنوات ، ورائحة اشعث حطيق القصر • ويكي في البداية وهو  
يشاهد الوجوه القوية البيضاء اللون • ولكن عندما قدمت له إحدى  
نساء النبي ، سى كافة مخاوفه وجلس يمشتها مثل القرد • أما بالنسبة  
لجروحه فقد كانت بسيطة • لان الطفلة قد لامست كتفه في أربعة أو خمسة  
مواضع • وقام الرجل الكسول بفشل الخدوش بقطعة اسننج مللثة يلائه

النامي . وقام السيد ( ل ) بتغطيتها بقطع من البلاستر اللاصق . وأجره  
 أعدينا إلى أبيه جنبها ذهبيا فروسيا ، كما تم لف الحصاب في أحد قبصان  
 الرجل الكسول ، وأنهى الفصل الأول من المسرحية . وكان علينا انتظار  
 المصلح الثاني والثالث . عندها وجد الرسام والرجل الكسول أن المصلح  
 قد انتهت ، اتفقا على أنه من المناسب تقديم شكوى ضد القرية . حماية  
 بالسباح القادمين فيما بعد . وكان ذلك بسبب الضرر المخلو الذي وجهه  
 من الخلف في وقت كان فيه الرجل الكسول ( الذي لم يحاول من قبل  
 أن يعين نفسه ) ضيقا بين أيدي النوازل . ولذلك ذهبنا في اليوم التالي  
 إلى أموان ، ووعده الحاكم وهو ميتهم كعادته دائما بأن تأخذ المصايد  
 مجراها . وفي نفس الوقت محركا بالمحبة إلى قيلة وبقياس عندك لمدة  
 أسبوع مشغولين بالرسم .

وفي المساء التالي حضر وفد من تورييجور يطلب المصنع ويطلب أنه  
 حصة عشر قرويا قد ائتمنوا إلى السجن .

وذكر الرجل الكسول أنه لا يستطيع أن يعمل شيئا بالنسبة لهم ،  
 وأن الموضوع باختصار أصبح في يد العدالة ، وسيتم التعامل معه طبقا  
 للقانون . وحبنا جميع المتكلمات حنينة من التراب وعهد بل ينثرها فوق  
 رأسه . وقال : « أيها التريجان ، أبلغ الخواجة أنه لا يوجد قانون  
 إلا ما يرضيه الحاكم وأنه لا توجد عدالة إلا رغبة الحاكم » .

وفي صباح اليوم التالي ذهب الرجل الكسول إلى أموان مبكرا  
 لينزل بشهادته فاستقبله الحاكم والمدير منفردة . وتم تقديم المليون  
 والتهمة وتبادل الرسيات المتبادلة . ثم أبلغ الحاكم ضيقه أنه تم القبض  
 على خمسة عشر رجلا من أهالي تورييجور واعترف أربعة عشر منهم بأن  
 الخامس عشر هو الذي وجه الضرر من الخلف .

ثم قال الحاكم : « ولأن قبل أن نرسل في طلب المحتجزين ،  
 فمن الأفضل الاتفاق على القرار » ما الذي يرغب سعادته في عمله  
 بالنسبة لهم ؟ » .

وأدرك الرجل الكسول فكيف يقدم اقتراحا بالطلوب وهو يجب  
 التعاون المدني للمصري ؟ وكشف يتم الاتفاق على مطروق اسمكم قبل  
 المحاكمة ؟

واجتمع الحاكم بهتوه ، وقال : « ولكن هذه هي المحاكمة » .

ولما كان الرجل الكسول ابليزيا فقد بذل جهدا لمعرفه مدى فعالية هذا التوضيح . انه توضيح لنص ببساطته الرفيعة النظام الكامل للإدارة القضائية في القانون المصري . وتردد في يمان انه لا يفسر ادنى استياء ضد المذنب في القرويين ، وأن كل ما رغب فيه هو تخويلهم لكي يحترموا السياج بوجه علم .

وهنا دعا الحاكم المدير لاقتراح صيغة الحكم . وقال المدير انه وهو ياحد في اعتباره قرارات سماعة المتساهلة يقترح مجازاة الأريسة عشر رجلا الأبرياء بغير سجن لكل منهم . اما البجائي الحقيقي فيسجن لمدة شهرين مع جلده مائة وخمسين جلطة في الثالثة .

وقد انشعر بعض الرجل الكسول لدى سماعه هذا الاقتراح وأعلن ضرورة إطلاق سراح الأبرياء ، ولكنه وافق على أن يجلد البجائي مائة وخمسين جلطة لكي يكون متسالا لغيره ، ثم تخطت الجلطات بسبب أداء الجلطات الأولى ، وأعطيت الأوامر بإدخال القنينة .

وتقدم السجنان أولا وتبعه شرطيان ، ثم ادخل الخمسة عشر رجلا المحتجزون . وهم لمس بالخبيل وأنا أكتب أن أعناقهم قد ربطت بالسلاسل في طاير واحد . ويستطيع القنينة أن يتغلب شعور الرجل الكسول في هذه اللحظة .

وتم النطق بالحكم ، ونظر الأريسة عشر رجلا في دموع وهم لا يصدلون أذانهم . بينما كان المسجون الخامس عشر للمائب بيانة وخمسين جلطة ( « خمسة وخمسين جلطة على كل من قننيته » كما قال الحاكم ) أكثرهم سماعة لإطلاق سراحه يمثل هذه السجيرة .

وأكثره على ظهره ، ثم ربطت قدماء وباطنهما إلى أهل ، وبسند الشرطيان في تنفيذ الحكم . وكان يصرخ عند كل جلطة قائلا : « يحرق الحاكم أيضا المدير أيضا الخوارجة ! » .

وبعد أداء الجلطة السابعة اتجه الرجل الكسول نحو الحاكم وطلب رسميا التظلم عن تنفيذ حجة الحكم . واستعجاب الحاكم للطلب - وأطلق سراح المحتجزين وهم يكونون من فرط سعادتهم .

ثم تبادل الحاكم والمدير والرجل الكسول التسميات العجالة ، وذكر الحاكم أن رغشته الوحيدة أن يكون مقبولا عند الاجلير ، وأنه كان سيقوم بجلد القرية كلها لو رغب معادته في ذلك .

وقصينا في قبلة ثمانية أيام سعيدة . وبعد حلول ظهر اليوم الثامن كانت الكاتنة وحدها على الحرية خلال الساعات الأخيرة . كانت سمعدها يصرخ انه كان يرفعها أحد العجالة ، وهذا يصرخ انه كان رجيدة . وكانت عيلة ابنا وحيدة بما يضيئ لمسة إضافية من المال والاحساس بالقرية .



منظر قبلة من الجنوب .

وكان الجو في ذلك اليوم حارا ، والسميم هادئا على صفحة ابهر . وقد انتهيت من رسم آخر لوحاني ، واخذت أتجول ببطء من بقعة الى أخرى وأنا أودع مسكن العراصة ، والأعمدة الملوقة ، وكل مر ، ونخلة ، ومعصورة ، ووجه نظر معتادة . واحتلست النظر مرة أخرى الى حجرة أوروريس السرية . ورأيت الشمس وهي تشرق للبرة الأخيرة من سفح معبد ايريس ، ثم عندما خبت ومضات كل تلك العجائب بالوانها ابورده والذهبية ، ظهر الفسق الدامي ، ولا تستطيع أية كلمات أن تصور الجمال الحزين الذي تميزت به قبلة في هذه الساعة . كانت الحبال المحيطة تقب شامخة مسنة ودات لون أرجواني ، في مواجهة مسما عسرية شاحبة . وكان سطح النيل مسقولا . ولم يكن هناك نفس أو فقاغة تثير المنظر الطبيعي الهادئ . وكانت كل لحظة ثائية ، وكل حجر مردوخا . وابمكبت الصخور الضخمة التي في وسط البحر تماما بحيث أصبح من المستحيل اكتشاف أين تنتهي الصحرة بحيث تبدأ المياه . وفي نفس الوقت كانت مبانى المصد قد تحولت الى النون البرونزي انهضى الباهت .

ولقد غصت البوابات بأشكال تلوح بالحيّة الفنية ، وبنت مستعدة للخروج  
من زماكتها .

وكانت الوجوه شاعلة مع وجود حنوء ساحر في الهواء . وكنت أسمع  
أحدى الأمهات تضي لطفلها بصوت خفيض فوق سطح الجزيرة المجاورة .  
وعصفورا دوريا يترد في عشه الصغير في قمة صود تحت قلبي ، ونسرا  
يصرخ بصوت قاطع بين الصخور على مسافة بعيدة .

كنت أنظر ، وأسمع ، وأعد نفسي بأنني سأذكر كل ذلك خيال  
الستوات القادمة . . كل التلال الهادئة ، وهذه الصفوف من الأعمدة  
الضامنة ، وهذه المساحات العميقة الساكنة من الظلال ، وهذه الخلال  
الناعمة . وكنت ألتصق حتى يحيطها كلها الظلام . وأخيرا ودعيتها جسيمها  
خوفا من ألا أراها مرة ثانية .





## الطمل الضرون

### السلسلة وادفو

أثناء دهاينا استغرق تضالنا في السفر من أسوان الى المحطة مدة أربعة أيام . ولكننا في العودة انزلنا بسرعة . وشكرا لصديقنا القديم شيخ الضلال ، فقد وصل في فترة قصيرة لا تتجاوز نصف الساعة - بوجهه المريح ، وعينيه اللتين تشبهان عيني السمكة ، وبدانته الممودة ، ولد ربط رأسه بنمط المنديل الأصفر القديم ، ونفس البازييلة في غم . وقد أحضر معه جماعة مكونة من خمسين صديقا من رجال الضلال وحمل تحت ذراعه علما دنا أحمر اللون . ورفع هذا العلم الذي طرز عليه حلال ونجمة يوقار فوق مقدمة السفينة .

وبعد أن أودع الشيخ النخبة في رعاية النبي ، أغلقت النوافذ والطبوش ( الصالون الذي تغطيه كوة بالسقف ) ، وأغلقت الأبواب ، وأزيحت الأشياء القابلة للكسر الى مكان آمن . وأصبح كل شيء مقلما ، كما لو كنا نستعد لاستقبال عاصفة بحرية . وأقبلنا من المحطة في الساعة السابعة من صباح يوم جميل في منتصف شهر مارس ، وسارت قيلة على الجانب الليبي بدلا من العودة من خلال القنوات القديمة ، متجهة مباشرة نحو الباب الكبير وهو الجنادل الهائل الذي لم نره من قبل . وقد قضينا الليلة المخفية كلها ونمى يستمع الى صوته من على البعد ، أما الآن فإن ذلك الصوت الهادر يتحرب مع كل ضربة مضطرب .

واليوم أصبح شيخ الضلال هو رفاق النخبة ، ورجالهم هم بشارتنا . واقتصر واجب الرئيس حسن ورجالهم على الجلوس والتطلع في مكان . ولم يلبس الوقت أخذ رجال الضلال يحدقون بسرعة وانتظام . وهكذا هب لنا النهر وهو يجري أسرع من المعتاد ، وسرعان ما أحسنا بقوة اندفاع التيار تحت هيكل النخبة . ونجاة شاحدا شرارة وزخوة فوق السطح هناك . لقد كانت المصنوع لمانتا على البعثة واليسار . بينما

ظهرت العوامات في كل مكان . ولما الشبح غلبوه ، وحط حدام ،  
 وزعج بنفسه الى مقعدة السفينة . وكان نائيه متركزا في قمة السلم  
 الذي يتجه الى السطح العلوي . وتكفل ستة رجال بمراوح المذقة ، وتمت  
 تنويه القاطن بالتجديف فجلس الناب الى كل مجداف .

وفي وسط هذه الاستعدادات ، وبينما ظهرت الجديفة على وجوههم  
 الجميع ، حتى ان الاعراب التزموا أيضا بالهجوم . وجدنا أفسا حالا في  
 مشغل مضيق طويل وضيق ، وهو نوع من الوهاد المصيفة التي تلج بين  
 حائلين من الصخور ، وتنطلق من خلاله كتلة من المياه المرجوة في انبعاث  
 حادة . وقد ظهر لنا كما لو كان الليل كله ينضج في موجات وحشية  
 أسفل هذا البحر المرمي .

ويبدو للوهلة الأولى أنه من المستحيل للذهبية ان نغاطر بعبور هذا  
 الطريق دون ان نتحول الى أضواء متتارة . ولم تساعد مساحة كائبة  
 لزور المركب والمجاديف . وعلى كل حال فقد اعطى الشبح كلمته ، ورددها  
 مائيه ، فاطاعها الرجال الذين علسد الذفة ، فوشحوا الذهبية في وضع  
 مستقيم عند ذلك التيار المائي المتوحش . ونهيا لنا ونسي مقطوع الأنفاس  
 لمدة ثائية واحدة ، اننا لرتعش على حافة السقوط . ثم انطلقت قبلة  
 الى الأمام !

ورأينا الذهبية تنلّق بكاملها تحت اقتدامنا ، وكنا نحس بالارتجاج  
 والانخفاض والانقطاع المترجع الى الأمام . وسرعان ما أحلت الأمواج تربة  
 وغفل مرتفعة من كافة الجوانب ، ثم تفيض على السطح السفلي وتغطي  
 السطح العلوي بالرداذ ، ورفع المبحفون مجاديفهم ثاركني كل شيء للذفة  
 والذيار . وبالرغم من الضوضاء الصاخبة كنا نسمع بوضوح هذه  
 المجاديف وهي تحتك بالصخور على كلا الجانبين .

والآن ، فإن الشبح الذي يبدو ملك الموقف في هذه اللحظات ،  
 يقف بدون حراك رافعا ذراعه لأنه توجد عند بهاية الممر اجساد  
 حادة الى اليمين ، تشبه في حافتها ركن خارج في أحد شوارع لندن  
 الصومية الضيقة . فهل تستطيع قبلة التي يبلغ طولها ١٠٠ قدم مر  
 مقدمتها الى مؤخرتها ان تدور مع هذه الراوية في سلام ؟ وفجأة توج  
 الدواج المرفوع وصاح الشبح « ذفة ! » ، وامرغ الرجال بقوسيه الذفة ،  
 واستجابت المركب لكلمة الأمر التي صدرت ، وبدأت الدوران قبل ان

تجاور الصخور ، ثم انحطت حول الركن في اللحظة المناسبة تماما .  
وسرعت سائلة فيما هذا كمر هجأف واحد ا

وكانت القرحة عظيمة . وأسرع الرئيس حسن لصناعة الجميع وقد  
غمرت السعادة قلبه ، وأخبر الأشراف في توريد كلمتي « طيبون ،  
و دميدا لله على السلامة » . وابتسم قلبي وقد أحاط به نصب دسنة  
من رجال القبائل وهم يملأونه ، ويسرعون كوليته على رأسه ويأخذونها  
كجائزة . أما الرجل الوحيد الذي لم يتحرك فهو شيخ القبائل ، فقد رآه  
ومضة القوة النشطة التي أضاعت وجهه ، وعادت إليه الملامح للبلدة في  
نفاقل ، وارتدى حذاءه ، وعدد رجله ، وأحمل غليونه ، وصار مثل البومة  
كمادته الهاتمة . ولد تخيلنا حتى هذه اللحظة أن أعراب القبائل كانوا  
يصنعون محاطر عبور الباب الكبير لريادة أجرحم ، وكذلك كان السباح  
يفضونها أيضا للتفلسف بأنهم اجازوها . ولكن هذه ليست هي القضية ،  
لأن عبور الباب الكبير يمثل في حقيقته مهمة صعبة لدرجة أنني أشك في  
أن يقبل أي ريان اصليرى المخاطرة بقيادة مثل هذه المركب خلال هذا  
المس السريح الجريان ووسط مثل هذه الصخور متظلمة فعل أعراب القبائل  
في ذلك اليوم .

ولمست جميع الذهبيات سميفة الطالع، ذلك أنه في ربيع وتلاثين  
ذهبية عبرت القبائل في هذا الموسم أصيب عدد قليل بأضرار طفيفة .  
بينما تمطلت ذهبية واحدة ، مما اضطرها للبقاء في اسوان لمدة اسبوعين  
حتى يتم اصلاحها . ولكنني لم أسمع عن حدوث خطر حقيقي يؤدي الى غرقه  
حقيقي للسفن ، او حدوث أضرار للأفراد او اصابات لبعض الأطراف .  
إن رجال القبائل يشيرون يهدو الأعصاب والهلالة ، وينتمون بحيرة  
واسعة . وقد فضل رسامنا أن يجمع لوحاته ويصاهاها مطوية الى أرض  
جافة على طريق الصحراء ، ولكن ذلك كان احتياطا لم يحلم أي منا باتخاذ  
فيما يتعلق بسلامتنا الشخصية . ولم يكن هناك ما نخشاه لأن النتائج  
التي يجبر القبائل في طريق العودة يستمتع بمظهر عجيب وصغيرة  
شديدة الانارة .

وعند اسوان ودعنا النوبة والأثيوبيين الطيبين ، ووجدنا أنفسنا  
نحبر بيل مصر مرة أخرى . ولو لم تغير هذه الأميال الخمسة من القبائل  
وعبرنا بدلا منها خمسمائة ميل من البحر أو الصحراء ، فأننا لم نكن  
لحظت تغييرا كاملا . لقد تركنا خلفنا نهرا حالما . وشاطئنا حدادا ، وصحره

دائمه . وبعد عودتنا دخلنا حالا في وسط منطقة خصبة ومكتظة بالسكان  
والآن غاصا في التوارب على صفحة النهر طوال اليوم ، والقرى على  
الضفتين ، والطيور وهي تطير . والفلاحين يصلون في الأرض ، بينما يهبط  
الرجال والنساء والخيول والجمال والحمير طوال الوقت ، مسار مسحب  
الركب ، جيتة وبهايا دون توقف . وهناك دائما شيء يتحرك ، أو شيء  
يدور الملل فيه . ويجري النيل منفضا ، وترتفع أواشي الشادوف  
ذي الأعناق الثلاثة متارعة من الصباح الى المساء . ومرة ثانية يرفع  
البحار من تحركات الاكواخ غير الظاهرة عند نهاية اليوم . ومرة أخرى  
نسمع الكلاب وهي تنبح من كلر الى كلر خلال سباعته الليل الساكنة .  
ومرة أخرى قرب غروب الشمس نرى صفوها من البسات القادحات الى ضفة  
النهر وعلى رؤوسهن الجراد لكي يملأنها بالملح . وتلك البنات الاعرابيات  
عندما يقفن ومن يرتدين ثيابهن التي تتدل أطرافها الى الأرض ، بينما  
يقفن أقدامهن في الماء ويضفن فوهات القفل يطول أذرعهن في التيار  
التدفق ، مما يرى الانسان بأن يستعظم قلبه الرصاص لرسمهن في  
صور تخطيطية .

ويوجد في كوم أمبو معبد عظيم كان يوما ما يماثل معبد دلفرة في  
ضخامته وربما كان أكبر منه . ونظرا لأنه مبني على طقس للمساحة الكبيرة  
فقد كان معبدا مزدوجا مخصصا لائتلاف من الآلهة مما الإله حورس  
والإله سوبك (١) أي الصخر والتمساح . ولم يتبق منه الآن سوى أعمدة  
خشبية مدفونة الى مسافة ثمانية أو عشرة أقدام من ارتفاعها الضخم ،  
وقطعة مستارة من الإطار الذي يحيط بالأبواب ، وقطعة مكسورة من اقنير  
عنوت ، وبعض الكتل السالطة المحفور عليها اسمه ملوك وملكات  
السلالة .

وقد قيل انه كان يوجد هنا معبد مزدوج ضخم ، وبهو للأعمدة  
وهيكل مزدوج - وكانت كلها كاملة ولكن لم يمد الوصول اليها سهلا .  
وما زالت الكتل التي تغطي سقف الكاعات الثلاث التي تقع الواحدة منها  
خلف الأخرى ، والتليل من الأسباطين ، ظاهرة خلف البحر ذي الأسباطين .  
ولكن أحدا لا يعرف ماذا يمكن أن يكون مدفونا تحت السطح ، لأننا لسرف  
لنقط أنه كانت توجد هنا مدينة قديمة وكثر وسبط ، قد ابتلعتهما الزمان  
بطيء . وأن معبدا قديما كان ماصرا لمعبد معبدا وقائما داخل المساج .

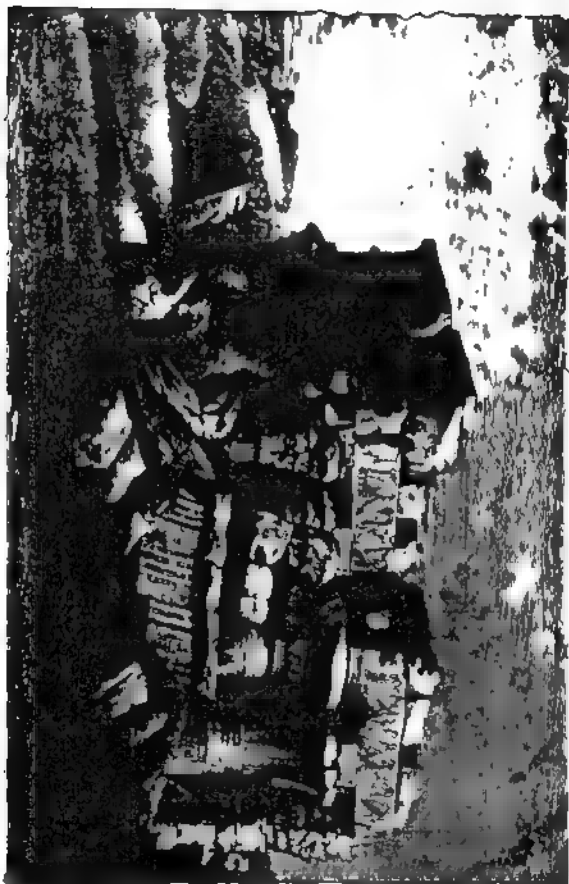
(١) « سوبك إله شمس يسمى في برفية بولاق ابن ابيروس وهو الذي حارب  
أعداء فرعونس وهذا تطبيق تلم مع حورس - ويوجد المسفة جد في ابيروس »  
Die. Arch. P. PIERREY, Paris, 1878.

وكانت الرجال هنا مكومة على مدى ٢٠٠ سنة ، ويبلغ عمقها أربعمائة قدما ، ولم يجر خرمها مطلقا . ولما يتم خرمها الآن ، لاى يمر الليل يرحب على المصفاة تدريجيا ويصل منه على دفعات كل ما كان مدفونا تحت رمال الصحراء . وقد تناثر نصف البراية الطينية ، وشلال من الكتل المنصوتة فوق المتحدر الشديد الميل من القمة حتى القاع . أما النصف الآخر فهو محلق على حافة الجرف . ولم يظل مطلقا لمدة طويلة فسرعان ما يأتي اليوم الذى سيتقوض فيه ويتحول الى أنقاض مثل النصف الآخر .

وقد فقدنا الرسام ما بين كوم كوم لمبر والسلسلة ليس لأنه ضل أو سرق ، ولكن لأنه حقق الهدف الرئيسى من رحلته فكان سعيدا لاكتناص أول فرصة للمودة السريسة الى القاهرة . وقد جاءته هذه الفرصة عن طريق دوق ميل كل يطفى شهر الصبل على ظهر سفينة بخارية فى منتصف المسافة ما بين كوم كوم والسلسلة ، لقد كان الرسام والوق قد تآمرا سويا الى الآخر منذ وقت طويل ، وسرعان ما تم ترتيب الأمر ، ففى أقل من ربع الساعة تم نقل الصورة الكبيرة وكل أمتعة الاستوديو من التربة التى فى مؤخرة النهمية فيلة الى القصة التى فى مؤخرة السفينة البخارية . وسرعان ما اختفى رسامنا الذى وقع على مطعم دوس سابق استعداد ، وطباخ ، وفادل ، وتصيب عدل من ضروريات الحياة ، والسعادة ترفل عليه وذلك بعد هذه المسافة بسعد ٢٠ ميلا فى الساعة . وإذا كان الزوجان السعدان اللذان تما من الرياح التى تهب من الإمام . قد رضيا بمعاملة الماعذ ، إلا أنها تابعا تلك السفينة البخارية بصون يملأها الفسوق الحزين ، فلن الكتابة لم تطلب شيئا أفضل من الاستمرار مع النهمية فيلة .

وواصلنا طريقنا مع النيل الطويل ، والحياة القصيرة . بينما كان من المؤكد أن القصة التى نوردنا كتاب الدليل الذى معنا فى حقيبة . وعنفنا وصلنا الى السلسلة صباح يوم ١٧ مارس ، كانت الرياح الشمالية تهب ولم تقطع منذ لوف فبراير سوى يوم واحد .

وبعد السلسلة انطلقنا بسعد دون جدوى من آثار ذلك الحاجر العظيم الذى كان يسد مجرى النيل فى هذه المنطقة يوما ما ، والمجرى هنا ضيق ، ولتقرب مسخور الحجر الرمل على كلا الجانبين من حافة للدا . وكان هناك فى بعض الأماكن فراغ للسبح ، بسما لم يوجد ذلك الفراغ فى أماكن أخرى . وكانت هناك بعض المسخور الخلقة فى مجرى النهر . وقد لاحظنا فوق صخرة منها عن طريق الصدفة ، سفينة بخارية تابعة لشركة كوك وكانت قد توقفت عندها منذ يومين . ولكن إذا كانت مثل هذه



معدن كوكب لندون ویتون لندون

الكتلة قد سفت مجرى النهر وتسميت في حجر النهر لجراه عند فيلة -  
 فانها تكون أيضا قد غيرت كافة الأحوال الطبيعية والمناخية في النوبة  
 السمل . وعلى كل حال فانه لا توجد أية علامات تدل على ذلك .

ويرشدك الأعراب هنا إلى صخرة تتخذ شكل شمسية ضخمة يتولون  
 في بعض اللوك ربط فيها سلسلة لكي يعجز نهر النيل ، ويبدو أن هذه  
 الأسطورة المتكوك في مسحتها هي التي تبث في الفكرة فكرة الطاجز  
 القديم .

وقد اكتشفنا أن صخور الضفة الغربية غنية بالعنيتات التذكارية .  
 والمزارات التي لقيت كتلود ، والجبال ، واللوحات التاريخية ،  
 والنقوش . وهذه الأخيرة يتراوح تاريخها ما بين الأسرة السادسة والأسرة  
 الثانية عشرة . وبعض الجبال والجبال التي في جدران الصبرات  
 الحديثة الغرابية ، فهي مصنوعة إلى جانب بعضها البعض في صف طويل  
 قريب من نهر النيل ، وتكشف عن لحاحات خفيفة لبعض الأشكال المألوفة ،  
 والزخرفة الصارحة بحيث تبدو كما لو كانت صناديق خاصة مع شالغها .  
 وقد وجدنا في سطحها مجموعات مبنوعة من الآلهة (١) المنحوتة والملونة .  
 وقد وجدنا في مزار أكبر من المزارات الأخرى ثلاث فجوات ، تحتوي كل  
 منها على ثلاثة آلهة .

والى الشمال على البعد . قطع القنطرة العظيمة للملك حور محب آخر  
 طراصة الأسرة الثامنة عشرة . والقناصير التذكارية لأسرة الرعامسة في  
 البادية الجنوبية البعيدة من هذه السلسلة . والقصور الأولى عبارة عن  
 جماعة مستطيلة على شكل يهو مسقوف محمول على أربعة أعمالين ومحيط  
 في حط مراد للنهر . أما الحرائط في الداخل والخارج فهي مقطوعة  
 بنقوش جميلة التنفيذ مطبوعة بطريقة غاترة . ومازال بعضها محفوظا  
 بأكثار الألوان . أما موكب نصر حور محب وهو عائد بعد الانتصار في أرض  
 كوش ، والموضوع للشهور الذي على الحائط الجنوبي الذي وصفه

(١) Le point de départ de la mythologie égyptienne est une triade v. CHAMPOLLION, Lettres d'Égypte, etc. XI Lettre, Paris, 1828.

وهذه اللآليات والخطة أكثر في بعض جرد حسين وكلاشة .

مارييت (١) بأنه واحد من الأشياء الجميلة في الفن المصري . فهو معشوقان بطريقة تجل من الوصف . أما مزارات أسرة الرعامسة المقتاة كندور فهي مجمعة مع بعضها في ركن صالح للرسم ، ذي لون أخضر بسبب الشجيرات التي على حافة الماء . وهناك ثلاث فجوات جدارية مرصعة بنحس سبتي الأول ورعسيس الثاني ومرنبتاح . كل منها على شكل الجزء الأمامي من حشبة المسرح مع أقارير ملونة ، وأعمدة جانبية ، ومجموعات من الملوك والآلهة مازالت ألوانها لامية . وفي غالبية النحت الموجود في السلسلة ترى شكلي لاهي يتسيد رؤيتهما في أي مكان آخر . وهما صوريك الآلهة التسامح وحاني - حو اله النيل الخنجر برهرة اللوتس . وكان هذا الآلهة الأخر هو الآلهة الحارس للمنطقة . وكانت تجري عبادته في السلسلة حسب مقوم خاصة . وقد وجدت أنشيد تلتزمه معشوقة هنا وهناك على الصخور (٢) وأكثر الجميع غريبة الآلهة تسمى تا - أور - ني (٣) (٤) وهي للرسومة ضمن أحد الموضوعات الجانبية في مئذنة ورعسيس الثاني . وهذه الشخصية الغريبة لها جسم فرس النهر ، ووجه سيمة تركي باروكة مريضة . وتوبا رسميا له خمس شملات . وقبلة السائر الذي يفصل بين رئيس مجلس اللوردات وسائر الركبة .

(١) L'œm (parol du god) représente une déesse nourrissant de son lait divin le roi Horus, encore enfant. L'Égypte n'a jamais, comme la Grèce, atteint l'idéal du beau : mais en tant qu'art égyptien, le bas-relief du Sphex de Gebel-Sinieh est une des plus belles œuvres que l'on puisse voir Nulle part, en effet, la ligne n'est plus pure, et il régné dans ce tableau une certaine douceur tranquille qui charme et étonne à la fois. — *Mémoires de la Reue Egypte*, A. Mariette, 1872, p. 246.

Hymne to the Nile أنظر مدينة مصرية رقم ٢ ومطالها ترجمة كليل ترجمها مسيهر - باريس ، ١٨٦٤ .

(٢) Cette Déesse à corps d'hippopotame debul et à mamelles pendantes paraît être une sorte de déesse nourrice. Elle semble dans le bas temps je ne dirai pas se substituer à Maat, mais compléter le rôle de cette déesse. Elle est nommée la grande nourrice et présidait aux chambres où étaient représentées les naissances des jeunes divinités. — *Dict. Arch.*, P. FISHERET, Paris 1875.

نقل هذه الآلهة في السماء مجموعة بجرم كلب الأكبر أنظر كتاب *Guide to the first and second Egyptian rooms* - B. Birch, London.

(٣) الآلهة : ثوريت ، هي التي ترمي الحوامل وتشرق على عتبة المائدة وتتمتع بالظلال - ( المراجع ) .





• أنوبيس ( أنوبيس ) •

• أنوبيس ( أنوبيس ) •

ويقت حلفها الآلهة تحوت والآلهة موت • ويتسلمون هم الثلاثة البيعة من الملكة نفرتاوي التي تتقدم بحوهم ومعها قطعة مكنونة من النبي من الصلاصل • وهي بوصفها فرس النهر • متوجة بفرس الشمس ووريش الطيور • وقد تقابلنا مع هذه الآلهة من قبل • وهي ليست غريبة بوصفها موبلة أو حجابا • وقد قامت الكاتبة برسمها في جزيرة فيلة • حيث تعمل مكانا بارزا في واجهة المحبد • ولكنني أظن أن وضاعة ودأبها الضاد الضكل في السلسلة • تثير الاحساس بالفراية •

وتتركز أهمية الفضة الغريبة في منحوتاتها ونقوشها • لما أهمية المضغبة الشرقية مشتركز في مجاميرها • وقد جددنا حتى نقطة تقابل تقريبا مقاصير أسرة رمسيس • وتسلفنا منقطرا حادا من الأطلال عند قهوة شق ضيق بين حوائط من الصخر الصلب • يتفرج لارتفاعها ما بين أربعين إلى خمسين قدما • وهذه الحوائط مائعة ومصقولة ومعاملة يسود اسرارها • ولون الصخر الرملي عتري غامق • ويبلغ عرس المر عشرة أقدام وربما يبلغ طوله أربعمائة قدم • ويظهر فيه منتصف النهار من جانب • أحدهما في الليل والآخر في ضوء الشمس مع شريط ضيق من السماء الزرقاء يلحم من فعل • وليس له شيبه في العالم فيا هذا الممثل لل مترا • ١٢

ويبدو أن تبعدنا هذا المسار . وصلنا حالا إلى منطقة فسيحة يصل اتساعها إلى مثل اتساع ميدان بلجرماف ، تنفتح خلفه منطقة أخرى أصغر منه ومتفصلة عنه بحاجز رقيق من الصخر . وعلى حواظ هذه المنحدرات الضخمة كانت علامات الارميل وتقوُّب الأوتاد سليمة كما لو كانت آخر الكل قد نرعت نفس فقط ، مع أنه قد مضى ما يقرب من ألفي عام منذ تعرض المكان لأحر ضربات المطرقة ، وتردد صدى آخر أصوات العمال . ولم تصمت هذه الأصدا منذ أيام فرامنة طيبة حتى أيام البطالة والتبصرة . لقد أخذت من هنا ومن المحاجر التي على الجانب المقابل من النهر جميع أحجار معابد الكرنك والأقصر والقرنة ومدينة هايو وأسيوط وأدفو ولومنت .

وعند عودتنا تسلكنا تلالا طويلة من الشظايا التي تطل على وديان من الاطلال ، ووصلنا أخيرا إلى جانب النهر عن طريق سهل قديم مائل السطح . كانت الكتل تنزلق بطوله إلى أسفل نحو مكان تحصيل الفولرب . ولكن الغرب الاندياء بالنسبة للسلسلة هو الأسلوب الذي جسرت به المحاجر . لقد تم تقطيع الحجر الجيري في جميع هذه النقوب والممرات والمخارج إلى قطع ناعمة ومستقيمة مثل اللبن المكون في الكومة ، فوجد على كل مكان في الكتل مربعة الشكل ، وأن الفضل الأسير قد نزل بينما ترك الأسوأ . وحيثما كانت الأسير دقيقة المكونات واللون ، فقد قطعت بالفضل الوسائل الاقتصادية . وقد تركت قائمة في المكان الذي تولت فيه باللون الأبيض أو البني ، وخطت أثقيا بالمروق البنفسجية . ورأينا هنا وهناك الأماكن التي نقلت منها الأجزاء السفلية ، وتركزت فيها الأجزاء العلوية بآلة مثل الأقوار المعلقة في منازلنا المعلقة من الأقوار الخشبية والتي تعود إلى المصور الوسطى . وإذا قورنت المباني المرتجلة التي نرى فيها بهذه المحاجر القوية الكاملة ، فإنها ستظهر مثل الماني الدائية

ويبدو أن صارتنا الرياح بشدة ، تركنا السلسلة بعد ظهر نفس اليوم . وقد أصبح أكثر من نصف ظلم السفينة البغارية تمتع الماء . لقد انكسر ظهرها وأخذت في القوس بسرعة ، وغادرها جميع أنباج كوك الذين استظاهروا التحذير إلى الشاطئ ، وسهم كل ما استظاهروا أن يحصوه من الضروريات . لقد أجبر هؤلاء المنكدون على الإقامة في خيام أعادها لهم مدير المنطقة . ولحسن حظهم وصلت في صباح اليوم التالي ذهبتان في طريق عودتهما ، وحيثما الكثيرين منهم حسب قدرتهما على المساعدة في الإحالة . وتكفلت مركبة الدوق البخاري باستقبال الباقي .

وكانت الحياض قائمة هناك ، كما انشغلت جماعة من الرُطبيين تحت اشراق  
الشمس ينقل كل ما يمكن اقتناؤه من الطعام .

ومع اقتراب الليل تحولت الرياح القاصدة من امامنا الى اعصار ،  
وامتدح هذا الاعصار لمدة يوم وليلة في ست وثلاثين ساعة (٣) . وكان  
الليل حلال هذه الفترة كلها يسوق التيار مثل الموجات العاتية التي تندفع  
الى ساحل الكورنيش عندما يهب الله والرياح من الغرب في وقت واحد ،  
وكنا نسبح صخبها في ظلام الليل فنحس بان فيلة تهتز ، وترتطم ،  
وتتوتر الجبال التي تربطها ، وترطم بالقصفة باستمرار في شكل ابعد  
ما يكون من الهبة . اما الله والنهار فقد كان المنظر غير عادي ، فلم تكن  
هناك سحب ولكن الجو ملبد بالرمال التي كانت اقواء الشمس الخافتة  
كلمح من خلالها . واتخذت بعض اقمطار النخيل ذات اللون الرمادي والتي  
تشبه الاقمطاج بأعلى الضفة تتساقط كما لو كانت على وشك أن تكسر  
قبل الطغاء الماصلة . وكان النيل مثل العجين المختصر ، مشبها بالرفاوي  
البنية اللون التي نخبط نواله قبرتنا بين البحر والآخر . ولم تكن يرى  
الضفة الأخرى من أي مكان . ولم نستطع أن نرى شيئا من على سطح  
السفينة . واستطع أن نقسم بان النخبية قد وصلت على ساحل مجهور .

وفي الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي توقفت الرياح ،  
وأسرع الرجال الى مجاديلهم ، ووصلوا بنا الى الدفر عند وقت تناول  
الافطار . وأصبح الجو الآن مشرقا ، فكان صباحا باردا وقظيا ومشمسا  
بالضباب وهو صباح لم نصادف مثله في بلاد النوبة ، حيث أسرعت  
الشمس بإطلاق حرارتها ، ليقيم الانسان تحت وطائها سريعا ، وكانت  
النخيل هناك على الضفة في انتظارنا . وبلغ طول الطريق حوالي ميل  
خلال حقول الشعير ومزارع القطن . وظهر لنا البلد غيبا ، والسمسم  
يتمسسون ، والطينا يمججوعة عنهم حضروا الى الذهبية ومعهم الخراف  
والحمائم والدجاج وتجل صلب للبيع . وبمده أن عبرنا المياه التي خلفنا  
على قنطرة طامة من حقود النخيل ، وصلنا الآن الى القرية الجائمة فوق  
تلال المدينة القديمة . وفي نفس الوقت أخذت مروج المبد تزداد ضخامة  
في كل لحظة ، وترتفع في الهواء خلال السماء الزرقاء الناعمة .

---

(٣) تكن المرفوض ان تسمى الكهنة باسمائها بهذا الذي تحدث عنه الكهنة  
عاصمة رمكية وليس اصسارا ، فمصر ليست من البلاد التي تتعرض للاطمس المدمر التي  
تحتاج كثيرا من الجاهل في أوروبا والأمريكيين وتغير كل شيء في ظروفها ( ) (الترجم )

وبعد أن مضينا خلال الحواري التي تنتشر على جانبيها الأكواخ ، وصلنا إل قضاء واسع ومجموعة من درجات السلم غير المستوية التي تقع أمام المعبد . وفي نهاية هذه الدرجات أصبحنا نقف على مستوى أرض القرية الحديثة . وبعد قاعها شاهدا الأرضية المطلقة التي تكشف عن مستوى سطح المدينة القديمة ، وفوق هذا المستوى تبرز البوابة التي ظهر جزء منها ضخما من على البعد . فقد وجدنا الآن أن هذه الأبراج الهائلة لا ترتفع إلى حوالي ٧٥ قدما فقط ، ولكنها تفوق أيضا لمساحة لا تقل عن ٤٠ قدما تحت الأرض .

ومنذ عشر سنوات ضمت لم يكن هناك شيء ظهر من المعبد العظيم سوى قسم هذه الأبراج ، وكان البناء بعيدا عن الرؤية كما لو كانت الأرض قد امتلأت وابتلعته ، وقد قصت أمنيته بالطلال كريحه ، وامتسلت الحشرات بالمتحركات المدفونة تحت أديمها من الطين . أما السقف لقد كان متحاة من الأكواخ للتلاصق الكنيسة بالكائنات البشرية . والحاج والكلاب والإبقار والسمير والهوام الطفيلية . وباء على اليهود التي لا تكل والتي قام بها ماريت . تم تنظيف هذه الأسطبلات التي تشبه أسطبلات أوجيباس (\*) عند حوالي ثلاثين عاما مضت . وقد كتب هو نفسه عن هذه المهمة قائلا : « لقد هدمت المنازل الأربعة والمستعم التي رحمت السقف ، وكذلك ثمانية وعشرين عملا آخر كانت قريبة من المحيط الخارجي للمعبد . وبعضها يتم إقامة حائط لعمود المعبد كله من العشريات المائية المائية التي تحيط به ، سيبدأ العمل في إعادة معبد ادغو إلى حالته الأولى » (١) .

ولم يتم بعد بناء هذا الحائط ، ولكن تمت إزالة وتنظيف كل المشروبات الذي كان يحيط بالمسي الذي يقف الآن حرا في وسط غناء عميق مفتوح ، وبعض جوانبه متعامدة في بعض الأماكن مثل صفوف معاصر التماثيل . وفي وسط هذه الطفرة يقف المبني الضخم أمامنا في ضوء الشمس هوديا وكاملا مثل الله خارج من القبرة . وتأثيره شديد عند النظر إليه لأول مرة .

(\*) أوجيباس Augustus هو ملك ليس من الأساطير الليونانية . وقد قام مرار بتطهير أسطوانة القبرة - ( المترجم ) .

(١) شلبي سبيير ماريت إلى الفليكونت روجيه من مجلة E. De Rougé L'évolution Archéologique للجنة الثاني . من ٢٢ سنة ١٩٦٠ .

وترى من خلال المنخل الضخم الذى يصل ارتفاعه الى خمسين قدما ، ومضات مناء سمح ومشهد مكون من مدارج أحدها طبع الآخر - وعمدنا عصيا الى أسفل رأينا على كل خطوة مساحات أكبر من هذه القاعات المظلمة والبسيطة - وفى نفس الوقت كانت البوابات المغطاة بالقنوش الصحية ترفع أكثر فأكثر ، وتبدو وكأنها تراحم السماء - وينظر الحارس الذى يبلغ طوله سنة اقلهم ومرتج ، محوبا مكشرا عن ألسانه ، منتظرا اليقشيش - وبالطبع كان لايه من وجود حلوى هنا ، كما تؤدى نفس الفرض أيضا بوابه قوية لا يستطيع أن يمر منها الروار أو الأعراب المتطفلون دون أن يراهم أحد -

ومن يسجل هذه البوابه يصير عنة للناس ، ويتركه الى عام حلقه - ولكن لم يتغير شيء فى هذه القاعات الضخمة ، فكل أرضية مبلطة ، وكل أسطون ، وكل مدروج سلالم ، عزال كما هو فى مكانه - أما السقف الذى لم يفقد منه الا القليل من الأحجار التى فوق الهيكل فليس سديبا فقط - بل أيضا تم إصلاحه بشكل جيد - وما زالت الفوش الهيروليفيه نفس الوضوح وفى الوضع الذى كانت عليه يوم سفرها - وإذا كان قد أصبح أسطون أو وجه الله براس بشرى هنا أو هناك ، فليست هذه الا عيسويا نادرا ما يلاحظها الانسان - ولا تفقد التأثير العظيم المبني بوجه عام - وقد عبرنا هذا القناء العظيم فى ضوء الصباح الكامل - ويوجد فى صفوف الأساطين التى على الجانبين ظل - ولكن بهو الأساطين الذى حلقه ، مطلم كما لو كان فى الليل ، يصرف النظر عن بقعة من الشمس ذات اللون الأزرق الفاتح تخترق فتحة مربعة فى السقف - وكأنها بقعة مساوية لها من الضوء الساقط على الأرضية السفلية - وسر بعد ذلك عبر قاعة من الأساطين وممرين مستعرضين ، وهيكل جانبي - وسلسلة من الممرات الجانبية المظلمة وهيكل كبير -

وهناك خارج هذه الداني كلها ويحيط بالمسجد من ثلاث جهات ، ممر خارجي مفتوح نحو السماء ، ويحده حائط عظيم يبلغ ارتفاعه لاربعة قنما كائنة - وإذا قلت ان المنخل الأمامي مع البرجي والمنخل المتوسط يبلغ عرضها معا ٢٥٠ قنما وارتفاعها ١٢٥ قنما ، فإن القناء الأول يزيد طوله عن ١٦٠ قنما ويبلغ عرضه ١٤٠ قنما ، وأن المبني يكامله يبلغ طوله ٤٥٠ قنما ، وهو يغطي منطقة تبلغ مساحتها ٨٠٠٠٠٠ قدم مربع -

لقد ذكرت الحقائق التى لا تتجاوز تقديم فكرة عن ضخامة المبنى للشاري المادى - أما تناسب النسب ، والجمع المنهل وقوة الأجراء ،

وكمال التلبد ، وقوله بلادة التي أحطت بها الأحجار ، ولونها العنبري ،  
فأشبهت عي وصفها \*

ويذكر أن نسي مبيد ادفو وديدوه بأنها توسل ؛ لأنها يتقنمان  
إلى نفس الفترة الزمنية . لقد تم بناؤها تقريبا حسب نفس التخطيط (١)  
وحما أيضا متعلقا بإحساس ديسي واحد ، لأن أسطورتي حورس (٢)  
وحجور (٣) متداخلتان ، والواحد منهما تكمل الآخر ، ولذلك فإننا  
نجد في نقوش معبد ادفو تمويها مستمرا عن فرات دجلة والعكس  
صحيح . وكلا مبيد ادفو ودجلة عني بالنقوش ، ولكن المساحة الشائبة  
المخصصة لها في معبد ادفو أكبر حجما ، وكذلك الثروة الادبية لهذا  
المعبد أعظم من ذلك التي في معبد دجلة . وقد ظهر لي أيضا أن المساحات  
المدفونة بمعبد ادفو أكثر إردحاما بالنقوش عن مثيلتها بمعبد دجلة ذلك  
أن كل حائط ، وكل سقف ، وكل أسطوان ، وكل إطار يحيط بالأبواب ،  
وكل منسح وجرة جانبية فيها كانت مظلمة ، وكل مدور حلزاني ، وكل  
منخل ، والحائط الخارجى للمعبد ، والجانب المنحني لحائط الدائرة  
الضخم ، والبوابات المظلمة من تحتها حتى قاعدتها ، هذه جميعها ليست  
لحظ مظلمة بالنقوش والكتابات الهيروغليفية ، بل أيضا مزدحجة بها .  
ولا نجد من بينها أية موضوعات ضمنية عن المزارك ، كما هو الحال في  
( أبو سنبل ) ، ولا سردا للأسداث البطولية مثل قصيدة بيتاؤور . لقد  
استبعدت هذه النوعية من النقوش مع الملوك الفرعونية ، وحلت محلها  
لوحات الطقوس الدينية وحوارات الآلهة وللوك . وهذه هي الموضوعات  
المحظوظة على الصائير البطلمية ، وهي متصلة ببعضها في دفكرة واحدة  
وكذلك في ادفو . ولكن يوجد في ادفو نقوش تنور حول سمات مختلفة  
أكثر من أي معبد آخر في مصر . وهذه المعلومات التنبؤية ليست ذات

(١) معبد ادفو هو الأصل . ومعبد دجلة نسخة منه . وثنا حله معبد دجلة عن

النموذج الأصلي أصبح التلبد وديا \*

Horus . - « Dieu adoré dans plusieurs nomes et le bœme (٧)  
Egypte Le personnage d'Horus se rattache sous des noms différents,  
à deux générations divines. Sous le nom de Haroeris il est né de Set-  
et Nout, et par conséquent Frère d'Osiris, dont il est le fils sous un  
autre nom Horus, armé d'un dard avec lequel il transperce les en-  
nemis d'Osiris, est appelé Horus le Justicier . » (Diet, Arch. P. Pierret  
article « Horus. »

Hathor . - « Elle est comme Neith, Bast, et Nout, la (٧)  
personnification de l'espace dans lequel se roult le soleil, dont Horus  
symbolise le lever sous son nom, Hat-hor, signifie-t-il littéralement,  
l'habitation d'Horus. » --- Ibid, article « Hathor. »

قيمة . وتوجد هنا قوائم جغرافية للأقاليم النوبية والنصرية بمديها  
الرئيسية ، ومنحاتها ، وآلهتها الخادمة ، وقوائم بالأقاليم والأمره الذين  
يخدمون الجزية ، وقوائم بالخسايد والأراضي الموقوفة عليها ، وقوائم  
بالنصر ، واللواني ، واليحيى ، وتقاويم تبين الأعياد ولوفات الصوم ،  
وقوائم فلكية ، وأنساب وأخبار الآلهة ، وقوائم عن كهنة وكاهنات كل من  
معبدي أدفو ودندرة بأسمائهم ، وقوائم أخرى تتعلق بالمتشدين والموظفين  
المساعدين ، وقوائم بالتبرعات ، والأمنشيد ، والأصعية ، ومثيل هذه  
التفاصيل المتعلقة بالأساطير الدينية بحيث يمكن تكوين كتاب عن الأساطير  
النصرية من النقوش الموجودة في معبد إدفو وحده (١) . وله نشر منها  
الكثير ، ولكن يظهر بين الحين والآخر عالم مصريات مغامر مثل ميسو  
نافيل أو ميسو دى روجيه فيقدم لنا دراسة متميزة عن أدفو ، والمناجم .  
ويعود إلينا وحده مثل هذه الصخور الثمينة بالكلمة التي يستطيع ان  
يسجلها . وهكذا أكتبت الأضواء على بعض التفاصيل المبررة ذات الأهمية .  
وهناك على مبيبيل أمثال نقش يسجل بالضبط في لى شهر وفى أى يوم  
ولى أية ساعة ولدت إيريسى أمها حورس ، ولقضى آخر يذكر كل ما يتعلق  
بالقوارب المقدسة . ونحن نعرف الآن أن أدفو بها اثنتان من القوارب  
أحدهما يسمى حور - حات أو حورس الأول والأخرى عا - مافيك  
أو القبروى العظيم ، ويبدو أن هذين القاربين لم يكونا مخصصين فقط  
للعمل فى المراكب ولكن أيضا للاستخدام الطيمى فوق الماء . وهناك من  
آخر من أكثر التصومى فحاجة يخطرنا بأن ستحور دندرة تقوم برماية  
سنوية إلى حورس أو ( حور - حات ) الموجود فى أدفو ، وتلقى منه  
بضعة أيام فى معبده ، وقد تخلصت من اسم هذه الرحلة بالتفصيل . لقد  
سافرت الآلهة فى مركبها التي تسمى كيم - مير - تي ، أى سيدة  
البحيرة . وخرج حورس كضيف موقد للقائها فى قاربه حور - حات .  
ثم شكل الإلهان مع أتناعهما مركبا واحدة . وهكذا وصلا إلى أدفو حيث  
استقبلت الآلهة بالاحتفالات المتعاقبة (٢) .

(١) انظر Th. بطون Rapport sur une mission en Egypte كفة الميكروت  
فى روجيه De Rougé نشر بمجلة Revue Arch Nouvelle série المجلد العاشر ،  
ص ٦٤ -

(٢) انظر Th. كبة دى روجيه وعنوانه Textes Géographiques du Temple  
d'Edfou نشر بمجلة Revue Arch المجلد الثاني عشر ص ٢٠٩ .

واورد أن يعرف ما إذا كان جونس قد عاد في جميع هذه الزيارات ،  
 وبدا كانت الآلهة مثل الإمبراطرة المحدثين يفضون أوقافا مرحة فيما  
 بينهم ■

ومعها أسئلة أخرى تطرح نفسها ، تنير الإلم أحيانا ، وتثير  
 الصعوبة أحيانا أخرى ، وذلك عندما ينتقل الاسماء من غرفة الى غرفة  
 ومن قاعة الى قاعة ، وكلها مغطاة بالنقوش المنحوتة التي تمثل أشكالا غريبة  
 واساطير أشد غرابة . ماذا عن هذه الآلهة ذات الاسماء المتداخلة ،  
 والعلاقات المتبادلة المعقدة ، والتي تتزوج وتصبح آباء وأمهات ، وتبادل  
 الزيارات ، وتسافر أحيانا الى أقطار بعيدة (١) ؟ وماذا عن هؤلاء الذين  
 خدموا هذه الآلهة في المعابد ، والذين اليسوعوا الأتواب وحطموها عنها ،  
 والذين أقاموا الاحتفالات بإعياد ميلادها ، وجمعوها في مواكب مهيبة ،  
 واستمروا حياة ملايكي الشمس في إقامة هذه المبروح والمبروحات من  
 العبادة تعريفا لها ؟ أمنا يعرف الآن الطقوس التفصيلية التي كانت  
 تسمد بها هذه الآلهة ، والجواهر التي كانت تترس بها ، والتراويل التي  
 كانت ترتل في مدينتها ، ولعرب الجوهر التسميري والفلسفي للخرافات  
 الفلسفية التي وضع نظرياتها أشخاص مفاهرون مهابون بالفصوص .  
 وبعض متاكفون تماما أن المعنى الخفي لهذه الأساطير قد ضاع في الأيام  
 الأخيرة لهذه الديانة (٢) ، وفي الآلهة كانت مقبولة لذاتها وليس لها كانت  
 ترمز اليه ، وماذا إذن من عابديها ؟ هل كانوا يؤمنون حقا بكل هذه  
 الأشياء ، أو أن بعضهم منهم كان يتملأ بالشك في هذه الآلهة ؟ وهل  
 كانت شكوكهم في تلك الأيام تصعب كيف يستطيع انسان من عابدي  
 التماثيل الفرعونية Hieroglyphometen أن ينظر كل منها في وجه  
 الآخر ، دون أن ينفجر في الضحك ؟

وقد ذكر لنا المجلس أنه كانت توجد ٢٤٢ درجة تقود الى قمة كل  
 من برجي البوابة . وقد أحصينا ٢٢٤ منها وتناقصنا عن الدرجات  
 الباقية . كان المسار الصاعد طويلا ، ولكن بالرغم من كثرة عدد الدرجات  
 إلا أن المنظر من القمة كان يستحق مشقة الصعود . كانت البحيرات التي

(١) انظر كتاب البروتيسور راجوت وموانه *Seconde Memoire sur les Hieroglyphes* المنشور سنة ١٨٨٨ ، وبذلك معرفة كيف أن تماثيل الجيرس وغيرها من الآلهة  
 كانت تنقل مرة كل عام من معبد قبة للقيام برحلة الى الجيزة .

(٢) انظر الملحق الثالث لهذا الكتاب ، وحوارته ، المعقدة للديانة عند قضاة المصريين  
*Religious Belief of the Ancient Egyptians.*



هي البرجي واسمه ولها نوافذ مائله مثل قوامات صناديق البريه الشخصية  
 انوسبوعه على مصابعات متساوية بطول المسار . وكانت تظهر من حده  
 النوافذ صواوي الأعلام والبيارق . وكان البرجان متصلين عن طريق شرفه  
 واسمه ، وسنتي المواجه العليا للبرجي بوفيمات الأسماء المكتوبه حديثا  
 والتي دوها اليهود الفرمسيون سنة ١٧٩٩ كتذكارت . ونسوا الحظ  
 فان آثارهم حدين البرجي العظيم غير موجودة . ولكن الارتفاع الكلي يبلغ  
 ١٢٥ قدما بلونها . وعندما ينظر الانسان من أعلاها الى قلب المدينة - مثلما  
 ينظر من سارية الجامع الكبير في دمشق - فانه سيشاهد مئات من الأكواخ  
 الخيلية من الطين والمسقوفة بسعف النخيل ، ومئات من الأبنية الصغيرة  
 مع متراحة تحت الأكليل . وقد كان الفلاح يمشي في مائه بهارا ،  
 الا انه يستعمل كوخه للنوم ليلا . وكنا ننظر الى أسفل كالقبطان الأبرج  
 فشاهد الأنشطة للصادرة لعالم حال من السكوف . نرى الناس يتحركون  
 جيئة ودعابا غير شاعريين بالميوون القرية التي تراقبهم من أعلى . كان  
 الرجال يتسكرون ، ويعلمون ، ويرقدون في الأركان الخيلية . والأطفال  
 يلعبون . والأحاديث يرحفون على أروع . والنساء يطبخن في أفران من  
 الطين في الهواء الطلق ، والأطفال والأغنام تلهي ، والدواجن تبيض  
 الأرض وتلفظ السوب ، والكلاب تستدعي في الشمس . وكانت  
 الأكواخ بدائية ولا تصلح لسكن الانسان . وظهر الجامع الصغير مع بنية  
 انوحيلة ومندبة القصيرة صميرا وبنيما مثل نجية مصنوعة من  
 الصنصال . وتقع حقول القمح ووراعات الطن وصفوف النخيل التي  
 تنحصر في جانب واحد من النهر ، خلف القرية الواسعة . اما في العاصف  
 الآخر فتجدها الصحراء ، ويشق طريق عريض تسير فيه الناس والمناشيد  
 مساره مستقيما خلال الأرض المردوعة وعبر السهل الرمل الذي يقع  
 خلفها . وتستطيع ان تتابع مساره لعدة أميال حيث يظهر مثل خط  
 مرسوم بأثار الأقدام في الصحراء . وقد ذكروا لنا انه يتجه الى القاهرة  
 مباشرة . أما على الضفة المقابلة فتتبع أضواء مصنع أبيض للسكر ، وتقع  
 ليلا ريفية تنص الخديو في مكان تطله الأشجار الخضراء . ويمضي مجرى  
 النسل بينهما ، وتلمع تلال طيبة من خلال ضباب أبيض مثل المزلو  
 يلمح في الأفق .

ونحاة يجب نسيم متقطع في شكل تفحات مثيرة للأبرة في دوائر  
 حول أقدامنا . وفي نفس اللحظة تهب من الصحراء القرية وريح متوحدة  
 ونصف شفافة من الرمل الأصفر ، ويزداد ارتفاعها في كل لحظة . وتبدأ  
 في التحرك عبر السهل في اتجاه الشمال . وفي نفس اللحظة تقرينا

يظهر ربح أخرى على مسافة بعيدة في اتجاه الجنوب ، بينما تأتي ربح  
ثالثة متسللة في خفية بطول الضفة الأخرى . وبينما كنا نراقب الثالثة  
يدلت الأولى في قفص نوع عجيب من ريش أبيض كالمطهر وهو يتطاير  
مع ضيق في الهواء . والآن ، فإن الريح الغربية القاعمة من الجنوب تقدم  
في سرعة ماعية ومائلة مرفعة لمسافة ٥٠٠ قدم فوق صفحة الصحراء .  
حتى إذا التفت بديار مراكس ، انكسرت فجأة إلى صفين ، واحد النصب  
السفل في الاضمحلال ، بينما تملق النصف العلوي في الهواء لحظة ، ثم  
انقر وطفأ ببطء مثل سحابة . وفي نفس الوقت تشككت حبا وحبا  
أساطين أخرى اسخر حبيبا ، وانخفضت كالترب قليلا ، وتنايل ، وتفرقت ،  
ثم تتجمع مرة أخرى ، ثم تضسل ثانية وتستحيل إلى تراب . ثم يصعب  
التسليم ووضوح نهاية فاصلة لهذا المنظر الغريب . وفي أقل من دقيقتين  
تبدد عمود الرمال وانفجح فجأة بنفس الطريقة التي أتى بها .

وهذا هو المنظر الطبيعي الذي يحيط بالمعبد . وبعد كل شيء ، فإن  
المعبد يمثل المنظر الذي يصده الإنسان إلى هنا لكي يشاهده . إنه يراقب  
معينا تحت إلهامنا ، الدماء بأرضيته للبلطة ، والسقف المتبسط ، والمركب  
من أحجار ضخمة ، والحائط العائري ينقوشه الشاملة ، واليهو يستازته  
واساطينه وله ظهر في الضوء الساطع مقابل الأعمام الداخلية المظلمة ،  
ويمثل كل أسطون سمعا من الحاج ، كما يمثل كل مربع حامل الطلام  
كتلة من الأبنوس ، والبناء كله كامل وصليب وفهم . مع أنه بسيط من  
حيث وحدة التصميم ، ومفك من ناحية الزخرفة ، وعظيم من حيث الكماليات  
مما يشعر الإنسان بأنه قد حل مشكلة العمارة الدينية كلها .

ولناخلة كما هو كنيته جلوس سليم بكل كمال قوته وتسلطه .  
ولا شك في أنه أعظم معبد موجود في مصر . إنه يرضي أمامنا - مصورة  
أكمل من معبد دفرة - الفرض من إنشاء أجزائه المختلفة ونوعية المراسم  
التي صمم من أجلها . فن كل ممر وكل حجرة تحكي قصتها بنفسها ، وحتى  
أسماء الحجرات المختلفة قد نقش فوقها بطريقة حكيمة بحيث يسهل  
استعادة بناء التصميم الأصلي للبناء كله بالمصطلحات الهيروغليفية (١) . ولا بد  
من التسليم بأن المبانى والأساطير البطلمية لا يمكن قبولها كتساذج للفن  
المصري القائل أو لأفكر المصري القائل ، فالإثبات قد اختلما بالمؤثرات

(١) لم تكن أسماء الحجرات كلها بل فيما فيها بالانواع ولجاء الفراغ -  
انظر -  
Introduction de la Haute Egypte. A. MARINETTE BRY, 1872, p. 341

الإغريقية ، وإيمانا كثيرا من السودج الفرعوني ، ولكن لا توجد لدينا عينة كاملة من الطراز الفرعوني . إن الرمسيوم ليس إلا قطعة كبيرة . أما الكرنك ومدينة هابو فهما تشكيلة من عدة مساكن وعلية طوابقات . أما معبد أبيبوس فما زال نصف مدفون . ويوجد بهما الكثير غير الكامل . والكثير للمسلم ، سيما معبد في الوحيد الذي يمثل بناء كاملا هو الطراز البطلمي بالرغم من أنه عديم الأهمية وأيضا عديم القيمة .

وبينما كنا نحلم بهذه الأشياء وسأول أن نتخيل مظهرها ، جاء الأسطول الفينس الصغير وهو يكتس النهر هناك . وتقدم موكب حور . عات لاستقبال الآلهة القادمة كضيف . وكنا نسوق رؤية كل الحشد اللامع وهو ينصب حاربا . الكهنة في ثيابهم المصنوعة من جلد الفهد الأسود ، والكاهنات يحملن الصلاصيل الرنانة ، والمفتون ، وعازفو اللبشار ، وحاملو التقديمات والشماعات ، وكبار لوطفنين حلف لأواب الآلهة القمص . وفي هذه اللحظة يظهر مؤذن مهم فوق الشرفة الخشبية العليا المعلقة من اللبنة الصغيرة ويؤذن لصلاة الظهر . وقد انتهت هذه الصبحة المشوية بالآلئين قبل أن نتساهد الرجال هنا وهناك وهم يدورون بين الأكواخ ويتكلمون اتجاه الفرق ويصطفون في وضع الصلاة . واستمرت النساء في طبخ الطعام ، ولوضاع أطفالهن . وقد شامت السيدات لتسلطات أثناء الصلاة في مساجد اسطنبول ، ولكنني لم أشاهدن في مصر .

وفي نفس الوقت شاهدنا بعض الأطفال الذين لم يعرفوا أننا نرفع عنهم بمسافة تصل إلى خمسة وعشرين ومائة قدم فانصرفوا في صوت مرتفع طالبيين « البقتشيقى ا » .

والآن نبحث بعد أن ألقينا نظرة أخيرة طويلة على المعبد والمنظر الذي ورائه وذهبننا لمقابلة معبد صغير قبيح ولذنت ثلاثة أبراجه في صحراء جديدة بين التلال القريبة . وهذه التلال التي تتكون كلها في الغالب من أنقاض الطوب اللبن ، مع قطع واسعة من الحجر والفلصا ، قد بيئت مثل الشيب المرجانية ، وتشكل مكان إقامة حوالى ستة أجيال ، وعندما قطعت مستقيمة كما هو الحال هنا حول المعبد الكبير كانت عاداتها تنسب لطيرة البرقوق القديمة .



## الفصل الثاني والعشرون

### طبيعة

لقد صار لنا القدر فترة طويلة حتى سمعنا علماً الاستعادة بطلنا  
أنسعيد علماً حيلنا ربح الجنوب من لدن إلى الأقصر في مدة يومين  
لفظ - لقد عدنا لبعد أن موضع الرسة القديم غاص بالمحبيات ،  
ومزحرف بالأعلام الاصطورية والأمريكية الملونة وكسكاد أعمالهم هاتين  
المستين أن تقتسما الهر فيما بينهما ، ولد أحبينا من بين كل خمسة  
وعشرين قارباً ، اثني عشر قارباً انجليزياً ، وتسعة قوارب أمريكية ،  
وقاربين ألمانيين ، وقارباً بلجيكيًا ، وقارباً فرنسيًا - ومن بين هذه القوارب  
جميعها كان أولاد صومتنا الأمريكيون متعاونين ومصرعين إلى المساعدة ،  
ومضين بالود معاً جملتها سمع بلغاتهم ، وكان عليهم بالسعة في دليل  
على وجود حشد كبير من الرفاق الفصحاء والكرمه والمطباء ، وقد أعادت  
في صحتهم ذكريات الراض ووجوه عديدة ، واستدعت أيضاً أصدا  
أصوات حمية يعضها بعيد حدا ، وبعضها وأصوات صاغت ا ، وسواء  
آكأت هذه الأصوات على ضفاف النيل ، أم على ضفاف النهر ، أم على  
البحار ، أم بين أراضى المعسكرات السورية ، أو عدلات في قنور من شرفات  
المباني الدبلوماسية المظلمة في لندن الثائرة - فإن قلبي لدى رؤيتهم كان  
يشعر بقلبه المعلم الأمريكي .

وعند وصولنا عند جميع تجار الأقصر إلى السطح ، لقد تروا  
بنا وتبعونا حيثما ذهبنا ، بينما جلس عدد من أفضل توعياتهم وهم رجال  
جادون يرتدون ثياباً سوداء طويلة وعمائم صخرية ، فوق السطح السفلي  
لذهبتنا ، وقضوا في مكانهم هذا أسبوعين ، وإذا أراد الإنسان الصمود  
إلى السطح العلوي سواه قبل الانطلاق في الصباح ، أو بعد الانشاء في  
المساء ، فقد كنا نعضم هناك صبورين ، وثابتين الجنان ، وعلى استعداد  
للقيام ولأداء التحية ، وبعد ذلك يخرجون من مض الجيوب الخفية ، حنة  
من الجصارين ، أو حزمة من النابيل الجلدية ، وكان مض هؤلاء

والصانعة لغرابيا ، وبعضهم الآخر أقباطا ، ولكنهم جميعا كانوا مهديين ،  
وحججهم مقدسة ، ولكنهم كذابون .

وعندما يمارس الأقباط ولااعراب نفس التنبؤات المشكوك فيها ،  
فليس من السهل ان يحدد ظلال الاختلاف في سمائلاتهم . ويتنير الانباط  
بالعلة كمالا ، ولكن الاعراب أقل فصلا كياضين . ولاالانبات كلاهما  
ييعان آثارا مريرة أكثر من الآثار الأصلية . ومهما كان الطلب فانهم على  
استعداد للاستجابة . وبالنسبة لهم فإن اتصال تعوتس ليس قليلا ،  
وتمثال كنوباترة لوسى خفيفا . وقد ظلت أصالهم للنبوة من حشوب  
الجميز ، وتمائيلهم للزفية الصفيرة . ولوحاتهم الهيدروغرافية للمصنوعة  
من الحجر الجيري ، بهلولة يصعب كشفها . أما عن الجارين الأصلية  
التي من الصور القديمة فانها تباع بالخدمة في كل موسم . ويتم نسخها  
وتنسيقها وتثبيتها على اجسام الديوك الرومية في شكل تعاليد تجلب  
الحظ ، ويكتسبون عن طريق هذه العملية درجة كبيرة من الاحترام تشر  
المرح .

وال جانب عملية الانفاج كنود عملية التنقيب ، والحفاريون  
المتخصصون يحتلون البر الغربي . انهم يصفون بين الجسائات  
ويسوقون الحير أو يشفون الشواذيف نهائرا ثم يفضون لبالهم يبعثون  
عن الكثور . وتميل وضع مئات من الماكلات بهذه الطريقة الصارمة ،  
يصلون جثث الموتى المصريين جريا وراء الريح القبيح .

وفي نفس الوقت يتضامن الميطون والحفاريون والبانمون بالتحاليم  
مع بعضهم البعض لإدارة تجارة ساخبة ، انهم يحاصرون النخبة كما  
شرحت منذ لحظة وصولها حتى اللحظة التي تطلع فيها بعيدا عن  
النشاط . ان الولد الذي يسوق حملاوك . وفارشد الذي يقدوك بين  
القبائر ، والفلاح نصف العاري الذي يخلص فأسه عند مرورك ويجري  
بجوارك لسافة ميل عبر السهل . لديهم جميعا آتسكة . ييمونها لك .  
أما الموظف للمصم الذي يحضر وفي صمبته سكرتيره وحامل غليونه ،  
فريارتك بهدف التمازق ، فاته يطفوك من التضاع ، ثم يلجح الى الكنوز  
الأصلية التي لا يملك حقاها احد غيره . والواطن الوحش الذي يجلس  
مى عند القلعة ، يحمل في جيبه جرابا مغميا . وباختصار ، فإن كل  
رجل ، وامرأة ، وطفل يعيش في المنطقة ، يرغب في مسامكتك على شراء  
شيء ، والمساومة في تسعة وتسعين في المائة من الحالات عظيمة للدرجة أنها

تعرض صناعة الأقصر ، وليس غير ذلك ، وبالطبع فانه من المفصل ان تروى  
بين المين والآخر ، ولكن الأفضل هو ألا تخرج الى السطح لأنك ستجد  
المسوق عندك في أسوأ الأحوال ، ولا يظهر التاجر أفضل ما عنده الا عندما  
يجد أنه يتعامل مع مشترى مغرب .

وتردع تجارة مصنوعات الأقصر كما هي ، مع بعض القيود غير  
المريحة ، والتنقيب الخاص مسطور ، ويميز الحفار خائفا من أن يكتشفه  
الحاكم ، أما المرور الذي ليس عنده ما يجمعه يخشى الحاكم فهو يمشي  
خائفا من أن يكتشفه السائح ، أما عن البائع سواء كان يبيع أثرا حقيقيا  
أم مقلدا فهو أيضا عرضة للمقاب ؛ لأنه يرتكب مخالفة ضد السلطة من  
جهة ، ومن ناحية أخرى يتكسب نفوذا باستخدام الادعاءات الكاذبة .  
وفي نفس الوقت فإن الحاكم يتألم مثل هذه التوعية من القضايا مقدور  
استطاعته ، ويبدل ما في وسعه لتطبيق القانون على كلا جانبي الأمر .

وقد دخلت المدينة ( ل ) والكثافة في إحدى المرات ورشة أحد  
المزورين . ولما كنا لا نعرف أنها قد أغلقت فقد ذهبنا الى منزل صديق كانت  
تشغله إحدى الاتصالات في وقت من الأوقات ، وطلبنا السماح  
بالفصول ، ولتحت الباب فلاحه عجوز صبا . وبعد القليل من التردد  
أدخلتنا الى حجرة ضيقة خالية من الأثاث وبها ثلاث نوافذ . وقد وضعت  
أمام كل نافذة دكة مستطيلة تناثرت فوقها الجوارين والتماثيل والتماثيل  
الجنائزية وهي تمر بكافة مراحل تصنيعها . وقد فحصنا هذه المينات  
يكثر من المظول . كان بعضها من الخشب ، وبعضها من الحجر الجيري ،  
وبعضها ملون جزئيا . وكانت الألوان والقرشك موشومة هناك ومنها  
المبارد ، وللتأليب ، وأدوات أخرى صغيرة مدهبة مثل المفاز . وكان  
هناك نوع فاخر من الزجاج الذي يستخدمه الثعالب موشوما في حنية  
أحدى النوافذ . وقد شاهدنا أيضا حجر مسن صفيرا مركبا على إحدى  
الدكاك ، وهو يصل من طريق دواحة ، بينما كانت هناك في أحد الأركان  
قطعة شديدة من صنفوت إحدى للمومياوات خلف الباب عرفنا منه المصفر  
الذي يحصلون منه على أخشاب الجميز القديمة لعمل الصنات الخشبية .  
وكان العمال الثلاثة المهرة المروءون بالأدوات الأوربية، مهيكلين في عملهم  
بهذه الصخرة قبل دخولنا إليها حيث تم إخلؤها تماما . واستندجنا أنهم  
ذهبوا لتناول الاطعام .

وفي نفس الوقت انتظرنا متوقعين ان يقتادونا للحصول الى  
المنصل . وفي حوالي عشر دقائق وصل اعرابي يرتدى ثيابا غائرة وهو

حفظوا الأماناس بسبب قدومه مسرعا . ولم تكن قد رأيناه من قبل . وكان حائرا ما بين أدبه القوي ، وبين دليته في التخلص منا ، فمخرجنا بسرعة . موصحا أن أصحاب المنزل قد تبدلوا وأن الساحة في السؤال قد حال دون وصولنا إلى الأضر . وسعدناه بريح المارة المجرى بشقة بمجرد أن تم إغلاق الباب خلفنا . وقد قابلت هذا الأعرجي الذي يلبس الثياب الفاخرة بالقرب من منزل الحاكم بعد ذلك بيوم أو يومين ، وفي الحال احتفى في أقرب وكن إليه .

وتمسك سلطات متحف بولاق بجامعة صغيرة في الحفاريين المدريين الذين يصلون بصفة مستمرة في جبال طيبة ، ويشرف الحاكم على هؤلاء الحفاريين ، وترسل كل حواء ينثر عليها حفلة إلى متحف بولاق . ويشكر أريسية الحاكم الذي سمح لنا في صباح أحد الأيام بحضور افتتاح إحدى الجيانات ، وقد طلب حضورنا عنما كنا على وشك تناول الإفطار ، فركبنا القارب بنشاط . ويمكن أن نتخيل بسهولة كيف أننا تناولنا خصف إفطارنا في القارب والنصف الآخر ونحن على ظهور السمير . وبالتكر جينا ركوبنا مكرين في صباح هذا اليوم . عبر سهل طيبة الغربية . وكان السمير حديث الانبات يلح لعدة أميال تحت أشعة الشمس ، وقناة المياه الصغيرة تجري بجوار العرب ، بينما تقوم الفرائشات البيضاء في ثنائيات جميلة . وهناك للقبلة التي على جانب الطريق ولقبتها بالصغيرة ، وحصر الصلاة للفروشة على أرضها ، وبشرها ولقبتها المكسورة . هذه كلها كانت تفرى المار بأن يفضل لشرب الماء وإثناء الصلاة . وهناك أيضا الكرمة البرية التي كانت تمتد بطول الحائط ، ولزهار النسيج اللامعة التي ظهرت بدون دحوة وسط السمير . وكانت تلال وبوابات مدينة هابو على يسارنا ، بينما كانت خرائب الرميوم على اليمين . وكانت مساحة السهل والجبال الغربية الوردية اللون أمامنا طوال الطريق . وكانت التنايل الضخمة متوحيجة في ضوء النهار ، وهي ترتفع مقابل السماء الزرقاء الناعمة ، وقد اتخذت وضع الجلوس القديم وهي محطة وبلا علاج . كما لو كانت حزينة على الريح الذي تلاشى .

وقد وجدنا القبرة الجديدة على بعد عدة مئات من البارات خلف الرميوم . وكان الحفاريون في داخل البقرة . بينما وقف الحاكم وعدد قليل من الأعرجي وهم يتعلمون . وكان الكبر مستقرا بالطوب اللبن . ومعتقوا بشكل مربع في الصخرة السفلية . وقد وصلنا في اليماد لأنه سرعان ما ظهرت حواف شئ مدفون من خلال الرمال والأقناس التي كانت



المنظر من داخل الكهف



نملا المقبرة \* وبعد أن ألقى الرجال بالمجاثيق والمعاول جانيا يدعوا في  
 وقع التراب بأيديهم ، وخرج تابوت المومياء مرسوما فوق غطاءه جسد  
 مسجى بطوله واليدين متقاطعتان على الصدر ، وقد حورت كلتا اليدين  
 والوجه حفا بأوتا \* وكان التابوت أبيض اللون من الداخل (١) وقد  
 لطي سطحه بأساطير هيرغليفية وأشكال ملونة حشنة تمثل الآلهة  
 الأرمية التي تقوم برعاية الموتى . أما الوجه فكان مثل اليدين ، ملونا  
 باللون الأصفر المائع ، ولامعا بشكل رفيع . ولكن الألو كان غامضا  
 وصارحا وغطت السطح قشرة رقيقة هنا وهناك \* وكان التابوت كاملا  
 بنفس الحالة التي كان عليها عندما وضع في المقبرة . وقد وصع صندوق  
 خشبي عند أقدام المومياء . وتم لاستخراج هذا الصندوق أولا وتسلقه  
 الحاكم الذي وضعه جانبا دون أن يفتح ، ثم رفع تابوت المومياء ونصه على  
 حالة الطفرة ثم وضعه على الأرض \*

وقد أصبت برعدة عندما شاهدته كما كان موضوعا عندما تركه  
 المتحور ، ثم مضى بالإيش لكي يتم نصبه وفك الحائط ، وربما كسره  
 لأنه لا يستحق أن يحتل ركننا ضمن مجموعة متحف بولاق ، لأنه بعد  
 الانتهاء من تمجيده وتبريده في المتحف يأتي الناس لمشاهدة هذه الأشياء  
 بوصفها بذاج أو عيسات ، مابين أنها كانت في يوم ما كائنات حية  
 مثلنا . ولكن هذه المصاة المفيرة كانت تبدو في صورة انسانية مغرقة .  
 وقد رقدت في قاع مقبرتها في ضوء النهار متيرة للشظفة \*

وبعد رفع التابوت الى حاوي المقبرة ، وجبت به الإنقاض كروب  
 صغيرة من الحرف الأزرق وكرة من نفس المادة وشيء آخر صغير على شكل  
 ثمرة الكرز . وكانت هذه الأشياء مغمورة ، وتحتوي على مادة كانت تصدر  
 صوتا عند تحريكها . ثم نقلت المومياء والتابوت الخشبي وحافان الألمتاف  
 الحزفيين الى اسطبل قريب . وبعد أن كشف الحفارين عن شيء يشبه  
 لوحة نقش من الطوب في جانب المقبرة ، دعوا في المسهل مرة أخرى

(١) لا شك في أن هذا التابوت قد نشأ خلال عصر الأسرة الثالثة والاحدين أو الرابع  
 والمصرع يله وصف ماريوت طرازه كما يلي :

« Succèdent les caisses à fond blanc, entour de reliefs et recouvertes d'une  
 légende en hiéroglyphes de toutes couleurs. Le devant du couvercle  
 est divisé horizontalement en tableau où alternent les représentations  
 et les textes tracés en hiéroglyphes véritables. La momie elle-même  
 est hermétiquement enfermée dans un cartonnage entour par derrière  
 et peint de couleurs fraîches. » *Notes des Mémorables à Bonhag.*  
 p. 46. Paris, 1872.

بسرعة - وأظن أنه كان يجري الآن اكتشاف عقد آخر أو سلسلة من  
المقود المحفورة في الأرض .

وفي نفس الوقت ذهبنا بعيدا لعدة ساعات ، وشاهدنا بعض المقابر  
للبنوة المشهورة في هذا الجزء من جانب الجبل المرتفع المعروف باسم  
الشيخ عبد القنة . وكان الجو حارا ، والشمس تلمع فوق رؤوسنا ،  
والصخور تنكس الضوء والحرارة ، بينما كانت الأقفاص البيضاء اللون  
تلمع تحت أشعائها . وكانت بعض القبور المالية هنا محفورة على شكل  
ممرات ، وتظهر على البعد مثل صفوف من الفتحات التي يعيش فيها  
الحمام . بينما يتخلل بعضها الآخر في حواف الصخور الممرلة .  
والبعض منها يصعب الوصول إليه ، ولكنها ساخنة وتخالل بشكل  
لا يحتمل . وقد قام بترميمها سير جاردنر ويلكسون منذ نصف قرن ،  
وما زالت الأرقام موجودة فوقها . وقد ذهبنا في هذا الصباح إلى أرقام  
١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٥ .

وعندما كنت طفلة تأثرت بكتاب *The manners and Customs of the Ancient Egyptians* وعنوانه أساليب وعادات المصريين القدماء  
وكذلك كتاب ألف ليلة وليلة *The Arabian Nights* ، حيث قرأت  
كل سطر من الطبعة القديمة ذات الأجزاء الستة عدة مرات . وكنت  
أحفظ كل صورة من الصور التي يبلع بعضها مشاة صورة من ظهر  
قلب . والآن وجدت نفسي في وسط أصدقائي القدامى نصف خمسين .  
لقد كان كل موضوع من موضوعات هذه الحواشي المبهجة معروفا لي .  
ولم يكن هناك جديد أو غريب سوى الإطارات الخارجية والألوان والزخارف  
التي تحت الأقدام والحداد الجبل في الخارج . وتعباً لي أنني لم ألتصق  
هؤلاء الناس اللطفا ذوي البشرة البنية اللون منذ سنوات عديدة طغت ،  
ربما في مرحلة سابقة من الوجود ، وأنتي قد تمسكت بهم في حداثتهم ،  
واستمتعت إلى موصلي صلاصلاهم ودقوهم ، وشاركتهم في ولاتهم .  
هنا الموكب الخنازي الذي أعرفه جيدا ، ومنظر المحاكمة بعد الموت حيث  
تقف المومياء في حضرة ثوروديس ، وأرى قلب الومساء وهو يوزن في  
أيزان . وهنا صائد الطيور القديم الذي لا أنساه وهو يمشي بين سيقان  
حشائش الممار ومعه ملته الملتصقة بالشرائح المداعية ، وقد وقع يده  
الذابلة إلى فيه ، بينما يتطايير شجره الخفيف مع النسيم . وأراه الآن  
وقد وضع نفسه في جانب القريصة ، ولكن هذا القارق تله عبي خلال  
قاراتي في مرحلة الشباب . وهناك أعرف متوديو النحات الذي كنت

بحسب اسطر اليه في ذلك الوقت - وأرى رجاله يصلون بنشاطهم للمهود ، ولكنى عجبت لانهم لم ينتهوا بعد من تلميح سطح هذا التمثال المستوح من الجرافيت الأحمر ، وصياد السمك المصور الذي مراراً يتظر أن تتناول السمكة الطعم هو أيضاً صديق قديم - وهذا أرى تلك السلسلة المسائية التي كنت دائماً صيغتها الخبيثة - ألم كنته السلسلة بعد ؟ وهل هذا القادم المختلف عن المصور قد وصل الآن إلى من يجاوره ، انه لم يصل بعد - وهل مستثمر الأوسقوي في الحرف حتى انتهاء القطوعة ؟ وهل مارالت تلك المبيعات محمولات بالنظر في طرازات الحلقان التي تضعها كل منهن في أذنيها ؟ يبدو لي أن العالم قد توصل عن الحركة هنا خلال السنوات الخمس والثلاثين التي مضت - هل كنت خمس وثلاثين ؟ أظن أننا لابد أن نضرب هذا الرقم في عشرة مرة ثم مرة أخرى ، وهذا يصل تماماً إلى الرقم الصحيح - لقد عاش هؤلاء الناس في عصر تهرتس وأمنوتوب ، وهي فترة نظر إليها وعيسيس الناس مثلاً ينظر من إلى أيام أسرة ميودور وشرة متبوات .

وبعد مشاهدة هذه المقابر الفرقة عدنا إلى الأطلال السفلية - لقد قادت الفتحة التي وجدها المزارون وكما تولموا ، إلى قبر ثان به تابوت مومياء أخرى قد لحقتها الألقاض التي تزيلت منذ قليل ، ووجدت مومياء ثالثة بعد ظهر ذلك اليوم - وهذا يشير المصعب أن المومياءات الثلاث كانت نفس ثلاث صيفيات .

كلان الحاكم يتناول غداه ومعها المومياء الأولى في جنايا الاستبل التي كانت في يوم ما مقبرة فخمة ولكن تبيث منها الآن والحة السداد الضموي - وكان يجلس متقاطع السالكين على سجاداة صفيرة ، وأمامه سلطانية من اللبن الرائب وصينية من الطائر غير الجارية ، ودعاني للحلوس على سجادته ، وأعطاني ملحقة ، وقام بواجبات الضيافة في الاستبل بسروى كما لو كان في قصر .

وقد سألته لماذا لا يتناسى المزارون عن العمل في هذه المقابر ذات الأهمية الثانوية ويبحثون عن مقابر ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، التي من المفروض أنها في انتظار من يكشف عنها في واد معين يسمى وادي العرب - فسر راسه وقال إن الطريق إلى وادي العرب طويل ووعر - ولابد للرجال الذين يصلون هناك أن يسكروا في الموقع - ولن يكون تزويجهم بالتمام أمراً سهلاً لأنه لم يسمح له في المنطقة إلا ببلع بكفي أجور

حسيس سفارا فقط . ولئى يكون من المفيد محاولة العمل فى الرادى الغربى  
 بما لا يقل عن مائتى سفار - وأتذكر أننا تناولنا الغداء فى هذا الصباح  
 مع ( ل ) ، ( ب ) فى القاعة الثانية بالمسيوم ، وفى القاعة التى كانت  
 على هذا الجانب من النهر وكنا تناول الإفطار كل يوم فى إحدى المقابر  
 التى فى البر الغربى - ولكن هذه اللقاء ظل محجورا فى ذاكرتى دون  
 غيره - أرى الجماعة السمعة متجمعة فى ظل الأعمدة المصنوعة ، وقد  
 انتشرت السجاجيد الفارسية على الأرض غير الممهدة ، وكان النرجبان  
 يتنشى جيئة ودعابا يملأ بهم التى تفرى بالتصوير ، بينما كان الأعراب  
 ذود البشارة البنية يملأ بهم الرثة يجلسون اقترافا على مسافة قريبة ،  
 صامتى ، ويهيمهم جافة وقد لمسك كل منهم يعطى يضم جهازينه  
 المربعة ، وأهله القلعة ، أو قطع من ثوابيت المسموات وعشب الكرتون  
 المونة للبيع ، وكانت الملامح اللامعة لسطح الأرض تظهر هنا وهناك من  
 خلال الأعمدة وقد امتلئت الأطر الشخصية ذات القصاصات التى تعيط  
 بالأبواب ، من عمود إلى آخر فوق رؤوسنا وقد تحتت فوق كل كتلة  
 - ريشى مغطى ما زالت تلمع بالوانها المبراة القرمزية والورق  
 اللارودية ، وقد تجيئت الحبر الصائرة فى أحد الأركان حول كومة  
 صفيرة من الحشائى ، وامتص فوقنا السماء الرقلاء بأصافها الكثيفة .  
 ويعتبر الرمسوم أكثر الآثار الطولية جلالا وقد تحركه أشعة الشمس  
 تظهر الجير الجبى الدافئ الذى بنى به وقد تحول بمرور الزمن إلى  
 اللون اللعبي ، ولم يكن محجورا بالمحاط ، ولم تظلمه الفروح المرتفعة .  
 ولكنه يرتفع شاهقا - ويمر الهواء دائريا حول هذه الأعمدة البسيطة  
 الجميلة . ولا توجد الكثير من الآثار المصرية التى يستطيع الإنسان أن  
 يتعطل ويسعد بينها ؛ ولكنه يستطيع أن يسعد بالساعة التى يقضيها فى  
 داخل الرمسوم .

ومسوا كان رمسيس الأكبر قد دلف فى هذا المكان أم لا ، فإن  
 هذه مشكلة قد تحلها الاكتشافات المستقبلية ، ولكن الرمسوم ومقبرة  
 رمسيس هما شئ واحد ، والمبنى نفسه عبارة عن بقعة لم أشك فى  
 جاذبيتها . ومع قضاء يوم بعد يوم من هذه الآثار ، ما من الرسم هنا  
 وهناك . والسر على الأرض خطوة خطوة ولحسن كامة التفاصيل ، شعرت  
 أجرا بالفراغ لما يتور من الشك حول مثل هذه الشخصية الواضحة .  
 ولا شك فى أن ديودور القسطنطينى كان مخطئا . لقد كنا نبحث عن الدقة فيما  
 ذكره ديودور كما هو الحال بالنسبة لما ذكره هوميروس . ولكننا عندما  
 فحصنا بعض الأوصاف الطبوغرافية التى ذكرها عن الرمسوم وجدناها  
 دقيقة الدالة .

انه يصعب مبني (١) يصل اليه الاساس عن طريق فناءين واسمين ، والى بهو الاساطين عن طريق ثلاثة مراحل في الفضاء الثاني . وسلسلة من الحجرات تتضمن مكتبة مقلصة ، ومقوفا ذات لون لارودى و مرصعة بالنجوم ، وجوانب مغطاة بالفوش التي تبيى أعمال واستعارات الملك الذي أطلق عليه اسم لوميسانديس (٢) والتي نلاحظ من بينها على وجه الخصوص مهاجمة قلعه ه على مشارف نهر ه ، وموكب من الأسرى المملوغي الأيدي ، وسلسلة تضم جميع آلهة مصر الذين كان الملك يقدم إليهم القرابين ، وأخيرا فناء توجبه مقابل معمل الفناء الثاني تماثيل شملك ، أحدها مصنوع من الجرانيت ، وقد صنع في وضع الجلوس ، هو ليس أعظم التماثيل لمصرية ولكنه يحور الإعجاب أكثر من الجميع ه بسبب جمال صنعه ، ولخاصة الحجر الذي صنع من مادته .

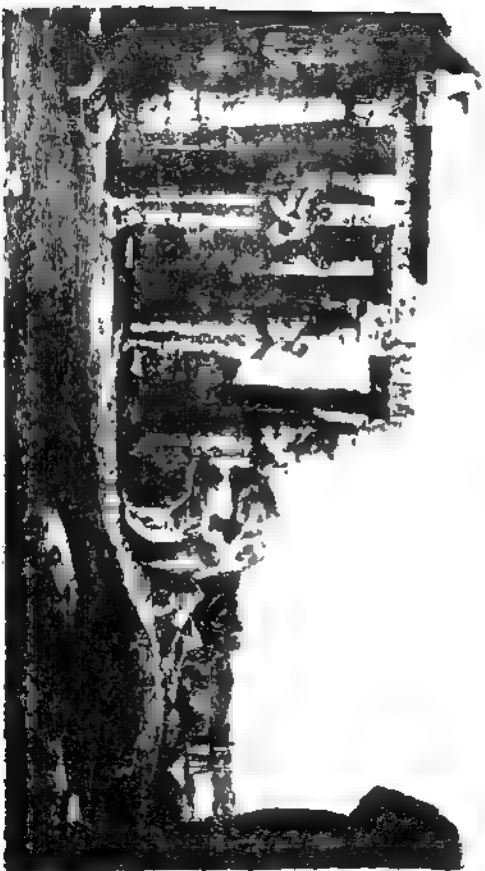
وإذا وضعنا في فكرنا إن ما يلي من الرسميوم هو التسلسل لظورية للنسب كله ، فإتينا نستطيع أن نتمشى من بداية البنا الى نهايته ، ونطلق نعرف كافة ملامحه . وسندير ههونا الى الأبراج المعلقة للصرح الأمامي ، ونمبر ما كان يعتبر فناء في يوم من الأيام ، ونترك التمثال الضخم الساقط الى يسارنا ، وننتقل الى الفناء الثاني . وبرى أمامنا المدخل الثلاثة الى بهو الاساطين ، ويقايا تماثيل آخرين . وسنمر في الممر الرئيسى بالقاعة الكبرى ونرى فوق رؤوسنا الأنظر الشخصية المحيطة بالأبواب والمعلقة بنجوم صفراء فوق أرضية ملونة باللون الأزرق البراق الذي يفساهي لون السماء ، ثم نمر من خلال حجرة بها صفوف من النقوش . ونصل الى المكتبة التي وجد شامبلتون على عارضة بابها الراسية صورتي لحوت وساف أي سيد الكائنات ، وسيدة الكتب المقلصة (٣) وأخيرا وحدنا بين شطأيا إلحاراف المنحوتة الباقية صورة الملك وهو يقدم التقدمة الى قائمة مكتوبة بالهروغليفية تشمل الآلهة وأجداده السابقين .

(١) انظر ، Diodorus, Biblioth. Hist. الفصل الرابع . ويجب ان ينسب خلا عم القبة الى هيكلايوس وهو الذي يمثل المنطقة التي سار خلفها فيونور .

(٢) من المحتمل ان يكون سينسيس Sinesis الذين ذكره هيرودوت اثر با - لن ميد ، التي وجد يروجش شرطوشه فوق لثووس معقود بمصنف لبيتا - انظر Hist. d'Egypte . - الفصل الثالث - من ٢١٢ ، طبع ١٨٨٩ وهناك جد آخر لهذا للتصريف وهو ملك يسمى مي - ستو ، وجد مارينيت خرافقه فوق بعض الفوحت اللغيبية في تانيس .

(٣) الخطيب رقم ١١ ، من ٢٢٥ من مجموعة Lettres d'Egypte التي نشرت في باريس سنة ١٨٦٤ .

قناة الملاحة الأمريكية والمنطق الهيكلي في حوض الترسيم في طيبة



وبرى طابور الأسرى وكومة الأيدي المقطوعة (١) ومكتشف مسجلا لمركبة هو في حقيقته صورة طبق الأصل من تسجيل المركبة الموجود من أبي سنبل . وهذا الموصوع يقسمه اللوحة الأصلية النوبية . ولكنه حازله محتفظا ببعض الألوان . ويظهر الأعداء يجلوهم اليصبية وشورهم الحففة وقد ارموا نسي الثياب السورية . ويظهر النهر هنا بلون أكثر حمرة من دنيته المرسوم في أبي سنبل ، كما أنه مرسوم بنفس الطريقة في شكل خط متعرج (زجاج) . ويظهر الملك يفرده في عجلته الحربية وهو يطلق السهم للتتالية ضد العدو الهارب . وبرى الأعداء يقفون في النهر ويسمحون لانتقال حياتهم . لقد غرق بعضهم بينما عبر البعض الآخر النهر سائمين ، حيث مالوا مساعدة رفاقهم الواقفين على الضفة الأخرى . وقد تم لقتال رئيس ذي شمر أحمر وقد نكس جنوده رأسه إلى أسفل لكي يفرغوا من فيه الماء الذي ابتلته . والنهر هو نهر الدامي والمدينة هي أيضا مدينة قادش وكذلك فإن الملك هو رمسيس الثاني والأحداث هي نفس أحداث قصيدة إنتشورو .

والنقطة التي لا يمكن إغفالها في هذه القصيدة هي تمثال مسببت النخمس . استخدم التماثيل المصرية (٢) أما الحصار والنهر وطوابير الأسرى فإنها موجودة في مكان آخر . ولكن لا يوجد تمثال بهذه الصفات في أي مكان آخر . وهذا التمثال النخمس من التماثيل الموجودين في السهل . ويبلغ عرضهما عند الكتفين ١٨ قصبا . و٣ بوصات . أما هذا التمثال فإن عرضه عند الكتفين يبلغ ٢٢ قصبا . و٤ بوصات . والتمثالان

(١) انظر خطاب شعلبيون رقم ١٤ .

(٢) كان تمثال الترميم الجاهلي هو بلا شك النخمس تمثال كامل في مصر عندما رار تيودور أحملي وأمن الدليل لأنه لأن تمثال تانيس النخمس للوالد كان قد تصطم بمعرفة شافياتي الثلاثة لأمرئس التعلق بالبلد وذلك قبل زيارة تيودور برين طويل أما تانيس تمثال تانيس على تمثال المرسوم مع حيث الارتكاج والشماعة غير يرتكز بلا شك على حجم الإجراء التي اكتشفها مستر برون أثناء حفاته سنة ١٨٨٤ وكان مثال تانيس عينا مصاباته الحفرة يبلغ ارتفاعه ٩٠٠ بوصة أي ٧٠ قصبا أو ما يتراوح بين ٧٥ . ٨٠ قصبا وعلى ذلك . يقول مستر برون . يجب أن تصطب ارتفاع التاج الذين يبلغ تقريبا ١١٢ قدم ويجب أيضا أن تصطب على ذلك قاعدة التمثال التي كانت كل مسك حيث بلغ سمكها ٢٢ بوصة فقط . وعلى ذلك فإن التاج كلها كان ارتفاعها يبلغ حوالي ١١٠٠ بوصة في حوالي ١٢ قصبا . وعلى ذلك وكما هو معروف فإن هذا التمثال هو أكبر تمثال فرعوني . وقد حسب مستر برون وزن التمثال فوجد حوالي ٩٠ طن أي بزيادة ١٠٠ طن عن وزن تمثال الترميم . ولا شك في أنه كان يتك على قاعدة متينة . وبذلك فإن ارتفاعه مع القاعدة التي لا يقل ارتفاعها عن ١٨ أو ٢٠ قصبا يبلغ حوالي ١٢٠ قصبا غرق مستقر سطح الجبل . انظر كتاب تانيس - الجزء الأول الفصل الثاني حرس ٢٢ - ٢٣ ( ملحقا مسافة إلى الصفحة ١١١ ) .

يجلسان بارتفاع يبلغ حوالي حسيّن قسماً بفنن القواعدتين \* وحوال  
ارتفاع رأس هذا التمثال يزيد عالياً بمشرفة اقدام \* ويقول تيودور ان  
« طول قلمه يزيد على مسة أذرع » علماً بان المزاج الاغريقي يزيد طوله  
قليلاً عن ١٨ بوصة \* ويبلغ طول قدم ستال رصيص المسائط حوالي  
١١ قدماً وعرضه أربعة أقدام \* وعشر بوصات \* وهذا هو أيضاً التمثال  
الطيطي الوحيدة المسحوت من حجر أسوان السيني ( الجرانيتي )  
الأحمر (١) \*

ولا يشك أحد في أن هذا التمثال كان قبل تخريبه واحداً من  
عجائب الانجازات المصرية \* ولابد أنه كان في كافة تماثيله تكراراً  
لسائيل أبي سبيل \* ولكنه تعوق عليها من حيث نظم السمت وكمال  
الاجزاء \*

وكذلك فإن لون الحجر نفسه أكثر حسالاً بالمقارنة مع مسلات  
الكركنة الشهيرة \* وهو أقرب ومادته أصلب لدرجة أن صانعي الجمارين  
في الأقصر يستخدمون خطاياهم كما يستخدمون حباتها للماس ليس أدواتهم  
التي يستخدمونها في التقطيع \* ويبلغ الوزن الكلي للمشتلات الصلبة  
حوالي ٨٨٧ طناً \* وكيف قلبت هذه الكتلة المنحلة من أسوان ؟ وكيف  
رفعتم ؟ وكيف أسقطت ؟ هذه كلها مشكلات ضاع حولها قدر كبير من  
التفصيل الواسع الذي \* ويؤكد المسياح أن علامات الأوتاد التي  
استخدمها مخطو التمثال ظاهرة بوضوح \* وقام آخرون بحصى الأطراب  
المكسورة وأعلنوا أن الهيئ الثاقبة لا تستطيع أن تكتشف علامات الأوتاد  
أو أية علامات أخرى تدل على استخدام المنبع \* ولم نجد أيضاً من هذه  
العلامات أو الرموز \* ولم نسأل أنفسنا أبداً \* كيف أو متى حدث  
التحريب الذي كان كافياً لإسقاط التمثال الضخم \*

وحيث أن الاسمان لا يستطيع أن يصعد ويقبض هذه الأجزاء الهائلة  
فإن التمثال المسائط بوصفه خطماً أكثر إثارة للمعجب مما لو كان سديماً \*  
وهنا فدنا حول وسط التمثال \* وهذا مرة أخرى خلف الرأس الضخم  
والكتف لكي تتصلقها مثل لسلق الصخرة \* وهناك بين أكوام من  
الانقاض التي يحجب إدراكها نرى قدماً ضخمة \* ونرى بالقرب من الرأس  
جزءاً من الجذع الضخم مع التصفين العلويين من الصغدين الكبارين  
تضيقها ألبسة القصيرة ذات التثنيات \* وكذلك فإن غطاء الرأس مغطى  
أيضاً \* وتتميز هذه المنحوتة في كليهما باللون الأصفر الرقيق الذي

(١) يمتلك المتحف البريطاني أيضاً رأس تمثال جرانيتي وهو المبروك على المتحف  
القبطي باسم حنين الصغير \* ويبلغ ارتفاعه ٧٤ سم قبل أن يكسره الفرنسيون



كان يقطبها في الأصل \* ولكن تحكم على الطريقة التي سم بها هذا اللوي  
نقول ان المثال قد غلى بالوقت حقيقة ولست تقيفة - ويبدو ان هذه  
التعطية بالنظر الى الأماكن التي بقيت فوقها ، ماعة وجيدة التشطيب  
مثل تمطيع الجواهر النسيه \* وحتى فوضيه الظروف الراجع على  
النصف العلوي من القراع قد جرى تلميحها بشكل محكم وأجروا فان  
القاعدة المصنعة ترقد في الحفرة التي حفرتها أثباء سقوطها وقد نقشت  
عليها الألقاب الرائدة للملك رمسيس محبوب آمون \* ونظروا لأن ديودور  
لم يعرف شيئاً عن رمسيس أو أسلوبه فإنه يفسر النقش حسب أسلوبه  
المخيل \*

• اما لوسبياديس ملك الملوك - اذا أراد أحد أن يعرف مقدار  
عظمي ، وأين أقيم فعلياً أن يبحث عنى في أمثال »

وتواجه قطع الحائط والبوابة الضخمة المطلية التي ما زالت قائمة  
في الرميم . الشمال الغربي والجسوبي العربي . وعلى ذلك ان معظم  
بقوش السطح ذات الأهمية ( المحفورة حجراً غائراً جيداً ) قد نكشت مع  
مراعاة الضوء بحيث لا يظهر منه منتصف النهار \* ولم أصبح في سبيل  
شكل واحد من أشكال هذه اللوحة الاحتفالية التي على الحائط الجسوبي  
لإصالة الكبرى ، ويظهر فيها المصريون وهم يستعملون لحاء من المروغ ،  
وسلماً متدرج المراحل لمهاجمة قلعة سورية ، الا خلال زيارتي الأخيرة  
عندما حضرت مبرة في الصباح لصلل رسم تخطيطي معي في ضوء  
عصم (٦) - اما النقوش الجدارية التي في القاعة الثانية فهي مرسومة  
حسب مقياس أكبر وأكثر سبكاً ويمكن مشاهدتها في أية ساعة من  
ساعات النهار \* ونرى الآلهة تموت هنا وهو يكتب اسم رمسيس على  
ثمرة شجرة اللبغ التي تشبه البيضة ، وراكب كهنة حليى الرؤوس  
يحملون على أكتافهم التوابل المقدسة للآلهة المختلفة ، وقد وضع في  
وسط كل قارب عرش تمثله حتيات مجنحة تشبه ملائكة الشاروبيم \*  
وقد ظهرت بوضوح الستائر التي فوق هذه المروش ، والحلقات التي  
تمر عنها القضيبان الحاملة للتوابل وكافة الأثاث ورحلوف القارب \*  
وأحسنت هنا بأني قد حظيت في لحظة خاطفة بمشاهدة تلك المروش

(٦) انظر الرسم المرفوع عن حجر على التوابل في كتاب بيير ج\* ويلكسون وعنوانه  
Manners and Customs of the Ancient Egyptians - الجزء الأول - طبع سنة ١٨٧٦ \*  
٢٥٤

الأصلية التي جلس عليها موسى لكي يدرس التراث الديني المصري القديم .  
وفيما بعد صنع تابوت العهد على مثالها مع تغيير طفيف (٢٠) .

وبل الكرنك في الأسمية المجموعة الفسخه من المسابي المعرويه  
بالاسم الشمل : مدينة هابو . ولذا حاولنا وصف هذه المباني فاسا  
سعود يعمل عيشوس مه ساما على وصف الكرنك . ومثل هذه المحاولة  
تخرج في جميع الأحوال عن حدود هذه الصفحات التي خصصنا العديد  
مها لموضوعات أخرى مشابهة . لأن المعاد مثل الجبال لا يوجد بها اثار  
مشابهة ولكنها جميعها تدور عتباته عد وصفها لأنه من الصعب  
الكثرة عنها دون الاحساس بالملل . ولذلك فاسي ماكتفى بتدوين بعض  
القاط الهمة ، وأحيل هؤلاء الذين يريدون تفاصيل أشمل إلى حكاية مدينة  
هابو المستفيضة كما فوردوا موراي في كتابه *Hand Book of Egypt*  
وبالنسبة لاسم مدينة هابو . فإن الجزء الأول منه هو الاسم العربي الذي  
يطلق على بلدة كبيرة ( مدينة ) أما الجزء الثاني ( هابو ) أو هابو أو ثاب  
الذي يطلق بطرق مختلفة فهو يمتي بطون شك الاسم القديم لتلك المدينة  
المشهورة التي سماها الإغريق . طيبة . وهو اسم له اشتقاقات  
كثيرة (٢١) ولكن الدارسين لم يقتنعوا بها (٢٢) .

وتتكون لطلال مدينة هابو من مسجد صغير أنشأته الملكة حتشبسوت  
Hatchepsut (٢٣) ، الأسرة الثامنة عشرة ومسجد آخر ضخم سماه

(٢٠) جنح الخيال كثيرا بمؤلف هذا الكتاب في مواضع كثيرة منه مما دفعها إليه  
المعبد من الاستنتاجات والتعديلات غير النفيقة ومنها هذا الإهداء الذي قدمه على السب  
موسى . ذلك أن تابوت العهد قد صنع ليس حسب نموذج فرعونى . ولكن تأليفا لآخر الهى  
أعلى عليه بالوحى كافة التفاصيل . لنظر في ذلك الإصحاح للفلس والمفسرين من سائر  
الفرق الذي أمر الله به موسى بسنح القبرت حسب الأوصاف التي وردت في هذا  
الإصحاح الذي يبدأ بالآية الأولى القليلة . وكلم الله موسى قائلا : - ( التوراة ١ )

(٢١) من بين هذه الاشتقاقات الاسم عبرى بمعنى مسكن أو مأوى لحرى والاسم ثابو -  
أبو ومعناه ثاب . والاسم ثابو - أبى ومعناه الرابى أو العاصمة . الخ . انظر كتاب  
*Recherches sur le nom Egyptien de Thèbes* للملك هابو نشر سنة ١٩٨٢  
وكذلك *Textes Géographiques d'Édifi* للملك ج . فى روجيه نشر فى  
سلسلة

*Revue Arch. Nouvelle Série* - المجلد الثاني عشر - السنة ١٩٦٥ - الخ .

(٢٢) هابو تحريف لاسم هابو نسبة للمونس المشهور بأمنحتب بن هابو الذى عاش  
في أيام الله أصبحت الثالث وأيام أبناء معهده الفيلسوف الذى ينسكه ثلاث معبد  
( انظر لاجع ) -

(٢٣) المقصود بها الملكة حتشبسوت - ( انظر لاجع ) .

كله الملك ومسيس الثالث من الأسرة العشرين - بمعنى غريب ومثير  
(مستعمل جزء منه كعصر وجزء آخر كقلعة وهو مشهور باسم الجناح -

ويروج حوايط هذا الجناح وحوايط القاعة الامامية التي تعود الى  
العصر الصغير ورنى من الحائط الاصل للدائرة - حسب النموذج المصري -  
شرقات في السور على شكل مدورق للمضمار تملمها مثل شرقات القلاع  
الحيثية والامورية التي تظهر في اللوحة المسقورة في آبي سنبل وغيره من  
الاماكن - وعلمنا بقرب الى مدينة حاير من اى اتجاه - فان هذه المدورق  
المحيرة تصدم العين بوصفها من الملامح الجديدة والمثيرة - وعلاوة على  
ذلك فانها على قدر علمي - هي المينة الوحيدة للشرقات الدفاعية المصرية  
التي تبحت من التخریب - وقد نبيت تلك الشرقات التي على حائط الدائرة  
على أيام رمسيس الخامس - أما تلك التي على حائط الجناح فقد بنيت  
على أيام رمسيس الثالث - أما الأخيرة التي على حائط القاعة الامامية  
فهى تعود الى أيام الاحتلال الروماني -

ولذا نظرنا الى الجانب التاريخي فان المحبة والجناح اللذين يميزه  
حاير وبردية هاريس العظيمة (١) تستعب كلها الى عصر رمسيس الثالث

---

(١) وصف الدكتور بيرس بريجة تاريخ العظيمة بأنها - واحدة من أهم وأجمل  
ما اكتشف في مصر من الكتابات التي خلفت من الضياع - ويصل طولها الى ١٢٢ ذراعا -  
وعرضها ١٦٢ برصة - وقد وجدت ضمن برقيات أخرى في حفرة خلف مبنية حاير وقد  
اشتراف الراحل أ - ج - هاريس بالإسكندرية ولم تحضه ولا يسميها فيما بعد الى تسع  
وسبعين ورقة - وحفظت في صندوق من الكرتون - وفيما هذا يدرس الاجراء الصائبة  
للدخسة في الورقة الأولى فان الناس كمل تماما - ولكنهم البرصة خطبا للملك رمسيس  
الثالث يمدد فيه الافرنك التي استلمتها مصر من ادفنة لها وخليفه لها بما من السيطرة  
الاجنبية - وتصل الى الامتلاك الشخصية التي وهبها للمعابد المصرية مثل معبد آمون في  
طيبة ومعبد كوم في طيبة وليس بعيد بتاح في منف - - تلخ - والجزء الأخير حوجه  
الى خيلاب الجيش الذي يتكون بعضه من مرتزة قصص من سرجينا والهيرو - والى حسب  
مصر في السنة الثلاثية والثلاثين من حكمه - وهو نوع من اصابته الفج أو القمل  
السياسية مثل تلك الحميت الخامس والاربعون التي اكتشفت في كثير من  
اما البردية نفسها فلهذا تكون من الاقسام الثمانية التي سبق لآلة هذا الفرعاف المينة  
التي لملأ حفلات كبيرة - حكمة - للمعابد القديمة الى القبة خفية - الصلابة القديمة الى  
القبة بليونبولس - المعابد القديمة الى القبة خفية - الصلابة القديمة الى القبة القديمة  
والجنوب - معبد السلطان - المعبد التاريخي والتمتعة - وقد تبحت الملك بنصفه  
من القبة دون استثناء - انظر Introduction to the Annals of Ramses III  
تخرعوا بيرس في مجلة Records of the Past المجلد السادس - ص ٢١ - سنة  
١٨٧٦ -

حتلما يستنسب أبو منتبل والرمسيوم وقصيدة يتأفود إلى أيام رمسيس الثاني ، فالعروب الطخية والانتصارات الطخية والمناح الطخية التي نظمت في بطوله الملك والقوائم الصخية التي تشتمل على الأعداء الذين دبحوا وأسروا ، وقوائم جرد مستويات العطايا المسلووية والتنمية التي قدمها الملك المنتصر إلى الآلهة المصرية ، تغطي الجدران المنقوشة وملا الصفحات المكتوبة في كلتا الحاليتين . ولذا فإننا بين مجموعتي البراعم لمسيح أن كلا الأسلوبين قد أظهر بلاغة أسلوب الكتابة الشرقي الذي يجعلنا نأنسبه للملك رمسيس الثالث ، متعامل مع ملك لامع جرى وناجح مثل رمسيس الثاني (١) .

وربما استخدمت قبل عصر هذا الفرع من ممان معينة لاقبله الملك وهي المحتمل تصديق ذلك بالنسبة لمعاد معينة مثل القرية وأبيوس . حيث يقتصر تخطيط كل منهما إلى جانب القاعات الضيقة ، حجرات جانبية وحجرات وعمدا من الحجرات التي لا يرى محاللات استقدماتها . ومن المحتمل أيضا أن يكون الملوك السابقون قد سكنوا في مساكن معينة من

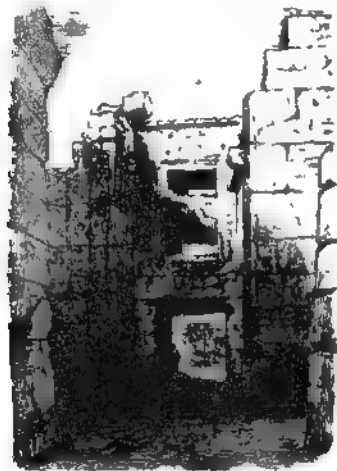
(١) كل رمسيس الثالث أحد الملوك المشهورين في تاريخ مصر . وقد سجلت جلوسه على العرش فترة من الاضطرابات السياسية وسيطرة الأجانب على مصر وكان والد منحت قد نجح حقا في طرد الغزاة الأجانب وإعادة إمارة ملوك طيبة الوطنية وهي الإمارة الثانية والعشرون حسب ترتيب مانليون . ولكن رمسيس كانت ألامه مهمة خاصة لأنه استعصر للجولس على العرش في سن مبكرة . . . وكانت الأسرة الأولى أمام رمسيس في استعادة الحكومة المدنية وتنظيم الجيش . وفي العام الخامس من حكمه دمر الملكين *Setna* و *Setna* والذين في موضحة عظيمة عندما قاموا بفرار مصر تحت قيادة خمسة من الرعايا . وفي نفس السنة كثر عليه أيضا أن يرد السمات *Setna* في الأجانب الذين هاجموا مصر من الشرق ووجدوا أن شعوب الغرب المصرية قد طردت فلسطين والسجل المصري في العام الخامس من حكمه . وبعد الاستيلاء على قرقيش تقدم لغزو مصر تحلف مكون من البوولستيا *Pulustia* والأكثرو *Takro* والمطانية *Sakhan*

والذين في *Tana* في *Danal* والأكثين *Set* . ومن المحتمل أن يكونوا قد وصلوا إلى بوابة الفرع الشرقي من النيل . ولكن رمسيس جمع جيشا في *Taba* شمال فلسطين وحارب المظاع من النيل . وقد أوقع خزيمة شديدة بالمظاع الغربيين بمطانية طرانه المرتفعة ثم عاد بالأسرى إلى طيبة . وفي السنة ثمانية عشرة من حكمه قام الأكثين واللبينون بغزو مصر مرة ثانية لكن بطالوا غريبة ثمانية . بعد تلك الفترة عاشت البلاد في حالة من الهدوء . . . وخلال العهد التاسع في عهدة ملوك مصر وقسروهم وخريوتهم ياقية شاهدة على حالته . وإذا كانت حياته المتأخرة في حياة أبي حله مصري على أنه كان يعيش كما هو معروف في ميدان القتال مثلما يعيش في القصر ، ولا شك في أن الحياة العظمى قد انتهت في أيامه الأخيرة ولا تنوء الكيفية التي مات بها . لكنه تلمي بعد حكم داء واحد وثلاثين عاما وثمانية شهور ، بترك العرش لابنه حزناني سنة ١٢ ق.م. انظر *the Granitic Sarcophagus* of Ramess III

في *of Ramess III* . بقلم سي. بيرس . نشر في كامبريدج سنة ١٩٧٦ .

الطوب اللبنى وأشغال الخشب المحفور مثلما نرى فى العروش الحداثيه فى  
العديد من المقابر .

والحقيقة أن المسى الوحيد الذى يستطيع القول بأنه كان قصر ملكيا  
وإحدى ظلت بعض آثاره خاصة حتى يومنا الحاضر ، هو الذى أقامه رمسيس  
الثالث ، أى هذا الحجاج الصغير فى مدينة هايو .



مدخل القصر فى مدينة هايو .

وربما لم يكن هذا المسى قصرا ، وربما كان مجرد بوابة حصينة .  
ولكن بالرغم من مسألة حجم المحرات ، إلا أنها مضافة ، كما أن لرسم  
التخطيطى للحفاج كله من الطراز المعتاد . وهو يتكون كما نراه الآن من  
مسيحين متصلين عن طريق أحتحة متعرجة مع برج مركزى . ويقف لمسيحين  
ولبرج فى مواجهة بعضهما البعض على شكل الأطراف الثلاثة للثلاثة للروية  
الحادة . وتضم هذه المعالم فناء على شكل مستطيل يقود الى الفناء المقدس  
عن طريق ممر تحت البرج المركزى، وهو حسب وصفه الحالى يتعصر ثمانى

حجرات فقط وبالمذات ثلاث حجرات في كل مبنى ، كل منها فوق الأخرى  
وحجرتان فوق البوابة (١) .

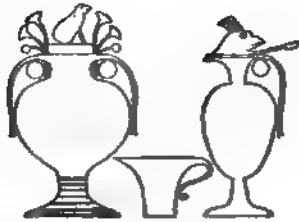
وهذه الأبراج الثلاثة متصلة عن طريق ممرات مطوية في الأجنحة  
الموصلة بينها . وبعد أن مالتين من الزوايا التي في الجناحين منيهما  
شرفات مبنية على دكانات ، تشل كل وكيرة منها رأس وكنتي أسير حاتم  
على قديمه في وضع مرزاق مسحوت على شكل آدمي . وهذه الرؤوس  
والملابس التي لوؤلا ، الأخرى نيفو كما هي في حالة من البربرية ولكنها  
ذات لون لامع .

أما المبرج المركزي فهو كامل . وقد صعدت الكتابة إلى الحجر الأول  
التي كان سقفها ملونا بطريقة مختلفة وصحية تماثل تقليد الموزاييك .  
والحجرة العليا مصمم الوصف إليها - إلا إذا توفر مقتضى جيد . وقد  
وجد صدقنا فـ ١٠٠٠٠ التي شق طريقه إليها منذ عام أو عامين بعض  
التقوى الخيرة التي على الجدران وهي تشل كزوسا وذهريات ينفو أنها  
جزء من قائمة محتويات مصورة تختص بالأواني للترلية . ويوجد هنا  
ثلاثة منها ( لا تلبس أية آلية مرسومة في مؤلفات ويلكنسون أو روسيليني)  
أخذناها من الرسم التخطيطي الذي رسمه في الموقع . ونلاحظ أن غطاء  
الزهرية الصغيرة يمنع بواسطة ذراع بارز مثل ملقعة ، يضغط عليها الانصاف  
بالأسح الابهايم مثل غطاء كوب البيرة الألماني الذي يستخدم في الوقت  
الحسالي .

أما الزخارف الخارجية للمبنيين فانها ذات أهمية خاصة . ذلك لأن  
الموضوعات السلبية تاريخية . أما تلك التي في الطوابق العليا فانها من  
الحياة اليومية أو رمزية ، وتصنف ضمن أعظم النقوش المصرية البارزة  
المشهورة . وقد ظل العلماء يظنون أنها تمثل رمسيس الثالث بين زوجائه ،  
سعيدا وسط الألهة اللاتي كن في انتظاره . وترى الملكة في إحدى المجموعات

---

(١) هناك يجب للاعتقاد بأن هذا الجناح ليس إلا جزءا من اثنين وتمتد الاستمارات  
التي تشمل من المحتمل أن المبني كله كان مريضا بمرض الراجفة . وكانت به حجرات  
أخرى ربما كانت مبنية من الخشب أو الطين بالانضلة إلى تلك التي وجدناها الآن . وله  
يظل ذلك من مميزات التصميم . ولأنه كان مزخرفا في الأصل ، ويشكل مع كمال  
شرفاته وزخرفته مجموعة تثير الدهشة . على خلاف ما لدينا حق الآن المصري - انظر  
J. Perseus ، *History of Architecture* ، الكتاب الأول - الفصل الرابع  
من ١١٨ - لفرغ سنة ١٩٦٥ .



مميزاً دائماً بالخرافيش الخاصة به وهو يجلس مستريحاً في نوع من الكرسي التي يمكن طيها ، وقد وضع خوذته على رأسه ووضع القدمين وهما داخل صندله على موطنه للقدمين ، مثلما يسود المقاتل من المعركة ويستريح من عناء القتال . وكان يمسك في يده اليسرى شيئاً مستديراً يشبه الماكينة ، بينما يرت بيده اليمنى على دق فتلة تركب حلقاً في أذنيه ، وفلانة في عنقها وترفع إحدى أرمهاز اللوس نحو الله . وفي موضوع آخر أشد كسوها برأسها يلعبان لعبة الضامة وهذا الموضوع الشهير الذي لا يمكن رؤيته إلا عندما يشغل الضوم من الجانب ، نادراً ما يكون واضحاً ، ماصيك من المساعدة التي توفرها الطلح التي أوردتها ويلكنسون واللوحات التي أوردتها روسيلليسي ، وليس ذلك لأن النقوش قد طمسحت ولكن لأن الكتل الضخمة التي تحملها قد وقعت في مكانها ، ومن المحتمل أنها التقبت بشدة فوق رؤوس الأعداء خلال إحدى مرات الحصار التي تحمل الأطلال آثارها الواضحة (١) . أما عن صورة السيدة

(١) ظلت عذبة حليز موجودة حتى التفتح العربي . وكان يسكتها الأقباط من أهل كينليكين الذين انتشروها - وأبد أنهم عربوا أمام عمرو بن العاص وجيشه وهجروا الكثر - ولا يعرف ما إذا كان الحصار قد حدث وقت التفتح العربي أو أثناء حملة حمير ولكن يصرف التفر من زمن حملته للواقف أنها سقطت أثناء الحصار - ويوجه مؤلف كتاب غليل موراي الانتباه إلى حقيقة أن الموارض للرأسية للمدخل الذي يعود إلى المنبد الأصغر والمحموعة من الجراتية ، قد كسرت بالقصبة عند المكان الذي كان يرشح فيه القصب عبر التراب .

تطبيق للمراجع لم يتحارب عمرو بن العاص وجيشه للأقباط مصر ، وإنما حارب للرومان ولم يصل عمرو بن العاص إلى القصر عند فتح مصر ،

لقد بقي منها جزء صغير يحوار القراع واليد التي تمسك الرء . وقد احتلت المتفهمة . وظهرت صورة الملك بدون ساقين ، وكذلك قامه بالرغم من ضياع المتفهمة ، إلا أن الكتلة التي فوقها مباشرة تنقسم القطع المستطمة في الذهب تلك التي حازلت ظاهرة من أسفل إذا استخدمنا النظر إليها نظارة . ويورد دوسيليني ثلاثة أو أربعة موضوعات أخرى من نفس النوعية تتضمن مجموعة ثانية من لاعبي الضامة كانوا جميعا ظاهرين ، في الوقت الذي قام فيه بالزيارة وقد بحثت الكتابة عنهم بدون طائل .

والمرحوض أن هذه اللوحات تمثل الحياة العائلية للملك رمسيس الثالث وتؤكد الطابع المنزلي للجنح . ويطلق عليها الأهراب الذي يبيعون البعازين ويسكنون الأطلال . وأيضا الأولاد الذين يسوغون الحمر في الأقصر اسم حريم السلطان . ويحتد العلم الحديث من إزالة أية صورة من هذه الصور لأنها تطلق المعنى للمخيل الذي يبعث البهجة والسرور .

ويبدو أن الملك وهو يحمل اسم راميسستوس Ramessutet وهو بطل كل أسطورة قديمة أوردتها هيودوت ، حيث ذكر أن الملك أثناء حياته برز إلى الهاربة وهناك لعب الضامة مع الإلهة ديميتير Demeter التي كسب منها فوطه ذهبية . ويقول هيودوت أن المصريين أقاموا عبدا تذكاريًا لهذه الفاهرة وعودته إلى الأرض ، وكانوا يحتفلون به على أيام هيودوت (١) . وكما ذكر بلوتارخ يجد أن إريس قد حطت محل ديميتير . وإذا استعرضنا هاتين الروايتين في ضوء قطعة معينة من التراث التي يتحدث عما يلهم به الميت المعيد من وعود القبرة على تحويل نفسه برأيه لممارسة لعبة الضامة والاسترخاء في جناح . - فإنا نجد أن الدكتور بيرش ذكر أن هذا المظهر كله قد يكون ذا طابع تذكاري ، ويمثل أحد المواقف التي يحدث في أرض خلال الموت (٢) .

(١) هيودوت - الكتاب الثاني ، الفصل ١٧٧ .

(٢) « A Médinet Habou, dans son palais, il s'est fait représenter » (٣) Jouant aux dames avec des femmes qui d'après certaines copies semblent porter sur la tête les fleurs symboliques de l'Égypte supérieure et inférieure comme les déesses du monde supérieur et inférieur, ou du ciel et de la terre. Cette dualité des déesses, qui est indiquée dans les scènes religieuses et les textes sacrés par la réunion de Sakh et Anouïs, Hathor et Bast, Isis et Nephthys, etc., me fait penser que les tableaux de Médinet Habou peuvent avoir été considérés dans les légendes populaires » .



وتأني يد عنه المجموعات من الحرم عوش بازوه صخرة ذات طابع  
ديسي وعسكري . فالملك كالمادة يصرب أسراه في حضرة الآلهة - ويظهر  
شخص وفتح كالشبح في وضع الإعداد للذبح ، بينما يبتلى البطل الفاسد  
عبر الحائط ، مثل يعل (١) وهو يهبط من أعالي السموات ، وفطرافه  
تمتج القوة الضرورية للانتصار وهو يمسك الجمهور الصغير بيده اليسرى .  
بينما تطول يده اليسرى كالسهم هؤلاء الذين يفرق أمامه - وسيفه حاد  
مثل صيغ أبية مثل (٢) .

وتحت هذه المجموعات العظيمة تحرى أفاريز منقوشة بأشكال  
أشخاص راكبين يسلمون الرؤساء المهرومين الذين يرى بينهم قادة ليبيين  
وعقليين وسردبيين وأتروسكيين . وجميع الرؤوس التي في هذه الأفاريز  
تشكل صورةا نصفية متعرف منها إلى القائد الليبي وهو بدون لحية وشفتاه  
رقيقتان وأفاه معقوف وجبهته مسحوبة للخلف ويرتدي غطاء رأس مسكاً ، له  
دلاية تشبه صك الأدس . أما ملامح القائد السردبي (٣) فهي لا تقل عن  
الأسبوي . وكان يرتدي الخوذة السردبية المخرولة التي تملؤها الكرة  
والقضبان المعدنيان . أما الشكل الجانبي لوجه القائد الفسطين فهو يمثل  
السردبي . وهو يرتدي غطاء للرؤس يشبه الطائفة الفارسية الحديثة .

« res comme offrant aux yeux l'allégorie de la scène du jeu de dames  
entre le roi et le dieu le lais, dont Hérodote a fait le Dénétier égyptien.  
comme il a fait d'Osiris le Dénétier du même peuple » -- *Le  
Roi Rhénanien et le jeu des Dames*, par S. BIRCH *Revue Arch.*,  
*Nouvelle Série*, vol. XL, p. 108. Paris 1885.

(١) يدل مثل صيغته إلى تحت استعارته من الأساطير الفيلينية - ويبدو أن هذه  
بدل له صرحت في مصر خلال عصر الأسرة التاسعة عشرة . أما الإله الذي ورد  
ذكره هنا وهو مثل أو حوت فهو من الآلهة التي ترمز للشمس والتي كانت لهم في طيبة .  
وكان يبدى أيضاً في هيرموتيس إلى أرمدت الحالية . وهي مدينة حديثة لها بعض الأهمية .  
وماراث اسمها متطابق مع اسم برستو المستخدم في المسودات القديمة . وكان مثل هو إلى  
الحرب عند المصريين حكماً كان يدل هو إلى الحرب عند الفينيقيين .

(٢) من أحد تفرع مدينة هابو التي نالها هاباس *Antiquité*  
*Historique* الفصل الرابع - ص ٢٢٨ طبعة ١٨٧٢ .

(٣) هناك حليقة جديدة بالتسجيل ( وهي حليقة لكن أن أصدأ لم يسلطها من  
أهل ) وهي إلى عندما كان القائد الأسبويين والأفريقيين واليهوديين بين سور هذه الأفاريز  
لأنهم يوصفون في النقوش الفيلينية المسجلة لهم بأنهم « الذين الضم » أو  
« الذين الضم » أو « الذين الضم » وهكذا . أما للقادة الأسبويين قائم  
بالرمح عن رسم مسودهم بنفس الأسلوب إلا أن الشكل منهم كان يوسف جلد و حليم  
سرفيغيا « أو » حليم حليغية « أو » حليم أفرويا « - إلخ - فهل يدل ذلك على  
أن قوائم المسجلة كانت قد من قوة المصريين أقرب جيرانهم ؟

أما عن الوعيف الالسه ( أفسية ) من هذه الأرواح دبت فيه كبره  
فلم يجد استوطنوا الاحاصي يظهرون عند رحيلهم من الشواطىء البحرية  
لأمبيا المعسرى . ويظهر هؤلاء الأوربيون بطابع المذبح الآسيويه . هذا  
الطابع الذى احتفى الاذ كليه \*

وهناك سحب أوربيه اخرى موجوده في اماكن اخرى في مدينة هايو  
منه فهناك البلاسيون من الجرد اليوبانيه ، والأوسكانز من مدينة بومبي  
والداوبيون من القاطعت الى بين درنوم وبروندوروم وكل في ملبسه  
الوطنية . ومن هؤلاء جميعا ينفرد البلاسيون بالشبه مع الشكل الأوربي  
الحديث . وتوجد على الحائط الشرقى من بوابة الجناح في اتجاه المبد  
صورة بارزة ضخمة للملك رمسيس الثالث وهو يقود طابورا عظيما من  
الأمري في حضرة آمون رع . ومن بين النقوش التي في حالة جيدة يوجد  
عدد من أشكال اللامسيين الذين يظهر بعضهم بملامح الإغريق الكلاسيكيه  
وهم ذوو أشكال وسيمة . ويشبه خطباء رؤسهم قبعة شاكو Shako  
المدينة التي كان يرتديها جنود القصة . ويرتدى بعض الرجال ثيابا  
على شكل اقراص في وسطها ثقب تخرج منه الدخان التي تبصلها مملة  
حول الطبق \*

وإذا اتجهنا نحو اليسار فسنجد تمثالا جالسا دائما لثلاث حوسو  
من الباركت الأحمر . وإلى اليمين رقيقة التمثال الساقط . ونرى أسفل  
البوابة . ونصير قراغا من قلال الطوب المهجورة ونرى أماما حراائب البرج  
الأول لمبد خيم التنظيم . ويوجد أن نمر عتبة هذا البرج مدخل إلى  
سلسلة من الأبنية العظيمة . والنقوش الهيروغليفية هنا ضخمة وأعشق  
من أى تبنى آخر موجود في مصر كلها . وقد تولت بعض خيرة لوية التأثير .  
ولهذه لروعة الألوان الزرقاء غير العادية . واللحمان الغريب الذى  
كلمه انشواء صينة . لقد قصصتها على وجه الخصوص ووجعت أن تأثيرها  
باتج عن طلال دقيلة طرا لتخرج الألوان التي ظهر بها لأول وهلة . حيث  
اكتشفت أنها درجات لوية مسطحة مسطحة . وعلى سبيل المثال ففي  
بعض ميقان النباتات نجد أن الألوان الأساسية تبدأ عند قمة الورقة  
بالأزرق الغامق وتتمزج حتى تصل إلى درجة من الأخضر الزمردى عند  
اللباع (٦) \*

(٦) ان ورقة سلف صف الامعة العظيمة في القاعة الكبرى Hypoethral واضحة  
جدا سبب نمان وظاء درجة اللون . بينما تظهر هذه الخرافات التي على العمود  
والحديقة المجرية التي ترفه . جلية على العمود الثاني الذى على يمين الداخل إلى هذا  
البهو مثل عينة مثيرة للخرقة بالألوان الأصفر على أرضية زهرية طاقون \*

لما الصراخات الماحلية لهذا الفن المصنوع والزوجه الخارجى للمحافظ  
 الذى فى الشمال الشرقى فى منطقة بالنقوش للمجدد بمعنى المجدد  
 من حلية غائرة النقش ، ولذلك فان الاستكمال بالرغم من انها دائرية الا انها  
 هالت على نفس مستوى السطح العام . وفى هذه اللوحات يحيا العالم  
 لتقديم مرة أخرى فرى وميسس الثالث ولولاده وبيلاده وجيوشه وأعداده  
 وهم يلعبون مرة أخرى أدوارهم فى مسرحية الحياة والموت القصيرة .  
 وهنا تتعاقد المعارك الكبرى أثناء حوضها . والانتصارات العظيمة أثناء  
 تحقيقها ، وعمليات الذبح أثناء احصائها ، والأمسى وهم يجربون سلاسلهم  
 حلف السجلة الحربية للملك المنتصر ، وانتصارات الملك ودبائحه التى  
 يلعبها للأله . وتوى حروبا أكثر وذياتج أكثر فى أماكن أخرى . وهناك  
 تورت فى ليبيا ، وغارات على الحدود الآسيوية ، وغزاة قادمون فى سفنهم  
 من بحر البحر الكبير . وقد رفع الشعار الملكى وتجمعت الجيوش ووزعت  
 الأسلحة . ومرة أخرى يقبض الملك ثعبنه زهرة الفرسان المصريع . لن  
 فرسانه أبطال . أما مشاهدتهم مثل الأسود التى تراءى فى الجبال .  
 أما الملك نفسه فانه يبعث بالشر مثل « الاله منتو فى أوج غضبه » .  
 ويقع على العدو بفعل سرعة الشهاب ، وهنا يجد الأعداء المردحس فى  
 الشباشبات التى تجرها الثيران وهم يطلبون الأمان فى الهرم . وهناك  
 يجد سفنهم غارقة وجنودهم مذبوحين أو محرقين أو مأسورين ، أو سُلطت  
 عليهم الثيران حتى « لا يعودوا مرة أخرى ليلد البنود أو حصاد محصول  
 على وجه الأرض » .

يقول الفرعون : « انظر لقد استوليت على حبوبهم وجعلتها  
 حبوبا لى ! لقد صيرت مدنهم ، وأحرقته محاصيلهم ودمست وجعلتهم تحت  
 قدمي . المرحى يا مصر ! أرفسى صوتك لى السماء ! انطقى ! اننى أسكن  
 جميع أراضي البرابرة . أما رمسيس الثالث . ملك مصر العليا  
 والسفلى » (١) .

وقد ربطت الصور بعضها فى بعض بواسطة نص يتضمن التعليمات .  
 أما القصيدة فقد كتبت فى مكان آخر . ويبلغ ارتفاع النقش الهرمديفى  
 ارتفاع الواحة الشرقية للمحافظ الشمال الضخم للبوابة الثانية وهو  
 المحاط الذى يسطيه النقش . وهذه البراية تقسم القاعة التى تحتلها تماثيل

(١) عن نقوش مدينة هليو . انظر Antiquité Historique ، الفصل الخامس ،  
 باريس سنة ١٨٧٦ .

أودوريس والقاعة الكبرى الثانية ، لكي يواجه النقش الداخلين الى المبد ، ويسبق اللوحات \* وأظن أنه حتى كصيدة ينتأزور لا تصل الى قدره على التأثير ، وكذلك فإن مرامير داود أيضا ليست أكثر منه حياصة (١) .

وقد نصبت الكتابة خيمتها في مفلج البوابة الأولى ، وامستطاع بذلك أن ترسم الركن الشمالي التبريز من الفناء بما فيه البرج بالنقوش والتماثيل الضخمة التي تمثل الآله أودوريس \* وتمثل الصورة المرفقة الرسم الذي رسمته الكتابة .

لقد شروعت صنف الأعمدة الذي إلى اليمين ، حرايب الطوب الملبس التي تعود الى المصور الوسطى . ومارالت النقوش الهيروغليبية المحفورة بطول الأثر التي تحيط بالأبواب ، ويطول جوارب الأعمدة حتى اصغفها ، لامة اللون . وقد وصلت التماثيل الضخمة الى حالة سيئة نظرا لمرور ثلاثة آلاف عام حافلة بسوء الاستخدام \* وينظر الانسان من خلال المختل النقوش المتجايل ، عبر القاعة الكبرى ، ويشاهد لوحة من قاعة الأعمدة المحيطة خلفها .

وعندما كانت الكتابة تعمل في ظل البوابة الأولى ، جلس راوية من الأعراب عند هذا المختل المتجايل وأخذ يسلي الأولاد الذين يسوقون الحنير والبحارة \* وبعد أن دفعوا له قليلا من التبغ وعدة قروش من العملة النحاسية ، استمر في رواياته عدة ساعات \* وارتفع صوت لغثاله حينا بعد حين حتى أصبح صراخا متعجبا \* وكان رجلا صغورا كثير التفكير متلفظن الوجه وشديد القفر والبؤس . ولكنه كان يحفظ عن ظهر قلب قصص ألف ليلة وليلة ومئات من القصص الأخرى .

وكان من رأي ماريت أن معبد مدينة هابو الذي أقيم على جانب طابير طيبة العظيمة يشبه الرميموم، من حيث أنه أثر حضارى أقامه رسميين الثالث في حياته تخليدا لذكروه . لما هذه التماثيل الضخمة المحيطة لأنها تمثل الملك في شكل أودوريس وهي ضخمة في الحقيقة مع أن التماثيل

---

(١) قام جورج شاملي في كتابه L'Antiquité Historique بترجمة هذا التسجيل الكامل ، في الفصل الخامس ، ص ٧٤٦ وما بعدها . وكذلك تمت ترجمته في كتاب روميليني Monumental Historique . به قام بتمويره كل من مسير هامو شبيت وبنسور بيتا بطريقة تشير الإحجاب .



المتنازية ذات حجم صغير في العادة - وهي ليست إلا صرحا تذكاريًا ،  
وتكفي وحدها كإيقان سمة البيئة .

ولا شك في أن تلك السمة هي نفسها سمة معبد أمنحتب (٢٠) الصغير المعروف باسم - دير المدينة - وصيف حتشيبسوت المعروف باسم الدير البحري ومعبد القرنة وتقريبًا كل المعالم المهمة التي بقيت على جانب النهر . وقد تبقى من معبد أمنحتب الصغير بطنى الكتل المنقوشة والأساسات المنحطة وآخر التفاصيل ذات الأحجام المختلفة التي بقيت من الشوارع وكذلك التمثالان المشهوران في السهل (١) أما معبد الدير البحري الذي بنى في شرفات على جانب الجبل وكان يتم الوصول إليه يومًا ما باستخدام طريق عظيم الفخاش قبا زائد أثره ظاهرا حتى اليوم . وكان من الممكن لو لم يتعرض للتخريب أن يصبح أهم معبد في الجانب الغربي للنهر . وقد ظهر الفرض من العادة هذا الياء وهو تخصيصه للالهة حاتور مع حقيقة أن ويند قد قام بالتعرف على قبر الملكة حتشيبسوت منذ خمسة

#### (٢١) يتحدد ذلك أمنحتب الثالث - ( المرجع ) \*

(١) إن المنحتب من وصف اثنين التمثالين اللذين يمثلان من الفصل الثاني العشرة . وتلويهما ومشيها وتصويرها - يحتاج إلى تلاف من مرجع . أما وجههما اللذان بلا ملامح وجههما وما يحيط بهما - فهذه الأمور كلها معروفة مثل الأهرام حتى بالنسبة لجولاه الذين لا يهملون شيئًا من مصر . ونحن نعرف أنها يمثلان أمنحتب الثالث . وأن التمثال الموجود في الطرف الشمالي له النحيط إلى تسعين عتد الوسط الأداء (كزال سنة ٢٧ ق م وقد قيل أنها يصبران صورة في الساعة الأولى من النهار مما جعل الاثنين يمثلون أن التمثالين يصفوان الصوت عن طريق حوت مبررة - وكان الأقويق يعتقدون أنها يمثلان ابن توتوسين وأولاد المصهور في التفسير والذي أطلق عليه اسم حنوت - وعلى الرغم من هذا فإن المصريين أنفسهم يقولون أن التمثالين يمثلان أمنحتب الثالث . وقد جاء التوافق والتفصيل والابتداع والاستدلال لتستلزم إلى صورة حنوت . ومن بين الدول الهندوسيين الذين سافروا لهذا الفرع السندريون وجربلنيكيوس وكاهناني والانبساطية سايونا . وقد انفصلت الآراء حول سبب هذا الحدث . ولا شك أن جريش أبراج حنوت دخل عرض هذا التمثال كما هو واضح بالنسبة لكل من جسمه من الخلف . وقد فسره سير ج - هولكسون وغيره من احتفاده بأن الصوت الأوسط كان قطعة من صورة التوبة . وهو رأى أيضًا به أغلبية المؤرخين . وعلى كتب مقال نهر يمسلة Quarterly Review . للمعد رقم ٢٢٦ ، أبريل ١٨٧٥ مع سير د - بروستر في نسبة للصوت إلى خنثى الهواء من خلال شقوق الحجر المنقبة من تغير الحرارة الخليلي بسبب شقوق التمس - والتمثال الذي يشبه زميله التمثال الآخر كل كتلة واحدة أصلية ضخمة من الصخر الرملي . وقد جرى لصلاحه بالمجر الرملي خلال حكم الامبراطور الروماني سبتيموس سابوريوس \*

وعرض عاماً وضعت بوصفه أحد المقابر المخوفة في جانب الصخرة بالقرب من المكان الذي انتهى إليه الحبد بالوصول بمقابل الصخرة .

أما عن صيد القرمة فهو على الأقل صرح تذكاري مثل كاتدرائية ميدنتي في فلورنسا أو سويرجا في تورينو ، وقد بدأ بنائه الملك سيني الأول تذكارا لأبيه رمسيس الأول مؤسس الأسرة التاسعة عشرة . وعلى كل حال فقد مات سيني قبل استكمال العمل . وهنا اكمل ابنه وحليفه رمسيس الثاني التخطيط العام ، وأكمل الجزء المحصن لجده ، وأضاف القوس المخوفة إليه أحياء لذكرى سيني الأول . وفيما بعد ترك مرتشاح ابن رمسيس الثاني وحليفه حرقوشيه على أحد المدخل . وباختصار فإن المبنى كله يعتبر أثرا عائليا ويضم ممرضا لصور الأسرة النصفية ، ويبدو هنا أن جميع الأشخاص الذين تظهر لهمزهم على أعمدة مقاصير عائلة رمسيس في السلسلة قد رسمت لشخصهم في شكلها الصحيح . حيث يرى الملك رمسيس الأول في إحدى اللوحات مينا ومولها (١) وعربوطا وموضوعا في الفريج ومتوجا مثل أوزوريس، حيث يقدم له سيني الأول قروش العبادة . ويقلب خلف صيني ملكته توبا Tuba ( توى ) أم رمسيس الثاني .

ولى مواضيع أخرى ترى سيني الأول الذي مات حينذاك يصغر الها ويتلقى العبادة من رمسيس الثاني الذي يسكنه السيد على مثال أبيه . وهناك شبه رابط عائلي يربط بين جميع هذه الرؤوس الوسيعة . وهم جميعا يشتركون في هذا الطراز الدانتي Dantesque type الذي يميز الصور النصفية لرمسيس الثاني في شبابه . ونجد أن ملامح رمسيس الثاني وسنتي الأول مضغوطة وصارمة إلى حد ما مثل صور الأيام القديمة .

---

(١) كان غاية القوي لا يجوز حسب المفهوم الروماني أو حسب ما يجري في العصر الحديث من إلقاء قوامة أحد القديسين لأن المصريين اعتقدوا بأن إلهيت الصالح نشم أو تعدد روحه بالإله أوزوريس الإلهي الكريم وله الألقاب لفظي . وعلى ذلك فإنهم من خلال حياتهم للألسان لا يعطون المرتبة الثمانية فقط ولكنهم يعطون إله في نفس أوزوريس ويعطون أوزوريس في شخصه إله .

وبما هو جدير بالذكر أنه بالرغم من هذا فإن التثنية للتعبير لشخص الله سيني الأول والله رمسيس الأول قد حدث ما حذر كل حذر على الفيس الضعيف أو كما يسميه المصريون القديم ( إله الجرس للمعد ) .

ويؤيد وحده بالملاحظة الحميمة والقوية القوية للشكل مثل قرن الوعل الجبلي المكس ، ومن السنة المصرية اللاهوتية .

أما المنظر الجانبى لوجه الملكة نوحا ( نوى ) الذى يشبه كثيرا بعض الصور النصفية للملكة اليرانيث (٣) فهو حاد الزوايا ولطيف فاته لا يثير الإعجاب . ولكن هذه التفاصيل الخفيفة بالنسبة لوجه ومسيس الثانى المعروف تخفى ، ويبلغ جمال الجنس ذروته - ولا يجد مميزات جانبى الديسة المصرية يمثل هذه النحمة فى رسم الأشكال الجانبية للوجوه أكثر مما يبدو فى هذه السلسلة المثيرة للاهتمام .

وعندما وصلنا الى ما يمكن تسميته بالجزء الأثرى من البيت ، وجدنا ندبا من القاعات والحجرات التى لا تسمى شيئا من استنتاجاتها . ويقول معظم الكتاب إنها كانت تمثل المسكن الخاص بالملك . ويذهب البعض الى أبعد من ذلك فيعطى اسم المبنى لكافة هذه المسكن الجنارية . ومن المحتمل أن تكون هذه المائدة القرية قد أقيمت مترابطة بالرغم من أنها ليست متصلة اتصالا مباشرا مع القابض الملكية فى وادى باب الملوك الجساور .

والآن ، فإن كل مقبرة مصرية ذات أهمية تتميز بطريقة خارجية أو هيكلية . ولقد غطيت جدرانها بالزخارف التى تفوق الوصف . وأحيانا نطيطها منظر الموتى على الأرض ، وفى مواضع أخرى مفارقات روح الميت بعد الموت . وهنا وفى مواسم معينة يتم التوضي عن الأحياء بتقديم القرابين . ويبدو أنه لم يكن هناك كاهن متخصص للقيام بهذه الخدمات الصغيرة . وقد تضرر المائدة بكاملها لتقديم يواكيم حديثها . وأفضل دواجنها ، والقطار المستوعبة فى المنزل ، والخبز وياقات أزعاج اللوتس . ويقومون بتكويرها على الذئب بأيديهم ، ثم يقوم الآين الأكبر نائبا عن الآخرين بحرق البخور ، وسكب النبيذ . ويظهر هذا المنظر دائما على الآثار فى كل فترة زمنية (١) وهذه الهياكل الخاصة بالنقود غير موجودة

(٢) تضم مكتبة الملكة ميرانيث الأولى وليست الملكة الحادية اليرانيث الملكية .

(٣) المرجع .

(١) يوجد بين الألواح النقوشية يملك بولاق مجموعة من النقوش البارزة تمثل وصول جائلة من الفلاحين من نهر بيليم للثوبى . وجلس تشارك الميت عند الطرف الجنوبي . واد حول النخيل والتفاحات ، أبدا طاق صغير يحمل حملا . بينما يحمل حال آخر أجرة ، ويكاد لحد الكتابة فى انتظار تسجيل لهاليا . وتحت اللوحة الجنائزية اسم شخص يسمى بسماتك - نفر - سلام ، الذى يظهر من النص اليوناني أنه أحد حواري الأسرة السابعة والستين . أما الزخرفة الخشبية وخمس الستة الدقائق اللذان يراعى بهما هذا التزيين المستدير ، فقد جعلها أعلى من مستوى الفن المصرى المعاصر . ويمكن حلقته بالآثار التى اكتشفت مؤخرا فى كاترين الفيوم فى البيت .



بأنه في وادي باب الملوك - من الهياكل الملكية تتكون فقط من ممرات  
تسطوادية وغضود مقبية لمنح للوحي، وقد سجلت ملاحظتها إلى الأبد بمجرد  
وضع اللوحيات . ومن هنا يمكن استنتاج أنه كل صمد قد كُتبت قد لعبت  
بالنسبة لمقبرة الآلهة الحائرين . ذلك الدور الذي يلعبه الهيكل الخارجي  
الملاحق بمقبرة لميت . ولا نسي أنه كان هناك منذ وقت مبكر يعود إلى أيام  
ملوك الأهرام هيكل للتدفق ملحق بكل هرم يمكن ملاحظة آثاره على  
الجانب الشرقي في أي وقت ، كما كان هناك أيضا كهنة الأهرام كما نعرف  
من النقوش الجنائزية التي لا تحصى .

وقد يتطلب مثل هذا الهيكل الضخم احتفالا رسميا كبيرا . ولا شك  
في أن كل ملك ميت ومؤله كان يتبعه طاقم من الكهنة ، وصالواته اليومية،  
ومواكب الاحتفالية ، والأضحية التي يجري تقديمها . وكل ذلك يتطلب  
حرة أخرى عمالة وحسابات إضافية . لكن أنها كانت تملأ إلى عدد من  
القاعات والحجرات الإضافية . وعرفت هذه النقوش بآلية على حائط  
هذه الممرات الخفية . وهي كلها في الحقيقة ذات طابع جنائزي ومرتبطة  
بتقديم الأضحية . ويجب أن نتذكر أن لدينا هنا مبدءا محصيا للكهنة ،  
ويضمه كهنة ينتمون إلى مدرستين مردونجتي (١) والنقوش الجدارية بمعبد  
القرنة وأربعة الجبال خاصة تلك التي أُنجزت على أيام سيثي الأول .  
وحيث أنها سجلت سلسلة بالصدفة ، فإن السطح المسطح ، والتلفظ لأمع  
مثل نقوش الحاج الماخرة التي تنتمي إلى الصور الوسطى ، وعلى سبيل  
المثال فإننا نرى حلف عهد مكشور له انحنى لتمام الحائط الجنوبي الغربي  
للهيكل (٢) مقدمة قارب مقدس على شكل رأس كبش ، وهو سبيل  
القرنة ، وقد جرى تشكيل رأس الكبش ببساطة ويكون ملحوظات ويندر  
القول بأنه قد اندثرت كل النقوش الموجودة ، لأن هذه القطعة ستكون  
وسمها كافية لكي نسمع من النحت المخرق أصغر القديسة في مكانة لا يتفوق  
عليه فيها إلا النحت الأخرى .

ويقع معبد القرنة في الطرف الشمالي البعيد من مجموعة طيبة عند  
مدخل ذلك الوادي المشهور الذي يسميه الإغراب باب الملوك ، بينما

(١) « Une dignité tout à fait particulière est celle que les  
hiéroglyphes hiéroglyphiques désignent par le titre « propriétaire de la  
pyramide de tel pharaon » Il paraît qu'après sa mort chaque roi était  
vénéré par un culte spécial. » Histoire d'Égypte Brugsch. 2nd ed.  
chap. V. p. 36. Leipzig 1876.

(٢) يوجد هناك طوبى في طرف هذا الهيكل ، به استودان بقيت فيها  
للصراعين ، وتحتل يفرق فيها التفسير الذي يطلق التفسير .

يسببه السباح وادى حقاير الملوك . ويكنى وصف هذا الوادى بأنه وحده متفرعة الى فرعين ينتهيان الى ما يشبه الزقاق . وتنتهى أطرافها في جميع الجوانب بحواف من الحجر الجيري . وهي تفرع خلف الصخور التي تواجه الأقصر والكركناك وتتخذ مسارا موازيا لنهر النيل . ومنتشر الحقاير في هذه السلسلة من الصخور على شكل قلوب على كلا الجانبين . وقد دلف الكهنة والمبلاء الذين يسبون الى العديد من الأسرات صفا فوق صنف على الجانب الذى على النهر . وقد خلف حقايرهم في الوادى الصامت المقسم بالأسرار للوك في منحوتهم الأبدية .

ويرسو معظم السياح عند الكركناك لمدة يوم أو يومين ، ومن هناك يذهبون جرتهم الى باب الملوك . ويخسرون بذلك واحدة من أجمل الجولات في ضواحي طيبة . لقد بدأت السيدة ( ل ) والكاتبة جرتلها من الأقصر في صباح أحد الأيام بعد شروق الشمس بحوالى ساعة ، وعبرتا النهر عند النقطة المعتادة ، ثم ركبتا حمارين بطول الضفة في اتجاه الشمال . وقد صار النيل في الجانب وحول القبح في الجانب الآخر . وفي مسار مثل هذه المسيرة الراكبة يكتشف الإنسان أكثر بغا طيبة حصوية . لقد تحولت كل بوصة في الأرض الصالحة للزراعة الى حكاية . وقد أجلت المحاصيل تبدو في قوة ، وأجنت أعواد القمح تتماوج في موجة كاسحة من مدينة هابو الى نقطة تقع في منتصف المسافة بين مبدى الرمسيوم والقرنة . وتأتى بعد ذلك زراعات التبغ والقطر والكتان والذرة والبنس . في حقول متجاورة غنية بالمحاصيل ، بحيث يظهر القطر كما لو كان كله أرضا مقسمة الى حصص زراعية تمتد الى أميال عديدة . وفي المناطق التي جمع فيها محصول الأرض ظهرت مجموعات من الأكواخ للزراعة في الأراضي اللطيفة التي بين الحقول لأن الفلاحين اعتادوا الخروج من قرابهم للردحة في العلف قصوى السنة ، لكي يعيشوا وسط المحاصيل التي يقومون الآن بحراستها والتي مراعان ما يحصدونها . أما حوائط هذه الأكواخ فأنها مجرد أسوار من قش القمح الهندى مع حزم من قش القش موضوعة عبر القمة لعمل السقف . وتنتشر هذه الأكواخ الرقيقة في كل مكان . ونرى هنا بعض الرجال يقومون بتشغيل الشادوف على ضفة النهر ، والنساء يزلن في الشمس ، والاشغال يلعبون ، والكلاب تنبح ، وطيور القنبر تحلق في الجو وتغنى فوق رؤوسنا ، وهناك في مواجهة قواعد الصخور حيث تنتهى الأرض المزروعة وتبدأ القناير . يلغى نهر حادى تبدو على حالته أشجار التخييل . وعند شهور قليلة مضت كان من المحتمل ان نتخذهنا حله الماء الخرافة ولكننا نعرف الآن ان هذا هو السرب .

ومح الايجله نحو اليسار . قصدنا بقمة تنحسر عندما الجبال وتنخفض ، ويمتد فوق السهل اسفلين مثل اخنود من الصحراء الرملية . وعلى حافة هذا الاخنود توجد مجموعة من اشجار الجيزر والتخيل . ويمح خلال الاصحان صف من الاعمدة الصغرة القديمة التي تحمل اطارا خشبيا ملفوشا . وتستكن قرية صغيرة طرية ، ونرى فوق المنحدر الصحراوي البعيد ، الذي في وسط المفاين القريبة للمجورة ، عسيحا صغيرا ذا قبة وحيدة صغيرة تلح بلونها الأبيض في ضوء الشمس ، هذه هي القرية . وتوجد هنا عني مه ، وتقوم بعض الفتيات بسحب الماء من البئر القريبة من المنبد . وتقوم السيد التي تركبها يارواء عطفنها من الحوض المنحصر لسقي الماشية ، وهو عبارة عن تابوت مكسور كان يعمل في يوم من الأيام موبيا أحد الملوك . وهناك ساقية تدريها بقرناند لونهما احمر ولهما وجهان مثل وجه الالهة منحور - اما الرجل الكليل الذي يسوقهما لاله يميلس ومنط المجلة ذلت التروس ويحور عنها ببطء كما لو كان يجرى تصميحه . والآن نترك خلفنا القبر والاصجار والمبعد ذا الملامح اللافرقية ، وننتهي وجوينا في اتجاه الغرب ، متجهين نحو لجة هناك وسط الصحور مرصمة بلوحات القابر الحالية . على السهل حويزة أنا نفضل الآن فوق لنا فكان حوضا للسبول في يوم من الأيام ، وكانت الماء المنفضة من التلال تنفثر هنا على هيئة مروحة فوق منحدر الصحراء ، وتغطي الأرض بالصخور للحد حرجة ، وتجرنها فتحوّلها الى مئات من القنوات المتفرجة ، ويقع طريقنا اليوم فوق حوض السبول المذكور .

وتلف الصخور الموحشة مثل جنود المراسمة على الجانبين الأيمن والأيسر للوادي ، بينما يعمل الانسان من مستقل الوادي ، وتنفذ لشكالا غريبة مثل المسلات والكباش . بعضها متآكل عند القاعدة . وترتفع الى اعلى مثل الأهرام المهيورة ، وتذكرنا بالقابر التي في طريق ابيان ، وكلما ضاق الوادي ، ازداد ارتفاع حوافه الصخر الجبى ، وسطع المسار المكون من الطباشير تحت اقدامنا ، ولحت آكولم من الشظايا للرمشة ، وتلاّلت عند قواعد الصخور . اما الصخور فكانت تشع حرارتها البيضاء اللون . وأحد الجو ينفق مثل البطار الغازي ، بينما الشمس فوق رؤوسنا . ولم يكن هناك نفس يتدد ، ولم يكن هناك أيضا ظل يبرس اصبح واحد على كلا الجانبين . وكنا تشبه المذنين يركبون في قوّة قمره مشتعل . وفي نفس الوقت أخذنا نبحث بلا حصى عن آلة علامة تدل على وجود حياة . ولا تلمو هنا آلة ورقة من أوراق النباتات منذ بداية الخليفة . ولا يسكن هذه الصخور أي مخلوق تردد انظامه . كل المخلقة موحدة .

ويبدو هذا الخراب كما لو كان الإنسان يحطم بانه في عالم محاط بالتيار  
المساقطة من السماء . وعندنا مضيقا لمسافة أطول ونس تبح مسار  
حوض السيول . وصلنا الى مكان انحرقت فيه الحير عن المسار الرئيسى  
وانخفض مسارا ليباريا يشق سوفا من الحصر الجبرى الصلب . وكان  
هذا المكان في يوم ما مجرد تجويف في الصخور ولكنه محجوب من الجانب  
الأخر لبحاجر طبيعي من الصخور . وهنا يرقد واد آخر يفود الى مخرج  
منحل بطن الجبال . ولابد ان أول فرعون اختار موضع دفنه بين هذه  
الطرق الخفية هو الذى شق للمسار ومهد الطريق الذى نسير فيه الآن .  
وهذا المسار هو باب الملوك . وهو اسم المكان ولا شك في انه كان  
مفروقا به عند قسمة المصريين . ويظهر من خلال البوابة جبل ضخم .

ان مصر في بلد الجبال الغربية الشكل . وهنا ترى جيلا يمثل على  
نطاق واسع كل ملامح هرم دوسر في سفارة . فهو مربع الشكل . ويرتفع  
طبقة فوق طبقة في تدرجات من الصخور الأسطوانية التي تفصلها عن  
بعضها منحدرات من الانخفاض . وينتهي الى قمة مسطحة مربعة الحواص  
ترتفع حوالى ١٨٠٠ قدم فوق مستوى سطح السهل .

والآن وبعد ان جعلنا هذا الجبل امامنا دائما . فقد أتينا لمرجعات  
الوادي الثاني وهو أكثر ضيقا وجفافا ويروا من الوادي الأول . وربما  
كانت الحرارة في التي جعلنا نطن ان الطريق أطول من طوله القبل  
بينما هو لا يتجاوز عدة أميال . ولكن هذا الطول كسر رتابة الطريق .  
ويتفرع منه واديان عميقة صخران . أحدهما الى اليسار والآخر الى اليمين .  
وتوجد في كل منها عند قاعدة الصخور فتحات مربعة تنتشر هنا وهناك  
مثل مناجل السرايب . حيث نجد بعضها غائضا تحت السطح . بما يوحى  
بانه يشرب في جوف الأرض . وفي اللحظة التالية وجدنا ان طريقنا يسمى  
لجبات في متلة متناعية موحشة مثل محيط متهاك . وقد أوصدته من  
جميع الجهات حواف مبللة تظهر عنه قواعدنا متداخل غائرة في الصخر في  
تقاط مختلفة .

ومن اللحظة الأولى التي ظهرت فيها تأكدت أننا مستعدون مقابل الملوك  
في هذا الجبل الهرمى الشكل . لدرجة أنني وجدت صعوبة في تصديق  
أمرشد وهو يؤكد لنا ان هذه السرايب هي الأماكن التي جئنا لمشاهدتها  
بأن الجبل لا يحوى على أية مقابر . فتسلقنا متحدرا حادا ووجدنا أنفسنا  
على حبة القبرة رقم ١٧ . وقال المرشد « هذه هي مقبرة بلزوني » .  
وكما نعلم فان مقبرة بلزوني هي مقبرة سميت الأول .

كم اشعر بالجلل وأما أقول أما سألوا غدا ما في ظل عدي للجلل  
 البوقور ، واسترحا وحسبنا بالاشراح قبل ان يوط الى القبره المقبسه  
 التي غاصت درجات سلالها وعمراتها في أنظلام السفلى لما لو  
 تعود الى أرض أهون ميثورة .

ولقائير التي هي باب الملوك لا تشبه القناير التي هي الصبور المواجهة  
 لمدينة الاتصر كما لو كان حلو طيبه ينسج الى جسي ومنصب يحتلها  
 عن جسي ومنصب النبلاء . كان هؤلاء الكنيه والوجهاء المبعولون يصورون  
 مع زوجاتهم وعائلاتهم ، وأصديقاتهم وأنيابهم المديدين في أوصاف بهيجة .  
 انهم يشقون مسرات هذه الحياة . ولا يد أنهم حلوا معهم متعلقاتهم والمعنات  
 التي تسعهم الى الأرض التي وراء القبر ، وكذلك قاموا يزخرقة حوائط  
 مقابرهم بصور مثل الطريقة التي عاشوا بها حياتهم . وتوقعوا أن  
 المومياة وهي تضي فترة الانتظار الطويل وحيدة ، لا يد وأن تجد الراحة  
 في هذه الكواضع الظليلة التي غيضي بالذكريات . أما الملوك فأنهم على  
 النقيض من ذلك فقد غطوا كل قدم من قصور المانهم بمناظر من  
 الحياة الآتية . فهناك جولات الروح بعد انفصالها عن الجسد ،  
 والأموال والمناظر التي تصورها في رحلتها عبر حاديس ، والنشاطات  
 التي تصارعها ، والانهامات التي ترد عليها . والتجولات التي تطرا  
 عليها . وهذه كلها تمثل موضوعات لمناظر عديدة لا تحصى . ولم يجد  
 لمناظر صيد السمك والطيور والولائم وحفلات التسلية التي رأيناها  
 في اليوم السابق في هذه المسرات التي وراء الرصصوم ، ألما  
 في مقابر بلب الملوك . لقد وجدنا هنا بدلا من الفناء وعزف الصلاصلا ،  
 صلوات وابتهالات . وبدلا من القوابب النيلية التي تثير البهجة ، وحفلات  
 تناول الشراب ، ومطافدة الفرلان والوعول ، نجد الآن صياح البسطر التي  
 ينقل في قلوبه الأرواح عبر النهر للوصول الى مقر الموتى ، وحوض الدار  
 التطهري ، والنزاع مع آلهة الجسيم . وهكذا نرى أن التناقض بين الآتين  
 حاد وغريب . كما لو كن الأرسطقراطية المنفوسة في المللات الحسية كانت  
 نعت حكم ملوك شديدي التمسك بالدين . والمقابر التي تحتوي على هذه  
 الموضوعات ذات طابع دينوي ، ييسر مقابر ملوكهم مساواة عن مزاير  
 وثنية .

وبعدما تهبط الى إحدى هذه المقابر المليئة غانك تقل بتفك الى  
 المالم السفلى ، وتسير في ممر الظلال . وبعد أن يمرنا الكتبة ، تطرأ  
 الى لعل متوقفين أن نقرأ هذه الكلمات الرهبة التي تحفر جميع الداحلي

من أن يتركوا الأمال حلقهم - لقد وجدنا المر يحيط لهم أقداسا ، وضوء النهار يخلصنا تخلفنا . وفي نهاية المر يظهر سلم من الممرجات يرى عند قاعدته ممرا آخر يحيط إلى أعماق الظلام الشامل . وقد غطيت الحوائط التي على الجانبين بأعمدة من النصوص الهيدروغرافية التي تتخللها أشكال تنذر بالشر تصفها الهوى وتصفها الآخر شيطانى . لقد كانت الحيات الضخمة تتلوى بجانبنا بطول الجدران ، بينما تنظم الأرواح الحارسة ذات الأظلة المتنوعة وهي تلوح بسيفوف من الذهب . وتفتح فوق رؤوسنا سما غريبة . فيه تسفر فيها النجوم فوق قوالب عو يحار الفضيلة . وتشرق الشمس من اتجاه الشرق تحت حراسة المصالح والشهور وعلامات دائرة البروج ، وتغرب في اتجاه الغرب . وتعب نصف الكرة الذي يحتوي على الليل الدائم . ونستمر في جولتنا بينما يضمحل آخر وميض لضوء النهار على البعد . ونجد مجموعة أخرى من السلالم تقود إلى مجموعة متباعدة من الممرات والقاعات بعضها صغير والبعض الآخر كبير ، وبعضها مقبب والبعض الآخر محدود على أعمدة . وهنا تفتح حجرة عميقة نصف ممتلئة بالانكسار . بينما تفتح هناك مجموعة من حجرات فائقة الانعطاب تركها الصال . وكلما تقدمنا أكثر ، صارت الأرض المعبطة بنا أكثر وحشة . وكانت الحوائط تلمح بأشياء قبيحة وشعرية منها القمامة والحماض ، والتباسيح . بعضها له رؤوس وأرجل بشرية ، وبعضها ينفث النار ، وبعضها مسلح بالرماح والسهم ، وكلها تتبع الأشرار وتضديهم . وهؤلاء الأشرار ذوو العظ السبي الذي مزقت صدورهم وأخرجت منها قلوبهم ، وضموها في مراحل قتلى وقد علقوا منكس الرؤوس وتحتهم بحار من الذهب ، كما نضبت الرماح في أجسامهم ، وضربت أعناقهم . ودلعوا في مجوهرات يفوق رؤوس إلى مناطق يلتون فيها عذابا أشد وطأة . وقد رأينا في الضوء الصاف والمتقلب لبض الفسوس هذه الأحوال المرسومة وهي تكشف عن بعض ملاحم الطبيعة القبيحة وهي تبدأ عند مروجنا في الدور . ثم تفرق حلقنا في الظلام - وهذا الظلام وحده مثير للخوف ، ولجو كله خائف . المكان مرعب ومسكون بالكواييس .

وفي موضع آخر يأتي إلى مناظر أقل رعبا . فترى الشمس تسبق من نصف الكرة السفلى . واللونى الصالحين يرحلون ويصلون في المقبول السماوية . ويجمعون ثمارا طومة ويستحبون في ميل الحقيقة . وتستريح الموصاء للكمة في حقيقتها ، بينما تتلقى التماثيل الجازية

للملك التنظيم والتكريم بما يلزم إليها من تقدمات من البخور واللعنوم  
ومسكاتها النبيلة (١) - وفي النهار يصل للملك وقد أصبح نقياً ومبرداً إلى  
آخر مرحلة في رحلته الروحية - وترحب به الآلهة في جنة أوروريس  
وتستقبله في القصر المقدس (٢) - وبعد أن خرجنا لحظة من الضوء المبهـر  
أخذنا نفساً طويلاً من الهواء النقي عبر يافحات قليلة من الأرض غير الملهدة،  
ووصلنا إلى مدخل حفرية أخرى - ودخلنا مرة أخرى في السلام تحت  
الأرض - واتخذنا نكرز هذه التجربة الغريبة للمرتين الثالثة والرابعة -  
أنها نصيبة وقاد الحسي التي تفلقه الأحلام الخفيفة وتكلمه نويات الاستيقاظ  
بالوقت .

إن المقابر احتشاهية بشكل عام - ولكن بعضها بطول من البطح  
الأخر (٣) وبعضها أعلى من البطح الآخر - ونجد في بعضها أن الهبوط

---

(١) لقد كان تلال من هذه التماثيل الجنائزية فوق قاعدة أو منبعا تامبا واحد  
كشمية متعرجة ملاصق كما في كان مائراً - بينما تمسك اليد اليمنى بعلامة الصـ  
يمر للشفاء - ويمسك اليد اليسرى بمكش - والوالف هنا يشبه موكب التماثيل المنبـ  
في متحف برلين - ومن التماثيل التي تستحق المشاهدة أن التماثيل التي حفرت  
لها مصائد خفية على شكل حافة تلك التماثيل الأخرى فحفرت في الحور أو الجوانب  
ولا شك في أن هذه المسئلة القريبة من التماثيل الجنائزية تتشبه هؤلاء الذين كانوا في  
الحقبة موضوعين في القبر ، وأن القوس المدفنة هنا كانت في الحقبة فحرق أعمامهم  
قبل إغراق باب القبرة - وقد أجبر بلورس أحد هذه التماثيل الشخصية من نفس هذه  
نظرة لهم لميلنا وهو موجود الآن بالمتحف البريطاني ( رقم ٨٥٨ - القسائل الأولى )  
والغضب المصنوع حده هذا التماثيل تلك وأنه فحرق موضوع داخل صندوق من الزجاج -  
كما الهوامج التي تمثل القوس المتكررة جالسه قد نشرت نسخة منها في كتاب  
روسيليني *Il Con dei Culti* وهي التماثيل من رقم ١٠ إلى رقم ٦٢ .

(٢) يوجد في هذه نظرة على ظهر لكتباه يمثل غضب روح وسار للجيش فيجرب  
منه ترجمه مسر لنيل في الجزء الأول من المجلد الرابع من كتابه الذي نشر في سلسلة  
*Translations of the Biblical Arch. Society* وعنه في الأسطورة البريمنية  
التي تحمل تشابهاً عاكسياً مع سجل فيضان تشلميا ( معينة بـسيرة فيما بين الفهرين )  
والفيضان هنا فيضان من الدم اليسرى - ويظهر النظم حواله حجرة صغيرة محروقة  
بجسم حجرة القبرة .

(٣) لأول حجرة في الترابيع من حفرة سينتر الأول ويبلغ طولها حتى القبة التي  
تحتها حتماً المستور المسافة ٤٧٠ قدماً ، بينما يبلغ حتى لحدادها حوالي ١٨٠ قدماً -  
ويبلغ طول حجرة رئيس المذبح ( رقم ١١ ) ٤٠ قدماً ، بينما يبلغ لحدادها ٢١ قدماً  
قطر - كما بقية الكاين ليشراوع طولها ٤٠ بين ٢٥٠ إلى ١٥٠ قدماً ، واتسعت حجرة  
إلى مسافة ٦٥ قدماً فقط -

متدرج ، بينما هو في بعض الآخر حاد وعاجي . • وهناك بعض المعالم المشتركة بينها جميعا مثل الحية المنحنية (١) والجل (٢) والغطاش (٣) والنساج (٤) وهذه المعالم واضحة على الجدران بصفة دائمة . وكذلك يرى باستمرار منظر المحاكمة والمصورة للوقوف للأجساد البشرية الأربعة . • وبعض النماذج تختلف من حيث الرسم التخطيطي والحرقة (٥) . وأكثرها غرابة مقبرة رمسيس الثالث بالرغم من أنها لا تضارع مقبرة سيتي الأول في الجبال .

وعندما صممت الرخاوي في معظها على سطح غير منحوت مقلد للجص الأبيض . والرسومات في الغالب غير مختلفة ، أما الألوان فهي متكاملة من حيث الخضرة والبهجة . فاللون الأصفر متوتر ، واللون الأحمر والأزرق يذكرانا بالكتب المحصورة والملونة التي عرفناها في طفولتنا . ومن الصعب حقا أن نقيم كيف كان مشهد مدينة هابو الذي توفر له أحسن لبي مصري في حياته ، ونفسيا يمثل هذه الرخاوي الجدارية .

ومقابل رمسيس الثالث هو الذي يمتنع بفكرة عظيمة من دخول العالم الآخر بهذه الفخامة وحوله تخداه . • ونرى في سلسلة من الحجرات الصغيرة المزدية إلى حجرات كبيرة والتي تنفتح على الممر الأول ، رسومات كافة الأثاث المنزلي ، وكافة الأرواح والأسلحة وقروة الملك وخزائنه . ونرى فوق حوائط إحدى هذه الحجرات الطبائخ والحبارين وهم يظهرون

---

• وقد ردتا حجرة في الأسسيف تتجاوز أبعادها أبعاد أية حجرة أخرى من حبابر الموتى . وهذه الحجرة المظلمة التي تتكون من متاعمة غسقية من اللقاعات والتمرات والسلاسل والحفر والحجرات تبلغ مساحتها ٩ ٧٢٨ هكتار موصفا . وهي تضم بيت أمون وهو كائن لا يعرف المصري الذي حكم فيه .

(١) هي الحية أبو ليس وفي لغة قدماء المصريين ثياب أي حية للظلام الممنعة التي لا بد وأن يلتصق عليها الإله رع بعد أن يغرب في الغرب . وقيل أن يشرق مرة أخرى في الشرق .

(٢) خبير الإله الجدران .

(٣) رمز الظلام .

(٤) النساج يمثل الإله سوك وهذا الإله يطلق عليه في بعض الترميمات الموجودة في حائط بولاك أسم أين ليريس ويصارع أعداء توريس . وهو هنا يصارع الحية لمساج آله رع .

(٥) إن المقبرة رقم (٦) هي قبل وبعد ستيرة إلى يسارك والتي تحدد الأواني . تعمل خرافيش رمسيس الثاني وقد زحفت الكاكية بقدر ما سمحت حلة القبرة ، ولكن الأمر كان لا يسمح بالزور بعد الثلاثين أو الأربعين بأربعة الأولى .



الذهب الملكي . وقد ظهرت في حيرت أخرى عروش فخية وسفن منسوبة ذات أشعة حلقة بلونين ، وحريرات ذهبية وفضية . ومجرون ضخم من الأسلحة والبرقع ، وآكولم من الأحشاب الثنية وطلود العهد الأسود ، والقواكه ، والطبور ، والسلال الفرية . وكانه هذه الأدوات التي تمثل الترف الشخصي مثلها كالفرعون يسمع بها في قصره . ويرى عسا أيضا القيثارتين الشهيرتين وعسا مشوحتان ولكنهما مازلتا تكتسحان الأوتار بالنيسة القديمة القوية التي طفت دائما من مثل ساعلت العزف التي كان يسميها الملك . وهاتان الصورتان الجماسيتان اللتان لا شك في أنهما من الصور النصفية (١) تموضان فقي بقية الصور .

وما زالت التواييت الفسلفة تحتل أماكنها القديمة (٢) فقد رأينا واحدا منها في القرقة رقم (٣) الشخصية بالملك رمسيس الرابع ( وأوروصا آخر في رقم (٤) ( رمسيس السادس ) . والأول منها عبارة عن كتلة ضخمة من الجرانيت الأسود . وهو مغلوب ولكنه صليم تقريبا . أما الثاني فقد حمله البلحون عن الكنوز .

كانت معظم مقابر ملوك الملوك مفتوحة في أيام البطالة ، وعلى ذلك فقد كانت جموع الزوار القدامى الذين تركوا كالعادة رسومهم التالفة على الجدران ، يزورونها مع غيرها من منابر وعجايب طيبة مثلها يمتد

(١) كانت هاتان القيثارتان عسما شامدما سير ج . ويلكسون لأول مرة في حالة جيدة لدرجة انه فكر ان احدهما على الأقل ، ان لم تكن كلتاهما ظامرد والقيثارتان عظيمتان ومثلانين بمرئكتان بلعائل نسبية للملك . واحدي هاتين القيثارتين بوا احد حجر وقرا وفي الاخرين أربعة حجر وقرا .

(٢) تادوت مستي الأول الذي نحتوه بلونين التي استلثا موجود في متحف سير ج سورين *Stat. of Soane* وهو منحوت من كتلة واحدة من الحجر البشعر وملصق بنقوش هيرغليفية لفترة . وحدة مئات من الأشكال والأحجام والكثيرة أصناف الفسيفساء خلال ساعات الليل - انظر مثلا *Stat. de marchepied de Sed* 1 بقلم *P. Pierre* بمجلة *Revue Arch.* المجلد الثماني والعشرين ، من ١٨٩٠ ، سنة ١٨٩٨ .

أما تادوت رمسيس الثالث فهو موجود بمتحف فيتر ويلهام *Fitz-William* في كامبردج . لما شغلوه فهو موجود ضمن المجموعة المصرية بمتحف اللوفر بنظر *Remarks on the Hieroglyphs of Ramesses III* بقلم *S. Birch* اللغز جامعة كامبردج سنة ١٨٧٦ . وانظر أيضا *Notice Sommaire de Monuments Egyptiens du Louvre* بقلم *L. Du Rougé* ، ص ٩١ ، باريس ، سنة ١٨٧٢ .

الآن ، ولا يعرف بالضبط متى ويصل من انتهكت حرمة هذه المقابر ؟  
ولا تتطابق أي من الفهرس قد سلبوا بعضها ، كما ان المصريين أنفسهم قد  
سلبوا بعضها الآخر قبل قليل قديمين بوقت طويل - ولم يكن الملوك سالمين من  
خافهم حتى في أيام الرعاسة بالرغم من تزيين حرمات خاصة تقوم  
بصوريات دائمة في « الوادي العظيم » . وفي عصر رمسيس التاسع الذي  
توجد مقبرته هنا تحت رقم (٦) ، يبدو أنه كانت ثمة مصابة منظمة ليس  
فقط من الفصوص ولكن أيضا من هؤلاء الذين كانوا يتسلطون البضائع  
المروقة ويمشون على الأسلاك التي من هذه النوع . وتبين بريدة  
مما صر (٦) كيف كانت للمماليك الملكية توجد علاقة في السرايب وقد  
سرت جميع مجوهراتها الذهبية والفضية مع الكور التي كانت مصاحبة  
لها في مقابرها . وفي موضع آخر رى ملكا وروجه الملكة وقد نقلت  
جوهرا كثر منها ؛ لكي تحمل أوشها ويبري الميت بمحتوياتها في وقت  
الفراغ . وقد سجلت هذه المملكات الغريبة في شكل تقرير دونه حاكم  
طيبة الغربية الذي قام معه صباط وقضاة آخرون بالتفتيش على مقابر  
الملوك السابقين « خلال حكم رمسيس الرابع »

ولم تكتشف أية مقبرة سليمة في وادي ناب الملوك حتى مقبرة  
سيتي الأول دخلها الفصوص حلقة قبل أن يكتشفها بلزوي بمسحور  
طويلة . وقد وجد في داخلها تماثيل من الخشب والصيني ومومياء ثور ،  
ولكنه لم يجد شيئا فيما عدا التماثيل التي كان فارغا ولا شك في أن

(١) بطر المبرية. موزونة بالكتاب المبرياني وتسمى بريدة أبوت . وقد فرجها  
مسير شاپلي حين طسنة *Néchemon Egyptologique* - الكتاب الثالث - باريس  
والثامن سنة ١٨٧ - وهي تسجل قائمة بالمقابر للكهنة التي قامت بالتفتيش عليها لجنة  
مصرية في شهر أيار ( في سنة غير معروفة ) خلال حكم رمسيس الرابع وفكر ضمن  
المقابر التي ورثها الكهنة « لتمثال شباتي للملك أن - عا . الواقع في شمس  
مجد المنصب الذي في الخدمة » . وقد كسر طير التمثال في المكان الذي كانت الخرجة  
جوهرة فيه أمام الأثر بحيث كان شكل الظاهر يحد ثرق الخرجة بينما يحد كتبه الذي  
يسمى بلحوا بين سائلي . تم لحسه في هذا اليوم ووجد سلبها « . وكل هذا هو  
التقرير كاتبي هذه البردية من ٣٠٠ سنة مضت . وبعد ذلك يأتي دور لحسن حسانه  
الكثيرة المصينة . كان مسير ماريوت منذ عدة سنوات يقدم بالحفر في هذا الجرة  
من المقبرة التي تسمى الأسسيف التي تقع في شمال غربت مجد المنصب فالتكتشف بالها  
مقبرة هذا الكهنة والخرجة المكسرة التي تحمل على صفتها وبكال طولها حفرا بارزا  
للملك أن - عا . أو ( اكتف عا ) وأمامه ثلاثة كتائب والكتاب الرابع بين سائلي . وكان  
اسم الكتاب بلحوا مسحورا ثور طوره باللغة الهيروغليفية ، انظر *Tablet of Ametka II*  
تأليف B. Birch الجزء الأول من الجلد الرابع ، ص ١٧٢ .

الكنية كانوا متواطعين في تدفيس هذه المقامات التي كانت محاصرة لهم .  
لقد كانت هناك أسماء ميسرة من الكنية وثمانية من كنية أئمتنوں الدينية  
ضمن أسماء التهمين التي أوردتها البردية المشار إليها آنفا وعلدهم تسعة  
ونثلاثون منها .

وكانت تجارة متعلقات الموتى المسروقة من الأشغال التي كنز إيرادا  
ونها في طيبة . وقد تأكدنا أن الترافعة الظلم الذين دعوا في وادي  
مهاير للولوك (١) قد ذهبوا إلى قصورهم المظلمة للجيرة للحياة الأخرى (٢).

(١) تبين الجوهريات للجمعية كآني وجهت على مومياء الملكة عا - حطب ، كيف كان  
يهرى تزيين جثث الموتى من الأسرة الملكية وكما كانت تلك سرقة ماتيرهم من فيرداد  
ذلك صورت هذه الجوهريات وطبعها صورها بعد ترميمها حتى حالت بحرقها لؤلؤ  
للذين لم يشاءوها في متحف بولاق . وله حدث هذا الاكتشاف في شريف مقبرة للذين  
المومياء ( كانت في داخل التابوت الداخلي فقط ) قد رجعه حطير حاريت في الرمح  
على بعد عدة اقدام تحت المسطح بالقرب من سطح التل المصري باسم ( نراع أبو الدنيا )  
ما بين القرية ومضلع وادي للولوك ، وعندما تفكر أن التابوت ظمارجي لمومياء هذه  
الملكة لم يجد سنة ١٨٨٦ في المقبرة المشهورة بالبحر المصري حيث اكتشف الحيد من  
الترك والنفات ، إلى سرية واحدة ، وعندما مضى إلى تلك حفلة أن الحطب الرسمية  
للأمير كاسر ومجموعة من المستعرات الجمعية وغيرها من الأشياء ذات القيمة قد وجدت  
في بطات الدفاتر الخفية لهذه الملكة فإنه يبدو لي أن سر دخلها بدون مقبرة يحتاج إلى  
المسير بسيرة . وإنما حلتمة بأن مومياء الملكة عا - حطب ، قد نقلها إلى هناك عن أماكن  
البحر المذكور الأمراء الذين يعرفون لسلوات بطرية من هذا المكان المستقدم  
لاخفاء التكون ، وإنما قد نكت في الرمال بشكل مؤلف حتى تحين فرصة مناسبة لنقلها  
إلى الأتوم . وعلاوة على ذلك فإنه لم توجد أية موميرات فوق للرحلات الملكية في  
مقبرة البحر المصري ، لأنها قد كُتبت منذ زمن طويل ويحتمل . ولذلك فإن الجوهريات التي  
وجدت مع مومياء عا - حطب تشمل التسمية الأخيرة وقد جمعت من مجموعة  
من توازيات المومياوات الملكية الآخرين - وأما في وجود اللاتس الرسمية للأمير كاسر بينها  
لا يدل على أن الأمير كاسر كان زوجها للملكة عا - حطب ولكنه كان ضمن الذين نقلت  
مومياواتهم إلى هذه المقبرة التاريخية . والدليل القاطع على أنه كان زوجها يتصل في  
حقيقة أن الأساور التي حول راسها ، والتاج الذي فوق رأسها والتي التي فوق صدرها  
كانت مطققة أو مغطاة بنراجلش هذه الأمير . ( طمرولة متصلة إلى الطبعة الثانية )

(٢) هناك رسم خريب موجود في إحدى الترميمات بمتحف اللوفر يمثل أولا المركب  
البحري للمحور نيب - صوت التواني وثانها داخل التابوت بما فيه المومياء والتحف  
والتات الخيرة . جميعها مرسومة وطروا بألوان شديدة وتبين ضمن الأشياء أنسومة  
عنا متعدين وثلاث زهرات ومنقوشة ورماء وحاجية للكمال وسندلا وصما وحلي مرمم  
وزخامة حفر وجرة للاقتبال . هذه الأشياء الخمسة بالتجسيم ( لأنه ربما كان المنقوش  
مختار على مالا ) قد وجدت في المقبرة لليرم الذي تنسب إليه الجثث حسب المعتقد .

وعندما يفكر الانسان في المجوهرات والآثاث والرهريات والمراهم والملايس والاسلحة والوثائق الثمينة التي كانت مدفونة في هذه المقابر مع المومياء الملكية التي كسفت عنها الحضائر ، نجد أنه من الأمور المثيرة أن تغلت مومياء ملكة واحدة بينما تقع جميع المومياء الملكية الأخرى في أيدي اللصوص .

ومن بين جميع المقابر التي في وادي الملوك اكتشفت مقبرة واحدة تخص الملك رمسيس الثالث وقد كان من أغنيى الفرعنة (١) وكان متزوجا متناولا للفنون لا يفكر أحد في أصالة دوله . ولذلك فانتنا ربما نتأكد من أن مقبرته كانت مؤنثة بكافة أنواع الأثاث الجميلة والتمينة .

ما الذي نفهمه الآن في مقابل أن نجد بعض هذه الرهريات الذهبية والفضية المزخرفة ؟ وهذه المروحي والآثاث المنجدة مثل الرسائد ، وعلمه الأقواس وجميعه السهام ، والقمصان الرجالي المرسومة بمنابة نول جفواي تجبريات الجانية التي في القاعة الأولى ١ وأنا لا أشك في أن عيشت جميع هذه الأشياء كانت محفوظة مع الملك وتركزت مجبرة لاستخدامه الفطحي . لأنه مات وهو يعتقد أن روحه ( الكا ) مستمتعة ومستفهم هذه الكنوز . وأنها مستودع بعد خدرات طويلة من الاختيار ، وتسكن مرة أخرى في جسدها المومياء . كان يؤمن بأنه سيقوم مثل القيام من النوم ويسل أربطته ويأكل وينتقى ، ويرتدي صنفله وملابسه المعطرة ويمسك عصاه بيده ويمشي في نور النهار الأبدى ، أيها الروح المسكين الذي يتجول في الفضاء بدون جسم ! أين هي الآن لحوامك المطبوعة ، وملابسك التي كتفها بامتياز ، وصطورك ودهاناتك الثمينة ؟

= الشائع . ولكنه كان الغير مجهزاً مثل سكان الأحياء . هذه الظرة مرسومة من كتاب *Catalogue des Manuscrits Egyptiens du Louvre* المنشور في باريس سنة ١٨٧٥ - ص ٨٠ ، وقد ظهر تحطيم مقبرة ثوب - حوت أيضا في هذه البردية كما ظهرت روح الترفي كلاتر له رأس انسان وهو يحرم فوق المومياء وهناك نأويوه داخر بتمتد بولاق ( رقم ٨٤ ) حفرق بقرية مشايبة حوت يبين القوياء في القنابر وقد زارها أو كسفت بها الروح . وعنده في القصورة التي امتطها برية جنارية بها رسم زخرفي على وجهه ولحم يتعرض لنفس الموضوح . بينما تحصل على الوجه الآخر رسما عسما للآثار التي على مقبرة الترفي .

(١) كالي الملك رمسيسينس ( رمسيس الثالث ) ملك . كما يقال . ثروة خالقة مع الفضة المرجة أن لحد من الأرواح أو الفوك الذين خلفوه . ثم يفرق عليه أي حيا يستأوى منه في امتلاك مثل هذه للثروة - انظر . ميروغوت - الكتلي للآلى - الفصل ١٢٦ .

أين هو ذلك الجسد الذي كنت تعرض عليه يوماً ما • من المستحيل العودة إليه بدون البعث (١) • إن الأسفل يتخيل تنهضتك الضميمة خلال هذه القاعات المهجورة عندما يخلد كل شيء إلى السكون ويستقر ضوء القمر في أرجاء الوادي •

كانت حياتنا في طبيعة مكونة من التناقضات • كان بزوغ الصباح بين الضباب ، يليه الظهر الذي ينتهي في اقتناص الأتار ، وقضاء النهار في التعامل بين القابر لم ينتهي بحلول غشاء على سطح ذهبية بعض الأصحاء ، أو الاستماع إلى الموسيقى في القنصلية البريطانية • وقد نالت السميدة ( ل ) والكتابة صبيهما من اقتناص الأسرار • سواء في الأقصر أو غيرها • ولكن في الأقصر بشكل أساسي • واستطيع القول بأن حياتنا هنا كانت ملاحظة طويلة لسررات الصعيد • والحقيقة أن المدينة كانت مملوكة ولكننا مع ذلك استمتعنا بها لأنها كانت غير قانونية • وربما استمتعنا بها أكثر •

وكانت هناك عصابات تدور في ذلك الوقت حول مقبرة كانت قد اكتشفت في الجانب الغربي ، وهي مقبرة عديمة قيمة بكافة أنواع الكبور • وبالطبع فلأن أحدا لم يشاهد هذه الكبور ، ولا أحد يعرف من الذي وجدها ، وكذلك لا يعرف أحد المكان الذي أضيفت فيه • ولكن كان هناك ظل من شك يدور حول بعض الأعراب ، ونظرة ذات معنى نحو بعض الروايل ، ورائحة التباهي يلفظ نحو موظفي الحكومة الذين تأمروا في هذا الموضوع • وقد أدت هذه الإشاعات شيئاً فشيئاً إلى مقارنتك بمسحة • وقد ألفت التلميحيات على برقية معينة • لقد أبلست م • ب • التي تقرر حول المومياءات أن هناك مومياء فوق سطح ذهبية أمريكية ترسو بشكل بريء بالقرب من الكرنك • الآن فإن السميدة ( ل ) والكتابة لم ترغب

---

(١) أنه مستحيل من وجهة النظر المصرية • إن لا يدفع الجسم أو يفسد • ، هذا الموضح مثل عملية حديثة ولهذا الغرض كللت البنية من الأهمية والذمأوين تجهز مع تركيبات بحرية معينة ، وتلقى بصلوات معينة • أو حتى تقامات وأشخص منطرية توضع على أجزاء مختلفة من المومياء • لقد كان خلود الجسم من خلال بعض الأساليب للمرية • خبروها كمنار كبروح • وفي فترة تالية أصبح النمر أو القنوص الطبعين للجسد مطوياً بنفس قوة التمسك بالحيوة أو مسار الروح إلى المناطق العليا • انظر Introduction to the Funerals of the Ancient Egyptians • في الجزء الخامس من Bonner's Egypt

أى منهما في أن تمتلك شيئا مصرية قديما • أما البردية فإنها تمتع الرغبة في امتلاكها • وفي لحظة معينة أبدينا الرغبة في مشاهدتها • ومن تلك اللحظة فإن كل واحد من حائطي الموميالوات اعتبرنا فرستة للمروعة • ومع تسللنا من وكر إلى آخر شاهدنا جميع البضائع المسروقة في طيبة • وكان بعض هذه الأشياء غريبا ومتريا للاهتمام • لقد عرضت علينا في أحد المنازل ومريتان من البروتر أحيطت كل منهما بمجموعة من النقوش الهيروغليفية المخورة بشكل وقيق والتي تدور حول الحافة • وكذلك حامل مصنوع من الذهب الذي تصنع منه السلال وملون بلونين • وبفسه تماما ذلك الحامل المصور في الجزء الأول من كتاب سيرج • ويلكسون (١) عن الأصل للوجود يستحب برلين • ورأينا الكثير من قطع نوابيت الموميالوات والنحت الجنائري والموائد التي كانت في المقابر • وفي إحدى كليات وجدنا أنفسنا في حجرة إحدى الموميالوات ١

لقد كانت جميع هذه المنازل مقابر • وفي هذا المنزل وصفت المومياة في لحظة في نهاية عمر طوليل مسطور في القصر وربما كان هو نفس المكان الذي احتله في يوم من الأيام المستاجر الأصلي • والمومياة تسمى إلى نفس الفترة التي تنتمي إليها تلك التي رأيناها مدفونة تحت اشرف الحاكم • وكانت محاطة بنفس نوعية التغليف الملون بعدة ألوان على أرضية بيضاء • وفي آنسى هذا المنظر الغريب : القيو المظلم والمتررب والأعراب يشعاعهم • والمومياة بلفافها الصلابة الألوان لوله على سجادة لدية تحت قنابلس •

وفي نفس الوقت حاولنا بدون جدوى أن نرى البردية التي نشتاق إليها • وبعد هبوط الليل طرق أعزاي من لصوص الكبار طرقا أو طرقين • وتحدث حديثا غامضا مع الترجمان • ولكنه لم يصل إلى الهدف • لقد عرضها في البداية مع مومياة لقه مبلغ ١٠٠ جنيه استرليني • ولما وجد أننا لن نشتري برديته التي لم نرها • ولا مومياة مقابل أى شيء أئح في المساومة وتردد لمدة يوم أو اثنين محاولا أن يظب معنا شيء مناسب أو منافسين غير معروفين وأختفى في النهاية • ووجدنا أن هؤلاء المنافسين هم • • ب • لقد اشتريا المومياة والبردية معا بمبلغ ضخم ولكنهما لم يستطيعا استعمال واحدة المطر المنبت من المومياة المصرية القديمة فأفترقا الرجل المزرب عند نهاية الأسبوع ١٢ • وهناك مساومون

(١) حنون الكتب The Ancient Egyptians • الجزء الأول • الفصل الثاني • السورة رقم ٢٧ • لندن • سنة ١٨٧١ •

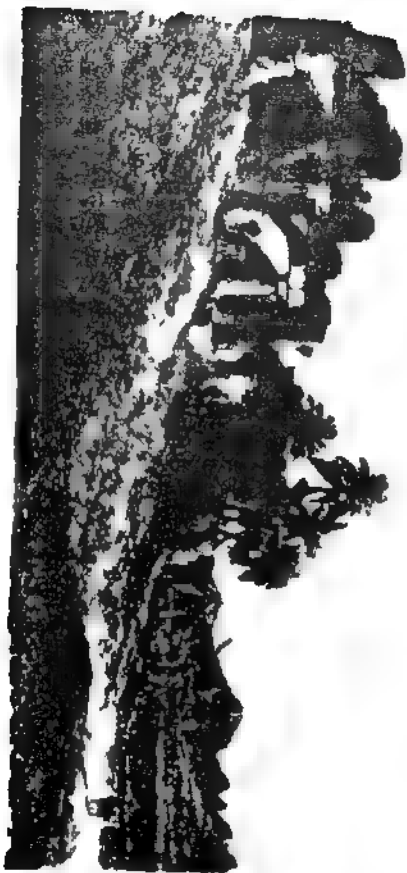
أحروا أقل حساسية وعلى كل حال فقد سمعنا عن حمى عثرة موصيا . هربت خفية خلال هذا الشتاء من جيمارك الاسكتوفية بسرقة وكيل واحد . واللافتة أن السياح الذين يستقلمون بهر النيل لديهم رغبة متزايدة في حيازة للوميلوات . ولسو الحظ فإن السعر يرتفع مع ريادة الطلب . وبالرغم من أن النسيج لم يستنزف إلا أن حيازة موصيا في هذه الأيام ليست فقط متنوعة ولكنها أيضا رفاحية مكلفة .

إن قناصل إنجلترا وأمريكا وفرنسا بالأخص من العرب . لما فنصل روسيا فهو قبلي . لما فنصل النمسا فهو أمريكي أو كان أمريكيا . وقد أولانا القنصل الفرنسي المني تقديم التتاضي الذي يسمى « المنزل الفرنسي » (١) وهو بناء بدائي من سحب الخيل والطوب المجفف من الشمس . وقد أقيم جزء من مقابل معبد الأقصر والجزء الآخر فوي معبد الأقصر ، إلا أنه له مكانته في التاريخ لأنه في سنة ١٨٢٩ أقام به شامبليون وروسيليني معا للقيام بعملهما خلال جزء من فترة إقامتهما الطويلة في طيبة .

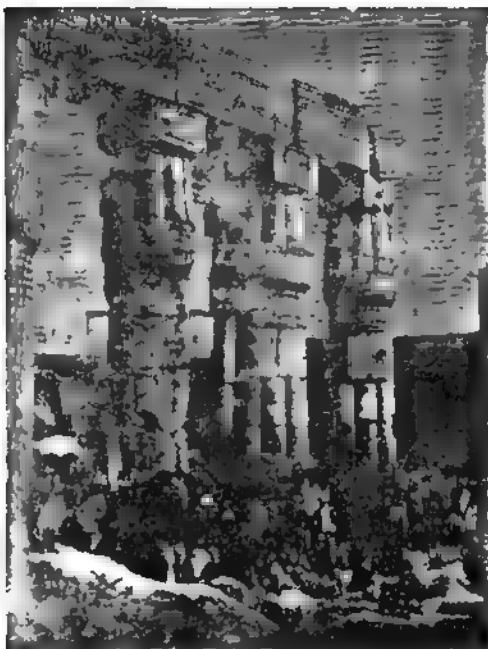
ويحكى روسيليني كيف أتوا اعتمادا الجلوس أثناء الليل لكي يفتسما ثمار عمل اليوم . فكان شامبليون ينسخ ما يمكن أن يكون طيبا لغزاة اللغة المصرية القديمة ، بينما ينسخ روسيليني الكلمات الجديدة التي تشكل أساس القلموس الذي كان يقوم بتأليفه . وأقام هناك أيضا ضباط البحرية الذين لوسلهم فرنسا سنة ١٨٣٦ لنقل المسلة القائنسة الآن في ميدان الكونكورد . وهناك أيضا أقامت الليلى داف جرودوى خلال هواسم الشتاء الأخيرة من حياتها تكتب هذه الحروف البهيجة التي أسمعت العالم . ولم يكن من السهل الوصول إلى الجبرات التي عاشت فيها أولا ،

(١) اكتشفت هذا المنزل الفرنسي الآن ، المنازل العموية الحديثة التي رحمت أطلال معبد الأقصر . وقد رسمت صورة له من فني الطبقة التي يقع فيها . وأصل هذا الرسم مطبوعة كسلة في القيمة الأولى من هذا الكتاب . وبالرغم من أن المنظر لا تظهر الآن كليا مثل هذه الصورة تدأه طبعا في الطبعة الثالثة المطبوعة بوسلها لتكثرا للسلي ولقلة من التاريخ القريب . وقد استلقت عن طريقها وبأسلوب القارة أن أطلال مكتب صاحب جريدة Illustrated London News ظفمت له صورة مطبوعة لقسم من صف الأعمدة التي يحيط بالهيكل الذي بني فوقه المنزل الفرنسي القديم . وإذا لم أكن مضطرا فإن هذه الأعمدة الخاصة تربط الجانب الغربي للقناة الذي يعبه الإنسان إلى نرجات السلام الذي يقود إلى جمرات القديس داف جرودوى - { ملحوظة مطبوعة إلى الطبعة الثانية } .

• منزل مغربي في القدس •







• هو اسفلين المتحويث الثالث بالانصر •

والسرعة التي نالت فيها هذه المنحة ، وذلك بسبب الحالة السيئة التي وصلت اليها درحات السلام . ولكننا رأينا الحجرات التي عاشت فيها مؤمرا • وهارالب أزيكتها وسجادها وكريسيها الذي يكن طيه ، كلها موحودة هناك • وكانت الحداد مربة بطنى الصور القليلة الرخيصة ، وروح من التسميدات المصنوعة من القصدير . والحجرات كلها عارية وغير مريحة •

وسألنا عما إذا كانت هذه حالتها عندما كانت السيئة تعيش فيها ، فأجاب القنصل العربي بأنها كان لديها • منظمة وطقى الكتب • ويسمو

انه هو نفسه كان يعاني من آخر مراحل مرض السل الرئوى فهو يتحدث ويتحرك مثل شخص في نهاية حياته . فقد سببها بوحشة المكان حتى ذهبوا الى الشياك الذى يطل على نهر النيل والنيل القريب من طيبة فوجدوا انه يعوض قرش القرعة ويبدل ثوبها الى فتاة .

وكانت الشمس على وشك الغروب ، واستطعنا ان نسير تلال وروابط مدينة حايو وواقع الرمسيم . وكانت الصخور الكبيرة التى يعلوها جبل باب الملوك الهرمى الشكل ، تبدو ذات لون قرمى في مواجهة السماء ذات اللون الأزرق الذى لا تشوبه شائبة . اما البحر الذى يقود الى وادى مقابر الملوك فقد ظهر مثل بنية بيضاء صاخبة تفور بطول وجه الصخور . اما النهر فكان يعكس درجات لون السماء اللاذوية . وطنت اننى أستطيع ان ارضى بفضه العديد من لصوص القفاه في مثل هذا المسكن غير المريح مادمت سأشاهد دائما هذا المنظر المجهب بجمال بوره ولونه وفطباله وتاريخه ومبصره الذى لمست له حدود ، امام نوافلى (١) . وهناك منزل تاريخي آخر هو ذلك الذى بناه سيرج . ويلكنسون بنى مقابر الشيخ عبد القرنة . وقد عاش هنا عندما كان يجمع مادة كتابه *Manners and Customs of the Ancient Egyptians*.

وهنا أيضا أقام ليسيوس ورفاقه الفنانين عندما كانوا يعملون في البر البري . ولم يكن للعلم الا القليل من التأثير على العقول المحلية . فلا أحد يذكر الآن شامليون أو روسيليسى أو السيرج . ويلكنسون ، ولكن كل عربي في الاكصر يحتفظ بذكرى اللبى ذلك جورجون في أعماق قلبه ، ويتحدث عنها بالبحر .

وكان المنزل القرصى قد بنى فوق سطح الهيكل الذى في الطرف الجنوبي من المصب . اما في الطرف الشمالى فقد بنى منزل مصطفى اما اكرم وأرق القناصل الانجليز ، بنى صلب الأساطين الضخمة المنحوتة من الحجر الرمل . وكان مصطفى اما قد سافر الى اوردبا وهو يتكلم اللغات الايطالية والانجليزية والفرنسية بثلاثة . وكان ابنه الاكبر ساكيا للأقصر ، اما الأصغر ، أحمد الصغير ، الذى سمعت اللبى جورجون بتعليمه ، فقد قضى عامين في إنجلترا ضيفا على لورد دى Lord D . واصبح وجيها انجليزيا مثقلا .

كانت القنصلية الانجليزية تلعب الدور القيانى في جولة الترفيه التى تدور حول الأقصر . وكان مصطفى اما يقوم بالترفيه عن جميع اللهبينات الانجليزية التى كانت تسمعه . وقد ذهبنا الى العديد من

(١) فتح محمد على هذا المنزل للفرنسيين وباع ملكا لواء من خدمه سيرج ماريوت منذ ثلاث سنوات ( ملحوظة متباعدة الى خلفية الخلفية ) .

الحفلات في الضخامة وتمشينا مع مصطفى ألما في منزله الذي في الضاحية في المساء السابق على يوم رحيلنا من الأقصر .

وكانت الساعة الممتدة من الثامنة والنصف . وصلنا وسط صباح الكلاب الكثير ، واستقبلنا مضيفينا في صالة ضيقة واسعة محاطة بديوان من الأرائك . وانتظرنا هنا حتى الإعلان عن الضيفاء ، وحينئذ اقتادونا إلى غرفة مؤدية إلى غرفة أخرى أكبر منها حيث وجدنا في انتظارنا اثنين من الخدم المسميين الحفلة كان أحدهما يحمل حوصا وإريفا من النحاس بينما حمل الآخر علء دراعه من المناديل التركية .

وعندئذ تقدم كل منا بعمود ورفح يديه فوق الحوض لكي يصب عليهما الماء وتسلم منقطة حاصة به حيث طلب إلى كل منا أن يحتفظ بمشفته لكي يستعملها على المائدة . وكانت الغرفة تنبع على حجرة طعم رائحة الاضامة ذات حجم متوسط . في وسطها منضدة نحاسية مستديرة ذات حافة عمودية مخفورة مثل صينية ضخمة . وقد وضع لكل فرد كرسي وكفلة ضخمة من الخيزر وملقحة خشبية وقدحان وباقه من الأجزاء . ولم توضع أطباق أو سكاكين أو شوك .

وكانت الحفلة مكونة من الزوجين السعديين ومدير مكتب تلفزيون الأقصر والسيدة ( ل ) والكاتبة وأحمد وحسينا . وقال مصطفى ألما وهو يرشدنا إلى أماكن جلوسنا : « كلنا عرب في هذه الليلة لأننا مشرب ماء النيل وتاكل ياصابعا » .

وشربنا ماء النيل . ولأكلنا ياصابعا للمرة الأولى في حياتنا . والحقيقة أننا اكتشفنا عائلة علم الأصابع . وكان الطاء فاخرا ، والقول - مع احترام رئيس طهاتنا وكافة رؤساء طهات أصحابنا المقيدين على نهر النيل - أن ذلك العشاء كان أحسن عشاء تناولته خارج لوريا . كانت جميع الأصناف ساحنة وأخذ المسفرة بسرعة يفتوحها بسرعة وهم يرتدون ملابس نثر الإعجاب . كما كانت نوعية الأصناف من أفضل النوعيات . واليك قائمة بالأصناف التي قدمت لنا بتاريخ ٣١ مارس سنة ١٨٧٤ :

شوربة تركية بضماء - سمك محلى - وكانت الأطباق الرئيسية هي - حمام مسطوق - سبانخ وأدر - والمشويات : ضفلة مشوية - ثم طبق رئيسي مكون من كباب من لحم الضأن - وكبة من كلالى الضأن - وأدر بالبطاطم - وكفتة . ثم ادخلت مشويات جديدة عسكرة من ديك رومي مسلطة خمار . ثم قدم طبق رئيسي عبارة عن أرز مغطى بالزبد واللاح والفلفل . وقدمت الحلوى فكانت مكونة من مقلبي صوف . وكندقة . وأرز باللبن . وجيل بالثلج للأقصر .

وقد وضعت هذه الأطباق في وسط المائدة واحدا بعد الآخر . وكان  
يسم تمييزها بسرعة . وقد غمس كل منا ملقته في الشوربة ثم جرب قطع  
السمك أو لحم الضأن بأصابعه . ولما لم تكن هناك أطباق بعد استخفنا  
أربعة الخبز كأطباق . وأخذ مصطفى كمضيق يتقطر يقطع الخبز بين  
الخمر والآخر ثم يعطيه لمضيق فردا فردا . لن ساول الطعام بالأصابع  
في مائدة فخمة . والاعتناء مع هذه الأصابع بمهارة ، علم له أصول .  
ولكنني لا أظن أن ذلك سيسينني الطريقة الصحيحة التي يجب بها عضينا  
على إنديك الرومي وظفر به . وكان الديك عبارة عن كتلة صلبة ترن  
حوالي عشرة رطل وحسرا تحمرا كاملا . لقد قلم عضينا نصف قيام  
وشمر أسورة القيصي ووارن مصصه ثم دفع أصابعه المسبابة والإبهام  
في عمق صدر الديك واستخرج شريحة طويلة صلبة الألياف ينبت منها  
البحار ثم أودعها في طبق الكاتبة ، ثم أدار الديك حول المائدة وسقط  
صحبات الحاضرين . وقام كل منهم بمناقشته كل في دوره . أما طبق الأرز  
المتبل الذي قدم بعد ذلك فهو داليا الطبق الأخير الذي يقدم في العشاء  
لمصرى أو التركي . وبعد ذلك تم تغيير ملاحظتنا . ووضعت الحلوى فوق  
المائدة . وكانت الشوربات خلال كل ذلك لا تطفى الماء القراح وشوربة  
الأرز واليونسنة . واحد بعض الموسيقيين الوطنيين يمزجون في غرفة  
الاستراحة أثناء تناول الطعام . وعندما نهضنا هي المائدة غسلنا أيدينا  
بنفس الطريقة السابقة .

٢٠ وعندما الآن إلى القاعة الكبرى . ولما كنا غير متريين على فن وأسرار  
جلسة الترفص قد تكورنا بقدر ما نستطيع فوق الأرائك . وقد أوشد  
مصطفى أمنا الكاتبة إلى المقعد الذي في الركن عند الطرف العلوي للمجرة  
حيث قال أن أميرة ويلز قد جلست فيه عندما تناولت سموها العشاء مع  
سمو أمير ويلز عنده في العاصم الملكي . وبعد ذلك قامت لنا الفلايين  
والقهوة . أخذ الرجال يستنون المجرة والسجائر ، بينما قدمت لنا  
شقيقة ضخمة بأنابيب طويلة ليئة ، ومباسم عبرية ألون . وتناولت  
السيفيد (ل) غليون الأميرة وأخذت تدخن التبغ بمهارة طوال المساء ، ورويدا  
رويدا وصل المحافظ ثم قاضي الأقصر ثم القنصل الروسي وأبيه ثم ثلاثة  
أو أربعة من التجار الذين يرتدون التيايب المصرية والممائم الكبيرة .  
وفي نفس الوقت أخذت الفرقة الموسيقية المكونة من عازفين للبيان ومازف  
للرق وطلبة . تعرف على فقرات متقطعة عند الطرف البعيد من القاعة .

والحنن الملايين والتهوة والليونة تسر بصفتها مستندة • واستمرت  
الانسالية بالطريقة التي تجري بها حسب عادة مواطني الاقص • مع  
استعراضات الرقصات •

لقد شاهدنا تلك الرقصات في حلين موسيقيين سابقين وأصبحا بهن  
في المرة الثالثة كما في الأولى • كن يرتدي سراويل تركية فضفاضة ،  
وعاءات مفتوحة من الطراز البهرج ، وكمية كبيرة من المجوهرات • وكأنت  
الراقصة الأولى امرأة لطيفة وجذيلة إلى حد ما • ولكن كانت ضمن الفرقة  
راقصة بوبية سمكة الشفنين بحيث لاكتشف فيها أية حاذية • ان  
استعراضات الرقصات غير رشيقة وكلها إسقاطات • وتحتاج منا إلى إعادة  
وصفها هنا • لقد رأينا في مرة واحدة وعن يرتدي رقصا طبيعيا •  
ثم أحسن بتمايل قليلا إلى الشمال وإلى اليمين وعن يطرق الصابجات  
ويغرد ثم يعزف ويبالش في الانحناء بطول الشرفة بين حين وآخر • وقد  
قبل لنا ان هذا الرقص غير معروف الأصل • وكى يفتن بين آونة وأخرى •  
ولكن أصواتهم كانت غليظة والحنن نفاذا •

وكان ضمن الفرقة دائما عازف من المواطنين سمعا عنه عدة مرات  
ولم تكن من الاستمتاع بهارته • وكان هو قائد هذه الفرقة القصيرة وهو  
رجل عجوز يمزق على الربابة • ولا يستطيع احفاء أنه لا توجد آلة أخرى  
ليس لها دور في المستقبل أكثر من الربابة • الا ان المواطن الكهل جعلها  
لهبدر موسيقى راقصة الجمال • كانت غلماته الصولو تتكون من أصوات  
بالحة وتنبيرات مرتجلة مطرزة بعمل موسيقية صعبة • وأحيانا متكررة  
أكثر من اللازم • وكان يبدأ دائما برزاة ثم يسخن تدريجيا حتى ينفج  
في النهاية ولقد سى كل شيء فيما عدا سعادته بما يلقاه من العزف •  
ويستطيع الإنسان في تلك اللحظات أن يرى أنه كأن ينسج بعض  
الرومانسية في أفكاره ثم يترجمها إلى أصوات • وبينما كانت الأوتار تبشر  
تحت أصابعه • كان يشمر الحبل • وفي أكثر من مرة وهو يظننا  
بنشاته الحادة كان يصف لوحة السلكة للكلبجة • وكنت حينذاك أرى  
وجهه يتشعر ويده ترتفع •

وبالرغم من أننا سمعنا مرار كثيرة • وبعونه أكثر من مرة ضمن  
أصدقائنا المصغرين للضياء الا أنني أمتد لأننى أسمى اسم هذا الفنان العظيم  
الصديق • وعموما • فإنه يلقي الترحيب في طيبة ويستدعى كثيرا إلى  
المرمى وأسنا وقصا وحرا وغيرها من الفن الكبيرة لكي يمزق في  
الحفلات الخاصة •

وعندهما كنا في الأصر ذهبتا في صباح أحد أيام الأحد إلى الكنيسة القبطية وهي مبنى كبير في الطرف الشمالي من القرية ، وحسب تجد أن الكنيسة والمناوس وعمر الأسقف مبنية تحت سقف واحد ، وبساحة بقاء ، ذلك لأن الأصر بها أحد الكراسي الأسقفية الاثني عشر التي تنقسم إليها كنيسة مصر القبطية .

أما الكنيسة التي أبعد بناؤها في السموات الأخيرة فهي مبنية من الطوب الأحمر ، وبها محراب صغير ( شرقية ) جهة الشرق . وفي الطرف الغربي درجة للسيدات منفصلة حلق ستر . أما الجناح الأوسط غربا بلغ عرضه ثلاثين قدما . أما الأجنحة الجانبية إذا صح إطلاق هذه التسمية عليها فهي مزدوجة بأصنعة حجرية كثيرة تنسد مقودا دائرية . وقد أغلقت هذه الأصنعة من الكرنك وقسمها المديو حدية للكنيسة . وهذه الأساطين ذات تيجان تمثل يرانم اللوتس ، ويبلغ ارتفاعها حوالي خمسة عشر قدما . ويوجد في الطرف العلوي من الصحن أمام المحراب بحوالي ثمانية عشر أو عشرين قدما ، حجاب رائع النصال مرصع بأخشاب الأور والأبنوس وأخشاب الأثاث والعاج وعرق اللؤلؤ ، ويعتبر هذا الحجاب مخصصة للكنيسة . وفي خلال الفتحة التي في الوسط ينظر الأسفل مباشرة إلى المحراب الصغير ( الهيكل ) ذي السف الذي يشبه عرية البضاعة والذي يحتوي على حائطة صغيرة وقنديل معلق ، وهو مظلم مثل هيكل أحد المعابد المصرية القديمة . أما الجناح الذي يوضع فوقه الكتب التي تقروا في الكنيسة ( المنجية ) فهو يشبه كرمي مكتوب بلا صيانه ويواجه جهنم المصلين . أما حلق الحجاب فيوجد كرمي الأسقف وقد بنيت معظم الكنائس القبطية حسب هذا التصميم الذي يسائل تقريبا تخطيط الكاتدرائية الأولى للقدس بطرس في روما ، ولكنها تختلف جليا في عدد المحاريب حيث يصل بعضها إلى خمسة محاريب في بعض الكنائس . أما الردهة فتحتوي على حوض يسمى حوض الفطاس حيث يغتسل الرجال أثناء الاحتفال بعيد الفطاس تذكرنا لعيد السيد المسيح . وقد افتتحتا تدرس الصغير ابن الفصل البروسي إلى الكنيسة لمختلفاتها في حوالي الساعة الحادية عشرة وشاهدنا نهاية القداس الذي كان يطور حينذاك منذ بداية النهار . وكانت الردهة مزدحمة بالنساء والأطفال بينما أودعت الأجنحة الجانبية بالرجال من النوعية الفقيرة . وقد تجمع عدد قليل من الأقباط الذين ارتدوا الملابس الفاخرة بالقرب من الحجاب وأخذوا يستمعون إلى شمس يلبس رداء أسود كان يقف على المنجية ويهتف باليسرى شمس مضياء . وكان الكاهن الذي يلبس الملابس البيضاء المطرزة يصلي

مالطي أحمر على الصدر والظهر يجتو حل عقيقه عند مشغل الصحن .  
لما الأسقف وكان يرتدى ملابس سوداء بما فيها الصامدة فقد كان يجلس  
منجها بظهره جهة الجمهور .

وعندما دخلنا اتجهت إليها جميع الأنظار ، وتوقف القاري وانصعب  
الكاهن وحتى الأسقف نظر حوله . وفي الحال حضر الثمان من القمامسة  
خدام الهيكل وقد حمل كل منهما كرسيتين من الخيزران ، وأبعدا جميع  
الذين كانوا يمشون بالقرب منا ، ثم اجلسنا في صف عبر وسط الكنيسة .  
وبعد انتهاء هذه القاطبة استؤنفت القراءة .

وقد لاحظنا الآن ان كل كلمة تقرأ بالقبطية كانت تترجم شفها  
إلى العربية بحرفة شاب يرتدى رداء كهنوتيا يقف أمام الحجاب في مواجهة  
الجمهور . ولم يكن في يده كتاب ولكنه استمر في الترجمة بطلاقة متبها  
صوت القاري ، وقد قيل لنا ان ذلك لا يحدث الا عند قراءة الانجيل والصلاة  
الربانية . أما باقي القداس فإنه يستمر بدون ترجمة ، ودل اللغة القبطية  
بوصفها لغة غير مستعملة في الحياة اليومية ، غير مطروحة لدى جماهير  
الساكنين .

وبعد انتهاء قراءة الانجيل تفهقر القداس ثم تقدم الكاهن وأعطى  
إشارة لتلاميذ المدرسة الذين حضروا جوسيا من كافلة أئمة الكنيسة  
وانضموا إلى المرتلين في موقع الانشاد بصوت مرتفع . وقد تهيأ لنا أن  
نسمع التريسة هي خاتمة الجزء الأول من القداس .

وكان الجزء الثاني هو خاتمة صلاة القداس . وتقدم الكاهن إلى باب  
الهيكل ونظر نحو الجمهور ، وبسط يديه ثم احتل عتبة الحجاب وبدأ في  
ترديده ما يبدو أنه ابتهاجات ثم كشف عن القراينة المقدسة التي كانت حتى  
الآن مغطاة بمنديلين زرقاوين من القطن ، واستنداد وهز المنديلين أمام  
الجمهور . ثم قفس الخيزن والخس ورفع قراينة الحبل أمام الجمهور ،  
حيثما يمتدولة نفسه أولا من الخيزن والخس . وكان هناك جرس صغير يرفق  
بأثناء التكريس ثم مرة أخرى أثناء توزيع القرايان . وفي نفس الوقت  
وقف الناس في دوائر وقد أحضروا رؤوسهم ، ولكن أحدا لم يركع أو انسد  
الخمسة - وبعد ذلك غسل الكاهن القائم بالخدمة يديه في حوض نحاس  
وجه الشباس الذي هو نفسه ناظر المدرسة ودار حول الكتيسة حاملا  
طبقا به قطع صغيرة من القرايان ثم وضعها على جميع الحاضرين . وتبعه  
أحد خدماسة الخدمة إلى الهيكل ومنه طبق جمع فيه السلطة من الحاضرين .

وحسبنا الآن أن الخسعة قد انتهت ولكن بقي أرمية أطفال صفار  
دوى لون بني ممددين وفي انظار البركة الختامية ، وكان هؤلاء الأقباط  
الأرمية الصفار قد حملوا إلى الكنيسة بعرفة أرمية من شماسة الهيكل  
وتبهم أرمية آباء قلقين . ونمض الكاهن صلاة قصيرة للبركة ووسم  
الأطفال بالصليب الذي غمسه في ماء الحوض الذي غسل فيه يديه من  
قبل ثم شرب الماء وسمح الحوض ينظف من القسريان ، وأكل القرينان ،  
وصرف الأرمية الممددين الصفار بعد أن باركهم في سرعة (٨) .

وأخيرا ، فإن الأسقف الذي لم يشترك في حفلة القديس ولا في  
التناول ، نزل عن كرميه ووقف أمام المذبح لكي يبارك الجمهور . وهنا  
استطاع جميع الرجال والأطفال في صف واحد بين الجانبين والمحارب في  
جانب واحد ، ثم انصرفوا من الجانب الآخر بعد أن وضع الأسقف يده على  
رأس كل واحد منهم أثناء مروره . وعندما كانوا يتكلمون كل الأسقف  
يصفق بيديه متبجلا ويهزم ظهر المدرسة بالإشارة إليهم طالبا سرعة  
المرور . وبعد انتهاء مرور الجميع ( نلاحظ أن النساء والبنات قد مررن  
ولم يكن نصيبا من هذه البركة ) حلج الكاهن ملايس الخسعة البيضاء  
ووضعها في كومة فوق المذبح . وقام القديس بتوزيع سلة من القرينان  
على الفقراء ، وسار الأسقف نحو آخر الصحن ، وكان أثناء مسيره يأكل  
قربانة ويوزع قطعا منها هنا وهناك على الأقباط الذين كانوا يرتدون  
ملايس لائقة . وهكذا انتهت هذه الخدمة المثيرة والغريبة التي وصفتها  
منذ قليل للشيخ الذي تمثله ربما مع بعض التغيير ، وهو أنها أقدم عبادات  
مسيحية تجري مباركتها في مصر منذ فجر التاريخ (٩) .

(٩) تمت الكتابة هنا تحت غير دقيقة والرجوع للكنيسة وصلوات القديس بها بعض

التجارب وتبدو أن أحدا لم يخرج لها - ( لتتج ) .

(١٠) الأقباط هم المسيحيون من مذهب القبطية الذي يطلقون بالبطريركية القبطية

للمسيح . وقد رفض القديسين منهم هذا والمثله في مجمع خالكونية الذي انعقد

في مصر الإمبراطور هرقلان . وقد أطلقت عليهم تسمية قبطية التي يشتهرون بها نسبة

إلى مذهب البرادامي وهو سرور كان يظهر الجهر الرئيسي بمذاهب الطبيعة الواحدة .

لما نظم الكهنوت في الكنيسة القبطية فيكون من البابا . ثم رئيس أساقفة القبطية

والأساقفة والقمامسة والقسوس والخدامسة والرمبان - ومازال مذهب القبطية هو

المقيدة التي يتبها الأثيوبيون - انظر كتاب W. T. Lane وخوان : The Modern

Aegyptians - للفق والم - ص ٥٦٦ ، لندن - سنة ١٨٦٠ .

لتطيق للمعروف : تشير للكنيسة إلى الأقباط في هذه المناطق إلى وفي جميع المراكز

التي تبهم في هذا الكتاب ، باعتبارهم خليجين على الذين وهو مذهب الخريجين الذين -



وقبل ذهابنا طلبنا الاذن بالنظر في الكتب التي كانت تقرأ أثناء الخدمة ، وكانت كلها قديمة ومستهلكة وكان أفضلها حالا هو الكتاب الذي يجمع أسفار العهد الجديد ، وكان مكتوبا على الرق بالحبر الأحمر والأسود ، ولأنك أب القبطي مثل اليوناني محافظ ولا يقبل الابتكار ، ولفتت انتباهنا بعض الحروف القبطية لأنها تشبه الحروف الهيروغليفية للمرونة (٣) .

وعندما كنا نبحث الكتب أرسل الأسقف حاديه يدعونا لزيارته . وتبعنا الرجل فسمعتنا منه دججات سلم حشبي خارجي يقع في أحد أركان القناء ، وأخذنا إلى حجرة كبيرة يقع جزء منها فوق سطح الكنيسة ، وهذا وجدنا الأسقف ، كان وسيما وممتلئ الجسم قليلا ووقورا وله عينان لاعتلى بلون بني ، ولحية ذات لون رمادي تقريبا . وقد جلس متربعا على أريكة وهو يدرن نارجيلته . وقد وضعت فارورتان أو ثلاثة من السميني الفرقي باللونين الأزرق والأبيض فوق منضدة في وسط الحجرة . وكانت النوافذ الكبيرة التي بلون سقائر تطل على الكركك . وأخذت المصافير الدورية لدخل وتخرج منها مع هبوب الرياح .

وقد استقبلنا الأسقف بمطافة ، وبدأ اللقلاء كالعادة بتقديم الترخ والقهوة . وقد تضمنت المحادثة التي تلت ذلك الأسئلة التي كنا نقوم بدورها والإجابات التي كان يقدمها من جانب . لأنه سألنا عن حدود إبيارشيته وعرفنا أنها تمتد من أسوان في الجنوب حتى قنا في الشمال . وقال إن إيرادها يحصل بكامله من قوافل الأراضي الزراعية ، وقدر عدد

---

١ - لدى به المبريون في مجمع خاليفونية سنة ٤٥٠ م - ونوضح هنا أن الخليليين هما الإلهية ( اللاهوت ) والكنسية ( اللاسوت ) متصليين في شخص المسيح المولود بينما الشبهين حصتان في طبيعة واحدة في شخص المسيح الواحد لدى البابلية ، لأنه لا انقسام في المسيح الإله المتكس . وقد قربت على النزاع الذي جري في مجمع خاليفونية للسفال الدريين من الكنيسة الموحدة وظهر طبع الكثوليك الذي خرج منه في بداية المعمور المصنعة كإله الأديب البروتستانتية ، بهذا طرد الكنائس الغربية على أنيما الخلس بالقيمة الواحدة للمسيح وهو الإنسان الأرثوذكسي وظلت مصر معلقة في كنيسة الاسكندرية القبطية الأرثوذكسية تارة للمالم المسمى حسب الفكر المسمى عن رسل المسيح وتمتد في ذلك جهة الكنائس الأرثوذكسية في الشرق ومن بقي طية في الغرب - ( المخرج ) .

(٢) الحروف القبطية ٢٤ من ٣٠ حروف يونانية مضاد لها ثمانية حروف هيروغليفية - ( المراجع ) .

الأساطير هي الأقصر بالقياس إلى سيرة تليخ . وقد كانت عدد السكان . وقد بسيت الكنيسة وتمت زحزحتها في عهد سليله ، لما هو فقد جلس على كرسي الاسقفية منذ فترة لاتتجاوز أربع سنوات ثم تحدثنا عن الشخصية التي ساعدنا من لحظتها وعن الكتب التي املأها عليها . وأطلقته على كتاب الصلوات الخاص بي فقصصه باستغراب شديد . فشرحت له الاختلافات المدونة في المخطوطات المكتوبة بالعبري الاسود والصلوات المكتوبة بالعبري الأحمر ، كما اشترت الى الأجزاء التي تؤدي في شكل ترانيم ، ولكنه كان أكثر اهتماما بالخلاف الخاوي عنه بضمون الكتاب ، وقرأ عليه مرة أو مرتين لكي يصرف ما اذا كان مصوغا من الجمل أو المختصب أما من الأركان المطلوبة بما الذهب والابزيم فلم يشك في أنها جميعها مصنوعة من الذهب .

ثم تحول الموضوع للحديث عن اللغة القبطية فسأله الرجل الكسول عما اذا كان يعتقد ان هذه اللغة هي نفسها لغة المصريين القدماء . فأجاب عن ذلك قائلا :

« لا شك في ذلك . ومالا يمكن ان تكون غير ذلك ؟ »

وهنا ذكر الرجل الكسول انه بعد أن اطلع على بعض كتب الكنيسة من اللغة القبطية يبدو له بوصفها شيكلا جرحا من اشكال اللغة اليونانية البيزنطية . فجز الأملأف وأسمه وقال :

« ان اللغة القبطية لغة منفصلة مستقلة . وقد انضمت الى الأبهدية القبطية من اليونانية ثمانية حروف عند دخول المسيحية الى مصر . ومنذ ذلك دخلت العديد من الكلمات اليونانية الى مفردات اللغة القبطية . ولكن ظلت اللغة القبطية كما هي . نقية وغالصة وليس بينها وبين اللغة اليونانية أية صلة جارية » (١) .

(١) كان الأسقف مطا في معظم حياته عالما القبطية من اللغة المصرية القديمة ( بمعنى أنها اللغة المصرية القديمة وللحرف ) وهي مكتوبة بالحروف اليونانية بدلا من الفونوغرافية . وذلك لأن النحور من الكتابة المصرية القديمة كان ضمن الفونوغرافية اعراض الكنيسة المصرية المبكرة في مصر بعد النحور من حور وتماثيل الآلهة القديمة . وما كان من الصعب التلاصق بنحور ولهاذا لغة لغة عظيمة قد اهدم الآلهة المسيحيين بأن وليسوها ثوبا جديدا بحيث تلتصق منها كلمة القربون القديمة ويتم نسخها . وفي عصر القديس كليلت الاسكندري ( ٢١١ ميلادية ) بدأ استخدام أسلوب الكتابة الفونوغرافية ولم =

وكان هذا أطول حديث استمعنا إليه - وقد أدلى به البستاني  
بعض التأكيد .

ثم سأله عما إذا كانت اللغة القبطية لغة ميتة ( أي لم تستخدم  
في شئون الحياة اليومية ) فأجاب بأن العديد من الكلمات القبطية مثل  
أسماء الشهور وبعض الأعياد ، ما زالت مستخدمة حتى اليوم ولم يكن  
ذلك هو ما أعنيه بالضبط ولذلك أعدت صياغة السؤال وسأله عما إذا  
كانت هناك بعض عبارات من القبطية عازلت موجودة بين الفلاحين .  
فتوقف برهة قبل أن يجيب قائلا : « هذا سؤال يصعب الرد عليه بشكل  
دقيق ولكنني أظن أنك قد تجدني في بعض القرى البعيدة رجلا هجرأ  
يمشي هنا أو هناك يستطيع أن يفهم اللغة القبطية إلى حد ما » .

« يسمع من قراءة الهيروغليفية حتى من سقوط الامبراطورية الرومانية القديمة  
تجسنا في إحدى حوائط هذا الكتف من قبل من الكنييسة التي اكتشف بها شامليون  
مفتاح اللغة الهيروغليفية » ويقول شامليون من الحائط بين اللغة القبطية واللغة  
السريّة القديمة

« La langue égyptienne antique ne différait en rien de la langue  
appelée vulgairement copte ou Copte . Les mots égyptiens écrits en  
caractères hiéroglyphiques sur les monuments les plus anciens de  
Thèbes, et en caractères Grec dans les livres coptes, ne diffèrent en  
général que par l'absence de certaines voyelles médiales omises, selon  
la méthode orientale, dans l'orthographe primitive. » Grammaire Égypt-  
ienne, p. 18.

وبالرغم من أن الأسلاف كان مصوبيا تماما في قوله بأن اللغة القبطية واللغة السريّة  
القديمة هما لغة واحدة ، وإن القبطية كانت لغة مستقلة ، وليس لها علاقة باللغة  
اليونانية إلا أنه معطيه تماما في هذا الجزء الثاني من التوضيح وهو المطلق بالسروف  
الأبجدية انه ذكر أن هناك ثمانية حروف من الأبجدية اليونانية أضيفت إلى الأبجدية  
القبطية عند دخول المسيحية إلى مصر فلم تكن هناك لغة قبطية سابقة على هذا التاريخ  
فالأبجدية القبطية من الأبجدية اليونانية كما فرضها على مصر أثناء الكنيسة اليونانية  
المبكرة ، وإن هذه الأبجدية كانت غير كافية لتلّ جميع أصوات اللسان المصري ولذلك  
تمت استعارة ثمانية حروف من اللغة الهيروغليفية لاستكمال النقص .

تطابق من الترجمة : كانت اللغة اليونانية هي لغة الكتب والعلم وظلت محتلفة  
بمكاتها مدة حتى في العصر الروماني . وقد كتب أثناء الكنيسة القبطية الأوائل أسئلة  
القيسوس كليست وأريمانوس واتسابورس الرسولي حولياتهم باليونانية التي كانت  
مستخدمة إلى جانب اللغة القبطية التي استعملت للإقامة لكتابتها إيقظية اليونانية التي  
كانت معروفة ومستخدمة في مصر منذ فتح الاسكندر الأكبر وأيام أسرة البطالمة الذين  
يعودون إلى أصل يوناني مع إضافة الحروف الثمانية من الهيروغليفية . وهي حقيقة لا يمكن  
أن ينفيها فيها الأسلاف . ولا شك أن الأخطاء فطرية تلك يستحسن إزالتها ولم يفرضها  
عليهم أحد لأنهم كانوا على إدراك الهيروغليفية إلى جانب لغتهم السريّة - ( للترجمة ) .

الأثف ميل - ٤٩٧

واظهر ان هذه ايجابية مهمة على سؤال مهم -

وبعد ان جلسنا حول نصف الساعة ، وكنا للرحيل ، فقد الاسقف  
على ايدينا مردا فردا ، وقد سيجئنا إلى قمة السلم وهو امر كرس  
ساعات منه .

وكانت هذه مقابلة مسارة ، فقد قيل لنا ان الاقباط يتميزون  
بخصوبه وانهم شديفو التنصبه ، لنوعية أهم لا يكرهون الشخص المسلم  
بقدر كراهيتهم لأتباع الطوائف المسيحية .

وبالرغم مما نعرفه عن ذلك إلا أننا لم نر شيئا فيه ، بل على العكس  
وجدنا سلوكيات عديدة تم عن الأديب من الأقباط الذي حصرنا معهم  
خدمة القداس . وأظن ان أي سائح يأتي الى مصر لا يمكن ان يتجاهل  
ظهور القداس في إحدى الكنائس القبطية . لأن الكنيسة القبطية الآن  
هي المكان الوحيد الذي يستطيع الانسان ان يستمتع فيه الى آخر تغييراته  
ذلك الجنس البعيد الذي جعلنا نحارب مقابره على معرفه نامة به  
أنا نعرف أنه قد حدثت تغييرات كثيرة على هذه اللغة منذ كانت هي اللغة  
التي تحدث بها رعييس الأكبر وكتب بها بتاتوفد . ونعرف ان أقباط  
اليوم يشبهون المصريين الذين عاشوا في عصور الفرعنة الى حد ما ،  
ربما يمثل التقابه الموجود بين الانجليز الذين عاشوا مصر مائتي وعشرون  
الذين عاشوا مصر ثمانين . ولكن اللسان المصري القديم غير مستخدم  
ساليا ، ولذلك كنا مضطركم لسماع تلك الأصوات الأخيرة لهذه اللغة القديمة  
عندما كان يتلوها أطفال هؤلاء المصريين الذين لا يشك أحد في اقتسابهم  
اليهم . وأتوقع في خلال الخمسين عاما القادمة أو نحو ذلك ان تعمل اللغة  
المصرية محل القبطية في ثلاثة قداساته هذه الكنيسة . وحينئذ  
سيصبح تقليد النطق بها . وقد قيل ان الأقباط أنفسهم أخذوا يفتخرون  
الطبعة الساكنة . وربما يحدث في الوقت الذي يقوم فيه أسفادنا  
بالاحتفال بمرور ألفي عام على ظهور المسيحية ان يكون الأقباط واللغة  
القبطية قد أندثرأ مما عز مصر (٣) .

---

(٣) لو كان الأمر قد أمك بالكتابة الى اليوم لمناصت الأسقف الحالي للكنيسة  
وكنيستهم الأرثوذكسية ولهم القبطية الى بلاد اسيا وأفريقيا وبلاد المهجر في الأمريكتين  
وأستراليا وأوروبا . ولابد ان القبطية في إنجلترا كانوا سيجهون لها القموه لصندوق  
مكتبة الاحتفال بمرور ألفي عام على ظهور المسيحية بالكنيسة القبطية الموجودة حاليا  
في لندن - { لتتوهم } .

وبعد ذلك بيوم أو يومين انتقلنا إلى الكرك . وبقينا هناك حتى  
نهاية الأسبوع . وفي الأحد التالي استأنفنا رحلتنا إلى الشمال .

وأذا لم يكن عالم الأدب ضرولاً وإن الكتف الحالى غير محمود  
بمتصرى الزمن والمساحة . فقد كنت أرتعب بالهفافة فعمل آخر هنا عن  
الكرك . ولكي الكتابة عن الكرك بانصاف . ستحتاج ليس فقط إلى  
فصل بل إلى مجلد . ولذلك قمنا دمننا قد ذكرنا شيئاً عن أول انطباع تركه  
فيما مدنا إليه من الصحائب فأتى لي أضعف شيئاً آخر .

## الفصل الثاني والعشرون

### أييدوس والقاهرة

ومرت الأسابيع الأخيرة من رحلتنا البيلية حفل يوم صيف طويل يقود إلى الكسل ، فقد أصبحت الأحداث قليلة ، وقد تفوقنا على زملائنا الساتحين من حيث طول الفترة التي قضيناها - وحتى وكأب النخبة يا جسنور الأرمياء مضي على رحيلهم إلى الشمال فترة طويلة ، وكانت قبلة من آخر دمية لهذا العام ، ولم يتبق أمامنا من مناظر النيل العظيم إلا مشاهدة أييدوس وبني حسن ، ولم يبق لدينا الكثير من القوة للقيام بالرحلات الصغرى والرحلات اليومية واستطلاعات الطريق ، ذلك لأن درجات الحرارة كانت ترتفع كل يوم ، كما أخذ مستوى نهر النيل ينخفض تدريجياً ، وكنا على وشك الموت لو لم تفسر بتأثيرات ربيع مصر التي تضيض عن انجاعة روح الكسل .

إن المواسم يسهونه الربيع ، أما بالنسبة لخيالنا نحن الذين نمش في الشمال فهو عبارة عن قصور الربيع والصيف والخريف مجتمعة معاً في فصل واحد . ولي يستطيع تكوين مفهوم عن لحظة الأجواء والظنى الفزير للثروة في هذا الفصل ، إلا هؤلاء الذين تباطأوا في الرحيل بالنسبة الآخرين . وتبعه الآن هبوطاً شاملاً لم تفهمه صلابة الأرض من قبل ، وبمات خضرة أشجار النخيل التي كانت يابسة في الشتاء ، تتلاشى بسرعة . وأحلت للحاصل في النضج ، وبدأ الحمام يتزاوج ، وقد جاء وقت غناء الطيور ، وأصبحت الرياح التي تهب كل يوم كافيّة لأن تبجل الفصية تسمير في طريقها بشكل مستقيم ، وتحول دون حلقان الفراخ . لقد ارتفعت درجة الحرارة ولكنها ظلت عند المستوى الذي يستطيع الإنسان أن يستمتع به . وكان الرجال يجفون لئلا ، ويأمون تهارا تحت الأرائك المستطيلة ، أو يذنون الأثاث التدبعية ، أو يقصون الحكايات عندما يذهبهم بصوت خفيض ، أما بخصوص الغطاء الرقيق من اللسان الذي يمايق فوق القرى، فإنه يوحى للإنسان بأن تلك المجموعات من الأكواخ

الطبيعية قد هجرها سكانها - لأننا لم نعد نضاهد كائنا بشريا يعجول عن الضفتين به سطوح الشمس - وكأني كل جابوسه تقف في المياه الضحلة التي تصل إلى عنقها - بينما كانت الحصى تترامح مما حينها وجدت الأطل - وقد تخطت الكلاب عن السياح ورفقت قاذية تحت ظل الجدران -

لقد تغير وجه البلد وكذلك النيل - في المرة الأولى التي عبرنا فيها من قبل - ذلك لأن الأرض التي كانت قد تحولت إلى ساحة مربعة مثل رقعة الشطرنج الخضبة وتخللتها آلاف القنوات الصغيرة - قد أصبح الآن بحرا واحدا يهوج بسايل القبح الصفراء - لها النهر فقد تحول إلى مناهة من الضفاف الرملية التي كرز بعضها صقيرا والبعض الآخر كبيرا - والبعض الآخر على وشك أن يظل يرأسه فوق سطح الماء - وكان بعضها بالغ الطول بحيث يشق النهر على امتداد ميل أو أكثر - لقد ذوى الرئيس حسي نصف سيائه على مقعدة السفينة ناجحا عن الأماكن الضحلة من النهر لكي يستلهم في عبورها الصق الطويلة التي تفسح إلى قاع النهر - وعندما كنا نعبى هذه المساحات الرملية المستقيمة كما نراها كما لو كانت جردا من فتاة السويس - وكذلك كان استلهم الضفتين بمائل صعب التمدد كما عندما أخذنا طريقنا في اتجاه الجنوب - لما حوّل المسح التي كانت قد انزهر على المسح الذي إلى حافة الماء فقد تباهت الآن إلى قمة العنافة الجبلية القديمة الانحدار ذات اللون البني التي تمتد عند قاعدتها مسطح رطب مزروع بالطبخ - وقد امتد فوق سحاب صلب من سحب التخييل لعمادتها من الشمس -

وفي نفس الوقت الذي أصبح فيه مستوى النهر مستظفا مع ارتفاع الضفتين - لم يستطع لسوء الحظ أن يستمتع ببيات المسيم الخفيفة التي أخذت تحرك أعواد الشمع بين حبي وآخر - وأحد الترمومتر ( الملق في أشد أركان الضالون برونة ) يرحف إلى أعلى متجاوزا درجة ٩٩ فهرنهايت ، ولكنه لم ينجح في الوصول إلى درجة ١٠٠ - وعلى كل حال فقد كنا ونحن نعيش في جو تصف مظلم وبواقي مظلمة - ثم اشرعة مبلة - لما بنشرها على حوائط العنيفة - ومنشأ صلبة صلبة داخل قمر الناب - نجد أن درجة ٩٩ دافئة بما يكفي للاسساس بالمسادة - وكما نمر السطح العلوي بالمياه عذبة مرات يرميا - ومع ذلك كان من الصعب منع الراح الخشب من الترويض - وفي نفس الوقت كرمست المسعة ( ل ) وانرحل الكمبول لوقلت قراغها للقضاء على الذباب باستخدام منشأ

حافلة ووش الأرضيات . وفي خلال هذه الفترة كلها كنا نتقدم ببطء لأن الرجال لا يستطيعون التجديف نهائيا . وبينما كنا نتمشى الضواطف الرملية المارقة تهددا بأحجارها أثناء الليل فلم يبد في وسعنا إلا التظلم لعمق أميال خلال الفترة ما بين غروب الشمس وشرقها باستخدام العصي الطويلة التي تمتدح إلى قاع النهر - وكما بين الماء والأحرق نأق إلى مساحة حالية من الموانئ . كما أننا كنا في بعض الأحيان نتقابل مع النسيم الجنوبي الرقيق لمدة ساعة أو ساعتين ولكن هذه التسلط من الجف السعيد كانت لفظة ومتابعة .

وفي مثل هذه الظروف والأجواء ، وجدنا أنفسنا على بعد ستة أميال من دبرة ولكن حتى السيدة ( ل ) لم تقم تحت اغرقه ركوب الحمبر للقطع على الأميال الستة تحت حرارة شمس ذلك اليوم . أما الكاتبة فأمرت بنسب خيمة للرسم وقامت بزيارة أسيرة للسيد الذي كان يظهر كثيرا وشخصيا ووجدنا على بعد أميال وسط حقول الشمبر الناضجة .

وبعد ذلك بيومي أو ثلاثة أصبحنا في دائرة معبد أبيبوس . وكان علينا أن نعلم طريقنا إلى الجبلنا وهي إحدى النقاط المعروفة التي تبين حدود أبيبوس . ولكن لسوء حظنا وجدنا شاطئنا مغاربا يسد الطريق . ولذلك رسونا هذه المسطة وهي قرية تقع جنوب أبيبوس يحاولي ميل . وهنا طلب الترجمان من الأماهي أن يحضروا لنا الحمبر . وكان موسم الحصاد قد بدأ في المنطقة المجاورة والشجرات جميع دواب الحبل بالعمل ولذلك لم نلجج إلا عند منتصف النهار في الحصول على ثلاثة أو أربعة حمبر ياكسة يدانا بها وحملنا . واتضح لنا أن هذه الحمبر لم يركبها أحد من قبل ، ولذلك قضينا معها فترة مفضة بالخوف . وكان الحمار الذي أركبه يجس مرة كل خمس دقائق . أما حمار السيدة ( ل ) فقد كان يزعمر كالجبل ويكثر عن أنيابه كالكتف . أما حمار الرجل الكسول فقد كان يلق الأرض براكبه ويرقد ويتدحرج على فخرات قصيرة . وبهذه الطريقة الكثيرة قطعنا الأميال السبعة التي تفصل المسطة عن أبيبوس . وبعد أن سرنا بمحاذاة مزارع التوتيل . وعبرنا المجرى الجاف لاحتد الترع ، حرجا إلى سهل واسع ذي سطح شبيه بسطح البحيرة . وقد تشارت على صفحته القرى هنا وهناك . وغطت مسطحة سنابل القمح المنموحة . هذا هو سهل ثلي القديم الذي يجري عوازيا لجري النيل مثل سهل طية . ويحده من الجهة الغربية سلسلة من الجبال ذات التمم المسطحة . والمسافة بين النهر والجبال هنا أكبر منها في طية حيث تمتد ستة أميال كاملة بينما يتلاصق المنظر مع الأفق في الشمال والجنوب .



وكان طريقنا يقع في البداية في مسار مخصص لسيور الخيول عبر  
 سهل الشمر الكثيفة ثم يهبط إلى طريق البليبا وهو طريق يرتفع عبر  
 السهل بحوالي عشرين قدماً - واحد الفلاحون يسبون ضحايا وإياديا بطول  
 هذا الطريق - وقد أقيمت بعض مجموعات الأكوام للحماية من الغش في  
 المساحات اللامعة التي اجتنتت منها أعواد الليرة - وهناك على الجبل من  
 هذه الطريق وعلى ممرات غير ظاهرة ، كانت سبع بعض قوائم الجبال  
 التي تتلوهج أعناقها قليلة الحركة - وظهرها الجديدة فوق مستوى سطح  
 القمح ، مثل السمن التي تدير بالمجاديف وتتناوج مقدماتها الضخمة فوق  
 بحر متفرق الأمواج ذي لون أحمر - وكان الحمام يطير من قرية إلى  
 أخرى مثل السحب العريضة - وكانت القناير تسمى وتندوم في طاق صيق  
 يشكّل الخطوة الأولى فوق السهل الطيني - وبعد ذلك تأتي المسطبة الصناعية  
 التي يصل عمقها إلى حوالي ربع ميل حيث تقوم القرية الحديثة - و مرة  
 أخرى يرتفع حائط البحر البحري الذي يحد الجرف العظيم - والقرية  
 واسعة النطاق ، والمنازل مبنية بمخاروف الألبانيسك الطبيعي تمكن من  
 تراء السكان - وهي مزودة بيوابات ذات عقود مزخرفة بقوالب الطوب  
 والبوداء والبيضاء والحمراء ، والشبابيك ذات المقربيات ، وأبراج الحمام  
 المبنية على شكل صفوف ، وقوالب الطوب ، مما يعطي للسكان روعة تجعله  
 صالحاً للرسم ، بينما تغطي المنحدر المتجه نحو الصحراء الشجيرات  
 الكثيفة والنجار الخيل - ويجري تجميع القمح الذي حصدته الفلاحون  
 على شكل حزم ، تحت هذه الحقائق المائلة وعلى حافة الصحراء - وهنا  
 تترك الجبال لالزال أصالتها - وهناك تدوم الثيران المصبوب بمرورها  
 أو تهرس أعواد القمح بواسطة آلة مثل الرحافة بها صفوف من السكان  
 الدائرية ( النودج ) - وفي نفس الوقت كانت هناك آلاف من عشرات  
 الآلاف من طائر الحمام (١) تطير من كومة إلى كومة وتستقر فوق الحرم ،  
 وتلتقط القمح في وسط الأراضي المسطحة بالحزم دون أن يزعجها أحد ،  
 وهي تختال في عشبها بطول حافة الصحراء فتحر جناحها ، وتوسط

---

(١) يحتفظ الفلاحون المصريون بأعداد هائلة من الحمام - وفي هذا الصدد يقول  
 مسرور أنه إن عدد الحمام المتروك يبلغ حد تشمك عدد السكان - ويقترح أن يقوم السكان  
 بتربية الخنازير لتربي وتقره في الخواص بأعداد كبيرة لتتاج الحصد الجشع لتسميد  
 الأرض - وقد صرح مسرور أيضاً خلا هذا الصواب حيث أوضح أن للحمام بكتل للكتفين  
 مليون قرص وهي قيمة الجسائر التي يسببها للمصنوع بما يتجاوز الفائدة الناتجة من  
 استخدام زبله لتسميد التربة -

ربشها ، وتهمل ، وتسجن . وتقبل بعضها بسرعة في أعماق القضاة العالية . وكانت آكلات النحل تلعب مثل الزمرد عبر مسارات ، بينما أخذت طيور الهدنة تبتخر على جانب الطريق . وبعد أن وصلنا إلى منتصف المسافة عبر السهل ، أصبحتنا في وسط الجهاد . وهنا شاهدنا الحصاديين ذوي اللون الأبيض خفاة وعراة حتى الوسط وهم يعملون بمنابحهم تماما مثل الكناظر التي يطهرون فيها لحاحل مقبرة في . وكانت النساء والأطفال خلفهم ، يلتفتون في أعقاب هؤلاء الذين يرتدون الحزم ، وكان الشيخ بمبائه السوداء وشئسفة الأحمر يركب حمارة ذهبا وحيتة مثل بوعمر(\*) بين حصاديه . وبعد وسط الحزم كانت الجبال تحملا في اتجاه المساكن . ويحصل الجبل أربع عشرة حزمة يحصل سباح حرم في كل من جانبي السنام . وعلى بعد قليل كانت الثيران التي وضع البر فوق كل التي منها . تحرت الأرض . وعلى مدى يوم أو اثنين ستكون الأرض قد بدرت فيها ندور المرة الموجبة أو صفة الليلة أو القطن وسيجري جمعها قبل وصول الفيضان .

وفي نفس الوقت وبينما كان السهل يمتد خلفنا وتضيق المسافة بيننا وبين الجبال ، رأينا خطا من الروابي المالية غير المنتظمة الشكل راد بخط مسافة ميلين أو أكثر يطول قواعد المسخور . وكانت الروابي تظهر على ألبعد كما لو كانت قد تكلفت بخراف مهيبة ، ولكن مع اقترابنا كشفت هذه الروابي عن نفسها في هيئة قرية هي قرية العراة المدفونة التي تلح على حرم من ثلاث أبيسوس . ووصلنا الآن إلى نهاية السهل المزدوج ، إلى ذلك الخط الغريب الفاصل حيث يتوقف الفيضان وتبدأ الصحراء . أما عن الصحراء الحقيقية فلا يوجد منها هنا إلا شريط ضيق .

والآن يتجه مسارنا جنوبا ، ونلتقي طريقنا بين المنارل حيث نلاحظ هنا كثرة محفورة ، مبيدة في حافات من الطين ، وشاهد هناك تابوتا مكسورا من الرمر يحوار مثر حافة . وإلى أبعد من ذلك قليلا يجد أسطونا

---

(\*) بوعمر هو أحد وجهاء اليهود في حصر القضاة . وقد ورد وصف له وهو يهودي بين حصاديه خطه في سفر راحوت من لسان الكتاب للقص . انظر راحوت . الاصاح الثاني - ( لترجم )

من البحر) حيث هزأنا قاتنا وحبنا حديقة من أشجار النخيل . والآل وقد تركنا القرية خلفنا ، فوجد أنفسنا عند قاعدة جبل ضخم من التفايات التي حفرت حديثا . قلبي من فرق بينه نظرة على ما يشبه لوحة بر كان ، و يرى صيد أبيدوس العظيم تحت أقدامنا .

وكانت الساعة الآن حوالي الثالثة ، ولذلك هاتنا وقد شهادنا ما يمكن مشاهدته حسب ظروف الزمان . ومع ما كنا نتطوره من رحلة طويلة للعودة على ظهور الحمار خلال بلد غريب ، فقد رحلنا مرة أخرى في حوالي الساعة السادسة . ولي أقترح أني سأصحب ميمى أبيدوس مرة أخرى ، حيث إن أحدهما شديد السار لتوجة نجعل من المصحب الحديث عنه . أما الآخر فهو مصمم بشكل غريب ومضجوله الضام شديد الفموس حتى أنه يعتبر معضلة كبرى أمام علماء الآثار . وبعد زيارة صغيرة استمرت لمدة ثلاث ساعات ، اكتفيت برسم ما رأيته بإيجاز ولكن في إعجاب . ويمتدح موقع أبيدوس بالرغم من أنه مدفون تحت التلال المحيطة به ، مكانا له أهمية تاريخية كبيرة . وكان في وقت من الأوقات قد تمخض من القيام بدوره في تسجيل قصة الحضارة المصرية . وتوجد شمال هذا الموقع قليل مدينة تسمى (١) ولا نعرف العصر الذي كتبت إليه هذه المدينة التي تعود إلى ما قبل التاريخ المصري ، ولكننا نلخص أن مكانا كبير (٢) قد التأموا هنا أول مايدعم ، واستنتجوا أول ماغاصهم من الفن واعتدوا إلى الطروف الأجدية التي يحتل أنها كانت في البداية مجرد

(١) إن تلمس التي كان يطلق عليها الإغريق اسم تيس Tais كانت تسمى

المطلة الثانية

خطب البروفيسور ج هامبور إلى المائدة - أبريل سنة ١٩٧٨

de la ville de Tais qui à la basse époque sous la domination romaine, n'était connue que par ses teintures en pourpre, elle doit avoir joui d'une très grande renommée chez les anciens Égyptiens. Encore au temps du XIXème dynastie les plus hauts fonctionnaires de sang royal étaient distingués par le titre de 'Princes de Tais.' » Hist d'Égypte, Brugsch, vol 1 chap v p 29 Leipzig, 1874.

NOTE TO SECOND EDITION. « Des monuments trouvés il y a deux ans, me portent à croire que Tais était située assez loin à l'est du village actuel de Aouad-Yahia. »

(٢) كان الاسم القديم لمر هو Khen-Khen-Khen ويعني السمراء أو الأرض

السمراء خضية إلى لون الفرية .

سوره مثل الأبيديه للكسكية . ومن هنا أيضا جاء رجل يسمى مينا (١) وهو الذي ارتفع حرطوته منذ رمى سحيق . على رأس القنانه الطويله اثني تنضس أسماء التراجيح للصريين . ولا صرف عن مينا الذي يرب شبحه على حافة التاريخ والتقاليد إلا أنه كان أول زعيم أطلق عليه لقب ملك الوجهي في مصر العليا والسفلى . وقد أسسه شمالا وليس مدينه صف . ولم يحل مقر الحكومه إلى العاصمة الجديده قبل مرور عامه ثرون . أما مدينه نبي التي يفرس أنها المكان الذي دفن فيه أوروريس عسرا ما لفتت أهميتها السياسية . ولكنها استمرت لفترة طويلة بمثابة المدينة القديسه لمصر .

وفي نفس الوقت أقيمت مدينة أبيدوس بجوار نبي . وبالرغم من أن أبيدوس كانت مدينة لها أهميتها إلا أنها لم تكن عاصمة لمصر . وقد تنال مركز القوة من أسرة إلى أخرى فاستقر حيناً في الدلتا . وحيناً آخر في طيبة . وحيناً ثالثاً في الفتنة . ولكنه كان موجوداً يوماً ما في البقعة التي كانت بسبب موقعها المتوسط والمحصنة غير المحيطة للأرض المحيطة بها . أنسب المواقع لتشكيل هذا الدور في تاريخ مصر . ولم تعد العاصمة بعد ذلك إلى البقعة التي بدلت منها . وقد كانت هذه البقعة هي المركز الذي أطلق منه المصريون الطيه للوصول إلى مكانتهم الجديده . كما كان موطن قوتهم . ومن ذلك الحق استنقلت صوانها إلى التي تلغز به كموطن حالي . وليس هناك دليل أعظم من ذلك يدل على أصل الفرعية المصري الأصل أكثر من الواقع الذي احتلته عاصمتهم الأولى على خريطة مصر . ذلك لأن أصول أية قبيلة مستعمرة جاءت إلى أي بلد وغرست نفسها في وسط السكان الأصليين ليست محل تساؤل . ومن جهة أخرى تنظم أنه لو كانت مصر قد استمرت على يد قوة آسيوية أو إثيوبية . فإن القرية كان عليهم أن يؤمنوا مقرهم الأصلي بجوار البرذخ . لو من جهة

(١) Mena, tel que nous le présente la tradition, est le type

le plus complet du monarque égyptien. Il est à la fois constructeur et législateur : il fonde le grand temple de Ptah à Memphé et règle le culte des dieux. Il est guerrier et conduit les expéditions hors de ses frontières. — *États Anciens des peuples de l'Orient*, G. Maspero, Chap II, p. 56. Paris, 1876.

« N'oublions pas qu'avant même l'Égypte était divisée en petits royaumes indépendants que Méneš réunit le premier sous un sceptre unique. Il n'est pas impossible que des monuments de cette antique période de l'histoire Égyptienne subsistent encore. » — *Histoire de la Haute Égypte*, A. Mariette Bey Avant-Propos, p. 40, Alexandrie, 1872.

ثالثة يكونون قد توقفوا أولا بين سهول النوبة التي قال ربا كانها (١) ولكن المصريين يدعون من القلب التصيب لبلادهم ذاتها ، وبذلك مدحوا حضوار المنظمة من داخل حدودهم .

وقد قامت كل من اينوس وثنى على نفس البقعة الصحراوية ، ولابد انهما كانتا متصلتين في وقت من الاوقات بواسطة ضاحية مختلفة كان يسكنها الماعلون بالتحنيط والتجيار الآخرون الذين يدخل في اختصاصهم اشغال الموت والدفن . وتجد سلسلة من الروابي المنخفضة حيث كانت المعابد قائمة . وهي تقف امامنا الآن بوصفها مدينة اينوس المشهورة . ويقودنا الى موقع المدينة صور قديم من الطوب اللبن ، وروية صناعية صغيرة فوق مقبرة قديمة تغطرها المقبرة الكبيرة الآن الى قسمين يبعد كل منهما عن الآخر مائتا مدينة هابو عن الرميموس .

ولابد انه كانت توجد في اينوس معابد اقدم من حديق اللذين وايضا الآن ، وقد بقي احدهما الملك سيتي الاول يربا نبي الآسر الملك رمسيس الثاني . او انه من المحتمل كما في حالات كثيرة ان تكون المباني الاقدم قد ازيلت ولعيد باؤها . وسواء اكان هذا ام ذلك فان معبد سيتي الاول من ناحية زخارفه يعتبر واحدا من اجمل الاثار المصرية . يربا يمتد من ناحية تخطيطه واحدا من اعظم المعابد تقريبا . ولم يبق من الواجهة الآن الا صف من اعمدة الحجر الجيري المربعة التي لابد وانها كانت في يوم ما تحمل اطارا يحيط بالابواب ، ويأني خلفها مباشرة وهو للأساطين مكون من أربعة وعشرين أسطوانا تقود الى هو آخر . مكون من ستة وللأني أسطوانا من طريق سبعة مداخل . ومرة أخرى يفتح هذا البهو على سبعة هياكل متوازية يقع خلفها هو آخر للأساطين ، وعدد من الحجرات الصغيرة . ولذلك فان معظم المبنى يبدو متجانسا ، ويحصل بهذه الكتلة وينطلق منها عن طريق عدة أبواب في الطرف الجنوبي من البهو الكبير مزيد من القاعات والحجرات التي ترتبط ببعضها عن طريق ممرات تقود الى حجرات أكثر ، ولكنها لم ترقح عنها الزمان بعد . وقد

(١) انظر الخطب المنظمة الذي اراه البريغسور R. Owen متضمنة تقارير لدراسات للملح للمؤتمر الدولي الثاني للمصريين ( قسم الانثس ) الذي عقد في لندن سنة ١٨٧٤ . وكذلك الورقة التي حوتها الأصول الجمعية لـ The Egyptology of Egypt في نفس المؤتمر . وقد نشرت في مجلة Institute Anthropological ، المجلد الرابع ، رقم ١ ، من ١٩١٦ ، لندن ، ١٨٧٤ .

نقشت جميع هذه الدعائم والأساطير والتفصّلات والرموز والتفاصيل (١) السبع ولونّت بألوان جميلة .

وهكذا تشابه عائلتي بين المعابد التي تنتمي إلى نفس الطراز والفترة الزمنية . حتى أن الأساس يستطيع بعد تجربة بسيطة أن يحدس قبل أن يعبر عتبة المبنى ، كل ما يستطيع أن يشاهده من النقوش التي بالداخل . ولكن غالباً ما يجد أن كل موضوع في معبد ميني في أبيدوس جديد وغريب . وتبدو جميع الآلهة في الهيكل الذي يضمها كلها في صورة تدل

(١) ثورده ميريليت في كتابه الكبير عن حملات أبيدوس أن هذه المصنوعات الفنية القيمة تامل عائل من الهكل المملوء استعماله . وعلى وجه المصغر للتوابيت المستطيلة ذات الأضلاع المتساوية . وقد ظهرت صورة اثنين من هذه الهياكل في النسخة رقم ١٩٦ في الجزء الثاني من كتاب مير ج . بوكستون (الهكلان رقم ٦٠١) واسم كتابه *A popular account of the Ancient Egyptians* - الجزء الثاني - الفصل الثاني - لكن سنة ١٨٧٦ . يقول أيضاً عن استخدامات المعبد ومضمونه ما يلي : وماذا تعرف عن الفكرة الأساسية التي تصدّر بناءه ؟ وما الآن جرى لها ؟ وهل كانت مقصورة على إله واحد ؟ وهل هو أبوديس ثم سببه إلهة ؟ ومن ثم هؤلاء السبعة الذين خُصّست لهم الهياكل السبعة المتساوية ؟ أم أنها كانت مخصصة لآلهة للنسخة التي ورد ذكرهم في قوائم الآلهة المتفرقة في مختلف أجزاء المعبد ؟ إن الإنسان يتردد المعبد يأتيه ليس لعدم معرفته على كشف سره مستعجباً بفنّس النواحي ولكن لاكتساب Description أن سره قد حفظ داخله ولم يردده بانيه في النقوش ؟ انظر كتاب

*Des Fouilles d'Abydos* - تأليف ميريليت بك - باريس سنة ١٨٦٦ حيث يقول : « Les sept chambres voisines du grand temple d'Abydos sont relatives aux cérémonies que le roi devait y célébrer successivement. Le roi se présentait au côté droit de la porte, parcourait la salle dans tous ses pourlours et sortait par le côté gauche. Des statues étaient disposées dans la chambre. Le roi ouvrait la porte ou nœud où elles étaient en fermées.

Des que la statue apparaissait à ses yeux il lui offrait l'encense, il enveloppait le vêtement qui la couvrait il lui immoosait les mains, il la parférait, il la recouvrait de son vêtement, etc. Mariette Bey - *Excavations de la Haute Egypte* Avant propos p 82, Alex 1872

نشر بالاسكندرية سنة ١٨٧٢ . ص ٦٢ .

ويوجد في الطرف العلوي لكل من هذه الهياكل السبعة نوع وحيد من الأبراج أو المجموعات محباً داخل نوع من الزخرفة له سمات متشابهة أكثر حظاً مصرية - والنظر مربع وصيق وضخم بشكل غريب والسطح ملس . وللمصدر هنا جميعها أن تعطي الانطباع المطلوب من طريق التلال الصلبة في الأجزاء العلوية أفضل من الحجر الجيري . وهذه المجموعات والأبراج الثلاثة قد صممت لتكون يدور الحفريات بالبنسبة للمعابد ولكنها ليست بالمثل الكلي لكن تتميز بمحارب - وهناك عمارة متشابهة محفورة في أحد جدران الغرفة التي في الطرف الغربي وسنرى القصة -

على أنها كانت تعبد معا . كما كان لكل منها مرشده الخاص به . وتجد أن  
لنواظط مطلة برسوم تبيح هذه المروث ومن يجلسون عليها ، يسا يقدم  
الملك أمام كل عرض منها بعض مظاهر العبادة . وقد رسمت سفينة  
روقة ، مسحة ، وكلب سلوقي ، وأورده ذات رفسح ، ومخلوق بشري رأسه  
على شكل مقاس الميل (١) وأشبه أخرى كثيرة لا أتذكرها .

ورغم أن التقلعات الملكية كانت عبارة عن الخور والمعود  
والصديرات ، إلا أنها في مطها من نوعيات فرقة لم ير لها مثيلا من  
ليل . ويرى الملك في أحدها وهو يهني آل ايريس عموما له لريضة  
نيجان ، وقد وضعت فوق التاج الملوي كرة أرضية وانتش من الأمان  
الصغيرة تعيط بها انتشان من ريش النعام .

ويبدو الهيكل الأوسط من السبعة وقد حصص لاله حيم الذي  
يبدو هنا بوصفه الإله الرئيسي كما هو في المعبد الكبير بالكرناك . وفي  
هذا الهيكل الرئيسي للمسايق بالألوان ، والسليم من أي تخريب ، نرى  
صورة بصفية للملك رمسيس الثاني (٢) وهو يفتح باب إحدى المقاصير  
بفتح دهمي على شكل د ودرار شريعت . ويظهر كالذي الباب مكونا من  
عدد من المزاليج المختلفة الألوان التي يفتح كل منها بواسطة الأصبع  
السيابة ليد الصغيرة . وبلا شك ، فإن هذا يعطى بياناً سليماً عن نوعية  
المزاليج المستخدمة في ذلك الوقت .

ومن فتحة من في البهو الكبير بهذا المعبد اكتشفت حاريت هذا  
النص الثمين المعروف باسم : لوحة أبيدوس الجديدة . ونرى في هذه

(١) توجه جميع أشكال الآلهة المصرية التي ترى صورها في البرديات البويرية .  
ولكن ينظر رؤيتها في نقوش المعابد ، ومنها على سبيل المثال الآلهة الصغيرة ( حكا )  
التي ترمز إلى الخلود . وهي آلهة صغيرة جدا ، ويحتج صويرها في آثار الأسرة الخامسة .  
أما آله الذين له رأس القرية فهو الإله سب ( جب ) . وهو أيضا آله كبير جدا .  
أما مقباس النيل فهو حمار ديسي يعني الأسطوخودوس . وجد في هذه الجيلة كرمز مؤله  
هنا .

(٢) نرى رمسيس الثاني هنا مع المزالج للوقتي . وقد نشأ سيتي الأول هذا المعبد .  
وتستمر العمل فيه عندما كان رمسيس الأخير يشرفه أمام المجلس على الفرع ، واستكمل  
على أيام رمسيس الإله بعد وفاة سبتي الأول . والمبنى مطهر في التاريخ ومثابه  
في الطراز لحد القرية وهيكل بيت للوكلي .

اللوحة الملكية سنتي الأول ورمسيس الثاني أحدهما يقدم اليخوت يمسح  
يردد الآخر أنشودة مدح لاسم الفرعون الستة والسبعين ابتلعه من مينا  
وانتهاه بمسمى نفسه (١) .

ولسوء حظنا - بالرغم من أننا لا نستطيع إلا أن ندعي لضروية  
الاستيعاب - وجدنا مدخل هذا الممر مغفلا ومسدودا على شكل قل - وقد  
ذكر لنا أغراي عبود يسكن في المعبد كمبرس ، أن اللوحة لا يمكن  
رؤيتها الآن إلا بعد الحصول على تصريح خاص .

ويبدو أننا قضينا هنا حوالى نصف الساعة ، عندما جاء المرشد  
ليحدثنا من اقتراب المساء . وكفى علينا أن نرى الموقع والرهوة الكبيرة  
لهذه تسمى . وكانت الرهوة تقع على بعد عشرين دقيقة بسرعة السير التي  
تركناها ، فمر المرشد ولجبه ولكننا صعدنا على النحاب - واقترب الظلام،  
واللهرة الأولى منذ عدة شهور حالت مظلة متجمعة من السحاب دون  
مشاهدة روعة الغروب . وعلى كل حال فإنا امتعينا حبيرا واتجينا نحو  
الشمالي ، ولو تركنا دواب أفضل من جلد الجمع كنا قد حققنا هدفنا  
لأننا رأينا أن الظلام تشتد كثافته في كل لحظة . مما دفينا إلى التخل عن  
الهدف ، وبدلا من محاولة الاستمرار في السير إلى الأمام رطينا أن  
تسلفي تلا مرتفعا كان يهرف على المنظر الذي في ناحية نتي .

وفي ذلك الوقت أنفتحت السحب لتكشف في سرعة ، وزحمت أمواج  
الظلال على السهل . وقد فرقت من مسارات الحدود الجبلية والغسق  
والمنخفضات ، بينما امتدت على السطح ، مسطحات القمح الخضلة بالسياب،

(١) ربما كان هؤلاء الفرعون الستة والسبعين ( المثلثون يقرأ بعضهم ) أمراء وأمرا  
لجالات يمدح أملاكهم إلى أبيوس ، أو حكاما حصلوا على لقب خاص بالمطاعم في هذا  
الكلن محقق ١٩١١ أو الانشاءات الدينية التي أعرفها للعبادة القديمة . ولهذا لوحة  
مضللة قيمت لنفس الأسباب وإن كانت لكوك آخرين . وهي تلك التي كانها تصومس الثالث  
في غرفة جانبية في الدنيا بالكرت وهي حجرة الآن بمختلف التواريخ . وتتركز لفافة  
المطبخة لأجل الحائل في تزيينه الزماني . ملاحظة على أنه ملصق بأسلوب رقيق وسليم تماما .  
Chaque perfection de grandeur, comme conservation, comme  
exécution, se est peu de monuments qui la dépassent .

نظر حقل : La Nouvelle Table d'Abydos بقلم M. Malet Bay  
بمسلة Revue Arch. الجند المسبح . مجلة Nouvelle série - ص ١٨ - ويتضمن  
هذا المجلد من الجهة أيضا صورة اللوحة .



لما عند أقدامنا فكانت هناك كل الروابي والمقابر المفتوحة والمقبرة الكبيرة المهجورة . وقد ارتفع خلف التلال التي خارج حدود حافة الصحراء ، وشكلت شريط عظيم يصعد مكان نهر ، تل متحجر ويمتلئ بمروج دلتا الأرواق التي الذي تتميز به الطلال التي تنتشر عند المنسق . وكان هذا التل الذي يطلق عليه المواطنون اسم . كوم السلطان - هو الرتبة التي أودنا مشاهدتها . وقد ظهر لنا ونرى برقه من على السطح ، ومن خلال ضوء ضئيف ، تباهما مثل مخروط يركامى يبلغ ارتفاعه حوالي مائتي قدم . وهو يتكون من مجموعة من المقابر التي تتكدس احدها فوق الأخرى في طبقات تاريخية . وكانت كل طبقة منها تشتمل سجيلا لطيفة تاريخية ، بينما تمثل كلها مجموعة . نوحا من الفصائل المرحانية المصرية الانسانية التي بقيت ببلايا الأحياء من عصر إلى عصر .

ومند عدة سنوات خضت ، كانت الحكومة المصرية تضر هذا التل العجيب . وكلما تصمت الحفائر ، ظهرت مميزات الأقدم زمينا . وكلما كانت الحفريات نائمة ، كانت المحنوت ثابته لدرجة تجعل للمشاهد يظن ان حفرة الحفائر كانت تصطلم بلساير تعود الى الأسرة الأولى ، وبذلك تخرج الى الضوء ولدت الرجال الذين عاشوا في عصر مينا - وقد كتب مارييت (١) يقول انه - حسب ما أورد بلوتارخ لان أثره المصريه جاءوا من جميع أنحاء مصر لكي يفتوا في أبيوس حتى ترناح عظيمهم بجوار أوزيريس . ومن المحتمل أن تكون مقابر كوم السلطان مخصصة لهؤلاء الرجال الذين ذكروهم بلوتارخ . وليس هذا هو الاحتمال الوحيد المرتبط بكوم السلطان ، لأن قبر أوزيريس المشهور لا يعد كثيرا من حرم البقعة . وهناك من الملائ ما ينحسب للاعتقاد بأنه محفوظ في قبعة الصخرة التي هي بداية الممرات لهذا التل . وعلى ذلك فإن الأشخاص الذين دفنوا في كوم السلطان يرتدون وهم أقرب ما يكونون الى العصر القديم . والاحتمال التي تجري الآن في حرم المنطقة لها أهمية مزدوجة أولا لأنها ربما تعود الى مقابر أكثر قديما قد تعود الى الأسرة الأولى . وثانيا أنه ربما تمكن اكتشاف الفصل غير المعروف والخفي لقصة الاله (٢) .

-----

(١) الطهر *Itinéraire de la Haute Egypte* ، كتاب مارييت د .

من ١٤٧ . الاستكشافية . سنة ١٨٧٢ .

(٢) نفس المرجع . ص ١١٨ . لم يتطال التل الذي جرى التفسير عنه هنا كثيرا

لأن من خلال الأسرة الرابعة أو الخامسة له اكتشفت منذ وقت مبكر .

وانسفت في ذلك الحب لاني لم استطع ان اركب الجمار ولو حبسني  
الى قاعة كرم السلطان ، وأظن الآن انني افضل ان أتذكره . كما شاهدته  
على السعد محوطا بلاسرار في ظلمة ذلك المساء الغريب .

وكان هناك صمت ثقيل يلوح في الجو ، ولحظة حزن تعبر عن قفل  
حمل العصور . وبعث الرواوي المتفانية مثل بحر مخيف . وأخذ الليل  
يرسخ سدوله خلف حافة الصحراء . وسرعان ما رجفت نسوبا من بين  
المقابر البعيدة . سحابة متحركة في بطن . ومع اقترابها في حالتها الناعمة  
والصفافة والمتقلبة والوحشية . انضح أنها ليست سوى القبار الذي آثاره  
قطيع كبير من الضأن . وكان راعي القطيع يظهر خلال فتحات السحابة  
بين حين وآخر . لم نزلنا وانطلقنا في الطريق الواقع بين التلال والودى .  
وبلغت أشجار الخنيل والمراول غير واضحة في ظلمة الغسق وبرزت قافلة  
من الجمال وهي تتقدم بخطوات سريعة وهادئة مثل الأتساج أمام حافلة  
من الضباب . ومع تقدم الليل أصبح الهواء حارفا . ولم تكن هناك نجوم  
للم نستطيع الرؤية على مدى ياردة واحدة أبعدنا . وزحلتنا مطه بطول  
الطريق المنحدر ، وشمرنا باننا لم نستطع ان نسير شيئا من السهل السعد  
على كلا الجانبين . وفي نفس الوقت كانت الضفادع تنق غلغلة ، ولما  
أخلت حمونا لتعثر في كل خطوة . وعندما اقتربنا من السبعة كانت  
الساعة تقترب من العاشرة . وكان الرئيس حسن قد شرع في ملاقاتنا معه  
الجال والمشاغل .

وفي صباح اليوم التالي مررنا للمرة الثانية بمدينة جرجا وصحبنا  
التهند وعصودها الذي يوشك على الانهيار ، وعند الظهر وصونا في مكان  
يدعى المسبرات حيث قمنا بزيارة أحد الأوجه الذي يدعى أسمه أبو رطب  
أما الذي كنا نلجأ اليه خطابات توصية . وكان رطب ألما يمتلك أعداديات  
واسعة في هذه المحافظة المشهورة بطبوع الخنيل . وهو يعيش بأسلوب  
القبيلة محطاً بمفكرة كيرة المعد من الأقارب والأقارب . ويتكون محل  
دقاعته في المسبرات من ثلاثة أو أربعة منازل كبيرة . وما يقرب من عشرين  
برجا للعيام وسدفة واسعة ومظيل ولرض للتدريب وقناة ضخمة . وقد  
أحيطت جميعها بحائط دائري . ودخلنا في بوابة تربتها أشغال  
الأرابيسك . واستقبلنا في رواق مسقوف بأشغال الخنيل وبطل على  
الهدار . وأخرج لنا ثلاثة من أضر حوله نالواها الرعادة والكميت (\*)  
والكسائي ، لكي تستمتع بمشاهدتها . وكانت شبيهة بتلك الخنول

(\*) الكمي من الخنيل . ما كان لونه بين الاسود والاحمر - ( المترجم )

التي أحب قالسكبير Valques أن يرسمها ، غليظة المنق ، وصغيرة الرأس ، وصلية البطن ، وذات عروق متضوحة ، وديول حورية طويلة .  
 وله وقت شائعة ومشهورة دلالة على انتمائها العربي الأصيل . ولم ينر  
 الشك في غرومها حول نقارة جماتها . وقد ظهرت لنا صلاحياتها للرسم  
 بالمخيلة مروجها المطرزة يخيطون الذهب وسروجها المالية المخططة بالخطبة  
 القرمزية والخضراء والورق ، وركاباتها الطويلة ، والمخيط رؤوسها ذات  
 الفرايب ، وقلم شقيق الألفا وأولاد أخيه بقيادتها لعرش خطواتها ، ثم  
 حملوها تركع للركوب فكانت تحضن لكلمة الأمر ، ثم تدفع من وضع  
 الثبات لكي تملو في سرعة . وهنما وصلت إلى أقصى سرعتها توقفت  
 قليلا وطرحن نفسها للارتكاز على مؤخرتها وتجهلت حركتها لمصارت مثل  
 ديول حجرية . وليل لنا في مصيفنا لديه في استيلاكة حافة حصان .  
 ودارت الملايين والقهوة وصلصة غير نهائية من مختلف أنواع الفربات  
 طول الوقت الذي استغرقه الزيارة . وأثناء الحديث علينا أنه ليست  
 فقط نسور العمال الزراعيين هي التي تدفع في شكل كميات من القمح  
 بل أيضا جزء من الفرائب التي تقطع للخصير .

وقبل رحيلنا ذهبت السيدة ( ل ) والسيدة الصغيرة والكاتبة  
 لزيارة الحرم وتعرض إلى سيلت الضيعة ، لقد وجدنا في نفس في مبنى  
 متصل له فناء مستقل . ويعتبر حسب الأسلوب المثل الذي اعتادته  
 سيدات الشرق . دون أي نوع من العمل ، كما أنه لا توجد حتى مجرد  
 حديلة يعمعن فيها . وكانت زوجة الألفا الإسماعية ( ابنه أنه كان يفتن  
 بزوجه ) امرأة جميلة ذات شعر كستنائي وعينين صليتين لأصعبين ،  
 ويشرة لاثية . وقد استقبلتنا على المقبة ، وقادتنا إلى صالون محاط  
 بالأرائك ، وعرفتنا بأبنائها الخمسة في فخر . كانت الكبرى فعلة جميلة  
 في الثالثة عشرة من عمرها ، وكان الأصغر فتى في الرابعة ، وقد ارتدت  
 الأم والابنة ثيابا سوداء متشابهة مطرزة يخيطون من القفص ، وشبهتني من  
 القطيفة النوردية اللون في أقدامهما ، مع الأحاديث والخللايل الضيقة .  
 والسرراويل التركية الطويلة ذات اللون الوردى ، وقد صلفنا شعرهما  
 حفرنا من المنتصف . وقد شفر لي شكل ضفائر طويلة تمتد على الظهر  
 مع قطع من الصلصة والملايكات . بينما علق في مؤخره الرأس حجاب من  
 الشاش الأسود الشفاف مطرز أيضا يخيطون من القفص . وجنبت سيدة  
 أخرى عرفنا أنها الزوجة الثانية - وكانت شديدة البساطة وقرتني  
 زينت أكبر ويظهر أنها تحتل مكانة ثانوية في ديرة الحرم . وربما كان  
 هناك حرم دسمة من السعدت والعتات يبعهن فلتنان لونهما أسود .

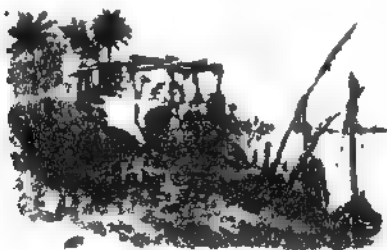
وكان حجم الأطفال مرضيا طوال حياته القصيرة ، فظهر لنا وكأنه لن يعيش أكثر من ستة شهور . وقد طمئت إلينا أمه المسيكية أن صنف له علاجاً ولكن من الصعب أن نقنعها بأننا لا نعرف شيئاً عن طبيعة مرضه ، ولستنا بالمهارة التي تسمح لنا بعلاجه . وظلت نتوصل إلينا ولم تقبل الرضى . ولذلك اشفقنا عليها وأرسلنا إليها بعض الأدوية غير الضرورة .

وكانت فرصتنا للاجتماع بالحياة المنزلية في مصر ضئيلة . لقد قامت السيدة ( ل ) بزيارة حرم نائب الحاكم في القاهرة ولكنها عادت في كل مرة بنفس الانطباع الكتيب . وكانت معظم السيدات المصريات يهطن أيامهن التي تقضيها في شغل التطريز وبعض لعب الأطفال الموسيقية المصنوعة في جنيف ، والقيام بترزاة يومية في شوارع شبرا ، وتذهب للفلايڤ والمسجرات ، وقبول الحفوى ، والتحل بالمجوهرات ، والتميمة .

وكانت بعضهن ذوات اهتمام بتسيط بالسياسة . وكانت ماضورات الأوبرا الخاصة بالاندو وكبار الباشوات في القاهرة والاسكندرية تحتلها السيدات في كل ليلة . ولكن الحكم على نظام الحياة للثريئة لا يسرى على سيدات الأمراء والسلاة . وكان الفروس أن طلع على حياة سيدات طبقة الملاك ووجهاء الطبقة الوسطى . ولم يكن لدى سيدات الصعيديات هؤلاء ، مركبات مصنوعة في لندن يجرها حصان واحد ، وليس لديهن شوارع شبرا أو دار للأوبرا فلم تكن لديهن وسائل للتسلية ولا حتى وسائل للتفكير أو الترفيه . وكان الوقت يمضي تعبلا من تفوسهن ، ولم يكنن أنفسهن الإهتمام بالأغنياء التي تحيط بهن . وكانت سلاليم الحريم قادرة وحجراتهن غير مرتبة ، والمظهر العام للمكان قذر ومهمل . أما من الثريات فإنه بالرغم من طبيعتهم الطيبة وولتهم ، إلا أن وسوهم كانت تحصل الملامح الصبرية لمن تعتمد المانة من الملل . وفي الأكصر قامت السيدة ( ل ) والكتابة بزيارة ذوة وجيه عربي وهو ابن المحافظ السابق للكان ، وهي صيغة من الطبقة الوسطى . وكان الزوجان شابين ومن غير الأغنياء ، ويسكنان في منزل صغير لا يطل على أية مناظر ويكون حديقة . وقد احتلت الطيور العاجنة هذه المنزل . أما العزلة العليا الصغيرة فقد كانت مساحتها أقل من التي عشر قدماً ربما . وقد أحاطت بمزلهما من جميع الجهات منزل آخرى ، ولكن الزوجة الشابة كانت تعيش راضية في هذا السجن الخائق من سنة إلى أخرى ، ولم تكن تخرج منه مطلقاً . ولابد أنها كانت تستمتع في طفولتها ببعض الحرية ولكنها كفتة متزوجة وروس كانت سجننة مثل الطائر في قفسه . وبالرغم من أنها ولدت في الأكصر إلا أنها لم تتأقده الكونك مع أنه رقيق.

على بعد ميلين • وسألتها عما إذا كانت تود أن تزوره بصحبتنا فصاحت  
وهزت رأسها • لقد كانت غير قادرة حتى على الفضول •

وظهر لنا أن زوجات الفلاحين كن أسعد الزوجات في عصر لأنهن  
يعملن باجتهاد ، وبالرغم من معاناتهن الفقر إلا أن لديهن حرية استخدام  
أطرافهن ( الحركة ) ، ولديهن خبرة باستنشاق الهواء العليل ، وضوء  
الشمس ، والحقول الواسعة ، وعندما تركنا الصيراب كانت هناك مسافة  
٣٣٥ ميلا تفصل بيننا وبين القاهرة • ومدند صارت الملاحه في الليل  
أكثر صعوبة ، وأضحت حرارة النعيم ترتفع لدرجة أنه حتى رش الماء  
ومسح الأرضية لم ينجح في خفض درجة الحرارة • وعندما كنا نذهب  
في المساء إلى قمراتنا للنوم كانت ألواح الخشب التي بطول السرير  
مساخنة عند لمسها باليد كما لو كانت في مواجهة لهيب نار ، وبالرغم من  
أن يجارثنا قد ولدوا في هذه الأجواء إلا أنهم عابوا أكثر منا • وعذبت  
السيدة ( ل ) في ذلك الوقت من ضربة شمس أصابت يديها • ورويدا  
رويدا تجاوزنا الأماكن التي شاهدناها عند إبحارنا حروبا وهي أسبوط  
ومفلوط وجبل ( أبو فائدة ) والروسة والمنيا •



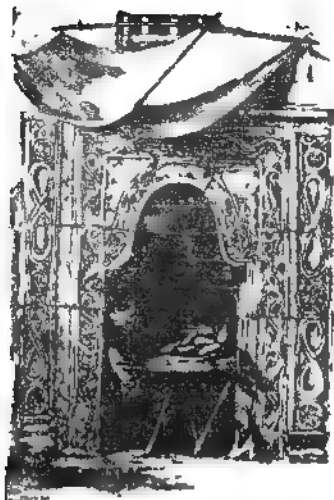
• ساقية عند أسبوط •

وبعد كل ذلك لم نشاهد مقابر بنى حسن لأنه في اليوم الذي وصلنا  
فيه إلى هذا الجزء من النهر كانت هناك عاصفة رملية شديدة ، وهي  
عاصفة أصابت الكاتبة نفسها بالرعب • وبعد ذلك بثلاثة أيام ركننا

الطيار الى يبا والوجهنا الى القاهرة تاركين النخبة فيلة لكي تنبئنا حسب ما تسمح به امكانات الرياح والطقس .

وكنا قد غطينا بحية النخبة حتى ذلك الوقت لدرجة اننا احببنا في البداية بالضياع في سحرات فنبش شبرد الواسعة ، كما احببنا بالارتباك في الشوارع المزدحمة ، الا اننا اصبحنا في القاهرة التي وجدناها أشد روعة وأكثر جمالا من أي وقت مضى . وهنا شاهدنا نفس التجار في سوق تروس وقد جلسوا القرفصاء على نفس السجاجيد وهم يشترون نفس الفلايبي . وجدنا أيضا نفس بائع الفطائر وهو ما زال متربعا على كرسيه في نفس المثلث في المرسى . وكذلك وجدنا نفس تجار المجوهرات وهم يبيعون الأساور في خان الخليلي ، ونفس الصيارفة وهم يجلسون خلف مواضعهم الصغيرة في أركان الشوارع ، ونفس النساء المحجبات وهن يركبن الحبر أو المركبات التي تحرسها الخيول ، ونفس الجارات المتسلسلة ، والأفراح الصاشية ، ونفس الصرخات القرية والمعدات المتنوعة ، ونوعيات التجارة غير المعتادة . لم يتغير شيء . وصرعان ما عدنا الى حياة القرية على محال المدينة ، والشراء من الأسواق ، فاشترينا البطاطن والسراني والحل القفصية وأطفال الأبرة القديمة والمباشيب التركية ، وكافة أنواع الاكسيكات والأشياء الجميلة ، وأخذنا ننقل من المساجد الاسلامية الى الكنائس القبطية القديمة الزائرة ، كما كنا نكرس ساعة أو ساعتين خلال معظم فترات بعد الظهر للتحجول في متحف بولاق . وكنا لنهي عمل كل يوم بالركوب في شارع شبرا أو القيام بجولة حول حدائق الأزبكية .

وفي تلك الفترة كان يجري الاحتفال بمولد النبي في أرض فضاء واسعة على الطريق الى مصر القديمة . وهنا وفي دائرة تحوطها حوائى عشرون أو ثلاثون خيمة مفتوحة كانت تجرى قراءة القرآن الكريم ، وحلقات الدرويش طوال الليل والنهار بنوع توقف وعلى مدى أسبوعين تقريبا . وبعد حلول الظلام عندما تنوهج الغيام كلها بالثريرات المضيئة ، يسدا الدرويش يسبحون ويغزلون ، وتشعل الآلأب النارية من منصة مضيئة في وسط المنطقة . وكان المنظر غريبا لأن القاهرة كلها اعتادت أن تلعب الى حد ما على الأكلام أو فوق المركبات وذلك خلال الفترة ما بين الثامنة ومنصف الليل من كل مساء . وكانت نساء الخديو المحجبات يصرن في مركباتهن الصغيرة التي يبرعا حبلان واحد ليتصدون للشاهدين .



النافار التي تصنع باسم النبي \*

وينتهي مولد النبي باحتفال استعراض الدوسة ، حيث يركب شيوخ الطريق السعدية حصانه في طريق معروش بالمريدين المسطحين على الأرض ، وقد شهدت الميعة ( ل ) والكاتبه هذا المنظر من الخيبة التي أقامها محافظ القاهرة ، حيث كانت هناك عدة مئات من المؤساء الذين رقدوا في الطريق متلاصقين مثل بلاطات الرصيف وأحدرا يديرون رؤوسهم وهم تحت تأثير الأفيون ، والصوم ، والصلاة ، بينما كان أفراد الموكب يسرون فوقهم راحلين أو راكبين ، وبدأ الموكب وفي مقدمته حاملو السياري ثم أحد المشايخ الذي كان يقرأ القرآن بصوت مرتفع ثم نشيخ راكبا حصانه العربي الأبيض وقد أحاط به على الجانبين عدد من الشميوخ الذين يسرون حفاة ، وكان الحصان حميل المنظر وقد أخذ يحطو بصعوبة وإصحة ، خطوات خفيفة وسريعة يقدو ما يستطيع قوق الطريق الشرى الذي تحب حوافره ، ويؤكد المسلمون أن أحدا لم يصب بحرج أو حتى

كلمة (١) حبلال هذه التسمية بالنسبة ، ولكنني رأيت بعض الرجال محمولين في حالة من التشنج وظهروا كما لو كانوا في حالة إن تسمح لهم بالسفر مرة أخرى (٢) .

ومن الصعوبة ألا نقول إلا كلمات قليلة لا تكفي لوصف مكان يحتاج إلى مجلد شامل ، وكذلك لمن غير المستطاع أن نتعامل معجب يولاق ، والمحقيقة أن جميع هذه المجموعات من الآثار يعود إلى الملح الأول إلى سقوط العديدين السابقين وجيود مارييت ، وفيما هذا محمد علي الذي اكتسب في عهده عهد ذنقة ، فإن أحدا من الولاة السابقين لم يشغل نفسه بالاحتفاظ بالآثار البلد ، أما هؤلاء الذين اعتنوا بهذه التماثيل التي أثقلت كاهل الثرية أو رقت مستغنية تحت رجال الصحراء ، فقد كانت لهم حرية الاستيلاء عليها ، ولم يطلب منهم أحد القيام بهذا العمل أو يمنهم شيئا إلا التصريح بالطرق بحثا عن الأنتيكات ، التي تمثل ثروة متناقلة من الآثار المصرية والمجموعات المدينة التي يمتلكها الأفراد ، والتي تنتشر في كافة أنحاء أوروبا .

ولقد انتهى اسماعيل باشا هذا السلب الذي كان يجري على نطاق واسع حيث كانت الموميائات تباع لأجل المراهق أو في مقابل الخردة ، ولكن للمرة الأولى أصبح تقدير الموميائات خروجا على القانون ، للمرة الأولى أيضا أصبحت بحر مجموعتها الوطنية المملوكة لها .

وبالرغم من أن معظم يولاق هو أصغر المتاحف المصرية إلا أن مجموعته الأثرية أغني المجموعات في العالم من حيث التماثيل النصفية للأفراد ، واللوحات الجنائزية ، والتعاريف والموميائات التي تمثل سكان وادي النيل القديمة ، انه بالطبع أقل غنى في التماثيل القصصية التي تملأ

---

(١) ، قبل أن هؤلاء الانسانيين والشيخ أيضا يستخدمون كلمات جميلة ( أي يرددون عبارات راقية ) في لهمم الذي يسبق هذا الاستعراض حتى يستطيعوا احتفال وطاف حوافر الضمان دون أن يملأوا بالآثار وأن بعض الذين لم يستمعوا لم جازوا بالقاء لتسمهم تحت عوثر المسامح قد حدث في فكر من مرة لتهم فكروا أو أصيروا بجروح ضحية - وكان الناس يتنزهون هذا الاستعراض محفزة يتم بواسطة قوة خارقة للطبيعة ومهما انه كان خليفة من مشايخ الطريقة الصوفية - انظر كتاب افرازه ليرن Methodology Egyptology الفصل الرابع والعشرين ، ص ٢٥٢ ، لندن سنة ١٨٦٠ .

(٢) صدر أمر للتدبير الحالي ( غولفي ) يمنع هذا النقل للبربري - ( خدمها منظمة إلى العجبة للثنية ) .



تخاضت المرضى الكبيرة بالمتحج البريطاني ومتحج حورين ومتحج اللوفر . وقد كانت حلة التماثيل فوق الأرض وعلجها قليل لسييا إلا أنها كانت تسلب منذ فترة طويلة وتصدر إلى أوروبا . أما تماثيل متحج بولاق فهي مستخرجة من القاهر - إن تمثال شيخ البلد المشهور والمصنوع من الخشب قد كتب عنه الكثير (١) والتماثيل العظيم المصنوع من حجر الديوريت للملك حورب وباني الهرم الثاني ، والتماثيل العظيم الجالس للامير رع - حوتب والأميرة نفرت - حله التماثيل جميعها نصفية . وهي مثل القابر التي وجدت فيها قد تم تنفيذها في حياة الأشخاص الذين تمثلهم . وبعد أن عبرنا عتبة البهو الكبير (٢) وجدنا أنفسنا محاطين بحشد من حله التماثيل غير المسادة التي كانت واقفة ومثوبة ومرتدية ملابسها وجميعها في حالة حركة ، مثل الدخول إلى غرفة مزدحمة بأحد القصور الملكية في مصر الدولة القديمة .

والعدد الأكبر من تماثيل متحج بولاق النصفية منحوت في الوضع الذي يعرف بالوضع الهرمائي ، الذي يمثل في خطى الذراع اليسرى وضغطها ملاصقة للجسم ، بينما تمسك اليد اليسرى بفقاعة من ورق البردي . أما الساق اليمنى فهي متقدمة للأمام ، واليد اليمنى مرفوعة وهي تمسك بالمكان . وكان ذلك يعني بالنسبة لي معنى أعمق مما يظهر لأول نظرة بالنسبة لهذا الوضع التقليدي . وربما كان يرمز إلى سلطة والبحث ، عندها يسمى الهيئت للأمام وهو يمسك بتسليحة كتاب الموتى الخاصة به خارجاً من قبره إلى نور الحياة الأبدية .

وهي أشهر التماثيل المصرية تمثالا الأمير رع - حوتب . والأميرة نفرت ولابد أنهما أقدم التماثيل النصفية في العالم (٣) وقد استخرجا

---

(١) انظر Egypt of the Pharaohs and the Khedive B. Zinchen ، الفصل التاسع ، ص ٧٠ ، لندن سنة ١٨٧٢ . وكذلك La sculpture Egyptienne تأليف سولدي P. Soldi ، ص ٥٧ ، باريس ١٨٦٧ . وأيضا The Ethnology of Egypt وهو مقال بقلم البروفيسور ثورن نشر بمجلة Journal of Anthropological Institute المجلد الرابع ، سنة ١٨٧٤ ، ص ٢٢٧ ، وكان اسم هذه الشخص هو رع - إم - إم .

(٢) قد وجدت تماثيل لكه في هذا البهو الكبير .  
(٣) لا يوجد شك في أن تماثيل سييا ونجسا اللذين يمتص اللوفر يعدان إلى مصر سابق على الأسرة الرابعة .



الأمير رع حوتب والأميرة نفرت •

من قبر يعود الى عصر الأسرة الثالثة ، وكأنا مفاصرين للملك سغرو ، وهو ملك حكم مصر قبل عصر الملكين حورع وحمرع • بمعنى أن هذين الروحانيين اللذين يجلسان أماما حبيا الى جنب ، رشيقان وبراقان مثلما كانا عندما ينتهيا من آخر جلسة لهما أمام الفنان • وقد عاشا في عصر لم يكن قد تم فيه بناء أهرام البحيرة ، وهي تاريخ يعود الى ما بين ٦٣٠٠ الى ٤١٠٠ عام مضت • وتضخ الأميرة شعرها بنفس الطريقة التي يستخدمها أهل النوبة ، وينتصم عقدها المكون من حبات من الحجر الكريم Cabochon الى طراز تحته الرافعات اللاتي يعيش في أيامنا هذه • وعيسا كل من التمثالين مفتوحشان • وقد صنعت مقلة العين الموضوعية داخل حفون مرونزية ، من الكوارتر الأبيض المعتم مع قرحصة من البلور الصحري تطوق انسان العين المصنوع من نوع من المعدن البراق • وهذه الصفة التي لا يوجد مثل لها سوى في مخطوط أو اثنين ، تعطي للعين نظرة تم عن الذكاء الشديد • وهناك لمحة من الضوء في مقلة العين ، ورطوبة فوق السطح لم يصل اليها فن صناعة العين الزخاجة في عصرنا الحالي (١) •

« Enfin nous signalâmes l'importance des statues de (١) Mejdoun au point de vue ethnographique. Si la race Egyptienne était à cette époque celle dont les deux statues nous offrent le type, il faut convenir qu'elle ne ressemblait en rien à la race qui habitait le nord de l'Egypte quelques années seulement après Snefrou. » — Cat. du Musée de Boulaq A Mariette Bey p. 277 Paris, 1872 =

أما عن مجوهرات الملكا - حوب فهي مكونة من الجواهر للحفورة ،  
والخونم ، والتالام ، وأدوات الزينة ، أما عن الرهريات فهي مصنوعة  
من البرونز والفضة والزر والقصبي - أما عن الخواقد التي تسكب عليها  
تقنحات السيد ، والأقنشة المنسوجة ، والنفار الأسمر الصابر إلى الحفرة ،  
وموديلات الفتاني ، والمصاييح والقوارب النصية والأساجه وأوراق  
البردي ، والآثار والأدوات المعدة للاستخدام الشخصي التي يبلغ عددها  
واحداً بعد الألف والتي وصفت في هذه المساحة ، فمن تسمح هذه الصفحات  
لذكرها - لا يوجد شيء في مكان آخر يمكن مقارنته بمجموعة آثار متحف  
بولاق فيما عدا مجموعة بومبي التي في نابولي ، ولكن لم تكتشف في ملات  
بومبي مثل تلك الحلى التي اكتشفت في مقابر المصريين القدماء ، بل  
بناح في القول ، إذا ذكرنا أنه لو عاد هؤلاء الموتى والمحطون إلى الأرض  
فإن الكاهن سيصف جميع آلهة هيكله ، والتلك ومسولجانه ، والملكة  
وجواهر لحها ، والتكائب ولوحه ، والجندى وأساجته ، والمابل وأدواته ،  
والحلاق ولعواسه ، والفلاح وفنسه ، وربة المنزل ومكفنتها ، والطفل  
والحمى التي يلعب بها ، والأمشاط وزحاجات الكحل والمرايا التي تستخدم  
في التجويز ، إن كل أثاث المنزل موجود هنا وكذلك آلات القرية ، وسبد  
هنا أيضاً أن الصنوج المكسورة قد دلفت مع الحوى تذكارات لأحزان  
الأحياء .

ويمثل المبني الحال مأوى لهذه المجموعة في النظار بناء صرح أكثر  
صالحية ، وفي نفس الوقت فإنه لو لم يكن هناك شيء يجرى السائح بزيارة

« ويذكر البرونز المصور أرض من راس هذين التلالين لـ » مجموعة الرجل بيضية  
الشكل ، وقد ظهرت فيها شذوات المظالم الجسدانيون بصموة بينما ارتفعت  
النبوءات التي في الجبهة في خطوط رأسية متساوية وهي عرضة إلى حد ما  
محصنة - وقد ظهرت الجيوب الأمامية القريبة من القف ، أما الجبهة فهي وقسمة ولكن  
غير بالبرية ، والفتنان أكثر لملته مما هو معروف لدى خالوية (البريين) لكن الفم أجبر  
ذلك - أما ملاحج التلال السبعة في من طرار يتفق مع ملاحج البرج ولكننا نضل على  
جمال والتعليق أكثر وضوحاً وملون بدرجة أخف من لون تلال الرجل ، ويكشف عن  
أثار ملابس الكحل والقر ترسنا للشمس - أما زوجة القردة فهي واضحة في مثل تلك  
القلة التي تكيف منها مريحة للعرض اللوني بسبب التنصن للموازل الجيدة ، إن اللون  
الأسلي للوجوه المصرية يظهر في حالات الحقيقة في تلال الأتيرة القسوة أكثر منه في  
تلال زوجة أو رافيا ، انظر The Ethnology of Egypt ، رالف ميركوب  
R. Owen ظهر في مجلة - Journal of Anthropological Institute . الطد

الربع - ثلث سنة ١٨٧٢ ، ص ٢٢٥ وما بعدها .

القاهرة فيلكي متحف بولاق وحده كمكان يستحق القيام بالرحلة من  
أوروبا - وأول جولة يتحتم على الإنسان أن يقوم بها عندما يعود إلى  
القاهرة ، وآخر جولة قيل أن يرحل عنها ، هي زيارة الجيزة ، ولا يمكن  
أن تشر بالتصميم من زيارة الأهرام ، وقد قضيت السيف ( ل ) والكاتبه هنا  
يومها الأخير في القاهرة ومعها الزوجان السعيدان .

وتركتنا القاهرة مبكرين لمقابلة أهل الريف أثناء قدومهم فوق ظهور  
الحمير ، وعربات الكارو المحملة بالخطرات ، والنساء المسجيات اللاتي  
يحملن السلال فوق رؤوسهن . وكان قصر المديو الجديد مرحباً بمسال  
البناء . وكانت فواقل الجبال تعمل كتل الأحجار الجيرية للبنائين . وبعد  
ذلك يأتي السهل الواسع المزروع بالقصب سواء ما كان منه أصغر اللون  
أو أخضر اللون . والفنادق الطويل المستقيم التي تقوم على جانبيه لأشجار  
السنط ، وخلف ذلك كله الهضبة الصحراوية والأهرام - صلتها من  
الفسح ، والنصف الآخر في البطل ذي اللون الذي يتراوح ما بين الرمادي  
والأخضر في مواجهة الأفق . ولم أستطع أن أفهم لماذا كان الهرم الثاني  
بالرغم من صغر حجمه وبمده ، يبدو من هذه النقطة أكبر من الهرم  
الأول ( ٢ ) . وبعد ذلك شاهدنا القلعة وقد غاصوا حتى الركبة وسط  
الأحجار الأرجوانية المتفتحة وهم يقطعون البرسيم ثم تحمله العمال وتطحن  
به بسيدا . وكانت الماهر والمجدوس ترعى في الأراضي الواسعة التي قطعت  
أشجارها ، ثم تأتي المقبرة التي في منتصف المسافة وقد استكانت بين  
أوراق الشجر الخضراء حيث كان الرجال والخيول يدرجون الماء . وسرعان  
ما سرما بمحاذاة بركة صالحة للنهر . كانت تمكس الأهرام على صفحتها  
مثل المرأة . وكانت القرى والحدود والقطعان ومزارع التخييل الواسعة ،  
وحقول القمح ، ومساحات الأراضي المحروقة والمكتروكة بفوح زراعة للراحة ،  
تتوالى واحدة بعد الأخرى . ثم يظهر المنحدر الرعلي مرة أخرى والحالة  
المختلطة للصخرة الصفراء القديمة ، والهرم الأكبر الذي كان يشرف علينا  
من ناحية جانبه الضليل ويحجب عنا ضوء النهار .

ولم تغفل السيدة ( ل ) أو الكاتبة إلى داخل الهرم الأكبر ، ولكن  
الرجل الكسول دخله في هذا اليوم . كما دخلته وصيفة السيدة ( ل ) في  
مناسبة أخرى . وأبلغنا كلاماً أن المكان خائف من الدخان ، وودي هذا

لمحت القمامة ، وسحب الاجهاد الى حوجة أنا كنا في كل مرة نتجاهل  
 المتحول ، وانهينا الزيارة دون ان ننتقله . أما الصعود فهو أكثر سهولة  
 لأنه بالرغم من ضخامة الكتل الصخرية إلا أنه لا توجد واحدة منها يصعب  
 أن تجد فيها مكانا تضع فوقه قدميك لكي تقسم المسافة . ولولا مساعدة  
 ثلاثة رجال من الأعراب لكان الصعود أكثر اجهدا . لما عن هؤلاء الرجال  
 غاتهم مهديون ويقسمون النور عند الحاجة ، وهم لذلك ويجيدون استخدام  
 الحبال التي تعلق أثناء قيادتهم لك من كتلة الى أخرى مستخدمين في ذلك  
 كافة اللغات الأوروبية .

وكننا نرد عليهم باستخدام بقية الميزة التي ذكرنا حصلها الاول  
 فكانوا يحدونها مرة أو مرتين ويحفظونها وهم في غاية الرضا . وقد  
 سألهم لماذا لم يذهبوا دوجيت في هذه الكتل الصخرية لاستخدامها مثل  
 الصلالم حتى تسهل تسلق الهرم . وكان الجواب جاهزا ومختصا :

« لا يا سيدي . انه من الصعب ان يسل الأعراب ذلك لأنه لو جربوا  
 هذه التوجات لأن العواجة سيصعد بفرد ، ولن يحتاج الى الأعراب  
 لمساعدته ، وبالتالي لن يكسب الأعراب المزيد من الدولارات » .

وعنه وصلونا الى القمة عرضوا علينا أن ينفوا التفسير الأمريكي  
 « Yankee Doodle » ولا عرفوا أننا الجليلر صاخوا قائلين : « ليحفظ  
 الله الملكة » . وذكروا لنا أن أمير ويلز اضلى ٤٠ جيبها استراليا لأعراب  
 الأهرام عندما جاء صا مع الأميرة منذ عامين ، وقد شككتنا في ذلك . وقد  
 قيل ان مساحة قمة الهرم الأكبر تبلغ ٣٠ قفصا مربعا ، وهي ليست مسطحة  
 كما كنت أتوقع . لقد بقيت بعض الكتل من الهماك الثاني والثلاثين أو  
 ثلاثة من التي فوقه ، وبذلك وجدتنا مقاعد مريحة ، وأركانا ظليلة . وكان  
 أكثر المناظر التي شاهدناها من القمة المارة هو القرب للمدخل من كافة مظاهر  
 الهرم الثاني . لقد كان يرتفع بجانبنا مثل الجبل ، ولكنه قريب لدرجة أنه  
 تبيأ في أبني يمكن أن السه اذا بسطت يدي نحوه . وقد ظهرت بوضوح  
 تام كافة تفاصيل السطح وكل شئ وبقية حلوة بلونين في البعض الآخر  
 الملصق بالقمة .

والنظر من هذا المكان شديد الروعة . فالأرض الزراعية مبسطة ،  
 والحوض شديد الضيق ، والنقطة التي تنف فوقها متميزة لدرجة أن لا تسام  
 يرى أكثر وأبعد مما يراه من فوق قمة جبل ارتقله عشرة أو اثنا عشر  
 ألف قدم .



أبو الهول والأهرام

ويظهر الأرض كما لو كانت تحت أقدامها مباشرة ، وتبدو لها من  
البعيدة كما لو كانت مرسومة على خريطة بخطوطية . أما التأثير فهو كما  
أظهر مثل تأثير سطح الأرض عندما تنظر إليها من داخل نالون ، ولا يمكن  
تكوين فكرة عامة واضحة عن الطريقة التي تم بها تجميع هذه البنية  
لندس بدون التصعود إلى قمة الهرم . ويرى من هذه البقعة كيف أن كل  
هرم يمكن محاط بماء مربع من المقابر الأقل حجماً ، بعضها على شكل  
أهرام صغيرة ، والبعض الآخر محفور في الصخر ، أو مبني فوق مصاطب  
ضخمة مثل الأحجار التي في صفوف المعابد .

أما يرى كيف وقد كل من خوفو وحفرع تحت جبل الأحكام  
الخاص به وحوله أفراد أسرته وسلاؤه ، كما يرى الطرق المرتفعة العظيمة  
التي حذبت عبرودوت نحو هذه المعصرة ، والتي استحدثت لاحتصار الأحجار  
الضخمة . وعرفنا موصوح كيف أن المكان عبارة عن مقبرة عظيمة  
مما جعلنا نحسب للأفكار التي يمكن أن تحول الأهرام إلى مرصد فلكية  
وبماذج ممتدة لقياس الأحكام ، أنها أضخم المقابر في تاريخ  
العالم كله (١) .

(١) أن الكلمة الإنجليزية التي تطلق على الهرم ( Pyramid ) ( بـيراميد ) والتي  
ذكرت هنا الكثير من الأبحاث اللغوية موضحة في برقية المتحف البريطاني الهندسية  
بأنها مصرية خالصة وتكتب بـير - أم - اس .

ويظهر رأس ( أبو الهول ) وسط منخفض ومن على مسافة قليلة نحو الجنوب . ويحتم هذا المارد الخزافي الذي يبدو أنه أقدم من الأهرام مرفوع الرأس مثل كلب الحراسة التي يتجه بانظاره نحو الشرق إلى الأبد كما لو كان ينتظر فجرا لم يَزغ نوره بعد (٦) .

وهناك منخفض في الزمالة القريبة يبين هذا الأكر العظيم الذي يطلق عليه خطأ اسم حيت ( أبو الهول ) (٧) .

(١) « On voit par une stèle du musée de Boulaq quel grand Sphinx est antérieur au Règne Cléopas de la 4e Dynastie. » Dic. d'Arch. Egyptienne Article Sphinx, P. Pierre, Paris, 1875.

[ يتكلم عن أبي حاريص وهو أيضا رائي الهرميسور حاسيوس في تمثال أبي الهول يعود تاريخه إلى عصر « الكراع حورس » أي عصر ما قبل التاريخ عندما كان يحكم مصر عدد من الرعاة الصغار ، قبل أن يوجد فيها الإقليم الفضية في مملكة واحدة . وأصبحت هذه الإقليم فوملا أي مقاطعات تعود إلى بداية التاريخ الحديث . كما صار الرعاة القدماء القطاعيين نمدا مستقليين ، كما هو الحال في ملكهم للكثيرية وأصبحتهم للراعية على أهل الأسرة الثانية صفرا ( ملحوظة مضافة إلى الطبعة الثانية ) ] .

وله حالت مختلفا معني اسم ( أبو الهول ) التي طلق للدراع حولها ، علما بأن مصر يوجهه حسب نفس وجهه في اتجاه ، أن ( أبو الهول ) يمثل تجسد حورس الذي امتد شكل أسد يهراي لمساق لكي يخلق حد ( تافون ) وكان حورس يعيد بهذا الشكل إلى مقاطعة ليهوتوبويس . وله ورد في لوحة منقوشة بولاق التي سجل ذكرها والمعروفة باسم حجر خوفو ، أن ( أبو الهول ) المظلم هـ عرف باسم حرم حور - لم - خو - أي حورس الذي في الأقال . وتعود هذه التسمية إلى الاتجاه الذي يتخذ التمثال . ولقد جرت تمايلات من السبب الذي جعل التمثال يتجه إلى الشرق . ونحن أن الانجابه ستكون أن حورس الذي يتقدم إليه أوزيريس ينشر إلى الشرق محتفرا عربة أبيه من المسلم السطى . كان حورس هو الذي حكم مصر ولذلك قد اتخذ كل فرعون لقب حورس الحي ، الصغار الخديجي . الخ ولذلك كانت ملابح تلك الصالحات تتخذ دائما شكل ( أبو الهول ) عند التسيير عنها في الأعمال المصرية كما هو واضح في مبادئ الفكره ، وراعي المروج ، والقيس . الخ . الخ .

(٧) من المؤكد أنه ليس محيدا ، وربما كان محطبة أو شيكلا كتصميم القرابين ، أنه يبدو الوجه بالظاهر وقد بني كله بأحجار شديدة الصلابة من الرخس والجرانيت الأحمر . ختمته في أشكال مربعة ، ووضعت بيسطة مثل رجمة الأحجار التي في السور فسملا ساليوروس بجبلنرا . والتي تعود إلى عصر ما قبل التاريخ . وهو يكون من قاعة امامية ، وهي للأمنه والآلات حجرية وكيفية رومض الحجرات الاصلى جسا . وتجربا سحرى وحاللة . وتحتوى للحجرات على قوائم القبة من السحب القزلى لها كانت محبسة لفره . لا استكمال المرحولوك . وله وجدت في قاع البحر ثلاثة تماثيل للملك خفرع نصفها من التمثال النصفى المظهر للفسوخ من حجر كيبوريت والآخر من حليا يستلم بولاق . وله تكم صهر وهو يلقى مرفال في شمال مقبور ومجلة . Revue Arch.

وعلى أعلى سطح في هذه الهضبة الصحراوية ، يعلو إلى الغرب ،  
يقع هرم منقرع الذي لم يفقد من ارتفاعه الأصل إلا حسنة أقدم ، ولكنه  
يسو من هذه المسافة كاملاً تماماً .

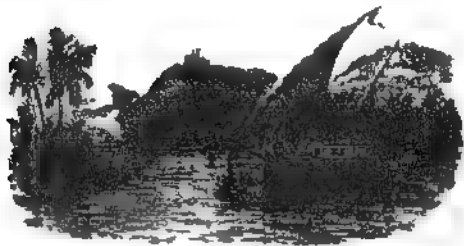
وهذه الأبنية الباقية على الدوام في متاحة الصحراء ، هي  
أول ما وقفت عليه أعيننا ، والمنظر بوجه عام يزيد في الطول من  
المرى ، وتحت الصحراء الليبية من الجانب الغربي ، وتلال العظم من  
الجانب الشرقي . وعند سفح هذه التلال الصفراء التي يفصلها عنا السهل  
المزروع الذي عبرناه عند حضورتنا ، يقع القامرة بقيائها اللامعة التي ترفق  
بسطها من حلال الضباب الذي يثيره ضوء الشمس . ويطل على هذه المدينة  
الخطية مسجد الفلحة بمآذنه التي تلمس أشعة الشمس وهي تنفق عنان  
السحاب الصفافية . وعلى البعد في اتجاه الشمال تقع مزارع النخيل الظليلة  
التي تمر عليها العين واحدة بعد الأخرى حيث تفقد اتجاهها في مناطق  
الدلتا السوداء الخصيبة . أما في الغرب والجنوب فلا توجد إلا الصحراء  
المتداخلة . وكيفاً عند موطئ القدم هنا متاحة واسعة من الوديان  
والمندوبات ، مع أنهار وبحار من الرمال تلتطمح هنا وهناك حواف سادة  
من الصخور ، وتلال من أحجار الأطلال ، والتلال للفتوة . وهناك حط  
لدى يفتق حالة هذا العالم الساكن ويضمحل في اتجاه الجنوب في  
الضباب المختلط بضوء الشمس الذي يلعب في الأفق البعيد .

ولرى على شال هذا الخط الذي يحاجر طرة الصحراوية ، ولحبل  
من الذي يشبه ريش الطيور . كما تقع أمراء ( أبو صير ) وسقارة  
ودمشور أعلى الهضبة الصحراوية . وقد ظهرت كل مصطبة من مصاطب  
هرم نيفيس ( زوسر ) من خلال الضوء والظل في بساطة متعاضدة .  
وكذلك قمة هرم دمشور العظيم التي تشبه أكمة . وحتى الخرافة التي  
بجانبه المكونة فيها قوائم الطوب والتي حسنها صخرة سوداء مزلزلة  
موجودة وواضحة تماماً . ويقف بعيداً عن هذه للمالم كلها مثل برج بابل  
الذي لم يكتل بنائه ، هرم ميموم شاحب وسط السوداء الظهيرة المرتجلة .  
وكانت عيوننا تنجس إلى هذه الناحية إلى اتجاه البحراء الخرافية للأطراف

٥٠ ( الجبل العباسي والحميري ، باريس ، سنة ١٨٢٢ ) بوشوح بن محمد ( أبو الفول )  
لجس في حقيقة لا تليق من تاريخ الهرم الثاني . ومن الممكن أن تكون الفيلكات  
في ميموم ليستند إلى الفلحة بالية الله يخرج التي من القوي أن تكون ميموم به  
دعته الجبل العباسي



والتي تتحفي خلف أسوارها التي ترسل الصو. والهدوء ، الى نهر النيل  
عندما تسطع مرة ثمانية ، ومرة ثالثة ، حتى ينصهر أخيرا عند تلك المسافة  
البعيدة الساحرة التي تقع بعدها طيبة وفيلة ، أبو سنبل .



## الملاحق

### الملحق الأول

#### خطاب المحترم ماك كالوم الى معرو جريدة التايمز

سيدى :

لدى يوم قرائك أن يملوا أنسى وجدت فى الجانب الجنوبي من المبدع الكثير فى أبهى سبيل المداخل الى جيرة ملونة منحوتة فى الصخر إبعادها ٢١ قدما ، ٢١ بوصة فى ١٤ قدما ، ٨ بوصات ، وارتفاعها ١٢ قدما حتى قمة المقعد . وهى منحوتة وملونة حسب أحسن طرازات الفن المصرى فى أزهى عصوره . وتحمل الصورة النصفية للملك رمسيس الأكبر وحرابطشه وهى سليمة تماما . وتلى هذه الحجره خرابث غرفة رئيسية ذات سقف مقبب مصنوعة من الطوب الجفاف فى الشمس ومتصلة ببلايا ما يبدو أنه حائط ضخيم أو بوابة يتضمن مدرج سلالم ينهى الى مقبب مقبب يقود الى الحجره الرئيسية التى سبق ذكرها من قبل .

وكان مدخل الغرفة المنقوشة ومدرج السلالم والمقعد المقبب ، جميعها مدفونة فى الرمال والأتقاش . ويبدو أن الغرفة كانت مغطاة ومتروكة منذ زمن بعيد حيث كانت كلها لا تشوبها مخربشات السباح الكباش والمحدثين . ولم يكن مدرج السلالم قد فتح حتى يوم ١٨ عندما اكتشف واحد من وجهاء مجوسعتنا نظام لمرآة وطلل ومعهما جرتان لحفظ الأعمدة . وجميعها مدفونة فى الرمال . ولا شك فى أن هذه كانت مغلقة تابعا . سوله . كانت هذه الغرفة المنقوشة هى الهيكل الداخلى لمبدع صغير أم حزه من طيرة أم مجرد متارة صغيرة مثل المزارع المشهورة فى ابريم . فانها ستكون محل حفاظ مستقبله لتقرير ماهيتها . ويسعدنى يا سيدى أن تكون ..... الشخ .

انعمو ماك كالوم

كرووسكو - القوية - ١٦ فبراير سنة ١٨٧٤

## الملحق الثاني

### مجمع آلهة قدماء المصريين

تتكون آلهة قدماء المصريين من آلهة صماءة ، ولوحية وجهتية مع العديد من الشخصيات السلبية سواء منها ما يمثل الآلهة المظلمة أو الآلهة الأخرى القائمة لها . وكانت معظم الآلهة مرتبطة بالشمس وتمثل ذلك الجرم السماوي في مساره من خلال نصف الكرة الأرضية العلوي أو السماء ونصفها السفلي أي الجحيم ( هاديس ) وينتسب إلى آلهة الدائرة العظيمة التي كانت تمجد في طيبة وعليوبوليس ، وقد رتبت الآلهة حسب عبادتها المحلية في مصر إلى ثلاثيات محلية مثل ثلاثت صنف المتمثل في الإله بتاح ووجهه مريبتاح وإلهما نفر آتوم ، كما أنها كانت تمثل ثلاثا يضاف إليهما أحيانا الآلهة بسمت أو بوياسيتيس . وفي أبيدوس كان الثلاث للجل مكونا من أوزيريس وإيزيس وحورس ومعهم نفثيس . وفي طيبة كان يوجد آمون رع أو آمون وحوت وخونسو ومعهم نيس . وفي القننين كانت توجد الآلهة نيف ، وأنوكا ، وسيتي ، وهاف ، وتجد أن أسماء الآلهة كانت في معظمها مصرية المعنى فمثلا بتاح يعني : الفتح ، و آمون يعني : الخفي ، ورع يعني الشمس أو اليوم ، وحشور يعني منزل حورس . ولكن القليل منها خاصة في الصور المتأخرة كان مرتبطا بأصول سامية مثل بمل وعشتاروت أو عشتار وخيف أو كيون ، ودمبو أو دسيف . وإلى جانب الآلهة الرئيسية دخل إلى التنظيم الديني العديد من الآلهة السلبية أو الضريبة Parhedral كان بعضها يجسد أحيانا القدرات ، أو الحواس ، أو غيرها من الأشياء ، وكذلك المردة أو الأرواح أو يجسد أرواح الآلهة ، في فترة تالية انقسمت الآلهة إلى ثلاث رتب : الرتبة الأولى أو العليا تكونت من ثمانية آلهة كانت مختلفة ما بين الطوائف للمسي والخطيين . كان المفروض أنها تحكم مصر قبل عصر الفناء . وكانت آلهة الطراز الأول في صنف هي : ١ - بتاح ، ٢ - شو ، ٣ - نفرت ، 1 - جب ، ٥ - موت ، ٦ - أوزيريس ، ٧ - إيزيس وحورس ، 8 - حشور . أما آلهة طيبة فكانت : ١ - آمون رع ، ٢ - حنسو .

٣ - آتوم ، ٤ - شو وتفتوت ، ٥ - جب ، ٦ - أوزيريس ، ٧ - سمه  
ولفتيس ، ٨ - حورس وحتمور . فقد كانت آلهة الطراد الثاني يبلح  
عندما اثنى عشر دالها ولكن لم يكن من بينها أسماء مصرية سوى اسم  
واحد فقط هو اسم مركبولس ( حردل ) وقد ورد أن الطراد الثالث  
كان مكرسا من أوزيريس الذي يظهر منضمما إلى الطراد الأول . انظر  
كتاب *Guide to the first and second Egyptian Rooms* ، دليل  
الفرقتين المصريتين الأولى والثانية بالمتحف البريطاني تأليف س . بيوش -  
سنة ١٨٧٤ .

والشهر الآلهة التي ظهرت على الآثار هي بتاح وشيوم ورع وأمون  
رع وعنه وفوزيريس ونفر آتوم أو آتوم وتحتوت وجب وست وجوسو  
وحورس وموت ونيت وايزيس ونوت وحتمور وباست . ويمكن التعرف  
عليهم بالصفات الآتية :

بتاح : في شكل مومياء ممسكة بالسيف الذي يطلق عليه  
البعض اسم عتياس النيل بينما يطلق عليه آخرون اسم رمز الاستفراء .  
وهو يسمى « أبو كل البهايك وخالق بيضة الشمس والقمر » . وهو  
الآله الرئيسي في منف .

خنوم : له رأس كبش ويدعى صانع الآلهة والبشر وروح الآلهة ،  
وهو الآله الرئيسي في الفتنة والشلال .

رع : له رأس صقر ومنوج بقرص الشمس وتحيط الحية بالكرسي .  
وهو موزع ومنظم العالم . وكان يعبد في مصر كلها .

أمون رع : على شكل إنسان وهو متوج بغطاء للرأس ذي قمة  
مسطحة وانتهى من ريش الطيور فيه وضع مستقيم ويلبس ثوبه قصير .  
وكاسه بشرته نلوان أحيانا باللون الأزرق . وتوجد أشكال كثيرة من هذا  
الآله ولكنه يوصف بأنه ملك الآلهة . وهو الآله الرئيسي في طيبة .

مين : له شكل مومياء إنسان ويلبس رداء الرأس الذي يلبسه آمون  
رع ويده اليمنى مرفوعة وهي تمسك بسيف حورس الجديوب . وهو آله  
الانتاج والتوالد وهو الآله الرئيسي لمدينة أخميم . وقد توحد في الآله  
أمون في العصور المتأخرة وأطلق عليه اسم : آمون حيم .

**أوزيريس :** له شكل إنسان ، في وضع المومياء ومتوج بإصح  
مخروطي الشكل ، ويمسك في يده مغرب دوس الحبوب والمسا التي  
يستخدمها الرعاة ويسمى الكائن الطيب ، والسيد الذي يملو فوق  
الجميع ، والسيد الأرحم ، وهو إله العالم السفلي وقاضي محكمة الموتى  
وممثل الشمس تحت الأرض ، ويصعد جميع المصريين القداماء وهو إله  
المحل في أيبثوس .

**نفر آتوم :** له رأس إنسان ومتوج بخطه الرأس المعروف لدى النصارى  
المصريين « بشمت » - وهذا الإله يمثل الشمس الفجرية أو الشمس  
التي تهب لتشرق العالم السفلي - وهو الإله المحل في هليوبوليس .

**تحتوت :** في شكل رجل وله رأس إيس ويرسم في المادة مسكنا  
بلحم ولوح الكتابة اللذين يستخدمهما الكاتب ، وكان هو إله القمر وإله  
حروف الكتابة وهو الإله المحل في ميسون أو هرموبوليس .

**صب ( جب ) :** إله الآلهة وإله النباتات الأرضية ، في شكل رجل  
مل رأسه إبرة .

**صت :** يرمز له بعبوان رمزي له كلمة ولذان مثل إيس آوى ، وله  
جسم حمار ، وذيل منتصب مثل ذيل الأسد ، وكان في الأصل يشبه  
إله الحرب ولكنه في المصور الأخيرة حمار ومزلة للحبر وهذا لأوزيريس .

**خونس ( خونسو ) :** له رأس صقر ومتوج بقرص الشمس والكرنيز  
ويصور أحيانا على شكل حمار معه كالون واقفا فوق تساح .

**حورس :** يظهر على شكل حورس أوزيريس أي المتوج أو حورس -  
حربوتراط ( Harpocraten ) أو حورس الطفل ، وهو يصور في  
الشكل الأولي على هيئة ورجل له رأس الصقر ويرتدي تاج التوجين  
الردوج ، أما في الشكل الأخير فيظهر كطفل معه الكالون ، وهو الإله  
المحل في منفو وهي ( أبولينيوبوليس مابدا ) .

**موت :** امرأة ترتدي داء فضفاض وتلبس غطاء الرأس الفرعوني  
المتد تحت تاج على شكل نسر ، وكانت تعبد في طيبة .

**نيت :** امرأة ترتدي داء فضفاض وتلبس إحسانا بالقوس والسهم  
وهي متوجة بتاج مصر السفلي وهي تترأس على الحرب والأموال المستخدمة  
في التسيج وكانت تعبد في طيبة .

**ايزيس :** امرأة متوجة بقرص الشمس وتجلس على عرش وأحياناً  
سحب بها القرون وكانت تعبد في ايبيلوس وفيلة وقد سكنت زوجها  
-سوتيس اى نجم الكلب \*

**نوت :** امرأة منحنية بحيث تلمس الأرض بأصابع يديها ، وهي  
تمثل قبة السيد وهي أم الآلهة \*

**حتحور :** لها رأس نمرود ومتوجة بقرص الشمس وريش الطيور .  
وهي إلهة أمتي أو العالم الآخر لدى علماء المصريين وكانت تعبد في  
دندرة \*

**باستت وسفثت :** يبدو أن باستت وسفثت شكلان لآلهة واحدة  
لأن سفثت تصور في شكل امرأة لها رأس اعد وعلى رأسها قرص الشمس  
والحبة ، بينما باستت لها رأس قطرة وتمسك بالصلصل وهي تعبد في  
بوياستس ( تل بسطة ) \*

## المحقق الثالث

### العقيدة الدينية لدى القدماء المصريين

هل كان القدماء المصريون يؤمنون بإله واحد ، كانت صفاته ممتدة في آلهتهم المتخصصة ؟ لم أبى البناء الكلى لمفاهيمهم كان معقودا على أسطورة شمسية بكافة تشعباتها المختلفة والمتنوعة ؟ وهذه هي مشكلة علمي للمصريين الموصفة وهي مشكلة لم تحل بعد . ويختلص عليه المصريون بقصة حول هذا الموضوع بحيث أصبح من المحال التوفيق بين آرائهم ، لدرجة أن وصف أي مذهب يستكمل مفهوم المودة إلى حد السالبة المهمة . ولما كان السؤال نفسه يقتصر كل رأي يتكون من مصر القديمة والمصريين القدماء فقد ذكرت في أد أجمع هنا بعض المقطعات المجرى من كتابات واحد أو اثنين من كبار المؤلفين الذين تعرضوا للموضوع .

● تكون رواية المصري القدماء من الإيمان بألهة متعددة ممتدة في سلسلة من المجموعات المحلية . وكانت فكرة عبادة إله واحد قائم بداته موجودة في معظم مفاهم الآلهة الرئيسية الذين قيل عنهم أنهم أصبحوا آلهة أخرى ورجالا وكافة الكائنات والأشياء . وكانت القصص هي أكثر الأشياء التي صنفوها في أشكالها المختلفة مثل الفروق ، ووسط النهار . والعروب تمت أسماء مختلفة وكانت موحدة خاصة في طبيعة مع أشكال الآلهة الأخرى مثل آمون ومننو . لما أقدم الآلهة وهو الإله بتاح الذي كان يسكن في منف . فقد كان هو خالق السماء والأرض والآلهة والبشر . ولم يكن موحدا مع الشمس . ويصاحب عبادة الآلهة السلاوية انتشرت عبادة أوزيريس وإلى جانبها عبادة خصمه ست ، القبطان المصري . قرين الروح . وقاضي المستقبل ، والجسيم ( هاديس ) والمال Ashlu أي القردوس . والاتحاد الأخير للروح مع الجسد بعد غياب قرون عديدة . ولدى جانب آلهة السماء والنور ، والعالم السفلي ، كانت هناك آلهة أخرى تجسد عناصر أو عمليات الطبيعة ، والفصول والإحداث . عن كتاب : *Guide to the First and Second Egyptian Room* ، لتلف البريطاني - تأليف من - بيرش ، سنة ١٨٧٤ .

● \* كانت هذه الديانة المحلطة بالعديد من الأساطير المتعددة لادماج مع تصورات طبيعية متناقضة لم يتم تطبيق أى منها بشكل واضحى ، أما الذى لا يشك فيه وهو ما يظهر لنا كذلك من النصوص ويلاقى قبول العالم كله ، فهو الاعتقاد فى إله واحد - أما بعدد الآلهة فهو مجرد مظهر خارجى - أن الآلهة المتحدة ليسب إلا نوعينها للكائى الواحد حتى قدراته المختلفة - وهذا الاتجاه نحو الرمز للمعنى الحقيقية بمرور محسوسة ، وهو الذى ابتقت منه اللغة الهيروغليفية ، قد أوجد تشابها فى التعبير عن الفكرة الدينية ، وهذه الفكرة قد احتلت فى المصور الأخيرة ذوا رميات متعددة » .

عن كتاب العالم ب - بيغ . Dictionnaire d'Arch. Egyptienne .  
للنشور سنة ١٨٧٥ وقد توجمت عن ثلاثة التى تحت عنوان: . Religion .

● \* كان إله قدام المصريين واحدا ، وكاملا ، ومانحا للمعرفة والدكا ، وأيمه ما يكون عن النورس بحيث لا يستطيع أحد الحديث عن القموض . إله الواحد الذى يوجد بالظهور ، والروح الواحد الذى يعيش فى جميع الماديات - والموالد الوحيد فى السماء والأرض الذى يلد أحد ، وهو أبو الآباء وأم الأمهات ، وهو جاتم الوجود والكمال الذى لا يتغير ، وهو الموجود فى الماضى والحاضر والمستقبل ، وهو يسلا الكون بحيث لا نستطيع أية صورة أرضية أن تعبر عن حبه الكبير ، وهو مرحود بحيث تفسر بوجوه فى كل مكان ولكنه إله محسوس فى أى مكان » .

عن كتاب العالم ج - فاسبيرو Histoire Ancienne des peuples  
de l'Orient - نشر فى باريس سنة ١٨٧٦ ، الفصل الأول - ص ٢٦ .

● \* من سوء الحظ أننا كلما تعمقنا فى دراسة ديانة قدام المصريين ، ازدادت شكوكنا حول المواقف التى يجب أن نتخذها حيالها . لقد استمرت الخطائر منذ زمن طويل فى دنبرة داخلو وكشفت لنا صديا غريبا للمادة العلمية » .

إن جدين المصدين تظليهما التبعيض مثل كتابين ثارت مادتهما حول الآلهة التى جيمس لها المصددين ويوجدان أيضا فى الحقيقة فى تقاضيهما العامة - ولكن لا يظهر من خلال جذرى المصدين ولا المعابد الأخرى التى عرفناها منذ فترة طويلة ، إله الواحد - وإذا كان آمون » بداية البدايات »



فى طيبة ، ولذا كان يحتاج فى منف هو « أبو جميع الكائنات ، الذى ليس له بداية ولا نهاية » فإن كل إله مصرى آخر كانت تنسب له هذه الصفات الوحداية . ويمسى آخر فائنا نجد فى كل مكان آلهة ثم يخلقها اسمه وهى حية لا تموت . ولا يجد فى أى مكان هذا الإله الواحد غير المرنى الذى ليس له اسم أو شكل ولقروى أنه يحوم قوس القبة العليا لجميع الآلهة المصرية . وقد تم الكشف حاليا عن عديد دفنة وتم الوصول إلى نهاية نقوشه المنفية ولكنها لا تتضمن أثرا لهذا الإله . والنتيجة الوحيدة التى يمكن أن نتوصل إليها هى أن العالم ( من وجهة نظر قلمه المصرى ) كس هو نفسه الإله وأن هذا التعدد يمثل أساس ديانتهم .

عن كتاب العالم ١- عازيت بك Itinéraire de la Haute Egypte  
- نشر فى الإسكندرية سنة ١٨٧٧ - ص ٥٤ -

● « إن الشمس هى إلهم الآشياء التى عيها المصريون القدماء كما وجدت على الأكلز . كانت هى الإله الذى يولد كل يوم علما يسرغ من حض السماء ليلا . وكانت ولادته هى الرمز الطبيعي للوجود الأبدى للأروحية ، ولذلك أصبحت السماء هى الأم المقدسة . لقد كانت على وجه الخصوص هى السماء الليلية التى تجسد فى حلم الشخصية . وكانت اشعة الشمس وهى توقف كافة مظاهر الطبيعة تغطي العبادات للكانات الحية . ومع أن ذلك كان فى الأصل مجرد رمز ، إلا أنه كان هو أساس العقيدة الدينية . إن إله الشمس نفسه هو الذى نجده مثلا فى شكل الكائي الأعظم . لما بقية اسمه المصرى رع فقد كان يضاف إلى اسمه آلهة محلية هامة . مما يكشف لنا أن اسمه المعروف يمثل حقة ثانية فى تاريخ ديانات ولدى النيل »

عن كتاب الفايكوت ١- دى ووجيه Notice sommaire des monuments  
Egyptiens d' Louvre - نشر فى باريس سنة ١٨٧٣ - ص ١٢٠ -

وعلى ذلك فإن هذه الديانة سواء آكانت ترتكز على خرافة شمسية أم على عقيدة أصيلة فى الإيمان بالله روحى قد أصبحت مادة ضخمة فى تطوراتها الأخيرة وهو ما يفسح بطلا لكل دارس للأثار . وقد أورد مسيو ماسبيرو التعليقات التالية فيما يخص بتدهور وإنحطاط العقيدة القديمة :

« وعلى مدار القصور ، أصبحت مفاهيم العقيدة غامضة ، بينما ظل مفهوم الألوهة الذى رعاه قلمه للفكرين المتأديين فى مصر القديمة

واضحاً هنا وهناك من النصوص التي يعود تاريخها إلى العصر اليوناني الروماني . وتبرز من المميزات والمصنفات غير الكاملة على أن المباني الأساسية للديانة المصرية ظلت موجودة - وبالنظر إلى الكثير من هذه المميزات لم يعد لدينا ما نفعله إزاء الآلهة القديمة غير المحذوف والذي لا تتركه النصوص ، ولكننا نجده أنفسنا أمام آله من لحم ودم يعيش على الأرض واكتفى بأن يجعل نفسه مجرد ملك من البشر . ولم يعد هو الآلهة الذي لا يعرف أحد شكله أو ملأته : إنه الآلهة حنوم في أسسنا ، والآلهة حثحور في دنكرة ، وحورس ملك الأسرة الإلهية في أدفو . وهذا الملك لديه بلاط وورثه وجيش ومسطول . أما ابنه الأكبر حور حات أمير كوش وورث العرش قائله يقود الجيوش . ووزيره الأول تحوت مخترع حروف الكتابة فإنه يملك في أطراف أصابعه الجغرافيا وفي الخطابة . وهو الموزع للملكي والمؤتمس على واجب تسجيل انتصارات الملك والاحتفال بها بصوت مرتفع . وعندما يقسم هذا الملك حرباً على جاره ينفون لا يستخدم الأسلحة الإلهية إنني يجب أن نعتبرها موهبة يمكن أن يوزعها حسب إرادته ، وإنما يستلزمي رعاة السمهام والمجالات الحربية ويصطد الفيل في سفينته الشراعية يصنعه آخر فرعون جديد . ويرجى المشاة ويمرأى المشاة وينارب في معارك ذات خطط موضوعة ، ويعدل الفتن بواسطة الماحلة وينضمح مصر كلها تحت حكمه . وترى هنا أن المصريين في العصر البطلمي قد آمنوا إلى آله أحدادهم الواحد سلسلة من الملوك والآلهة ، وأما هؤلاء الأساطير الحديثة فيشهد من التفاصيل الخيالية .

عن كتاب : ج . ماسونو Histoire Ancienne des Peuples de

l'Orient - نشر في باريس سنة ١٨٧٦ - الفصل الأول من ٥٠ - ٥١ .

## ملحق الرابع

### تكوين التاريخ الزمني لدى المصريين القدماء

• لقد ظل تكوين تاريخ الأحداث في مصر القديمة محل مراع لمدة قرون ، فلم تكن لدى المصريين سنة دائرية ؛ ولكنهم أرحوا يستنوت حكم ملوكهم . أما المصادر الأساسية الاغريقية فكانت هي سجلات بطليموس التي دونت في القرن الثاني بعد الميلاد وقوائم الأسرات التي ألفت من كتاب تاريخ مانيشون وهو كاهن مصري عاش في مصر بطليموس فيلادلفوس ( ٢٨٥ - ٢٤٧ ق.م ) . وقد أثارت النقائض الموجودة بين هذه القوائم والآثار ، المديته عن الأفكار والأخطاء التاريخية ، أما النقاط التي تصعد الأسلوب الرئيسي لمعرفة التاريخ عن طريق الآثار ، فهي غزو قمبيز لمصر سنة ٥٢٧ ق.م ، وطفولة حكم سمنطيك الأول سنة ٦٦٥ ق.م ، وحكم طهرقا حوال سنة ٦٩٣ ق.م ، وحكم بوخوريس حوال سنة ٧٢٠ ق.م ، وتزامن حكم شاشناق الأول مع الاستيلاء على اورشليم حوال سنة ٩٧٠ ق.م . أما المصادر الأساسية الأخرى التي تلقى الضوء على الأجزاء الأخرى من التاريخ فهي اللقائف المكتوبة عن ثورة سوتيس أو نجم الكلب في أيام توتنيس الثالث ورمسيس الثامن والثالث والسادس والخامس . والفترة التي تقدر بأربعمائة عام من عصر رمسيس الثاني إلى عصر ملوك الرعاة ، والألواح الجنائزية للممبل أبيس في حميد السرايوم ، وقوائم الملوك في مسقارة وطيبة وأبينوس ، والمرسوم التاريخي للمفون في بردية تودين وغير ذلك من الملاحظات المتعلقة بالأحداث . ولكن لا توجد تواريخ محددة للأسرات السابقة التي يمكن الاعتماد عليها عن طريق الآثار ، أما تلك التي وردت

حتى ذلك الحين، فالمقروض أنها لا تمنع فحص مدى مسحة الاستعدادات التاريخية أو الفنية . \*

عن كتاب : المعالم يروش : Guide to the First and Second Egyptian Rooms - المتحف البريطاني نشر سنة ١٨٧٤ - ص ١٠ .

ويكفي للدلالة على الاختلاف الواضح في الآراء التي تدور حول هذا الموضوع ، أن نجد علماء المصريات الآن وحدهم يختلفون فيما بينهم حول تاريخ الملك مينا ( قول ملك أسيل في الإمبراطورية القديمة ) إلى مدى التالي . \*

بوغ	يضع مينا في سنة ٥٧٠٢	ق.م. *
أنجر	يضع مينا في سنة ٥٦١٣	ق.م. *
بروجي	يضع مينا في سنة ٢٤٥٥	ق.م. *
لاوت	يضع مينا في سنة ٢١٥٧	ق.م. *
ليسيوس	يضع مينا في سنة ٢٨٩٢	ق.م. *
بسنج	يضع مينا في سنة ٣٦٢٢	ق.م. *

وبالرغم من أن مارينيت كان يعرف الحاجة للانتباه الشديد عند قبول أو رفض أى من هذه الحسابات إلا أنه يميل إلى الإفراط على قوائم مايشوى التى تبين نوايا أسرار الأربع والثلاثين الموقعة . كما يلى :

الدولة المستفيدة			الدولة المقيمة			
الاسرة	العلامة	التاريخ إلى - من	الاسرة	العلامة	التاريخ إلى - من	
١٨	خفية	١٧٠٣	١	ليس	٥٠٠٤	
١٩		١٤٦٢	٢		٤٧٥١	
٢٠		١٢٨٨	٣		٤٤٤٩	
٢١	كاثوليك	١١١٠	٤	مكف	٤٢٣٥	
٢٢	بروتستانت	٩٨٠	٥		٣٩٥١	
٢٣	ناليين	٨١٠	٦	للكنيسة	٣٧٠٣	
٢٤	سكوتس	٧٦١	٧		٣٥٠١	
٢٥	اسرة لادويج	٧١٥	٨	مكف	٣٣٥٨	
٢٦	سكوتس	٦٦٥	٩		٣٢٦٠	
٢٧	اسرة من الفرس	٥٢٧	١٠	شيراكايويويوس		
٢٨	سكوتس	٤٠٥				
٢٩	مكشوف	٣٩٩	الدولة الوسطى			
٣٠	من سكوتس	٣٧٨				
٣١	اسرة من الفرس	٣٥٠	١١	خفية	٣٠٦٤	
الدول الثلاثة			١٢		"	
			١٣		٢٨٥١	
			١٤	اكسوس	٢٣٩٨	
٣٦	من المكشوفين	٢٣٢	١٥			
٣٧	من الاسرى	٢٠٥	١٦	ملوك فرنسا	٢٢١٤	
٣٨	من المرومات	٢٠	١٧			

وتتعارض مع هذه التواريخ ، القائمة الموجزة التي جمعها مسيو شاپاس وهي تبين السقة ما يمكن أن تطلق عليه اسم قائمة المدرسة الوسيطة لملم المصريات - وقسمها مسيو م - شاپاس « ليس كمشاهدة للتأريخ للأنتية » ولكن لمحاولة في تجميع الفترات التي من الضروري تحديدها بالتقريب :

٤٠٠٠ ق م	حيثما وثيقة الدولة القديمة
٣٨٠٠	بناء الأهرام القديمة
٣٨٠٠	الأسرة القديمة
٣٤٠٠	الأسرة القديمة عثر
٣٠٠٠	عثر
٢	عثر
١٨٠٠	عثر
١٧٠٠	عثر
١٤٠٠	عثر
١٤٠٠	عثر
١٠٠٠	عثر
٧٠٠	عثر
٦٠٠	عثر
٥٠٠	عثر
٤٠٠	عثر
٣٠٠	عثر
٢٠٠	عثر
١٠٠	عثر

## ملحق الفهرس

### التاريخ المعاصر لمصر وما بين النهرين وبابل

لقد ظهرت الى النور لمادة شديدة الأهمية الى معلوماتنا عن التاريخ لتاريخ مصر المزامن مع تاريخ فلسطين وسوريا وما بين النهرين وبابل خلال هذا العام ( ١٨٨٨ ) بالاكشاف العظيم للآلواح المسارية التي وجدت في تل العمارنة بمصر . وتتكون هذه الآلواح في معظمها من خطابات ورسائل أرسلت الى أمحوتب الثالث وأمحوتب الرابع ( حو - اى - آتون ) ( اى آخسالكون ) من ملوك بابل وأمره وحكام فلسطين وسوريا وما بين النهرين . وقد كان بعضها معلنوا الى أمحوتب الرابع ( حو - اى آتون ) من يورتا - يورياس ملك بابل الذى عاش حوالى سنة ١٤٣٠ ق.م. وهذه تمطيا تاريخ حياة أمحوتب الرابع ( آحانوى ) وحكمه . وما يترتب على ذلك من التوصل الى التاريخ القريبى لانفساء المدينة التي تعرفها باسم تل العمارنة وتسمى عينة قرص الشمس الجديدة وهي أقدم مقارنة رسمية بين تاريخ مصر القديمة وبعض الدول المعاصرة لها .

ومن هذه الآلواح تعرف أيضا أن زوجة أمحوتب الرابع كانت أميرة سورية وهي ابنة دوشراتا ملك لهاربيا ( سميت في الآلواح باسم « أرض ميقاتي » ) في أعالي الفرات . وللمصنف على وصف كامل وعلمي لحضر هذه الوثائق المكتشفة حديثا انظر ورقة الدكتور اومان التي عنوانها : Der Thantafelfund von Tell Amarna التي قرئت أمام أكاديمية برلين في الثالث من شهر مايو سنة ١٨٨٨ .















مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١١٨١٩/١٩٩٧

1 — 9895 — 01 — 977 — ISBN



صاحبة هذا الكتاب عاشقة لمصر ...

قبل أكثر من مائة عام قضت إميلي إدواردز إلى مصر مفعمة  
بشوق متدفق لرؤية آثار حضارة الفراعنة التي كانت أسرارها قد  
بدأت تنكشف رويداً رويداً آنذاك بعد أن توصل العلماء إلى حل  
شفرتها. وقد تحلت هذه السيدة بروح جسورة جسارة جعلتها لا تأبه  
بتقاليد العصر الفيكتوري المتزمت فلم تتردد في أن تكبوس تلك  
الرحلة الطويلة عبر صحراء مصر وحتك أعماق النوبة في مركبة نيلية.  
وقد اختارت اسم الألف ميل عنوان لرحلتها حتى تشك بطولها.

وبقلوبها الرشيق حفظت لنا صورة للحياة في صحراء مصر في  
أواخر القرن الماضي وصورت لنا آثارها العامة.

وقد كانت هذه السيدة من مؤسسي «مندوق اكتشاف مصر»  
وهذه جمعية علمية أثرية اهتمت بتشجيع عمليات التنقيب الأثري  
القائم على أسس علمية وبهذا ساعدت على أن تهيئ اللآلئ عن الكثير  
من الصفحات المجهولة من تاريخ مصر وحفظ العديد من آثارها كما  
إنها ساعدت على إخراج المغامرين من ميدان التنقيب عن الكنوز  
المصرية.

وبعد فهدا الكتاب سياحة ممتعة في الماضي البعيد  
وسيرة صاحبه جديرة بأن تكون مصدراً هاماً لنا للاهتمام  
والتأريخ.

